

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ عَوْنِكَ اللَّهُمَّ

ثُمَّ دَخَلْتُ سَخْنًا لَكَ وَتَلَوْتُ مَا يَدُ

دُخْرًا مَا كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَحْكَامِ

فَمِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ تَوَجُّهِهُ إِلَى الْعَبَّاسِ عَمَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ وَالْبَلَّحُ الْبَصْرِيُّ
وَأَعْمَالُهُ وَكَوْرَدِجُهُ وَالْحَمَزُ وَغَانُومُ وَمَعْمَارُ بْنُ قُتَيْبَةَ وَبُوحَيْبَةُ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى كَوْرَدِجِ الْأَمْوَارِ ۝ وَبِعَمَلِ قُلْدَاوَدِ بْنِ
مَنْ كَانَ أَحَدَ مِنْ بَنِيهِ بِكَتْهُ وَالْمَدِينَةِ ۝ وَبِعَمَلِ مَاتِ دَاوُدَ
ابْنِ عَلِيٍّ بِالْمَدِينَةِ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْهَا ۝ وَكَانَتْ وَلَايَةُ هَذَا
عَمْدٍ مِنْ عَمَلِهِ أَشْهُرَ ۝ وَاسْتَحْلَفَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ حُزْنَ حَضْرَتِهِ الْوَفَاءِ
عَلَى عَمَلِهِ ابْنَهُ مُؤَيَّسَ ۝ وَلَمَّا بَلَغْتَ أَمَّا الْعَبَّاسُ وَفَاتَهُ وَجَّهَ عَلَى الْمَدِينَةِ
وَمَنْعَهُ وَالطَّائِفَ وَالْهَمَامَةَ خَالَهُ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدِينِ
الْحَارِثِي ۝ وَوَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدِينِ عَلَى الْبَصْرَةِ
الْيَمِينِ فِي جُمَادَى الْأُولَى ۝ فَأَقَامَ زِيَادُ بِالْمَدِينَةِ وَمَعَى عَمْدٍ إِلَى الْيَمِينِ ۝
ثُمَّ وَجَّهَ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنَ الْمَدِينَةِ ابْنَ هَيْمٍ بْنُ حَسَّانَ السَّامِيَّ وَهُوَ أَبُو
جَمَادٍ الْأَنْصَرِيُّ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ۝ وَهُوَ بِالْهَمَامَةِ فَقَتِلَ
وَقَتْلُ أَصْحَابِهِ ۝ وَفِيهَا كَثُرَ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى ابْنِ عَوْنٍ بِأَقْرَبِهِ
عَلَى مُصِيرٍ وَابْنِهَا عَلَيْهِمَا ۝ وَالْإِمَامُ عَبْدُ اللَّهِ صَلَّحَ ابْنُ عَلِيٍّ عَلَى أَجْنَادِ
الشَّيْبَةِ ۝ وَفِيهَا وَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ إِلَى أَرْضَيْهِ فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا
شَدِيدًا حَتَّى قُتِلَ ۝ وَفِيهَا خَرَجَ

شَيْءٌ

أَخْبَرَنِي ذَلِكَ أَبُو عَمْرٍو أَنَّهُ زَعَى قَالَ وَكَذَلِكَ فِيمَنْ أَهْلَهُمْ مَجُوسٌ
 الْحَمْدُ قَالَ الْعَبَّاسُ قَالَ هَذَا وَزَعَى ثَنِي عَمْرٍو وَاحِدٌ مِنْ أَهْلِ بَابِ ابْنِ عَبْدِ
 الرَّحْمَنِ اسْتَعْلَى عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَبَنُو عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ
 لَنَا مِنْ تَحْزِينِ جَوَائِدِ كَانُوا بِالْحِجْرَةِ لِقَبَائِلِهِمْ جُزْءٌ مَحْذُومٌ لَمْ يَخُذُوا قَالَ
 أَبُو جَعْفَرٍ وَجَّحَ النَّاسُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَابْنُ سُلَيْمٍ
 ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَدْرٍ حَدَّثَنِي بِذَلِكَ لِحَمْدِ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ دُرَيْمٍ
 عَنْ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ بْنِ عَمْرٍو وَكَذَلِكَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ وَكَانَ
 الْعَامِلُ عَلَيْهِمْ كَمَا مَدَنِيهِ وَالطَّائِفَةُ فِيهِمْ السَّنَةُ عَبْدُ اللَّهِ
 ابْنُ سُلَيْمٍ وَعَلِيُّ بْنُ الْحَارِثِ عَمْرٍو بْنُ زَيْدٍ مِنْ قَبِيلِهِ وَعَمْرٍو الْكُوفَةُ
 الْحَجَّاجُ بْنُ عَمْرٍو الْحَازِي فِيهِمَا ذِكْرٌ وَعَمْرٍو الْقُتَيْبِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 سَعْدٍ وَعَمْرٍو بْنُ سَعْدٍ بْنِ سَعْدٍ

فَمِنْ ذَلِكَ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ

ذِكْرُ الْأَحْكَامِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ دُخُولُ بَنِي سُلَيْمٍ حَبَابِطَ
 سَدْرٍ وَتَرْوُلُهُ دَاوَالِ الْأَمَارَةِ بِهَا وَمَطَابَقَتُهُ عَلَى بَنِي جَدِيعِ الْكُوفَةِ
 أَيَّامُ عَلِيٍّ حَرْبُ بَنِي سَعْدٍ

فِي الْحَجْرِ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ

ذِكْرُ

بيان

ذكرت في مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة ؛ أننى اتخذت النسخة المطبوعة في أوربا أصلاً في التحقيق ؛ باعتبارها النسخة الكاملة التى نُشرت نشرًا علميًا على أساس المخطوطات المتنوعة التى وقعت للمصححين ؛ وأثبت في حواشيتها فروق النسخ التى رجعوا إليها ؛ ولاسيما الفروق التى لها دلالات خاصة ؛ وزدت عليها فروق النسخ التى حصلت عليها بعد ؛ مع ما عنى من التعليق والشرح والتوضيح ؛ كما أنى أثبت في الهامش أرقام صفحاتها ، ورمزتُ إليها بالحرف (ط) .

ومن النسخ التى حصلت عليها لتحقيق هذا الجزء ؛ مما لم يرجع إليه مصححو الطبعة الأوربية ما يأتى :

١ - جزء مصور من أجزاء النسخة المخطوطة المحفوظة بمكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٢٩٢٩ ؛ وهى التى رجعت إلى بعض أجزاءها فيما سبق . وقد وضعت أجزاء هذه النسخة على أساس تعجزة الناسخ ، وتقع في خمسة عشر مجلدًا ، كتب على صفحة عنوان هذا الجزء : « الجزء الحادى عشر من التاريخ تأليف أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، وهو تاريخ الملوك وأنسابهم ومواليدهم والرسل وأخبارهم والكائن في زمان كل منهم » ، والحمد لله وحده . وبآخره : « تم الجزء الحادى عشر من التاريخ بعون الله ولطفه يتلوه في الجزء الثانى عشر سنة ثلاث وثلاثين ومائة » ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم تسليمًا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . وعليه وقفية من المقرّ الأشرف الجمالى الأستاذار ، لهذا المجلد وما قبله وما بعده ، على مدرسته التى أنشأها بخط الموزنيين^(١) في الشارع الأعظم » ، في سنة ٥٧٣٧ هـ . وبهذا الجزء نقص في أوله وخروم في داخله ؛ يبدأ بحوادث سنة ١١٨ ، وينتهى بآخر حوادث سنة ١٣٢ . كتب بخط نسخى مشكول يغلب عليه الصحة

(١) مرقمها الآن جامع الكردى بقصبة رضوان بالقاهرة .

والإتقان ، يبدو أنه في القرن السادس . ويقع في ٢٣٩ ورقة ؛ في كل ورقة ١٩ سطراً ، وفي كل سطر عشر كلمات تقريباً ، وقد رمزت إليه بالحرف (ا) .

٢ - جزء مصور عن أصله المخطوط بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية ، ناقص من آخره ؛ يبدأ بحدوث سنة ١٣٣ ، وينتهي في أثناء الكلام على حوادث سنة ١٤٥ ، ويقع في ١٠٠ ورقة . وعلى صفحة العنوان : « الجزء الثاني عشر من التاريخ تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى . . . » ، وهو متمم للجزء السابق ؛ وعليه نفس الوقفية السابقة ؛ وبخط الناسخ نفسه . وقد رمزت لهذا الجزء بالحرف (ي) ، وبمقابلة هذا الجزء بما قبله ، والجزء الذى وصف في مقدمة الجزء الأول ، والجزء الذى وصف في مقدمة الجزء السادس ، يتبين أن هذه الأجزاء من نسخة واحدة ؛ ولعلها كانت من كتب الحمودية التى تفرقت على مدى الأيام شرقاً وغرباً ؛ ولم يبق منها إلا بعض الكتب والأجزاء التى يكشف عنها الزمن بين حين وحين .

٣ - جزء مصور عن أصله المخطوط المحفوظ بمكتبة بنته خدابخش بالهند برقم ٣٣٣٠ ، بعنوان « الجزء الثانى عشر من كتاب التاريخ الكبير تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى رحمه الله » . يبدأ بأثناء الكلام على حوادث سنة ١٢٩ ، وينتهي بأثناء الكلام على حوادث سنة ١٥٨ ، وفي آخره تملك بخط محمد بن محمد بن أبي بكر مؤرخ بسنة ١٠١٩ ، ومطالعة لمحمد بن محمد الشهير بالعسكرى . ويقع في ٢١٢ ورقة ، كتب بخط نسخى مشكول ، يبدو أنه في القرن الثامن ؛ مسطرته ١٧ سطراً ، وفي كل سطر ١١ كلمة تقريباً .

وقد رمزت إليه بالحرف (هـ) .

والله الموفق للصواب .

رجب سنة ١٣٨٤ هـ

نوفمبر سنة ١٩٦٥ م

محمد أبو الفضل إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة أربع ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الوقعة بين الحرشي والسغد]

ففي هذه السنة كانت وقعة الحرشي بأهل السغد وقتله من قتل من دهاقينا
* ذكر الخبر عن أمره وأمرهم في هذه الوقعة :
ذكر عليّ عن أصحابه أن الحرشي غزا في سنة أربع ومائة فقطع النهر ،
وعرض الناس ، ثم سار فنزّل قصر الرياح على فرسخين من الدبوسية ، ولم ١٤٤٢/٢
يجتمع إليه جنده .
قال : فأمر الناس بالرحيل ، فقال له هلال بن عليم الحنظلي : ياهناه ،
إنك وزيراً خير منك أميراً ، الأرض حرب^(١) شاعرة برجلها ، ولم يجتمع
لك جندك ، وقد أمرت بالرحيل ! قال : فكيف لي ؟ قال : تأمر بالنزول ،
ففعل .

وخرج النبلان ابن عم ملك فرغانة إلى الحرشي ، وهو نازل على مغون^(٢)
فقال له : إن أهل السغد بخجندة ؛ وأخبره خبرهم^(٣) وقال : عاجلهم قبل
أن يصيروا إلى الشعب ، فليس لهم علينا جوار حتى يمضي الأجل . فوجه
الحرشي مع النبلان عبد الرحمن القشيري وزباد بن عبد الرحمن القشيري في
جماعة ، ثم ندم على ما فعل^(٤) فقال : جاءني عليّ لا أدرى صدق أم كذب ،
فغررتُ بجنده من المسلمين . وارتحل^(٥) في أثرهم حتى نزل في أشروسنة ، فصالحهم
بشيء يسير ، فبينما هو يتعشى إذ قيل له : هذا عطاء الدبوسية
— وكان فيمن وجهه مع القشيري — ففرغ وسقطت اللقمة من يده ، ودعا

(٢) ب : « معون » .

(١) ف : « جرت » .

(٣) ب : « لما فعلوا » .

(٤) ب : « بجبرهم » .

(٥) ب : « فارتحل » .

بعطاء ، فدخل عليه ، فقال : ويلك ! قاتلتم أحداً ؟ فقال : لا ، قال : الحمد لله ، وتعشى ، وأخبره بما قدم له عليه . فسار جواداً^(١) مغزداً ، حتى لحق القشيري بعد ثلاثة ، وسار فلما انتهى إلى خجندة ، قال للفضل^(٢) بن بسام : ما ترى ؟ قال : أرى المعاجلة ، قال : لا أرى ذلك ، إن جرح رجلٌ فإلى أين يرجع ! أو قتل قتيل فإلى من يُحمّل ! ولكنى أرى النزول والتأني والاستعداد للحرب ، فنزل فرفع^(٣) الأبنية وأخذ في التأهب ، فلم يخرج أحد من العدو ، فجبّئ الناس الحرشي ، وقالوا : كان هذا يُذكر بأسه بالعراق ورأيه ، فلما صار بخراسان ماق^(٤) . قال : فحمل رجلٌ من العرب ، فضرب باب خجندة بعمود ففتّح الباب ، وقد كانوا حفروا في ربضهم وراء الباب الخارج خندقاً ، وغطّوه بقصب ، وعلّوه بالتراب مكيدة ، وأرادوا إذا التقوا إن انهزموا أن يكونوا قد عرفوا الطريق ، ويشكل على المسلمين فيسقطوا في الخندق .

قال : فلما خرجوا قاتلهم فانهزموا ، وأخطئهم الطريق ، فسقطوا في الخندق فأخرجوا من الخندق أربعين رجلاً ، على الرجل درعان درعان ، وحصرهم الحرشي ، ونصب عليهم المجانيق ، فأرسلوا إلى ملك فرغانة : غدرت بنا ، وسألوه أن ينصرهم ، فقال لهم : لم أغير ولا أنصركم ؛ فانظروا لأنفسكم ؛ فقد أتوكم قبل انقضاء الأجل ، ولستم في جوارى . فلما أيسوا من نصره طلبوا الصلح ، وسألوا الأمان وأن يردّهم إلى السغد ، فاشتراط عليهم أن يردّوا من في أيديهم من نساء العرب وذراريهم ، وأن يؤدّوا^(٥) ما كسروا من الخراج ، ولا يغتالوا أحداً ، ولا يتخلف منهم بخجندة أحد ، فإن أحدثوا حدثاً حلت دماؤهم .

قال : وكان السّفير فيما بينهم موسى بن مشكان^(٦) مولى آل بسام ،

(١) ف : « جراداً » .

(٢) ب : « الفضل » .

(٣) ف : « ورفع » .

(٤) ماق ، أى حق .

(٥) ح ، ف : « يردوا » .

(٦) ح : « مشكان » ، ف : « مشكام » .

فخرج إليه كارزنج ، فقال له : إن لي حاجة أحب أن تشفعني فيها ، قال : وما هي ؟ قال : أحب إن جنى منهم رجل جناية بعد الصلح ألا تأخذني بما جنى ، فقال الحرشي : ولي حاجة فاقضها ، قال : وما هي ؟ قال : لا يلحقني في شرطي ما أكره . قال : فأخرج الملوك والتجار من الجانب الشرقي ، وترك أهل خُجَندة الذين هم أهلها على حالهم ، فقال كارزنج للحرشي : ما تصنع ؟ قال : أخاف عليكم معرفة الجند . قال : وعظماؤهم مع الحرشي في العسكر نزلوا على معارفهم من الجند ، ونزل كارزنج على أيوب بن أبي حسان ، فبلغ الحرشي أنهم قتلوا امرأة من نساء كن في أيديهم ، فقال لهم : بلغني أن ثابتاً الأشتيخي قتل امرأة ودفنها تحت حائط ، فجحدوا فأرسل الحرشي إلى قاضي خُجَندة ، فنظروا فإذا المرأة مقتولة . قال : فدعا الحرشي بثابت ، فأرسل كارزنج غلامه إلى باب السراوق ليأتيه بالخبر ، وسأل الحرشي ثابتاً وغيره عن المرأة ، فجحد ثابت وتيقن الحرشي أنه قتلها فقتله . فرجع غلام كارزنج إليه بقتل ثابت ، فجعل يقبض على لحيته ويقرضها بأسنانه ، وخاف كارزنج أن يستعرضهم^(١) الحرشي ، فقال لأيوب بن أبي حسان : إني ضيفك وصديقك ، فلا^(٢) يحمل بك أن يقتل صديقك^(٣) في سراويل خلتك ، قال : فخذ سراويلي . قال : وهذا لا يحمل ، أقتل في سراويلاتكم ! فسرح غلامك إلى جلنج ابن أخي يحيثوني بسراويل جديد — وكان قد قال لابن أخيه : إذا أرسلت إليك أطلب سراويل فاعلم أنه القتل — فلما بعث بسراويل أخرج فرندة خضراء فقطعها عصائب ، وعصبها برعوس شاكريته ، ثم خرج هو وشاكريته ، فاعترض الناس فقتل ناساً ، ومرّ بيحي بن حُصَيْن فنفضه نفحة^(٤) على رجله ، فلم يزل يخمّع منها^(٥) . وتضعض أهل العسكر ، ولقي الناس منه شراً ؛ حتى انتهى إلى ثابت بن عثمان بن مسعود في طريق ضيق ، فقتله ثابت بسيف عثمان بن مسعود . وكان في أيدي السُغد أسراء من المسلمين فقتلوا منهم خمسين ومائة ، ويقال : قتلوا منهم أربعين ؛ قال : فأقلت منهم غلام فأخبر

(٢) ب : « ولا » .

(٤) نفحه ، أي ضربه .

(١) ابن الأثير : « أن يقتل » .

(٣) ب : « ضيفك » .

(٥) يخمّع ، أي يعرج .

الحرشي - ويقال: بل أناه رجل فأخبره - فسألهم فجحدوا ، فأرسل إليهم من علم علمهم ، فوجد الخبر حقاً ، فأمر بقتلهم ، وعزل التجار عنهم - وكان التجار أربعمائة ، كان معهم مالٌ عظيمٌ قدِموا به من الصين - قال : فامتنع أهل السغد ، ولم يكن لهم سلاح ، فقاتلوا بالخشب ، فقتلوا عن آخرهم . فلما كان الغد دعا الحرثيين - ولم يعلموا ما صنع أصحابهم - فكان يختم في عنق الرجل ويخرج من حائط إلى حائط فيقتل ، وكانوا ثلاثة آلاف - ويقال ١٤٤٦/٢ سبعة آلاف - فأرسل جرير بن هميان والحسن بن أبي العَمَرَّة (١) ويزيد بن أبي زينب فأحصوا أموال التجار - وكانوا اعتزلوا وقالوا : لا نقاتل - فاصطنى أموال السغد (٢) وذراريهم ، فأخذ منها ما أعجبه ، ثم دعا مسلم بن بُدَيْل العدوي ؛ عدى الرباب ، فقال : قد وليتك المقسم ، قال : بعد ما عمل فيه عمالك ليلة ! ولَّه غيري ؛ فولاه عبيد الله بن زهير بن حيَّان العدوي ، فأخرج الخمس ، وقسم الأموال ؛ وكتب الحرشي إلى يزيد بن عبد الملك ، ولم يكتب إلى عمر بن هبيرة ، فكان هذا مما وجد فيه عليه عمر بن هبيرة ، فقال ثابت قُطُنَةُ يذكر ما أصابوا من عظمائهم :

أَقْرَ العَيْنِ مَصْرَعُ كَارزَنْجٍ وَكَشِينِ وَمَا لاقِي بِيَارُ (٣)
وَدِيَوَاشْنِي وَمَا لاقِي جَلَنْجُ بِحِصْنِ خُجَنْدَ إِذْ دَمَرُوا فَبَارُوا (٤)

ويروى : «أَقْرَ العين مصرع كارزنج ، وكشيش» ؛ ويقال : إن ديواشني دِهْتَانِ أَهْلِ سَمَرْقَنْد ، واسمه ديواشنج فأعربوه ديواشني . ١٤٤٧/٢

ويقال : كان على أقباض خُجَنْدَةَ عَلِيَاءَ بن أحمر الشكري ، فاشترى رجل منه جُوءَةَ بدرهمين ، فوجد فيها سبائك ذهب ، فرجع وهو واضحٌ يده على عينه كأنه رمد ، فردَّ الجُوءَةَ ، وأخذ الدرهمين ، فطلب فلم يوجد .

(١) ح : « المرطة » .
(٢) ب : « أموال أهل السغد » .
(٣) ابن الأثير : « بياد » .
(٤) ابن الأثير : « فبادوا » .

قال : وسرح الحرشي سليمان بن أبي السرى مولى بنى عؤافة إلى قلعة لا يُطيف بها وادى السغد إلا من وجه واحد . ومعه شوكر بن حميك وخوارزم شاه وعورم صاحب أخرون وشومان ؛ فوجه سليمان بن أبي السرى على مقدمته المسيب بن بشر الرياحي ، فتأقنوه من القلعة على فرسخ في قرية يقال لها كوم ، فهزمهم المسيب حتى ردّهم إلى القلعة فحصرهم سليمان ، ودهقناها يقال له ديواشني .

قال : فكتب إليه الحرشي فعرض عليه أن يمدّه ، فأرسل إليه : ملتقانا ضيق فسر^(١) إلى كيس ؛ فإننا في كفاية الله إن شاء الله . فطلب الديواشني أن ينزل على حكم الحرشي ، وأن يوجهه مع المسيب بن بشر إلى الحرشي ، فوفى له سليمان ووجهه إلى سعيد الحرشي ، فألففه وأكرمه مكيدة ، فطلب أهل القلعة الصلح بعد مسيره على ألاّ يعرض لمائة أهل بيت منهم ونسائهم^(٢) وأبنائهم ويُسلمون القلعة . فكتب سليمان إلى الحرشي أن يبعث الأمان في قبض ما في القلعة .

قال : فبعث محمد بن عزيز الكندي وعيلباء بن أحمر الإشكري ، فباعوا ما في القلعة مزادة ، فأخذ الخمس ، وقسم الباقي بينهم . وخرج الحرشي إلى ١٤٤٨/٢ كيس فصالحوه على عشرة آلاف رأس . ويقال : صالح دهقان كيس ، واسمه ويك — على ستة آلاف رأس ، يوفيه في أربعين يوماً على ألاّ يأتيه فلما فرغ من كيس خرج إلى ربنجنجن ، فقتل الديواشني ، وصلبه على ناووس وكتب على أهل ربنجنجن كتاباً بمائة إن فقد من موضعه ؛ وولّى نصر بن سيار قبض صلح كيس ، ثم عزل سيرة بن الحرّ وولّى نصر بن سيار ، واستعمل سليمان بن أبي السرى على كيس ، ونسّف حربها وخراجها ، وبعث برأس الديواشني إلى العراق ، ويده اليسرى إلى سليمان بن أبي السرى إلى طخارستان .

قال : وكانت خزار منيعة ، فقال المجشتر بن مزاحم لسعيد بن عمرو الحرشي : ألا أدلك على من يفتحها لك بغير قتال ؟ قال : بلى ، قال : المسربل بن الخريت بن راشد الناجي ، فوجهه إليها — وكان المسربل صديقاً للملكها ، واسم الملك سبقرى . وكانوا يحبّون المسربل — فأخبر الملك ماصنع

(٢) ب : « ولا نسائهم » .

(١) ب : « ولكن سر » .

الحرشيّ بأهل خُجَندة وخوَفَه، قال: فما ترى ؟ قال : أرى أن تنزل بأمان،
قال : فما أصنع بمن لحق بي من عوامّ الناس ؟ قال : نصيّرهم معك في أمانك،
١٤٤٩/٢ فصالحهم فأمنوه^(١) وبلادهم .

قال : ورجع الحرشيّ إلى مَرَوَ ومعه سبقرى، فلما نزل أسنان وقدم
مهاجر بن يزيد الحرشيّ ، وأمره أن يوافيه ببرذون بن كُشَانِيْشاه قتل سبقرى
وصلبه ومعه أمانه — ويقال : كان هذا دهقان ابن ماجر قدم على ابن هبيرة
فأخذ أماناً لأهل السُغْد ، فحبسه الحرشيّ في قهندز مَرَوَ ، فلما قدم مَرَوَ
دعا به ، وقتله وصلبه في الميدان ، فقال الراجز :

إِذَا سَعِيدٌ سَارَ فِي الْأَخْمَاسِ فِي رَهَجٍ يَأْخُذُ بِالْأَنْفَاسِ
دَارَتْ عَلَى التَّرْكِ أَمْرُ الْكَاسِ وَطَارَتْ التُّرْكُ عَلَى الْأَحْلَاسِ
* وَلَوْأَ فِرَارًا عُطِّلَ الْقِيَاسِ *

* * *

وفي هذه السنة عزل يزيدُ بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحّاك بن
قيس الفهريّ عن المدينة ومكة ، وذلك للنصف من شهر ربيع الأوّل ، وكان
عامله على المدينة ثلاث سنين .
وفيها وليّ يزيدُ بن عبد الملك المدينة عبد الواحد النَّضْرِيّ^(٢) .

ذكر الخبر عن سبب عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن
ابن الضحّاك عن المدينة وما كان ولاه من الأعمال

وكان سبب ذلك — فيما ذكر محمد بن عمر، عن عبد الله بن محمد بن أبي
يحيى ١٤٥٠/٢ — قال : خطب عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفهريّ فاطمة
ابنة الحسين، فقالت : والله ما أريد النكاح ، ولقد قعدت على بني هؤلاء ؛

(١) ح : « فأمنه » .

(٢) ب ، ح : « البصري » .

وجعلت تحاجزه وتكره أن تنابذه لما تخاف منه . قال : وألحّ عليها وقال : والله لئن لم تفعل لأجلدنّ أكبر بنيك في الخمر — يعنى عبد الله بن الحسن — فبينما هو كذلك ؛ وكان على ديوان المدينة ابن هرمز (رجل من أهل الشام) ، فكتب إليه يزيد أن يرفع حسابه ، ويدفع^(١) الديوان ، فدخل على فاطمة بنت الحسين يودّعها ، فقال : هل من حاجة ؟ فقالت : تخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحّاك ، وما يتعرّض منى . قال : وبعثت رسولا بكتاب إلى يزيد تخبره وتذكر قرابتها ورحمها ، وتذكر ما ينال ابن الضحّاك منها ، وما يتوعدها به .

قال : فقدم ابن هرمز والرسول معاً . قال : فدخل ابن هرمز على يزيد ، فاستخبره عن المدينة ، وقال : هل كان من مغربة خبر ؟ فلم يذكر ابن هرمز من شأن ابنة الحسين ، فقال الحاجب : أصلح الله الأمير ! بالباب رسول فاطمة بنت الحسين ، فقال ابن هرمز : أصلح الله الأمير ! إن فاطمة بنت الحسين يوم خرجت حملتني^(٢) رسالة إليك ، فأخبره الخبر .

١٤٠١/٢

قال : فنزل من أعلى فراشه ، وقال : لا أمّ لك ! ألم أسألك هل من مغربة خبر ، وهذا عندك^(٣) لا^(٤) تخبرني^(٥) ! قال : فاعتذر بالنسيان . قال : فأذن للرسول فأدخله ، فأخذ الكتاب ، فاقرأه . قال : وجعل^(٦) يضرب بخيزران في يديه^(٧) وهو يقول : لقد اجترأ ابن الضحّاك ! هل من رجل يسمعني صوته في العذاب وأنا على فراشي ؟ قيل له : عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النّضريّ . قال : فدعا بقرطاس ، فكتب بيده :

إلى عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النّضريّ وهو بالطائف : سلام عليك ؛ أما بعد فإنني قد وليتُك المدينة ، فإذا جاءك كتابي هذا فاهبط واعزل عنها ابن الضحّاك ، وأغرمه أربعين ألف دينار ، وعذبه حتى أسمع صوته وأنا على فراشي .

قال : وأخذ البريد الكتاب ، وقدم به المدينة ، ولم يدخل على ابن الضحّاك

(١) ب : « ويحمل » . (٢) ب : « حملتني يوم خرجت » .

(٣) ح : « معلق » . (٤) ب : « فلا » .

(٥) ح : « تخبرني إياه » . (٦) ب : « فجعل » .

(٧) ف وابن الأثير : « يده » .

وقد أوجست نفس ابن الضحاك ، فأرسل إلى البريد ، فكشف له عن طرف المفرش ، فإذا ألف دينار ، فقال : هذه ألف دينار لك ولك العهد والميثاق ؛ لأن أنت أخبرتني خبر وجهك هذا دفعتها إليك ، فأخبره ، فاستنظر البريد ثلاثاً حتى يسير ، ففعل . ثم خرج ابن الضحاك ، فأغذ السَّيْر حتى نزل على مسلمة بن عبد الملك ، فقال : أنا في جوارك ، فغدا مسلمة على يزيد فرقته^(١) وذكر حاجة جاء لها^(٢) ، فقال : كل حاجة تكلمت فيها هي في يدك ما لم يكن ابن الضحاك ، فقال : هو والله ابن الضحاك ! فقال : والله لا أعفيه أبداً وقد فعل ما فعل ، قال : فردّه إلى المدينة إلى النَّصْرَى .

قال عبد الله بن محمد : فرأيتُه في المدينة^(٣) عليه جُبّة من صوف يسأل الناس ، وقد عذّب ولقي شراً ، وقدم النَّصْرَى يوم السبت للنصف من شوال سنة أربع ومائة .

قال محمد بن عمر : حدثني إبراهيم بن عبد الله بن أبي فرّوة ، عن الزَّهْرَى ، قال : قلت لعبد الرحمن بن الضحاك : إنك تقدم على قومك وهم ينكرون^(٤) كل شيء خالف فعلهم ، فالزم ما أجمعوا عليه ، وشاور القاسم ابن محمد وسالم بن عبد الله ، فإنهما لا يألوانك رشدأ . قال الزَّهْرَى : فلم يأخذ بشيء من ذلك ، وعادى الأنصار طراً ، وضرب أبا بكر بن حزم ظمماً وعدواناً في باطل ، فما بقي منهم شاعر إلا هجاه ، ولا صالح إلا عابه وأتاه بالقبيح ، فلما ولي هشام رأيتُه ذليلاً .

وولى المدينة عبد الواحد بن عبد الله بن بشر فأقام بالمدينة لم يقدم عليهم وال أحبّ عليهم منه ، وكان يذهب مذاهب الخير ، لا يقطع أمراً إلا استشار فيه القاسم وسالمًا^(٥) .

* * *

وفي هذه السنة غزا الجراح بن عبد الله الحكَمَى - وهو أمير على أرمينية وأذربيجان - أرض الترك ففتح على يديه بلسنجَر ، وهزم الترك وغرقهم وعامة

(١) ب : « فرقه » .

(٢) ب : « بها » .

(٣) ف : « بالمدينة » .

(٤) ب : « ينظرون » .

(٥) في ابن الأثير : « القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر » .

ذُرَّارِيَّتِهِمْ^(١) فِي الْمَاءِ ، وَسَبَّوْا مَا شَاءُوا ، وَفَتَحَ الْحَصُونِ الَّتِي تَلَى بَلَسَنْجَرَ وَجَلَا عَامَةً أَهْلِهَا .

وَفِيهَا وَلَدٌ — فِيمَا ذَكَرَ — أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ .

وَفِيهَا دَخَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ وَعِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ خُرَّاسَانَ إِلَى مُحَمَّدِ ابْنِ عَلِيٍّ ، وَقَدْ وَلَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ قَبْلَ ذَلِكَ بِخَمْسِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ ، فَأَخْرَجَهُ إِلَيْهِمْ فِي خَرِقَةٍ ، وَقَالَ لَهُمْ : وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى تَدْرِكُوا ثَارَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ .

* * *

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ سَعِيدُ بْنُ عَمْرِو الْحَرَّشِيِّ عَنْ خُرَّاسَانَ ، وَوَلَّاهَا مُسْلِمُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ زُرْعَةَ الْكَلَابِيِّ

ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ سَبَبِ عَزْلِ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ سَعِيدَ بْنَ

عَمْرِو الْحَرَّشِيِّ عَنْ خُرَّاسَانَ

ذُكِرَ أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كَانَ مِنْ مَوْجِدَةٍ^(٢) وَجَدَهَا عُمَرُ عَلَى الْحَرَّشِيِّ فِي أَمْرِ الدِّيَوَاشِيِّ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ كَتَبَ إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ بِتَخْلِيَّتِهِ وَقَتْلِهِ ، وَكَانَ^(٣) يَسْتَخْفُّ بِأَمْرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، وَكَانَ الْبَرِيدُ وَالرَّسُولُ^(٤) إِذَا وَرَدَ مِنَ الْعِرَاقِ قَالَ لَهُ : كَيْفَ أَبُو الْمُثَنَّى ؟ وَيَقُولُ لِكَاتِبِهِ : اكْتُبْ إِلَى أَبِي الْمُثَنَّى ١٤٥٤/٢ وَلَا يَقُولُ : « الْأَمِيرُ » ، وَيَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ : قَالَ أَبُو الْمُثَنَّى وَفَعَلَ أَبُو الْمُثَنَّى ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ هُبَيْرَةَ فَدَعَا جُمَيْلَ بْنَ عَمْرَانَ ، فَقَالَ لَهُ : بَلِّغْنِي أَشْيَاءَ عَنْ الْحَرَّشِيِّ ، فَاخْرُجْ إِلَى خُرَّاسَانَ ، وَأَظْهَرْ أَنَّكَ قَدِمْتَ^(٥) تَنْظُرَ فِي الدَّوَاوِينَ ، وَاعْلَمْ لِي عِلْمَهُ . فَقَدِمَ جُمَيْلٌ ، فَقَالَ لَهُ الْحَرَّشِيُّ : كَيْفَ تَرَكْتَ أَبَا الْمُثَنَّى ؟ فَجَعَلَ يَنْظُرُ فِي الدَّوَاوِينَ . فَقِيلَ لِلْحَرَّشِيِّ : مَا قَدِمَ جَمِيلٌ لِيَنْظُرَ فِي الدَّوَاوِينَ ، وَمَا قَدِمَ إِلَّا لِيَعْلَمَ عِلْمَكَ ، فَسَمَّ بِطَيْخَةٍ ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى جَمِيلٍ ، فَأَكَلَهَا فَرَضَ ،

(٢) ب : « كان موجدة » .

(٤) ف : « أو الرسول » .

(١) ح : « ذُرَّارِيَّتِهِمْ » .

(٣) ب : « وإنه كان » .

(٥) ب : « خرجت » .

وتساقط شعره ، ورجع إلى ابن هبيرة ، فعولج واستبل^(١) وصح ، فقال لابن هبيرة : الأمر أعظم مما بلغك ؛ ما يرى سعيد إلا أنك عامل من عماله . فغضب عليه وعزله وعذبه ، ونفح في بطنه النمل^(٢) ، وكان يقول حين عزله : لو سألتني عمر درهماً يضعه في عينه ما أعطيته ؛ فلما عذب أدنى ، فقال له رجل : ألم تزعم أنك لا تعطيه درهماً ! قال : لا تعنّفني ؛ إنه لما أصابني الحديد جزعت ، فقال أذينة بن كليب - أو كليب بن أذينة :

تَصَبَّرْ أَبَا يَحْيَى فَقَدْ كُنْتَ - عَلِمْنَا - صَبُورًا وَنَهَاضًا بِثِقَلِ الْمَغَارِمِ

وقال علي بن محمد : إنما غضب عليه ابن هبيرة أنه وجه معقل بن عروة إلى هرة ؛ إما عاملاً وإما في غير ذلك من أموره ، فنزل قبل أن يمرّ على الحرشي ، وأتى هرة ، فلم ينفذ له ما قدم فيه ، وكتب إلى الحرشي ، فكتب الحرشي إلى عامله : أن احمل إلى معقلاً ، فحمله ، فقال له الحرشي : ما منعك من إتياني قبل أن تأتي هرة ؟ قال : أنا عامل لابن هبيرة ولا أتى كما ولاك ، فضربه مائتين وحلقه^(٣) . فعزله ابن هبيرة ، واستعمل على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة ، فكتب إلى الحرشي يلخّنه ، فقال سعيد : بل هو ابن اللخّاء . وكتب إلى مسلم أن احمل إلى الحرشي مع معقل بن عروة ، فدفعه إليه ، فأساء به وضيق عليه ، ثم أمره يوماً فعذبه ، وقال : اقتله بالعذاب . فلما أمسى ابن هبيرة سمر فقال : من سيد قيس ؟ قالوا : الأمير ، قال : دعوا هذا ، سيد قيس الكوثر بن زفر ، لو بوق بليل لوافاه عشرون ألفاً ، لا يقولون : لم^(٤) دعوتنا ولا يسألونه ، وهذا الحمار الذي في الحبس - قد أمرت بقتله - فارسها ؛ وأما خير قيس لها فعسى أن أكونه ؛ إنه لم يعرض إلى أمر أرى أني أقدر فيه على منفعة وخير إلا جرته^(٥) إليهم ، فقال له أعرابي من بني فزارة : ما أنت كما تقول ، لو كنت كذلك ما أمرت بقتل فارسها . فأرسل إلى معقل أن كفّ عما كنت أمرتك به .

(٢) النمل هنا : بثور صغار مع ورم يسير .

(٤) ط : « لما » .

(١) استبل ، أي برئ وشفئ .

(٣) حلقه : وسحه بحلقة في فخذيه .

(٥) ح : « لأجرته » .

قال عليّ: قال مسلم بن المغيرة: لما هرب ابن هبيرة أرسل خالد في طلبه سعيد بن عمرو الحرشيّ، فلحقه بموضع من الفُرات يقطعه إلى الجانب الآخر في سفينة، وفي صدر السفينة غلام لابن هبيرة يقال له قُبَيْضُ، فعرفه الحرشيّ فقال له: قُبَيْضُ؟ قال: نعم، قال: أفي السفينة أبو المثنى؟ قال: نعم. قال: فخرج إليه ابن هبيرة، فقال له الحرشيّ: أبا المثنى، ما ظنّك بي؟ قال: ظنّي بك أنك لا تدفع رجلاً من قومك إلى رجل من قريش، قال: هو ذاك، قال: فالتجاء.

قال عليّ: قال أبو إسحاق بن ربيعة: لما حبس ابن هبيرة الحرشيّ دخل عليه معقل بن عروة القشيريّ، فقال: أصلح الله الأمير! قيّدت فارس قيس وفضحته، وما أنا براص^(١) عنه؛ غير أنّي لم أحبّ أن تبلغ منه^(٢) ما بلغت، قال: أنت بيني وبينه، قدمت العراق فوليته البصرة، ثم وليته خراسان، فبعث إلى ببرذون حطيم^(٣) واستخفّ بأمرى، وخان فعزلته، وقلت له: يابن نسعة، فقال لي: يابن بُسرة. فقال معقل: وفعل ابن الفاعلة! ودخل على الحرشيّ السجن، فقال: يابن نسعة، أمك دخلت واشتريت بثمانين عسراً جرباً، كانت مع الرعاء ترادفها^(٤) الرجال^(٥) مطية المصادر والوارد^(٦)، تجعلها ندّاً لبنت الحارث بن عمرو بن حمرجة! وافتري عليه، فلما عزّل ابن هبيرة، وقدم^(٧) خالد العراق استعدى الحرشيّ على معقل ابن عروة، وأقام البيّنة أنه قذفه، فقال للحرشيّ: اجلده، فحدّه، وقال: لولا أنّ ابن هبيرة وهنّ في عضدي لنقبت عن قلبك، فقال رجل من بني كلاب لمعقل: أسأت إلى ابن عمك وقذفتَه، فأداله الله منك، فصرت لا شهادة لك في المسلمين، وكان معقل حين ضرب الحدّ قذف الحرشيّ أيضاً، فأمر خالد بإعادة الحدّ، فقال القاضي: لا يُحمد. قال: وأمّ عمر ابن هبيرة بُسرة بنت حسان، علويّة من عدى الرّباب.

(٢) ب: «يبلغ به».

(٤) ف: «يرادّ فيها».

(٦) ب: «الوارد والمصادر».

(١) ب: «عنه براص».

(٣) الحطيم: داء في قوائم الدابة.

(٥) ط: «الرعاء».

(٧) ح: «ودخل».

[ولاية مسلم بن سعيد على خراسان]

وفي هذه السنة ولّى عمرُ بن هبيرة مسلّم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة بن عمرو بن خُوَيْلِد الصّعِقِ خراسان بعد ما عزل سعيد بن عمرو والحرشي عنها .
* ذكر الخبر عن سبب توليته إياها :

ذكر عليّ بن محمد أنّ أبا الذيّال وعليّ بن مجاهد وغيرهما حدّثوه ، قالوا : لما قتل سعيد بن أسلم ضمّ الحجاج ابنه مسلم بن سعيد مع ولده ، فتأدّب ونبل ، فلما قدم عدى بن أرطاة أراد أن يولّيه ، فشاور كاتبه ، فقال : ولّه ولايةٌ خفيفةٌ ثمّ ترفعه ، فولاه ولاية ، فقام بها وضبطها وأحسن ؛ فلما وقعت فتنة يزيد بن المهلب حمل تلك الأموال إلى الشام ، فلما قدم عمر بن هبيرة أجمع على أن يولّيه ولاية ، فدعاه ولم يكن شاب بعد ، فنظر فرأى شيبةً في لحيته ، فكبّر . ١٤٥٨/٢

قال : ثم سمر^(١) ليلة ومسلم في سمرّه ، فتخلف مسلم بعد السّمّار ، وفي يد ابن هبيرة سفَرَجلة ، فرمى بها ، وقال : أبسرك^(٢) أن أولّيتك خراسان ؟ قال : نعم ، قال : غدوة إن شاء الله . قال : فلما أصبح جلس ، ودخل الناس ؛ فعقد لمسلم على خراسان وكتب عهده ، وأمره بالسير ، وكتب إلى عمال الخراج أن يكتابوا مسلم بن سعيد ، ودعا بجبلة بن عبد الرحمن مولّى باهلة فولاه كرمان ، فقال جبلة : ما صنعت بي الملوّية ! كان مسلم يطمع^(٣) أن ألّى ولايةً عظيمة فأولّيه كورة ، فعقد له على خراسان وعقد لى على كرمان ! قال : فسار مسلم فقدم خراسان في آخر سنة أربع ومائة — أو ثلاث ومائة — نصف النهار ، فوافق باب دار الإمارة مغلقاً ، فأتى دار الدواب فوجد الباب مغلقاً فدخل المسجد ، فوجد باب المقصورة مغلقاً ، فصلى . وخرج وصيفٌ من باب المقصورة فقبل له : الأمير ، فشئى بين يديه حتى أدخله مجلس الوالى فى دار الإمارة ، وأعلّم الحرشي ، وقيل له : قدم مسلم بن سعيد ابن أسلم ، فأرسل إليه : أقدمت أميراً أو وزيراً أو زائراً ؟ فأرسل إليه : مثلى لا يقدم خراسان زائراً ولا وزيراً ، فأتاه الحرشي فشتمه وأمر بحبسه ، فقيل له : إن أخرجته نهائراً قتل ، فأمر بحبسه عنده حتى أمسى ، ثم حبسه ليلاً

١٤٥٩/٢

(١) ح : « سمر » . (٢) ح : « أبسرك » . (٣) كذا فى ب ، وفى ط : « ينبئني يطمع » .

وقيده ، ثم أمر صاحب السجن أن يزيده قيئداً . فأتاه حزينا ، فقال : مالك ؟ فقال : أُمِرْتُ أَنْ أزيدك قيداً ، فقال لكتابه : اكتب إليه : إن صاحب سجنك ذكر أنك أمرته أن يزيدي قيداً ، فإن كان أمراً ممن فوقك فسمعا وطاعة ، وإن كان رأياً رأيته فسرك الحققة^(١) ، وتمثل :

هُمْ إِنْ يَتَّقِفُونِي يَقْتُلُونِي وَمَنْ أَتَّقِفْ فَلَيْسَ إِلَى خُلُودٍ^(٢)
ويروى :

فَإِمَّا تَتَّقِفُونِي فَاقْتُلُونِي فَمَنْ أَتَّقِفْ فَلَيْسَ إِلَى خُلُودٍ
هُمْ الْأَعْدَاءُ إِنْ شَهِدُوا وَغَابُوا أُولُو الْأَحْقَادِ وَالْأَكْبَادُ سُودُ
أَرِيغُونِي إِرَاغَتَكُمْ فَإِنِّي وَحَذَفَةً كَالشَّجَا تَحْتَ الْوَرِيدِ
ويروى : « أريدوني لإرادتكم » .

قال : وبعث مسلم على كوره رجلا من قبيلة على حربها .

قال : وكان ابن هيرة حريصاً ، أخذ قهرماناً^(٣) ليزيد بن المهلب ، له علم بخراسان وبأشرافهم^(٤) ، فحبسه فلم يدع منهم شريقاً إلا قترفه^(٥) ، فبعث أبا عبيدة العنبري ورجلا يقال له خالد ، وكتب إلى الحرشي وأمره أن يدفع الذين ستمهم إليه يستأديهم فلم يفعل ، فرد رسول ابن هيرة ، فلما استعمل ابن هيرة مسلم بن سعيد أمره بجباية تلك الأموال ، فلمّا قدم مسلم أراد أخذ الناس بتلك الأموال التي قرفت^(٦) عليهم ، فقبل له : إن فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخراسان قرار ، وإن لم تعمل في هذا حتى توضع عنهم فسدت عليك وعليهم خراسان ؛ لأن هؤلاء الذين تريد أن تأخذهم بهذه الأموال أعيان البلد قرفوا بالباطل ؛ إنما كان على مهزّم بن جابر ثلثمائة ألف فزادوا مائة ألف فصارت أربعمائة ألف ، وعامة من سمو لك ممن كثر عليه بمنزله .

(١) الحققة : أرفع السير وأتعبه للظهر .

(٢) من أبيات لخالد بن جعفر بن كلاب ، ذكرها صاحب الأغاني في ١١ : ٨٣ ، وفي اللسان :

ثقفته ثقفًا ، أي صادفته .

(٣) ب : « ترجمانًا » . (٤) ب : « بأهل خراسان وأشرافهم » .

(٥) قرفته : أتهمه ورماه . (٦) ط : « قرفت » ، وأثبت ما في الأصول .

فكتب مسلم بذلك إلى ابن هبيرة ، وأوفد وفداً فيهم مِهْزَمَ بن جابر ، فقال له مِهْزَمُ بن جابر : أيها الأمير؛ إنَّ الذي رُفِعَ إليك الظلم والباطل ، ما علينا من هذا كله لو صدق إلا القليل الذي لو أخذنا به أدبناه ، فقال ابن هبيرة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ ، فقال : اقرأ ما بعدها : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ ^(١) . فقال ابن هبيرة : لا بُدَّ من هذا المال ، قال : أما والله لئن أخذتَه لتأخذنَه من قوم شديدة شوكتهم ونكايتهم في عدوك ، وليضرنَّ ذلك بأهل خراسان في عدتهم وكراعهم وحلقتهم ؛ ونحن في ثغر نُكابد فيه عدوًّا لا يتضي حربيهم ؛ إنَّ ألدنا ليلبس الحديد حتى يخلص صدره إلى جلده ، حتى إنَّ الخادم التي تخدم الرجل لتصرف وجهها عن مولايها وعن الرجل الذي تخدمه لريح الحديد ؛ وأنتم في بلادكم متفضلون في الرِّقاق وفي المعصرة ؛ والذين قروا بهذا المال وجوه أهل خراسان وأهل الولايات والكلف العظام في المغازي ؛ وقبَلنا قوم قدِموا علينا من كلِّ فجٍّ عميق ، فجاءوا على الحُمُرَات ، فَوَلُّوا الولايات ، فاقطعوا الأموال ؛ ففَى عندهم موقرة جمعة .

١٤٦١/٢

فكتب ابن هبيرة إلى مسلم بن سعيد بما قال الوفد ، وكتب إليه أن استخرج هذه الأموال ممن ذكَّر الوفد أنها عندهم . فلما أتى مسلماً كتابُ ابن هبيرة أخذ أهلَ العهد بتلك الأموال ، وأمر حاجب بن عمرو الحارثي أن يعذبَ بهم ، ففعل وأخذ منهم ما فرَّق عليهم .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النَّضْرِيُّ ؛ كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال الواقدي .

وكان العامل على مكة والمدينة والطائف في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النَّضْرِيُّ ، وعلى العراق والمشرق عمر بن هُبيرة ، وعلى قضاء الكوفة حسين بن الحسن الكِنْدِيُّ ، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يَعْلَى .

١٤٦٢/٢

ثم دخلت سنة خمس ومائة ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة الجراح بن عبد الله الحَكَمَى اللّان؛ حتى جاز ذلك إلى مدائن وحصون من وراء بَلَكَنْجَر ، ففتح بعض ذلك ، وجلس^(١) عنه بعض أهله ، وأصاب غنائم كثيرة .
وفيهما كانت غزوة سعيد بن عبد الملك أرض الروم ، فبعث سرية في نحو من ألف مقاتل ، فأصيبوا فيها ذكر - جميعاً .
وفيهما غزا مسلم بن سعيد الترك ، فلم يفتح شيئاً ، فقتل^(٢) ثم غزا أفسيننة (مدينة من مدائن السُغْد) بعد في هذه السنة ، فصالح ملكها وأهلها .
* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر عليّ بن محمد عن أصحابه ، أنّ مسلم بن سعيد مرّزَبَ بهرام سيس فجعله المرزبان . وأنّ مسلماً غزا في آخر الصيف من سنة خمس ومائة ، فلم يفتح شيئاً وقتل ، فاتبعه الترك فلحقوه ، والنّاس يعبرون نهر بلخ وتميم على الساقة ، وعبيد الله بن زهير بن حيّان على خيل تميم ، فحاموا عن النّاس حتى عبروا . ودات يزيد بن عبد الملك ، وقام^(٣) هشام ، وغزا مسلم أفسين فصالح ملكها^(٤) على ستة آلاف رأس ، ودفع إليه القلعة ، فانصرف لتمام سنة خمس ومائة .

* * *

[ذكر موت يزيد بن عبد الملك]

وفي هذه السنة^(٥) مات الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان ، لخمس ليال بقين من شعبان منها ؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقدى .

(٢) ب : « وقتل » .
(٤) ب وابن الأثير : « أهلها » .

(١) ب : « وخطى » .
(٣) ب : « وولى هشام » .
(٥) ب : « وفيها » .

وقال الواقديّ : كانت وفاته ببلقاء من أرض دمشق ، وهو يوم مات ابن ثمان ^(١) وثلاثين سنة .

وقال بعضهم : كان ابن أربعين سنة .

وقال بعضهم : ابن ست وثلاثين سنة ؛ فكانت خلافته في قول أبي معشر وهشام بن محمد وعليّ بن محمد أربع سنين وشهراً ، وفي قول الواقديّ أربع سنين .

وكان يزيد بن عبد الملك يكتنّى أبا خالد ؛ كذلك قال أبو معشر وهشام ابن محمد والواقديّ وغيرهم .

وقال عليّ بن محمد : توفّي يزيد بن عبد الملك وهو ابن خمس وثلاثين سنة أو أربع وثلاثين سنة في شعبان يوم الجمعة لخمس بقين منه سنة خمس ومائة .

وقال : ومات بأربد من أرض البلقاء ، وصلى عليه ابنه الوليد وهو ابن خمس عشرة سنة ، وهشام بن عبد الملك يومئذ بحمص ؛ حدثني بذلك عمر ابن شبة ، عن عليّ .

وقال هشام بن محمد : توفّي يزيد بن عبد الملك ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

قال عليّ : قال أبو ماوية أو غيره من اليهود ليزيد بن عبد الملك : إنك تملك ^(٢) أربعين سنة ، فقال رجل من اليهود : كذب لعنه الله ، إنما رأى أنه يملك أربعين قصبّة ، والقصبّة شهر ، فجعل الشهر سنة .

* * *

ذكر بعض سيره وأموره

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا عليّ ، قال : كان يزيد بن عاتكة من فتیانهم ، فقال يوماً وقد طرب ، وعنده حَبَابَة وسلامة : دعوني أطير ، فقالت حَبَابَة : إلى من تدعُ الأمة ! فلما مات قالت سلامة القسّ :

لا تَلْسُنَا إِنَّمَا هَمُّنَا بِالْخَشْيَةِ^(١)
 قد لَعَمْرِي بَتُّ لَيْلِي كَأَنِّي الدَّاءُ الْوَجِيعُ
 ثم باتَ الهمُّ مَنِي دُونَ مَنْ لِي مِنْ ضَجِيعٍ^(٢)
 للذي حلَّ بنا اليو مَ من الأمرِ القَطِيعِ
 كلِّمًا أَبْصَرْتُ رَبْعًا خَالِيًا فَاضَتْ دُمُوعِي
 قد خلا من سيِّدٍ كما نَ لنا غيرَ مُضِيعِ

ثم نادى : وأمير المؤمنين! والشعر لبعض الأنصار .

قال عليّ : حجّ يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان بن عبد الملك فاشترى حَبَابَةَ - وكان اسمها العالية - بأربعة آلاف دينار من عثمان بن سهل ابن حنيف ، فقال سليمان : هممت أن أحجر على يزيد؛ فردّ يزيد حَبَابَةَ فاشتراها رجل من أهل مصر ، فقالت سَعْدَةُ ليزيد : يا أمير المؤمنين، هل بقي من الدنيا شيء تتمناه بعد ؟ قال : نعم حَبَابَةَ ، فأرسلت سَعْدَةُ رجلاً فاشتراها بأربعة آلاف دينار ، وصنعتها^(٣) حتى ذهب عنها كلال السفر ، فأنت بها يزيد ، فأجلستها من وراء السر ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أبقى شيء من الدنيا تتمناه ؟ قال : ألم تسأليني عن هذا مرة فأعلمتُك ! فرفعت السر ، وقالت : هذه حَبَابَةَ ، وقامت وخلتها عنده ، فحظيت سَعْدَةُ عند يزيد وأكرمها وحباها . وسَعْدَةُ امرأة يزيد ، وهى من آل عثمان ابن عفان^(٤) .

قال عليّ عن يونس بن حبيب : إن حبابة جارية يزيد بن عبد الملك غنّت يوماً :

بين التراقي واللهاة حرارة
 ما تطمئنّ وما تسوغ فتبرّد

(١) الأغاني ٨ : ٣٤٦ - ٣٤٨ ، قال : « والشعر للأحوص والنوح لمعبد ، صنعه سلامة وناحت به على يزيد » .
 (٢) في رواية الأغاني :

ونجى الهم منى بات أدنى من ضلوعي

(٣) صنعها ؛ أى زينتها ونظفها .

(٤) الخبر في الأغاني ١٥ : ١٢٤ ؛ مع اختلاف في الرواية .

فأهوى ليطير فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن لنا فيك حاجة^(١) ، ففرضت وثقلت^(٢) ، فقال : كيف أنت يا حباية ؟ فلم تجبه ، فبكى وقال :

لئن تسَلُّ عنك النفس أو تذهَل الهوى^(٣) فبالْيأس يسَلُّو القلب لا بالتجلدِ
وسمع جارية لها تتمثل :

كفى حَزَنًا بِالهائم الصَّبِّ أن يَرَى منازل من يَهْوَى مُعْطَلَةً قَفْرًا
فكان يتمثل بهذا .

قال عمر : قال عليّ : مكث يزيد بن عبد الملك بعد موت حباية سبعة أيام لا يخرج إلى الناس ؛ أشار عليه بذلك مَسْلَمَة ، وخاف أن يظهر منه شيء يسفهه عند الناس .

١٤٦٦/٢

(١) ح : « الحاجة » .

(٢) ثقلت ، أى اشتد مرضها .

(٣) يقال : ذهل الشيء وعن الشيء ، أى تركه . وفى ب : « تدع الهوى » .

خلافة هشام بن عبد الملك

وفي هذه السنة استُخلف هشام بن عبد الملك ليلالٍ بقين من شعبان منها ، وهو يوم استخلف ابن أربع وثلاثين سنة وأشهر .

حدثني عمر بن شبَّه ، قال : حدثني عليّ ، قال : حدثنا أبو محمد القرشيّ وأبو محمد الزياديّ والمنهال بن عبد الملك وسُحيم بن حفص العُجينيّ ، قالوا : وُلد هشام بن عبد الملك عامَ قُتيلِ مُصعب بن الزبير سنة اثنتين وسبعين . وأُمّه عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، وكانت حمقاء ، أمرها أهلها ألاّ تكلم عبد الملك حتى تلد ، وكانت تشيّ الوسائد وتركب الوسادة وتزجرها كأنها دابة ، وتشتري الكُنْدُر^(١) فتمصّغه وتعمل منه تماثيل ، وتضع التماثيل على الوسائد^(٢) ، وقد سمّت كل تماثيل باسم جارية ، وتنادى : يا فلانة ويا فلانة ؛ فطلقها عبد الملك لحمة . وسار عبد الملك إلى مُصعب فقتله ، فلما قتله بلغه مولد هشام ، فسماه منصوراً ، يتفاعل بذلك ، وسمته أمه باسم أبيها هشام ، فلم ينكر ذلك عبد الملك ، وكان هشام يكنى أبا الوليد .

وذكر محمد بن عمر عن حدثه أن الخلافة أتت هشاماً وهو بالزيتونة ١٤٦٧/٢ في منزله في دُويرة له هناك .

قال محمد بن عمر : وقد رأيتهَا صغيرة ، فجاءه البريد بالعصا والخاتم ، وسلّم عليه بالخلافة ، فركب هشام من الرُصافة حتى أتى دمشق .

* * *

وفي هذه السنة قدِم بكير بن ماهان من السَّند - وكان بها مع الجنيد بن عبد الرحمن ترجماناً له - فلما عُرِل الجنيد بن عبد الرحمن ، قدم الكوفة ومعه أربع لبنات من فضة ولينة من ذهب ، فلقى أبا عكرمة الصادق وميسرة ومحمد بن خنيس وسالم الأعين وأبا يحيى مولى بني سلمة ؛ فذكروا له أمر

(٢) ب : « الوسادة » .

(١) الكندر : اللبان .

دعوة بنى هاشم ، فقبل ذلك ورضيَّه ، وأنفق ما معه عليهم ، ودخل إلى محمد ابن عليّ . اومات ميسرة فوجه محمد بن عليّ بمكّير بن ماهان إلى العراق مكان ميسرة ، فأقامه مقامه .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، والنضريّ على المدينة .

قال الواقديّ : حدثني إبراهيم بن محمد بن شُرَّحْبِيل ، عن أبيه ، قال : كان لإبراهيم بن هشام بن إسماعيل حجّ ، فأرسل إلى عطاء بن [أبي] رباح : متى أخطب بمكة ؟ قال : بعد الظهر ، قبل التّروية بيوم ، فخطب قبل الظهر ، وقال : أمرني رسولُ بهذا عن عطاء ، فقال عطاء : ما أمرته إلاّ بعد الظهر ، قال : فاستحيا إبراهيم بن هشام يومئذ ، وعدّوه منه جهلاً .

* * *

[ذكر ولاية خالد القسريّ على العراق]

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عمر بن هُبيرة عن العراق وما كان إليه من عمل المشرق ، وولّى ذلك كلّهُ خالد بن عبد الله القسريّ في شوال ١٤٦٨/٢ .

ذكر محمد بن سلام الجُمُحِيّ ، عن عبد القاهر بن السريّ ، عن عمر بن يزيد بن عمير الأسديّ (١) قال : دخلت على هشام بن عبد الملك ، وعنده خالد بن عبد الله القسريّ ، وهو يذكر طاعة أهل اليمن ، قال : فصفتك تصفيقةً بيدي دقّ الهواء منها ، فقلت : تالله ما رأيتُ هكذا خطأ ولا مثله خَطَئاً ! والله ما فتحت فتنة في الإسلام إلاّ بأهل اليمن ، هم قتلوا أمير المؤمنين عثمان ، وهم خلَعوا أمير المؤمنين عبد الملك ، وإنّ سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب . قال : فلما قمت تبغني رجلٌ من آل مروان كان حاضراً ، فقال : يا أخا بني تميم ، ورت بك زنادي ، قد سمعت مقاتلك ، وأمير المؤمنين مولّاً لخالد العراق ، وليست لك بدار .

(١) في ابن الأثير : « الأسدي ، بضم الهمزة وتشديد الياء ؛ هكذا يقول المحدثون ، وأما النحاة فإنهم يخففون الياء ؛ وهي عند الجميع نسبة إلى أسيد بن عمرو بن تميم بضم الهمزة وتشديد الياء » .

ذكر عبد الرزاق أن حماد بن سعيد الصنعاني أخبره قال : أخبرني زياد ابن عبيد الله ، قال : أتيت الشام ، فاقترضت ؛ فبينما أنا يوماً على الباب باب هشام ، إذ خرج عليّ رجل من عند هشام ، فقال لي : ممن أنت يا فتى ؟ قلت : يمان ، قال : فمن أنت ؟ قلت : زياد بن عبيد الله بن عبد الممدان ، قال : فتبسّم ، وقال : قم إلى ناحية العسكر فقل لأصحابي : ارتحلوا فإنّ أمير المؤمنين قد رضى عني ، وأمرني بالمسير ، ووكل بي من يخرجني قال : قلت : من أنت يرحمك الله ؟ قال : خالد بن عبد الله القسريّ ، قال : ومُرهم يا فتى أن يعطوك منديل ثيابي وبرذوني الأصفر . فلما جُزّت قليلاً ناداني ، فقال : يا فتى ، وإن سمعت بي قد ولّيت العراق يوماً فالحق بي . قال : فذهبتُ إليهم ، فقلت : إنّ الأمير قد أرسلني إليكم بأنّ أمير المؤمنين قد رضى عنه ؛ وأمره بالمسير . فجعل هذا يحتضني وهذا يقبل رأسي ، فلما رأيتُ ذلك منهم ، قلت : وقد أمرني أن تعطوني منديل ثيابه وبرذونه الأصفر ، قالوا : إى والله وكرامةً ، قال : فأعطوني منديل ثيابه وبرذونه الأصفر ، فما أمسى بالعسكر أحد أجودَ ثياباً^(١) مني ، ولا أجودَ مركباً مني ، فلم ألبث إلا يسيراً حتى قيل : قد ولّى خالد العراق ، فركبني من ذلك همّ ، فقال لي عريف لنا : ما لي أراك مهموماً ! قلت : أجل قد ولّى خالد كذا وكذا ، وقد أصبتُها هنا رزقاً عشت به ، وأخشى أن أذهب إليه فيتغيّر عليّ فيفوتني ها هنا وها هنا ، فلست أدري كيف أصنع ! فقال لي : هل لك في خصلة ؟ قلت : وما هي ؟ قال : توكلني بأرزاقك وتخرج ، فإن أصبتَ ما تحبّ فلي أرزاقك ، وإلاّ رجعتَ فدفعتها إليك ، فقلت نعم . وخرجت ، فلما قدمت الكوفة لبست من صالح ثيابي . وأذن للناس ، فركبتهم حتى أخذوا مجالسهم ، ثم دخلت فقممت بالباب ، فسلمت ودعوت وأثّنت ، فرفع رأسه ، فقال : أحسنت بالرحب^(٢) والسعة ، فما رجعتُ إلى منزلي حتى أصبت ستمائة دينار بين نقد وعرض^(٣) .

١٤٧٠/٢

ثم كنت أختلفُ إليه ، فقال لي يوماً : هل تكتب يا زياد ؟ فقلت :

(١) ب : « ثوباً » . (٢) ف : « بالقرب » . (٣) العرض : ما سوى النقدين من المتاع .

أقرأ ولا أكتب ، أصلح الله الأمير ! فضرب بيده على جبينه ، وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! سقط منك تسعة أعشار ما كنت أريده منك ، وبقي لك واحدة فيها غنى الدهر قال : قلت : أيها الأمير ، هل في تلك الواحدة ثمن غلام ؟ قال : وماذا حينئذ ! قلت : تشتري غلاماً كاتباً تبعث به إلى فيعلمني ، قال : هيهات ! كبرت عن ذلك ، قال : قلت : كلا ، فاشتري غلاماً كاتباً حاسباً بستين ديناراً ، فبعث به إلى ، فأكتب على الكتاب ، وجعلت لا آتيه إلا ليلاً ، فما مضت إلا خمس عشرة ليلة حتى كتبت ما شئت وقرأت ما شئت . قال : فلأتى عنده ليلة ، إذ قال : ما أدرى هل أنجحت من ذلك الأمر شيئاً ؟ قلت : نعم ، أكتب ما شئت ، وأقرأ ما شئت ، قال : لئننى أراك ظفرت منه بشيء يسير فأعجبك ، قلت : كلا ، فرفع شاذ كونه^(١) ، فإذا طومار ، فقال : اقرأ هذا الطومار ، فقرأت ما بين طرفيه ، فإذا هو من عامله على الرى ، فقال : اخرج فقد وليتك عمله ، فخرجت حتى قدمت الرى ، فأخذت عامل الخراج ، فأرسل إلى : إن هذا أعرابى مجنون ، فإن الأمير لم يول على الخراج عربياً قط ، وإنما هو عامل المعونة ، فقل له : فليقرنى على عملى وله ثلثمائة ألف ، قال : فنظرت فى عهدي ، فإذا أنا على المعونة ، فقلت : والله لا انكسرت ، ثم كتبت إلى خالد : إنك بعثتني على الرى ، فظننت أنك جمعتها لى . فأرسل إلى صاحب الخراج أن أقره على عمله ويعطينى ثلثمائة ألف درهم . فكتب إلى أن اقبل ما أعطاك ، واعلم أنك مغبون . فأقمت بها ما أقمت ، ثم كتبت : إني قد اشتقت إليك فارفعني إليك ، ففعل ، فلما قدمت عليه ولأتى الشرطة .

١٤٧١/٢

* * *

وكان العامل فى هذه السنة على المدينة ومكة والطائف عبد الواحد بن عبد الله النضرى وعلى قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندى ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس . وقد قيل إن هشاماً إنما استعمل خالد بن عبد الله القسرى على العراق وخراسان فى سنة ست ومائة ، وإن عامله على العراق وخراسان فى سنة خمس ومائة كان عمر بن هبيرة .

(١) ط : « شاذ كونه » ؛ وفى القاموس : « الشاذ كونه » ، بفتح الـ ذال : ثياب غلاظ مضرية تعمل باليمن ؛ وإلى بيعها نسب أبو أيوب الحافظ ؛ لأن أباه كان يبيعها .

ثم دخلت سنة ست ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عن المدينة عبد الواحد بن عبد الله النضريّ وعن مكة والطائف ، وولى ذلك كله خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي ، فقدم المدينة يوم الجمعة لسبع عشرة^(١) مضت من جمادى الآخرة سنة ست ومائة ، فكانت ولاية النضريّ على المدينة سنة وثمانية أشهر .

١٤٧٢/٢

وفيهما غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة .

وفيهما غزا الحجاج بن عبد الملك اللان ، فصالح أهلها ، وأدوا الجزية .

وفيهما ولد عبد الصمد بن عليّ في رجب .

وفيهما مات الإمام طاوس مولى بخير بن ريسان الحميريّ بمكة وسالم ابن عبد الله بن عمر ، فصلت عليهما هشام . وكان موت طاوس بمكة وموت سالم بالمدينة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة ، قال : مات سالم بن عبد الله سنة خمس ومائة في عقب ذى الحجة ، فصلى عليه هشام بن عبد الملك بالبقيع ، فرأيت القاسم بن محمد بن أبي بكر جالساً عند القبر وقد أقبل هشام ما عليه إلا درّاعة^(٢) ، فوقف على القاسم فسلم عليه ، فقام إليه القاسم فسأله هشام : كيف أنت يا أبا محمد ؟ كيف حالك ؟ قال : بخير ، قال : إني أحبّ والله أن يجعلكم بخير . ورأى في الناس كثرة ، فضرب^(٣) عليهم بعث أربعة آلاف ؛ فسمّى عام الأربعة الآلاف .

وفيهما استقضى إبراهيم بن هشام محمد بن صفوان الجُمحيّ ثم عزله ، واستقضى الصلت الكنديّ .

* * *

(٢) ح : « درعه » .

(١) ح : « لتسع عشرة » .

(٣) ح : « فبعث » .

[ذكر الخبر عن الحرب بين الهانية والمضرية وربيعة]

وفي هذه السنة كانت الوقعة التي كانت بين المضرية والهانية وربيعة بالبروقان من أرض بلخ .

* ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة :

١٤٧٣/٢

وكان سبب ذلك — فيما قيل — أن مسلّم بن سعيد غزا ، فقطع النهر ، وتباطأ الناس عنه ؛ وكان ممن تباطأ عنه البخترى بن درهم ، فلما أتى النهر رد نصر بن سيار وسليم بن سليمان بن عبد الله بن خازم وبلعاء بن مجاهد بن بلعاء العنبري وأبا حفص بن وائل الحنظلي وعقبة بن شهاب المازني وسالم بن ذؤابة إلى بلخ ، وعليهم جميعاً نصر بن سيار ، وأمرهم أن يخرجوا الناس إليه . فأحرق نصر باب البخترى وزياد بن طريف الباهلي ، فنعهم عمرو بن مسلم من دخول بلخ — وكان عليها — وقطع مسلم بن سعيد النهر فنزل نصر البروقان ، فأتاه أهل صغانيسان ، وأتاه مسلمة العقفاني من بني تميم ، وحسان بن خالد الأسدي ؛ كل واحد منهما في خمسمائة ، وأتاه سنان الأعرابي وزرعة بن علقمة وسلمة بن أوس والحجاج بن هارون النيمري في أهل بيته ، وتجمعت بكر والأزد بالبروقان ، رأسهم البخترى ، وعسكر بالبروقان على نصف فرسخ منهم ، فأرسل نصر إلى أهل بلخ : قد أخذتم أعطياتكم فالحقوا بأمركم ، فقد قطع النهر . فخرجت مضر إلى نصر ، وخرجت ربيعة والأزد إلى عمرو ابن مسلم ، وقال قوم من ربيعة : إن مسلّم بن سعيد يريد أن يخلع ؛ فهو يكرهنا على الخروج . فأرسلت تغلب إلى عمرو بن مسلم : إنك منا ، وأنشدوه^(١) شعراً قاله رجل عزا باهلة إلى تغلب^(٢) — وكان بنو قتيبة من باهلة — فقالوا : إننا من تغلب ، فكرهت بكر أن يكونوا في تغلب فتكثر تغلب ، فقال رجل منهم :

١٤٧٤/٢

زَعَمْتَ قَتِيْبَةً أَنَهَا مِنْ وَاِئِلْ نَسَبٌ بَعِيدٌ يَاقَتِيْبَةُ فَاصْعَدِي

وذكر أن بني معن من الأزد يُدْعَوْنَ باهلة ، وذكر عن شريك بن

(١) ب : « وأنشدوا » . (٢) ابن الأثير : « قاله رجل من باهلة إلى تغلب » .

أبى قيلة المعنى أن عمرو بن مسلم كان يقف على مجالس بنى معن، فيقول: لئن لم نكن منكم ما نحن بعرب؛ وقال عمرو بن مسلم حين عزاه التغلبي إلى بنى تغلب: أما القرابة فلا أعرفها، وأما المنع فأني سأمنعكم؛ فسفر الضحاك بن مزاحم ويزيد بن الفضل الحداثي، وكلما نصراً وناشداه فانصرف. فحمل أصحاب عمرو بن مسلم والبختري على نصر، ونادوا: يال بكر! وجالوا، وكرّ نصر عليهم؛ فكان أول قتل رجل من باهلة، ومع عمرو بن مسلم البختري وزياد بن طريف الباهلي، فقتل من أصحاب عمرو بن مسلم في المعركة ثمانية عشر رجلاً، وقتل كردان أخو الفرافصة ومسعدة ورجل من بكر بن وائل يقال له إسحاق، سوى من قتل في السكك، وانهزم عمرو بن مسلم إلى القصر وأرسل إلى نصر: ابعث إلى بلعاء بن مجاهد، فأتاه بلعاء، فقال: خذ لي أماناً منه، فأمنه نصر، وقال: لولا أني أئسيت بك بكر بن وائل لقتلتك.

١٤٧٥/٢

وقيل: أصابوا عمرو بن مسلم في طاحونة، فأتوا به نصراً في عنقه حبلاً، فأمنه نصر^(١)، وقال له ولزياد بن طريف والبختري بن درهم: الحقوا بأميركم.

وقيل: بل التقى نصر وعمرو بالبروقان، فقتل من بكر بن وائل واليمن ثلاثون، فقالت بكر: علام نقاتل إخواننا وأميرنا، وقد تقربنا إلى هذا الرجل فأنكر قربتنا! فاعتزلوا. وقالت الأزد، ثم انهزموا ودخلوا حصناً فحصرهم نصر، ثم أخذ عمرو بن مسلم والبختري أحد بنى عبّاد وزياد بن طريف الباهلي، فضر بهم نصر مائة مائة، وحلق رءوسهم ولحاهم، وألبسهم المسوح. وقيل: أخذ البختري في غيضة كان دخلها، فقال نصر في يوم البروقان:

أَرَى الْعَيْنَ لَجَّتْ فِي ابْتِدَارٍ وَمَا الَّذِي^(٢) يَرُدُّ عَلَيْهَا بِالْدموعِ ابْتِدَارُهَا!
فَمَا أَنَا بِالْوَانِي إِذَا الْحَرْبُ شَمَرَتْ تَحَرَّقُ فِي شَطْرِ الْخَمِيسِينَ نَارُهَا
وَلَكِنِّي أَدْعُو لَهَا خِنْدِفَ التِّي تَطْلُعُ بِالْعَبَاءِ الثَّقِيلِ فَقَارُهَا^(٣)

١٤٧٦/٢

(٢) ب: «فا الذي».

(١) ب: «فانصرف».

(٣) ب، ح: «فقارها».

وَمَا حَفَظْتُ بَكْرٌ هَنَّاكَ حِلْفَهَا فَصَارَ عَلَيْهَا عَارٌ قَيْسٍ وَعَارُهَا
فَإِنْ تَكُ بَكْرٌ بِالْعِرَاقِ تَنْزَرْتُ فِي أَرْضِ مَرَوْ عَلَّهَا وَازُورَارُهَا
وَقَدْ جَرَبْتُ يَوْمَ الْبَرْوَقَانِ وَقَعَةً لِحِنْذِفٍ إِذْ حَانَتْ وَأَنَّ بَوَارُهَا
أَتْنِي لِقَيْسٍ فِي بَجِيلَةَ وَقَعَةً وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ طَالَ انْتِظَارُهَا
يعني حين أخذ يوسف بن عمر خالداً وعياله (١) .

وذكر علي بن محمد أن الوليد بن مسلم قال: قاتل عمرو بن مسلم نصر بن
سيار فهزمه عمرو، فقال لرجل من بني تميم كان معه: كيف ترى أستاذ قومك
يا أبا بني تميم؟ يعييره بهزيمتهم، ثم كرت تميم فهزموا أصحاب عمرو،
فانجلى الرهيج وبلعاء بن مجاهد في جمع من بني تميم يشلُّهم، فقال التميميُّ
لعمرؤ: هذه أستاذ قومي. قال: وانهمز عمرو، فقال بلعاء لأصحابه: لا تقتلوا
الأسرى ولكن جردوهم، وجوبوا سراويلاتهم عن أدبارهم، ففعلوا، فقال بيان
العنبري يذكر حربهم بالبروقان:

أَتَانِي وَرَحَلِي بِالْمَدِينَةِ وَقَعَةً لِّآلِ تَمِيمٍ أَرْجَفَتْ كُلَّ مُرْجَفٍ
تَظَلُّ عَيْنُ الْبُرْشِ بَكْرٍ بَنِ وَائِلٍ إِذَا ذُكِرَتْ قَتْلَى الْبَرْوَقَانِ تَذَرُفُ
هُمْ أَسْلَمُوا لِلْمَوْتِ عَمْرُو بْنُ مُسْلِمٍ وَوَلَّوْا شِلَالًا وَالْأَسْنَةُ تَرْعُفُ
وَكَانَتْ مِنَ الْفَتَيَانِ فِي الْحَرْبِ عَادَةً وَلَمْ يَصْبِرُوا عِنْدَ الْقَنَا الْمُتَقَصِّفِ

* * *

[خبر غزو مسلم بن سعيد الترك]

وفي هذه السنة غزا مسلم بن سعيد الترك؛ فورد عليه عزله من خراسان
من خالد بن عبد الله، وقد قطع النهر لحربهم وولاية أسد بن عبد الله عليها.
* ذكر الخبر عن غزوة مسلم بن سعيد هذه الغزوة:

ذكر علي بن محمد عن أشياخه أن مسلماً غزا في هذه السنة، فخطب
الناس في ميدان يزيد، وقال: ما أُخْلِفُ بعدى شيئاً أهمّ عندي من قوم

يتخلفون بعدى مَخْلَقِي الرقاب، يتواثبون الجُدران على نساء المجاهدين؛ اللهم افعل بهم وافعل ! وقد أمرتُ نصرًا ألاَّ يجد متخلفًا إلاَّ قتله، وما أَرِئِي لهم ١٤٧٨/٢ من عذاب ينزله الله بهم^(١) — يعني عمرو بن مسلم وأصحابه — فلما صار ببخارى أتاه كتاب من خالد بن عبد الله القسري بولايته على العراق، وكتب إليه: أتمم غزاتك. فسار إلى فَرَّغَانة، فقال أبو الضحاك الرَوَّاحي — أحد بني رَوَّاحَة من بني عبس، وعِداده في الأزْد، وكان ينظر في الحساب: ليس على متخلف العام معصية، فتخلف أربعة آلاف. وسار مسلم بن سعيد، فلما صار بفَرَّغَانة بلغه أن خاقان قد أقبل إليه، وأتاه شُبَيْل — أو شُبَيْل — بن عبد الرحمن المازني، فقال: عاينت عسكر خاقان في موضع كذا وكذا، فأرسل إلى عبد الله بن أبي عبد الله الكرمانى مولى بنى سليم، فأمره^(٢) بالاستعداد للمسير، فلما أصبح ارتحل بالعسكر، فسار ثلاث مراحل في يوم؛ ثم سار من غد حتى قطع وادى السبوح، فأقبل إليهم خاقان، وتوافت إليه الخيل؛ فأنزل عبد الله بن أبي عبد الله قومًا من العرفاء والموالى، فأغار الترك على الذين أنزلهم عبد الله ذلك الموضع فقتلوهم، وأصابوا دوابَّ لمسلم وقتل المسيب بن بشر الرياحي، وقتل البراء — وكان من فرسان المهلب — وقتل أخو غوزك، وثار الناس في وجوهمهم، فأخرجوهم من العسكر، ودفع^(٣) مسلم لواءه إلى عامر بن مالك الحِمْيَاني، ورحل بالناس فساروا ثمانية أيام، وهم ١٤٧٩/٢ مطيفون بهم؛ فلما كانت الليلة التاسعة أراد النزول، فشاور الناس فأشاروا عليه بالنزول، وقالوا: إذا أصبحنا وردنا الماء، والماء منا غير بعيد؛ وإنك إن نزلت المَرَجَ تفرق الناس في الثمار، وانتُهب عسكرك، فقال لسورة بن الحرّ: يا أبا العلاء، ما ترى؟ قال: أرى ما رأى الناس ونزلوا. قال: ولم يرفع بناء في العسكر، وأحرق الناس ما ثقل من الآنية والأمتعة، فحرقوا قيمة ألف ألف، وأصبح الناس فساروا، فوردوا الماء فإذا دون النهر أهلُ فرغانة والشَّاش، فقال مسلم بن سعيد: أعزِم على كل رجل إلاَّ اخترط سيفه؛ ففعلوا فصارت الدنيا كلها سيوفًا، فتركوا الماء وعبروا، فأقام يومًا،

(٢) ب: «فأمر».

(١) ح: «عليهم».

(٣) ب: «ورفع».

ثم قطع من غدٍ ، وأتبعهم ابن الخاقان . قال : فأرسل حميد بن عبد الله وهو على الساقة إلى مسلم : قف ساعةً فإنّ خلقي مائتي رجل من الترك حتى أقاتلهم—وهو مثقلٌ جراحةً— فوقف الناس ، فعطف على الترك ، فأسر أهل السغد وقائدهم وقائد الترك في سبعة ، وانصرف البقيّة ، ومضى حميد ورُمى بنشابة في ركبته ، فمات .

١٤٨٠/٢

وعطش الناس ، وقد كان عبد الرحمن بن نعيم العامري حمل عشرين قربة على إبله ، فلما رأى جهد الناس أخرجها ، فشرّبوا جرّعاً ، واستسقى يوم العطش مسلم بن سعيد فأتوه بإناء ، فأخذه جابر—أو حارثة^(١)—بن كثير أخو سليمان بن كثير من فيه ، فقال مسلم : دعوه ، فما نازعني شربتي إلا من حرّ دَخَلْكَ ، فأتوا خُجَجَنْدَةَ ، وقد أصابتهُم جحاجة وجهده ، فانتشر الناس فإذا فارسان يسألان عن عبد الرحمن بن نعيم ، فأتياه بعهدده على خراسان من أسد بن عبد الله ، فأقرأه عبد الرحمن مسلماً ، فقال : سمعاً وطاعة ، قال : وكان عبد الرحمن أوّل من اتخذ الخيام في مفازة آمل .

قال : وكان أعظم الناس غنى يوم العطش إسحاق بن محمد الغداني ، فقال حاجب الفيل لثابت قُطْنَةَ ، وهو ثابت بن كعب :

نَقَضَى الْأُمُورَ وَبَكَرُ غَيْرُ شَاهِدِهَا بَيْنَ الْمَجَازِيفِ وَالسُّكَّانِ مَشْغُولُ
مَا يَعْرِفُ النَّاسُ مِنْهُ غَيْرَ قُطْنَتِهِ وَمَا سِوَاهَا مِنَ الْأَبَاءِ مَجْهُولُ

وكان لعبد الرحمن بن نعيم من الولد نعيم وشديد وعبد السلام وإبراهيم والمقداد ، وكان أشدهم نعيم وشديد ، فلما عُرِلَ مسلم بن سعيد ، قال الخزرج التغلبي : قاتلنا الترك ، فأحاطوا بالمسلمين حتى أيقنوا بالهلاك ؛ فنظرت إليهم وقد اصفرّت وجوههم ، فحمل حوثة بن يزيد بن الحرّ بن الحنيفة بن نصر بن يزيد بن جَعَوْنَةَ على الترك في أربعة آلاف ، فقاتلهم ساعة ثم رجع ، وأقبل نصر بن سيار في ثلاثين فارساً ، فقاتلهم حتى أزالهم عن مواضعهم ، وحمل الناس عليهم ؛ فانهزم الترك .

قال : وحوثة هذا هو ابن أخي رَقِيبَةَ بن الحرّ . قال : وكان عمر بن

(١) ح : « أو جارية » ، ابن الأثير : « وحارثة » .

هيرة قال لمسلم بن سعيد حين ولّاه خراسان : ليكن حاجبتك من صالح مواليك ، فإنه لسانك والمعبر عنك ، وحثّ صاحب شرطتك على الأمانة ، وعليك بعمال العذر . قال : ومسا عمال العذر ؟ قال : مُرُّ^(١) أهل كل بلد أن يختاروا لأنفسهم ، فإذا اختاروا رجلاً فولّه ، فإن كان خيراً كان لك ، وإن كان شراً كان لهم دونك ؛ وكنت معذوراً .

قال : وكان مسلم بن سعيد كتب إلى ابن هيرة أن يوجه إليه توبة بن أبي أسيد مولى بني العنبر ، فكتب ابن هيرة إلى عامله بالبصرة : أحمل إلى توبة بن أبي أسيد ، فحملة فقدم — وكان رجلاً جميلاً جهيراً له سمّت — فلما دخل على ابن هيرة ، قال ابن هيرة : مثل هذا فليولّ ، ووجه^(٢) به إلى مسلم ، فقال له مسلم : هذا خاتمي فاعمل برأيك ؛ فلم يزل معه حتى قدم أسد بن عبد الله ، فأراد توبة أن يشخص مع مسلم ، فقال له أسد : أقم معي فأنا أحوج إليك من مسلم . فأقام معه ، فأحسن إلى الناس وألان جانبه ، وأحسن إلى الجند وأعظامهم أرزاقهم ، فقال له أسد : حلفهم بالطلاق فلا^(٣) يتخلف أحد عن مغزاه ، ولا يدخل بديلاً ، فأبى ذلك توبة فلم يحلفهم بالطلاق .

قال : وكان الناس بعد توبة^(٤) يحلفون الجند بتلك الأيمان ، فلما قدم عاصم ابن عبد الله أراد أن يحلف الناس بالطلاق فأبوا ، وقالوا : نحلف بأيمان توبة . قال : فهم يعرفون ذلك ، يقولون : أيمان توبة .

* * *

[حجّ هشام بن عبد الملك]

وحجّ بالناس في هذه السنة هشام بن عبد الملك ؛ حدثني بذلك أحمد ابن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقدي وغيره ، لا خلاف بينهم في ذلك .

قال الواقدي : حدثني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : كتب إلى

(١) ابن الأثير : « تأمر » . (٢) ب : « وجهه إلى مسلم » .

(٣) كذا في ح وفي ط : « ولا » . (٤) ح : « موته » .

هشام بن عبد الملك قبل أن يدخل المدينة أن اكتب لي سُنَنَ الحج ، فكتبتها له ، وتلقاه أبو الزناد . قال أبو الزناد : فلم يَوْمُثْ في الموكب خلفه ، وقد لقيته سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان ، وهشام يسير ، فترل له ، فسلم عليه ، ثم سار إلى جَنْبِهِ ، فصاح هشام : أبو الزناد ! فتقدّمتُ ، فسرت إلى جنبه الآخر ، فأسمع سعيداً يقول : يا أمير المؤمنين ، إن الله لم يزل ينعم على أهل بيت أمير المؤمنين ، وينصر خليفته المظلوم ، ولم يزالوا يسلعون في هذه المواطن الصالحة أبا تراب ، فأمر المؤمنين ينبغي له أن يلعبه في هذه المواطن الصالحة ؛ قال : فشقّ على هشام ، وثقل عليه كلامه ، ثم قال : مَسَا قدمنا لشم أحد ولا للعنه ، قدمنا حججاً . ثم قطع كلامه وأقبل على فقال : يا عبد الله بن ذكوان ، فرغت مما كتبتُ إليك ؟ فقلت : نعم ، فقال أبو الزناد : وثقل على سعيد ما حضرته يتكلم به عند هشام ، فرأيت من كسراً^(١) كلما رآني .

وفي هذه السنة كلم إبراهيم بن محمد بن طلحة هشام بن عبد الملك — وهشام واقف قد صلى في الحَجَر — فقال له : أسألك بالله وبجرمة هذا البيت والبلد الذي خرجتَ معظماً لحقه ، إلا رددتَ عليّ ظلامي ! قال : أيّ ظلامة ؟ قال : داري ، قال : فأين كنت عن أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : ظلمني والله ، قال : فعن الوليد بن عبد الملك ؟ قال : ظلمني والله ، قال : فعن سليمان ؟ قال : ظلمني ، قال : فعن عمر بن عبد العزيز ؟ قال : يرحمه الله ، ردّها والله عليّ ، قال : فعن يزيد بن عبد الملك ؟ قال : ظلمني والله ، هو قبضها مني بعد قبضي لها ، وهي في يديك . قال هشام : أما والله لو كان فيك ضربٌ لضربتكَ ، فقال إبراهيم : فيّ والله ضرب بالسيف والسوط . فانصرف هشام والأبرش خلفه فقال : أبا مجاشع ، كيف سمعتَ هذا اللسان ؟ قال : ما أجود هذا اللسان ! قال : هذه^(٢) قريش وألسنتها ، ولا يزال في الناس بقايا^(٣) ما رأيت مثل هذا .

(١) ابن الأثير : « وكان منكراً » .

(٢) ط : « هذا » ، وما أثبتته من ب .

(٣) ف : « الناس في بقايا » .

وفي هذه السنة قدم خالد بن عبد الله القسريّ أميراً على العراق .

* * *

[ولاية أسد بن عبد الله القسريّ على خراسان]

وفيهما استعمل خالد أخاه أسد بن عبد الله أميراً على خراسان ، فقدمها ومسلم بن سعيد غاز بفرغانة ، فذكر عن أسد أنه لما أتى النهر ليقطع ، منعه الأشهب بن عبيد التيميّ أحد بني غالب ، وكان على السفن بآمل ، فقال له أسد : أقطعي ، فقال : لا سبيل إلى إقطاعك ؛ لأنني نهيت عن ذلك ، قال : لا طفوه وأطعموه^(١) ، فأبى ؛ قال : فإني الأمير ، ففعل ، فقال أسد : اعرفوا هذا حتى نَشْرَكه في أمانتنا ، فقطع النهر ، فأتى السَّغْد ، فنزل مرَّجها^(٢) ، وعلى خراج سمرقند هاني بن هاني ، فخرج في الناس يتلقى^(٣) أسداً ، فأتوه بالمرج ، وهو جالس على حَجَر ، ففتاعل الناس ، فقالوا : أسد على حَجَر ! ما عند هذا خير . فقال له هاني : أقدمتَ أميراً فنفعك بك ما نفعل بالأمرء ؟ قال : نعم ، قدمتُ أميراً . ثم دعا بالغداء فتغدّى بالمرج ، وقال : من ينشط بالمسير وله أربعة عشر درهماً - ويقال : قال ثلاثة عشر درهماً - وها هي ذى في كمي ؟ وإنه ليبيكي ويقول : إنما أنا رجل مثلكم^(٤) . وركب فدخل سمرقند وبعث رجلين معهما عهد عبد الرحمن بن نعيم على الجند ، فقدم الرجلان ١٤٨٥/٢ على عبد الرحمن بن نعيم ، وهو في وادي أفشين^(٥) على السَّاقَة - وكانت السَّاقَة على أهل سمرقند الموالى^(٦) وأهل الكوفة - فسألا عن عبد الرحمن فقالوا : هو في السَّاقَة ، فأتياه بعهد وكتاب بالقفل والإذن لهم فيه ، فقرأ الكتاب . ثم أتى به مسلماً وبعهده ، فقال مسلم : سمعاً وطاعة ، فقام عمرو ابن هلال السدوسيّ - ويقال التيميّ - فقنعه سوطين لما كان منه بالبُروقان إلى بكر بن وائل ، وشتمه حسين بن عثمان بن بشر بن المختفز ، فغضب

(١) ب : « وأطعموه »

(٢) ابن الأثير : « بالمرج » .

(٣) ف : « ليلقى » .

(٤) ح : « منكم » .

(٥) ح : « أداني أفشين » .

(٦) ب : « والموالى » .

عبد الرحمن بن نعيم ، فزجرهما ثم أغلظ لهما ، وأمر بهما فدفعا ، وقفل بالناس وشخص معه مسلم .

فذكر علي بن محمد عن أصحابه ، أنهم قدموا على أسد ، وهو بسمـرفند ، فشخص أسد إلى مـرو ، وعزل هائثاً ، واستعمل على سمـرفند الحسن بن أبي العـمرطة الكندي من ولد آكل المـرار . قال : فقد مـت على الحسن امرأته الجـنوب ابنة القعقاع بن الأعم رأس الأزدي ، ويعقوب بن القعقاع قاضي خراسان ، فخرج يتلقاها ، وغزاهم الترك ، فقيل له : هؤلاء الترك ^(١) قد أتوك — وكانوا ^(٢) سبعة آلاف — فقال : ما أتونا بل أتيناهم وغلبناهم على بلادهم واستعبدناهم ، وإيم الله مع هذا لأديننكم منهم ، ولأقرنن ^(٣) نواصي خيلكم بنواصي خيلهم .

قال : ثم خرج فتباطأ حتى أغاروا وانصرفوا ، فقال الناس : خرج إلى امرأته يتلقاها مسرعاً ، وخرج إلى العدو متباطئاً . فبلغه فخطبهم ، فقال : تقولون وتعيون ! اللهم اقطع آثارهم وعجل أقدارهم ، وأنزل بهم الضراء وارفع عنهم السراء ! فشتمه الناس في أنفسهم .

وكان خليفته حين خرج إلى الترك ثابت قُطنة ، فخطب الناس فحصر فقال : من يطع الله ورَسُوله فقد ضلّ ، وأرتج عليه ، فلم ينطق بكلمة ، فلما نزل عن المنبر قال :

إِنْ لَمْ أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيئاً فَإِنِّي بَسِيئٌ إِذَا جَدَّ الْوَغَى لَخَطِيْبٌ ^(٤)
فقيل له : لو قلت هذا على المنبر ، لكنت خطيباً ، فقال حاجب الفيل اليشكري يعيره حَصْرَه :

أَبَا الْعَلَاءِ لَقَدْ لَاقَيْتَ مُعْضِلَةً يَوْمَ الْعُرُوبَةِ مِنْ كَرْبٍ وَتَخْنِيقِ
تَلَوَّى اللِّسَانَ إِذَا رُمْتَ الْكَلَامَ بِهِ كَمَا هَوَى زَلَقٌ مِنْ شَاهِقِ النَّيْقِ

(١) ب : « الأتراك » . (٢) ح : « وهم » .

(٣) ابن الأثير : « ولأقرنن » .

(٤) أورد الجاحظ الشعر في البيان والتبيين ١ : ٢٣١ ، وروايته :

فَالَا أَكُنْ فِيهِمْ خَطِيئاً فَإِنِّي بِسُـمْرِ الْقَنَا وَالسَّيْفِ جَدُّ خَطِيْبِ

لَمَّا رَمَتْكَ عُيُونُ النَّاسِ ضَاحِيَةً أَنْشَأْتَ تَجَرُّضَ لَمَّا قَمْتَ بِالرِّيقِ ١٤٨٧/٢
 أَمَّا الْقِرَانُ فَلَا تُهْدَى لِمُحْكَمَةٍ مِنَ الْقِرَانِ وَلَا تُهْدَى لِتَوْفِيقِ
 وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَدَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ عَلِيٍّ فِي رَجَبٍ .

* * *

وَكَانَ الْعَامِلُ عَلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامِ
 الْخَزَوِيِّ . وَعَلَى الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ ، وَعَامِلُ خَالِدٍ عَلَى
 صَلَاةِ الْبَصْرَةِ عَقْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، وَعَلَى شَرْطِهَا مَالِكُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ ،
 وَعَلَى قَضَائِهَا ثُمَامَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ .

ثم دخلت سنة سبع ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خروج عبّاد الرُّعَيْنِيّ باليمن محكّماً ، فقتله يوسف ابن عمر ، وقتل معه أصحابه كلهم وكانوا ثلثمائة .
وفيهما غزا الصّائفة معاوية بن هشام ، وعلى جيش الشّام ميمون بن مهران ، فقطع البحر حتى عبر إلى قُبْرُس ، وخرج معهم البعث الذي هشام كان أمر به في حجته سنة ست ، فقدموا في سنة سبع على الجمائل ^(١) ، غزا منهم نصفهم ^(٢) وقام النصف . وغزا البر ^(٣) مسلمة بن عبد الملك .

وفيهما وقع بالشّام طاعون شديد .

وفيهما وجّه بكير بن ماهان أبا عكرمة وأبا محمد الصادق ومحمد بن خنيس وعمار العبادي في عِدّة من شيعتهم ، معهم زياد خال الوليد الأزرق دعاة إلى خراسان ، فجاء رجل من كندة إلى أسد بن عبد الله ، فوشى بهم إليه ، فأتى بأبي عكرمة ومحمد بن خنيس وعامة أصحابه ، ونجا عمار ، فقطع أسد أيدي من ظفر به منهم وأرجلهم ، وصلبهم . فأقبل عمار إلى بكير بن ماهان ، فأخبره الخبر ، فكتب به إلى محمد بن عليّ ، فأجابه : الحمد لله الذي صدّق مقالتيكم ودعوتكم ، وقد بقيت منكم قتلى ستقتل .

وفي هذه السنة حُمل مسلم بن سعيد إلى خالد بن عبد الله ، وكان أسد ابن عبد الله له مكراً ما بخراسان لم يعرض له ولم يحبس ، فقدم مسلم وابن هبيرة مُجْمَع على الحرب ، فنهاه عن ذلك مسلم ، وقال له : إن القوم فينا أحسن رأياً منكم فيهم .

وفي هذه السنة غزا أسد جبال نَمْرُون ملك الغرّشستّان مما يلي جبال الطالقان ، فصالحه نَمْرُون وأسلم على يديه ، فهم اليوم يتولون اليمن .

* * *

[غزو الغور]

وفيهما غزا أسد الغور وهي جبال هَرّاة .

(١) ب : « الجمال » . (٢) ح : « النصف » . (٣) ابن الأثير : « في البر » .

* ذكر الخبر عن غزوة أسد هذه الغزوة :

ذكر عليّ بن محمد عن أشياخه ، أن أسداً غزا الغُور ، فعمد أهلها إلى أثقالهم فصيّروها في كهف ليس إليه طريق ، فأمر أسد باتّخاذ توايت ووضع فيها الرجال ، ودلّاهم بالسلاسل ، فاستخرجوا ما قدروا عليه ، فقال ثابت قُطْنَة :

أَرَى أَسْداً تَضْمَنَ مُفْطَعَاتٍ تَهَيَّبَهَا الْمَلُوكُ ذَوُو الْحِجَابِ
سَمَا بِالْخَيْلِ فِي أَكْنَافٍ مَرَوْ وَتَوَفَّزُهُنَّ بَيْنَ هَلَا وَهَابِ
إِلَى غُورِينَ حَيْثُ حَوَى أَزَبٌ وَصَلَّ بِالسُّيُوفِ وَبِالْحِرَابِ
هَدَانَا اللَّهُ بِالْقَتْلِ تَرَاهَا مُصَلَّبَةً بِأَفْوَاهِ الشُّعَابِ
مَلَا حِمُّ لَمْ تَدْعُ لِسِرَافٍ كَلْبٍ مُهَاتِرَةً وَلَا لِبْنَى كِلَابِ
فَأَوْرَدَهَا النَّهَابَ وَأَبَ مِنْهَا بِأَفْضَلِ مَا يَصَابُ مِنَ النَّهَابِ
وَكَانَ إِذَا أَنَاخَ بِدَارِ قَوْمٍ أَرَاهَا الْمُخْزِيَاتِ مِنَ الْعَذَابِ
أَلَمْ يُزِرِ الْجِبَالَ جِبَالٌ مُلْعٌ تَرَى مِنْ دُونِهَا قِطْعَ السَّحَابِ
بِأَرْعَنَ لَمْ يَدْعَ لَهُمْ شَرِيداً وَعَاقَبَهَا الْمُحِضُّ مِنَ الْعِقَابِ
وَمِلْعٌ مِنْ جِبَالٍ خُوطٌ فِيهَا تَعْمَلُ الْحَزْمُ الْمَلْعِيَّةُ .

١٤٩٠/٢

* * *

وفي هذه السنة نقل أسد من كان بالبِروقان من الجند إلى بلخ ، فأقطع كل من كان له بالبِروقان مسكناً مسكناً بقدر مسكنه ، ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكناً ، وأراد أن ينزلم على الأخماس ، فقبل له : إنهم يتعصبون ، فخلط بينهم ، وكان قسم لعمارة مدينة بلخ الفعلة على كل كورة على قدر خراجها ، ولّى بناء مدينة بلخ برمك أبا خالد بن برمك ، — وكان البِروقان منزل الأمراء وبين البِروقان وبين بلخ فرسخان وبين المدينة والنوبهار قدر غكوتين — فقال أبو البريد في بنيان أسد مدينة بلخ :

شَعَفْتُ فَوَادِكَ فَالْهَوَى لَكَ شَاعِفٌ رِثْمٌ عَلَى طِفْلِ بِحَوْمَلٍ عَاطِفٌ

ترعى البرير بجانبٍ مُتهلِّلٍ رِيَّانَ لَا يَعْشُو إِلَيْهِ آلِفُ
 بِمَحَاضِرٍ مِنْ مُنْحَنَى عَطَفَتْ لَهُ بَقَرٌ تَرْجَحُ زَانَهُنَّ رَوَافِدُ
 إِنَّ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي أَحْصَنَتْهَا عَصِمَ الدَّلِيلُ بِهَا وَقَرَّ الْخَائِفُ
 ١٤٩١/٢ فَأَرَاكَ فِيهَا مَا رَأَى مِنْ صَالِحٍ فَتَحاً وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ رَوَاعِفُ
 فَمَضَى لَكَ الْإِسْمُ الَّذِي يَرْضَى بِهِ عَنْكَ الْبَصِيرُ بِمَا نَوَيْتَ اللَّاطِفُ
 يَا خَيْرَ مَلِكٍ سَاسَ أَمْرَ رَعِيَّةٍ إِنِّي عَلَى صِدْقِ الْيَمِينِ لِحَالِفُ
 اللَّهُ آمَنَهَا بِصُنْعِكَ بَعْدَمَا كَانَتْ قُلُوبٌ خَوْفَهُنَّ رَوَاجِفُ

• • •

وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام، حدثني بذلك أحمد بن ثابت،
 عمَّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكذلك قال الواقدي وهشام
 وغيرهما .

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها الذين ذكرناهم قبل في سنة
 ست ومائة .

ثم دخلت سنة ثمان ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك حتى بلغ قيسارية، مدينة الروم مما يلي الجزيرة، ففتحها الله على يديه.

وفيهما أيضاً غزا إبراهيم بن هشام ففتح أيضاً حصناً من حصون الروم. وفيها وجهه بكير بن ماهان إلى خراسان عدة؛ فيهم عمّار العبادي؛ فوشى بهم رجل إلى أسد بن عبد الله، فأخذ عمّاراً فقطع يديه ورجليه ونجا أصحابه، فقدموا على بكير بن ماهان فأخبروه الخبر، فكتب بذلك إلى محمد بن علي، فكتب إليه في جواب الكتاب: الحمد لله الذي صدق دعوتكم ونجى شيعتكم.

وفيهما كان الحريق بدابق؛ فذكر محمد بن عمر أن عبد الله بن نافع حدثه عن أبيه، قال: احترق المرعي حتى احترق الدواب والرجال.

* * *

[غزو الختل]

وفيهما غزا أسد بن عبد الله الختل؛ فذكر عن علي بن محمد أن خاقان أتى أسداً وقد انصرف إلى القسواديان، وقطع النهر، ولم يكن بينهم قتال في تلك الغزاة. وذكر عن أبي عبيدة، أنه قال: بل هزموا أسداً وفضحوه؛ فتغنّى عليه الصبيان:

أَزْ خُتْلَانَ آمَدِي بَرُّو تَبَاهِ آمَدِي^(١)

قال: وكان السبل محارباً له، فاستجلب خاقان، وكان أسد قد أظهر أنه يشترى سرخ دره، فأمر أسد الناس فارتحلوا، ووجه راياته، وسار في ليلة ١٤٩٢/٢ مظلمة إلى سرخ دره، فكبّر الناس، فقال أسد: ما للناس؟ قالوا:

(١) شعر فارسي معناه: «لقد قدم من بلاد الختل عليه الخزي والعار».

هذه علامتهم إذا قفلوا ، فقال لعروة المنادى : نادِ إنَّ الأمير يريد غورين ؛ ومضى وأقبل خاقان حين انصرفوا إلى غورين النهر فقطع النهر ، فلم يلتق هو ولا هم ، ورجع إلى بلخ ، فقال الشاعر في ذلك يمدح أسد بن عبد الله :

ندبتُ لي من كل خميس ألفين^(١) من كل لحاف عريض الدفين

قال : ومضى المسلمون إلى الغوريان فقاتلوهم يوماً ، وصبروا لهم ، وبرز رجل من المشركين ، فوقف أمام أصحابه وركز رمحه ، وقد أعلم بعصاة خضراء - وسلم بن أحوز واقف مع نصر بن سيار - فقال سلم لنصر : قد عرفت رأى أسد ، وأنا حامل على هذا العليج ؛ فلعل أن أقتله فيرضى . فقال : شأنك ، فحمل عليه ، فما اختلج رمحه حتى غشيه سلم فطعنه ، فإذا هو بين يدي فرسه ، ففحص برجله ، فرجع سلم فوقف ، فقال لنصر : أنا حامل حملة أخرى ؛ فحمل حتى إذا دنا منهم اعترضه رجل من العدو ، فاختلفا ضربتين ، فقتله سلم ، فرجع سلم جريحاً ، فقال نصر لسلم : قف لي حتى أحمل عليهم ، فحمل حتى خالط العدو ، فصرع رجلين ورجع جريحاً ، فوقف فقال : أترى ما صنعنا يرضيه ؟ لا أرضاه الله ! فقال : لا والله فيما أظن . وأتاهما رسول أسد فقال : يقول لكما^(٢) الأمير : قد رأيت موقفكما منذ اليوم وقلة غنائكما عن المسلمين ، لعنكما الله ! فقالا : آمين إن عدنا لمثل هذا . وتحاجزوا يومئذ ، ثم عادوا من الغد فلم يلبث المشركون أن انهزموا ، وحوى المسلمون عسكرهم ، وظهروا على البلاد فأسروا وسبوا وغنموا ، وقال بعضهم رجع أسد في سنة ثمان ومائة مفلولا من الختل ، فقال أهل خراسان :

١٤٩٤/٢

أزختلان آمدى * برو تباه آمدى * ببسذل قرار آمدى^(٣)

قال : وكان أصاب الجند في غزاة الختل جوع شديد ، فبعث أسد

(١) كذا في ح ، وفي ط : « ندبت » ، وفي ب : « بدبت » .

(٢) ب : « لكم » .

(٣) مثل سابقه وزاد عليه ما معناه : « رجع مكسور الخاطر » .

بكباشين مع غلام له ، وقال : لا تبعنهما بأقل من خمسمائة ، فلما مضى الغلام ، قال أسد : لا يشتريهما إلا ابن الشَّخِير ، وكان في المسلحة ، فدخل ابن الشَّخِير حين أمسى ، فوجد الشاتين في السوق ، فاشتراهما بخمسمائة ، فذبح إحداهما وبعث بالأخرى إلى بعض إخوانه ، فلما رجع الغلام إلى أسد أخبره بالقصة ، فبعث إليه أسد بألف درهم .

قال : وابن الشَّخِير هو عثمان بن عبد الله بن الشَّخِير ، أخو مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير الحَرَشِي .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام وهو على المدينة ومكة والطائف . حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن ١٤٩٥/٢ أبي معشر ، وكذلك قال محمد بن عمر الواقدي .

وكان العمال في هذه السنة على الأمصار في الصلاة والحروب والقضاء هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها ، وقد ذكرناهم قبل .

ثم دخلت سنة تسع ومائة ذكر الأحداث التي كانت فيها

فمما كان فيها من ذلك غزوة عبد الله بن عقبة بن نافع الفهري على جيش في البَحْرَ وغزوة معاوية بن هشام أرض الروم ، ففتح حصناً بها يقال له طيبة ، وأصيب معه قوم من أهل أنطاكية

* * *

[خبر مقتل عمر بن يزيد الأسدي]

وفيهما قتل عمر بن يزيد الأسدي ؛ قتله مالك بن المنذر بن الجارود .
* ذكر الخبر عن ذلك :

وكان سبب ذلك — فيما ذكر — أن خالد بن عبد الله شهد عمر بن يزيد أيام حرب يزيد بن المهلب ، فأعجب به يزيد بن عبد الملك ، وقال : هذا رجل العراق ، فغاض ذلك خالدًا ، فأمر مالك بن المنذر وهو على شُرطة البصرة أن يعظم عمر بن يزيد ، ولا يعصى له أمراً حتى يعرفه الناس ، ثم أقبل يعتل عليه حتى يقتله ، ففعل ذلك ، فذكر يوماً عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، فافتري عليه مالك ، فقال له عمر بن يزيد : تفتري على مثل عبد الأعلى ! فأغاض له مالك ، فضربه بالسياط حتى قتله .

* * *

[غزو غورين]

وفيهما غزا أسد بن عبد الله غورين ، وقال ثابت قطنة :

أَرَى أَسَدًا فِي الْحَرْبِ إِذْ نَزَلَتْ بِهِ وَقَارَعَ أَهْلَ الْحَرْبِ فَازَ وَأَوْجَبَا
تَنَاولَ أَرْضَ السَّبِيلِ ، خَاقَانُ رِدْوَهُ فَحَرَّقَ مَا اسْتَعَصَى عَلَيْهِ وَخَرَّبَا
أَتَتَكَ وَفُودُ التَّرْكِ مَا بَيْنَ كَابِلٍ وَغُورِينَ إِذْ لَمْ يَهْرُبُوا مِنْكَ مَهْرَبَا
فَمَا يَغْمُرُ الْأَعْدَاءُ مِنْ لَيْثٍ غَابَةِ أَبِي ضَارِيَاتٍ حَرَشُوهُ فَعَقَبَا

أَزَبَّ كَأَنَّ الْوَرَسَ فَوْقَ ذِرَاعِهِ كَرِيهَ الْمُحْيَا قَدْ أَسَنَّ وَجَرَبَا
أَلَمْ يَكُ فِي الْحِصْنِ الْمُبَارَكِ عَصْمَةٌ لِحَبْلِكَ إِذْ هَابَ الْجَبَانُ وَأَرْهَبَا !
بَنَى لَكَ عَبْدُ اللَّهِ حِصْنًا وَرَثْتَهُ قَدِيمًا إِذَا عُدَّ الْقَدِيمُ وَأَنْجَبَا ١٤٩٧/٢

* * *

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن خراسان
وصرف أخاه أسدًا عنها .

* ذكر الخبر عن عزل هشام خالدًا وأخاه عن خراسان :
وكان سبب ذلك أن أسدًا أخا خالد تعصب حتى أفسد الناس ، فقال
أبو البريد - فيما ذكر على بن محمد لبعض الأزد : أدخلني على ابن عمك عبد الرحمن
ابن صبيح ، وأوصيه بي ، وأخبره عني ، فأدخله عليه - وهو عامل لأسد
على بلخ - فقال : أصلح الله الأمير ! هذا أبو البريد البكري أخونا وناصرنا ،
وهو شاعر أهل المشرق ، وهو الذي يقول :

إِنْ تَنْقُضِ الْأَزْدُ حِلْفًا كَانَ أَكْذَهُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ عَبَادٌ وَمَسْعُودٌ
وَمَالِكٌ وَسُوَيْدٌ أَكْذَاهُ مَعًا لَمَّا تُجَرَّدُ فِيهَا أَيْ تَجْرِيدُ
حَتَّى تَنَادَوْا أَتَاكَ اللَّهُ ضَاحِيَةً وَفِي الْجُلُودِ مِنَ الْإِيْقَاعِ تَقْصِيدُ
قال : فجذب أبو البريد يده ، وقال : لعنك الله من شفيح كذب !
أصلحك الله ! ولكني الذي أقول :

١٤٩٨/٢

الْأَزْدُ إِخْوَتُنَا وَهُمْ حُلَفَاؤُنَا مَا بَيْنَنَا نَكْتُ وَلَا تَبْدِيلُ
قال : صدقت ، وضحك . وأبو البريد من بني علباء بن شيبان بن ذهل
ابن ثعلبة .

قال : وتعصب على نصر بن سيار ونفر معه من مُضَر ، فضر بهم
بالسياط ، وخطب في يوم الجمعة فقال في خطبته : قبح الله هذه الوجوه ! وجوه
أهل الشقاق والنفاق ، والشغب والفساد . اللهم فرق بيني وبينهم ، وأخرجني
إلى مهاجري ووطني ، وقلّ مَنْ يروم ما قبلي أو يترمرم ، وأمير المؤمنين
خالي ، وخالد بن عبد الله أخي ، ومعى اثنا عشر ألف سيف يمان .

ثم نزل عن منبره، فلما صلى ودخل عليه الناس ، وأخذوا مجالسهم ،
أخرج كتاباً من تحت فراشه، فقرأه على الناس ، فيه ذكر نصر بن سيار
وعبد الرحمن بن نعيم الغامدي وسورة بن الحرّ الأباتي - أبات بن دارم -
والبخترى بن أبي درهم من بني الحارث بن عبّاد، فدعاهم فأنابهم ، فأزيم
القوم ، فلم يتكلم منهم أحد ، فتكلم سورة ، فذكر حاله وطاعته ومناصحته ،
وأنه ليس ينبغي له أن يقبل قول عدو مبطل ، وأن يجمع بينهم وبين من قرّفهم^(١)
بالباطل . فلم يقبل قوله ، وأمر بهم فجزّروا ، فضرب عبد الرحمن بن نعيم ،
فلذا رجل عظيم البطن ، أرسح^(٢) ؛ فلما ضرب التوى ، وجعل سراويله يزل^(٣)
عن موضعه ، فقام رجل من^(٤) أهل بيته ، فأخذ رداء له هروياً ، وقام ماداً
ثوبه بيده ، وهو ينظر إلى أسد ، يريد أن يأذن له فيؤزّره . فأومى إليه أن
افعل ، فدنا منه فأزّره - ويقال بل أزّره أبو نميلة - وقال له : انتزراً بأباهير ،
فلان الأمير وال مؤدب . ويقال : بل ضاربهم في نواحي مجلسه .

فلما فرغ قال : أين تيس بن حِمّان ؟ - وهو يريد ضربه ؛ وقد كان
ضربه قبل - فقال : هذا تيس بن حِمّان ؛ وهو قريب العهد بعقوبة الأمير ،
وهو عامر بن مالك بن مسلمة بن يزيد بن حجر بن خيسق بن حِمّان بن
كعب بن سعد . وقيل إنه حلقهم بعد الضرب ، ودفعهم إلى عبد ربه بن أبي
صالح مولى بني سليم - وكان من الحرس - وعيسى بن أبي برّيق ، وجهّهم
إلى خالد ، وكتب إليه : إنهم أرادوا الوثوب عليه ؛ فكان ابن أبي برّيق كلما
نبت شعر أحدهم حلقه ، وكان البخترى بن أبي درهم ، يقول : لوددت أنه
ضربني وهذا شهراً - يعنى نصر بن سيار لما كان بينهما^(٥) بالبروقان -
فأرسل بنو تميم إلى نصر : إن شتم انتزعناكم من أيديهم ، فكفّتهم نصر ،
فلما قدم بهم على خالد لام أسد وأعنفه ، وقال : ألا بعثت برءوسهم !
فقال عرفجة التميمي :

فكَيْفَ وَأَنْصَارُ الْخَلِيفَةِ كُلُّهُمْ عُنَاءُ وَأَعْدَاءُ الْخَلِيفَةِ تُطْلَقُ!

(٢) الرشح : قلة لحم المعجز والفخذين .

(٤) ح ، ف : « من بعض أهل بيته » .

(١) ح ، ف : « فرقمهم » .

(٣) ب : « ينزل » .

(٥) ح ، ف : « بينهم » .

بَكَيْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ دُمُوعِي وَحَقَّ لِي
وَنَصْرُ شَهَابِ الْحَرْبِ فِي الْغَلِّ مَوْثِقُ
وقال نصر :

بَعَثْتُ بِالْعِتَابِ فِي غَيْرِ ذَنْبٍ فِي كِتَابٍ تَلَوْتُ أَمْ تَمِيمٍ
إِنْ أَكُنْ مَوْثِقًا أَسِيرًا لَدَيْهِمْ فِي هُمُومٍ وَكُرْبَةٍ وَسُهُومٍ
رَهْنٌ قَسِرَ فَمَا وَجَدْتَ بَلَاءً كِإِسَارِ الْكِرَامِ عِنْدَ اللَّثِيمِ
أَبْلَغِ الْمُدْعِينَ قَسْرًا وَقَسْرُ أَهْلِ عَوْدِ الْقَنَاءِ ذَاتِ الْوُصُومِ
هَلْ فَطِمْتُكُمْ عَنِ الْخِيَانَةِ وَالْغَدِّ رِأْمَ أَنْتُمْ كَالْحَاكِرِ الْمُسْتَدِيمِ؟
وقال الفرزدق :

أَخَالِدُ لَوْلَا اللَّهُ لَمْ تَعَطَ طَاعَةً وَلَوْلَا بَنُو مِرْوَانَ لَمْ تَوْثِقُوا نَصْرًا
إِذَا لِلْقَيْمِ دُونَ شَدِّ وَثَاقِهِ بَنِي الْحَرْبِ لَا كُشِفَ اللَّقَاءُ وَلَا ضَجْرًا
وخطب أسد بن عبد الله على منبر بلخ ، فقال في خطبته : يا أهل
بلخ ، لقبتموني الزَّارِعَ والله لأزيغنَّ قلوبكم .

فلما تعصب أسد وأفسد الناس بالعصبية ، كتب هشام إلى خالد بن
عبد الله : اعزل أخاك ، فعزله فاستأذن له في الحج ، فقفل أسد إلى العراق
ومعه دهاقين خراسان ، في شهر رمضان سنة تسع ومائة ، واستخلف أسد على
خراسان الحكم بن عوانة الكلبي ، فأقام الحكم صيفيَّة ، فلم يغز .

* * *

[ذكر الخبر عن دعاة بني العباس]

وذكر علي بن محمد أن أول من قدم خراسان من دعاة بني العباس زياد
أبو محمد مولى هَمْدَانَ في ولاية أسد بن عبد الله الأولى ، بعثه محمد بن علي
ابن عبد الله بن العباس ، وقال له : ادع الناس إلينا وانزل في اليمن ، والطف
بمُضَرٍّ^(١) . ونهاه عن رجل من أبرشهر^(٢) ، يقال له غالب ؛ لأنه كان مفرطاً
في حب بني فاطمة .

(١) ابن الأثير : « مضر » .

(٢) ابن الأثير : « نيسابور » .

ويقال : أوّل من جاء أهل خراسان بكتاب محمد بن عليّ حرّ بن عثمان ، مولى بني قيس بن ثعلبة من أهل بسلخ .

قال : فلما قدّم زياد أبو محمد ، ودعا إلى بني العباس ، ذكر سيرة بني مروان وظلمهم ، وجعل يُطعم الناس الطعام ، فقدم عليه غالب من أبرشهر ؛ فكانت بينهم منازعة ؛ غالب يفضل آل أبي طالب وزياد يفضل بني العباس . ففارقه غالب ، وأقام زياد بمرو شتوةً ، وكان يختلف إليه من أهل مرو يحيى بن عقيل الخزاعي وإبراهيم بن الخطاب العدوي .

قال : وكان ينزل برزّان سويد الكاتب في دور آل الرقاد ، وكان على خراج مرو الحسن بن شيخ ، فبلغه أمره ، فأخبر به أسد بن عبد الله ، فدعا به ^(١) — وكان معه رجل يكنى أبا موسى — فلما نظر إليه أسد ، قال له : أعرفك ؟ قال : نعم ، قال له أسد : رأيتك في حانوت بدمشق ، قال : نعم ، قال لزياد : فما هذا الذي بلغني عنك ؟ قال : رُفِعَ إليك الباطل ، إنما قدمت خراسان في تجارة ، وقد فرقت مالى على الناس ، فإذا صارَ إلى خرجت . قال له أسد : اخرج عن بلادى ، فانصرف ، فعاد إلى أمره ^(٢) ، فعاد الحسن أسداً ، وعظّم عليه أمره ، فأرسل إليه ، فلما نظر إليه ، قال : ألم أنهك عن المقام بخراسان ! قال : ^(٣) ليس عليك أيها الأمير منى بأس ، فأحفظه وأمر بقتله ، فقال له أبو موسى : فاقض ^(٤) ماأنت قاض . فازداد غضبا ، وقال له : أنزلتني منزلة فرعون ! فقال له : ما أنزلتُك ولكن الله أنزلك . فقتلوا ، وكانوا عشرة من أهل بيت الكوفة ، فلم ينجُ منهم يومئذ إلا غلامان استصغرها ، وأمر بالباقيين فقتلوا بكشان شاه .

وقال قوم : أمر أسد بزياد أن يُحطّ وسطه ، فشدّ بين اثنين ، فضرب فنبأ السيف عنه ، فكبّر أهل السوق ، فقال أسد : ما هذا ؟ ف قيل له ، لم يحكّ السيف فيه ، فأعطى أبا يعقوب سيفاً ، فخرج في سراويل ، والناس قد اجتمعوا عليه ، فضربه ، فنبأ السيف ، فضربه ضربة أخرى ، فقطعه باثنتين .

(١) ابن الأثير : « فدعا » .
(٢) ح : « مرو » .
(٣) ح ، ف : « فقال له زياد » .
(٤) ب ، ف : « اقض » .

وقال آخرون : عرض عليهم البراءة ، فمن تبرأ منهم مما ^(١) رفع عليه خلتي سبيله ، فأبى البراءة ثمانية منهم ، وتبرأ اثنان .

١٥٠٣/٢

فلما كان الغد أقبل أحدهما وأسد في مجلسه المشرف على السوق بالمدينة ^(٢) العتيقة ، فقال : أليس هذا أسيرنا بالأمس ! فأتاه ، فقال له : أسألك أن تلحقني بأصحابي ، فأشرفوا به على السوق ، وهو يقول : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ^(٣) ؛ فدعا أسد بسيف سُخَّارَاخُدَاه ، فضرب عنقه بيده قبل الأضحى بأربعة أيام ، ثم قدم بعدهم رجل من أهل الكوفة يسمّى كثيراً ، فنزل على أبي النجم ، فكان يأتيه الذين لقوا زياداً فيحدثهم ويدعوهم ، فكان على ذلك سنة أو سنتين ، وكان كثير أميماً ، فقدم عليه خدّاش ، وهو في قرية تدعى مرعم ، فغلب كثيراً على أمره . ويقال : كان اسمه عمار فسّمى خدّاشاً ، لأنه خدّش الدين .

وكان أسد استعمل عيسى بن شداد البُرْجُمِيّ لأمّرتة الأولى في وجه وجهه على ثابت قطنه ، فغضب ، فهجا أسداً ، فقال :

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَعْرِفُونَ أَبَاهُمْ وَأَبُو بَجِيلَةَ بَيْنَهُمْ يَتَذَبَذَبُ
إِنِّي وَجَدْتُ أَبِي أَبَاكَ فَلَا تَكُنْ إِلْبَاً عَلَى مَعَ الْعَدُوِّ تُجَلِّبُ
أَرْمِي بِسَهْمِي مِنْ رِمَاكَ بِسَهْمِهِ وَعَدُوٌّ مِنْ عَادِيَتَ غَيْرُ مَكْذَبِ
أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ جَلَّلَ عَفْوُهُ أَهْلَ الذُّنُوبِ فَكَيْفَ مِنْ لَمْ يُذْنِبِ !
أَجْعَلْتَنِي لِلْبُرْجُمِيِّ حَقِيصَةً وَالْبُرْجُمِيُّ هُوَ اللَّئِيمُ الْمُحَقَّبُ
عَبْدٌ إِذَا اسْتَبَقَ الْكِرَامُ رَأْيَتَهُ يَأْتِي سُكِينًا حَامِلًا فِي الْمَوَكِبِ
إِنِّي أَعُوذُ بِقَبْرِ كَرَزٍ أَنْ أَرَى تَبَعًا لِعَبْدٍ مِنْ تَمِيمٍ مُحَقَّبِ

١٥٠٤/٢

* * *

[ولاية أشرس بن عبد الله على خراسان]

وفي هذه السنة استعمل هشام بن عبد الملك على خراسان أشرس

(٢) ح ، ف : « في المدينة » .

(١) ح : « ممن » .
(٣) ف : « إماما » .

ابن عبد الله السُّلَميَّ، فذكر عليّ بن محمد، عن أبي الذّيّال العدويّ ومحمد بن حمزة، عن طرخان ومحمد بن الصلت الثقفيّ أنّ هشام بن عبد الملك عزل أسد ابن عبد الله عن خراسان، واستعمل أشرس بن عبد الله السُّلَميَّ عليها، وأمره أن يكتب خالد بن عبد الله القسريّ - وكان أشرس فاضلاً خيراً، وكانوا يسمونه الكامل لفضله عندهم - فسار إلى خراسان، فلما قدمها فرحوا بقدمه، فاستعمل على شرطته عميرة أبا أمية اليشكريّ ثم عزله وولّى السمط، واستقضى على مرو أبا المبارك الكنديّ، فلم يكن له عِلْمٌ بالقضاء، فاستشار مقاتل بن حيان، فأشار عليه مقاتل بمحمد بن زيد فاستقضاه، فلم يزل قاضياً حتى عزل أشرس.

وكان أول من اتخذ الرابطة بخراسان واستعمل على الرابطة عبد الملك بن دثار الباهليّ، وتولى أشرس صغير الأمور وكبيرها بنفسه.

قال: وكان أشرس لما قدم خراسان كَبُرَ الناس فرحاً به، فقال رجل:

١٥٠٥/٢

لَقَدْ سَمِعَ الرَّحْمَنُ تَكْبِيرَ أُمِّ غَدَاةٍ أَتَاهَا مِنْ سَلِيمٍ إِمَامُهَا
إِمَامٌ هُدَى قَوَى لَهُمْ أَمْرَهُمْ بِهِ وَكَانَتْ عَجَافاً مَا تُمِخُّ عِظَامُهَا^(١)

وركب^(٢) حين قدم حماراً، فقال له حيان النبطي: أيها الأمير، إن كنت تريد أن تكون والي خراسان فاركب الخيل، وشدّ حزام فرسك، وألزم السوط خاصرته حتى تقدم النار، وإلاّ فارجع. قال: أرجع إذن،^(٣) ولا أقتحم النار يا حيان. ثم أقام وركب الخيل.

قال عليّ: وقال يحيى بن حُصَيْن: رأيتُ في المنام قبل قدوم أشرس قائلاً يقول: أتاكم الوعر الصدر، الضعيف الناهضة، المشثوم الطائر، فانتبهت فرعاً ورأيت في الليلة الثانية: أتاكم الوعر الصدر، الضعيف الناهضة، المشثوم الطائر، الخائن قومه؛ جفر، ثم قال:

لَقَدْ ضَاعَ جَيْشُ كَانَ جَفَرُ أَمِيرَهُمْ فَهَلْ مِنْ تَلَافٍ قَبْلَ دَوْسِ الْقَبَائِلِ!

(١) ب: «تمج»، ح: ف: «تصح». (٢) ح: ف: «فركب».

(٣) ح: ف: «إذا أرجع».

فإن صُرِفَتْ عَنْهُمْ به فَلَعَلَّهُ وَإِلَّا يَكُونُوا مِنْ أَحَادِيثِ قَائِلٍ
وكان أشرس يلقب جَعْغَرًا بخراسان .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام ، كذلك حدثني أحمد بن
ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال
الواقدي وغيره .

وقال الواقدي : خطب الناس إبراهيم بن هشام بمنى في هذه السنة الغد
من يوم النحر بعد الظهر . فقال سلوتي ، فأنا ابن الوحيد ، لا تسألون أحداً
أعلم مني . فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأضحية ؛ أواجبة^(١)
هي أم لا ؟ فما درى أى شىء يقول له ! فنزل .

* * *

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف إبراهيم بن هشام ،
وعلى البصرة والكوفة خالد بن عبد الله ، وعلى الصلاة بالبصرة أبان بن ضُبارة
اليزني ، وعلى شُرطتها بلال بن أبي بُردة ، وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله
الأنصاري ؛ من قِبَل خالد بن عبد الله ، وعلى خُراسان أشرس بن عبد الله .

(١) ح ، ف : « واجبة هي » .

ثم دخلت سنة عشر ومائة ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة مَسْلَمَة بن عبد الملك التُّرك؛ سار إليهم نحو باب اللان حتى لقيَ خاقان في جموعه، فاقتتلوا قريباً من شهر، وأصابهم مطر شديد، فهزم الله خاقان، فانصرف، فرجع مَسْلَمَة فسلكت على مسجد ذى القرنين.

وفيهما غزا - فيما ذكر - معاوية بن هشام أرض الروم، ففتح صمالة^(١). وفيها غزا الصائفة عبد الله بن عُقْبَة الفِهْرِيّ. وكان على جيش البحر - فيما ذكر الواقدي - عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج.

١٥٠٧/٢

وفي هذه السنة دعا الأشرس أهل الذمة من أهل سمرقند ومن وراء النهر إلى الإسلام، على أن تُوضَعَ عنهم الجزية، فأجابوا^(٢) إلى ذلك، فلما أسلموا وضع عليهم الجزية، وطلبهم^(٣) بها، فنصبوا له الحرب.

* * *

ذكر الخبر عما كان من أمر أشرس وأمر أهل سمرقند ومن وليهم في ذلك

ذكر أن أشرس قال في تحمله بخراسان: ابغوني رجلاً له ورع وفضل أوجهه إلى من وراء السمر، فيدعوهم^(٤) إلى الإسلام. فأشاروا عليه بأبي الصيداء صالح بن طريف، مولى بني ضبّة، فقال: لست بالماهر بالفارسية، فضموا معه^(٥) الربيع بن عمران التميمي، فقال أبو الصيداء: أخرج على شريطة أن من أسلم لم يؤخذ منه الجزية، فإنما خراج خراسان على رعوس الرجال، قال أشرس: نعم، قال أبو الصيداء لأصحابه: فإني أخرج فإن لم يَفِ العمال أعنتموني عليهم، قالوا: نعم.

(٢) ح : « فأجابوه » .
(٤) ح ، ف : « يدعوهم » .

(١) ح : « صمالة » .
(٣) ح : « وطلبهم » .
(٥) ح ، ف : « إليه » .

فشخص إلى سمرقند ، وعليها الحسن بن أبي العَمَرَّة الكندي على حربها وخراجها^(١) ، فدعا أبو الصيِّداء أهل سمرقند ومن حولها إلى الإسلام ، على أن توضع عنهم الجزية ، فسارع الناس ، فكتب غوزك إلى أشرس : إنَّ الخراج قد انكسر ؛ فكتب أشرس إلى ابن أبي العَمَرَّة : إنَّ في الخراج قوة للمسلمين ؛ وقد بلغني أنَّ أهل السُّغْد وأشباههم لم يُسلموا رغبة ، وإنما دخلوا في الإسلام تعوذاً من الجزية ؛ فانظر من اختن وأقام الفرائض وحسن إسلامه ، وقرأ سورةً من القرآن ، فارفع عنه خراجَه . ثم عزل أشرس ابن أبي العَمَرَّة عن الخراج ، وصيَّره إلى هاني بن هاني ، وضم إليه الأشحيد ، فقال ابنُ أبي العَمَرَّة لأبي الصيِّداء : لستُ من الخراج الآن في شيء ، فدونك هائناً والأشحيد ؛ فقام أبو الصيِّداء بمنعهم من أخذ الجزية ممن أسلم ، فكتب هاني : إنَّ الناس قد أسلموا وبنوا المساجد . فجاء دهاقين بخارى إلى أشرس فقالوا : ممن تأخذ الخراج ، وقد صار الناس كلهم عرباً ؟ فكتب أشرس إلى هاني وإلى العمال : خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه ، فأعادوا الجزية على من أسلم ، فامتنعوا ؛ واعتزل من أهل السُّغْد سبعة آلاف ، فترلوا على سبعة فراسخ من سمرقند ، وخرج إليهم أبو الصيِّداء وربيع بن عمران التميمي والقاسم^(٢) الشيباني وأبو فاطمة الأزدي وبشر بن جرموز الضبِّي وخالد بن عبد الله النحوي وبشر بن زبور الأزدي وعامر بن قشير — أو بشير ،^{١٥٠٨/٢} الحُجَندى^(٣) ، وبيان^(٤) العنبري وإسماعيل بن عُمَيرة ، لينصروهم . قال : فعزل أشرس ابن أبي العَمَرَّة عن الحرب ، واستعمل مكانه الحُجَشر بن مزاحم السلمى ، وضم إليه عُمَيرة بن سعد الشيباني . قال : فلما قدم الحُجَشر كتب إلى أبي الصيِّداء يسأله أن يقدم عليه هو وأصحابه ، فقدم أبو الصيِّداء وثابت قطنة ، فحبسهما ، فقال أبو الصيِّداء : غدرتم^(٥) ورجعتم^(٦) عما قلتم ! فقال له هاني : ليس بغدر

(١) ف : « وعلى خراجها » .

(٢) في ابن الأثير : « والهيثم الشيباني » .

(٣) ابن الأثير : « وبجير الحُجَندى » .

(٤) ابن الأثير : « بنان » . (٥) ب : « أغدرتم » .

(٦) ح ، ف : « ثم رجعت » .

ما كان فيه حَقْنُ الدماء . وحمل أبا الصيداء إلى الأشرس ، وحبس ثابت قطنة عنده ؛ فلما حُمِلَ أبو الصيداء اجتمع أصحابه وولوا أمرهم أبافاطمة ، ليقاتلوا هانئاً ، فقال لهم : كفوا حتى أكتبَ إلى أشرس فيأتيننا رأيهُ فنعمل بأمره . فكتبوا إلى أشرس ، فكتب أشرس : ضعوا عليهم الخراج ، فرجع أصحاب أبي الصيداء ، فضعف أمرهم ، فتتبع الرؤساء منهم فأخذوا ، وحملوا إلى مَرَوْ ، وبقي ثابت محبوساً ، وأشرك أشرس مع هاني بن هاني سليمان بن أبي السرى مولى بني عوافة في الخراج ، فألح هاني والعمال في جباية الخراج ، واستخفوا بعظماء العجم ، وسلط الحبش عميرة بن سعد على الدهاقين ، فأقيموا وخرقت ثيابهم ، وألقيت مناطقهم في أعناقهم ، وأخذوا ^(١) الجزية ممن أسلم من الضعفاء ، فكفرت السُّعْدُ وبُخارى ، واستجاشوا الترك ، فلم يزل ثابت قطنة في حبس الحبش ، حتى قدم نصر بن سيار والياً على الحبش ، فحمل ثابتاً إلى أشرس مع إبراهيم بن عبد الله الليثي فحبسه . وكان نصر بن سيار أطفه ، وأحسن إليه ، فدحه ثابت قطنة ، وهو محبوس عند أشرس فقال :

١٥١٠/٢

ما هاجَ شوقك من نوْوي وأحجارٍ
لم يَبَقَ منها وَمِنْ أعلام عَرَصَتِها
ومائلٌ في ديار الحَيِّ بعدَهُمُ
ديارٌ ليلي قِفارٌ لا أنيسَ بها
بُدِّلْتُ منها وقد شَطَّ المَزَارُ بها
بَيْنَ السَّماوةِ في حَزْمٍ مُشرِّفةٍ
نُقارِعُ التركَ ما تَنفَكَ نائِحَةٌ
إن كانَ ظني بنصر صادقاً أبداً
يَصْرِفُ الجُنْدَ حتى يَسْتَفِيَّ بهم

١٥١١/٢

(٢) ف : « واين الحجر » .

(١) ف : « وأخذت الجزية » .

(٣) ب : « ومفرق » .

وَتَعَثُرُ الْخَيْلُ فِي الْأَقْيَادِ آوَنَةً
 حَتَّى يَرَوْهَا دُوبَيْنَ السَّرْحِ بَارِقَةً
 لَا يَمْنَعُ الثَّغَرَ إِلَّا دُوبُ مُحَافَظَةٍ
 إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ مِنْ جَذَمِ الذِّى نَضُرْتُ
 لِدَاكِرٍ مِنْكَ أَمْرًا قَدْ سَبَقَتْ بِهِ
 نَاضَلْتُ عَنِّي نِضَالَ الْحُرِّ إِذْ قَصَرَتْ
 وَصَارَ كُلُّ صَدِيقِي كُنْتُ أَمْلُهُ
 وَمَا تَلَبَّسْتُ بِالْأَمْرِ الذِّى وَقَعُوا
 وَلَا عَصَيْتُ إِمَامًا كَانَ طَاعَتُهُ
 تَحْوِي النَّهَابَ إِلَى طُلَابٍ أَوْتَارِ
 فِيهَا لَوَاءُ كَظَلِّ الْأَجْدَلِ الضَّارِي
 مِنْ الْخَضَارِمِ سَبَاقِ بَأَوْتَارِ
 مِنْهُ الْفُرُوعُ وَزَنْدِي الثَّاقِبُ الْوَارِي
 مِنْ كَانَ قَبْلَكَ يَا نَصْرَ بَنِ سَيَّارِ
 دُونِي الْعَشِيرَةُ وَاسْتَبْطَأْتُ أَنْصَارِي
 أَلْبَاءُ عَلَى وَرَثَ الْحَبْلِ مِنْ جَارِي ١٥١٢/٢
 بِهِ عَلَى وَلَا دَنْسْتُ أَطْمَارِي
 حَقًّا عَلَى وَلَا قَارَفْتُ مِنْ عَارِ

قال عليّ : وخرج أشرس غازياً فنزل آمل ، فأقام ثلاثة أشهر ،
 وقدّم قطّان بن قتيبة بن مسلم فعبر النهر في عشرة آلاف ، فأقبل أهل
 السَّغْدِ وَأَهْلُ بُخَارَى ؛ معهم خاقان والترك ، فحصرُوا قطّان بن قتيبة في
 خَنْدَقِهِ ، وجعل خاقان ينتخب كلَّ يوم فارساً ، فيعبرُ في قطعة من الترك
 النهر . وقال قوم : أقحموا دوابَّهم عُرْيًا ، فعبروا وأغاروا على سرح الناس ،
 فأخرج أشرس ثابت قُطْنَةَ بكفالة عبد الله بن بيسْطام بن مسعود بن عمرو ،
 فوجهه مع عبد الله بن بيسْطام في الخيل ^(١) فاتبعوا الترك ، فقاتلوهمْ بِأَمْلٍ
 حتَّى استنقذوا ما بأيديهم ؛ ثم قطع الترك النهر لإليهم راجعين ، ثم عبر أشرس
 بالناس إلى قطن بن قتيبة ، ووجهه أشرس رجلاً يقال له مسعود — أحد بني
 حَسَّان — في سرية ، فلقبهم العدو ، فقاتلوهمْ ، فأصيب ^(٢) رجال من المسلمين ١٥١٣/٢
 وهزم مسعود ؛ حتَّى رجع إلى أشرس ، فقال بعض شعرائهم :

خَابَتْ سَرِيَّةُ مَسْعُودٍ وَمَا غَنِمَتْ
 حَلُّوا بِأَرْضِ قِفَارٍ لَا أُنَيْسَ بِهَا
 إِلَّا أَفَانِينَ مِنْ شَدِّ وَتَقَرِّيبِ
 وَهْنٌ بِالسَّفْحِ أَمْثَالُ الْيَعَاسِبِ

(١) ب : « في خيل » .

(٢) ح ، ف : « وأصيب » .

وأقبل العدو ، فلما كانوا بالقرب لقيهم المسلمون فقاتلوهم ، فجالوا جَوَلَةً ، فقتل في تلك الجولة رجال من المسلمين ، ثم كرّ المسلمون وصبروا لهم ، فانهزم المشركون. ومضى أشرس بالناس ؛ حتى نزل بيكسند ، فقطع العدو عنهم الماء ، فأقام أشرس والمسلمون في عسكرهم يومهم ذلك وليلتهم ، فأصبحوا وقد نفد ماؤهم ، فاحتفروا فلم يَنْبُطُوا ، وعطشوا فارتحلوا إلى المدينة التي قطعوا عنهم المياه منها ، وعلى مقدمة المسلمين قطن بن قتيبة ، فلقيهم العدو فقاتلوهم ، فجهدوا من العطش ، فمات منهم سبعمائة ، وعجز الناس عن القتال ، ولم يبقَ في صفّ الرّباب إلا سبعة ، فكاد ضرار بن حصين يؤسّر من الجهد الذي كان به ، فحضر الحارث بن سريج^(١) الناس ، فقال : أيها الناس ، القتل بالسيف أكرم في الدنيا وأعظم أجراً عند الله من الموت عطشاً . فتقدّم الحارث بن سريج وقطن بن قتيبة وإسحاق بن محمد ، ابن أخى وكيع ، في فوارس من بني تميم وقيس ، فقاتلوا حتى أزالوا الترك عن الماء ، فابتدره الناس فشرّبوا وارتووا .

قال : فرّ ثابت قُطَيْنة بعبد الملك بن دثار الباهليّ ، فقال له : يا عبد الملك ، هل لك في آثار الجهاد ؟ فقال : أنظرني ريثاً أغتسل وأتحنّط ، فوقف له حتى خرج ومضيا ، فقال ثابت لأصحابه : أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم ، وحضهم ، فحملوا على العدو^(٢) ، واشتدّ القتال ، فقتل ثابت في عدة من المسلمين ؛ منهم صخر بن مسلم بن النعمان العبدىّ وعبد الملك بن دثار الباهليّ والوجيه الخراسانيّ والعقّار بن عقبة العودىّ . فضمّ قطن بن قتيبة وإسحاق بن محمد بن حسان^(٣) خيلاً من بني تميم وقيس ؛ تابعوا على الموت ، فأقدموا على العدو ، فقاتلوهم فكشفوهم ؛ وركبهم المسلمون يقتلونهم ؛ حتى حجزهم الليل ، وتفرّق العدو . فأتى أشرس بخارى فحصر أهلها .

قال عليّ بن محمد ، عن عبد الله بن المبارك : حدثني هشام بن عمار

(١) سريج ، ضبطها ابن الأثير : « بالسّين المهملة والجيم » ؛ وفي ب : « سريج » .

(٢) ح : « فحملهم على لقاء العدو » .

(٣) ابن الأثير : « إسحاق بن محمد بن حبان » .

وتسربوا الأول فالأول ؛ فلما رأهم الترك يتسربون شدوا عليهم في مضايق ؛ وكانوا هم أعلم بالطريق من الترك ، وصبقوهم إلى الباب فلحقوهم عنده ، فقتلوا رجلاً كان يقال له المهلب ، كان حاميتهم ، وهو رجل من العرب ، فقاتلوهم فغلبوهم على الباب الخارج من الخندق فدخاوه ، فاقتتلوا ، وجاء رجل من العرب بجزمة قصب قد أشعلها^(١) ، فرمى بها وجوههم فتنحوا ، وأخلوا ١٥١٨/٢ عن قتلى وجرحى ، فلما أمسوا انصرف الترك ، وأحرق العرب القنطرة ، فأتاهم خسرو بن يزدجرد في ثلاثين رجلاً ، فقال : يا معشر العرب ، لم تقتلون أنفسكم وأنا الذى جئت بخاقان ليرد على مملكتي ، وأنا آخذ لكم الأمان ! فشتموه ، فانصرف .

قال : وجاءهم^(٢) بازغرى في مائتين — وكان داهية — من وراء النهر ، وكان خاقان لا يخالفه ، ومعه رجلان من قرابة خاقان ، ومعه أفراس من رابطة أشرس ، فقال : آمينونا حتى ندنو منكم ، فأعرض^(٣) عليكم ما أرسلنى إليكم به خاقان . فآمنوه ، فدنا من المدينة ، وأشرفوا عليه ومعه أسراء من العرب ، فقال بازغرى : يا معشر العرب ، أحذروا إلى رجلا منكم أكلمه برسالة خاقان ، فأحذروا حبیباً مولى مہرة من أهل درقين ، فكلموه فلم يفهم ، فقال : أحذروا إلى رجلا يعقل عني ، فأحذروا يزيد بن سعيد الباهلي ، وكان يشدو شدوا من التركية^(٤) ، فقال : هذه خيل الرابطة ووجه العرب معه أسراء . وقال : إن خاقان أرسلنى إليكم ؛ وهو يقول لكم : إني أجعل من كان عطاؤه منكم سبائة ألفاً ، ومن كان عطاؤه ثلثمائة سبائة ؛ وهو مجمع بعد هذا على الإحسان إليكم ، فقال له يزيد : هذا أمر لا يلتئم ؛ كيف ١٥١٩/٢ يكون العرب وهم ذئاب مع الترك وهم شاء ! لا يكون بيننا وبينكم^(٥) صلح . فغضب بازغرى ، فقال التركيان اللذان معه : ألا نضرب عنقه ؟ قال : لا ، نزل إلينا^(٦) بأمان . وفهم ما قالوا له يزيد ، فخاف فقال : بلى يا بازغرى إلا أن

(١) ب : « فأشعلها » . (٢) ابن الأثير : « وأتاهم » .

(٣) ب : « وأعرض » . (٤) ابن الأثير : « وكان يفهم بالتركية سيرا » .

(٥) ب : « وبينهم » .

(٦) « ابن الأثير : إنه نزل إلينا بأمان » .

تجعلونا نصفين ، فيكون نصفٌ في أثقالنا ويسير النصف معه ؛ فإن ظفر خاقان فنحن معه ؛ وإن كان غير ذلك كنا كسائر مدائن أهل السغد . فرضى بازغرى والتركيبان بما قال ، فقال له : أعرض على القوم ما تراضينا به ، وأقبل فأخذ بطرف الحبل فجذبوه حتى صار على سور المدينة ، فنادى : يا أهل كَمَرَجَة ، اجتمعوا ، فقد جاءكم قوم يدعونكم إلى الكفر بعد الإيمان ، فما ترون ؟ قالوا : لا نجيب ولا نرضى ، قال : يدعونكم إلى قتال المسلمين مع المشركين ، قالوا : نموت جميعاً قبل ذلك . قال : فأعلموهم .

قال : فأشرفوا عليهم ، وقالوا : يا بازغرى ، أتبيع الأسرى في أيديكم فنفاذى بهم ؟ فأما ما دعوتنا إليه فلا نجيبكم إليه ، قال لهم : أفلا تشترون أنفسكم منا ؟ فما أنتم عندنا إلا بمنزلة من في أيدينا منكم - وكان في أيديهم الحجاج بن حميد النضرى - فقالوا له : يا حجاج ، ألا تنكلم ؟ قال : على رقباء ، وأمر خاقان بقطع الشجر ^(١) ، فجعلوا يلقون الحطب الرطب ، ويلقي أهل كَمَرَجَة الحطب اليابس ، حتى سوى الخندق ، ليقطعوا إليهم ^(٢) ، فأشعلوا فيه النيران ، فهاجت ريحٌ شديدة - صُنْعاً من الله عز وجل - قال : فاشتعلت النار في الحطب ، فاحترق ما عملوا في ستة ^(٣) أيام في ساعة من نهار ، ورميناهم فأوجعناهم وشغلناهم بالجراحات . قال : وأصابنا بازغرى نصابة في سرتة ، فاحتقن بوله ، فمات من ليلته ، فقطع أترাকে آذانهم ، وأصبحوا بشر ، منكتسين رؤوسهم ببيكونه ، ودخل عليهم أمر عظيم . فلما امتد النهار جاءوا بالأسرى وهم مائة ؛ فيهم أبو العوجاء العتكي وأصحابه ، فقتلوه ، ورموا إليهم برأس الحجاج ابن حميد النضرى . وكان مع المسلمين مائتان من أولاد المشركين كانوا رهائن في أيديهم ، فقتلوه واستماتوا ، واشتد القتال ، وقاموا على باب الخندق فسار على السور خمسة أعلام ، فقال كليب : من لي بهؤلاء ؟ فقال ظهير بن مقاتل الطفاوى : أنا لك بهم ؛ فذهب يسعى . وقال لفتيان : امشوا خلفي ، وهو جريح ، قال : فقتل يومئذ من الأعلام اثنان ، ونجا ثلاثة . قال : فقال ملك من الملوك لمحمد بن وساج : العجب أنه لم يبق ملك فيما وراء النهر إلا

(١) ابن الأثير : « وأمر خاقان بقطع الشجرة » . (٢) ح ، ف : « ليقطعوا النهر » .

(٣) ابن الأثير : « سبعة أيام » .

قاتل بكسرة رجة غيرى ، وعزّ على ألا أقاتل مع أكفائي ولم ير مكاني . فلم يزل أهل كسرة رجة بذلك ؛ حتى أقبلت جنود العرب ، فنزلت فمرغانة . فعيّر خاقان أهل السغد وفرغانة والشاش والدهاقين ، وقال لهم : زعمتم أن في ١٥٢١/٢ هذه خمسين حماراً ، وأنا نفتحها في خمسة أيام ؛ فصارت الخمسة الأيام شهرين . وشتّمهم وأمرهم بالرحلة ، فقالوا : ما ندع جهداً ، ولكن أحضرنا غداً فانظر ؛ فلما كان من الغد جاء خاقان فوقف ، فقام إليه ملك الطار بسند ؛ فاستأذنه في القتال والدخول عليهم ، قال : لا أرى أن تقاتل في هذا الموضع — وكان خاقان يعظّمه — فقال : اجعل لي جاريتين من جوارى العرب ، وأنا أخرج عليهن ؛ فأذن له ، فقاتل فقتل منهم ثمانية ، وجاء حتى وقف على ثلثة وإلى جنب الثلثة بيت فيه خرق يفضي إلى الثلثة ، وفي البيت رجل من بني تميم مريض ، فرماه بكتوب^(١) فتعلق بدرعه ، ثم نادى النساء والصبيان ، فجذبوه فسقط لوجهه وركبته ؛ ورماه رجل بحجر فأصاب أصل أذنه فصرع ، وطعنه رجل فقتله . وجاء شاب أمرد من الترك ، فقتله وأخذ سلبه ومضيفه ، فغلبناهم على جسده — قال : ويقال : إن الذي انتدب لهذا فارس أهل الشاش فكانوا قد اتخذوا صناعاً ، وألصقوها^(٢) بحائط الخندق ، فنصبوا قبالة ما اتخذوا أبواباً له ؛ فأقعدوا الرماة وراءها ؛ وفيهم غالب بن المهاجر الطائي عم أبي العباس الطوسي ورجلان ، أحدهما شيباني والآخر ناجي ، ١٥٢٢/٢ فجاء فاطلح في الخندق ، فرماه الناجي فلم يخطئ قسبة أنفه ، وعليه كاشخودة تبتية ، فلم تضربه الرمية ، ورماه الشيباني وليس يرى منه غير عينيه ؛ فرماه غالب ابن المهاجر ، فدخلت النشابة في صدره ، فنكس فلم يدخل خاقان شيئاً أشد منه .

قال : فيقال : إنه إنما قتل الحجاج وأصحابه يومئذ لما دخله من الخزع ، وأرسل إلى المسلمين أنه ليس من رأينا أن نرتحل عن مدينة ننزلها دون افتتاحها ، أو نرحلهم عنها . فقال له كليب بن قتيان : وليس من ديننا أن نعطي

(١) الكلوب : المهاز .

(٢) ف : « فألصقوها » .

بأيدينا حتى نُقْتَلَ ، فاصنعوا ما بدا لكم ؛ فرأى الترك أن مقامهم عليهم ضرر ، فأعطوهم الأمان على أن يرحل هو وهم عنهم بأهاليهم وأموالهم إلى سَمَرْقَنْد أو الدَّبُوسِيَّة ، فقال لهم : اختاروا لأنفسكم في خُرُوجكم مِن هذه المدينة .

١٥٢٣/٢

قال : ورأى أهل كَسَمَرْجَة ما هم فيه من الحصار والشدَّة ، فقالوا : نشاور أهل سَمَرْقَنْد ، فبعثوا غالب بن المهاجر الطائي ، فانحدر في موضع من الوادي ، ففضى إلى قصر يسمى فرزاونة ، والدَّهْقَان الذي بها صديق له ، فقال له : إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى سَمَرْقَنْد ، فَاحْمِلْنِي ، فقال : ما أجد دابة إلا بعض دواب خاقان ، فإن له في روضة خمسين دابة ، فخرجا جميعاً إلى تلك الرُّوضَة ، فَأَخَذَ بَرْدُونًا فركبه ، وكان إِلْفُه بَرْدُون آخر ، فتبعه فَأَتَى سَمَرْقَنْد من ليلته ، فَأَخْبَرَهُمْ بِأَمْرِهِمْ ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِالْدَّبُوسِيَّة ، وقالوا : هي أقرب ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَأَخَذُوا مِنَ التُّرْك رَهَائِنَ أَلَا يَعْرِضُوا لَهُمْ ، وسألوهم رجلاً من التُّرْك يَتَقَوَّنُ بِهِ مَعَ رِجَالٍ مِنْهُمْ ، فقال لهم التُّرْك : اختاروا مَنْ شِئْتُمْ ، فاختاروا كورصول يكون معهم ، فكان معهم حتى وصلوا إلى حَيْثُ أَرَادُوا . ويقال : إن خاقان لما رأى أنه لا يصل إليهم شَمَّ أَصْحَابَهُ ، وأمرهم بالارتحال عنهم ؛ وكلمه المختار بن غوزك وملوك السُّغْد وقالوا : لا تفعل أيها الملك ؛ ولكن أعطهم أماناً يخرجون عنها ، ويروون أنك إنما فعلت ذلك بهم من أجل غوزك أنه مع العرب في طاعتها ، وأن ابنه المختار طلب إليك في ذلك مخافة على أبيه ؛ فأجابهم إلى ذلك ، فسرَّح إليهم كورصول يكون معهم ، بمنعهم ممن أرادهم .

قال : فصار الرِّهْن من التُّرْك في أيديهم ، وارتحل خاقان ، وأظهر أنه يريد سَمَرْقَنْد — وكان الرِّهْن الذي في أيديهم من ملوكهم — فلما ارتحل خاقان — قال كورصول للعرب : ارتحلوا ، قالوا : نكره أن نرتحل والتُّرْك لم يَمْضُوا ، ولا نأمنهم أن يعرضوا لبعض النساء فتحمي العرب فنصير إلى مثل ما كنا فيه من الحرب .

قال : فكف عنهم ؛ حتى مضى خاقان والتُّرْك ، فلما صلوا الظهر أمرهم

كور صول بالرحلة ، وقال : إنما الشدة والموت والخوف حتى تسيروا فرسخين ، ثم تصيروا إلى (١) قري متصلة ؛ فارتحلوا وفي يد الترك من الرهن من العرب نفر ، منهم شعيب البكري أو النصرى ، وسبّاع بن النعمان وسعيد بن عطية ، وفي أيدي العرب من الترك خمسة ، قد أردفوا خلتف كل رجل من الترك رجلا من العرب معه خنجر ، وليس على التركي غير قبّاء ، فساروا بهم .

ثم قال العجم لكور صول : إنّ الدبّوسية فيها عشرة آلاف مقاتل ؛ فلا تأمن أن يخرجوا علينا ، فقال لهم العرب : إن قاتلوكم قاتلناهم معكم . فساروا ، فلما صار بينهم وبين الدبّوسية قدر فرسخ أو أقلّ نظر أهلها إلى فرسان وبياذقة (٢) وجمع . فظنوا أن كمة رجة قد فُتحت ، وأنّ خاقان قصد لهم . قال : وقربنا منهم وقد تأهبوا للحرب ؛ فوجه كليب بن قسان رجلا من بني ناجية يقال له الضحّاك على يرذون يركض ، وعلى الدبّوسية عقيل بن ورّاد السعدي ، فأتاهم الضحّاك وهم صفوف ؛ فرسان ورجالة ، فأخبرهم الخبر ، فأقبل أهل الدبّوسية يركضون ، فحمّل من كان يضعف عن المشي ومن كان مجروحاً .

ثم إن كليسا أرسل إلى محمد بن كراز ومحمد بن درهم ليُعْلِمَا سبّاع ابن النعمان وسعيد بن عطية أنهم قد بلغوا مأمنهم ، ثم خلّوا عن الرهن ؛ فجعلت العرب ترسل رجلاً من الرهن الذين في أيديهم من الترك ، وترسل الترك رجلاً من الرهن الذين في أيديهم من العرب ؛ حتى بقي سبّاع بن النعمان في أيدي الترك ، ورجل من الترك في أيدي العرب ، وجعل كل فريق منهم يخاف على صاحبه الغدر ، فقال سبّاع : خلّوا رهينة الترك ، فخلّوه وبقي سبّاع في أيديهم ، فقال له كور صول : لم فعلت هذا ؟ قال : وثقتُ برأيك في ، وقلت : ترفع نفسك عن الغدر في مثل هذا ؛ فوصله وسلّحه وحمّله على برذون ، وردّه إلى أصحابه .

قال : وكان حصار كمة رجة ثمانية وخمسين يوماً ، فيقال إنهم لم يسقوا إبلهم خمسة وثلاثين يوماً .

(١) ح : « في » . (٢) البياذقة : الرجالة ، وفي ط : « بيارقة » .

قال : وكان خاقان قسَمَ في أصحابه الغنم ، فقال : كُلُّوا لحومها واملثوا
جلودها تراثاً ، واكبسوا خندقكم ؛ ففعلوا فكبسوه ، فبعث الله عليهم
سحابة فطرت ، فاحتمل المطر ما ألقوا ، فألقاه في النهر الأعظم .
وكان مع أهل كَسَمَرَجَة قومٌ من الخوارج ، فيهم ابن شُنُجٍ مولى
بنى ناجية .

* * *

[ذكر ردة أهل كردر]

وفي هذه السنة ارتدَّ أهل كردر ، فقاتلهم المسلمون وظفروا بهم ؛
وقد كان الترك أعانوا أهل كردر ؛ فوجه أشرس إلى مَنْ قرب من كردر
من المسلمين ألف رجل ردءاً لهم ؛ فصاروا إليهم ، وقد هزم المسلمون الترك ،
فظفروا بأهل كردر . وقال عَرَفَجَة الدارمي :

نَحْنُ كَفَيْنَا أَهْلَ مَرُوٍّ وَغَيْرَهُمْ وَنَحْنُ نَفَيْنَا التُّرْكَ عَنْ أَهْلِ كُرْدَرِ
فَإِنْ تَجَعَّلُوا مَا قَدْ غَنِمْنَا لِغَيْرِنَا فَقَدْ يُظْلَمُ الْمَرْءُ الْكَرِيمُ فَيَصْبِرُ

١٥٢٦/٢

* * *

وفي هذه السنة جعل خالد بن عبد الله الصَّلَاةَ بالبصرة مع الشَّرْطَةِ ؛
والأحداث والقضاء إلى بلال بن أبي بُرْدَة ؛ فجمع ذلك كله له ، وعزل به
ثُمَامَة بن عبد الله بن أنس عن القضاء .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ؛ كذلك قال
أبو معشر والواقدي وغيرهما ؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن
إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف إبراهيم بن هشام ،
وعلى الكوفة والبصرة والعراق كلها خالد بن عبد الله ، وعلى خراسان أشرس
ابن عبد الله .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزوة سعيد بن هشام الصائفة اليمنى حتى أتى قيسارية .

قال الواقدي : غزا سنة إحدى عشرة ومائة على جيش البحر عبد الله بن أبي مريم ، وأمّر هشام على عامة الناس من أهل الشام ومصر الحكم بن قيس ابن مخزّمة بن المطلب بن عبد مناف .

وفيهما سارت الترك إلى أذربيجان ، فلقبهم الحارث بن عمرو فهزّمهم .
وفيهما ولّى هشام الجراح بن عبد الله الحكمي على أرمينية .

وفيهما عزل هشام أشرس بن عبد الله السلمي عن خراسان ، وولاه الجُنَيْدَ ١٥٢٧/٢
ابن عبد الرحمن المروّني (١) .

* * *

ذكر السبب الذي من أجله عزل هشام أشرس
عن خراسان واستعماله الجُنَيْدَ

ذكر عليّ بن محمد ، عن أبي الذّيال ، قال : كان سببُ عزل أشرس أن شدّاد بن خالد (٢) الباهليّ شخص إلى هشام فشكاه ، فعزله واستعمل الجُنَيْدَ بن عبد الرحمن (٣) على خراسان سنة إحدى عشرة ومائة .

قال : وكان سبب استعماله إيّاه أنه أهدى لأمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جوهر ، فأعجبت هشاماً ، فأهدى لهشام قلادة أخرى ، فاستعمله على خراسان ، وحمله على ثمانية من البريد ؛ فسأله أكثر من تلك الدواب فلم يفعل ؛ فقدم خراسان في خمسمائة — وأشرسُ بن عبد الله

(١) ط : « المزني » ، تحريف . (٢) ابن الأثير : « خويلد » .

(٣) في ابن الأثير : « وهو الجُنَيْد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث بن خارجة بن سنان ابن أبي حارثة المري » .

يقاتل أهل بخارى والسَّغْدَ - فسأل عن رجل يسير معه إلى ما وراء النهر ،
فدُلَّ على الخطَّاب^(١) بن محرز السِّلَسِيّ خليفة أشرس ، فلما قدم آمُلْ
أشار عليه الخطَّاب أن يقيم ويكتب إلى من بَزَمَ ومن حواه ؛ فيقدّموا عليه ،
فأبى وقطع النهر ، وأرسل إلى أشرس أن أمِدَّني بخيل ، وخاف أن يقطع
قبل أن يصل إليه ، فوجّه إليه أشرس عامرَ بن مالك الحِمَّانِيّ ، فلما كان في
بعض الطريق عرض له الترك والسَّغْدَ ليقطعوه قبل أن يصل إلى الجُنَيْدِ ، فدخل
عامر حائطاً حصيناً ، فقاتلهم على ثُلُمة الحائط ، ودهو وَرْدَ بن زياد بن
أدهم بن كلثوم ؛ ابن أخي الأسود بن كلثوم ؛ فرماه رجل من العدو بنشابة ،
فأصاب عَرَضَ منخره ، فأنفذ المنخرين ، فقال له عامر بن مالك :
يا أبا الزاهريّة ؛ كأنك دجاجة مقرّقة^(٢) . وقتل عظيم من عظماء الترك عند
الثُلُمة ، وخاقان على تلّ خلفه أجمّة ، فخرج عاصم بن عمير السَّهْمَرَقَنْدِيّ
وواصل بن عمرو القيسيّ في شاكريّة ، فاستدارا حتى صارا من وراء ذلك
الماء ، فضمّوا خشباً وقصباً وما قدروا عليه ، حتى اتَّخذوا رَصْنًا^(٣) ، فعبّروا عليه
فلم يشعر خاقان إلا بالتكبير ، وحمل واصل والشاكريّة على العدو فقاتلوه ؛
فقتل تحت واصل برذون ، وهُزِمَ خاقان وأصحابه .

١٥٢٨/٢

وخرج عامر بن مالك من الحائط ، ومضى إلى الجُنَيْدِ وهو في سبعة آلاف ؛
فالتقى الجُنَيْدِ وأقبل معه ، وعلّى مقدّمة الجُنَيْدِ حُمارة بن حُرَيْم . فلما انتهى
إلى فرسخين من بِيكَنْدَ ، تلقّته خيل الترك فقاتلهم ؛ فكاد الجُنَيْدِ أن يهلك
ومن معه ، ثم أظهره الله ؛ فسار حتى قدم العسكر . وظفر الجُنَيْدِ ، وقتل
الترك ، وزحف إليه خاقان فالتقوا دون زَرْمَانِ^(٤) من بلاد سَمَرْقَنْدِ ؛ وقطن
ابن قتيبة على ساقّة الجُنَيْدِ ، وواصل في أهل بخارى - وكان ينزلها - فأسر^(٥)
ملك الشاش ، وأسرَ الجُنَيْدِ من الترك ابن أخي خاقان في هذه الغزاة ؛ فبعث به
إلى الخليفة ، وكان الجُنَيْدِ استخلف في غزاته هذه مجشّر بن مزاحم على مَرَوَ ،

١٥٢٩/٢

(١) ابن الأثير : « خطاب بن محرز السلمي » .

(٢) الفرق : صوت الدجاجة ، والدجاجة تقع على الذكر والأنثى والتاء دخلته على أنه الواحد .

(٣) الرصف : ما يرصّف بمعه إلى بعض في مسيل ؛ خشب أو حجارة .

(٤) ابن الأثير : « زرمان » . (٥) كذا في ح ، وفي ط : « فأسر » .

وولّى سورة بن الحرّ من بنى أبان بن دارم بلّخ ، وأوفد لما أصاب في وجهه ذلك عُمار بن معاوية العدويّ ومحمد بن الجراح العبديّ وعبد ربّه بن أبي صالح السلميّ إلى هشام بن عبد الملك ثم انصرفوا؛ فتوافقوا بالترمد ، فأقاموا بها شهرين .

ثم أتى الجنيد مَرَوَ وقد ظفر ، فقال خاقان : هذا غلام متّرف ، هَزَنِي العامَ وأنا مهلكه في قابل ؛ فاستعمل الجنيد عمّاله ، ولم يستعمل إلا مُضَرِيّاً ؛ استعمل قَطَن بن قتيبة على بُخارى ، والوليد بن القعقاع العبسيّ على هَرّاة ، وحبيب بن مرّة العبسيّ على شرّطه ، وعلى بلّخ مسلم بن عبد الرحمن الباهليّ . وكان نصر بن سيار على بلّخ ؛ والذي بينه وبين الباهليّين متباعد لما كان بينهم بالبرّوقان ، فأرسل مسلم إلى نصر فصادفوه نائمًا ، فجاءوا به في قميص ليس عليه سَرَاوِيل ، ملبّسًا ، فجعل يضمّ عليه قديصيّة ، فاستحيا مسلم ، وقال : شيخ من مُضَرّ جئتم به على هذه الحال ! ثم عزل الجنيد مسلمًا عن بلّخ ، وولّاها يحيى بن ضُبَيْعة ، واستعمل على خراج سَمَرْقَنْد شداد بن خالد الباهليّ ، وكان مع الجنيد السّمهريّ بن قَعْنَب .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام الخزوميّ ؛ وكان إليه من العمل في هذه السنة ما كان إليه في السنة التي قبلها ؛ وقد ذكرت ذلك قبل . وكان العامل على العراق خالد بن عبد الله ، وعلى خراسان الجنيد بن عبد الرحمن .

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خير شنة ،
وحرقت فرندية من ناحية ملاطية .

* * *

[ذكر خبر قتل الجراح الحكمي]

وفيهما سار الترك من اللان ، فلقبهم الجراح بن عبد الله الحكمي فيمن
معه من أهل الشام وأذربيجان ، فلم يتأتم إليه جيشه ؛ فاستشهد الجراح ١٥٣١/٢
ومن كان معه بمرج ^(١) أردبيل ؛ وافتتحت الترك أردبيل ؛ وقد كان استخلف
أخاه الحجاج بن عبد الله على أرمينية .

ذكر محمد بن عمر أن الترك قتلت الجراح بن عبد الله ببسنجر ،
وأن هشاماً لما بلغه خبره دعا سعيد بن عمرو الحرشي ، فقال له : إنه بلغني
أن الجراح قد انحاز عن المشركين ، قال : كلا يا أمير المؤمنين ، الجراح
أعرف بالله من أن ينحاز عن العدو ، ولكنه قُتل ، قال : فما الرأي ؟ قال :
تبعثني على أربعين دابة من دواب البريد ؛ ثم تبعث إلى كل يوم أربعين
دابة عليها أربعون رجلاً ، ثم اكتب إلى أمراء الأجناد يوافوني . ففعل ذلك
هشام .

فذكر أن سعيد بن عمرو أصاب للترك ثلاثة جموع وفوداً إلى خاقان
بمن أسروا من المسلمين وأهل الذمة ، فاستنقذ الحرشي ما أصابوا وأكثروا
القتل فيهم .

وذكر علي بن محمد أن الجنيدي بن عبد الرحمن قال في بعض ليالي حربه ^(٢)
الترك بالشعب : ليلة كليلة الجراح ويوم كيومه ؛ فقبل له : أصلحك الله !

إنَّ الجَرَّاحَ سَيرَ إليه فقتلَ أهلَ الحِجَبي والحفاظ ، فجَنَّ عليه الليل ، فانسلَّ الناس من تحت الليل إلى مدائن لهم بأذَرَبِيجان ، وأصبح الجَرَّاح في قلة فقتل .

* * *

وفي هذه السنة وجَّه هشام أخاه مسلمة بن عبد الملك في أثر الترك فسار ١٥٣٢/٢ في شتاء شديد البرد والمطر والثلوج فطلبهم — فيما ذكر — حتى جاز الباب في آثارهم ، وخلف الحارث بن عمرو الطائي بالباب .

* * *

[ذكر وقعة الجنيدي مع الترك]

وفي هذه السنة كانت وقعة الجنيدي مع الترك ورئيسهم خاقان بالشعب . وفيها قتل سورة بن الحرّ ، وقد قيل إن هذه الوقعة كانت في سنة ثلاث عشرة ومائة .

ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها وكيف كانت :

ذكر عليّ بن محمد عن أشياخه أن الجنيدي بن عبد الرحمن خرج غازياً في سنة اثنتي عشرة ومائة يريد طَخَسَارِستان ، فنزل على نهر بَلَسُخ ، ووجَّه عُمارَة ابن حُرَيم إلى طَخَسَارِستان في ثمانية عشر ألفاً وإبراهيم بن بسام الليثي في عشرة آلاف في وجه آخر ، وجاشت الترك فأتوا سَمَرْقَنْد ، وعليها سورة بن الحرّ ، أحد بني أبان بن دارم ، فكتب سورة إلى الجنيدي : إن خاقان جاش بالترك ، فخرجتُ إليهم فما قدرتُ أن أمنع حائط سَمَرْقَنْد ؛ فالغوْثُ (١) !

فأمر الجنيدي الناس بالعُبور ، فقام إليه المجشّر بن مزاحم السلمي وابن بسطام الأزدي وابن صُبُح الخَرَقِي ، فقالوا : إن التُّرك ليسوا كغيرهم ، لا يلقونك صفّاً ولا زحفاً ، وقد فرقت جندك ، فسلم بن عبد الرحمن بالنيسرود ، والبخرى بهرة ، ولم يحضرَك أهل الطالِيقان ، وعمارة بن حُرَيم غائب (٢) . وقال له المجشّر : إن صاحب خراسان لا يعبر النهر في أقلّ من خمسين ألفاً ؛ فكتب إلى

(١) ابن الأثير : « فالغوْث الغوث » . (٢) بعدها في ابن الأثير : « بطخارستان » .

عمارة فليأتك، وأمهل ولا تعجل^(١)، قال: فكيف بسورة ومن معه من المسلمين! ولم أكن إلا في بني مرة، أو من طلع معي من أهل الشام لعبت. وقال: أليس أحق الناس أن يشهد الوغى^(٢) وأن يقتل الأبطال ضخم^(٣) على ضخم^(٤) وقال:

ما عِلَّتِي ما عِلَّتِي ما عِلَّتِي ! إِنْ لَمْ أَقَاتِلْهُمْ فَجُرُّوا لِمَتِي
قال: وعبر فنزل كيس^(٥)، وقد بعث الأشهب بن عبيد الحنظلي ليعلم علم القوم، فرجع إليه وقال: قد أتوك فتأهب للمسير.
وبلغ الترك فعمروا^(٦) الآبار التي في طريق كيس^(٧) وما فيه من الركاب، فقال الحنيد: أي الطريقين إلى سمرقند أمثل؟ قالوا: طريق المحترقة. قال الحبش بن مزاحم السلمى: القتل بالسيف أمثل من القتل بالنار؛ إن طريق المحترقة فيه الشجر والحشيش ولم يزرع منذ سنين، فقد تراكم بعضه على بعض، فإن لقيت خاقان أحرق ذلك كله، فقتلنا بالنار والدخان؛ ولكن خذ طريق العقبة، فهو بيننا وبينهم سواء.

١٥٣٤/٢

فأخذ الحنيد طريق العقبة، فارتقى في الجبل، فأخذ الحبش بعنان دابته، وقال: إنه كان يقال: إن رجلاً من قيس مترفاً يهلك على يديه جند من جنود خراسان؛ وقد خفنا أن تكونه. قال: أفرخ روعاك، فقال الحبش: أما إذا كان بيننا مثلك فلا يفرخ. فبات في أصل العقبة، ثم ارتحل حين أصبح؛ فصار الحنيد بين مرتحل ومقيم؛ فتلقي فارساً، فقال: ما اسمك؟ فقال: حرب؛ قال: ابن من؟ قال: ابن محربة، قال: من بني من؟ قال: من بني حسنظلة، قال: سلط الله عليك الحرب والحرب والكلاب. ومضى بالناس حتى دخل الشعب وبينه وبين مدينة سمرقند أربعة^(٨) فراسخ، فصبتحه خاقان في جمع عظيم^(٩)، وزحف إليه أهل السغد والشاش وفرغانة وطائفة من الترك. قال: فحمل خاقان على المقدمة وعليها^(١٠) عثمان

(١) «تستعجل». (٢) ف: «أن يشهدوا». (٣) كذا في ح، ف، و ط: «ضخم على ضخم». (٤) في اللسان عن شمر: «عورت عيون المياه إذا دفنتها وسدتها، وعورت الركبة إذا كبستها بالتراب حتى تنسد عيونها». (٥) ط: «أربع». (٦) ب: «كبير». (٧) ح: «عليها».

ابن عبد الله بن الشَّخِير ، فرجعوا إلى العسكر والتَّركَ تَتَبِعَهُمْ ؛ وجاءوهم من كلِّ وجه ؛ وقد كان الإخْرِيدُ قال للجَنيْد : ردَّ النَّاسَ إلى العسكر ؛ فقد جاءكَ جمع كثير ؛ فطلع أوائلُ العدوِّ والنَّاسُ يتغدَّوْنَ ، فرآهم عبيد الله بن زهير بن حَيَّان ، فكره أن يُعَلِّمَ النَّاسَ حتَّى يفرغوا من غداثهم ؛ والتفت أبو الذَّيَال ، فرآهم ، فقال : العدوِّ ! فركب النَّاسُ إلى الجَنيْد ، فصيَّرَ تَمِيماً والأزْدَ في الميمنة وربيعة في الميسرة ممَّا يلي الجبل ؛ وعلى مجحفة^(١) خيل بني تميم عبيد الله بن زهير بن حَيَّان ، وعلى المجرَّة عمر — أو عمرو — بن جَرْفاس^(٢) بن عبد الرحمن بن شقران المنقرى ، وعلى جماعة بني تميم عامر ابن مالك الحِمَّانيّ ، وعلى الأزْدَ عبد الله بن بَسْطَام بن مسعود بن عمرو المعنى ؛ وعلى خيلهم : المجحفة والمجرَّة فُضَيْل بن هناد وعبد الله بن حوْذان ؛ أحدهما على المجحفة ، والآخر على المجرَّة — ويقال : بل كان بشر بن حوْذان أخو عبد الله بن حوْذان الجَهْضَميَّ — فالتقوا وربيعة ممَّا يلي الجبل في مكان ضيِّق ؛ فلم يقدم عليهم أحد ؛ وقصد العدوُّ للميمنة وفيها تميم والأزْدَ في موضع واسع فيه مجال للخيل . فترجَّلَ حَيَّان بن عبيد الله بن زهير بين يدي أبيه ، ودفع بِرِذْوَنِهِ إلى أخيه عبد الملك ، فقال له أبوه : يا حَيَّان ، انطلق إلى أخيك فإنه حَدَثٌ وأخاف عليه . فأبى ، فقال : يا بُنَيَّ ، إنك إن قُتِلْتَ على حالِكَ هذه قُتِلْتَ عاصيًّا . فرجع إلى الموضع الذي خَلَفَ فيه أخاه والبرذون ؛ فإذا أخوه قد لحق بالعسكر ، وقد شدَّ البرذون ، فقطع حَيَّان مِقْوَدَهُ وركبه ؛ فأتى العدوِّ ؛ فإذا العدوُّ قد أحاط بالموضع الذي خلف فيه أباه وأصحابه ، فأمدَّهم الجُنيْدُ بنصر بن سيار في سبعة معه ؛ فيهم جميل بن غزوان العدويّ ، فدخل عبيد الله بن زهير معهم ، وشدُّوا على العدوِّ فكشفوهم ثم كروا عليهم ؛ فقتلوا جميعاً ، فلم يفلت منهم أحدٌ من كان في ذلك الموضع ، وقُتِلَ عبيد الله بن زهير وابن حوْذان وابن جَرْفاس والفُضَيْل بن هَتَّاد .

وجالت الميمنة والجُنيْدُ واقف في القلب ، فأقبل إلى الميمنة ، فوقف تحت

(١) يقال : فرس مجحف ، عليه تجفاف ، وهو ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح .

(٢) ابن الأثير : « جرفاش » .

راية الأزْد - وقد كان جفاهم - فقال له صاحب راية الأزْد: ماجئتنا لتجربونا ولا لتكرمنا؛ ولكنك قد علمت أنه لا يوصل إليك ومنا رجل حتى؛ فإن ظفرنا كان لك؛ وإن هلكنا لم تبك علينا. ولعمري لئن ظفرنا وبقيت لأكلتكم كلمة أبداً. وتقدم فقتل. وأخذ الراية ابن جماعة فقتل، فتداول الراية ثمانية عشر رجلاً منهم فقتلوا، فقتل يومئذ ثمانون رجلاً من الأزْد.

قال: وصبر الناس يقاتلون حتى أعيوا؛ فكانت السيوف لا تعيك ولا تقطع شيئاً، فقطع عبيدُهم الخشب يقاتلون به، حتى ملَّ الفريقان فكانت المعانقة، فتحاجزوا، فقتل من الأزْد حمزة بن جماعة العتكي ومحمد بن عبد الله بن حوْذان الجهضمي، وعبد الله بن بسطام المعني وأخوه زعيم والحسن ابن شيخ والفضيل الحارثي - وهو صاحب الخيل - ويزيد بن الفضل الحداني؛ وكان حججاً فأنفق في حجه ثمانين ومائة ألف؛ فقال لأمه وحشيّة: ادعي الله أن يرزقني الشهادة، فدعت له، وغشبي عليه؛ فاستشهد بعد مقدّمه من الحج بثلاثة عشر يوماً، وقاتل معه عبدان له؛ وقد كان أمرهما بالانصراف فقتلوا؛ فاستشهدا.

١٥٣٧/٢

قال: وكان يزيد بن الفضل حمل يوم الشعب على مائة بعير سويقاً للمسلمين؛ فجعل يسأل عن الناس، ولا يسأل عن أحد إلا قيل له: قد قتل؛ فاستقدم وهو يقول: لا إله إلا الله؛ فقاتل حتى قتل.

وقاتل يومئذ محمد بن عبد الله بن حوْذان وهو على فرس أشقر، عليه تجفاف مذهب، فحمل سبع مرات يقتل في كل حملة رجلاً، ثم رجع إلى موقفه، فهابه من كان في ناحيته، فناداه ترجمان للعدو^(١): يقول لك الملك: لا تقبل وتحول إلينا؛ فرفض صنمنا الذي نعبد ونعبدك؛ فقال محمد: أنا أقاتلكم لتتركوا عبادة الأصنام وتعبدوا الله وحده. فقاتل واستشهد.

وقتل جشم بن قرط الهلالي من بني الحارث، وقتل النضر بن راشد العبدى؛ وكان دخل على امرأته والناس يقتتلون، فقال لها: كيف أنت إذا أتيت بأبي ضمرة. في لبد مضرّجا بالدماء؟ فشقت جيبيها ودعت بالويل؛

١٥٣٨/٢

فقال : حسبك ، لو أعولت على كل أنثى لعصيتها شوقاً إلى الحور العين ؛ ورجع فقاتل حتى استشهد رحمه الله . قال : فبينما الناس كذلك إذ أقبل رهج ، فطلعت فرسان ؛ فنادى منادى الجنييد : الأرض ، الأرض ! فترجل وترجل الناس ، ثم نادى منادى الجنييد : ليخندق كل قائد على حياله ؛ فخندق الناس . قال : ونظر الجنييد إلى عبد الرحمن بن مكيّة يحمل على العدو ، فقال : ما هذا الخروطوم السائل ؟ قيل له : هذا ابن مكيّة ، قال : ألسان البقرة ! لله درّه أى رجل هو ! وتحاجزوا ، وأصيب من الأزد مائة وتسعون .

وكانوا لقوا خاقان يوم الجمعة ، فأرسل الجنييد إلى عبد الله بن معمر بن سُمَيْرِ الشكرى أن يقف في الناحية التي تلي كيس ويحبس من مرّ به ، ويحوز الأثقال والرجالة ؛ وجاءت الموالى رجالة ، ليس فيهم غير فارس واحد والعدو يتبعونهم ؛ فثبت عبد الله بن معمر للعدو ، فاستشهد في رجال من بكر ، وأصبحوا يوم السبت ، فأقبل خاقان نصف النهار ؛ فلم ير موضعاً للقتال فيه أيسر من موضع بكر بن وائل ، وعليهم زياد بن الحارث ، فقصد لهم ، فقالت بكر لزياد : القوم قد كثرونا ، فخلّ عنا نحمل عليهم قبل أن يحملوا علينا ، فقال لهم : قد مارست^(١) سبعين سنة ، إنكم إن حملتم عليهم فصعدتم انهزمت ؛ ولكن دعوهم حتى يقربوا . ففعلوا ، فلما قربوا منهم حملوا عليهم فأخرجوا لهم ، فسجد الجنييد ، وقال خاقان يومئذ : إن العرب إذا أحرّجوا استقتلوا ؛ فخلّوهم حتى يخرجوا ؛ ولا تعرّضوا لهم ؛ فإنكم لا تقومون لهم .

١٥٣٩/٢

وخرج جوارٍ للجنييد يولولن ؛ فانتدب رجال من أهل الشام ، فقالوا : الله الله يا أهل خراسان ! إلى أين ؟ وقال الجنييد : ليلة كليلة الجراح ، ويوم كيومه .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل سورة بن الحر]

وفي هذه السنة قتل سورة بن الحر التميمي .

(١) بعدها في ح ، ف : « منذ » .

• ذكر الخبر عن مقتله :

ذكر عليّ عن شيوخه ، أن عبيد الله بن حبيب قال للجنيّد : اختر بين أن تهلك أنت أو سورة ، فقال : هلاك سورة أهون عليّ ، قال : فاكتب إليه فليأتك في أهل سمرقند ؛ فإن التّرك إن بلغهم أن سورة قد توجهت إليك انصرفوا إليه فقاتلوه . فكتب إلى سورة يأمره بالقدوم - وقيل : كتب أغني - فقال عبادة بن السليل المحاربيّ أبو الحكم بن عبادة لسورة : انظر أبرّد بيت بسمرقند فمّم فيه ، فإنك إن خرجت لا تبالي أسخط عليك الأمير أم رضى . وقال له حُلَيْس بن غالب الشيبانيّ : إن التّرك بينك وبين الجنيّد ؛ فإن خرجت كرّوا عليك فاخطفوك .

١٥٤٠/٢

فكتب إلى الجنيّد : إني لا أقدر على الخروج ؛ فكتب إليه الجنيّد : يا بن اللّخاء ، (١) تخرج وإلا وجهت إليك (٢) شدّاد بن خالد (٣) الباهليّ - وكان له عدوّ - فاقدّم وضع فلاناً بفرخشاذ في خمسمائة ناشب ، والزّم الماء فلا تفارقه .

فأجمع على المسير ، فقال الوجّف بن خالد العبدىّ : إنك لمهلك نفسك والعرب بمسيرك ؛ ومهلك من معك ، قال : لا يُخْرِج حملى (٣) من التّنزور حتى أسير ؛ فقال له عبادة وحُلَيْس : أما إذ أبيت إلا المسير فخذ على النهر ، فقال : أنا لا أصل إليه على النهر في يومين ، وبينى وبينه من هذا الوجه ليلة فأصبتحه ؛ فإذا سكنت الزّجّل (٤) سرتُ فأعبره (٥) .

فجاءت عيون الأتراك فأخبروهم ، وأمر سورة بالرحيل ؛ واستخلف على سمرقند موسى بن أسود ؛ أحد بنى ربيعة بن حنظلة ، وخرج في اثني عشر ألفاً ، فأصبح على رأس جبل ؛ وإنما دلّه على ذلك الطريق عِلْج يسمى كارتقبد ؛ فتلقاه خاقان حين أصبح وقد سار ثلاثة فراسخ ، وبينه وبين

(١-١) ح ، ف : « لتقدمن أو لأوجهن » .

(٢) ابن الأثير : « خليد » .

(٣) ح : « حمل » .

(٤) الزجل : جمع زجلة ؛ وهى الجماعة من الناس ، وفي ابن الأثير : « سكنت الرجل » ، وما أثبتته من تصويبات ط .

(٥) ح ، ف : « فأصبعه » .

الجنيد فرسخ : فقال أبو الذّيال : قاتلهم في أرض خـوّارة ، فصبر وصبروا حتى اشتدّ الحرّ .

وقال بعضهم : قال له غوزك : يومك يوم حارّ فلا تقاتلهم حتى تحمى عليهم الشمس وعليهم السلاح تثقلهم . فلم يقاتلهم خاقان ؛ وأخذ برأى ١٥٤١/٢ غوزك ، وأشعل النار^(١) في الحشيش ، وواقفهم وحال بينهم وبين الماء ، فقال سـوّرة لعبادة : ما ترى يا أبا السليل ؟ قال : أرى والله أنه ليس من الترك أحد إلا وهو يريد الغنيمة ؛ فاعقر هذه الدوابّ وأحرق هذا المتاع ، وجرّد السيف ؛ فإنهم يُخذلون لنا الطريق . قال أبو الذّيال : فقال سـوّرة لعبادة : ما الرأي ؟ قال : تركت الرأي ، قال : فما ترى الآن ؟ قال : أن ننزل فنشـرع الرّماح ، ونزحف زحفاً ، فإنما هو فرسخ حتى نصل إلى العسكر ، قال : لا أقوى على هذا ؛ ولا يقوى فلان وفلان . . . وعدد رجالاً ؛ ولكن أرى أن أجمع الخيل ومنّ أرى أنه يقاتل فأصكّهم ؛ سلمت أم عطيت ؛ فجمع الناس وحملوا فانكشفت الترك ، وثار الغبار فلم يبصروا ، ومن وراء الترك اللهب^(٢) ؛ فسقطوا فيه ، وسقط فيه العدوّ والمسلمون ، وسقط سـوّرة فاندقت فخذة ، وتفرّق الناس ، وانكشفت الغمة والناس متفرّقون ، فقطعتهم الترك ، فقتلوه فلم ينج منهم غير ألفين - ويقال : ألف - وكان ممن نجا عاصم بن عمير السـمـرقنديّ ، عرفه رجل من الترك فأجاره ؛ واستشهد حليس بن غالب الشيبانيّ ، ١٥٤٢/٢ فقال رجل من العرب : الحمد لله ؛ استشهد حليس ، ولقد رأيته يرى البيت أيام الحجاج ويقول : درى عقاب ، بلبن وأخشاب ؛ وامرأة قائمة ، فكلّما رمى بحجر قالت المرأة : يا ربّ بى ولا بيتك ! ثم رُزق الشهادة .

وانحاز المهلب بن زياد العجليّ في سبعمئة ومعه قريش بن عبد الله العبدىّ إلى رُستاق يسمى المرغاب ؛ فقاتلوا أهل قَصْر من قصورهم ؛ فأصيب المهلب بن زياد ، ولوّوا أمرهم الوجف بن خالد ، ثم أتاهم الأشكند صاحب نَسَف في خيـل ومعه غوزك ، فقال غوزك : يا وجف ، لكم الأمان ، فقال

(١) ب : « النيران » .

(٢) اللهب : الصدع في الجبل ، أو الشعب الصغير فيه .

قريش : لا تتقوا بهم ؛ ولكن إذا جننا الليل خرجنا عليهم حتى نأتى سمرقند ؛
فإننا إن أصبحنا معهم قتلونا .

قال : فعصوه وأقاموا ، فساقوهم إلى خاقان ؛ فقال : لا أجيز أمان
غوزك ، فقال غوزك للوجف : أنا عبد لخاقان من شاكريته ، قالوا : فلم
غرزتنا ^(١) ؟ فقاتلهم الوجف وأصحابه ، فقتلوا غير سبعة عشر رجلا دخلوا
الحائط . وأمسوا ، ففقطع المشركون شجرة فألقوها على ثلثة الحائط ؛ فجاء

١٥٤٣/٢

قريش بن عبد الله العبدى إلى الشجرة فرمى بها ؛ وخرج فى ثلاثة فباتوا فى
ناووس ^(٢) فكمنوا ^(٣) فيه وجبن الآخرون فلم يخرجوا ، فقتلوا حين أصبحوا .
وقتل سورة ؛ فلما قُتل خرج الجنيذ من الشعب يريد سمرقند مبادراً ، فقال له
خالد بن عبيد الله بن حبيب : سر ^(٤) سر ، ومجشتر بن مزاحم السلمى يقول : أذكرك
الله أقم ؛ والجنيذ يتقدم ، فلما رأى المجشتر ذلك نزل فأخذ بلجام الجنيذ ،
فقال : والله لا تسير ولتزلن طائعا أو كارهيا ، ولاندعك تهلكنا بقول هذا
الهجرى ، انزل . فنزل ونزل الناس فلم يتتام ^(٥) نزولهم حتى طلع الترك ، فقال
المجشتر : لو لقونا ونحن نسير ، ألم يستأصلونا ! فلما أصبحوا تناهضوا ، فأنكشفت
طائفة ، وجال الناس ، فقال الجنيذ : أيها الناس ؛ إنها النار ؛ فراجعوا . وأمر
الجنيذ رجلا فنادى : أى عبد قاتل فهو حر ؛ فقاتل العبيد قتالا شديدا
عجب الناس منه ؛ جعل أحدهم يأخذ اللبد فيجوبه ويجعله فى عنقه ، يتوقى
به . فسر الناس بما رأوا من صبرهم ، فكرر العدو ، وصبر الناس حتى انهزم
العدو . فمضوا ، فقال موسى بن النعر ^(٦) للناس : أتفرحون بما رأيتم من العبيد !
والله إن لكم منهم ليومًا أرونان ^(٧) . ومضى الجنيذ فأخذ العدو رجلا من
عبد القيس فكتفوه ، وعلّقوا فى عنقه رأس بلعاء العبرى بن مجاهد بن بلعاء ؛
فلقيه الناس فأخذ بنو تميم الرأس فدفعوه ، ومضى الجنيذ إلى سمرقند ؛ فحمل

١٥٤٤/٢

(١) ب : « عرضتنا » .

(٢) ح ، ف : « فأتوا ناووسا » .

(٣) ب : « كنوا » .

(٤) ابن الأثير : « فلم يستم » .

(٥) ابن الأثير : « النعراء » .

(٦) ابن الأثير : « الشديدي فى كل شيء من حر أو برد أو جلبة أو صباح ،

قال النابغة الجعدي :

فظلّ لنسوة النعمان منّا على سفوان يوم أرونان

عيال مَن كان مع سَـوَرَة إلى مَـرَو ، وأقام بالسُّغْد أربعة أشهر ؛ وكان صاحبَ رأى خراسان في الحرب المَجْشَر بن مزاحم السُّلَميَّ وعبد الرحمن بن صبح الحِـرَاقَ وعبيد الله بن حبيب المَجْريَّ ، وكان المَجْشَر يُنزل الناس على راياتهم ، ويضع المسالِح ليس لأحد مثل رأيه في ذلك ، وكان عبد الرحمن ابن صبح إذا نزل الأمر العظيم في الحرب لم يكن لأحد مثل رأيه ؛ وكان عبيد الله بن حبيب على تعبئة القتال ، وكان رجال من الموالى مثل هؤلاء في الرأى والمشورة والعلم بالحرب ؛ فنهَم الفضل بن بسّام مولى بنى ليث وعبد الله ابن أبى عبد الله مولى بنى سليم والبَحْثَرى بن مجاهد مولى بنى شيبان .

قال : فلما انصرف التَّرك إلى بلادهم بعث الجُنَيْد سيفَ بن وصَّاف العَجَلِيَّ من سَمَرْقَنْد إلى هشام ، فجَبُن عن السير وخاف الطريق ، فاستعفاه فأعفاه ؛ وبعث نهار بن تَوْسِعة أحد بنى تيم اللات وزُمَيْل بن سُوَيْد^(١) المَرُثِيَّ ؛ مرَّة غطفان ، وكتب إلى هشام : إن سَـوَرَة عصاني ، أمرتُه بلزوم الماء فلم يفعل ، ففترَّق عنه أصحابه ، فأتتني طائفة إلى كَيْس ، وطائفة إلى نَسَف ، وطائفة إلى سَمَرْقَنْد ، وأصيب سَـوَرَة في بقيَّة أصحابه .

قال : فدعا هشام نهارَ بن تَوْسِعة ، فسأله عن الخبر فأخبره بما شهد ، فقال نهار بن تَوْسِعة :

لعمرك ما حابيتنى إذ بَعَثْتَنِي ولكنَّما عَرَّضْتَنِي لِلْمَتَالِفِ
دَعَوْتَ لَهَا قوماً فهابوا رُكُوبَهَا وَكُنْتُ أَمْرًا رَكَابَةً لِلْمَخَافِ^(٢)
فَأَيَّقَنْتُ إِنْ لَمْ يَدْفَعْ اللَّهُ أُنَى طَعَامُ سِبَاعٍ أَوْ لَطِيرٍ عَوَائِفِ
قَرِينُ عَرَاكِ وَهُوَ أَيْسَرُ هَالِكِ عَلَيْكَ وَقَدْ زَمَلَّتَهُ بِصَحَائِفِ
فإِنِّي وَإِنْ أَثَرَتْ مِنْهُ قَرَابَةٌ لِأَعْظَمُ حُظًّا فِي جِبَاءِ الْخِلَافِ
على عهدِ عِثْمَانَ وَفَدَّنَا وَقَبْلَهُ وَكُنَّا أُولَى مَجْدٍ تَلِيدٍ وَطَارِفِ

قال : وكان عراك معهم في الوفد ، وهو ابن عمِّ الجُنَيْد ، فكتب إلى الجُنَيْد : قد وجَّهت إليك عشرين ألفاً مدداً ؛ عشرة آلاف من أهل البصرة عليهم عمرو بن مسلم ، ومن أهل الكوفة عشرة آلاف عليهم عبد الرحمن

(١) ابن الأثير : « وزبل بن سويد » . (٢) ط : « ركابه للمخاوف »

ابن نعيم ، ومن السلاح ثلاثين ألف رمح ومثلها ترسة ، فافرض فلا غاية لك في الفريضة الخمسة عشر ألفاً .

قال : ويقال إن الجنييد أوفد الوفد إلى خالد بن عبد الله ، فأوفد خالد إلى هشام : إنَّ سَـوْرَةَ بن الحُرِّ خرج يتصيّد مع أصحاب له فهجم عليهم التَّرك ، فأصيبوا . فقال هشام حين أتاه مصاب سورة : إنا لله وإنا إليه راجعون ! مُصَاب سَـوْرَةَ بن الحُرِّ بخراسان والجراح بالباب ! وأبلى ^(١) نصر بن سيار يومئذ بلاء حسناً ، فانقطع سيفه ، وانقطع سيور ركابه ؛ فأخذ سيور ركابه ؛ فضرب بهارجلاً حتى أثخنه ، وسقط في اللهب مع سَـوْرَةَ يومئذ عبد الكريم ابن عبد الرحمن الحنفيّ وأحد عشر رجلاً معه . وكان ممن سلم من أصحاب سَـوْرَةَ ألف رجل ، فقال عبد الله بن حاتم بن النعمان : رأيت فساطيط مبنية بين السماء والأرض ؛ فقلت : لمن هذه ؟ فقالوا : لعبد الله بن بسطام وأصحابه ، فقتلوا من غد ؛ فقال رجل : مررت في ذلك الموضع بعد ذلك بحين فوجدت رائحة المسك ساطعة . قال : ولم يشكر الجنييد لنصر ما كان من بلائه ، فقال نصر :

١٥٤٦/٢

إِنْ تَحْسُدُونِي عَلَى حُسْنِ الْبَلَاءِ لَكُمْ يَوْمًا ، فَمِثْلُ بَلَائِي جَرَّ لِي الْحَسَدَا
يَأْبَى إِلَهُ الَّذِي أَعْلَى بِقُدْرَتِهِ كَعْبِي عَلَيْكُمْ وَأَعْطَى فَوْقَكُمْ عَضْدَا
وَضَرَبَنِي التَّركَ عَنْكُمْ يَوْمَ فَرَقَكُمْ بِالسَّيْفِ فِي الشَّعْبِ حَتَّى جَاوَزَ السَّنَدَا
قال : وكان الجنييد يوم الشعب أخذ في الشعب ، وهو لا يرى أن أحدًا
يأتيه من الجبال ، وبعث ابن الشَّخِير في مقدمته ، واتخذ ساقه ^(٢) ؛ ولم
يتخذ مجنبتين .

١٥٤٧/٢

وأقبل خاقان فهزم المقدمة ، وقتل من قتل منهم ، وجاءه خاقان من قبل ميسرته وجبغويه من قبل الميمنة ، فأصيب رجال من الأزْد وتيم ، وأصابوا له سرادقات وأبنية ، فأمر الجنييد حين أمسى رجلاً من أهل بيته ، فقال له : امش في الصفوف والدراجة ، وتسمع ما يقول الناس ؛ وكيف حالهم ؛ ففعل

ثم رجع إليه ، فقال : رأيتهم طيبة أنفسهم ، يتناشدون الأشعار ، ويقرءون القرآن ؛ فسرّه ذلك ، وحمد الله .

قال : ويقال نهضت العبيد يوم الشعب من جانب العسكر وقد أقبلت الترك والسغد ينحدرون ؛ فاستقبلهم العبيد وشدوا عليهم بالعمد ، فقتلوا منهم تسعة ، فأعطاهم الجنيّد أسلابهم .

وقال ابن السجّاف في يوم الشعب ؛ ويعني هشاماً :

أذكر يتامى بأرض الترك ضائعة هزلى كأنهم في الحائط الحجل
وارحم ، وإلاً فهبها أمة دمّرت لا أنفس بقيت فيها ولا ثقل
لا تأملن بقاء الدهر بعدهم والمرء ما عاش ممدود له الأمل
لأقوا كتائب من خافان معلّمة عنهم يضيق فضاء السهل والجبل
لما رأوهم قليلاً لا صريخ لهم مدوا بأيديهم لله وابتهلوا
وبأيعوا رب موسى بيعة صدقت ما في قلوبهم شك ولا دغل

١٥٤٨/٢

قال : فأقام الجنيّد بسمّركند ذلك العام ، وانصرف خافان إلى بخارى وعليها قطن بن قتيبة ، فخاف الناس الترك على قطن ، فشاورهم الجنيّد ، فقال قوم : الزم سمرقند ، واكتب إلى أمير المؤمنين بمدك بالجنود . وقال قوم : تسير فتأني ربّنجسن ، ثم تسير منها إلى كيس ، ثم تسير منها إلى نسف ، فتصل منها إلى أرض زم ؛ وتقطع النهر وتنزل أمل ، فتأخذ عليه بالطريق .

فبعث إلى عبد الله بن أبي عبد الله ، فقال : قد اختلف الناس على — وأخبره بما قالوا — فما الرأي ؟ فاشترط عليه ألا يخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال أو نزول أو قتال ، قال : نعم ؛ قال : فإني أطلب إليك خيصالاً ، قال : وما هي ؟ قال : تخندق حينما نزلت ؛ ولا يفوتنك حمل الماء ولو كنت على شاطئ نهر ، وأن تطيعني ^(١) في نزولك وارتحالك . فأعطاه ما أراد .

١٥٤٩/٢

قال : أما ما أشار به عليك في مقامك بسمّركند حتى يأتيك الغياث ، فالغياث يبطل عنك ^(٢) ، وإن سرت فأخذت بالناس غير الطريق فتت في أعصادهم ؛

فانكسروا عن عدوّهم ، فاجترأ عليك خاقان ؛ وهو اليوم قد استفتح بخارى فلم يفتحوا له ، فإن أخذت بهم غير الطريق تفرق الناس عنك مبادرين إلى منازلهم ، ويبلغ أهل بخارى فيستسلموا لعدوّهم ؛ وإن أخذت الطريق الأعظم هابك العدو؛ والرأى لك أن تعمد إلى عيالات من شهيد الشعب من أصحاب سِوَرَة فتقسّمهم على عشائهم وتحملهم معك ؛ فإني أرجو بذلك أن ينصرّك الله على عدوّك ، وتعطى كل رجل تخلف بسمرقند ألف درهم وفرساً .

قال : فأخذ برأيه ، فخلف في سمرقند عثمان بن عبد الله بن الشّخير في ثمانمائة : أربعمائة فارس وأربعمائة راجل ، وأعطاهم سلاحاً . فشمّ الناس عبد الله بن أبي عبد الله مولى بنى سليم ، وقالوا : عرّضنا لخاقان والترك ، ما أراد إلا هلاكنا !

فقال عبيد^(١) الله بن حبيب لحرب بن صبح : كم كانت لكم الساقة اليوم ؟ قال : ألف وسمائة ، قال : لقد عرّضنا للهلاك . قال : فأمر الجنيّد بحمل العيال . ١٥٥٠/٢

قال : وخرج والناس معه ، وعلى طلائعه الوليد بن القعقاع العبسيّ وزياد ابن خيران الطائيّ ، فسرح الجنيّد الأشهب بن عبيد^(٢) الحنظليّ ، ومعه عشرة من طلائع الجند ، وقال له : كلما مضيت مرحلة فسرح إلى رجلا يعلمنى الخبر .

قال : وسار الجنيّد ؛ فلما صار بقصر الريح^(٣) أخذ عطاء الدبوسى بلجام الجنيّد وكبحه ، فقرع رأسه هارون الشاشيّ مولى بنى حازم بالرمح حتى كسره على رأسه ، فقال الجنيّد هارون : خلّ عن الدبوسى ، وقال له : مالك يا دبوسى ؟ فقال : انظر أضعف شيخ في عسكريّ فسلحه سلاحاً تاماً ، وقلّده سيفاً وجعبة وترساً ، وأعطه رمحاً ، ثم سرب بنا على قدر مشيه ؛ فإذا لا نقدر على السوق والقتال وسرعة السير ونحن رجالة . ففعل ذلك الجنيّد ؛

(١) ط : « عبد » ؛ وما أثبت من تصويبات ط .

(٢) ط : « عبيد الله » ؛ وأثبت ما في التصويبات .

(٣) ح : « الريح » .

فلم يعرض للناس عارض حتى خرجوا من الأماكن المخوفة ، ودنا من الطواويس ، فجاءتنا الطلائع بإقبال خاقان ، فعرضوا له بكرميينية ، أول يوم من رمضان . فلما ارتحل الجنيد من كرميينية قدم محمد بن الرندي في الأساورة آخر الليل ؛ فلما كان في طرف مفازة كرميينية رأى ضعف العدو ؛ فرجع إلى الجنيد فأخبره ؛ فنادى منادى الجنيد : ألا يخرج المكتوبون ^(١) إلى عدوهم ؟ فخرج الناس ، ونشبت الحرب ، فنادى رجل : أيها الناس ، صرتم حرورية فاستقتلتم . وجاء عبد الله بن أبي عبد الله إلى الجنيد يضحك ، فقال له الجنيد : ما هذا بيوم ضحك ! فقيل له : إنه ضحك تعجباً ، فالحمد لله الذي لم يلقك هؤلاء إلا في جبال معطشة ؛ فهم على ظهر وأنت مخندق آخر النهار ، كالتين وأنت معك الزاد ؛ فقاتلوا قليلاً ثم رجعوا . وكان عبد الله بن أبي عبد الله قال للجنيد وهم يقاتلون : ارتحل ، فقال الجنيد : وهل من حيلة ؟ قال : نعم ، تمضي برايتك قدّر ثلاث غلاء ^(٢) ، فإن خاقان ودّ أنك أقمت فينطوى عليك إذا شاء . فأمر بالرحيل وعبد الله بن أبي عبد الله على الساقة . فأرسل إليه : انزل ، قال : أنزل على غير ماء ! فأرسل إليه : إن لم تنزل ذهبت خراسان من يدك ؛ فنزل وأمر الناس أن يسقوا ، فذهب الناس الرجال والناشبة ؛ وهم صفّان ؛ فاستقوا وباتوا ، فلما أصبحوا ارتحلوا ، فقال عبد الله ابن أبي عبد الله : إنكم معشر العرب أربعة جوانب ؛ فليس يعيب بعضهم بعضاً ؛ كل ربع لا يقدر أن يزول عن مكانه : مقدّمة — وهم القلب — ومجنبتان وساقة ؛ فإن جمع خاقان خيله ورجاله ثم صدم جانباً منكم — وهم الساقة — كان بواركم ، وبالحرى أن يفعل ؛ وأنا أتوقع ذلك في يوم ، فشدوا الساقة بخيل . فوجه الجنيد خيل بنى تميم والمجففة ، وجاءت الترك فالت على الساقة ؛ وقد دنا المسلمون من الطواويس فاقتلوا ، فاشتد الأمر بينهم ، فحمل سلم بن أحوّر على رجل من عظماء الترك فقتله . قال : فتطير الترك ، وانصرفوا من الطواويس ؛ ومضى المسلمون ؛ فأتوا بخارى يوم المهرجان . قال : فتلقونا بدراهم بخارية ، فأعطاهم عشرة عشرة ، فقال عبد المؤمن بن خالد : رأيت

١٥٥١/٢

١٥٥٢/٢

(٢) غلاء : جمع غلوة ؛ وهي مري السهم .

(١) ب : « المكذبون » .

عبد الله بن أبي عبد الله بعد وفاته في المنام ، فقال : حَدَّثَ النَّاسَ عَنِّي بِرَأْيِ يَوْمِ الشَّعْبِ .

قال : وكان الجُنَيْدُ يذكر خالد بن عبد الله ، ويقول : رَبَذَةَ مِنَ الرَّبَذِ^(١) ، صَنْبُورُ بْنُ صَنْبُورٍ^(٢) ، قُلٌّ ابْنُ قُلٍّ ، هَيْفَةٌ مِنَ الْهَيْفِ - وزعم أن الهَيْفَةَ الضَّبْعُ ، والعُجْرَةُ الْخَنْزِيرَةُ ، والقُلُّ : الْفَرْدُ - قال : وقدمت الجُنُودُ مع عمرو بن مسلم الْبَاهِلِيَّ في أهل البصرة وعبد الرحمن بن نعيم الْغَامِدِيَّ^(٣) في أهل الكوفة وهو بِالصَّغَانِيَانِ ، فسرح معهم الْحَوْثَرَةَ بْنَ يَزِيدَ^(٤) الْعَنْبَرِيَّ فِيمَنْ انْتَدَبَ مَعَهُ مِنَ التَّجَارِ وَغَيْرِهِمْ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوا ذُرَارِيَّ أَهْلِ سَمَرْقَنْدَ ، وَيَدْعَوْا فِيهَا الْمَقَاتِلَةَ . ففعلوا .

١٥٥٣/٢

قال أبو جعفر : وقد قيل : إِنَّ وَقْعَةَ الشَّعْبِ بَيْنَ الْجُنَيْدِ وَخَاقَانَ كَانَتْ فِي سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ .

وقال نصر بن سيار يذكر يوم الشَّعْبِ وقتال العبيد :

إِنِّي نَشَأْتُ وَحُسَادِي ذُوو عَدَدٍ	ياذا المعارج لا تنقص لهم عَدَدَا
إِنْ تَحْسَدُونِي عَلَى مِثْلِ الْبَلَاءِ لَكُمْ	يوماً فمثلُ بِلَاقِي جَرٍّ لِي الْحَسَدَا
يَأْبَى إِلَهُ الَّذِي أَعْلَى بِقُدْرَتِهِ	كعبي عليكم وأعطى فوقكم عُدَدَا
أَرْمِي الْعَدُوَّ بِأَفْرَاسٍ مُكَلَّمَةٍ	حَتَّى اتَّخِذُنْ عَلَى حُسَادِهِنَّ يَدَا ^(٥)
مَنْ ذَا الَّذِي مِنْكُمْ فِي الشَّعْبِ إِذْ وَرَدُوا	لَمْ يَتَّخِذْ حَوْمَةَ الْأَثْقَالِ مُعْتَمِدَا !
فَمَا حَفِظْتُمْ مِنَ اللَّهِ الْوَصَاةَ وَلَا	أَنْتُمْ بِصَبْرِ طَلَبْتُمْ حُسْنَ مَا وَعَدَا
وَلَا نَهَاكُمْ عَنِ التَّوَنُّابِ فِي عَتَبٍ	إِلَّا الْعَبِيدُ بِضَرْبِ يَكْسِيرِ الْعَمَدَا
هَلَّا شَكَّرْتُمْ دِفَاعِي عَنْ جُنَيْدِكُمْ ^(٦)	وَقَعَ الْقَنَاءُ وَشَهَابُ الْحَرْبِ قَدْ وَقَدَا !

(١) في اللسان عن اللحياني : « إنما أنت ربذة من الربذ ، أي منتن لاخير فيك » .

(٢) في ابن الأثير : « الصنبور الذي لا أخ له . وقيل : الملقق » .

(٣) ط : « العامري » ، وما أثبتته من تصويبات ط .

(٤) ابن الأثير : « زيد » . (٥) ط : « حسادها » ، وهو خطأ وصوابه في ابن الأثير .

(٦) ابن الأثير : « هلا شهدتم » .

وقال ابن عرس العبدى ، يمدح نصراً يوم الشعب ويذم الجنيد ؛ لأن ١٥٥٤/٢
نصراً أبلى يومئذ :

يا نصرُ أنت فتى نزارٍ كُلُّها فَرَجْتَ عَنْ كُلِّ الْقَبَائِلِ كُرْبَةً
فَلَكَ الْمَآثِرُ وَالْفَعَالُ الْأَرْفَعُ
بِالشَّعْبِ حِينَ تَخَاضَعُوا وَتَضَعُضُوا
وَالنَّحْرُ دَامَ وَالْخَوَافِقُ تَلْمَعُ (١)
حَتَّى تَفَرِّجَ جَمْعُهُمْ وَتَصَدَّعُوا
وَالْمَكَارِمُ وَالْمَعَالِي أَجْمَعُ
فَالنَّاسُ كُلُّ بَعْدَهَا عَتَقَاوَكُمْ
مَا زِلْتَ تَرْمِيهِمْ بِنَفْسٍ حُرَّةٍ

وقال الشرعبي الطائي :

تَذَكَّرْتُ هِنْدًا فِي بِلَادِ غَرْبِيَّةٍ
تَذَكَّرْتُهَا وَالشَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
بِلَادُهَا خَاقَانُ جَمَّ زُحُوفُهُ
إِذَا دَبَّ خَاقَانُ وَسَارَتْ جَنُودُهُ
هِنَالِكَ - هِنْدُ - مَا لَنَا النِّصْفُ مِنْهُمْ
أَلَا رُبَّ خَوْذٍ خَذَلَةٍ قَدْ رَأَيْتُهَا
أُحَامِي عَلَيْهَا حِينَ وَلَّى خَلِيلُهَا
تَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهَا صَفَّ قَوْمِهَا
أَلَا رَجُلٌ مِنْكُمْ كَرِيمٌ يَرِثُنِي
فَمَا جَاوَبُوهَا غَيْرَ أَنَّ نَصِيفَهَا
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نَبَوَّةً فِي قُلُوبِهَا
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي أَلَوْكَأَ صَحِيفَةً
بِأَنَّ بَقَايَانَا وَأَنَّ أَمِيرَنَا
فِيَالِكَ شَوْقًا ، هَلْ لِي شَمْلِكَ مَجْمَعُ !
وَشَعْبُ عِصَامٍ وَالْمَنَايَا تَطْلَعُ
وَنِيْلَانُ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مُقْنَعُ
أَتَتَنَا الْمَنَايَا عِنْدَ ذَلِكَ شُرْعُ
وَمَا إِنْ لَنَا يَا هِنْدُ فِي الْقَوْمِ مَطْمَعُ
يَسُوقُ بِهَا جَهْمٌ مِنَ الشَّعْدِ أَصْمَعُ
تُنَادِي إِلَيْهَا الْمُسْلِمِينَ فَتُسْمَعُ (٢)
أَلَا رَجُلٌ مِنْكُمْ يَغَارُ فَيَرْجِعُ !
يَرَى الْمَوْتَ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ يَنْفَعُ !
بَكَفَّ الْفَتَى بَيْنَ الْبِرَازِيْقِ أَشْنَعُ
وَرُعْبَاءُ مَلَا أَجَوَافَهَا يَتَوَسَّعُ
إِلَى خَالِدٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَتَوَزَّعُ
إِذَا مَا عَدَدْنَاهُ الدَّلِيلُ الْمَوْقِعُ

١٥٥٥/٢

١٥٥٦/٢ هُمُ أَطْمَعُوا خَاقَانَ فِينَا وَجُنْدُهُ أَلَا لَيْتَنَّا كُنَّا هَشِيمًا يُزَعَزَعُ

وقال ابن عرس - واسمه خالد بن المعارك من بني غنم بن وديعة بن لكيز بن أفصى . وذكر علي بن محمد عن شيخ من عبد القيس أن أمه كانت أمة ، فباعه أخوه تميم بن معارك من عمرو بن لقيط أحد بني عامر بن الحارث ؛ فأعتقه عمرو لما حضرته الوفاة ، فقال : يا أبا يعقوب ؛ كم لي عندك من المال ؟ قال : ثمانون ألفاً ، قال : أنت حرٌّ وما في يدك لك . قال : فكان عمرو ينزل مَرَّو الروذ ؛ وقد اقتتل عبد القيس في ابن عرس ؛ فردَّوه إلى قومه ، فقال ابن عرس للجنيدي :

أَيْنَ حُمَاةُ الْحَرْبِ مِنْ مَعْشِرٍ كَانُوا جَمَالَ الْمَنْسَرِ الْحَارِدِ !
بَادُوا بِأَجَالٍ تَوَافَوْا لَهَا وَالْعَائِرُ الْمُمَهَّلُ كَالْبَائِدِ
فَالْعَيْنُ تُجْرِي دَمْعَهَا مُسْبِلًا مَا لِدُمُوعِ الْعَيْنِ مِنْ ذَائِدِ
انظُرْ تَرَى لِلْمَيْتِ مِنْ رَجْعَةٍ أَمْ هَلْ تَرَى فِي الدَّهْرِ مِنْ خَالِدِ !
كُنَّا قَدِيمًا يُتَّقَى بِأُسْنَا ١٥٥٧/٢ وَنَدْرَأُ الصَّادِرَ بِالْوَارِدِ

حَتَّى مُنِينَا بِالَّذِي شَامَنَا كَعَاقِرِ النَّاقَةِ لَا يَنْشِي
مِنْ بَعْدِ عِزِّ نَاصِرٍ آئِدِ مُبْتَدِئًا ذِي حَنْقٍ جَاهِدِ
قَتَقَتْ مَا لَمْ يَلْتِمِ صَدْعُهُ بِالْجَحْفَلِ الْمُحْتَشِدِ الزَّائِدِ
تَبْكِي لَهَا إِنْ كَشَفْتَ سَاقَهَا جَدْعًا وَعَقْرًا لَكَ مِنْ قَائِدِ !
تَرَكْنَا أَجْزَاءَ مَعْبُوطَةٍ يُقَسِّمُهَا الْعَازِرُ لِلنَّاهِدِ
تَرَقَّتِ الْأَسْيَافُ مَسْلُولَةً تُزِيلُ بَيْنَ الْعَضْدِ وَالْمُسَاعِدِ
تَسَاقَطُ الْهَامَاتُ مِنْ وَقْعِهَا بَيْنَ جَنَاحِي مُبْرِقِ رَاعِدِ
إِذْ أَنْتَ كَالطُّفْلِ فِي خَدْرِهَا لَمْ تَدْرِ يَوْمًا كَيْدَةَ الْكَائِدِ
إِنَّا أَنَاسُ حَرْبُنَا صَعْبَةٌ تَعْصِفُ بِالْقَائِمِ وَالْقَاعِدِ
أَصْحَتْ سَمْرَقَنْدُ وَأَشْيَاعُهَا أَحَدُوَّةُ الْغَائِبِ وَالشَّاهِدِ ١٥٥٨/٢

وكم ثَوَى في الشَّعْبِ من حازمٍ
يَسْتَنْجِدُ الخُطْبَ وَيَغْشَى الوغى
لَيْتَكَ يَوْمَ الشَّعْبِ في حُفْرَةٍ
تَلْعَبُ بكِ الحربُ وَأَبْنَاوَهَا
طَارَ لَهَا قَلْبُكَ من خِفَةِ
لَا تَحْسِبَنَّ الحربَ يَوْمَ الضَّحَى
أَبْغَضْتُ من عَيْنِكَ تَبْرِيجَهَا
جُنَيْدُ مَا عَيْصُكَ مَنْسُوبُهُ (١)
خَمْسُونَ أَلْفًا قَتَلُوا ضَيْعَةً
لَا تَمْرِينَ الحربَ من قَابِلٍ
قَلَّدْتُهُ طَوْقًا على نَحْرِهِ
قَصِيدَةً حَبَّرَهَا شَاعِرُ

جَلَدِ القَوَى ذِي مِرَّةٍ ماجد
لَا هَائِبٌ غُسٌّ وَلَا نَاكِدٌ (٢)
مَرْمُوسَةٌ بِالْمَدْرِ الجَامِدِ
لَعَبَ صُقُورٍ بِقَطَا وَارِدِ
مَا قَلْبُكَ الطَّائِرُ بالعَائِدِ
كَشَرِبِكَ المَزَاءِ بِالْبَارِدِ (٣)
وَصُورَةٌ في جَسَدٍ فَايِدِ
نَبْعًا وَلَا جَدُّكَ بالصَّاعِدِ
وَأَنْتَ مِنْهُمْ دَعْوَةُ النَّاשِدِ
مَا أَنْتَ في العَدَوَةِ بِالْحَامِدِ (٤)
طُوقَ الحِمَامِ الغَرْدِ الفَارِدِ
تَسْعَى بِهَا البُرْدُ إِلَى خَالِدِ

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام الخزومي ؛ كذلك حدثني
أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وقد قيل : إن الذي حجَّ بالناس في هذه السنة سليمان بن هشام .
وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها الذين كانوا في سنة إحدى
عشرة ومائة ، وقد ذكرناهم قبل .

(١) الغس : الضعيف اللثيم .

(٢) المزاء : الحمر اللذيذة الطعم ، سميت بذلك للذعها في الفم .

(٣) منسوبه ، بالرفع بدل اشتغال ما قبله .

(٤) ب وابن الأثير : « بالجامد » .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[قتل عبد الوهاب بن بخت]

فمّا كان فيها من ذلك هلاك عبد الوهاب بن بخت ، وهو مع البطال
عبد الله بأرض الروم ؛ فذكر محمد بن عمر ، عن عبد العزيز بن عمر ؛ أن ١٥٦٠/٢
عبد الوهاب بن بخت غزا مع البطال سنة ثلاث عشرة ومائة ، فانهزم الناس
عن البطال وانكسفوا ، فجعل عبد الوهاب يكرّ فرسه وهو يقول ^(١) : ما رأيتُ
فرساً أجبنَ منه ، وسفكك الله دمي إن لم أسفك دمك . ثم ألقي بيضته عن
رأسه وصاح : أنا عبد الوهاب بن بخت ؛ أمين الجنة تفرون ! ثم تقدّم
في نحور العدو ؛ فرّ برجل وهو يقول : واعطشاه ! فقال : تقدّم ؛ الرّبيّ
أمامك ؛ فخالط القوم فقتل وقتل فرسه .

* * *

ومن ذلك ما كان من تفريق مسلمة بن عبد الملك الجيوش في بلاد خاقان
ففتحت مدائن وحصون على يديه ، وقتل منهم ، وأسر وسبى ، وحرّق خلق
كثير من الترك أنفسهم بالنار ؛ ودان لمسلمة من كان وراء جبال بلنجر
وقتل ابن خاقان .

ومن ذلك غزوة معاوية بن هشام أرض الروم فرابط من ناحية مرّعش
ثم رجع .

وفي هذه السنة صار من دُعاة بني العباس جماعة ^(٢) إلى خراسان ، فأخذ
الحنيد بن عبد الرحمن رجلاً منهم فقتله ، وقال : من أصيب ^(٣) منهم قدمه
هـدر .

* * *

(١) ب ، ح : « ويقول » .

(٢) ف : « دعاة » .

(٣) ابن الأثير : « أصبت » .

وحجّ بالناس في هذه السنة - في قول أبي معشر - سليمان بن هشام بن عبد الملك ؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر . وكذلك قال الواقدي .

وقال بعضهم : الذي حجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي . وكان عمّال الأمصار في هذه السنة هم الذين كانوا عمّالها في سنة إحدى عشرة وأثنى عشرة ؛ وقد مضى ذكرنا لهم .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة

ذكر الإخبار عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وسليمان بن هشام على الصائفة اليمنى ؛ فذكر أن معاوية بن هشام أصاب ربض^(١) أقرن ، وأن عبد الله البطال التقي وقسطنطين في جَمْعٍ فهُزِمَهم ؛ وأسر قسطنطين ؛ وبلغ سليمان ابن هشام قيسارية .

* * *

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك إبراهيم بن هشام عن المدينة ، وأمر عليها خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم . قال الواقدي : قدم خالد بن عبد الملك المدينة للنصف من شهر ربيع الأول ؛ وكانت إمرة إبراهيم ابن هشام على المدينة ثمانى سنين .

وقال الواقدي : في هذه السنة ولي محمد بن هشام الخزومي مكة .

وقال بعضهم : بل ولي محمد بن هشام مكة سنة ثلاث عشرة ومائة ، فلما عزل إبراهيم أقر محمد بن هشام على مكة .

وفي هذه السنة وقع الطاعون - فيما قيل - بواسط .

وفيها قفل^(٢) مسلمة بن عبد الملك عن الباب بعد ما هزم خاقان وبنى الباب فأحكم ما هنالك .

١٥٦٢/٢

وفي هذه السنة ولي هشام مروان بن محمد أرمينية وأذربيجان .

* * *

واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة ، فقال أبو معشر - فيما حدثني أحمد بن ثابت ، عمن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه : حج بالناس سنة أربع عشرة ومائة خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ؛ وهو على المدينة .

(٢) ابن الأثير : « أقبل » .

(١) الربض : سور المدينة .

وقال بعضهم : حجّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام ، وهو أمير مكة ، فأقام خالد بن عبد الملك تلك السنة ، لم يشهد الحجّ .
قال الواقديّ : حدثني بهذا الحديث عبد الله بن جعفر ، عن صالح بن كيسان .

قال الواقديّ : وقال لي أبو معشر : حجّ بالناس سنة أربع عشرة ومائة خالد بن عبد الملك ، ومحمد بن هشام على مكة . قال الواقديّ : وهو الثبّت عندنا .

* * *

وكان عمّال الأمصار في هذه السنة هم العمّال الذين كانوا في السنة التي قبلها ، غير أنّ عامل المدينة في هذه السنة كان خالد بن عبد الملك ، وعامل مكة والطائف محمد بن هشام ، وعامل أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد .

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة

ذكر الإخبار عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام أرض الروم .

وفيهما وقع الطاعون بالشام .

١٥٦٣/٢

وحج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل ؛ وهو أمير مكة والطائف ، كذلك قال أبو معشر ، فيما حدثني أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .

وكان عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في سنة أربع عشرة ومائة ، غير أنه اختلف في عامل خراسان في هذه السنة ، فقال المدائني : كان عاملها الجنيد بن عبد الرحمن ، وقال بعضهم : كان عاملها عمارة بن حريم المرقبي . وزعم الذي قال ذلك أن الجنيد مات في هذه السنة ، واستخلف عمارة بن حريم . وأما المدائني فإنه ذكر أن وفاة الجنيد كانت في سنة ست عشرة ومائة .

* * *

وفي هذه السنة أصاب الناس بخراسان قحط شديد ومجاعة ، فكتب الجنيد إلى الكور : إن مرو كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فاحملوا إليها الطعام .

قال علي بن محمد : أعطى الجنيد في هذه السنة رجلاً درهماً ، فاشترى به رغيفاً ، فقال لهم : تشكون الجوع ورغيف بدرهم ! لقد رأيتني بالهند وإن الحبة من الحبوب لتباع عدداً بالدرهم ، وقال : إن مرو كما قال الله عز وجل : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾ (١) .

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة

١٥٦٤/٢

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزوة معاوية بن هشام أرض الروم الصائفة .
وفيهما كان طاعونٌ شديد بالعراق والشَّام ؛ وكان أشدَّ ذلك - فيما ذكر - بواسط .

* * *

[وفاة الجُنَيْد بن عبد الرحمن وولاية عاصم بن عبد الله خراسان]
وفيهما كانت وفاة الجُنَيْد بن عبد الرحمن وولاية عاصم بن عبد الله بن
يزيد الهلاليّ خراسان .

* ذكر الخبر عن أمرهما :

ذكر عليّ بن محمد، عن أشياخه ، أن الجُنَيْد بن عبد الرحمن تزوّج
الفاضلة بنت يزيد بن المهلب ، فغضب هشام على الجُنَيْد ، ولّى عاصم بن
عبد الله خراسان ؛ وكان الجُنَيْد سَمَقِي (١) بطنه ، فقال هشام لعاصم : إن
أدركته وبه رمق فأزهِقْ نفسه ، فقدم عاصم وقد مات الجُنَيْد .

قال : وذكروا أن جبلة بن أبي رواد دخل على الجُنَيْد عائداً ، فقال :
يا جبلة ، ما يقول الناس ؟ قال : قلت يتوجَّعون (٢) للأمر ؛ قال : ليس عن
هذا سألتك ، ما يقولون ؟ وأشار نحو الشَّام بيده . قال : قلت : يقدم على
خراسان يزيد بن شجرة الرَّهَّاءِيّ ، قال : ذلك سيّد أهل الشَّام ، قال : ومن ؟
قلت : عصمة أو عصام ، وكنيت عن عاصم ، فقال : إن قدم عاصم
فعدوّ جاهد ؛ لا مرحباً به ولا أهلاً .

١٥٦٥/٢

قال : فمات في مرضه ذلك في المحرم سنة ست عشرة ومائة ، واستخلف
عمارة بن حُرَيْم . وقدم عاصم بن عبد الله ، فحبس عمارة بن حُرَيْم
وعمال الجُنَيْد وعذبهم . وكانت وفاته بمرو ، فقال أبو الجَوَيرِية عيسى
ابن عصمة يرثيه :

(١) ح : « يشكو بطنه » ، والسق : ماء أصفر يقع في البطن ، يقال : سق بطنه ، أي
اجتمع فيه ماء أصفر .
(٢) ب : « يتوجعون » .

هَلَكَ الْجُودُ وَالْجُنَيْدُ جَمِيعاً فَعَلَى الْجُودِ وَالْجُنَيْدِ السَّلَامُ
أَصْبَحَا ثَاوِيَيْنِ فِي أَرْضِ مَرُورٍ مَا تَغَنَّتْ عَلَى الْقُصُوفِ الْحَمَامُ^(١)
كَتَنَّمَا نُزْهَةً الْكَرَامِ فَلَمَّا مِتَّ مَاتَ النَّدَى وَمَاتَ الْكَرَامُ
ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْجَوِيرِيَّةِ أَتَى خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيَّ وَامْتَدَحَهُ ، فَقَالَ لَهُ
خَالِدٌ : أَلَسْتَ الْقَائِلُ :

* هَلَكَ الْجُودُ وَالْجُنَيْدُ جَمِيعاً *

مَالِكٌ عِنْدَنَا شَيْءٌ ، فَخَرَجَ فَقَالَ :
تَظَلُّ لَامِعَةً الْآفَاقُ تَحْمِلُنَا إِلَى عُمَارَةَ وَالْقُودُ السَّرَاهِيدُ
قَصِيدَةُ امْتَدَحَ بِهَا عُمَارَةَ بْنَ حُرَيْمٍ ، ابْنَ عَمِّ الْجُنَيْدِ ؛ وَعُمَارَةُ هُوَ جَدُّ
أَبِي الْهَيْثَمِ صَاحِبِ الْعَصْبِيَّةِ بِالشَّامِ .
قَالَ : وَقَدْ مَعَاصِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَجَبَسَ عُمَارَةَ بْنَ حُرَيْمٍ وَعَمَالَ الْجُنَيْدَ وَعَذَّبَهُمْ .

* * *

[ذَكَرَ خُلَعُ الْحَارِثِ بْنِ سُرَيْجٍ]

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خُلِعَ الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ ، وَكَانَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
عَاصِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .

* ذَكَرَ الْجَبْرِ عَنْ ذَلِكَ :

١٥٦٦/٢

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ أَشْيَاخِهِ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ عَاصِمُ خُرَاسَانَ وَالْيَمَّ ، أَقْبَلَ الْحَارِثُ
ابْنَ سُرَيْجٍ مِنَ النَّخْذِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْفَارَابِ ، وَقَدِمَ أَمَامَهُ بَشَرٌ مِنْ جُرْمُوزَ .
قَالَ : فَوَجَّهَ عَاصِمُ الْخَطَّابَ بْنَ مَحْرُزِ السُّلَمِيِّ وَمَنْصُورَ بْنَ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْخَرَفَاءِ
السُّلَمِيِّ وَهَلَالَ بْنَ عَلِيمِ التَّمِيمِيِّ وَالْأَشْهَبَ الْخَنْظَلِيَّ وَجَرِيرَ بْنَ هَمِيَانَ
السَّدُوسِيَّ وَمُقَاتِلَ بْنَ حَيَّانَ النَّبْطِيَّ مَوْلَى مَصْقَلَةَ إِلَى الْحَارِثِ ؛ وَكَانَ خَطَّابُ
وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ قَالَا : لَا تَلْقُوهُ إِلَّا بِأَمَانٍ ، فَأَبَى عَلَيْهِمَا الْقَوْمُ ؛ فَلَمَّا انْتَهَوْا
إِلَيْهِ بِالْفَارَابِ قَيْدَهُمْ وَحَبَسَهُمْ ، وَوَكَّلَ بِهِمْ رَجُلًا يَحْفَظُهُمْ . قَالَ : فَأَوْثَقُوهُ
وَخَرَجُوا مِنَ السَّجْنِ ، فَرَكَبُوا دَوَابَّهُمْ ، وَسَاقُوا دَوَابَّ الْبَرِيدِ ، فَرَرُوا بِالطَّالِقَانِ

فهم سهرَّب صاحب الطالِقان بهم ، ثم أمسك وتركهم . فلما قدموا مرَّو أمرهم عاصم فخطبوا وتناولوا الحارث ، وذكروا خبث سيرته وغدره . ثم مضى الحارث إلى بلنخ وعليها نصر ، فقاتلوه ؛ فهزم أهل بلنخ ومضى نصر إلى مرَّو .

١٥٦٧/٢ وذكر بعضهم : لما أقبل الحارث إلى بلنخ وكان عليها التَّجِيبِيَّ بنُ ضُبَيْعَةَ المَرِّيَّ ونصر بن سيار ، وولّاهما الجنيد . قال : فأنتهى إلى قنطرة عطاء وهي على نهر بلنخ على فرسخين من المدينة ، فتلقّى نصر بن سيار في عشرة آلاف والحارث بن سُريج في أربعة آلاف ، فدعاهم الحارث إلى الكتاب والسنة والبيعة للرضا ؛ فقال قطن بن عبد الرحمن بن جَزَى الباهلي : يا حارث ؛ أنت تدعو إلى كتاب الله والسنة ؛ والله لو أن جبريل عن يمينك وميكائيل عن يسارك ما أجبتك ؛ فقاتلهم فأصابته رمية في عينه ؛ فكان أولَ قتيل . فانهزم أهلُ بلنخ إلى المدينة ، وأتبعهم الحارث حتى دخلها ؛ وخرج نصر من باب آخر ، فأمر الحارث بالكف عنهم ، فقال رجل من أصحاب الحارث : إني لأمشي في بعض طرق بلنخ إذ مررت بنساء يبكين وامرأة تقول : يا أبتاه ! ليت شعري من دهاك ! وأعرابيّ إلى جنب يسيّر ؛ فقال : مَنْ هذه الباكية ؟ ف قيل له : ابنة قَطْن بن عبد الرحمن بن جَزَى ، فقال الأعرابيّ : أنا وأبيك دهيْتُك ، فقلت : أنت قتلتك ؟ قال : نعم .

قال : ويقال : قدم نصر والتَّجِيبِيَّ على بلنخ ، فحبسه نصر ، فلم يزل محبوساً حتى هزم الحارث نصرًا ؛ وكان التَّجِيبِيَّ ضرب الحارث أربعين سوطاً في إمرة الجنيد ، فحوّله الحارث إلى قلعة باذكر بزَمَ ، فجاء رجل من بني حَسَنِيَّة فادّعى عليه أنه قتل أخاه أيام كان على هَرَاة ، فدفعه الحارث إلى الحنفى ، ١٥٦٨/٢ فقال له التَّجِيبِيَّ : أفندي منك بمائة ألف ، فلم يقبل منه وقتله . وقوم يقولون : قَتَلَ التَّجِيبِيَّ في ولاية نصر قبل أن يأتيه الحارث .

قال : ولما غلب الحارث على بلنخ استعمل عليها رجلاً من ولَد عبد الله ابن خازم ، وسار ، فلما كان بالجوزجان دعا وابصة بن زُرارة العبدي ، ودعا دجاجة ووحشاً العجليّين وبشر بن جرُموز وأبا فاطمة ، فقال :

ما ترون ؟ فقال أبو فاطمة : مَرَوْ بِبَيْضَةِ خراسان ، وفرسانهم كثير ؛ لو لم يلقوك إلاّ بعبيدهم لانتصفوا منكم ، فأقم فإنّ أتوك قاتلتهم وإن أقاموا قطعت المادة عنهم ، قال : لا أرى ذلك ، ولكن^(١) أسير إليهم . فأقبل الحارث إلى مَرَوْ ، وقد غلب على بلخ والجوزجان والفارياب والطالقان ومَرَوْ الرّوذ ، فقال أهل الدين^(٢) من أهل مَرَوْ : إن مضى إلى أبرشهر ولم يأتنا فترقّ جماعتنا ، وإن أتانا نكب^(٣) .

قال : وبلغ عاصماً أن أهل مَرَوْ يكتبون الحارث ، قال : فأجمع على الخروج وقال : يا أهل خراسان ، قد بايعتم الحارث بن سُريج^(٤) ، لا يقصد مدينة إلاّ خلتيموها له ، إني لاحق بأرض قومي أبرشهر ، وكاتبٌ منها إلى أمير المؤمنين حتى يمدّني بعشرة آلاف من أهل الشام . فقال له الحِشتر بن مزاحم : إن أعطوك بيعتكم بالطلاق والعَتاق فأقم ، وإن أبوا فسرحتي تنزل أبرشهر ، وتكتب إلى أمير المؤمنين فيمدّك بأهل الشام . فقال خالد بن هريم أحد بني ثعلبة بن يربوع وأبو محارب هلال بن عليّسم : والله لانخليك والذهب ، فيلزمنا دَيْسُك عند أمير المؤمنين ، ونحن معك حتى نموت إن بذلت الأموال . قال : أفعل ، قال يزيد بن قرآن الرياحيّ : إن لم أقاتل معك ما قاتلت فابنة الأبرد بن قُرّة الرياحيّ طالق ثلاثاً - وكانت عنده - فقال عاصم : أكلّكم على هذا ؟ قالوا : نعم . وكان سلمة بن أبي عبد الله صاحب حرسه يحلفهم بالطلاق .

قال : وأقبل الحارث بن سُريج إلى مَرَوْ في جمع كثير - يقال في ستين ألفاً - ومعه فرسان الأزد وتميم ؛ منهم محمد بن المنثري وحماد بن عامر ابن مالك الحيماني وداود الأعسر وبشر بن أنثيف الرياحيّ وعطاء الدَّبُوسيّ . ومن الدهاقين الجوزجان وترسل دهقان الفارياب^(٥) وسهرب^(٦) ملك الطالقان ، وقرياقس دهقان مَرَوْ ، في أشباههم .

قال : وخرج عاصم في أهل مَرَوْ وفي غيرهم ؛ فعسكر بجيأسر عند البيعة ،

(١) ح : « ولكن » . (٢) ابن الأثير : « أهل الرأي » .
(٣) ب : « نكب » . (٤) ط : « شريح » والصواب ما أثبتته من التصويبات .
(٥) ط : « لفارياب » .
(٦) ط : « سهرك » ، وانظر ص ٩٥ س ١ .

وأعطى الجند ديناراً ديناراً ، فخفّ عنه الناس ، فأعطاهم ثلاثة دنانير
ثلاثة دنانير ، وأعطى الجند وغيرهم ؛ فلما قرب بعضهم من بعض أمر بالقناطر
فكسّرت ، وجاء أصحاب الحارث فقالوا : تحصرونا في البريّة ! دعونا نقطع
إليكم فنناظركم فيما خرجنا له ، فأبَوْا وذهب رجالُهم يُصلِحون القناطر ،
فأتاهم رجالُ أهل مَرَوْ فقاتلوهم ؛ فقال محمد بن المثنى الفراهيديّ برايته إلى
عاصم فأمالها في ألفين فأقّى الأزْد ؛ ومال حماد بن عامر بن مالك الحِمَانيّ
إلى عاصم ، وأقّى بني تميم .

قال سلمة الأزديّ : كان الحارث بعث إلى عاصم رسلاً — منهم محمد
ابن مسلم العنبريّ — يسألونه العملَ بكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم .
قال : والحارث بن سريج يومئذ على السواد . قال : فلمّا مال محمد بن المثنى
بدأ أصحاب الحارث بالحملة ، والتقى الناس ؛ فكان أوّل قتل غياث بن
كلثوم من أهل الجارود ، فانهزم أصحاب الحارث ، فغرق بشر كثير من
أصحاب الحارث في أنهار مَرَوْ والنهر الأعظم ، ومضت الدّهاقين إلى بلادهم ؛
فضرب يومئذ خالد بن علباء^(١) بن حبيب بن الجارود على وجهه ، وأرسل
عاصم بن عبد الله المؤمن بن خالد الحنفيّ وعلباء بن أحمر الشكريّ ويحيى بن
عقيل الخزاعيّ ومقاتل بن حسيان النبطيّ إلى الحارث يسأله ما يريد ؟ فبعث
الحارث محمد بن مسلم العنبريّ وحده ، فقال لهم : إنّ الحارث وإخوانكم
يقرءونكم السلام ، ويقولون لكم : قد عطشنا وعطشت دوابنا ، فدعونا ننزل
الليلة ، وتختلف الرّسل فيما بيننا وتتناظر ؛ فإن وافقناكم على الذي تريدون
ولّا كنتم من وراء أمركم ؛ فأبوا عليه وقالوا مقالا غليظاً ؛ فقال مقاتل
ابن حسيان النبطيّ : يا أهل خراسان ؛ إنا كنا بمنزلة بيت واحد ونغرنا واحد ؛
ويدنا على عدونا واحدة ؛ وقد أنكرنا ما صنع صاحبكم ؛ وجهه إليه أميرنا بالفقهاء
والقرءاء من أصحابه ، فوجه رجلاً واحداً . قال محمد : إنّما أتيتكم مبلغاً ،
نطلب كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وسيأتيكم التّذي تطلبون من
غد إن شاء الله تعالى .

وانصرف محمد بن مسلم إلى الحارث ، فلما انتصف الليل سار الحارث فبلغ عاصمًا ، فلما أصبح سار إليه فالتقوا ، وعلى ميمنة الحارث رابض بن عبد الله بن زرارة التغلبي ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فحمل يحيى بن حُصَيْن - وهو رأس بكر بن وائل ، وعلى بكر بن وائل زياد بن الحارث بن سريج - فقتلوا قتلاً ذريعاً ، فقطع الحارث وادى مَرُوءَ ؛ فضرب رواقاً عند منازل الرّهبان ، وكفّ عنه عاصم . قال : وكانت القتلى مائة ، وقتل سعيد بن سعد بن جَزْء الأزدى ، وغرق خازم بن موسى بن عبد الله بن خازم - وكان مع الحارث بن سريج - واجتمع إلى الحارث زهاء ثلاثة آلاف ، فقال القاسم بن مسلم : لما هُزِمَ الحارث كفّ عنه عاصم ، ولو ألحّ عليه لأهلكه . وأرسل إلى الحارث : إني رادّ عليك ما ضمنت لك ولأصحابك ؛ على أن ترتحل ؛ ففعل .

قال : وكان خالد بن عبيد الله بن حبيب أتى الحارث ليلة هزم ، وكان أصحابه أجمعوا على مفارقة الحارث ، وقالوا : ألم تزعم أنه لا يردّ لك راية ! فأتاهم فسكنهم .

وكان عطاء الدبوسيّ من الفُرسان ، فقال لغلامه يوم زرق : أسرج لي برذونى لعلّى ألاعب هذه الحمارة ، فركب ودعا إلى البراز ، فبرز له رجل من أهل الطالقان ، فقال بلغته : إى كبير خمر .

* * *

قال أبو جعفر الطبرى رحمه الله : وحجّ بالناس في هذه السنة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وهو وليّ العهد ؛ كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال الواقدي وغيره . وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في التي قبلها إلا ما كان من خراسان فإن عاملها في هذه السنة عاصم بن عبد الله الهلالي .

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمّا كان فيها غزوة معاوية بن هشام الصّائفة اليسرى وغزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصّائفة اليمنى من نحو الجزيرة ، وفرّق سراياه في أرض الروم .

وفيهما بعث مروان بن محمد - وهو على أرمينية - بعثين ، فافتتح أحدهما حصوناً ثلاثة من اللّان ونزل الآخر على تومانشاه ، فنزل أهلها على الصّالح . وفيها عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان ، وضمها إلى خالد بن عبد الله ، فولّاها خالد أخاه أسد بن عبد الله . وقال المدائني : كان عزل هشام عاصماً عن خراسان وضمّ خراسان إلى خالد بن عبد الله في سنة ستّ عشرة ومائة .

* * *

ذكر الخبر عن سبب عزل

هشام عاصماً وتولّيته خالداً خراسان

وكان سبب ذلك - فيما ذكر على عن أشياخه - أن عاصم بن عبد الله كتب إلى هشام بن عبد الملك : أمّا بعد يا أمير المؤمنين ، فإنّ الرائد لا يكذب أهله ؛ وقد كان من أمر أمير المؤمنين إلى ما يحقّ به على نصيحته ؛ وإنّ خراسان لا تصلح إلّا أن تضمّ إلى صاحب العراق ؛ فتكون موادّها ومنافعها ومعونتها^(١) في الأحداث والنوائب^(٢) من قريب ؛ لتباعد أمير المؤمنين عنها وتباطؤ غياثه عنها .

فلما مضى كتابه خرج إلى أصحابه يحيى بن حُصَيْن والحجّش بن مزاحم وأصحابهم ، فأخبرهم ، فقال له الحجّش بعد ما مضى الكتاب : كأنّك بأسد قد طلع عليك . فقدم أسد بن عبد الله ؛ بعث به هشام بعد كتاب عاصم بشهر ، فبعث الكُميت بن زيد الأسديّ إلى أهل مروّ بهذا الشعر :

(٢) ب : « المصاب » .

(١) ح : « وبعوثها » .

أَلَا أَبْلُغُ جَمَاعَةَ أَهْلِ مَرَوْ
رِسَالَةَ نَاصِحٍ يَهْدِي سَلَامًا
وَأَبْلُغُ حَارِثًا عَنَّا اعْتِذَارًا
وَلَوْ لَا ذَاكَ قَدْ زَارَتْكَ خَيْلٌ
فَلَا تَهْنُوا وَلَا تَرْضَوْا بِخَسْفٍ
وَكُونُوا كَالْبَغَايَا إِنْ خُدِعْتُمْ
وَلَا فَارْفَعُوا الرِّايَاتِ سُودًا
فَكَيْفَ وَأَنْتُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا
وَمَنْ وَلَّى بِذِمَّتِهِ رَزِينًا
وَمَنْ غَشَى قُضَاعَةَ ذُؤَبَ خِزْيٍ
فَمَهْلًا يَا قُضَاعَ فَلَا تَكُونِي
وَكُنْتَ إِذَا دَعَوْتَ بَنَى نِزَارٍ
فَجُدِّعَ مِنْ قُضَاعَةَ كُلِّ أَنْفٍ
قَالَ : وَرَزِينُ الَّذِي ذَكَرَ كَانَ خَرَجَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بِالْكُوفَةِ ،
فَأَعْطَاهُ الْأَمَانَ ثُمَّ لَمْ يَبْقَ بِهِ .

١٠٧٥/٢

وقال فيه نصر بن سيار حين أقبل الحارث إلى مَرَوْ وسود راياته — وكان
الحارث يرى رأى المرجئة :

دَعُ عَنْكَ دُنْيَا وَأَهْلًا أَنْتَ تَارِكُهُمْ
إِلَّا بَقِيَّةَ أَيَّامٍ إِلَى أَجَلٍ
أَكْثَرَ تَقَى اللَّهَ فِي الْإِسْرَارِ مُجْتَهِدًا
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بِالْأَعْمَالِ مُرْتَهَنٌ
إِنِّي أَرَى الْغَبْنَ الْمُرْدَى بِصَاحِبِهِ
مَا خَيْرُ دُنْيَا وَأَهْلٍ لَا يَدُومُونَا!
فَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ أَهْلًا لَا يَمُوتُونَا
إِنَّ التَّقَى خَيْرُهُ مَا كَانَ مَكُونًا
فَكُنْ لَذَاكَ كَثِيرَ الْهَمِّ مَحْزُونًا
مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مَغْبُونًا

تَكُونُ لِلْمَرْءِ أَطْوَارًا فَتَمْنَحُهُ (١)
 بَيْنَا الْفَتَى فِي نَعِيمِ الْعَيْشِ حَوْلَهُ
 تَحْلُو لَهُ مَرَّةً حَتَّى يُسَرَّ بِهَا
 هَلْ غَابِرٌ مِنْ بَقَايَا الدَّهْرِ تَنْظُرُهُ
 فَاْمَنْحُ جِهَادَكَ مَنْ لَمْ يَرْجُ آخِرَةَ
 وَاقْتُلْ مُوَالِيَهُمْ مِنَّا وَنَاصِرَهُمْ
 وَالْعَائِسِينَ عَلَيْنَا دِينَنَا وَهُمْ
 وَالْقَاتِلِينَ سَبِيلُ اللَّهِ بِغَيْبِنَا
 فَاقْتُلَهُمْ غَضَبًا لِلَّهِ مُنْتَصِرًا
 لِرَجَاؤِكُمْ لِرُكْمٍ وَالشُّرَكَ فِي قَرْنٍ
 لَا يُبْعَدُ اللَّهُ فِي الْأَجْدَاثِ غَيْرَكُمْ
 أَلْقَى بِهِ اللَّهُ رُعبًا فِي نُحُورِكُمْ
 كَيْمَا نَكُونَ الْمُوَالِي عِنْدَ خَائِفَةٍ
 وَهَلْ تَعْيُونَ مِنَّا كَاذِبِينَ بِهِ
 يَا أَبَى الذِّى كَانَ يُبْلِي اللَّهُ أَوْلَكُمْ

يَوْمًا بِشَارًا وَطَوْرًا تَمْنَحُ اللِّينَا (٢)
 دَهْرٌ فَأَمْسَى بِهِ عَنْ ذَاكَ مَزْبُونَا
 حِينًا وَتُمْقِرُهُ (٣) طَعْمًا أَحَابِينَا
 إِلَّا كَمَا قَدْ مَضَى فِيمَا تَقْضُونَا
 وَكُنْ عَدُوًّا لِقَوْمٍ لَا يُصَلُّونَا
 حِينًا تَكْفُرُهُمْ وَالْعَنَهُمْ حِينَا
 شَرُّ الْعِبَادِ إِذَا خَابَرْتَهُمْ دِينَا
 لَبْعَدَ مَا نَكْبُوا عَمَّا يَقُولُونَا
 مِنْهُمْ بِهِ وَدَعِ الْمُرْتَابَ مَفْتُونَا
 فَانْتُمْ أَهْلُ إِشْرَاكِ وَمُرْجُونَا
 إِذْ كَانَ دِينُكُمْ بِالْشُّرِكِ مَقْرُونَا
 وَاللَّهُ يَقْضِي لَنَا الْحُسْنَى وَيُعْلِينَا
 عَمَّا تَرُومُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَالْدِينَا
 غَالٍ وَمُهِتَضِمٍ ، حَسْبِيَ الَّذِي فِينَا
 عَلَى التَّفَاقِ وَمَا قَدْ كَانَ يُبْلِينَا

قال : ثم عاد الحارث لمحاربة عاصم ، فلما بلغ عاصمًا أن أسد بن عبد الله
 قد أقبل ، وأنه قد سير على مقدمته محمد بن مالك الهمداني ، وأنه قد نزل الدندانقان ،
 صالح الحارث ، وكتب بينه وبينه كتاباً على أن ينزل الحارث أى كورخراسان
 شاء ، وعلى أن يكتب جميعاً إلى هشام ، يسألانه كتاب الله وسنة نبيه ؛ فإن
 أبى اجتماعاً جميعاً عليه . فختم على الكتاب بعض الرؤساء ، وأبى يحيى

(١) ف : « أحياناً » .

(٢) ب : « منها عشاراً » .

(٣) تمقره : أى تمر الطعم له .

ابن حُصَيْنَ أَنْ يَخْتَمَ، وَقَالَ : هَذَا خَلَعٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَقَالَ خَلَعُ بَن
خليفة ليحيى :

أَبَى هَمْ قَلْبِكَ إِلَّا اجْتَمَاعَا وَيَأْبَى رُقَادُكَ إِلَّا امْتِنَاعَا
بِغَيْرِ سَمَاعٍ وَلَمْ تَلْقَنِى أَحَاوِلُ مِنْ ذَاتِ لَهْوٍ سَمَاعَا
حَمِظْنَا أُمِيَّةً فِي مُلْكِهَا وَنَخْطِرُ مِنْ دُونِهَا أَنْ نُرَاعَى
نَدَافِعُ عَنْهَا وَعَنْ مُلْكِهَا إِذَا لَمْ نَجِدْ بِيَدَيْهَا امْتِنَاعَا
أَبَى شَعْبٌ مَا بَيْنَنَا فِي الْقَدِيمِ وَبَيْنَ أُمِيَّةٍ إِلَّا انْصِدَاعَا
أَلَمْ نَخْتَطِفْ هَامَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَنَنْتَزِعَ الْمُلْكَ مِنْهُ انْتِزَاعَا
جَعَلْنَا الْخِلَافَةَ فِي أَهْلِهَا إِذَا اصْطَرَعَ النَّاسُ فِيهَا اصْطِرَاعَا
نَصَرْنَا أُمِيَّةً بِالْمَشْرِفِ إِذَا انْخَلَعَ الْمُلْكُ عَنْهَا انْخِلَاعَا
وَمَنَا الَّذِي شَدَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَلَوْ غَابَ يَحْيَى عَنِ الثَّغْرِ ضَاعَا
عَلَى ابْنِ سُرَيْجٍ نَقَضْنَا الْأُمُورَ وَقَدْ كَانَ أَحْكَمَهَا مَا اسْتَطَاعَا
حَكِيمٌ مَقَالَتُهُ حِكْمَةٌ إِذَا شَتَّتَ الْقَوْمَ كَانَتْ جَمَاعَا
عَشِيَّةٌ زَرَقٍ وَقَدْ أَزْمَعُوا قَمَعْنَا مِنَ النَّاكِثِينَ الرَّمَاعَا
وَلَوْلَا فَتَى وَائِلٍ لَمْ يَكُنْ لِيُنْضِجَ فِيهَا رَنْئِيسُ كُرَاعَا
فَقُلْ لِأُمِيَّةٍ تَرَعَى لَنَا أَيَادِي لَمْ نُجْزَهَا وَاصْطِنَاعَا
أَتْلَاهِينَ عَنْ قَتْلِ سَادَاتِنَا وَنَأْبَى لِحَقِّكَ إِلَّا اتِّبَاعَا
أَمَنْ لَمْ يُبْعَلْكَ مِنَ الْمُشْتَرِينَ كَأَخَرَ صَادَفَ سُوقًا فَبَاعَا !
أَبَى ابْنُ حُصَيْنٍ لِمَا تَصْنَعِينَ إِلَّا اضْطِلَاعَا وَإِلَّا اتِّبَاعَا
وَلَوْ يَأْمَنُ الْحَارِثُ الْوِثْلِينَ لِرَاعِكَ فِي بَعْضٍ مَنْ كَانَ رَاعَا
وَقَدْ كَانَ أَصْعَرَ ذَا نَيْرَبٍ أَشَاعَ الضَّلَالَةَ فِيمَا أَشَاعَا
كَفَيْنَا أُمِيَّةً مَخْتُومَةً أَطَاعَ بِهَا عَاصِمٌ مَنْ أَطَاعَا

فلولا مَرَاكِزُ رَايَاتِنَا مِنْ الْجَنْدِ خَافَ الْجَنْدُ الضَّيَاعَا
وَصَلَمْنَا الْقَدِيمَ لَهَا بِالْحَدِيثِ وَتَابَى أُمِّيَّةٌ إِلَّا انْقِطَاعَا
ذَخَائِرُ فِي غَيْرِنَا نَفْعُهَا وَمَا إِنْ عَرَفْنَا لَهُنَّ انْتِفَاعَا
وَلَوْ قَدَمَتْهَا وَبَانَ الْحِجَا بُلَا رَتَعَتْ بَيْنَ حَشَاكِ ارْتِيَاعَا
فَأَيْنَ الْوَفَاءُ لِأَهْلِ الْوَفَاءِ وَالشُّكْرُ أَحْسَنُ مِنْ أَنْ يُضَاعَا!
وَأَيْنَ ادِّخَارُ بَنِي وَائِلٍ إِذَا الذُّخْرُ فِي النَّاسِ كَانَ ارْتِجَاعَا!
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ أَسْيَافَنَا تُدَاوِي الْعَلِيلَ وَتُشْفِي الصُّدَاعَا!
إِذَا ابْنُ حُضَيْنٍ غَدَا بِاللَّوَاءِ ١٥٧٩/٢
إِذَا ابْنُ حُضَيْنٍ غَدَا بِاللَّوَاءِ أَشَارَ النُّسُورَ بِهِ وَالضُّبَاعَا
إِذَا ابْنُ حُضَيْنٍ غَدَا بِاللَّوَاءِ ذَكَّى وَكَانَتْ مَعْدٌ جُدَاعَا

قال : وكان عاصم بن سليمان بن عبد الله بن شراحيل اليشكري من أهل الرأى ، فأشار على يحيى بنقض الصحيفة ؛ وقال له : « غمرات ثم ينجكين » ، وهي المغمضات ، فغمض .

قال : وكان عاصم بن عبد الله في قرية بأعلى مَرَوَ لكندة ، ونزل الحارث قرية لبني العنبر ؛ فالتقوا بالخيـل والرجال ، ومع عاصم رجل من بني عبس في خمسمائة من أهل الشام وإبراهيم بن عاصم العُقَيْلِي في مثل ذلك ؛ فنادى منادى عاصم : مَنْ جَاءَ بِرَأْسٍ فَلَهُ ثَلَاثَةُ دَرَاهِمَ ؛ فجاء رجل من عماله برأس وهو عاض على أنفه ، ثم جاءه رجل من بني ليث — يقال له ليث بن عبد الله — برأس ، ثم جاء آخر برأس ، فقبل لعاصم : إن طمع الناس في هذا لم يَدْعُوا مَلَاَحَا ولا عِلْجَا إِلَّا أَتَوْكَ بِرَأْسِهِ ؛ فنادى مناديه : لَا يَأْتُنَا أَحَدٌ بِرَأْسٍ ؛ فَنَأْتَانَا بِهِ فليس له عندنا شيء ؛ وانهمز أصحاب الحارث فأسروا منهم أسارى ، ١٥٨٠/٢ وأسروا عبد الله بن عمرو المازني رأس أهل مَرَوَ الرَوَذِ ، وكان الأسراء ثمانين ؛ أكثرهم من بني تميم ، فقتلهم عاصم بن عبد الله على نهر الداندانقان . وكانت البامية بعثت من الشام رجلا يعدل بألف يكنى أبا داود ، أيام العصية في

خمسائة ؛ فكان لا يمرّ بقرية من قرى خراسان إلا قال : كأنكم بي قد مررت راجعاً حاملاً رأس الحارث بن سُرَيْج ؛ فلما التقوا دعا إلى البراز ، فبرز له الحارث بن سُرَيْج ؛ فضربه فتوق منكبه الأيسر فصرعه ، وحامى عليه أصحابه فحملوه فخلوط ؛ فكان يقول : يا أبرشهر الحارث بن سريجاه ! يا أصحاب المعموراه ! ورمي فرس الحارس بن سريج في لبّانه، فتزع النشابة ؛ واستحضره وألح عليه بالضرب حتى نزقه ^(١) وعرقه ، وشغله عن ألم الجراحة . قال : وحمل عليه رجل من أهل الشام ؛ فلما ظن أن الرمح مخالطه ؛ مال عن فرسه واتبع الشاميّ، فقال له : أسألك بحرمة الإسلام في دمي ! قال : انزل عن فرسك ؛ فنزل وركبه الحارث ، فقال الشاميّ : خذ السرج ؛ فوالله إنه خير من الفرس ، فقال رجل من عبد القيس :

تَوَلَّيْتُ قَرَيْشُ لَذَّةَ الْعَيْشِ وَأَتَقَمْتُ بِنَا كُلَّ فَجٍّ مِنْ خُرَاسَانَ أَغْبَرَا
فَلَيْتَ قَرَيْشاً أَصْبَحُوا ذَاتَ لَيْلَةٍ يَعْمُونَ فِي لُجٍّ مِنَ الْبَحْرِ أَخْضَرَا ١٥٨١/٢

قال : وعظم أهل الشام يحيى بن حُضَيْنٍ لما صنع في أمر الكتاب الذي كتبه عاصم ، وكتبوا كتاباً ، وبعثوا مع محمد بن مسلم العنبريّ ورجل من أهل الشام ، فلقوا أسد بن عبد الله بالرّيّ— ويقال : لقوه ببيهق — فقال : ارجعوا فإنّي أصّلع هذا الأمر ، فقال له محمد بن مسلم : هُدمت داري ، فقال : أبنيها لك ، وأردّ عليكم كلّ مظلمة .

قال : وكتب أسد إلى خالد ينتحل أنه هزم الحارث ، ويخبره بأمر يحيى . قال : فأجاز خالد يحيى بن حُضَيْنٍ بعشرة آلاف دينار وكساه مائة حلّة ^(٢) . قال : وكانت ولاية عاصم أقلّ من سنة — قيل كانت سبعة أشهر — وقدم أسد ابن عبد الله وقد انصرف الحارث ، فحبس عاصمًا وسأله عمّا أنفق ، وحاسبه فأخذه بمائة ألف درهم ، وقال : إنك لم تغز ولم تخرج من مَرَوْ ، ووافق عمارة بن حُرَيْم ^(٣) وعمّال الجُنَيْد محبوسين عنده ؛ فقال لهم : أسير فيكم بسيرتنا أم بسيرة قومكم ؟ قالوا : بسيرتك ، فخلّى سبيلهم .

(١) نزقة : ضربه ضرباً شديداً . (٢) ابن الأثير : « ومائة من الخيل » .

(٣) ابن الأثير : « وأطلق عمارة بن حريم » .

قال عليّ عن شيوخته : قالوا : لما بلغ هشام بن عبد الملك أمر الحارث ١٥٨٢/٢
ابن سريج ، كتب إلى خالد بن عبد الله : ابعث أخاك يصلح ما أفسد ؛ فإن
كانت رجيت فلتكن به . قال : فوجه أخاه أسداً إلى خراسان ، فقدم أسد
وما يملك عاصم من خراسان إلا مَرَوْ وناحية أبرشهر ، والحارث بن سريج بمَرَوْ
الرّوذ وخالد بن عبيد الله الهجريّ بآمل ، ويخاف^(١) إن قصد للحارث بمَرَوْ
الرّوذ دخل خالد بن عبيد الله مَرَوْ من قبيل آمل ، وإن قصد لخالد دخلها
الحارث من قبيل مَرَوْ الرّوذ ، فأجمع على أن يوجه عبد الرحمن بن نعيم
الغامديّ في أهل الكوفة وأهل الشام في طلب الحارث إلى ناحية مَرَوْ
الرّوذ . وسار أسد بالناس إلى آمل ، واستعمل على بني تميم الحوثر بن يزيد
العنبريّ ، فلقبهم خيل لأهل آمل ، عليهم زياد القرشيّ مولى حيان النبطيّ عند
ركايا عثمان ، فهزمهم حتى انتهوا إلى باب المدينة ، ثم كروا على الناس ،
فقتل غلام لأسد بن عبد الله يقال له جبلة ؛ وهو صاحب علمه ، وتحصّنا
في ثلاث مدائن لهم .

قال : فنزل عليهم أسد وحصرهم ، ونصب عليهم المجانيق ، وعليهم خالد
ابن عبيد الله الهجريّ من أصحاب الحارث ، فطلبوا الأمان ، فخرج إليهم رويد
ابن طارق القطعيّ ومولى لهم ، فقال : ما تطلبون ؟ قالوا : كتاب الله وسنة نبيه ١٥٨٣/٢
صلّى الله تعالى عليه وسلم ، قال : فلكم ذلك ، قالوا : على ألا تأخذ أهل
هذه المدن بجنايتنا . فأعطاهم ذلك ، واستعمل عليهم يحيى بن نعيم الشيبانيّ
أحد بني ثعلبة بن شيبان ، ابن أخي مصقلة بن هبيرة . ثم أقبل أسد في طريق
زمّ يريد مدينة بلخ ؛ فلقاه مولى لمسلم بن عبد الرحمن ، فأخبره أن أهل
بلخ قد بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم . فقدم بلخ ، واتخذ سفناً وسار
منها إلى الترمذ ، فوجد الحارث محاصراً سنناً الأعرابيّ السلميّ ، ومعه بنو
الحجاج بن هارون النميريّ ، وبنو زُرعة وآل عطية الأعور النضريّ في أهل
الترمذ ، والسبل مع الحارث ، فنزل أسد دون النهر ، ولم يطق القطوع إليهم ولا
أن يمدّهم ، وخرج أهل الترمذ من المدينة ، فقاتلوا الحارث قتالاً شديداً ،
وكان الحارث استطرد لهم ، ثم كرّ عليهم ، فانهزموا فقتل يزيد بن الهيثم بن

(١) ب : « يخاف » ، ابن الأثير : « فخاف » .

المنخل وعاصم بن معول النجلىّ في خمسين ومائة من أهل الشام وغيرهم ؛ وكان بشر بن جرموز وأبو فاطمة الأيادى ومن كان مع الحارث من القرى يأتون أبواب الترمذ ، فيبكون ويشكون بنى مروان وجورهم ؛ ويسألونهم النزول إليهم على أن يمالئوهم على حرب بنى مروان فيأبؤن عليهم ؛ فقال السبل وهو مع الحارث : يا حارث ؛ إن الترمذ قد بُنيت بالطبول والمزامير ؛ ولا تفتَح بالبكاء وإنما تفتح بالسيف ، فقاتل إن كان بك قتال . وتركه السبل وأتى بلاده .

قال : وكان أسد حين مرّ بأرض زَمْ تعرّض للقاسم الشيبانىّ وهو في حصن بزَمْ يقال له بأذكر ؛ ومضى حتى أتى الترمذ ، فنزل دون النهر ، ووضع سريره على شاطئ النهر ؛ وجعل الناس يعبرون ؛ فن سفلت سفينته عن سفن المدينة قاتلهم الحارث في سفينة ؛ فالتقوا في سفينة فيها أصحاب أسد ، فيهم أصغر بن عينة الحميرى ، وسفينة أصحاب الحارث فيها داود الأعسر ، فرمى أصغر فضلك السفينة ، وقال : أنا الغلام الأحمرى ، فقال داود الأعسر : لأمر ما انتميت إليه ، لا أرض لك ! وألّزق سفينته بسفينة أصغر فاقتلوا ؛ وأقبل الأشكند وقد أراد الحارث الانصراف — فقال له : إنما جئتلك ناصراً لك ؛ وكن الأشكند وراء دير ؛ وأقبل الحارث بأصحابه ؛ وخرج إليه أهل الترمذ ، فاستطرد لهم فاتبعوه ، ونصر مع أسد جالس ينظر ؛ فأظهر الكراهية ، وعرف أن الحارث قد كادهم ، فظنّ أسد أنه إنما فعل ذلك شفقة على الحارث حين ولّى ؛ فأراد أسد معاتبة نصر ؛ فإذا الأشكند قد خرج عليهم ؛ فحمل على أهل الترمذ فهربوا . وقتل في المعركة يزيد بن الهيثم بن المنخل الجرموزى من الأزد وعاصم بن معول — وكان من فرسان أهل الشام — ثم ارتحل أسد إلى بلخ ، وخرج أهل الترمذ إلى الحارث فهزموه ؛ وقتلوا أبا فاطمة وعكرمة وقوماً من أهل البصائر ، ثم سار أسد إلى سمرقند في طريق زَمْ ؛ فلما قدم زَمْ بعث إلى الهيثم الشيبانىّ — وهو في بأذكر ؛ وهو من أصحاب الحارث — فقال : إنكم إنما أنكرتم على قومكم ما كان من سوء سيرتهم ؛ ولم يبلغ ذلك النساء ولا استحلال الفروج ولا غلبة المشركين على مثل سمرقند ؛ وأنا أريد سمرقند ؛

وعلى عهد الله وذمته ألا يبدأك مني شرٌّ ؛ ولك المؤاساة واللفظ والكرامة والأمان ولمن معك ؛ وأنت إن غمضت ما دعوتك إليه فعلى عهد الله وذمة أمير المؤمنين وذمة الأمير خالد إن أنت رميت بسهم ألا تؤمنك بعده ؛ وإن جعلت لك ألف أمان لا أفي لك به . فخرج إليه على ما أعطاه من الأمان فأمنه ، وسار معه إلى سمرقند فأعطاهم عطاءين ، وحملهم على ما كان من دواب ساقها معه ، وحمل معه طعاماً من بخارى ، وساق معه شاء كثيرة ١٥٨٦/٢ من شاء الأكراد قسمها فيهم ؛ ثم ارتفع إلى ورغسر وماء سمرقند منها ، فسكن الوادي وصرفه عن سمرقند ؛ وكان يحمل الحجارة بيديه حتى يطرحها في السكر^(١) ، ثم قفل من سمرقند حتى نزل بلخ .

وقد زعم بعضهم أن الذي ذكرت من أمر أسد وأمر أصحاب الحارث كان في سنة ثمان عشرة .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة خالد بن عبد الملك .
 وكان العامل فيها على المدينة ، وعلى مكة والطائف محمد بن هشام بن إسماعيل ، وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله ، وعلى أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد .
 وفيها توفيت فاطمة بنت علي وسكينة ابنة الحسين بن علي .

* * *

[أمر أسد بن عبد الله مع دعاة بني العباس]
 وفي هذه السنة أخذ أسد بن عبد الله جماعة من دعاة بني العباس بخراسان ، فقتل بعضهم ، ومثل ببعضهم ، وحبس بعضهم ؛ وكان فيمن أخذ سليمان بن كشير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ وخالد بن إبراهيم وطلحة بن رزيق ؛ فأتت بهم ، فقال لهم : يا فسقة ، ألم يقل الله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ !^(٢)

(١) سكر النهر ؛ سد فاه . والسكر : الشق ومنفرج الماء .

(٢) سورة المائدة الآية ٩٥ .

فذكر أن سليمان بن كثير قال : أتكلّم أم أسكت ؟ قال : بل تكلّم ،
قال : نحن والله كما قال الشاعر :

١٥٨٧/٢

نو بغير الماء خلّقي شَرِقْ كُنْتُ كَالْغَصَّانِ ؛ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي^(١)

تدري ما قصتنا ؟ صيدت والله العقارب بيدك أيّها الأمير ؛ إنا أناس
من قومك ، وإن هذه المضربة إنما رفعوا إليك هذا لأننا كنا أشدّ الناس على
قتيبة بن مسلم ؛ وإنما طلبوا بثأرهم . فتكلّم ابنُ شريك بن الصامت الباهليّ ،
وقال : إنّ هؤلاء القوم قد أخذوا مرّة بعد مرّة ، فقال مالك بن الهيثم :
أصلح الله الأمير ! ينبغي لك أن تعتبر كلام هذا بغيره ؛ فقالوا : كأنك
يا أخا باهلة تطلبنا بثأر قتيبة ! نحن والله كنا أشدّ الناس عليه ؛ فبعث بهم
أسد إلى الحبس ، ثم دعا عبد الرحمن بن نعيم فقال له : ما ترى ؟ قال :
أرى أن تمنّ بهم على عشائهم ؛ قال : فالتميميان اللذان معهم ؟ قال : تخلّى
سبيلهما ، قال : أنا إذاً من عبد الله بن يزيد نفسيّ ، قال : فكيف تصنع
بالربيعيّ ؟ قال : أخلّيت والله سبيله . ثم دعا بموسى بن كعب وأمر به فألجم^(٢)
بلجام حمار ، وأمر باللجام أن يجذب فجدب حتى تحطّمت أسنانه ، ثم
قال : اكسروا وجهه ، فدُقّ أنفه ، ووجأ لحيته ، فنذّر ضرر له . ثم دعا
بلاهز بن قريط ، فقال لاهز : والله ما في هذا الحق^(٣) ، أن تصنع بنا هذا ، وترك
اليامنين والربيعيين ، فضربه لثمثة سوط ، ثم قال : اصلبوه ، فقال الحسن بن
زيد الأزديّ : هو لي جار وهو برى ، مما قدِّف به ؛ قال : فالآخرون ؟ قال :
أعرفهم بالبراءة ، فخلّى سبيلهم .

١٥٨٨/٢

(١) لعمري بن زيد ، الأغاني ٢ : ١٦٤ . والاعتصار أن يفص الإنسان بالطعام فيعتصر
الماء ، وهو أن يشر به قليلاً قليلاً .
(٢) ح : « وألجم » .
(٣) ابن الأثير : « ما هذا بحق » .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك غزوة معاوية وسليمان ابني هشام بن عبد الملك أرض الروم .

* * *

[ولاية عمار بن يزيد على شيعة بني العباس بخراسان]

وفيها وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد إلى خراسان والياً على شيعة بني العباس ؛ فنزل — فيما ذكر — مرو ، وغيّر اسمه وتسمى بخيداش ، ودعا إلى محمد بن علي ؛ فسارع إليه الناس ، وقبلوا ما جاءهم به ؛ وسمعوا إليه وأطاعوا ، ثم غيّر ما دعاهم إليه ، وتكذّب وأظهر دين الحرّمية ؛ ودعا إليه ورخص لبعضهم في نساء بعض ؛ وأخبرهم أن ذلك عن أمر محمد بن علي ؛ فبلغ أسد بن عبد الله خبره ، فوضع عليه العيون حتى ظفر به ، فأتي به ؛ وقد تجهّز لغزو بلخ ؛ فسأله عن حاله ، فأغلظ خيداش له القول ، فأمر به فقطعت يده ، وقلع لسانه وسُملت عينه .

* * *

[ذكر ما كان من الحارث بن سريج مع أصحابه]

فذكر علي بن محمد عن أسيّاخه ، قال : لما قدم أسد آمل في مبدئه ، ١٥٨٩/٢ أتوه بخيداش صاحب الهاشميّة ، فأمر به قرعة الطبيب ، فقطع لسانه ، وسمل عينه ، فقال : الحمد لله الذي انتقم لأبي بكر وعمر منك ! ثم دفعه إلى يحيى بن نعيم الشيباني عامل آمل . فلما قفل من سمرقند كتب إلى يحيى فقتله وصلبه بآمل ، وأتى أسد بحزّور مولى المهاجر بن دارّة الضبيّ ، فضرب عنقه بشاطئ النهر . ثم نزل أسد منصرفه من سمرقند بلخ ، فسرح جدّيعاً الكرمانيّ إلى القلعة التي فيها ثقل الحارث وثقل أصحابه — (١) واسم القلعة التبوشكان من طخارستان العليا ، وفيها بنو برززيّ التغلبيّون ، وهم أصحاب الحارث — فحصرهم الكرمانيّ حتى فتحها ، فقتل مقاتلتهم وقتل بني برززيّ ،

(١) من هنا تبدأ المقابلة على نسخة ١ ، الجزء الحادي عشر من تجزئة هذه النسخة .

وسبي عامة أهلها من العرب والموالى والذراريء، وباعهم فيمن يزيد في سوق بلخ، فقال علي بن يعلى — وكان شهد ذلك : نقم على الحارث أربعمائة وخمسون رجلاً من أصحابه ؛ وكان رئيسهم جرير بن ميمون القاضي ؛ وفيهم بشر بن أنيف الحنظلي وداود الأعسر^(١) الخوارزمي . فقال الحارث : إن كنتم لابد مفارقي وطلبتم الأمان ، فاطلبوه وأنا شاهد ؛ فإنه أجدر أن يجيبوكم ، وإن ارتحلتم قبل ذلك لم يعطوا الأمان ، فقالوا : ارتحل أنت وخلصنا . ثم بعثوا بشر بن أنيف ورجلا آخر ، فطلبوا الأمان فأمتنهما أسد ووصلهما ، فغدروا بأهل القلعة ، وأخبراه أن القوم ليس لهم طعام ولا ماء ، فصرخ أسد الكرمانى في ستة آلاف ؛ منهم سالم بن منصور البجلي^(٢) ، على ألفين ، والأزهر بن جرهموز النميري في أصحابه ، وجند بلخ وهم ألفان وخمسمائة من أهل الشام ؛ وعليهم صالح بن القعقاع الأزدي ؛ فوجه الكرمانى منصور بن سالم في أصحابه ، فقطع نهر ضرغام ؛ وبات ليله^(٣) وأصبح ، فأقام حتى متع النهار ؛ ثم سار يومه قريباً من سبعة عشر فرسخاً ، فأتعب خيله ، ثم انتهى إلى كشم من أرض جيجويه ؛ فأنهى إلى حائط فيه زرع قد قصّب ، فأرسل أهل العسكر دوابهم فيه ، وبينهم وبين القلعة أربعة فراسخ . ثم ارتحل فلما صار إلى الوادى جاءتة الطلائع فأخبرته بمجيء القوم ورأسهم المهاجر بن ميمون ؛ فلما صاروا إلى الكرمانى كابدهم^(٤) فانصرفوا ، وسار حتى نزل جانباً من القلعة ؛ وكان أول ما نزل في زهاء^(٥) خمسمائة في مسجد كان الحارث بناه ؛ فلما أصبح تنامت إليه الخيل ، وتلاحقت من أصحاب الأزهر وأهل بلخ .

فلما اجتمعوا خطبهم الكرمانى ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل بلخ ؛ لا أجد لكم مثلاً غير الزانية ؛ من أتاها أمكنته^(٦) من رجلها^(٧) ؛ أتاكم الحارث في ألف رجل من العجم فأمكنتموه من مدينتكم ، فقتل أشرافكم ، وطرده أميركم ، ثم سرتهم معه من مكانفيه إلى مَرَوْ فخذلتموه ، ثم انصرف إليكم منهزماً فأمكنتموه من المدينة ؛ والذي نفسى بيده لا يبلغنى عن رجل

(١) ١ : « الأعسر » .
(٢) ١ : « البجلي » .
(٣) ١ : « ليلته » .
(٤) ١ : « كاتبهم » .
(٥) ١ : « رهط » .
(٦) ١ : « مكنته » .
(٧) ١ : « رجلها » .

منكم كتب كتاباً إليهم في سَهْمٍ إلا قطعُ يده ورجله وصلبته ؛ فأما مَنْ كان معي من أهل مَرْو فهم خاصتي ، ولست أخاف غدرهم ، ثم نهدي إلى القلعة فأقام بها يوماً وليلة من غير قتال ؛ فلما كان من الغد نادى مناد : إنا قد نَبَسَدْنَا إليكم بالعهد ؛ فقاتلوهم ؛ وقد عطش القوم وجاعوا ؛ فسألوا أن ينزلوا على الحكم ويترك لهم نساءهم وأولادهم ، فنزلوا على حكم أسد ، فأقام أياماً . وقدم المهلب بن عبد العزيز العتكي بكتاب أسد ، أن يحملوا إلى خمسين رجلاً منهم ؛ فيهم المهاجر بن ميمون ونظرائه من وجوههم ؛ فحملوا إليهم فقتلهم ؛ وكتب إلى الكرمانى أن يصير الذين بقوا عنده أثلاثاً ، فثلث يصلبهم ، وثلث يقطع أيديهم وأرجلهم ، وثلث يقطع أيديهم ؛ ففعل ذلك الكرمانى ، وأخرج أثقالهم فباعها فيمن يزيد ، وكان الذين قتلهم وصلبهم أربعمائة . واتخذ أسد مدينة بلخ داراً في سنة ثمان عشرة ومائة ، ونقل إليها الدواوين واتخذ المصانع ، ثم غزا طخارستان ثم أرض جبخويه ، ففتح وأصاب سببياً .

* * *

وفي هذه السنة عزل هشام خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم عن ١٥٩٢/٢ المدينة ، واستعمل عليها محمد بن هشام بن إسماعيل . ذكر الواقدي أن أبا بكر بن عمرو بن حزم يوم عزل خالد عن المدينة جاءه كتاب بإمرته^(١) على المدينة ؛ فصعد المنبر ، وصلى بالناس ستة أيام ، ثم قدم محمد بن هشام من مكة عاملاً على المدينة .

* * *

وفي هذه السنة مات علي بن عبد الله بن العباس ؛ وكان يكنى أبا محمد ، وكانت وفاته بالحسينية من أرض الشام ؛ وهو ابن ثمان أو سبع وسبعين سنة . وقيل إنه ولد في الليلة التي ضرب فيها علي بن أبي طالب وذلك ليلة سبع عشرة من رمضان من سنة أربعين ، فسماه أبوه علياً ، وقال : سميت باسم أحب الخلق إلى ، وكناه أبا الحسن ، فلما قدم على عبد الملك بن مروان أكرمه وأجلسه على سريره ، وسأله عن كنيته فأخبره ، فقال : لا يجتمع في عسكري هذا

الاسم والكنية لأحد ؛ وسأله : هل وُلِدَ له من ولد ؟ وكان قد ولد له يومئذ محمد بن عليّ ، فأخبره بذلك ، فكناه أبا محمد .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام وهو أمير مكة والمدينة والطائف .
وقد قيل إنّما كان عامل المدينة في هذه السنة خالد بن عبد الملك ، وكان
إلى محمد بن هشام فيها مكة والطائف ؛ والقول الأول قول الواقديّ .

١٥٩٣/٢ وكان على العراق خالد بن عبد الله ، وإليه المشرق كله ، وعامله على خراسان
أخوه أسد بن عبد الله ، وعامله على البصرة وأحداثها وقضاها والصّلاة بأهلها
بلال بن أبي بُردة ، وعلى أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد بن مروان .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة الوليد بن القعقاع العبسي أرض الروم .
وفيهما غزا أسد بن عبد الله الخُتَل ، فافتتح قلعة زغرزك ؛ وسار منها إلى
خِداش ، وملاً يديه من السبي والشاء ؛ وكان الجيش قد هرب إلى الصين .

* * *

[ذكر غزو الترك ومقتل خاقان]

وفيهما لقي أسد خاقان صاحب الترك فقتله ، وقتل بشراً كثيراً من أصحابه ،
وسلم أسد والمسلمون ، وانصرفوا بغنائم كثيرة وسبى .

ذكر الخبر عن هذه الغزوة :

ذكر علي بن محمد عن شيوخه ؛ أنهم قالوا : كتب ابن السائجى إلى
خاقان أبى مزاحم - وإنما كنى أباً مزاحم لأنه كان يزاحم العرب - وهو
مُسَوَّل^(١) ، يعلمه دخول أسد الخُتَل وتفرق جنوده فيها ؛ وأنه بحال مَضِيعَة^(٢) . ١٥٩٤/٢
فلما أتاها كتابه أمر أصحابه بالجهاز - وكان لخاقان مرَج وجبل حمى لا يقربهما
أحد ، ولا يتصيد فيهما ، يتركان للجهد فضاء ، ما كان فى المَرَج ثلاثة أيام ،
وما فى الجبل ثلاثة أيام - فتجهزوا وارتعوا ودبغوا مُسَوك الصيد ؛ واتخذوا
منها أوعية ؛ واتخذوا القسي والنشَّاب ، ودعا خاقان ببرذون مسرج ملعجَم ،
وأمر بشاة فقطِعت ثم علقت فى المعاليق ، ثم أخذ شيئاً من مِلح فصيّره فى
كيس ، وجعله فى منطقته ؛ وأمر كل تركى أن يفعل مثل ذلك ، وقال : هذا
زادكم حتى تلقوا العرب بالخُتَل .

وأخذ طريق خُشوراغ ؛ فلما أحسَّ ابن السائجى أن خاقان قد أقبل
بعث إلى أسد : اخرج عن الخُتَل فإن خاقان قد أظلك . فشم رسولَه ، ولم
يصدقه ؛ فبعث صاحب الخُتَل : لى لم أكذبك ؛ وأنا الذى أعلمته دخولك ؛

وتفرّق جندك ، وأعلمته أنها فُرْصَة له ، وسألته المدد ، غير أنك أمعرت^(١) البلاد ، وأصبّت الغنائم ؛ فإنّ لقيك على هذه الحال ظفّر بك ؛ وعادتنى العرب أبداً ما بقيت . واستطال على خاقان واشتدّت مؤونته ؛ وامتنّ على بةوله : أخرجت العرب من بلادك ، ورددت عليك ملكك ؛ فعرف أسد أنه قد صدّقه ، فأمر بالأنثقال أن تُقدّم ، وولّى عليها إبراهيم بن عاصم العقيليّ^{١٥٩٥/٢} الجزريّ ، الذى كان ولى سجستان بعد ، وأخرج معه المشيخة ، فيهم كثير ابن أمية وأبو سليمان بن كثير الخزاعى وفُضَيْل بن حيّان المهرىّ وسنان بن داود القطعى ، وكان على أهل العالية سنان الأعرابى السلميّ ، وعلى الأقباض عثمان ابن شباب الهمدانيّ ، جدّ قاضى مَرو ، فسارت الأنثقال ؛ فكتب أسد إلى داود بن شعيب والأصمغ بن ذؤالة الكلبيّ - وقد كان وجههما فى وجه : إن خاقان قد أقبل ، فانضمّا إلى الأنثقال ؛ إلى إبراهيم بن عاصم .

قال : ووقع إلى داود والأصمغ رجل دَبُوسىّ ، فأشاع أنّ خاقان قد كسر^(٢) المسلمين ، وقتل أسداً .

وقال الأصمغ : إن كان أسد ومَن معه أصيبوا فإنّ فينا هشاماً ننحاز إليه ؛ فقال داود بن شعيب : قبح الله الحياة بعد أهل خراسان ! فقال الأصمغ : حبّذا الحياة بعد أهل خراسان ! قتل الجراح ومن معه فما ضرّ المسلمين كثير ضرّ ، فإن هلك أسد وأهل خراسان فلن يخذل الله دينه ، وإنّ الله حىّ قيوم ؛ وأمير المؤمنين حىّ وجنود المسلمين كثير . فقال داود : أفلا ننظر ما فعل أسد فنخرج على علم ! فسارا حتى شارفا عسكر إبراهيم فإذا هما بالنيران ، فقال داود : هذه نيران المسلمين أراها متقاربة ونيران الأتراك متفرقة ؛ فقال الأصمغ : هم فى مَضِيق . ودنوا فسمعوا نهيق الحمير ، فقال داود : أما علمت أنّ الترك ليس لهم^(٣) حمير ! فقال الأصمغ : أصابوها بالأمس ؛ ولم يستطيعوا أكلها فى يوم ولا اثنين ؛ فقال داود : نسرّح فارسين فيكبّران ؛ فبعثا فارسين ؛ فلما دنوا من العسكر كبّرا ، فأجابهما^(٤) العسكر

(١) أمعرت البلاد ، أى سلبت ما فيها . (٢) ح ، ف : « هزم » .

(٣) ب : « لها » .

(٤) أ : « فأجابهم » .

بالتكبير ، فأقبلوا إلى العسكر الذى فيه الأثقال ؛ ومع إبراهيم أهل الصغانيان وصغان خذاه ؛ فقام إبراهيم بن عاصم مبادراً .

قال : وأقبل أسد^(١) من الختل نحو جبل الملح يريد أن يخوض نهر بلسخ ، وقد قطع إبراهيم بن عاصم بالسبي وما أصاب . فأشرف أسد على النهر وقد أتاه أن خاقان قد سار من سوياب^(٢) سبع عشرة ليلة ، فقام إليه أبو تمام بن زحر وعبد الرحمن بن خنفر الأزديان ، فقالا : أصلح الله الأمير ! إن الله قد أحسن بلاءك فى هذه الغزوة فغنمت وسلمت فاقطع هذه النطفة ، واجعلها وراء ظهرك . فأمر بهما فوجئت رقابهما ، وأخرجنا من العسكر وأقام يومه . فلما كان من الغد ارتحل وفى النهار ثلاثة وعشرون موضعاً يخوضه الناس ، وفى موضع مجتمع ماء يبلغ دفتى السرج ، فخاضه الناس ، وأمر أن يحمل كل رجل شاة ، وحمل هو بنفسه شاة ؛ فقال له عثمان بن عبد الله بن مطرف ابن الشخير : إن الذى أنت فيه من حمل الشاة ليس بأخطر مما تخاف ؛ ١٥٩٧/٢ وقد فرقت الناس وشغلتهن ، وقد أظلاك عدوك ، فدع هذا الشاء^(٣) لعنة الله عليه ، وأمر الناس بالاستعداد . فقال أسد : والله لا يعبر رجل ليست معه شاة حتى تفنى هذه الغنم إلا قطعت يده ، فجعل الناس يحملون الشاء ؛ الفارس يحملها بين يديه والراجل على عنقه ؛ وخاض الناس . ويقال : لما حفرت سنايك الخيل النهر صار بعض المواضع سباحة^(٤) فكان بعضهم يميل فيقع عن دابته ، فأمر أسد بالشاء أن تقذف ، وخاض الناس ، فما استكملوا العبور حتى طلعت عليهم الترك بالدّم ، فقتلوا من لم يقطع ، وجعل الناس يقتحمون النهار . ويقال كانت المسلحة على الأزد وتميم ، وقد خلّف ضعفة الناس - وركب أسد النهار ، وأمر بالإبل أن يقطع بها إلى ما وراء النهر ، حتى تحمل عليها الأثقال ؛ وأقبل رهج من ناحية الختل ؛ فإذا خاقان ؛ فلما توافى معه صد من جنده حمل على الأزد وبنى تميم فأنكشفوا ، وركض أسد حتى انصرف إلى معسكره ، وبعث إلى أصحاب الأثقال الذين كان سرح أمامه . أن انزلوا وخذلوا مكانكم فى بطن الوادى . قال : وأقبل خاقان ، فظن المسلمون

(٢) ط : « سوياب » ، وما أثبتته من التصويرات .

(٤) ط : « سباحة » .

(١) ا : « إبراهيم » .

(٣) ف : « الشاة » .

أنه لا يقطع إليهم وبينهم وبينه النهر؛ فلما نظر خاقان إلى النهر أمر الأشكند — وهو يومئذ أصبح ينف (١) — أن يسير في الصف حتى يبلغ أقصاه ،
 ١٥٩٨/٢ ويسأل الفرسان وأهل البصّر بالحرب والماء : هل يطاق قطوع النور والحمل على أسد ؟ فكلّهم يقول : لا يطاق ؛ حتى انتهى إلى الأشتيخن ، فقال : بلى يطاق ، لأننا خمسون ألف فارس ؛ فإذا نحن اقتحمنا دفعة واحدة ردّ بعضنا عن بعض الماء فذهب جرّيته . قال : فضربوا بكوساتهم (٢) فظنّ أسد ومن معه أنه منهم وعيد ، فأقحموا دوابّهم ، فجعلت تنخر أشدّ النخير ؛ فلما رأى المسلمون اقتحامَ الترك ولّوا إلى العسكر ، وعبرت الترك فسطع رهجٌ عظيم لا يبصر الرجل دابّته ، ولا يعرف بعضهم بعضاً ؛ فدخل المسلمون عسكرهم وحوّوا ما كان خارجاً ، وخرج الغلمان بالبراذع والعمد ، فضربوا وجوه الترك ؛ فأدبروا ، وبات أسد ؛ فلما أصبح — وقد كان عباً أصحابه من الليل تخوّفاً من غدر خاقان وغدوه عليه ، ولم ير شيئاً — دعا وجوه الناس فاستشارهم ، فقالوا له : اقبل العافية ، قال : ما هذه عافية ، بل هي بليّة ، لقينا خاقان أمس فظفر بنا وأصاب من الجند والسلاح ؛ فما منعه منّا اليوم إلا أنه قد وقع في يديه أسراء فأخبروه بموضع الانتقال أمامنا ، فترك لقاءنا طمعاً فيها . فارتحل فبعث أمامه الطلائع ، فرجع بعضهم فأخبره أنه عاين طوقات (٣) الترك وأعلاماً من أعلام الإشكند ، في بشر قليل . فسار والدوابّ مثقلة ، فقليل له : انزل (٤) أيها الأمير واقبل العافية ، قال : وأين العافية فأقبلها ! إنما هي بليّة وذهاب الأنفس والأموال . فلما أمسى أسد صار إلى منزل ، ١٥٩٩/٢ فاستشار الناس : أينزلون أم يسرون ؟ فقال الناس : اقبل العافية ؛ وما عسى أن يكون ذهاب المال بعافيتنا وعافية أهل خراسان ! ونصر بن سيار مطرق ، فقال أسد : مالك يا بن سيار مطرقاً لا تتكلم ! قال : أصلىح الله الأمير ! خلّصتّان كلتاها لك ، إن تسمّر تغثّ منّ مع الانتقال وتخلّصهم ، وإن أنت انتهيت إليهم وقد هلكوا فقد قطعت قحمة لا بدّ من قطوعها . فقبل رأيه وسار يومه كلّته .

(١) ط : « نسا » ؛ وأثبت ما في التصويبات . (٢) الكوس : الطبل .

(٣) في اللسان : الطاق : ضرب من الملابس ، قيل هو الطيلسان الأخضر . (٤) ب : « أقبل » .

قال : ودعا أسد سعيداً الصغير — وكان فارساً مولىً باهلة ، وكان عالماً بأرض الخُتَل — فكتب كتاباً إلى إبراهيم يأمره بالاستعداد ؛ فإن خاقان قد توجه إلى ما قبلك ، وقال : سِرْ بالكتاب إلى إبراهيم حيث كان قبل الليل ؛ فإن لم تفعل فأسد برىء من الإسلام إن لم يقتلك ؛ وإن أنت لحقت بالحارث فعلى أسد مثلُ الذي حلف ، إن لم يبع امرأتك الدلالُ في سوق بلخ وجميع أهل بيتك . قال سعيد : فادفع إلى فرسك الكُمَيْت الذَّنوب^(١) قال : لعمرى لئن جُدْتُ بدمك ، وبخلتُ عليك بالفرس إني للئيم . فدفعه إليه ، فسار على دابة من جنائبه ، وغلامه على فرس له ، ومعه فرس أسد يجنبه ؛ ١٦٠٠/٢ فلما حاذى^(٢) الترك وقد قصدوا الأتقال طلبته طلائعهم ؛ فتحول على فرس أسد ، فلم يلحقوه ، فأتى إبراهيم بالكتاب ، وتبعه بعض الطلائع — يقال عشرون رجلاً — حتى رأوا عسكر إبراهيم^(٣) ، فرجعوا إلى خاقان فأخبروه . فغدا خاقان على الأتقال ، وقد خندق إبراهيم خندقاً ؛ فأثامهم وهم قيام عليه ؛ فأمر أهل السُّعْد بقتالهم ؛ فلما دنوا من مسلحة المسلمين ثاروا في وجوههم فهزموهم ، وقتلوا منهم رجلاً ، فقال خاقان : اركبوا ، وصعد خاقان تلاً فجعل ينظر العورة ، ووجه القتال ، قال : وهكذا كان يفعل ؛ ينفرد في رجلين أو ثلاثة ، فإذا رأى عورة أمر جنوده فحملت من ناحية العورة . فلما صعد التل رأى خلف العسكر جزيرة دونها مخاضة ، فدعا بعض قواد الترك ، فأمرهم أن يقطعوا فوق العسكر في مقطع وصفه حتى يصيروا إلى الجزيرة ، ثم ينحدروا في الجزيرة حتى يأتوا عسكر المسلمين من دُبُر ، وأمرهم أن يبدعوا بالأعاجم وأهل الصغانيان ، وأن يدعوا غيرهم ؛ فإنهم من العرب ، وقد عرفهم بأبنيتهم وأعلامهم ، وقال لهم : إن أقام القوم في خندقهم فأقبلوا إليكم دخلنا نحن خندقهم ؛ وإن ثبتوا على خندقهم فادخلوا من دُبُرهم عليهم . ففعلوا ودخلوا عليهم من ناحية الأعاجم ، فقتلوا صغان خذاه وعمامة أصحابه ، واحتوا ١٦٠١/٢ على أموالهم ، ودخلوا عسكر إبراهيم فأخذوا عامة ما فيه ، وترك المسلمون التعبئة واجتمعوا في موضع ، وأحسوا بالهلاك ، فإذا رهج قد ارتفع وتربة سوداء ؛

(١) الكيت : الذي خالط حمرة قنوه . والذنوب : الفرس الوافر الذنب .

(٢) ب : « حاذته » . (٣) ب : « إبراهيم وعسكره » .

فإذا أسد في جنده قد أتاها ، فجعلت الترك ترتفع عنهم إلى الموضع الذي كان فيه خاقان ، وإبراهيم يتعجب من كثفتهم وقد ظفروا وقتلوا من قتلوا وأصابوا ما أصابوا ، وهو لا يطمع في أسد .

قال : وكان أسد قد أغذ السير ، فأقبل حتى وقف على التل الذي كان عليه خاقان ، وتنحى خاقان إلى ناحية الجبل ، فخرج إليه من بقي ممن كان مع الأتقال ، وقد قتل منهم بشر كثير ؛ قتل يومئذ بركة بن خولي الراسبي وكثير بن (١) أمية ومشيخة من خيزاعة . وخرجت امرأة صغتان خذلاه إلى أسد ، فبكت زوجها ، فبكى أسد معها حتى علا صوته ، ومضى خاقان يقود الأسراء من الجند في الأوهاق (٢) ويسوق الإبل موقرة والحواري .

قال : وكان مصعب بن عمرو الخزاعي ونفر من أهل خراسان قد أجمعوا على مواقتهم ، فكشفهم أسد ، وقال : هؤلاء قوم قد طابت لهم الرياح واستكلوا ، فلا تعرضوا لهم . وكان مع خاقان رجل من أصحاب الحارث بن سريج فأمره فنأدى : يا أسد ؛ أما كان لك فيما وراء النهر مغزى ! إنك لشديد الحرص ، قد كان لك عن الخستل مندوحة ؛ وهي أرض آبائي وأجدادي . فقال أسد : ١٦٠٢/٢ كان ما رأيت ؛ ولعل الله أن ينتقم منك . قال كور مغانون — وكان من عظماء الترك : لم أر يوماً كان أحسن من يوم الأتقال ، قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : أصبت أموالاً عظيمة ، ولم أأعدوا أسمع من أسراء العرب ؛ يعدو أحدهم فلا يكاد يبرح مكانه .

وقال بعضهم : سار خاقان إلى الأتقال ، فارتحل أسد ؛ فلما أشرف على الظهر ، ورأى المسلمين الترك امتنعوا ، وقد كانوا قاتلوا المسلمين فامتنعوا ، فأتوا الأعاجم الذين كانوا مع المسلمين فقاتلوهم ، فأسروا أولادهم .

قال : فأردف كل رجل منهم وصيفاً أو وصيفة ، ثم أقبلوا إلى عسكر أسد عند مغيب الشمس . قال : وسار أسد بالناس ، حتى نزل مع الثقل . وصبحوا أسداً من الغد ؛ وذلك يوم الفطر ، فكادوا يمنعونهم من الصلاة . ثم انصرفوا ومضى أسد إلى بلخ ؛ فعسكر في مَرَجها حتى أتى الشتاء ، ثم

(١) ط : « أبو » ، وانظر الفهرس . (٢) الوهق : الجبل .

تفرّق الناس في الدور ، ودخل المدينة ، ففي هذه الغزاة قيل له بالفارسية :

أَزْ خُتْلَانْ آمَدِيه بِرُوتْبَاهْ آمَدِيه^(١)

آبَارِ جَبَازْ آمَدِيه خُشَكْ نِزَارْ آمَدِيه

١٦٠٣/٢

قال : وكان الحارث بن سريج بناحية طخارستان ؛ فانضمّ إلى خاقان ؛ فلمّا كان ليلة الأضحى قيل لأسد : إنّ خاقان نزل جزّة ، فأمر بالنّيران فرفعت على المدينة ، فجاء الناس من الرّسائق إلى مدينة بلخ ، فأصبح أسد فصلّى وخطب الناس ، وقال : إنّ عدوّ الله الحارث بن سريج استجلب طاغيته ليظنّي نور الله ، ويبدّل دينه ، والله مذله إن شاء الله . وإن عدوّكم الكلب أصاب من إخوانكم منّ أصاب ، وإن يُردّ الله نصركم لم يضرّكم قلّتكم وكثرتهم ، فاستنصروا الله . وقال : إنه بلغني أن العبد أقرب ما يكون إلى الله إذا وضع جبهته لله ؛ وإني نازل وواضع جبهتي ، فادعوا الله واسجدوا^(٢) لرّبكم ، وأخلصوا له الدعاء . ففعلوا ثم رفعوا رؤوسهم ، وهم لا يشكّون في الفتح ، ثم نزل عن المنبر . وضحّى وشاور الناس في المسير إلى خاقان ، فقال قوم : أنت شابٌّ ، ولست ممن تخوّف من غارة ، على شاة ودابة تخاطر ١٦٠٤/٢ بخروجك . قال : والله لأخرجنّ ؛ فإما ظفّر وإما شهادة .

ويقال : أقبل خاقان ، وقد استمدّ من وراء النهر وأهل طخارستان وجبّغويه الطخاريّ بملوكهم وشاكريّتهم بثلاثين ألفاً ، فنزلوا خلّمْ ، وفيها مسلحة ؛ عليها أبو العوجاء بن سعيد العبدى ، فناوشهم فلم يظفروا منه بشيء ، فساروا على حاميتهم في طريق فيروزبخشين من طخارستان . فكتب أبو العوجاء إلى أسد بمسيرهم . قال : فجمع الناس ، فأقرأهم كتاب أبي العوجاء وكتاب الفرافصة صاحب جزّة بعد مرور خاقان به ، فشاور أسد الناس ، فقال قوم : تأخذ بأبواب مدينة بلخ ، وتكتب إلى خالد والخليفة تستمدّه . وقال آخرون : تأخذ في طريق زمّ ، وتسبق خاقان إلى مرّو . وقال قوم : بل تخرج إليهم وتستنصر الله عليهم ؛ فوافق قولهم رأى أسد

(١) انظر ص ٤٣ و ٤٤ من هذا الجزء .

(٢) ف : « فاسجدوا » .

وما كان عزم عليه من لقائهم . ويقال : إن خاقان حين فارق أسداً ، ارتفع حتى صار بأرض طخارستان عند جبغويه ، فلماً كان وسط الشتاء أقبل فرّاً بجزّة ، وصار إلى الجوزجان وبثّ الغارات ؛ وذلك أن الحارث بن سريج أخبره أنه لا نهوض بأسد ، وأنه لم^(١) يبق معه كبير^(٢) جند ؛ فقال البخترى ابن مجاهد مولى بنى شييان : بل بثّ الخيول حتى تنزل الجوزجان . فلما بثّ الخيل ، قال له البخترى : كيف رأيت رأيي ؟ قال : وكيف رأيت صنع الله عز وجل حين أخذ برأيك ! فأخذ أسد من جبلة بن أبي رواد عشرين ومائة ألف درهم ، وأمر للناس بعشرين عشرين ، ومعه من الجنود من أهل خراسان وأهل الشام سبعة آلاف رجل ، واستخلف على بسلخ الكرمانى بن حلى ، وأمره ألا يدع أحداً يخرج من مدينتها ، وإن ضرب الترك باب المدينة . فقال له نصر بن سيار الليثى والقاسم بن بُخيت المراعى من الأزد وسليم بن سليمان السلمى وعمرو بن مسلم بن عمرو ومحمد بن عبد العزيز العتكى وعيسى الأعرج الحنظلى والبخترى بن أبى درهم البكرى وسعيد الأحمر وسعيد الصغير مولى باهلة : أصلح الله الأمير ؛ ائذن لنا فى الخروج ، ولا تهجن طاعتنا . فأذن لهم ثم خرج فتزل باباً من أبواب بلسخ وضربت له قبة^(٣) ؛ فازتان^(٤) ، وألصق إحداهما بالأخرى ، وصلى بالناس ركعتين طولهما ، ثم استقبل القبلة ونادى فى الناس : ادعوا الله ؛ وأطال فى الدعاء ، ودعا بالنصر ، وأمن الناس على دعائه ؛ فقال : نصرتكم ورب الكعبة ! ثم انفتل من دعائه فقال : نصرتكم ورب الكعبة إن شاء الله ، ثلاث مرات ، ثم نادى مناديه : برئت ذمة الله من رجل حمل امرأة ممّن كان من الجند ، قالوا : إن أسداً إنما خرج^(٥) هارباً ، فخلّف أم بكر أمّ ولده وولده ؛ فنظر فإذا جارية على بغير ، فقال : سلوا لمن هذه الجارية ؟ فذهب بعض الأساورة فسأل ثم رجع ، فقال : لزياد بن الحارث البكرى — وزياد جالس — فقطب أسد ، وقال : لا تنتهون حتى أسطو بالرجل منكم يكرّم على ، فأضرب ظهره وبطنه ، فقال زياد : إن كانت لى فهى حرّة ،

١٦٠٥/٢

١٦٠٦/٢

(٢) ح : « كثير » .

(١) ح : « ولم يبق » .

(٤) ب : « جاء » .

(٣) الفازة : بناء من خرق وغيرها يبنى للمساكر

لا والله أيّها الأمير ما معي امرأة ، فإنّ هذا عدوّ حاسد .

وسار أسدٌ ، فلما كان عند قنطرة عطاء ، قال لمسعود بن عمرو الكرمانى ، وهو يومئذ خليفة الكرمانى على الأزد : ابغى خمسين رجلاً ودابةً أخلفهم على هذه القنطرة ، فلا تدع أحداً ممن جازها أن يرجع إليها ، فقال مسعود : ومن أين أقدر على خمسين رجلاً ! فأمر به فصُرع عن دابّته ، وأمر بضرب عنقه ، فقام إليه قومٌ فكلموه فكف عنه ؛ فلما جاز القنطرة نزل منزلاً ، فأقام فيه حتى أصبح ؛ وأراد المقام يومه ، فقال له العُدافر ^(١) بن زيد : ليأتمر الأمير على المقام يومه حتى يتلاحق الناس . قال : فأمر بالرحيل وقال : لا حاجة لنا ^(٢) إلى المتخلفين ، ثم ارتحل ، وعلى مقدّمته سالم بن منصور البَجَلَى فى ثلثمائة ، فلقى ثلثمائة من الترك طليعة لخاقان ، فأسر قائدهم وسبعة منهم معه ، وهرب بقيّتهم ، فأتى به أسد . قال : فبكى التركى ، قال : ما يبكيك ؟ قال : لست أبكى لنفسى ، ولكنى أبكى لهلاك خاقان ، قال : كيف ؟ قال : لأنه قد فرّق جنوده فيما بينه وبين مرّو .

قال : وسار أسد ؛ حتى نزل السدرة — قرية ببلخ — وعلى خيل أهل العالية ریحان بن زياد العامرى العبدلى من بنى عبد الله بن كعب . قال : فعزله ، وصيّر على أهل العالية منصور بن سالم ، ثم ارتحل من السدرة ، فترل خريستان ، فسمع أسد صهيل فرس ، فقال : لمن هذا ؟ فقيل : للعقار بن دُعَيْر ، فتطير من اسمه واسم أبيه ، فقال : ردّوه ، قال : إني مقتول بجراأتى ^(٣) على الترك ، قال : أسد : قتلك الله ! ثم سار حتى إذا شارف العين الحارة استقبله بشر بن رزين — أو رزين بن بشر — فقال بشارة ورزانة ؛ ما وراءك يا رزين ؟ قال : إن لم تغثنا غلبنا على مدينتنا ، قال : قل للمقدام بن عبد الرحمن يطاول رمحى ، فسار فنزل ^(٤) من مدينة الجوزجان بفرسخين ، ثم أصبحنا ١٦٠٨/٢ وقد تراءت الحيلان ، فقال خاقان للحارث : من هذا ؟ فقال : هذا محمد ابن المثنى ورايته ؛ ويقال : إن طلائع لخاقان انصرفت إليه فأخبرته . أن رهجاً

(١) ط : « العُدافر » ، تصحيف . (٢) ابن الأثير : « بنا » .

(٣) كذا فى ١ ، وفى تصويبات ط : « أنى تفوئل بجراأتى » . (٤) ف : « ونزل » .

ساطعاً طلع من قبيل بلخ ، فدعا خاقان الحارث ، فقال : ألم تزعم أن أسداً ليس به نهوض ! وهذا رهج قد أقبل من ناحية بلخ ، قال الحارث : هذا اللص الذي كنت قد أخبرتك أنه من أصحابي . فبعث خاقان طلائع ، فقال : انظروا هل ترون على الإبل سريراً وكراسى ؟ فجاءته الطلائع ، فأخبروه أنهم عاينوها ، فقال خاقان : اللصوص لا يحملون الأسرّة والكراسى ، وهذا أسد قد أتاك . فسار أسد غلّة فلقية سالم بن جناح ، فقال : أبشر أيها الأمير ، قد حزرتهم ولا يبلغون أربعة آلاف ، وأرجو أن يكون (١) عقيرة الله . فقال المجشّر بن مزاحم ، وهو يسايره : أنزل أيها الأمير رجالك ، فضرب وجهه دابته ، وقال : لو أطعنت يا مجشّر ما كنّا قدمنا هاهنا ، وسار غير بعيد ، وقال : يأهل الصبح ، انزلوا ، فتزلوا وقرّبوا دوابّهم ، وأخذوا النبّسل والقسي . قال : وخاقان في مرج قد بات فيه تلك الليلة .

قال : وقال عمرو بن أبي موسى : ارتحل أسد حين صلّى الغداة ، فمرّ بالجوزجان وقد استباحها خاقان حتى بلغت خيله الشبّورقان . قال : وقصور الجوزجان إذ ذاك ذليلة . قال : وأتاه المقدم بن عبد الرحمن بن نعيم الغامديّ في مقاتلته وأهل الجوزجان — وكان عاملها — فعرضوا عليه أنفسهم ، فقال : أقيموا في مدينتكم ، وقال للجوزجان بن الجوزجان : سير معي ؛ وكان على التعبئة القاسم بن بخيت المرأغي ؛ فجعل الأزديّ وبنو تميم والجوزجان بن الجوزجان وشاكريته ميمنته (٢) ، وأضاف إليهم أهل فلسطين ، عليهم مصعب بن عمرو الخزاعيّ ، وأهل قنسرين عليهم صغراء بن أحمر ، وجعل ربيعة ميسرة ، عليهم يحيى بن حنّين ، وضمّ إليهم أهل حمص عليهم جعفر بن حنظلة البهترانيّ ، وأهل الأزديّ وعليهم سليمان بن عمرو المقرئ من حمير ؛ وعلى المقدّمة منصور بن مسلم البسجليّ ، وأضاف إليهم أهل دمشق عليهم حملة بن نعيم الكلبيّ ، وأضاف إليهم الحرس والشرطة وغلّمان أسد .

قال : وعبّى خاقان الحارث بن سريج وأصحابه وملك السعد وصاحب الشّاش وخرّاً بغيره أبا خاناخرة ، جدّ كاوس وصاحب الختل وجبغويه ، والترك

(١) بعدها في ابن الأثير : « خاقان » .

(٢) ب : « ميمنة » .

كلهم ميمنة. فلمّا التقوا حمل الحارث ومَن معه من أهل السُغد والبابية^(١) وغيرهم على الميسرة ، وفيها ربيعة وجندان من أهل الشام ؛ فهزّمهم فلم يردّهم ١٦١٠/٢
 شيء دون رواق أسد ؛ فشدّت عليهم الميمنة - وهم الأزد وبنو تميم والجوزجان -
 فما وصلوا إليهم حتى انهزم الحارث والأتراك ، وحمل الناس جميعاً ، فقال
 أسد : اللهمّ ! إنهم عصوني فانصرهم ؛ وذهب التُّرك في الأرض عباديد
 لا يلوون على أحد ، فتبعهم الناس مقدار ثلاثة فراسخ يقتلون مَن يقدرون
 عليه ، حتى انتهوا إلى أغنامهم ؛ فاستاقوا أكثر من خمس وخمسين^(٢)
 ومائة ألف شاة ودواب كثيرة . وأخذ خاقان طريقاً غير الجادة في الجبل ،
 والحارث بن سُريج يحميه ، ولحقهم أسد عند الظهر . ويقال : لما واقف أسد
 خاقان يوم خريستان كان بينهم نهر عميق ، فأمر أسد برواقه فرفع ، فقال
 رجل من بني قيس بن ثعلبة : يا أهل الشام ؛ أمكنا^(٣) رأيكم ، إذا حضر
 الناس رفعتم الأبنية^(٤) ! فأمر به فحطّ ، وهاجت ريح الحرب التي تسمى
 الحفّافة ، فهزّمهم الله ، واستقبلوا القبلة يسدّون الله ويكبرون . وأقبل خاقان
 في قريب من أربعمائة فارس عليهم الحُمرة ، وقال لرجل يقال له سوري :
 إنما أنت ملك الجوزجان إن أسلمت العرب ، فن رأيت من أهل الجوزجان
 مولياً^(٥) فاقتله . وقال الجوزجان لعثمان بن عبد الله السخّير : إني لأعلم ببلادى
 وطرقها ؛ فهل لك في أمر فيه هلاك خاقان ولك فيه ذكرٌ ما بقيت ؟ قال :
 ما هو ؟ قال : تتبعني ؛ قال : نعم ؛ فأخذ طريقاً يسمى وراذك ، فأشرفوا
 على طوقات خاقان وهم آمنون ، فأمر خاقان بالكُوسات فضربت ضربة
 الانصراف . وقد شبت الحرب ، فلم يقدر التُّرك على الانصراف ، ثم ضربت
 الثانية فلم يقدرُوا ، ثم ضربت الثالثة فلم يقدرُوا لاشتغالهم ، فحمل ابن السخّير
 والجوزجان على الطوقات ، وولّى خاقان مديراً منهزماً ، فحوى المسلمون عسكرهم
 وتركوا قدورهم تغلبي ونساء من نساء العرب والمواليات ومن نساء التُّرك ،
 ووَحَلَ بخاقان بِرْدُونَه فحمّاه الحارث بن سريج . قال : ولم يعلم الناس أنه

(١) ف : « والثابتة » . (٢) ح ، ف : « خمسين » .

(٣) ح ، ف : « هكذا » . (٤) ف : « الأولى » .

(٥) كذا في ا ، ب ، وهو الصواب ، وفي ط : « قد أتاه » .

خاقان، ووجد عسكر الترك مشحوناً من كل شيء من آنية الفضة وصناعات الترك . وأراد الحصى أن يحمل امرأة خاقان ، فأعجلوه عن ذلك ، فطعنوها بخنجر فوجدوها تتحرك ، فأخذوا خفتها وهو من لبود^(١) مضرب .

قال : فبعث أسد بجواري الترك إلى دهاقين خراسان ، واستنقذ من كان في أيديهم من المسلمين .

قال : وأقام أسد خمسة أيام . قال : فكانت الخيول التي فرق تقيل فيصيبهم أسد ، فاغتم الظفر وانصرف إلى بلخ يوم التاسع من خروجه ، فقال ابن السجّنف المجاشعي :

لو سرت في الأرض تقيس الأرضاً تقيس منها طولها والعرضاً
لَمْ تَلَقْ خَيْراً مِرَّةً ونقضاً من الأمير أسد وأمضى
أَفْضَى إِلَيْنَا ، الْخَيْرُ حِينَ أَفْضَى وَجَمَعَ الشَّمْلَ وَكَانَ رَفْضاً ١٦١٢/٢

ما فاتته خاقان إلا ركضاً قد فُضَّ مِنْ جُمُوعِهِ مَافُضاً
يَابْنَ سُرَيْجَ قَدْ لَقِيتَ حَمَضاً حَمَضاً بِهِ يُشْفَى صُدَاعُ الْمَرَضِ

قال : وارتحل أسد ، فنزل جيزة الجوزجان من غد ، وخاقان بها ، فارتحل هارباً منه . وندب أسد الناس ، فانتدب ناساً كثيرين من أهل الشام وأهل العراق ، فاستعمل عليهم جعفر بن حنظلة البهراني ، فساروا ونزلوا مدينة تسمى ورد من أرض جيزة ، فباتوا بها فأصابهم ريح ومطر - ويقال : أصابهم الثلج - فرجعوا . ومضى خاقان فنزل على جغويه الطخاري ، وانصرف البهراني إلى أسد ، ورجع أسد إلى بلخ ، فلقوا خيل الترك التي كانت بمرو الروذ منصرفة لتغير على بلخ ، فقتلوا من قدروا عليه منهم ؛ وكان الترك قد بلغوا بيعة مرو الروذ ، وأصاب أسد يومئذ أربعة آلاف درع ؛ فلما صار ببلخ أمر الناس بالصوم لافتتاح الله عليهم .

قال : وكان أسد يوجه الكرمان في السرايا ، فكانوا لا يزالون يصيبون الرجل والرجلين والثلاثة وأكثر من الترك ؛ ومضى خاقان إلى طخارستان العليا ،

(١) في اللسان : كل شعر أو صوف متلبد بفضه على بعض فهو لبد وليدة ، والجمع ألباد ولبرود على توهم طرح الماء .

فأقام عند جبغويه الحَزْلَخِيّ تعزّزاً به ، وأمر بصنيعة الكُوسات ، فلما جفّت وصلّحت ^(١) أصواتها ارتحل إلى بلاده ؛ فلما ورد شروسنة ، تلقّاه خرابغره ١٦١٣/٢ أبو خاناخره ، جدّ كاوس أبي أفشين باللّعبّابين ، وأعدّ له هدايا ودوابّ له ولجنده — وكان الذى بينهما متباعداً — فلما رجع منهزماً أحبّ أن يتخذ عنده يدّاً ، فأثاء بكلّ ما قدر عليه . ثم أتى خاقان بلاده ، وأخسذ فى الاستعداد للحرب ومحاصرة سمرقند ، وحُمِل الحارث بن سُريج وأصحابه على خمسة آلاف بِرْدُون ، وفرق براذين فى قوَاد التّرك ، فلاعب خاقان يوماً كُورصُول بالنرد على خطّار ^(٢) تُدْرِجَة ، فقمّر كورصول التّرقشّى ، فطلب منه التّدرّجَة ، فقال : أنّى ، فقال : الآخر ذكر ؛ فتنازعا ، فكسر كُورصول يدّ خاقان ، فحلف خاقان ليكسرنّ يد كُورصول ؛ وبلغ كورصول فتتخّى وجمع جمعاً من أصحابه ، فبيّت خاقان فقتله ؛ فأصبحت التّرك تفرّقوا عنه وتركوه مجرّداً ، فأثاء زُرّيق بن طُفَيْل الكُشّانى وأهل بيت الحموكيّين — وهم من عظماء التّرك — فحمّله ودفنه ، وصنع به ما يصنع بمنّله إذا قتل . فتفرّقت التّرك فى الغارات بعضها على بعض ، وانحاز بعضهم إلى الشّاش ؛ فعند ذلك طمع أهل السّغد فى الرّجعة إليها . قال : فلم يسلم من خيّل التّرك ١٦١٤/٢ التى تفرّقت فى الغارات إلّا زرّ بن الكسى ، فإنه سلم حتى صار إلى طخارستان ، وكان أسد بعث من مدينة بلخ سيف بن وصاب العجلىّ على فرس ، فسار حتى نزل الشّبورقان ^(٣) . قال : وفيها إبراهيم بن هشام مسلحة ، فحمّله منها على البريد حتى قدم على خالد بن عبد الله ، فأخبره ، ففطع به هشام فلم يصدّقه ، وقال للرّبيع حاجبه : ويحك ! إن هذا الشيخ قد أثنانا بالطامة الكبرى إذا كان صادقاً ؛ ولا أراه صادقاً ، اذهب فعده ثم سلّه عمّا يقوله وأتّنى بما يقول . فانطلق إليه ففعل الذى أمره به ، فأخبره بالذى أخبره هشاماً . قال : فدخل عليه أمر عظيم ؛ فدعا به بعد ، فقال : من القاسم بن بُخَيْت منكم ؟ قال : ذلك صاحب العسكر ، قال : فإنه قد أقبل ، قال : فإن كان قد أقبل فقد

(١) كذا فى ١ ، وفى ط : « صلح » .

(٢) الخطر : السيق يتراهن عليه .

(٣) ب : « النسور » ، ح : « السبوريان » ، ف : « البشوريان » .

فتح الله على أمير المؤمنين - وكان أسد وجهه حين فتح الله عليه - فأقبل القاسم بن بُخيت ، فكبّر على الباب ، ثم دخل يكبّر وهشام يكبّر لتكبيره ، حتى انتهى إليه ، فقال : الفتح يا أمير المؤمنين ؛ وأخبره الخبر ، فنزل هشام عن سريره فسجد سجدة الشكر ؛ وهى واحدة عندهم . قال : فحسدت القيسية أسداً وخالداً ؛ وأشاروا على هشام أن يكتب إلى خالد بن عبد الله ، فيأمر أخاه أن يوجه مقاتل بن حيان ، فكتب إليه ، فدعا أسد مقاتل بن حيان على رموس الناس ، فقال : سر إلى أمير المؤمنين فأخبره بالذى عاينت وقل الحق ؛ فإنك لا تقول غير الحق إن شاء الله ، وخذ من بيت المال حاجتك . قالوا : إذاً لا يأخذ شيئاً^(١) ، قال : أعطه من المال كذا وكذا ، ومن الكسوة كذا وكذا ، وجهّزه .

١٦١٥/٢

فسار فقدم^(٢) على هشام بن عبد الملك وهو والأبرش جالسان ، فسأله فقال : غزونا الخُتَل ، فأصبنا أمراً عظيماً ، وأنذر أسد بالترك فلم نحفل بهم حتى لحقوا واستنقذوا من غنائمنا ، واستباحوا^(٣) بعض عسكرنا ، ثم دفعونا دفعة قريباً من خُلم ، فانتهى الناس إلى مشاتيهم ، ثم جاءنا مسير خاقان إلى الجوزجان ، ونحن قريبو العهد بالعدو^(٤) ؛ فسار بنا حتى التقينا برُستاق بيننا وبين أرض الجوزجان ، فقاتلناهم وقد حازوا ذراري من ذراري المسلمين ، فحملوا على ميسرتنا فكشفوهم . ثم حملت ميمنتنا عليهم ، فأعطانا الله عليهم الظفر ، وتبعناهم فراسخ حتى استبحنا عسكر خاقان ؛ فأجلى عنه - وهشام متكى فاستوى جالساً عند ذكره عسكر خاقان - فقال ثلاثاً : أنتم استبحتم عسكر خاقان ! قال : نعم ، قال : ثم ماذا ؟ قال : دخلوا الخُتَل وانصرفوا^(٥) . قال هشام : إن أسداً لضعيف ، قال : مهلاً يا أمير المؤمنين ؛ ما أسد

١٦١٦/٢

بضعيف وما أطاق فوق ما صنع ، فقال له هشام : حاجتك ؟ قال : إن يزيد بن المهلب أخذ من أبي حيان مائة ألف درهم بغير حق ؛ فقال له هشام : لا أكلفك شاهداً ، احلف بالله إنه كما قلت ، فحلف ، فردّها عليه من بيت

(٢) ب : « وقدم » .

(٤) ب : « عهد بغزو » .

(١) ساقطة من ح ، ف .

(٣) ف : « واستباحوا » .

(٥) كذا في ا ، ب .

مال خراسان ، وكتب إلى خالد أن يكتب إلى أسد فيها ؛ فكتب إليه ، فأعطاه أسد مائة ألف درهم ، فقسمها بين ورثة جيان على كتاب الله وفرائضه . ويقال : بل كتب إلى أسد أن يستخير عن ذلك ، فإن كان ما ذكر حقاً أعطى مائة ألف درهم .

وكان الذي جاء بفتح خراسان إلى مرو عبد السلام بن الأشهب بن عتبة الحنظلي . قال : فأوفد أسد إلى خالد بن عبد الله وفداً في هزيمته يوم سان ، ومعهم طوقات خاقان ورعوس من قتلوا منهم ، فأوفدهم خالد إلى هشام ، فأحلفهم أنهم صدقوا ، فحلفوا ، فوصلهم ، فقال أبو الهندي الأسدي لأسد يذكر وقعة سان :

أبا مُنْذِرٍ رُمْتَ الْأُمُورَ فَفَقِستَها^(١) وساءَلْتَ عَنْها كالحريصِ المُسَاوِمِ
فَمَا كَانَ ذُو رَأْيٍ مِنَ النَّاسِ قَسْتَهُ برَأْيِكَ إِلَّا مِثْلَ رَأْيِ الْبُهَائِمِ
أبا مُنْذِرٍ لَوْلَا مَسِيرُكَ لَمْ يَكُنْ عِرَاقٌ وَلَا انْقَادَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ
وَلَا حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مَذْجُجٌ- رَاكِبٌ^(٢) وَلَا عَمَرَ الْبَطْحَاءُ بَعْدَ الْمَوَاسِمِ
فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ بَيْنَ سَانٍ وَجَزَّةٍ كَثِيرِ الْأَيَادِي مِنْ مُلُوكٍ قَمَاقِمِ^(٣)
تَرَكَتْ بِأَرْضِ الْجُوزْجَانِ تَزُورُهُ سِبَاعٌ وَعُقْبَانٌ لِحَزِ الْغَلَاصِمِ
وَذَى سُوقَةٍ فِيهِ مِنَ السَّيْفِ خُطَّةٌ بِهِ رَمَقٌ حَامِتٌ عَلَيْهِ الْحَوَائِمِ^(٤)
فَمِنْ هَارِبٍ مِنَّا وَمِنْ دَائِنٍ لَنَا أَسِيرٌ يُقَاسِي مُبْهَمَاتِ الْأَدَاهِمِ^(٥)
فَلَنْتَكَ نَفُوسٌ مِنْ تَمِيمٍ وَعَامِرٍ وَمِنْ مُضَرٍّ الْحَمْرَاءِ عِنْدَ الْمَازِمِ
هُمْ أَطْمَعُوا خَاقَانَ فَنَاصَبَحَتْ جَلَابِئُهُ تَرْجُو اخْتِوَاءَ الْمَغَايِمِ^(٦)

قال : وكان السبل أوصى عند موته ابن السائجي حين استخلفه بثلاث خصال ، فقال : لا تستطل على أهل الختل استطالتي التي كانت عليهم ؛

(١) ابن الأثير : « وقستها » . (٢) ابن الأثير : « من حج » .

(٣) ابن الأثير : « كسير الأيادي » بالسين .

(٤) ابن الأثير : « به ريق ملق لحوم الحوائم » .

(٥) ابن الأثير : « مهمات الأدهم » .

(٦) ابن الأثير : « جلانيه ترجو خلوا المغايم » .

فإني ملك ولست بملك ؛ إنما أنت رجل منهم ، فلا يَحْتَمِلُونَ لك ما يَحْتَمِلُونَ للملوك ، ولا تدع أن تطلب الجيش^(١) حتى تردّ إلى بلادكم ، فإنه الملك بعدى والملوك هم النظام ، والناس ما لم يكن لهم نظام طغام ، ولا تحاربوا العرب واحتالوا لهم كل حيلة تدفعونهم بها عن أنفسكم ما قدرتم . فقال له ابن السائجى : أما ما ذكرت من تركى الاستطالة على أهل الختلّ فإني قد عرفت ذلك ، وأما ما أوصيت من ردّ الجيش^(٢) فقد صدق الملك ، وأما قواك : لا تحاربوا العرب ، فكيف تنهى عن حربهم ، وقد كنت أكثر الملوك لهم محاربة ! قال : قد أحسنت إذ سألت عما لا تعلم ؛ إني قد جربت قوتكم بقوتي ، فلم أجدم تقعون منى موقعاً ، فكنت إذا حاربتمهم لم أفلت منهم إلا جريضاً ، وإنكم إن حاربتموهم هلكتم في أول محاربتكم إياهم .

قال وكان الجيش^(٢) ، قد هرب إلى الصين ، وابن السائجى الذى أخبر أسد بن عبد الله بمسير خاقان إليه ، فكره محاربة أسد .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل المغيرة بن سعيد ونفر معه]

وفى هذه السنة خرج المغيرة بن سعيد وبيان في نفر ، فأخذهم خالد فقتلهم .

* ذكر الخبر عن مقتلهم :

أما المغيرة بن سعيد ، فإنه كان — فيما ذكر — ساحراً . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، قال : سمعت المغيرة بن سعيد ، يقول : لو أردت أن أحيى عاداً أو ثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً لأحييتهم . قال الأعمش : وكان المغيرة يخرج إلى المقبرة فيتكلم ، فيرى مثل الجراد^(٣) على القبور ، أو نحو هذا من الكلام .

وذكر أبو نعيم ، عن النضر بن محمد ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلي ، قال : قدم علينا رجل من أهل البصرة يطلب العلم ؛ فكان عندنا ، فأمرت جاريتي يوماً أن تشتري لى سمكاً بدرهمين ، ثم انطلقت أنا

(١) ابن الأثير : « الحنيش » ، والعبارة فيه : « اطلب الحنيش حتى ترد إلى بلادكم ؛ فإنه الملك بعدى — وكان الحنيش هرب إلى الصين » .

(٢) ابن الأثير : « الحنيش » . (٣) ا ، ب : « الجرى » .

والبصريّ إلى المغيرة بن سعيد ، فقال لى : يا محمد ، أتحب أن أخبرك ، لم افترق حاجباك ؟ قلت : لا ، قال أفتحب أن أخبرك لم سمالك أهلاك محمدًا ؟ قلت : لا ، قال : أما إنك قد بعثت خادمك يشتري لك سمكًا بدرهمين . قال : ١٦٢٠/٢
فنهضنا عنه . قال أبو نعيم : وكان المغيرة قد نظر في السحر ، فأخذه خالد القسرى فقتله وصلبه .

وذكر أبو زيد أن أبا بكر بن حفص الزهرى ، قال : أخبرنى محمد بن عقيل ، عن سعيد بن مرادبند ، مولى عمرو بن حرث ، قال : رأيتُ خالدًا حين أتى بالمغيرة وبيان في ستة رهط أو سبعة ، أمر بسريره فأخرج إلى المسجد الجامع ، وأمر بأطنان^(١) قصب ونيفط فأحضرا ، ثم أمر المغيرة أن يتناول طنًا فكع عنه وتأتى ، فصبت السياط على رأسه ، فتناول طنًا فاحتضنه ، فشده عليه ، ثم صب عليه وعلى الطن نيفط ، ثم ألهمت فيهما النار فاحترقا ، ثم أمر الرهط ففعلوا ، ثم أمر بيانًا آخرهم فقدم إلى الطن مبادرًا فاحتضنه ، فقال خالد : ويلكم ! فى كل أمر تحمقون ، هلا رأيتم هذا المغيرة ! ثم أحرقه .

قال أبو زيد : لما قتل خالد المغيرة وبيانًا أرسل إلى مالك بن أعين الجهمي فسأله فصدقه عن نفسه ، فأطلقه ، فلما خلا مالك بمن يثق به — وكان فيهم أبو مسلم صاحب خراسان — قال :

ضَرَبْتُ لَهُ بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ لَاحِبًا وَطَنْتُ عَلَيْهِ الشَّمْسَ فِيمَنْ يَطِينُهَا
وَأَلْقَيْتُهُ فِي شُبْهَةٍ حِينَ سَالَنِي كَمَا اشْتَبَهَا فِي الْخَطِّ سَيْنٌ وَشَيْنُهَا ١٦٢١/٢
فقال أبو مسلم حين ظهر أمره : لو وجدته لقتلته بإقراره على نفسه .

قال أحمد بن زهير ، عن على بن محمد ، قال : خرج المغيرة بن سعيد في سبعة نفر ، وكانوا يُدعون الوصفاء ، وكان خروجهم بظهر الكوفة ، فأخبر خالد القسرى بخروجهم وهو على المنبر ، فقال : أطعموني ماء ، فنعى ذلك عليه ابن نوفل^(٢) ، فقال :

أَخَالِد لَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا وَأَيُّرُ فِي حِرَامِكَ مِنْ أَمِيرٍ

(١) أطنان : جمع طن ؛ وهو حزمة القصب .

(٢) هو يحيى بن نوفل ، والشمرى البياض والتبيين ٢ ؛ ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، مع اختلاف فى الرواية .

تَمَنَّى الْفَخْرَ فِي قَيْسٍ وَقَسَرَ
وَأَمَّكَ عِلْجَةً وَأَبُوكَ وَغَدُّ
جَرِيرٌ مِنْ ذَوَى يَمَنِ أَصِيلٌ
وَأَنْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ يَزِيدٍ
وَكُنْتَ لَدَى الْمُغِيرَةِ عَبْدَ سَوْءٍ
وَقُلْتَ لِمَا أَصَابَكَ : أَطْعِمُونِي
لِأَعْلَاجٍ ثَمَانِيَةٍ وَشَيْخٍ
كَأَنَّكَ مِنْ سَرَاةِ بَنِي جَرِيرٍ
وَمَا الْأَذْنَابُ عِذْلًا لِلصُّدُورِ
كَرِيمُ الْأَصْلِ ذُو خَطَرٍ كَبِيرٍ
وَقَدْ أُدْحِقتُمْ دَحَقَ الْعُبُورِ ^(١)
تَبُولُ مِنَ الْمَخَافَةِ لِلزَّئِيرِ
شَرَابًا ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ
كَبِيرِ السِّنِّ لَيْسَ بِلَذِي نَصِيرِ

١٦٢٢/٢

* * *

[خبر مقتل بهلول بن بشر]

وفي هذه السنة حكّم بهلول بن بشر الملقب كثارة فقتل .

* ذكر الخبر عن مخرجه ومقتله :

ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن بهلولاً كان يتأله ^(١) ، وكان له قوت دائق ، وكان مشهوراً بالبأس عند هشام بن عبد الملك ، فخرج يريد الحج ، فأمر غلامه أن يبتاع له خلاً بدرهم ، فجاءه غلامه بخمر ، فأمر بردها وأخذ الدراهم ، فلم يُجِبْ إلى ذلك ، فجاء بهلول إلى عامل القرية - وهي من السواد - فكلّمه ، فقال العامل : الخمر خير منك ومن قومك ؛ فضى بهلول في حسيّته حتى فرغ منه ، وعزم على الخروج على السلطان ، فلقى بمكة من كان على مثل رأيه ، فاتعدوا قرية من قرى الموصل ، فاجتمع بها أربعون رجلاً ، وأمروا عليهم البهلُول ، وأجمعوا على ألا يمرّوا بأحد إلا أخبروه أنهم أقبلوا من عند هشام على بعض الأعمال ، ووجههم ^(٢) إلى خالد ليسفّدهم في أعمالهم ، فجعلوا لا يمرّون بعامل إلا أخبروه بذلك . وأخذوا دوابّ من دوابّ البريد ، فلما انتهوا إلى القرية التي كان ابتاع فيها الغلام الخلّ فأعطى خمرأ ، قال بهلول : نبدأ بهذا العامل الذي قال ما قال ؛ فقال له أصحابه : نحن نريد قتل خالد ؛ فإن

١٦٢٣/٢

(١) الدحق : الدفع . (٢) يتأله : يتمد . (٣) كذا في ح ، وفي ط : « وجههم » .

بدأنا بهذا شهرنا وحذرنا خالد وغيره ؛ فننشدك الله أن تقتل (١) هذا فيقتل منا خالد الذي يهدم المساجد ؛ ويبني البيع والكنائس ، ويولّي المجوس على المسلمين ، وينكح أهل الذمة المسلمات ؛ لعلنا نقتله فيريح الله منه . قال : والله لا أدع ما يلزمني لما بعده ؛ وأرجو أن أقتل هذا الذي قال لي ما قال وأدرك خالد فأقتله ؛ وإن تركت هذا وأتيت خالداً شهر أمرنا فأقلت هذا ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ (٢) ، قالوا : أنت ورأيك . فأتاه فقتله ، فندّر بهم الناس وعلموا أنهم خوارج ، وابتدروا إلى الطريق هرباً ، وخرجت البرد إلى خالد فأخبروه (٣) أن خارجة قد خرجت ؛ وهم لا يدرون حينئذ من رئيسهم .

فخرج خالد من واسط حتى أتى الحيرة وهو حينئذ في الحلق (٤) ، وقد قدم في تلك الأيام قائد من أهل الشام من بني القيس في جيش قد وجّهوا مدداً (٥) لعامل خالد على الهند ، فنزلوا الحيرة ، فلذلك قصدها خالد ، فدعا رئيسهم فقال : قاتل هؤلاء المارقة ؛ فإن من قتل منهم رجلاً أعطيته عطاء سوى ما قبض بالشام ، وأعفيته من الخروج إلى أرض الهند — وكان الخروج إلى أرض الهند شاقاً عليهم — فسارعوا إلى ذلك ، فقالوا : نقتل هؤلاء النفر ونرجع إلى بلادنا . فتوجه القيس إلىهم في ستمائة ، وضم إليهم خالد مائتين من شرط الكوفة ، فالتقوا على الفرات ، فعبأ القيس أصحابه ، وعزل شرط الكوفة ، فقال : لا تكونوا معنا — وإنما يريد في نفسه أن يخلو هو وأصحابه بالقوم فيكون الظفر لهم دون غيرهم لما وعدهم خالد — وخرج إليهم بهلول ، فسأل عن رئيسهم حتى عرف مكانه ، ثم تنكّر (٦) له ، ومعه لواء أسود ، فحمل عليه فطعنه في فرج درعه ؛ فأنفذه . فقال : قتلتني قتلك الله ! فقال بهلول : إلى النار أبعدك الله .

وولّى أهل الشام مع شرط أهل الكوفة منهنزين حتى بلغوا باب الكوفة ، وبهلول وأصحابه يقتلونهم . فأما الشاميون فإنهم كانوا على خيل جياد فقاتوه ؛ وأما شرط الكوفة فإنه لحقهم ، فقالوا : اتق الله فينا فإننا مكرهون مقهورون ؛

(١) ف : « تفعل » . (٢) سورة التوبة: ١٢٣ . (٣) ابن الأثير : « فأعلموه » .
(٤) ط : « الخلق » . (٥) ح : « أمداداً » . (٦) كذا في أ .

فجعل يقرع رؤوسهم بالرمح ، ويقول : الحقوا! النجاء النجاء ! ووجد البهلول مع القيني بـدرة فأخذها .

وكان بالكوفة ستة نفر يرون رأى البهلول ، فخرجوا إليه يريدون اللحاق به فقتلوا ، وخرج إليهم البهلول وحمل البـدرة بين يديه ، فقال : مَنْ قتل هؤلاء النفر حتى أعطيت هذه الدراهم ؟ فجعل هذا يقول^(١) : أنا ، وهذا يقول : أنا ؛ حتى عرفهم ؛ وهم يرون أنه من قبـل خالد جاء ليعطيهم مالا لقتلهم مَنْ قتلوا . فقال لبهلول لأهل القرية : أصدق هؤلاء ، هم قتلوا النفر^(٢) ؟ قالوا : نعم ؛ وخشى بهلول أنهم ادّعوا ذلك طمعاً في المال ، فقال لأهل القرية : انصرفوا أنتم ؛ وأمر بأولئك فقتلوا ، وعاب عليه أصحابه فحاجتهم ، فأقروا له بالحجة .

١٦٢٥/٢

وبلغت هزيمة القوم خالداً وخبر مَنْ قُتِلَ من أهل صـرّيفين ، فوجّه قائداً من بني شـيـبـان أحد بني حوشب بن يزيد بن رويم ؛ فلقبهم فيما بين الموصل والكوفة ، فشدّ عليهم البهلول ، فقال : نشدتك بالرحم ! فإني جانح مستجير ! فكفّ عنه ؛ وانهزم أصحابه ، فأتوا خالداً وهو مقيم بالحيرة ينتظر ، فلم يرعه إلا الفـلّ قد هجم عليه ؛ فارتحل البهلول من يومه يريد الموصل ؛ فخافه عامل الموصل ، فكتب إلى هشام : إنّ خـارجةً خرجت فعاثت وأفسدت ؛ وأنه لا يأمن على ناحيته ، ويسأله جنداً يقاتلهم به ؛ فكتب إليه هشام : وجّه إليهم كـثـارة بن بشر — وكان هشام لا يعرف البهلول إلا بلقبه — فكتب إليه العامل : إن الخارج هو كـثـارة .

١٦٢٦/٢

قال : ثم قال البهلول لأصحابه : إنا والله ما نصنع بابن النصرانية شيئاً — يعني خالداً — وما خرجت إلا لله ، فلم لا نطلب الرأس الذي يسلط^(٣) خالداً وذو خالد ! فتوجّه يريد هشاماً بالشام ، فخاف عمّال هشام مـوـجـدته إن تركوه يجوز بلادهم حتى ينتهي إلى الشام ، فجنّد له خالد جنداً من أهل العراق ، وجنّد له عامل الجزيرة جنداً من أهل الجزيرة ، ووجّه إليه هشام جنداً من أهل الشام ؛ فاجتمعوا بدير بين الجزيرة والموصل ، وأقبل لبهلول حتى انتهى

(٢) ١ : « قتلوا من نفر » .

(١) ف : « يقول هذا » .

(٣) ابن الأثير : « سلط » .

إليهم - ويقال : التقوا بالكُحَيْلِ دون الموصل - فأقبل بهلول ، فنزل على باب الدَّيْر ، فقالوا له : تترجح عن باب الدير حتى نخرج إليك ، فتنحى وخرجوا ؛ فلما رأى كثرتهم وهو في سبعين جعل من أصحابه ميمنة وميسرة ، ثم أقبل عليهم فقال : أكلتكم يرجو أن يقتلنا ثم يأتي بلده وأهله سالمًا ؟ قالوا : إنا نرجو ذلك إن شاء الله ، فشدَّ على رجل منهم فقتله ، فقال : أما هذا فلا يأتي أهله أبدًا ؛ فلم يزل ذلك ديدنه حتى قتل منهم ستة نفر ؛ فانهزموا ، فدخلوا الدَّيْر فحاصروهم ، وجاءتهم الأمداد فكانوا عشرين ألفًا ، فقال له أصحابه : ألا نعقر دوابنا ، ثم نشدَّ عليهم شدة واحدة ؟ فقال : لا تفعلوا حتى نبلى الله عذراً ما استمسكنا^(١) على دوابنا ، فقاتلوهم يومهم ذلك كله إلى جنح العصر حتى أكثروا^(٢) فيهم القتل والجراح .

١٦٢٧/٢

ثم إن بهلولاً وأصحابه عقروا دوابَّهم وترجَّلوا ، وأصلتوا لهم السيوف ، فأوجعوا فيهم ؛ فقتل عامة أصحاب بهلول وهو يقاتل ويدود عن أصحابه ، وحمل عليه رجل من جندِ يلة قيس يكنى أبا الموت ، فطعنَه فصرعه ، فوافاه من بقي من أصحابه ، فقالوا له : وكلَّ أمرنا من بعدك من يقوم به ، فقال : إن هلك فأمر المؤمنين دعامه الشيباني ، فإن هلك دعامه فأمر المؤمنين عمرو اليشكري ، وكان أبوالموت إنما ختل البهلُول . ومات بهلول من ليلته ، فلما أصبحوا هرب دعامه وخلائهم ، فقال رجل من شعرائهم :

لبئس أمير المؤمنين دعامه^(٣) دعامه في الهيجاء شرَّ الدعائم

وقال الضحَّاك بن قيس يرثي بهلولاً ، ويذكر أصحابه :

بدلتُ بعد أبي بشر وصحبته قوماً على مع الأحزاب أعوانا
كأنهم لم يكونوا من صحابتنا ولم يكونوا لنا بالأمس خلاناً
يا عين أذرى دُموعاً منك تهتنا وابكى لنا صحبةً بانوا وإخوانا
خلوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها وأصبحوا في جنان الخلد جيرانا
قال أبو عبيدة : لما قتل بهلول خرج عمرو اليشكري فلم يلبث أن قتل . ثم

(٢) ف : « فأكثرُوا » .

(١) ب : « ما استمكننا » .

(٣) ا : « معترفاً به » .

خرج العنزى صاحب^(١) الأشهب - وبهذا كان يعرف - على خالد في ستين ، فوجه إليه خالد السمسط بن مسلم^(٢) البجلي في أربعة آلاف ، فالتقوا بناحية الفرات ، فشد العنزى على السمسط ، فضر به بين أصابعه فألقى سيفه ، وشدت يده ، وحمل عليهم فانهزمت الحرورية فتلقاهم عبيد أهل الكوفة وسفلتهم ، فرمؤهم بالحجارة حتى قتلوهم .

١٦٢٨/٢

قال أبو عبيدة : ثم خرج وزير السخثيانى على خالد في نفر ؛ وكان مخرجه بالحيرة ، فجعل لا يمر بقرية إلا أحرقها ، ولا أحد إلا قتله ؛ وغلب على ما هنالك وعلى بيت المال ، فوجه إليه خالد قائداً من أصحابه وشُراً من شُراط الكوفة ، فقاتلوه وهو في نفر ؛ فقاتل حتى قتل عامة أصحابه ، وأخذ بالجرار ؛ فأخذ مرتشئاً ، فأتى به خالد ، فأقبل على خالد فوعظه ، وتلا عليه آيات من القرآن . فأعجب خالد ما سمع منه ، فأمسك عن قتله وحبسه عنده ، وكان لا يزال يبعث إليه في الليالي فيؤتى به فيحادثه ويسأله ، فبلغ ذلك هشاماً وسعى به إليه ، وقيل : أخذ حرورياً قد قتل وحرق وأباح الأموال ، فاستبقاه فاتخذته سميراً . فغضب هشام ، وكتب إلى خالد يشتمه ، ويقول : لا تستبق فاسقاً قتل وحرق ، وأباح الأموال ؛ فكان خالد يقول : إني أنفَسَ به عن الموت لما كان يسمع من بيانه وفصاحته . فكتب فيه إلى هشام يرقق من أمره - ويقال : بل لم يكتب ولكنه كان يؤخر أمره ويدفع عنه - حتى كتب إليه هشام يؤنبه ويأمره بقتله وإحراقه ؛ فلما جاءه أمر عزيمة لا يستطيع دفعه بعث إليه وإلى نفر من أصحابه كانوا أخذوا معه ؛ فأمر بهم فأدخلوا المسجد ، وأدخلت أطنان القصب فشُدَّوا فيها ، ثم صبَّ عليهم النقط ، ثم أخرجوا فنصبوا في الرحبة ، ورُموا بالنيران ؛ فما منهم أحد إلا من اضطرب وأظهر جزعاً ، إلا وزيراً فإنه لم يتحرك ، ولم يزل يتلو القرآن حتى مات .

١٦٢٩/٢

* * *

وفي هذه السنة غزا أسد بن عبد الله الحُتَل . وفيها قتل أسد بدرطرخان ملك الحُتَل .

(١) ابن الأثير : « وخرج البخترى صاحب الأشهب » .

(٢) ابن الأثير : « السمسط بن مسلم » .

ذكر الخبر عن غزوة أسد

الختل هذه الغزوة وسبب قتله بدر طرخان

ذكر علي بن محمد عن أشياخه الذين ذكرناهم قبل أنهم قالوا : غزا أسد ابن عبد الله الختل وهي غزوة بدر طرخان ، فوجّه مصعب بن عمرو الخزاعي إليها ، فلم يزل مصعب يسير حتى نزل بقرب بدر طرخان ؛ فطلب الأمان على أن يخرج إلى أسد . فأجابه مصعب ، فخرج إلى أسد فطلب منه أشياء^(١) فامتنع ، ثم سأله بدر طرخان أن يقبل منه ألف ألف درهم ، فقال له أسد : إنك رجل غريب من أهل الباميان ، اخرج من الختل كما دخلتها . فقال له بدر طرخان : دخلت أنت خراسان على عشرة من المخذفة^(٢) ، ولو خرجت منها اليوم لم تستقل على خمسمائة بعير ؛ وغير ذلك أنى^(٣) دخلت الختل بشيء فاردّده على حتى أخرج منها كما دخلتها . قال : وما ذلك ؟ قال : دخلتها شاباً^(٤) فكسبت المال بالسيف ، ورزق الله أهلاً وولداً ، فاردد على شبابي حتى أخرج منها ؛ هل ترى أن أخرج من أهلي وولدي ! فما بقائي بعد أهلي وولدي ! فغضب أسد .

قال : وكان بدر طرخان يثق بالأمان ، فقال له أسد : أختم في عنقك ؛ فإني أخاف عليك معرفة الجند ، قال : لست أريد ذلك ؛ وأنا أكتفي من قبلك برجل يبلغ^(٥) بي مصعباً . فأبى أسد إلا أن يختم في عنقه ، فختم في رقبته ودفعه إلى أبي الأسد مولاه ، فسار به أبو الأسد ، فانتهى إلى عسكر المصعب عند المساء . وكان سلمة بن أبي عبد الله في الموالى مع مصعب ، فوافى أبو الأسد سلمة ، وهو يضع الدراجة^(٦) في موضعها ، فقال سلمة لأبي الأسد : ما صنع الأمير في أمر بدر طرخان ؟ فقصّ الذي عرض عليه بدر طرخان وإبائه أسد ذلك ، وسرّحه معه إلى المصعب ليدخله الحصن ، فقال سلمة : إن الأمير لم يصب

(٢) ابن الأثير : « الدواب » .

(٤) ح : « سباباً » .

(٦) الدراجة : العجلة التي يدب الشيخ والصبي عليها .

(١) ح ، ف : « أسياًفاً » .

(٣) ابن الأثير : « فإني » .

(٥) ب : « يبلغني » .

١٦٣١/٢

فيما صنع ، وسينظر في ذلك ويندم ؛ إنما كان ينبغي له أن يقبض ما عرض عليه أو يجبسه فلا يدخله حصنه ؛ فإنما دخلناه (١) بقناطر اتخذناها ، ومضايق أصلحناها ؛ وكان يمنعه أن يغير علينا رجاء الصلح ؛ فأما إذ يتس من الصلح فإنه لا يدع الجهد . فدعته الليلة في قبتي ؛ ولا تنطلق به إلى مصعب ؛ فإنه ساعة ينظر إليه يدخله حصنه .

قال : فأقام أبو الأسد وبدر طرخان معه في قبة سلمة ، وأقبل أسد بالناس في طريق ضيق ، فتقطع (٢) الجند ، ومضى أسد حتى انتهى إلى نهر وقد عطش - ولم يكن أحد من خدمه - فاستسقى ؛ وكان السغدّي بن عبد الرحمن أبوطعمة الجرمي معه شاكري له ، ومع الشاكري قرن تبستي ؛ فأخذ السغدّي القرن ؛ فجعل فيه سويقا ، وصب عليه ماء من النهر ، وحركه وسقى أسدا وقومًا من رؤساء الجند ، فنزل أسد في ظل شجرة ، ودعا برجل من الحرس ، فوضع رأسه في فخذه ، وجاء المحشّر بن مزاحم السلميّ يقود فرسه حتى قعد تجاهه حيث ينظر أسداً ، فقال أسد : كيف أنت يا أبا العبد بس ؟ قال : كنت أمس أحسن حالا مني اليوم ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : كان بدر طرخان في أيدينا وعرض ما عرض ؛ فلا الأمير قبيل منه ما عرض عليه ولا هو شدّ يده عليه ؛ لكنه خلّى سبيله ؛ وأمر بإدخاله حصنه لما عنده - زعم - من الوفاء . فندم أسد عند ذلك ، ودعا بدليل من أهل الختل ورجل من أهل الشام نافذ ، فاره الفرس فأتى بهما ، فقال للشامي : إن أنت أدركت بدر طرخان قبل أن يدخل حصنه فلك ألف درهم ؛ فتوجّها حتى انتهيا إلى عسكر مصعب ؛ فنادى الشامي : ما فعل العليج ؟ قيل : عند سلمة ، وانصرف الدليل إلى أسد بالخبر ، وأقام الشامي مع بدر طرخان في قبة سلمة ، وبعث أسد إلى بدر طرخان فحوّله إليه فشتّمه ، فعرف بدر طرخان أنه قد نقض عهده ، فرفع حصاة فرمى بها إلى السماء ، وقال : هذا عهد الله ؛ وأخذ أخرى فرمى بها إلى السماء ، وقال : هذا عهد (محمد صلى الله عليه) ، وأخذ يصنع كذلك بعهد أمير المؤمنين وعهد المسلمين ؛ فأمر أسد بقطع يده ، وقال أسد : من ها هنا من أولياء

١٦٣٢/٢

أبي فديك ؟ (رجل من الأزد قتله بدر طرخان) ، فقام رجل من الأزد فقال : أنا ، قال : اضرب عنقه ؛ ففعل . وغلب أسد على القلعة العظمى ، وبقيت قلعة فوقها صغيرة فيها ولده وأمواله ، فلم يوصل إليهم^(١) ، وفرق أسد الخيل في أودية الحُستَل .

قال : وقدم أسد مَرَو ، وعليها أيوب بن أبي حسان التميمي^(٢) ، فعزله واستعمل خالد بن شديد ، ابن عمه . فلما شُخص إلى بلخ بلغه أن عمارة بن حُرَيْم^(٣) تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب ، فكتب إلى خالد بن شديد : احمل عمارة على طلاق ابنة يزيد ؛ فإن أبي فاضربه مائة سوط ؛ فبعث إليه فأثاه وعنده العذافر بن زيد التميمي ، فأمره بطلاقها ، ففعل بعد إباء منه ؛ وقال عذافر : عمارة والله فتى قيس وسيدها ، وما بها عليه أبتة ؛ أى ليست بأشرف منه . فتوفى خالد بن شديد ، واستخلف الأشعث بن جعفر البسجلى .

* * *

[ظهور الصحارى بن شبيب الخارجي]

وفيهما شرى^(٤) الصحارى بن شبيب ، وحكم بجبل .

• ذكر خبره :

ذكر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أن الصحارى بن شبيب أتى خالداً يسأله الفريضة ، فقال : وما يصنع ابن شبيب بالفريضة ! فودعه ابن شبيب ، ومضى ، وندم خالد وخاف أن يفتق عليه فتقاً ، فأرسل إليه يدعوه ، فقال : أنا كنت عنده آنفاً ؛ فأبوا أن يدعوه ، فشد عليهم بسيفه ، فتركوه فركب وسار^(٥) حتى جاوز واسطاً ، ثم عقّر فرسه وركب زورقاً ليخفى مكانه ، ثم قصد إلى نفر من بني تميم اللات بن ثعلبة ، كانوا بجبل ، فأثاهم متقلداً سيفاً فأخبرهم خبره وخبر خالد ، فقالوا له : وما كنت ترجو بالفريضة ! كنت لأن تخرج إلى ابن النصرانية فتضربه بسيفك أحرى . فقال : إني والله ما أردت

(١) ابن الأثير : « إليها » . (٢) ب : « التيمي » .

(٣) ف : « خزيم » .

(٤) شرى ؛ أى اتخذ مذهب الشراة ؛ وم الخوارج ؛ وفي الأثير : « خرج الصحارى » .

(٥) ح ، ف : « فسار » .

الفريضة ، وما أردت إلا التوصل إليه لثلاثين كزني ، ثم أقتل ابن النصرانية غيلة بقتله فلاناً - وكان خالد قبيل ذلك قد قتل رجلاً من قعدة الصفرية صبراً - ثم دعاهم الصحاري إلى الوثوب معه فأجابهم بعضهم ، وقال بعضهم : ننتظر (١) ؛ وأبى بعضهم وقالوا : نحن في عافية ، فلما رأى ذلك قال :

لَمْ أُرِدْ مِنْهُ الْفَرِيضَةَ إِلَّا (٢) طَمَعاً فِي قَتْلِهِ أَنْ أَنَا لَا
فَأَرْيَحَ الْأَرْضَ مِنْهُ وَمِمَّنْ عَاثَ فِيهَا وَعَنِ الْحَقِّ مَا لَا
كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ أَرَاهُ تَرَكَ الْحَقَّ وَسَنَ الضَّلَالَا
إِنِّي شَارٍ بِنَفْسِي لِرَبِّي تَارِكٌ قِيلاً لَدَيْهِمْ وَقَالَ
بَائِعٌ أَهْلِي وَمَالِي أَرْجُو فِي جَنَانِ الْخُلْدِ أَهْلًا وَمَالًا
قال : فبايعه نحو من ثلاثين ، فشرى بجبيل ، ثم سار حتى أتى المبارك .
فبلغ ذلك خالداً ، فقال : قد كنت خفتها منه . ثم وجه إليه خالد جنداً ، فلقوه
بناحية المناذير ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، ثم انطوا عليه فقتلوه وقتلوا جميع
أصحابه (٣) .

* * *

قال أبو جعفر : وحج بالناس في هذه السنة أبو شاعر مسلمة بن هشام
ابن عبد الملك ، وحج معه ابن شهاب الزهري في هذه السنة .

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف محمد بن هشام ،
وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله القسري ، وعامل خالد على خراسان أخوه
أسد بن عبد الله .

وقد قيل : إن أخا خالد أسداً هلك في هذه السنة ، واستخلف عليها
جعفر بن حنظلة البهراني .

وقيل : إن أسداً أخا خالد بن عبد الله إنما هلك في سنة عشرين ومائة .
وكان على أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد .

(١) ب : « ننتظر » . (٢) ب : « لم أرد قولي الفريضة » .

(٣) ح ، ف : « قتلوه وجميع أصحابه » .

ثم دخلت سنة عشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وافتتاحه — فيما ذكر — سندرة ، وغزوة إسحاق بن مسلم العُقيليّ وافتتاحه قلاع تومانشاه وتخريبه أرضه ، وغزوة مروان بن محمد أرض الترك .

* * *

[خبر وفاة أسد بن عبد الله القسريّ]

وفيهما كانت وفاة أسد بن عبد الله في قول المدائنيّ .

* ذكر الخبر عن سبب وفاته :

وكان سبب ذلك أنه كانت به — فيما ذكر — دُبيلة^(١) في جوفه ؛ فحضر المِهْرَجَان وهو ببلخ ، فقدم عليه الأمراء والدّهاقين ؛ فكان ممن قدم عليه إبراهيم بن عبد الرحمن الحنفيّ عامله على هَرَاة وخُرَّاسَان ، ودهقان هَرَاة ؛ فقدّم ما بهديّة قُومَت بألف ألف ؛ فكان فيما قدّم ما به قَصْرَان : قصر من فضّة وقصر من ذهب ، وأباريق من ذهب وأباريق من فضّة وصحاف^(٢) من ذهب وفضّة ؛ فأقبلا وأسد جالس على السرير ، وأشراف خُرَّاسَان على الكراسي ، فوضعا القَصْرَيْن ؛ ثم وضعما خلفهما الأباريق والصّحاف^(٣) والديباج المروى والقوهيّ والهروى وغير ذلك ؛ حتى امتلأ السّماط ؛ وكان فيما جاء به الدّهقان أسداً كُرة^(٤) من ذهب ؛ ثم قام الدّهقان خطيباً ، فقال : أصّلح الله الأمير ! إنّنا معشر العجم ؛ أكلنا الدّنيا أربعمائة سنة ؛ أكلناها بالحلم والعقل والوقار ؛ ليس فينا كتاب ناطق ، ولا نبيّ مرسل ؛ وكانت الرّجال عندنا ثلاثة : ميسمون النقيبة أيّنا توجه فتح الله على يده ، والذي يليه رجل تمت مروتّه في بيته فإن كان كذلك رُجّي^(٥) وعُظّم ، وقوّد وقدّم ؛ ورجل رُحِب صدره ، وبسط

(١) الدبيلة : دمل كبير يظهر في الجوف . (٢) ح ، ف : « وصحائف » .

(٣) ح ، ف : « والصحائف » . (٤) أ : « أكّرة » ، وهما بمعنى ، واللغة الجيدة « كرة » .

(٥) كذا في أ ، ب وفي ط : « رُحِب وحيى » .

١٦٣٧/٢

يده فُرجي ، فإذا كان كذلك قُوِّد وقُدِّم ؛ وإن الله جعل صفات هؤلاء الثلاثة الذين أكلنا الدنيا بهم أربعمائة سنة فيك أيها الأمير ؛ وما نعلم أحداً هو أتمّ كَتِّخْدَانِيَّة منك ؛ إنك^(١) ضببت أهل بيتك وحشمك ومواليك ؛ فليس منهم أحد يستطيع أن يتعدّى على صغير ولا كبير ، ولا غنى ولا فقير ، فهذا تمام الكَتِّخْدَانِيَّة ، ثم بنيت الإيوانات في المفاوز ؛ فيجىءُ الجائى من المشرق والآخر من المغرب ؛ فلا يجدان عيباً إلا أن يقولوا : سبحان الله ما أحسن ما بُنى ! ومن يُمن نقيبتك أنك لقيت خاقان وهو في مائة ألف ، معه الحارث ابن سريج فهزمتَه وفلستَه^(٢) ، وقتلت أصحابه ، وأبجت عسكره . وأما رُحْب صدرِكَ وبَسْطُ يدِكَ ، فإننا ما ندرى أى المالين أقرّ لعينك ؟ أمالٌ قدم عليك ، أم مال خرج من عندك ! بل أنت بما خرج أقرّ عيناً . فضحك أسد ، وقال : أنت خير دهاقين خراسان وأحسنهم هديّة ، وناولته تفاحة كانت في يده ؛ وسجد له دهقان هَرَاة ، وأطرق أسد ينظر إلى تلك الهدايا ؛ فنظر عن يمينه ، فقال : يا عُدَّافر بن يزيد ، مرُّ من يحمل هذا القَصْرَ الذهب ، ثم قال : يا معن بن أحمر رأس قيس — أو قال قنسرين — مرُّ بهذا القصر يحمل ، ثم قال : يا فلان خذ إبريقاً ، ويا فلان خذ إبريقاً ، وأعطى الصّحّاف^(٣) حتى بقيت صحفتان ، فقال : قم يا ابن الصيّداء ، فخذ صحيفه^(٤) ، قال : فأخذ واحدة فرزنها^(٥) فوضعتها ، ثم أخذ الأخرى فرزنها ، فقال له أسد : مالك ؟ قال : آخذ أرزنها ، قال : خذهما جميعاً ؛ وأعطى العُرْفَاء وأصحاب البلاء ؛ فقام أبو اليعفور — وكان يسير أمام صاحب خراسان في المغازى — فنادى : هلمّ إلى الطريق ، فقال أسد : ما أحسن ما ذكرّت بنفسك ! خذ ديباجتين ، وقام ميمون العذّاب فقال : إلىّ ، إلى يسارك ، إلى الجادة ؛ فقال : ما أحسن ما ذكرّت نفسك ! خذ ديباجة ، قال : فأعطى ما كان في السّماط كلّهُ ، فقال نهر بن تَوْسِيعَة :

١٦٣٨/٢

تَقْلُونُ إِنَّ نَادَى لِرَوْعٍ مُثَوِّبٌ وَأَنْتُمْ غَدَاةَ الْمَهْرَجَانِ كَثِيرٌ

(١) ا ، ب : « لأنك » . (٢) ابن الأثير : « وقتلته » .

(٣) ح ، ف : « الصحائف » . (٤) ا ، ح : « صحفة » .

(٥) رزن الشئ : رفعه لينظر ما ثقله .

ثم مرض أسد ، فأفاق إفاقة فخرج يوماً ، فأثري بكمثري أول ما جاء ،
فأطعم الناس منه واحدة واحدة ؛ وأخذ كُمثراً فرمى بها إلى خراسان دهقان هراة ،
فانقطعت الدُّبيلة ، فهلك . واستخلف جعفرًا البهراني ، وهو جعفر بن حنظلة
سنة عشرين ومائة فعمل أربعة أشهر ، وجاء عهد نصر بن سيار في رجب
سنة إحدى وعشرين ومائة ، فقال ابن عِرْس العبدى :

نَعَى أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ نَاعٍ فَرِيعَ الْقَلْبِ لِلْمَلِكِ الْمُطَاعِ
بَبْلَخِ وَافَقَ الْمِقْدَارُ يُسْرِى وما لقضاء ربك من دفاع
فجودى عَيْنُ بِالْعَبْرَاتِ سَحَاً أَلَمْ يُحْزَنْكَ تَفْرِيقُ الْجَمَاعِ !
أَنَاهُ حِمَامُهُ فِي جَوْفِ صَيْغٍ^(١) وكم بالصيغ من بطل شجاع !

١٦٣٩/٢

كَتَابُ قَدْ يُجَيِّوْنَ الْمَنَادَى عَلَى جُرْدٍ مَسُومَةٍ سِرَاعِ
سُقِيَتِ الْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثاً مَرِيحاً عِنْدَ مُرْتَادِ النَّجَاعِ
وقال سليمان بن قتة مولى بنى تيم بن مرة - وكان صديقاً لأسد :

سَقَى اللَّهُ بَلْخَاً ، سَهْلَ بَلْخِ وَحَزْنَهَا وَمَرَوَى خُرَاسَانَ السَّحَابِ الْمُجَمَّعَا
وَمَا بِي لِيُسْقَاهُ وَلَكِنْ حُفْرَةً بِهَا غَيَّبُوا شِلَوْا كَرِيماً وَأَعْظَمَا
مُرَاجِمَ أَقْوَامٍ وَمُرْدَى عَظِيمَةٍ وَطَلَّابَ أَوْتَارٍ عِفْرَنًا عَثْمَمَا
لَقَدْ كَانَ يُعْطَى السَّيْفُ فِي الرَّوْعِ حَقَّهُ وَيُرْوَى السِّنَانُ الزَّاعِجَى الْمُقَوَّمَا

* * *

[أمر شيعة بنى العباس بخراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وجهت شيعة بنى العباس بخراسان إلى
محمد بن على بن العباس سليمان بن كثير ليعلمه أمرهم وما هم عليه .
* ذكر الخبر عن سبب توجيههم سليمان إلى محمد :

وكان السبب في ذلك موجدة كانت من محمد بن على على من كان
بخراسان من شيعة من أجل طاعتهم ، كانت لخداش الذى ذكرنا خبره قبل
وقبولهم منه ما روى عليه من الكذب ؛ فترك مكاتبهم ؛ فلما أبطأ عليهم

١٦٤٠/٢

كتابه ، اجتمعوا فذكروا ذلك بينهم ؛ فأجمعوا على الرضا سليمان بن كثير ليلقاه بأمرهم ، ويخبره عنهم ، ويرجع إليهم بما يردّ عليه ؛ فقدم - فيما ذكر - سليمان بن كثير على محمد بن علي وهو متنكر لمن بخراسان من شيعة ، فأخبره عنهم ، فعنفهم في اتباعهم خدasha وما كان دعا إليه ، وقال : لعن الله خدasha ومن كان على دينه ! ثم صرف سليمان إلى خراسان ، وكتب إليهم معه كتاباً ، فقدم عليهم ، ومعه الكتاب مختماً ، ففتشوا خاتمه فلم يجدوا فيه شيئاً ، إلا : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فغلظ ذلك عليهم وعلموا أن ما كان خدasha أتاهم به لأمره مخالف .

وفي هذه السنة وجه محمد بن علي بكير بن ماهان إلى شيعة بخراسان بعد منصرف سليمان بن كثير من عنده إليهم ، وكتب معه إليهم كتاباً يعلمهم أن خدasha حمل شيعة على غير منهاجه . فقدم عليهم بكير بكتابه فلم يصدّقوه واستخفّوا به ؛ فانصرف بكير إلى محمد بن علي ، فبعث معه بعضي مضبّة بعضها بالحديد وبعضها بالشبّه ؛ فقدم بها بكير وجمع النقباء والشبّه ، ودفع إلى كل رجل منهم عصاً ، فعلموا أنهم مخالفون لسيرته ، فرجعوا وتابوا .

* * *

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن أعماله التي كان ولاه إياها كلها .

١٦٤١/٢

ذكر سبب عزل هشام خالدًا

قد قيل في ذلك أقوال ، نذكر ما حضرنا من ذلك ذكره ؛ فمّا قيل في ذلك : إن فروخ أبا المثنى كان قد تقبّل^(١) من ضياع هشام بن عبد الملك بموضع يقال له رُستاق الرّمان أو نهر الرّمان - وكان يدعى بذلك فروخ الرّمان - فنقل مكانه على خالد ، فقال خالد لحسان^(٢) النّبَطِيّ : ويحك ! اخرج إلى أمير المؤمنين فزد على فروخ ، فخرج فزاد عليه

(١) التقبل : أن يأخذ العامل بخراج أو جباية أكثر مما أعطى .

(٢) في ابن الأثير : « لحيان » ؛ وكذلك في كل ما يأتي بعد .

ألف ألف درهم ؛ فبعث هشام رجلين من صلحاء أهل الشام ، فجازا الضياع ، فصار حسان أثقل على خالد من فَرَّوْخ ؛ فجعل يضرب به ، فيقول له حسان : لا تفسدني وأنا صنيعتك ! فأبى إلا الإضرار به ، فلما قدم عليه بثق البثوق على الضياع ، ثم خرج إلى هشام ، فقال : إن خالداً بشق البثوق على ضياعك . فوجّه هشام رجلاً ، فنظر إليها ثم رجع إلى هشام فأخبره ، فقال حسان لخادم من خدم هشام : إن تكلمت بكلمة أقولها لك حيث يسمع هشام ، فلك عندى ألف دينار ، قال : فعجل لي الألف وأقول ما شئت ، قال : فعجلها له وقال له : بك صبياً من صبيان هشام ؛ فإذا بكى فقل له : اسكت ؛ والله لكأنك ابنُ خالد القسرى الذى غلته ثلاثة عشر ألف ألف . فسمعها هشام فأغضى عليها . ثم دخل عليه حسان بعد ذلك ، فقال له هشام : ادنُ مني فدنا منه ، فقال : كم غلته خالد ؟ قال : ثلاثة عشر ألف ألف ، قال : فكيف لم تخبرني بهذا ! قال : وهل سألتني ؟ ففقرت في نفس هشام ، فأزعم على عزله .

وقيل : كان خالد يقول لابنه يزيد : ما أنت بدون مسلمة بن هشام ؛ فإنك لتفخر على الناس بثلاث لا يفخر بمثلها أحد : سكرت دجلة ولم يتكلف ذلك أحد ، ولى سقاية بمكة ، ولى ولاية العراق .

وقيل : إنما أغضب هشاماً على خالد أن رجلاً من قریش دخل على خالد فاستخف به وعضّه بلسانه ، فكتب إلى هشام يشكوه ، فكتب هشام إلى خالد :

أمّا بعد ؛ فإنّ أمير المؤمنين — وإن كان أطلق لك يدك ورأيتك فيمن استرعاك أمره ، واستحفظك عليه ، للذى رجا من كفايتك ، ووثق به من حسن تدبيرك — لم يفرشك^(١) غرة أهل بيته لتطأه بقدميك ، ولا تحدّ إليه بصرك ؛ فكيف بك وقد بسطت على غرتهم بالعراق لسانك بالتوبيخ ؛ تريد بذلك تصغير خطره^(٢) ، واحتقار قدره ؛ زعمت بالنصفه^(٣) منه حتى

(١) كذا في أ ، ب ، وفي ط : «لم يفرشك» . ولم يفرشك ؛ أى لم يجعلهم لك بساطاً لتبسط نفوذك عليهم .
(٢) الخطر : القدر ؛ وفي ب : «حظه» .
(٣) النصفه : الانتصاف .

أخرجك ذلك إلى الإغلاظ في اللفظ عليه في مجلس العامة ، غير متحلل^(١) له حين رأيتَه مقبلاً من صدر مهاده الذي مهد له الله ، وفي قومك من يعلوك بحسبه ، ويغسرك بأوتيته ، فليت مهاده بمبارف به آل عمرو من ضمتك خاصة ، مساوين بك فروع غرر القبائل وقروها^(٢) قبيل أمير المؤمنين ؛ حتى حلت هضبة أصبحت تنحو^(٣) بها عليهم مفتخراً . هذا إن لم يدهده بك قلة شرك متحطماً وقيداً^(٤) . فهلاً — يابن مجرشة^(٥) قومك — أعظمت رجلتهم عليك داخلا ، ووسعت مجلسه إذ رأيتَه إليك مقبلاً ، وتجافيت له عن صدر فراشك مكرماً ، ثم فاوضته مقبلاً ببشرك ، إكراماً لأمر المؤمنين ، فإذا اطمأن به مجلسه نازعته بحبي السرار^(٦) ، معظماً لقربته ، عارفاً لحقه ؛ فهو سين البيتين ونابهم^(٧) ، وابن شيخ آل أبي العاص وحرث وغرتهم . وبالله يقسم أمير المؤمنين لك لولا ما تقدم من حرمتك وما يكره من شامة عدوك بك لوضع^(٨) منك ما رفع ؛ حتى يردك إلى حال تفقد بها أهل الحوائج بعراقك ، وتزاحم المواكب ببابك^(٩) . وما أقربني من أن أجعلك تابعاً لمن كان لك تبعاً ؛ فانهض على أى حال أفاك رسول أمير المؤمنين وكتابهُ ، من ليل أو نهار ، ماشياً على قدمك بمن معك من خوك^(١٠) ؛ حتى تقف على باب ابن عمرو صاغراً^(١١) ، مستأذناً عليه ، متصلاً إليه ؛ أذن لك أو منعه ؛ فإن حركتَه عواطف رحمة احتملك ، وإن احتملته أنفة وحمية^(١٢) من دخولك عليك فقيف ببابه حتى لا غير متحلل ولا زائل ؛ ثم أمرك بعد إليه ؛ عزل^(١٣) أو ولّى ، انتصر^(١٤) أو عفا ، فلعلك الله من متكل عليه بالثقة ؛ ما أكثر هفواتك ، وأقذع^(١٥) لأهل الشرف أفاضلك ؛ التي لا تزال تبلغ أمير المؤمنين

- (١) غير متحلل ؛ أى غير متزحزح ؛ يقال : حلحله ؛ إذا أزاله عن مكانه .
 (٢) القروم : جمع قرم ؛ وهو السيد . (٣) تنحو بها ؛ أى تطل وتشرق .
 (٤) دهده الحجر فتدهده : دحرجه فتدحرج ، والوقيد : الصريع .
 (٥) المجرشة : الماشطة ؛ يقال : جرش رأسه بالمشط ؛ إذا حكه .
 (٦) السرار : المسارة ؛ أى جادته في سرار مقرون بالحياه .
 (٧) ناب القوم : سيدهم . (٨) ح : « لخط » .
 (٩) ف : « على بابك » . (١٠) الخول : الحاشية .
 (١١) صاغراً : ذليلاً . (١٢) ح ، ف : « حسيته وأنفته » .
 (١٣) ف : « عزلك » . (١٤) ح : « وانتصر » .
 (١٥) القذع : الحنا والفحش .

من إقدامك بها على مَنْ هو أولى بما أنت فيه من ولاية مِصْرِي العراق ،
وأقدم وأقوم . وقد كتب أمير المؤمنين إلى ابن عمّه بما كتب به إليك من
إنكاره عليك ، ليرى في العفو عنك والسخط عليك رأيه ، مفوضاً ذلك إليه
مبسوطة فيه يده ، محموداً عند أمير المؤمنين على أيّهما آتى إليك ، موفّقاً
إن شاء الله تعالى .

وكتب إلى ابن عمرو^(١) :

أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك ، وفيهم ما ذكرت من بسّطِ
خالد عليك لسانه في مجلس العامة محتقراً لقدرك ، مستصغراً لقربانك من
أمير المؤمنين ، وعواطف رحمه عليك وإسائك عنه ، تعظيماً لأمر
المؤمنين وسلطانهم ، وتمسكاً بوثائق عصم^(٢) طاعته ، مع مؤلم ما تداخلك
من قبائح ألفاظه وشرارة منطقته ، وإكثابه عليك عند إطراقك عنه ، مروياً
فيما أطلق أمير المؤمنين من لسانه^(٣) ، وأطال من عنانه ، ورفع من ضعفه ، ونوّه
من خموله ؛ وكذلك أنتم آل سعيد في مثلها عند هذر الذنابي^(٤) وطائشة
أحلامها ، صُمّت من غير إفحام ، بل بأحلام تخفيف بالجبال^(٥) وزناً . وقد
حمّد أمير المؤمنين تعظيمك إياه ، وتوقيرك سلطانه وشكره ؛ وقد جعل أمر
خالد إليك في عزلك إياه أو إقراره^(٦) ؛ فإن عزلته أمضى عزلك إياه ، وإن
أقررتَه فثلك منّة لك عليه لا يشركك أمير المؤمنين فيها . وقد كتب إليه
أمير المؤمنين بما يطرد عنه سنة الهاجع عند وصوله إليه ، يأمره بإتيانك راجلاً على أيّة
حال صادفه كتاب أمير المؤمنين فيها ، وألفاه رسولّه الموجه إليه من ليله أو نهاره ،
حتى يقف ببابك ؛ أذنت له أو حجبته ، أقررتَه أو عزلته ، وتقدّم أمير المؤمنين
إلى رسولّه في ضربه بين يديك على رأسه عشرين سوطاً إلا أن تكره أن يناله

(١) في ابن الأثير : « رجل من آل عمرو بن سعيد بن العاص » ، وهو القرشي الذي دخل على
خالد ، وانظر ص ١٤٣ .

(٢) العصم : جمع عصمة ؛ وهي ما يعتصم به من عقد أو سبب .

(٣) الشراة : مصدر ؛ كالشر ، وأكثب عليه : حمل وكر ، وروى في الأمر : نظر وفكر .

(٤) هذر في كلامه ، كضرب ونصر : هذى ، والذنابي : أذئاب الناس وسفلتهم .

(٥) أي تخفف وزن الجبال ؛ وفي ط : « تحف » ، تحريف .

(٦) ح : « وإقراره » .

ذلك بسبيلك لحمة خدمته؛ فأيتهما رأيت إمضاءه كان لأمر المؤمنين في برك وعظم حرمتك وقربتك وصلة رحمتك موافقاً، وإليه حبيباً، فيما ينوي من قضاء حق آل أبي العاص وسعيد. فكتب أمير المؤمنين فيما بدا لك مبتدئاً ومجيباً^(١) ومحدثاً وطالباً؛ ما عسى أن ينزل بك أهلك من أهل بيت أمير المؤمنين من حوائجهم التي تقعد بهم الحشمة عن تناولها من قبله لبعد دارهم عنه، وقلة إمكان الخروج لإنزالها به؛ غير محتشم من أمير المؤمنين، ولا مستوحش من تكرارها عليه، على قدر قربتهم وأديانهم^(٢) وأنسابهم، مستمنحاً^(٣) ومسترفداً، وطالباً مستزيداً. تجد أمير المؤمنين إليك سريعاً بالبر لما يحاول من صلة قربتهم، وقضاء حقوقهم، وبالله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوي، وإليه يرغب في العون على قضاء حق قربته، وعليه يتوكل، وبه يثق. والله وليّه ومولاه. والسلام.

١٦٤٦/٢

* * *

وقيل: إن خالداً كان كثيراً ما يذكر هشاماً، فيقول: ابن الحمقاء. وكانت أم هشام تستحتمني، وقد ذكرنا خبرها قبل.

وذكر أنه كتب إلى هشام كتاباً غاظه، فكتب إليه هشام: يا بن أم خالد؛ قد بلغني أنك تقول: ما ولاية العراق لي بشرف؛ فيابن اللخناء، كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفاً، وأنت من بجيلة القليلة الدليلة! أما والله إنني لأظن أن أول من يأتيك صغير من قريش؛ يشد يديك إلى عنقك.

وذكر أن هشاماً كتب إليه: قد بلغني قولك: أنا خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز؛ ما أنا بأشرف الخمسة. أما والله لأردنك إلى بغيضك وطيسلسانك الفيروزي.

١٦٤٧/٢

وذكر أن هشاماً بلغه أنه يقول لابنه: كيف أنت إذا احتاج إليك بنو أمير المؤمنين! فظهر الغضب في وجهه.

وقيل: إن هشاماً قدم عليه رجل من أهل الشام، فقال: إنني سمعت خالداً ذكر أمير المؤمنين بما لا تنطلق به الشفتان؛ قال: قال: الأحوال؟ قال: لا، بل قال أشد من ذلك، قال: فما هو؟ قال: لا أقوله أبداً،

(٢) ب «وأذناهم»، ف: «وأربابهم».

(١) ب: «ومجيباً».

(٣) ف: «مستنحاً».

فلم يزل يبلغه عنه ما يكره حتى تغير له (١) .

وذكر أن دهماناً دخل على خالد، فقال: أيها الأمير، إن غلة ابنك قد زادت على عشرة آلاف ألف؛ ولا آمن أن يبلغ هذا أمير المؤمنين فيستكره (٢). وإن الناس يحبون جسدك، وأنا أحب جسدك وروحك؛ قال: إن أسد بن عبد الله قد كلمني بمثل هذا، فأنت أمرته؟ قال: نعم، قال: ويحك! دع ابني، فلربما طلب الدرهم فلم يقدر عليه.

ثم عزم هشام — لما كثر عليه ما يتصل به عن خالد من الأمور التي كان يكرها — على عزله؛ فلما عزم على ذلك أخفى ما قد عزم له عليه من أمره.

* * *

ذكر الخبر عن عمل هشام

في عزل خالد حين صحَّ عزمه على عزله

ذكر عمر أن عبید بن جناد حدثه أنه سمع أباہ وبعض الكتبة يذكر أن هشاماً أخفى عزل خالد، وكتب إلى يوسف بخطه — وهو على اليمن — أن يُقبل في ثلاثين من أصحابه. فخرج يوسف حتى صار إلى الكوفة، فعرّس قريباً منها، وقد ختن طارق — خليفة خالد على الخراج — ولده؛ فأهدى له ألف عتيق وألف وصيف وألف وصيفة؛ سوى الأموال والثياب وغير ذلك؛ ففرّ العاسّ بيوسف وأصحابه ويوسف يصلي ورائحة الطيب تنفح من ثيابه، فقال: ما أنتم؟ قالوا: سفّار (٣)؛ قال: فأين تريدون؟ قالوا: بعض المواضع، فأتوا طارقاً وأصحابه، فقالوا: إنا رأينا قومًا أنكرناهم، والرأي أن نقتلهم، فإن كانوا خوارج استرحنا منهم؛ وإن كانوا يريدونكم عرفتم ذلك فاستعددتهم على أمرهم. فنهضهم عن قتلهم؛ فطافوا؛ فلما كان في السّحر وقد انتقل يوسف وصار إلى دور ثقيف، ففرّ بهم العاسّ، فقال: ما أنتم؟ فقالوا: سفّار، قال: فأين تريدون؟ قالوا: بعض المواضع، فأتوا طارقاً وأصحابه، فقالوا: قد صاروا إلى دور ثقيف والرأي أن نقتلهم، فنهضهم وأمر يوسف بعض الشّقيّين، فقال: اجمع لي من بها من مضر. ففعل، فدخل المسجد مع

(١) ف: «عليه». (٢) ب: «فيتكر له ويستكره».

(٣) كذا في أ، ب، و، ط: «أسفار»، وأسفار وسفار: ذوو سفر.

١٦٤٩/٢

الفجبر، فأمر المؤذن بالإقامة، فقال: حتى يأتي الإمام؛ فانتهره فأقام، وتقدم يوسف فقراً: «إذا وقعت الواقعة»، و«سأل سائل»، ثم أرسل إلى خالد وطارق وأصحابيهما، فأخذا وإن القُدور لتغلي.

١٦٥٠/٢

قال عمر: قال علي بن محمد، قال: قال الربيع بن سابور مولى بني الحريش - وكان هشام جعل إليه الخاتم مع الحرس: أتى هشاماً كتابُ خالد فغاضه^(١)، وقدم عليه في ذلك اليوم جندب مولى يوسف بن عمر بكتاب يوسف، فقرأه ثم قال لسالم مولى عنيسة بن عبد الملك: أجبه عن لسانك، وكتب هو بخطه كتاباً صغيراً، ثم قال لي: ائتني بكتاب سالم - وكان سالم على الديوان - فأتيته به، فأدرج فيه الكتاب الصغير، ثم قال لي: اختمه ففعلت، ثم دعا برسول يوسف، فقال: إن صاحبك لمتعد طوره، ويسأل فوق قدره؛ ثم قال لي: مزق ثيابه. ثم أمر به فضرب أسواطاً، فقال: أخرجه عنّي وادفع إليه كتابه. فدفعْتُ إليه الكتاب، وقلت له: ويلك! النجاء! فارتاب بشير بن أبي ثلجة من أهل الأردن، وكان خليفة سالم وقال: هذه حيلة؛ وقد ولّي يوسف العراق؛ فكتب إلى عامل لسالم على أجسمته سالم، يقال له عياض: إن أهلك قد بعثوا إليك بالثوب اليماني؛ فإذا أتاك فالبسه واحمد الله، وأعلم ذلك طارقاً. فبعث عياض إلى طارق بن أبي زياد بالكتاب، وندم بشير على كتابه، وكتب إلى عياض: إن أهلك قد بدا لهم في إمساك الثوب^(٢) فلا تتكل عليه؛ فجاء عياض بالكتاب الآخر إلى طارق، فقال طارق: الخبر في الكتاب الأول؛ ولكن صاحبك ندم وخاف أن يظهر الخبر فكتب بهذا. وركب طارق من الكوفة إلى خالد وهو بواسط؛ فصار يوماً وليلة، فصبّحهم، فرآه داود البربري - وكان على حجابة خالد وجرسه وعلى ديوان الرسائل - فأعلم خالداً، فغضب، وقال: قدم بغير إذن؛ فأذن له، فلمّا رآه قال: ما أقدمك؟ قال: أمرٌ كنت أخطأت فيه؛ قال: وما هو؟ قال: وفاة أسد رحمه الله، كتبتُ إلى الأمير أعزّيه عنه، وإنما كان ينبغي لي أن آتيه ماشياً. فرق خالد ودمعت عيناه، وقال: ارجع إلى عملاك؛

(٢) ابن الأثير: «إرسال الثوب».

(١) كذا في ١، وفي ط: «غاضه».

قال : أردت أن أذكر للأمير أمراً أسيرُهُ ، قال : ما دون داود سرّاً ، قال : أمر من أمرى ، فغضب داود وخرج ، وأخبر طارق خالداً ، قال : فما الرأي ؟ قال : تركب إلى أمير المؤمنين فتعتذر إليه من شيء إن كان بلغه عنك . قال : فبئس الرجل أنا إذاً إن ركبت إليه بغير إذنه ، قال : فشيء آخر ، قال : وما هو ؟ قال : تسير في عملك ، وأتقدمك^(١) إلى الشام ، فاستأذنك له ، فإنك لا تبلغ أقصى^(٢) عملك حتى يأتيك إذنه ، قال : ولا هذا ، قال : فأذهب فأضمن للأمير المؤمنين جميع ما انكسر في هذه السنين وآتيك بعهدك مستقبلاً^(٣) ، قال : وما يبلغ^(٤) ذلك ؟ قال : مائة ألف ألف ، قال : ومن أين آخذ^(٥) هذا ! والله ما أجد عشرة آلاف درهم ، قال : أتحمّل أنا وسعيد بن راشد أربعين ألف ألف درهم ، والزيّنيّ وأبان بن الوليد عشرين ألف ألف ؛ وتفرّق الباقي على العمال ، قال : إني إذاً للثيم ، أن كنت سوّغتُ قومًا شيئاً ثم أرجع فيه ، فقال طارق : إنما نقيك ونقى أنفسنا بأموالنا ونستأنف الدنيا ، وتبقى النعمة عليك وعلينا خير من أن يجيء من يطالبنا بالأموال ؛ وهي عند تجار أهل الكوفة ، فيتقاعسون ويتربصون بنا فنقتل ، ويأكلون تلك الأموال . فأبى خالد فودّعه طارق وبكى ، وقال : هذا آخر ما نلتقي في الدنيا ؛ ومضى .

ودخل داود ، فأخبره خالد بقول طارق ، فقال : قد علم أنك لا تخرج بغير إذن ؛ فأراد أن يختلِكَ ويأتى الشام ، فيتقبّل بالعراق هو وابن أخيه سعيد بن راشد . فرجع طارق إلى الكوفة ، وخرج خالد إلى الحمة^(٦) .

قال : وقدم رسول يوسف عليه اليمن ، فقال له : ما وراءك ؟ قال : الشرّ ، أمير المؤمنين ساخط ، وقد ضربني ولم يكتب جواب كتابك ، وهذا كتاب سالم صاحب الديوان . ففرض الكتاب فقرأه ، فلما انتهى إلى آخره قرأ كتاب هشام بخطه : أن سرّاً إلى العراق فقد وليتكَ إياه ، وإياك أن يعلم بذلك أحد ؛ وخذ ابن النصرانية وعمّاله فاشفئ منهم ؛ فقال يوسف : انظروا

(١) ف : « وأتقدمه » .

(٢) ب : « آخر » .

(٣) ب : « مستقبلاً » .

(٤) ف : « يبلغ » .

(٥) ف : « أجد » .

(٦) ابن الأثير : « الحمة » ؛ وكذلك ما بعدها .

دليلاً عالمًا بالطريق ، فأتى بعده ، فاختر منهم رجلاً وسار من يومه ، واستخلف على اليمن ابنه الصلت فشيّعه ؛ فلما أراد أن ينصرف سأله : أين تريد ؟ فضربه مائة سوط ، وقال : يابن اللخناء ، أيعفى عليك إذا استقرّ بي منزل ، فسار ، فكان إذا أتى إلى طريقين سأل ، فإذا قيل : هذا إلى العراق ، قال : أعرق ، حتى أتى الكوفة .

قال عمر : قال عليّ عن بشر بن عيسى ، عن أبيه ، قال : قال حسان النبطيّ : هيأتُ لهشام طيباً ، فأني لبين يديه وهو ينظر إلى ذلك الطيب إذ قال لي : يا حسان ، في كم يقدم القادم من العراق إلى اليمن ؟ قال : قلتُ : لا أدري ، فقال :

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حَازِمًا فَعَصَيْتَنِي فَاصْبَحْتَ مَسْلُوبَ الْإِمَارَةِ نَادِمًا
قال : فلم يلبث إلا قليلاً حتى جاء كتاب يوسف من العراق قد قدمها ؛ وذلك في جمادى الآخرة سنة عشرين ومائة .

قال عمر : قال عليّ : قال سالم زنبيل : لما صرنا إلى الشَّجَف قال لي يوسف : انطلق فأنتي بطارق ؛ فلم أستطع أن آتبي عليه ، وقلت في نفسي : مَنْ لي بطارق في سلطانه ! ثم أتيت الكوفة ، فقلت لغلمان طارق : استأذنوا لي على طارق ، فضربوني فصيحاً له : ويلاك يا طارق ! أنا سالم رسول يوسف ، وقد قدم على العراق . فخرج فصاح بالغلمان ، وقال : أنا آتية . قال : وروى أن يوسف قال لكيسان : انطلق فأنتي بطارق ؛ فإن كان قد أقبل فاحمله على إكاف ، وإن لم يكن أقبل فأت به سحجاً . قال : فأتيته بالحيرة دار عبد المسيح - وهو سيّد أهل الحيرة - فقلت له : إن يوسف قد قدم على العراق ؛ وهو يأمرُك أن تشدّ طارقاً وتأتيه به ؛ فخرج هو وولده وغلمانُه حتى أتوا منزل طارق - وكان لطارق غلام شجاع معه غلمان شجعاء لهم سلاح وعدة - فقال لطارق : إن أذنت لي خرجت إلى هؤلاء فيمن معي فقتلتهم ، ثم طرت على وجهك . فذهبت حيث شئت . قال : فأذن لكيسان ، فقال : أخبّرني عن الأمير ، يريد المال ؟ قال : نعم ؛ قال : فأنا أعطيه ما سأل ؛ وأقبلوا إلى يوسف فتوافوا بالحيرة ، فلما عاينه ضربه ضرباً مبرحاً

— يقال خمسمائة سوط — ودخل الكوفة ، وأرسل عطاء بن مقدّم إلى خالد بالحمّة .

قال عطاء : فأتيْتُ الحاجب فقلتُ : استأذن لي على أبي الهيثم ، فدخل

وهو متغيّر الوجه^(١) ، فقال له خالد : مالك ؟ قال : خير ، قال : ما عندك ١٦٥٤/٢

خير ، قال : عطاء بن مقدّم ، قال : استأذن لي على أبي الهيثم ، فقال :

إئذن له ، فدخلت^(٢) : فقال : ويل أمها سُخْطَةٌ ! قال : فلم أستقرّ حتى

دخل الحكم بن الصلت ، فقعده معه ، فقال له خالد : ما كان ليلى على

أحد هو أحبّ إلى منكم .

وخطب يوسف بالكوفة ، فقال : إن أمير المؤمنين أمرني بأخذ عمال

ابن النصرانيّة ، وأن أشفيهم منهم ، وسأفعل وأزيد والله يا أهل العراق ؛ ولأقتلنّ

منافقيكم بالسيف وجسّاتكم بالعذاب وفسّاقكم . ثم نزل ومضى إلى واسط ،

وأتيّ بخالد وهو بواسط .

قال عمر : قال حدثني الحكم بن النضر : قال : سمعت أبا عبيدة

يقول : لما حبس يوسف خالداً صالحه عنه أبان بن الوليد وأصحابه على تسعة

آلاف ألف درهم ، ثم ندم يوسف ، وقيل له : لو لم تفعل لأخذت منه مائة

ألف ألف درهم . قال : ما كنت لأرجع وقد رهنّت لساني بشيء . وأخبر أصحاب

خالد خالداً ، فقال : قد أسأتم حين أعطيتهم . عند أوّل وهلة تسعة آلاف

ألف ، ما آمن أن يأخذها ثم يعود عليكم ، فارجعوا . فجاءوا فقالوا : إنا قد

أخبرنا خالداً فلم يرض بما ضمّنا ، وأخبرنا أن المال لا يمكنه ، فقال : أنتم أعلم

وصاحبكم ؛ فأما أنا فلا أرجع عليكم ؛ فإن رجعت لم أمنعكم ، قالوا : فإننا قد ١٦٥٥/٢

رجعنا ، قال : وقد^(٣) فعلتم ! قالوا : نعم ، قال : فنكم آتى النقص ؛ فوالله

لا أرضى بتسعة آلاف ألف ولا مثليها ولا مثلها ، فأخذ أكثر من ذلك .

وقد قيل : إنه أخذ مائة ألف ألف .

وذكر الهيثم بن عدى ، عن ابن عياش ، أن هشاماً أزمع على عزّل

خالد ، وكان سبب ذلك أنه اعتقد بالعراق أموالاً وحضر أنهاراً ؛ حتى بلغت

(٢) ١ ، ب : « فدخل » .

(١) ابن الأثير : « اللون » .

(٣) ف : « أفقد » .

غسلته عشرين ألف ألف ؛ منها نهر خالد ؛ وكان يُغسل خمسة آلاف ألف وباجتوى وبارمّانا والمبارك والجامع وكورة سابور والصّالح ، وكان كثيراً ما يقول : إني والله مظلوم ؛ ما تحت قدمي من شيء إلا وهو لي — يعني أن عمر جعل لبسجيلة ربع السواد .

قال الهيثم بن عديّ : أخبرني الحسن بن عمار ، عن العسريّان بن الهيثم ، قال : كنت كثيراً ما أقول لأصحابي : إنني أحسب^(١) هذا الرجل قد تخلى منه ؛ إن قريشاً لا تحتمل هذا ونحوه^(٢) ؛ وهم أهل حسد ، وهذا يُظهر ما يُظهر ، فقلتُ له يوماً : أيها الأمير ؛ إن الناس قد رمّوك بأبصارهم ، وهي قريش ، وليس بينك وبينها إل^(٣) ، وهم يجدون منك بُدّاً ؛ وأنت لا تجد منهم بُدّاً ؛ فأنشدك الله إلا ما كتبت إلى هشام تخبره عن أموالك ، وتعرض عليه منها ما أحب ؛ فما أقدرك على أن تتخذ مثلها ؛ وهو لا يستفسدك ؛ وإن كان حريصاً على ذلك فلعمري لأنّ يذهب بعض ويبقى بعض خير من أن تذهب كلها ؛ وما كان يستحسن فيما بينك وبينه أن يأخذها كلها ، ولا آمن أن يأتيه باغ أو حاسد^(٤) فيقبل منه ؛ فلأنّ تعطيّه طائعاً خير من أن تعطيّه كارهاً . فقال : ما أنت بمتهم ؛ ولا يكون ذلك أبداً . قال : فقلت أظنني واجعلني رسولك ، فوالله لا يحلّ عقدة إلا شدتها ، ولا يشدّ عقدة إلا حللتها . قال : إنّنا والله لا نعطي على الذلّ ، قال : قلتُ : هل كانت لك هذه الضياع إلا في سلطانة ! وهل تستطيع الامتناع منه إن أخذها ! قال : لا ، قلتُ : فبادره ، فإنه يحفظها لك ويشكرك عليها ؛ ولو لم تكن له عندك يد إلا ما ابتدأك به كنت جديراً أن تحفظه ، قال : لا والله لا يكون ذلك أبداً ، قال : قلتُ فما كنت صانعاً إذا عزلك وأخذ ضياعك فاصنعه ، فإنّ إخوته وولده وأهل بيته قد سبقوا^(٥) لك ، وأكثر واعليه فيك ، ولك صنائع تعود عليهم بمابدا لك ، ثم استدرك استتمام ما كان منك إلى صنائعك من هشام . قال : قد أبصرتُ ما تقول وليس لي ذلك سبيل . وكان العريان يقول : كأنكم به قد عزّل ، وأخذ ما له

١٦٥٦/٢

١٦٥٧/٢

(١) ف : « لأحسب » . (٢) ح ، ف : « ولا نحوه » . (٣) الإل : الحلف والعهد .
(٤) ب ، ح : « وحاسد » . (٥) أ : « شنوا » .

وتجسّى عليه ثم لا ينتفع بشيء . قال : فكان كذلك .

قال الهيثم : وحدّثني ابن عيّاش ، أن بلال بن أبي بردة كتب إلى خالد وهو عامله على البصرة حين بلغه تعتب هشام عليه : إنه حدّث أمر لا أجد بدءاً من مشافهتك فيه ^(١) ؛ فإن رأيت أن تأذن لي ؛ فإنما هي ليلة ويومها إليك ، ويوم عندك ، وليلة ويومها منصرفاً . فكتب إليه ^(٢) : أن أقبل إذا شئت . فركب هو وموليان له الجمّازات ؛ فسار يوماً وليلة ، ثم صلى المغرب بالكوفة ؛ وهي ثمانون فرسخاً ، فأخبر خالد بمكانه ، فأتاه وقد تعصّب ، فقال : أبا عمرو ، أتعبت نفسك ، قال : أجل ، قال : متى عهدك بالبصرة ؟ قال : أمس ، قال : أحقّ ما تقول ! قال : هو والله ما قلت ، قال : فما أنصبتك ؟ قال : ما بلغني من تعتب أمير المؤمنين وقوله ، وما بغاك به ولده وأهل بيته ؛ فإن رأيت أن أتعرض له وأعرض عليه بعض أموالنا ، ثم ندعوه منها إلى ما أحبّ وأنفسنا به طيبة ، ثم أعرض عليه مالك ، فما أخذ منه فعلينا العوض منه بعد . قال : ما أتهمك وحتى أنظر ؛ قال : إني أخاف أن تعاجل ^(٣) ، قال : كلا ، قال : إن قريشاً من قد عرفت ، ولا سيما سرعتهم إليك قال : يا بلال ؛ إني والله ما أعطى شيئاً قسراً أبداً . قال أيها الأمير ، ١٦٥٨/٢ أتكلم ؟ قال : نعم ، قال : إن هشاماً أعذر منك ، يقول : استعملتُك . وليس لك شيء ، فلم تر من الحق عليك أن تعرض عليّ بعض ما صار إليك ؛ وأخاف أن يزيّن له حسان النبطيّ ما لا تستطيع إدراكه ، فاغنم هذه الفترة . قال : أنا ناظر في ذلك فانصرف راشداً . فانصرف بلال وهو يقول : كأنكم بهذا الرجل قد بُعث إليه رجل بعيد أتي ^(٤) ، به حمز ^(٥) ، بغيض النفس سخيف الدين ، قليل الحياء ، يأخذه بالإحسن والتراث . فكان كما قال .

قال ابن عيَّاش : وكان بلال قد اتخذ داراً بالكوفة ، وإنما استأذن خالداً لينظر إلى داره ، فما نزلها إلّا مقيّداً ، ثم جعلت سجنّاً إلى اليوم .

(١) ف : « به » . (٢) ح : « فكتب » .

(٣) ا ، ح : « يعاجل » . (٤) الأني : الدخيل في القوم .

(٥) الحمز : الشدة .

قال ابن عيَّاش : كان خالد يخطب فيقول : إنكم زعمتم أنَّي أغلبي أسعاركم ؛ فعلى مَنْ يغلبها لعنة الله ! وكان هشام كتب إلى خالد لا تبغض من الغلات شيئاً حتى تباع غلات أمير المؤمنين حتى بلغت كيلجة درهماً^(١) .
قال الهيثم ، عن ابن عيَّاش : كانت ولاية خالد في شوال سنة خمس ومائة ثم عزل في جمادى الأولى سنة عشرين ومائة .

* * *

وفي هذه السنة قدم يوسف بن عمر العراق والياً عليها ، وقد ذكرت قبل سبب ولايته عليها .

وفي هذه السنة ولَّى خراسان يوسف بن عمر جديع بن علي الكرماني وعزل جعفر بن حنظلة . ١٦٥٩/٢

وقيل : إنَّ يوسف لما قدم العراق أراد أن يولِّي خراسان سلم بن قتيبة ، فكتب بذلك إلى هشام ، ويستأذنه فيه ، فكتب إليه هشام : إنَّ سلم بن قتيبة رجل ليس له بخراسان عشيرة ؛ ولو كان له بها عشيرة لم يقتل بها أبوه .

وقيل إنَّ يوسف كتب إلى الكرماني بولاية خراسان مع رجل من بني سليم وهو بمرو ؛ فخرج إلى الناس يخطبهم ، فحمده الله وأثنى عليه ، وذكر أسداً وقدمه خراسان ، وما كانوا فيه من الجهد والفتنة ، وما صنَّع لهم على يديه . ثم ذكر أخاه خالداً بالحميل ، وأثنى عليه ؛ وذكر قدوم يوسف العراق ، وحثَّ الناس على الطاعة ولزوم الجماعة ، ثم قال : غفر الله للميت — يعني أسداً — وعافى الله المعزول ، وبارك للقادم . ثم نزل .

* * *

وفي هذه السنة عزل الكرماني عن خراسان ، ووليها نصر بن سيار بن ليث بن رافع بن ربيعة بن جُرَحي بن عوف بن عامر بن جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وأمه زينب بنت حسان من بني تغلب .

* * *

ذكر الخبر عن سبب ولاية نصر بن سيار خراسان
ذكر علي بن محمد عن شيوخه أنَّ وفاة أسد بن عبد الله لما انتهت إلى

١٦٦٠/٢

(١) الكيلجة : مكيال عندهم .

هشام بن عبد الملك استشار أصحابه في رجل يصلح لخراسان ؛ فأشاروا عليه بأقوام ، وكتبوا له أسماءهم ؛ فكان ممن كتب له عثمان بن عبد الله بن الشَّخِيرَ ويحيى بن حُضَيْنَ بن المنذر الرقاشيَّ ونصر بن سيار الليثيَّ وقطن بن قتيبة بن مسلم والمجشتر بن مزاحم السلميَّ أحد بني حرام ؛ فأما عثمان بن عبد الله ابن الشَّخِيرَ ، فقليل له ؛ لأنه صاحب شراب ، وقيل له : المجشتر شيخهم ، وقيل له : ابن حُضَيْنَ رجل فيه تيه وعظمة ، وقيل له : قطن بن قتيبة موتور ؛ فاختار نصر بن سيار ؛ فقليل له ؛ ليست له بها عشيرة ، فقال هشام : أنا عشيرته . فولاه . وبعث بعده مع عبد الكريم بن سليط بن عقبة الهيفانيَّ ؛ هفان بن عديَّ بن حنيفة . فأقبل عبد الكريم بعده ، ومعه أبو المهند كاتبه مولى بني حنيفة ، فلما قدم سرَّخُسَ ولا يعلم به ^(١) أحد ، وعلى سرَّخُسَ حفص بن عمر بن عبَّاد التيميَّ أخو تميم بن عمر ، فأخبره أبو المهند ، فوجه حفص رسولاً ، فحملة إلى نصر ، ونفذ ابن سليط إلى مَرَوَ ، فأخبر أبو المهند الكرمانى ، فوجه الكرمانى نصر بن حبيب بن بحر بن ماسك بن عمر الكرمانى إلى نصر بن سيار ، فسبق رسول حفص إلى نصر بن سيار ؛ فكان أوَّلَ مَنْ سلم عليه بالإمرة ، فقال له نصر : لعلك شاعر مكَّار ! فدفع إليه الكتاب . وكان جعفر بن حنظلة ولَّى عمرو بن مسلم مَرَوَ ، وعزل الكرمانى ولَّى منصور بن عمر ^(٢) أبرشهر ، ولَّى نصر بن سيار بخارى ، فقال جعفر ابن حنظلة : دعوتُ نصرًا قبل أن يأتيه عهده بأيام ؛ فعرضتُ عليه أن أولِّيه بخارى ، فشاور البخترى بن مجاهد ، فقال له البخترى ، وهو مولى بني شيبان : لا تقبلها ، قال : ولم ؟ قال : لأنك شيخ مُضَرَّ بخراسان ؛ فكأنك بعهدك قد جاء على خراسان كلها ؛ فلما أتاه عهده بعث إلى البخترى فقال البخترى لأصحابه : قد ولى نصر بن سيار خراسان ؛ فلما أتاه سلم عليه بالإمرة ، فقال له : أنَّى علمت ؟ قال : لما بعثتُ إلىَّ ، وكنتَ قبل ذلك تأتيني ، علمتُ أنك قدوليت .

قال : وقد قيل إن هشامًا قال لعبد الكريم حين أتاه خبرُ أسد بن عبد الله بموته : مَنْ ترى أن نولِّيَ خراسان ، فقد بلغنى أن لك بها وبأهلها علمًا ؟

قال عبد الكريم : قلت : يا أمير المؤمنين ؛ أمّا رجلُ خراسان حزمًا ونجدةً فالكرماني ؛ فأعرض بوجهه ، وقال : ما اسمه ؟ قلت : جديع بن عليّ ، قال : لا حاجة لي فيه ؛ وتطيّر ، وقال : سمّ لي غيره ، قلت : اللسن^(١) المجرب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانيّ أبو الميلاء ، قال : ربيعة لا تُسدّ بها الثغور — قال عبد الكريم : فقلت في نفسي : كره ربيعة واليمن ، فأرميه بمضّر — فقلت : عقيل بن معقل اللثي ، إن اغتفرت هنةً ، قال : ما هي ؟ قلت : ليس بالعفيف ، قال : لا حاجة لي به ، قلت : منصور بن أبي الخرقاء السلميّ ، إن اغتفرت نكره فإنه مشثوم ، قال : غيره ، قلت : المحشّر بن مزاحم السلميّ ، عاقل^(٢) شجاع ، له رأي مع كذب فيه ، قال : لا خير في الكذب ، قلت : يحيى بن حُصَيْن ، قال : ألم أخبرك أنّ ربيعة لا تسدّ بها الثغور ! قال : فكان إذا ذكرت له ربيعة ، واليمن أعرض . قال عبد الكريم : وأخّرت نصرًا وهو أرجلُ القوم وأحزمهم وأعلمهم بالسياسة ، فقلت : نصر بن سيار اللثي ، قال : هو لها ، قلت : إن اغتفرت واحدة ؛ فإنه عفيف مجرب عاقل ، قال : ما هي ؟ قلت : عشيرته بها قليلة ، قال : لا أبا لك ، أتريد عشيرة أكثر مني ! أنا عشيرته .

وقال آخرون : لما قدم يوسف بن عمر العراق قال : أشيروا عليّ برجل أولّه خراسان ، فأشاروا عليه بمسلمة بن سليمان بن عبد الله ابن خازم وقديّد بن منيع المنقرّي ونصر بن سيار وعمرو بن مسلم ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم ومنصور بن أبي الخرقاء وسلم بن قتيبة ويونس بن عبد ربه وزيايد بن عبد الرحمن القشيري ؛ فكتب يوسف بأسمائهم إلى هشام ، وأطرى القيسية ، وجعل آخر من كتب اسمه نصر بن سيار الكنانيّ ، فقال هشام : ما بال الكنانيّ آخرهم ! وكان في كتاب يوسف إليه : يا أمير المؤمنين ، نصر بخراسان قليلُ العشيرة . فكتب إليه هشام : قد فهمت كتابك وإطراءك القيسية . وذكرت نصرًا وقلة عشيرته ، فكيف يقلّ منّ أنا عشيرته ! ولكنك تقيست عليّ ، وأنا متخذف عليك ؛ ابعث بعهد نصر ؛ فلم يقلّ منّ عشيرته

أمير المؤمنين ؛ بله ما إن تيمماً أكثر أهل خراسان. فكتب إلى نصر أن يكتب يوسف بن عمر ، وبعث يوسف سَلَمًا وافداً إلى هشام ؛ وأثنى عليه فلم يولّه ، ثم أوفد شريك بن عبد ربه النُصَيْرِي ، وأثنى عليه ليولّيّه خراسان ، فأبى عليه هشام .

قال : وأوفد نصرٌ مِّنْ خُرَاسان الحكم بن يزيد بن عمير الأسديّ إلى هشام ، وأثنى عليه نصر ، فضر به يوسف ومنعه من الخروج إلى خراسان ؛ فلما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة استعمل الحكم بن يزيد على كِرمَمان ، وبعث بعهد نصر مع عبد الكريم الحنفيّ — ومعه كاتبه أبو المهند مولى بني حنيفة — فلما أتى سَرَخَس وقع الثلج ، فأقام ونزل على حفص بن عمر بن عباد التيميّ ، فقال له : قدمتُ بعهد نصر على خُرَاسان ؛ قال : وهو عامل يومئذ على سَرَخَس — فدعا حفص غلامه ، فحمله على فرس وأعطاه مالا ، وقال له : طِرْ واقتل الفرس ؛ فإن قام عليك فاشترِ غيره حتى تأتى نصرًا . قال : فخرج الغلام حتى قدِمَ^(١) على نصر ببلخ ، فيجده في السوق ، فدفع إليه الكتاب ، فقال : أتلدري ما في هذا الكتاب ؟ قال : لا ، فأمسكه بيده ، وأتى منزله ، فقال الناس : أتى نصرًا عهده على خراسان ، فأتاه قوم من خاصته ، فسألوه فقال : ما جاءني شيء ، فكث يومه ، فدخل عليه من الغد أبو حفص بن عليّ ، أحد بني حنظلة — وهو صهره ؛ وكانت ابنته تحت نصر ، وكان أهوج كثير المال ؛ فقال له : إن الناس قد خاضوا وأكثروا في ولايتك ؛ فهل جاءك شيء ؟ فقال : ما جاءني شيء ، فقام ليخرج . فقال : مكانك ؛ وأقرأه الكتاب ، فقال : ما كان حفص ليكتب إليك إلا بحقّ ، قال : فبينما هو يكلمه إذ استأذن عليه عبدُ الكريم ، فدفع إليه عهده ، فوصله بعشرة آلاف درهم . ثم استعمل نصر على بَلخ مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم ، واستعمل وشاح ابن بكير بن وشاح على مَرَو الروذ ، والحارث بن عبد الله بن الحشرج على هراة ، وزباد بن عبد الرحمن القُشَيْرِيّ على أبرشهر^(٢) ، وأبا حفص بن عليّ ختنه على خوارزم ، وقطن بن قُتَيْبَة على السُغْد . فقال رجل من أهل الشام من اليمانية : ما رأيتُ عصبيةً مثل هذه ! قال : بلى ، التي كانت قبل هذه .

(١) ح ، ف : « فقدم » .

(٢) ابن الأثير : « نيسابور » .

١٦٦٥/٢

فلم يستعمل أربع سنين إلا مُضْرِيًّا، وعمرت خُرَاسان عمارة لم تعمر قبل ذلك
مثلها، ووضع الحراج، وأحسن الولاية والحباية، فقال سَوَّار بن الأشعر:

أَضَحَّتْ خُرَاسَانُ بَعْدَ الْخَوْفِ آمَنَةً مِنْ ظُلْمِ كُلِّ غُشُومِ الْحَكَمِ جَبَّارِ
لَمَّا أَتَى يُوسُفًا أَخْبَارُ مَا لَقِيتُ اخْتَارَ نَصْرًا لَهَا، نَصَرَ بَنَ سَيَّارِ

وقال نصر بن سيار فيمن كره ولايته:

تَعَزَّزَ عَنِ الصَّبَابَةِ لَا تُلَامُ كَذَلِكَ لَا يَلُمُّ بِكَ احْتِمَامُ
أَأَنْ سَخِطْتَ كَبِيرَةً بَعْدَ قُرْبٍ كَلِفْتَ بِهَا وَبِاشْرَاكَ السَّقَامُ!
تُرْجَى الْيَوْمَ مَا وَعَدْتَ حَدِيثًا وَقَدْ كُذِّبَتْ مَوَاعِدُهَا الْكَرَامُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ مَا صَنَعَ الْقَوَانِي عَسِيرٌ لَا يَرِيعُ بِهِ الْكَلَامُ
أَبَتْ لِي طَاعَتِي وَأَبَى بِلَاقِي وَفَوَزِي حِينَ يَغْتَرِكُ الْخَصَامُ
وَأَنَا لَا نُضِيعُ لَنَا مُلِمًا وَلَا حَسَبًا إِذَا ضَاعَ الدَّمَامُ
وَلَا نُغْضِي عَلَى غَلَرٍ وَأَنَا نُقِيمُ عَلَى الْوَفَاءِ فَلَا نُلَامُ
خَلِيفَتُنَا الَّذِي فَازَتْ يَدَاهُ بِقِدْحِ الْحَمْدِ وَالْمَلِكِ الْهَمَامُ
نَسُوهُمْ بِهِ وَلَنَا عَلَيْهِمْ إِذَا قُلْنَا مَكَارِمُهُ حِسَامُ
أَبُو الْعَاصِي أَبُوهُ وَعَبْدُ شَمْسٍ وَحَرْبٌ وَالْقَمَاقِمَةُ الْكَرَامُ
وَمِرْوَانُ أَبُو الْخَلَفَاءِ عَالٍ عَلَيْهِ الْمَجْدُ فَهُوَ لَهُمْ نِظَامُ
وَبَيْتُ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ فِينَا وَبَيْتَاهُ الْمُقَدَّسُ وَالْحَرَامُ
وَنَحْنُ الْأَكْرَمُونَ إِذَا نُسِبْنَا وَعِزَّتَيْنِ الْبَرِيَّةُ وَالسَّنَامُ
فَأَمْسَيْنَا لَنَا مِنْ كُلِّ حَيٍّ خِرَاطِيمُ الْبَرِيَّةِ وَالزَّمَامُ
لَنَا أَيْدٍ نَرِيشُ بِهَا وَنُبْرِى وَأَيْدٍ فِي بُوَادِرِهَا السَّمَامُ
وَبِئْسَ فِي الْكُرْهِةِ حِينَ نَلْقَى إِذَا كَانَ النَّذِيرُ بِهَا الْحَسَامُ^(١)

١٦٦٦/٢

قال : وأتى نصرأ عهده في رجب من سنة عشرين ومائة ، وقال له البخترى :
اقرأ عهدك واخطب الناس ؛ فخطب الناس فقال في خطبته : استمسكوا
أصحابنا بجُددِكم ، فقد عرفنا خيركم وشركم .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل ، كذلك حدَّثني
أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وقد قيل : إن الذي حجَّ بهم فيها سليمان بن هشام .
وقيل : حجَّ بهم يزيد بن هشام .

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف محمد بن هشام ،
وعلى العراق والمشرق كله يوسف بن عمر ، وعلى خراسان نصر بن سيار - وقيل
جعفر بن حنظلة - وعلى البصرة كثير بن عبد الله السلمي من قبيل يوسف بن
عمر ، وعلى قضائها عامر بن عبيدة الباهلي ، وعلى أرمينية وأذربيجان
مرّوان بن محمد ، وعلى قضاء الكوفة ابن شبرمة .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة مسلمة بن هشام بن عبد الملك الروم ، فافتتح بها مطامير .
وغزوة مروان بن محمد بلاد صاحب سرير الذهب ، فافتتح قلاعته وخرَّب
أرضه ، وأذعن له بالجزية ، في كل سنة ألف رأس يؤدّيه إليه ، وأخذ منه
بذلك الرهن ، وملكه مروان على أرضه .
وفيها ولد العباس بن محمد .

* * *

[ذكر الخبر عن ظهور زيد بن علي]

وفيها قُتل زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب في قول الواقدي
في صفر ؛ وأما هشام بن محمد فإنه زعم أنه قتل في سنة اثنتين وعشرين ومائة ،
في صفر منها .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله وأموره وسبب مخرجه :

اختلف في سبب خروجه ؛ فأما الهيثم بن عدي فإنه قال — فيما ذكر
عنه ، عن عبد الله بن عياش — قال : قدم زيد بن علي ومحمد بن عمر بن علي بن
أبي طالب وداود بن علي بن عبد الله بن عباس على خالد بن عبد الله وهو على العراق ،
فأجازهم ورجعوا إلى المدينة ؛ فلما وليّ ابن يوسف بن عمر كتب إلى هشام
بأسمائهم وبما أجازهم به ، وكتب يذكر أن خالداً ابتاع من زيد بن علي أرضاً
بالمدينة بعشرة آلاف دينار ، ثم ردّ الأرض عليه . فكتب هشام إلى عامل
المدينة أن يسرّحهم إليه ففعل ، فسألهم هشام فأقروا بالحايزة ، وأنكروا ما سوى
ذلك ، فسأل زيداً عن الأرض فأنكرها ، وحلفوا لهشام فصدّ قههم .

١٦٦٨/٢

وأما هشام بن محمد الكلبي ، فإنه ذكر أن أبا مخنف حدثه أن أوّل أمر
زيد بن علي كان أن يزيد بن خالد القسري ادّعى مالاً قبيل زيد بن علي
ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وداود بن علي بن عبد الله بن العباس
ابن عبد المطلب وإبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري وأيوب بن

سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، فكتب فيهم يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك - وزيد بن عليّ يومئذ بالرصافة يخاصم بني الحسن ابن الحسن بن عليّ بن أبي طالب في صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحمد بن عمر بن عليّ يومئذ مع زيد بن عليّ - فلما قدّمت كتب يوسف ابن عمر على هشام بن عبد الملك بعث إليهم فذكر لهم ما كتب به يوسف ابن عمر إليه مما ادّعى قبلهم يزيد بن خالد ، فأنكروا ، فقال لهم هشام : فإننا باعثون بكم إليه يجمع بينكم وبينه ، فقال له زيد بن عليّ : أشنك الله والرحم أن تبعث بي إلى يوسف بن عمر ! قال : وما الذي تخاف (١) من يوسف بن عمر ؟ قال : أخاف أن يعتدي عليّ ، قال له هشام : ليس ذلك له ، ودعا هشام كاتبه فكتب إلى يوسف بن عمر :

١٦٦٩/٢

أما بعد ، فإذا قدّم عليك فلان وفلان ، فاجمع بينهم وبين يزيد بن خالد القسريّ ، فإن هم أقرّوا بما ادّعى عليهم فسرّح بهم إلىّ ، وإن هم أنكروا فسله بيّنة ، فإن هو لم يُقِمّ البيّنة فاستحلفهم بعد العصر بالله الذي لا إله إلا هو ؛ ما استودعهم يزيد بن خالد القسريّ ودیعة ، ولا له قبلهم (٢) ، شيء ! ثم خلّ سبيلهم .

فقالوا لهشام : إنا نخاف أن يتعدّى كتابك ، ويطول علينا ، قال : كلا ، أنا باعث معكم رجلاً من الحرّس يأخذه بذلك ؛ حتى يعجّل الفراغ ، فقالوا : جزاك الله والرحم خيراً ؛ لقد حكمت بالعدل . فسرّح بهم إلى يوسف ، واحتبس أيوب بن سلمة ؛ لأن أمّ هشام بن عبد الملك ابنة هشام ابن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ ، وهو في (٣) أخواله ، فلم يؤخذ بشيء من ذلك القرف .

١٦٧٠/٢

فلما قدموا على يوسف ، أدخلوا (٤) عليه ، فأجلس زيد بن عليّ قريباً منه ، وألطفه في المسألة ، ثم سألهم عن المال ، فأنكروا جميعاً ، وقالوا : لم يستودعنا مالاً ، ولا له قبيلنا حق ، فأخرج يوسف يزيد بن خالد إليهم ، فجمع بينه وبينهم ، وقال له : هذا زيد بن عليّ ، وهذا محمد بن عمر بن عليّ ،

(١) ف : « فقال له : ما تخاف ؟ » . (٢) ح ، ف : « قبلكم » .
(٣) ا : « من » . (٤) كذا في ا ، وفي ط : « فأدخلوا » .

وهذا فلان وفلان الذين كنت ادّعت عليهم ما ادّعت ، فقال : مالى قبيلتهم قليل ولا كثير ، فقال يوسف : أفبى (١) تهزأ أم بأمر المؤمنين ! فعذب به يومئذ عذاباً ظناً أنه قد قتله ، ثم أخرجهم إلى المسجد بعد صلاة العصر ، فاستحلفهم فحلفوا له ، وأمر بالقوم فبسط عليهم ، ما عدا زيد بن علي فإنه كف عنه فلم يقتدر (٢) عند القوم على شيء . فكتب إلى هشام يُعلمه الحال ، فكتب إليه هشام : أن استحلفهم ، وخلّ سبيلهم ، فخلّى عنهم فخرجوا فلحقوا بالمدينة ، وأقام زيد بن علي بالكوفة (٣) .

* * *

وذكر عبيد بن جناد ، عن عطاء بن مسلم الخفاف أن زيد بن علي رأى في منامه أنه أضرم في العراق ناراً ، ثم أطفأها ثم مات . فهاثته ، فقال لابنه يحيى : يا بني ، إني رأيت رؤيا قد راعتني ، فقصّها عليه . وجاءه كتاب هشام بن عبد الملك بأمره بالقدوم عليه ، فقدم ، فقال له : الحق بأمرك يوسف ، فقال له : نشدُك بالله يا أمير المؤمنين ، فوالله ما آمن إن بعثتني إليه ألاّ أجتمع أنا وأنت حينئذ على ظهر الأرض بعدها ، فقال : الحق بيوسف كما تؤمر ؟ فقدم عليه .

١٦٧١/٢

وقد قيل : إن هشام بن عبد الملك إنما استقدم زيدا من المدينة عن كتاب يوسف بن عمر ؛ وكان السبب في ذلك — فيما زعم أبو عبيدة — أن يوسف بن عمر عدّ ب خالد بن عبد الله ، فادّعى خالد أنه استودع زيد بن علي وداود بن علي ابن عبد الله بن عباس ورجلين من قريش : أحدهما مخزومي والآخر جُمَحِي مالا عظيماً ، فكتب بذلك يوسف إلى هشام ، فكتب هشام إلى خاله إبراهيم ابن هشام — وهو عامله على المدينة — يأمره بحملهم إليه . فدعا إبراهيم بن هشام زيدا وداود ، فسألهما عما ذكر خالد ، فحلفا ما أودعهما خالد شيئاً ، فقال : إنكما عندي لصادقان ؛ ولكن كتاب أمير المؤمنين قد جاء بما تريان ، فلا بدّ من إنفاذه . فحملهما إلى الشام ، فحلفا بالآيمان الغلاظ ما أودعهما خالد شيئاً قطّ . وقال داود : كنت قد مت عليه العراق ، فأمر لي بمائة ألف

(١) ح : « أبى » . (٢) ١ ، ح : « يقدر » .

(٣) انظر بقية خبر هشام ص ١٦٦ .

درهم ، فقال هشام : أنما عندى أصدق من ابن النصرانية ، فاقدما على يوسف ، حتى يجمع بينكما وبينه فتكذبا به في وجهه .

وقيل : إن زيداً إنما قدم على هشام مخاصماً ابن عمه عبدالله بن حسن بن حسن بن عليّ ، ذكر ذلك عن جويرية بن أسماء ، قال : شهدت زيد بن عليّ وجعفر بن حسن بن حسن يختصمان في ولاية وقوف عليّ ، وكان زيد يخاصم عن بني حُسين ، وجعفر يخاصم عن بني حسن ؛ فكان جعفر وزيد يتبالغان بين يدي والي إلى كل غاية ، ثم يقومان فلا يُعِيدان مما كان بينهما ١٦٧٢/٢ حرفاً ، فلما مات جعفر قال عبد الله : من يكفيننا زيداً ؟ قال حسن بن حسن بن حسن : أنا أكفيكه ، قال : كلا ، إنا نخاف لسانك ويدك ؛ ولكني أنا^(١) ، قال : إذن لا تبلغ حاجتك وحجّتك ، قال : أما حجّتي فسأبلغها ؛ فتنازعا إلى والي — والي يومئذ عندهم فيما قيل إبراهيم بن هشام — قال : فقال عبد الله لزيد : أتطمع أن تنالها وأنت لأمة سيندية ! قال : قد كان إسماعيل لأمة ؛ فقال أكثر منها ؛ فسكت عبد الله ، وتبالغا يومئذ كل غاية ؛ فلما كان الغد أحضرهم والي ، وأحضر قريشاً والأنصار ، فتنازعا ، فاعترض رجل من الأنصار ، فدخل بينهما ، فقال له زيد : وما أنت والدخول بيننا ، وأنت رجل من قحطان ! قال : أنا والله خير منك نفساً وأباً وأماً . قال : فسكت زيد ، وانبرى له رجل من قريش فقال : كذبت ، لعمر الله هو خير منك نفساً وأباً وأماً وأولاً وآخرًا ، وفوق الأرض وتحتها ، فقال والي : وما أنت وهذا ! فأخذ القرشي كفاً من الحصى ، فضرب به الأرض وقال : والله ما على هذا من صبر ، وفطن عبد الله وزيد لشماتة والي بهما ، فذهب عبد الله ليتكلم ، فطلب إليه زيد فسكت ، وقال زيد للوالي : أمّا والله لقد جمعنا لأمر ما كان أبو بكر ولا عمر ليجمعانا على مثله ؛ وإني أشهد الله ألاّ أنازعك إليك محققاً ولا مبطلاً ما كنتُ حيّاً . ثم قال لعبد الله : انهض يا بن عم ؛ فنهضا وتفرق الناس .

وقال بعضهم : لم يزل زيد ينازع جعفر بن حسن ثم عبد الله بعده ؛

حتى ولتى هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المدينة ،
فتنازعا ، فأغلظ عبد الله لزيد ، وقال : يا بن الهندكيّة^(١) ! فتضاحك زيد ،
وقال : قد فعلتها يا أبا محمد ! ثم ذكر أمته بشيء .

وذكر المدائني أن عبد الله لما قال ذلك لزيد قال زيد : أجل والله ،
لقد صبرت بعد وفاة سيدها فما تعبت بابها إذ لم يصبر غيرها . قال :
ثم ندم زيد واستحيا من عمته ؛ فلم يدخل عليها زماناً ، فأرسلت إليه :
يا بن أخي ، إني لأعلم أن أملك عندك كأم عبد الله عنده .

وقيل : إن فاطمة أرسلت إلى زيد : إن سب عبد الله أملك فاسبب
أمته ؛ وأنها قالت لعبد الله : أقلت لأم زيد كذا وكذا ؟ قال : نعم ، قالت :
فبئس والله ما صنعت ! أما والله لنعم دخيلة القوم كانت !

فذكر أن خالد بن عبد الملك ، قال لهما : اغدوا علينا غداً ، فلست
لعبد الملك إن لم أفصل بينكما . فباتت المدينة تغلي كالمرجل^(٢) ، يقول قائل :
كذا وقائل كذا ؛ قائل يقول قال زيد كذا ، وقائل يقول : قال عبد الله كذا .
فلما كان الغد جلس خالد في المجلس في المسجد ، واجتمع الناس ،
فن شامت ومن مهموم ، فدعا بهما خالد ، وهو يحب أن يتشاما ، فذهب
عبد الله يتكلم ، فقال زيد : لا تعجل يا أبا محمد ، أعتق زيد ما يملك إن
خاصمك إلى خالد أبداً ؛ ثم أقبل على خالد فقال له : يا خالد ؛ لقد جمعت^(٣)
ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا
عمر ؛ قال خالد : أما لهذا السفية أحد ! فتكلم رجل من الأنصار من آل
عمرو بن حزم ، فقال : يا بن أبي تراب وابن حسين السفية ، ما ترى لوال^(٤)
عليك حقاً ولا طاعة ! فقال زيد : اسكت أيتها القحطاني ، فإننا لا نجيب
مثلك ، قال : ولم ترغب عني ! فوالله إني لخير منك ، وأبي خير من أبيك ،
وأمتي خير من أملك ! فتضاحك زيد ، وقال : يا معشر قريش ، هذا الدين قد
ذهب ، أفذهبت الأحساب ! فوالله إنه ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم .

١٦٧٤/٢

(٢) ب : « كالمرجل » .

(١) ب وابن الأثير : « السندية » .

(٤) ابن الأثير : « للوالى » .

(٣) ابن الأثير : « أجمعت » .

فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقال: كذبت والله أيها القحطاني؛ فوالله لهُو خير منك نفساً وأباً وأمّاً ومحتدّاً، وتناوله بكلام كثير؛ قال القحطاني: دعنا منك يا ابن واقد؛ فأخذ ابن واقد كَفّاً من حصي؛ فضرب بها الأرض، ثم قال له: والله ما لنا على هذا صبر، وقام. وشخص^(١) زيد إلى هشام بن عبد الملك، فجعل هشام لا يأذن له، فيرفع إليه القصص؛ فكلّما رفع إليه قصّة كتب هشام في أسفلها: ارجع إلى أميرك^(٢)؛ فيقول زيد: والله لا أرجع إلى خالد أبداً، وما أسأل مالاً؛ إنما أنا رجل مخاصم؛ ثم أذن له يوماً بعد طول حبس.

فذكر عمر بن شبّة، عن أيوب بن عمر بن أبي عمرو^(٣)، قال: حدثني محمد بن عبد العزيز الزهرّي قال: لما قدم زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك أعلمه حاجبهُ بمكانه، فرقى هشام إلى عليّة له طويلة، ثم أذن له، وأمر خادماً أن يتبعه، وقال: لا يرينك، واسمع ما يقول. قال: فأتبعته^(٤) الدرجة — وكان بادناً — فوقف في بعضها، فقال: والله لا يحب الدنيا أحد إلا ذلّ، فلما صار إلى هشام قضى حوائجه، ثم مضى نحو الكوفة، ونسى هشام أن يسأل الخادم حتى مضى لذلك أيام، ثم سأله فأخبره، فالتفت إلى الأبرش. فقال: والله ليأتينك خلعه أول شيء، وكان كما قال.

وذكر عن زيد أنه حلف لهشام على أمر؛ فقال له: لا أصدّقك، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن الله لم يرفع قدراً أحداً عن أن يرضى بالله، ولم يضع قدراً أحداً عن ألا يرضى بذلك منه، فقال له هشام: لقد بلغني يا زيد أنك تذكر الخلافة وتتمنّاها، ولست هناك وأنت ابن أمة! فقال زيد: إن لك يا أمير المؤمنين جواباً، قال: تكلم، قال: ليس أحدٌ أولى بالله، ولا أرفع عنده منزلة من نبيّ ابتعته؛ وقد كان إسماعيل من خير الأنبياء، وولد خيرهم محمداً صلى الله عليه وسلم، وكان إسماعيل ابن أمة وأخوه ابن صريحة مثلك؛ فاختره الله عليه، وأخرج منه خير البشر؛ وما على أحد من

(١) ابن الأثير: «فشخص». (٢) ب وابن الأثير: «متزك».

(٣) كذا في ب، وهو الصواب، وفي ط: «عمر».

(٤) كذا في أ، والدرجة: المرقاة.

ذلك جدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانت أمه [أمة] ^(١) . فقال له هشام : أخرج ، قال : أخرج ثم لا ترائي إلّا حيث تكره ، فقال له سالم : يا أبا الحسين ؛ لا يظهرنّ هذا منك .

* * *

رجع الحديث إلى حديث هشام بن محمد الكلبيّ عن أبي مخنف ^(٢) . قال : فجعلت الشيعة تختلف إلى زيد بن عليّ ، وتأمّره بالخروج ، ويقولون : إنا نرجو أن تكون المنصور ، وأن يكون هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية . فأقام بالكوفة ، فجعل يوسف بن عمر يسأل عنه ، فيقال : هو هاهنا ، فيبعث إليه أن اشخص ، فيقول : نعم ؛ ويعتلّ له بالوَجَع . فكث ما شاء الله ، ثم سأل أيضاً عنه فقبل له : هو مقيم بالكوفة بعدُ لم يبرح ، فبعث إليه ، فاستحثّه بالشخص ، فاعتلّ عليه بأشياء يتاعمها ، وأخبره أنه في جهازه ، ورأى جدّ يوسف في أمره فتحيّاً ، ثم شخص حتى أتى القادسية . وقال بعض الناس : أرسل معه رسولاّ حتى يبلغه العُدَيب ، فلحقته الشيعة ، فقالوا ^(٣) له : أين تذهب عنّا ومعلك مائة ألف رجل من أهل الكوفة ، يضربون دونك بأسيا فهم غدّاً وليس قبلك من أهل الشام إلا عدّة قليلة ، لو أن قبيلة من قبائلنا نحو مذحج أو همدان أو تميم أو بكر نصبت لهم لكفتكم ^(٤) . بإذن الله تعالى ! فنشكرك الله لما رجعت ؛ فلم يزالوا به حتى ردّه إلى الكوفة .

١٦٧٧/٢

* * *

وأما غير أبي مخنف ؛ فإنه قال ما ذكر عبید بن جنداد ، عن عطاء بن مسلم ، أن زيد بن عليّ لما قدّم على يوسف ، قال له يوسف : زعم خالد أنه قد أودعك مالا ، قال : أنّی يودعني مالا وهو يشتم آبائي على منبره ! فأرسل إلى خالد ، فأحضره في عباءة ، فقال له : هذا زيد ، زعمت أنك قد أودعته مالا ، وقد أنكر ؛ فنظر خالد في وجههما ، ثم قال : أتريد أن تجمع مع إثمك

(١) تكلّة من ا ، وما هنا مصدرية . (٢) انظر أول الخبر ص ١٦٠ .

(٣) ح : « فقلت » .

(٤) ف « لكفتهم » .

فَقَدْ لَئِمَّا فِي هَذَا ! وَكَيْفَ أودِعَهُ مَالاً وَأَنَا أَشْتَمُهُ وَأَشْتَمُ آبَاءَهُ عَلَى الْمَنْبَرِ !
قَالَ : فَشْتَمَهُ يُوسُفُ ، ثُمَّ رَدَّهُ .

وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ، فَذَكَرَ عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ : صَدَقَ هِشَامٌ زَيْدَ أَوْ مَن كَانَ
يُوسُفُ قَرَفَهُ بِمَا قَرَفَهُ بِهِ ، وَوَجَّهَهُمْ إِلَى يُوسُفَ ، وَقَالَ : لَأَنَّهُمْ قَدْ حَلَفُوا لِي ،
وَقَبِلْتُ أَيْمَانَهُمْ وَأَبْرَأْتُهُمْ مِنَ الْمَالِ ، وَلَئِنَّمَا وَجَّهْتُ بِهِمْ إِلَيْكَ لِتَجْمَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
خَالِدٍ فَيَكْذِبُوهُ . قَالَ : وَوَصَلَهُمْ هِشَامُ ؛ فَلَمَّا قَدَمُوا عَلَى يُوسُفَ أَنْزَلَهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ ،
وَبَعَثَ إِلَى خَالِدٍ فَأَتَى بِهِ ، فَقَالَ : قَدْ حَلَفَ الْقَوْمُ ، وَهَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِبَرَاءَتِهِمْ ، فَهَلْ عِنْدَكَ بَيِّنَةٌ بِمَا ادْعَيْتَ ؟ فَلَمْ تَكُنْ لَهُ بَيِّنَةٌ ، فَقَالَ الْقَوْمُ لَخَالِدٍ :
مَا دَعَاكَ إِلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : غَلَّظَ عَلَيَّ الْعَذَابُ فَادْعَيْتَ مَا ادْعَيْتَ ،
وَأَمَلْتُ أَنَّ يَأْتِيَ اللَّهُ بِفَرَجٍ قَبْلَ قُدُومِكُمْ . فَأَطْلَقَهُمْ يُوسُفُ ، فَضَى الْقَرَشِيَّانِ :
الْجَحْمِيُّ وَالْخَزَوِيُّ إِلَى الْمَدِينَةِ ؛ وَتَخَلَّفَ الْهَاشِمِيُّانِ : دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ وَزَيْدُ
ابْنِ عَلِيٍّ بِالْكُوفَةِ .

وَذَكَرَ أَنَّ زَيْدًا أَقَامَ بِالْكُوفَةِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ أَوْ خَمْسَةَ وَيُوسُفُ يَأْمُرُهُ بِالْخُرُوجِ ،
وَيَكْتُبُ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى الْكُوفَةِ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بِالْحِيرَةِ يَأْمُرُهُ بِإِزْعَاجِ^(١) زَيْدٍ ، وَزَيْدٌ
يَذْكُرُ أَنَّهُ يَنَازِعُ بَعْضَ آلِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي مَالٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ،
فَيَكْتُبُ الْعَامِلُ بِذَلِكَ إِلَى يُوسُفَ ، فَيَقْرَهُ أَيَّامًا ، ثُمَّ يَبْلُغُهُ أَنَّ الشَّيْعَةَ تَخْتَلِفُ
إِلَيْهِ ؛ فَيَكْتُبُ إِلَيْهِ أَنْ أَخْرِجْهُ وَلَا تُؤَخِّرْهُ ؛ وَإِنْ ادَّعَى أَنَّهُ يَنَازِعُ فَلْيُجَرِّ جَرًّا^(٢) ،
وَلْيُوكَلِّ مَن يَقُومُ مَقَامَهُ فِيمَا يَطْلُبُ بِهِ ؛ وَقَدْ بَايَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ سَلْمَةُ بْنُ
كُهَيْلٍ وَنَصْرُ بْنُ خَزِيمَةَ الْعَبْسِيُّ وَمَعَاوِيَةُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الْأَنْصَارِيُّ
وَحُجْبَةُ بْنُ الْأَجْلَحِ الْكِنْدِيُّ وَنَاسٌ مِنْ وَجُوهِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ؛ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ دَاوُدُ
ابْنَ عَلِيٍّ قَالَ لَهُ : يَا بَنَ عَمِّ ، لَا يَغْرُنْكَ هَؤُلَاءُ مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَنَفَى أَهْلَ بَيْتِكَ
لَكَ عِبْرَةٌ ، وَفِي خِذْلَانِ هَؤُلَاءُ إِيَّاهُمْ . فَقَالَ : يَا دَاوُدُ ، إِنَّ بَنِي أُمِيَّةٍ قَدْ عَتَوْا
وَقَسَتْ قُلُوبَهُمْ ؛ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ دَاوُدُ حَتَّى عَزَمَ عَلَى الشَّخْصِ ، فَشَخَصَا حَتَّى
بَلَغَا الْقَادِسِيَّةَ .

وَذَكَرَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، أَنَّهُ قَالَ : اتَّبَعُوهُ إِلَى الثَّعْلَبِيَّةِ وَقَالُوا لَهُ : نَحْنُ أَرْبَعُونَ

(١) الإِزْعَاجُ : نَقِضُ الْإِقْرَارِ . (٢) كَذَا فِي ١ ، وَفِي ط : « جَرِيًّا » .

ألفاً ، إن رجعت إلى الكوفة لم يتخلّف عنك أحدٌ ، وأعطوه الموائيق والأيمان المغلّظة ، فجعل يقول : إني أخاف أن تخذلوني وتسلموني كفعلكم بأبي جدّي . فيحلفون له ، فيقول داود بن عليّ : يا بن عمّ ، إن هؤلاء يغرّونك من نفسك^(١) ! أليس قد خذلوا من كان أعزّ عليهم منك ؛ جدّك عليّ بن أبي طالب حتى قتل ! والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه ، وانتهبوا فسطاطه ، وجرحوه ! أو ليس قد أخرجوا جدّك الحسين ، وحلفوا له بأوكّد الأيمان ثم خذلوه وأسلموه ، ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه ! فلا تفعل ولا ترجع معهم . فقالوا : إن هذا لا يريد أن تظهر أنت ، ويزعم أنه وأهل بيته أحقّ بهذا الأمر منكم ، فقال : زيد لداود : إن عليّاً كان يقاتله معاوية بدعائه^(٢) ونكرائه بأهل الشام ، وإنّ الحسين قاتله يزيد بن معاوية والأمر عليهم مقبل ؛ فقال له داود : إني لخائف إن رجعت معهم ألا يكون أحد أشدّ عليك منهم ؛ وأنت أعلم . ومضى داود إلى المدينة وزجع زيد إلى الكوفة .

١٦٨٠/٢

وقال عبيد بن جنّاد ، عن عطاء بن مسلم الخفّاف ، قال : كتب هشام إلى يوسف أن أشخص زيداً إلى بلده ، فإنه لا يقيم ببلد غيره فيدعوا أهله إلا أجابوه ، فأشخصه ، فلما كان بالثعلبية — أو القادسية — لحقه المشائيم — يعني أهل الكوفة — فردّوه وبايعوه ، فأتاه سلمة بن كهيل ، فأستأذن عليه ، فأذن له ، فذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقه فأحسن . ثم تكلم زيد فأحسن ، فقال له سلمة : اجعل لي الأمان ، فقال : سبحان الله ! مثلك يسأل مثل الأمان ! وإنما أراد سلمة أن يسمع ذلك أصحابه ، ثم قال : لك الأمان ، فقال : نشدّك بالله ، كم بايعك ؟ قال : أربعون ألفاً ، قال : فكم بايع جدّك ؟ قال : ثمانون ألفاً ، قال : فكم حصل معه ؟ قال : ثلثمائة ، قال : نشدّك الله أنت خير أم جدّك ؟ قال : بل جدّي ، قال : أفقرنك الذي خرجت فيهم خير أم القرّن الذي خرج فيهم جدّك ؟ قال : بل القرّن الذي خرج فيهم جدّي ، قال : أفتطمع أن يفيّ لك هؤلاء ، وقد غدر أولئك بجدّك ! قال : قد بايعوني ، ووجبت البيعة في عني وأعناقهم ،

١٦٨١/٢

(٢) ابن الأثير : « بدعيه » .

(١) ب ، ح : « في نفسك » .

قال : أفتأذن^(١) لي أن أخرج من البلد ؟ قال : لم ؟ قال : لا آمن أن يحدث في أمرك حدثٌ فلا أملك نفسي ، قال : قد أذنتُ لك ، فخرج إلى الياومة ، وخرج زيد فقتل وصلب . فكتب هشام إلى يوسف يلومه على تركه سلمة ابن كهيل يخرج من الكوفة ، ويقول : مقامه كان خيراً من كذا وكذا من الخيل تكون معك .

وذكر عمر عن أبي إسحاق — شيخٌ من أهل أصبهان حدثه — أن عبد الله ابن حسن كتب إلى زيد بن علي : يا بن عمي ، إن أهل الكوفة نَفَخَ العلانية ، خور السريرة ، هُوجَ^(٢) في الرخاء ، جَزُعَ في اللقاء ، تقدمهم ألسنتهم ، ولا تشايهم قلوبهم ، لا يبيتون بعدة في الأحداث ، ولا ينوعون بدولة مرجوة ؛ ولقد تواترت إلى كتبهم بدعوتهم ، فصممت عن ندائهم ؛ وألبست قلبي غشاءً عن ذكرهم ؛ بأساً منهم واطراحاً لهم ؛ وما لهم مثلي إلا ما قال علي بن أبي طالب : إن أهملتهم خضتم ، وإن حوربتهم خرتهم ، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم ، وإن أجبتم إلى مشاققة نكصتم .

١٦٨٢/٢

وذكر عن هشام بن عبد الملك ، أنه كتب إلى يوسف بن عمر في أمر زيد بن علي : أما بعد فقد علمت بحال أهل الكوفة في حبهم أهل هذا البيت ، ووضعهم إياهم في غير مواضعهم ؛ لأنهم افترضوا على أنفسهم طاعتهم ، ووظفوا^(٣) عليهم شرائع دينهم ، ونحلهم^(٤) علم ما هو كائن ؛ حتى حملوهم من تفريق الجماعة على حال استخفؤهم فيها إلى الخروج ، وقد قدم زين بن علي على أمير المؤمنين في خصومة عمر بن الوليد ، ففصل أمير المؤمنين بينهما ، ورأى رجلاً جسدلاً لسيناً خليقاً بتمويه الكلام وصوغه ، واجترار الرجال بحلاوة لسانه ، وبكثرة مخارجه في حججه ، وما يدل به عند لئد^(٥) الخيصام من السطوة على الخصم بالقوة الحادة لنيل الفلج^(٦) ؛ فعجل لإشخاصه إلى الحجاز ، ولا تخله والمقام قبلك ؛ فإنه إن أعاره القوم أسماءهم فحشاها

(١) ح : « فتأذن » . (٢) كذا في ١ . (٣) الوظيفة : ما يقدر بين عمل ورزق وطعام . (٤) نملة الشيء : نسبة إليه . (٥) اللد : شدة الخصومة . (٦) الفلج : الفوز والظفر .

١٦٨٣/٢

من لَيْسَ لفظه ، وحلاوة منطقته ، مع ما يدلّ به من القرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدّهم مُبَيَّلاً إليه ؛ غير متشدّد قلوبهم ولا ساكنة أحلامهم ، ولا مصونة عندهم أديانهم ؛ وبعض التحامل عليه فيه أذى له ، وإخراجه وتركه مع السلامة للجميع والحقن للدماء والأمن للفرقة أحبّ إلىّ من أمر فيه سفكُ دمائهم ، وانتشار^(١) كلمتهم وقطع نسلهم ؛ والجماعةُ حَبَلُ الله المتين ، ودين الله القويم وعروته الوثقى ؛ فادع إليك أشرف أهلِ المصر ، وأوعدهم العقوبة في الأَبْشار^(٢) ، واستصفا^(٣) الأموال ؛ فإن من له عقد أو عهد منهم سيّطى عنه ، ولا يخفّ معه إلاّ الرّعاع وأهل السّواد ومن تنهضه الحاجة ؛ استلذاذاً للفتنة ؛ وأولئك ممن يستعبد إبليس ؛ وهو يستعبدهم . فبادهم^(٤) بالوعيد . وأعْضضهم بسوطك^(٥) ، وجرّد فيهم سيفك ، وأخيف الأشراف قبل الأوساط ، والأوساط قبل السفلة . واعلم أنك قائم على باب ألّفة ، وداع إلى طاعة ، وحاض على جماعة ، ومشمّر لدين الله ؛ فلا تستوحش لكثرتهم ، واجعل معقلك الذى تأوى إليه ، وصغوك^(٦) الذى تخرج منه الثقة برّك ، والغضب لدينك ، والحماية عن الجماعة ، ومناصبه من أراد كسّر هذا الباب الذى أمرهم الله بالدخول فيه ، والتشاح^(٧) عليه ؛ فإن أمير المؤمنين قد أعذر إليه وقضى من ذمامه^(٨) ، فليس له منزى^(٩) إلى ادعاء حقّ هو له ظلّمته من نصيب نفسه ، أو فيء ، أو صلة لذى قربى ، إلا الذى خاف أمير المؤمنين من حَمَلُ بادرة السفلة على الذى عسى أن يكونوا به أشقى وأضلّ ؛ ولهم أمرٌ ، ولأمر المؤمنين أعزّ وأسهل إلى حياطة الدين والذب عنه ، فإنه لا يحبّ أن يرى فى أمته حالاً متفاوتاً نكالا لهم مفنياً ؛ فهو يستديم النظرة ، ويتأتّى للرّشاد ، ويحتنبهم على المخاوف ، ويستجرّهم إلى

١٦٨٤/٢

(١) انتشار الكلمة : تفرقها .

(٢) البشرة : ظاهر الجلد والجمع بشر ، وجمع الجمع أبحاث .

(٣) استصنى المال : أخذ صفوه . (٤) بادهم : جاهرهم .

(٥) ب : « بسطوتك » .

(٦) صغوك ، أى ميلك ، وفى ف « صغوك » .

(٧) التشاح : الحرس ، يقال : تشاحوا على الأمر ؛ أى شح بعضهم على بعض .

(٨) أعذر إليه ؛ أى إلى زيد بن حلى ، وأعذر : صار ذا عذر ، والذمام : الحق والحزمة .

(٩) منزى ، مفعل ، من نزا ينزو ؛ إذا وثب .

المراشد ، ويعدل بهم عن المهالك ؛ فعلَ الوالد الشفيق على ولده ، والراعى الحديب على رعيته .

واعلم أن من حجتك عليهم في استحقاق نصر الله لك عند معاندتهم توفيتك أطماعتهم ، وأعطية ذريتهم ، ونهيك جندك أن ينزلوا حريمهم ودورهم ؛ فانتهاز رضا الله فيما أنت بسبيله ؛ فإنه ليس ذنبٌ أسرع تعجيل عقوبة من بغى ؛ وقد أوقعهم الشيطان ، ودلائهم فيه ، ودلهم عليه ؛ والعصمة بتارك البغى أولى ؛ فأمر المؤمنين يستعين الله عليهم وعلى غيرهم من رعيته ، ويسأل إلهه ومولاه ووليّه أن يصلح منهم ما كان فاسداً ، وأن يسرع بهم إلى النجاة والفوز ؛ إنه سميع قريب .

* * *

رجع الحديث إلى حديث هشام^(١) . قال : فرجع زيد إلى الكوفة ، فاستخفى ، قال : فقال له محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب حيث أراد الرجوع إلى الكوفة : أذكرك الله يا زيد لما لحقت بأهلك ؛ ولم تقبل قول أحد من هؤلاء الذين يدعونك إلى ما يدعونك إليه ؛ فإنهم لا يفون لك ؛ فلم يقبل منه ذلك ، ورجع .

قال هشام : قال أبو مخنف : فأقبلت الشيعة لما رجع إلى الكوفة يختلفون إليه ، ويباعون له ، حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل ، فأقام بالكوفة بضعة عشر شهراً ؛ إلا أنه قد كان منها بالبصرة نحو شهرين ، ثم أقبل إلى الكوفة ، فأقام بها ، وأرسل إلى أهل السواد وأهل الموصل رجالاً يدعون إليه .

قال : وتزوج حيث قدم الكوفة ابنة يعقوب بن عبد الله السلمى ، أحد بني فرقد ، وتزوج ابنة عبد الله بن أبي العنبريس الأزدي . قال : وكان سبب تزوجه إياها أن أم عمرو بنت الصلت كانت ترى رأى الشيعة ، فبلغها مكان زيد ، فأتته لتسلم عليه — وكانت امرأة جسيمة جميلة^(٢) لحيمة ، قد دخلت في السن ، إلا أن الكبر لا يستبين عليها —

(٢) ف : « جميلة جسيمة » .

(١) انظر صفحة ١٦٦ .

فلما دخلت على زيد بن عليّ فسلمت عليه ظناً أنها شابة، فكلّمته فإذا أفصح الناس لساناً، وأجمله منظراً، فسألها عن نسبها فانتسبت له، وأخبرته من هي، فقال لها: هل لكِ رحمك الله أن تتزوّجيني؟ قالت: أنت والله - رحمك الله - رغبة لو كان من أمرى التزويج، قال لها: وما الذى يمنعك؟ قالت: يمنعني من ذلك أنى قد أسننتُ، فقال لها: كلاً قد رضيتُ، ما أبعدك من أن تكوني قد أسننت! قالت: رحمك الله، أنا أعلم بنفسى منك؛ وبما أتى على من الدهر؛ ولو كنت متزوجة يوماً من الدهر لما عدلتُ بك؛ ولكن لى ابنة أبوها ابن عمى؛ وهى أجمل منى، وأنا أزواجكها إن أحببت، قال: رضيت أن تكون مثلك، قالت له: لكن خالقها ومصورها لم يرض أن يجعلها مثلى، حتى جعلها أبيض - وأوسم وأجسم، وأحسن منى دلاً وشكلاً^(١). فضحك زيد، وقال لها: قد رزقت فصاحة ومنطقاً حسناً، فأين فصاحتها من فصاحتك؟ قالت: أما هذا فلا علم لى به؛ لأننى نشأت بالحجاز، ونشأت ابنتى بالكوفة، فلا أدري لعل ابنتى قد أخذت لغة أهلها. فقال زيد: ليس ذلك بأكره إلى، ثم واعدتها موعداً فأتاها فتزوّجها، ثم بنى بها فولدت له جارية. ثم لأنها ماتت بعد؛ وكان بها معجباً.

١٦٨٧/٢

قال: وكان زيد بن عليّ ينزل بالكوفة منازل شتى، فى دار امرأته فى الأزديّة، ومرة فى أصحابه السلمييين، ومرة عند نصر بن خزيمة فى بنى عبّس، ومرة فى بنى غبّر. ثم إنه تحوّل من بنى غبّر إلى دار معاوية ابن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصارى فى أقصى جباله سالم السلولى، وفى بنى نهّمد وبنى تغلب عند مسجد بنى هلال بن عامر، فأقام يبايع أصحابه؛ وكانت بيعته التى يبايع عليها الناس: «إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسّم هذا النىء بين أهله بالسواء، وردّ الظالمين، وإفقال الحجر^(٢) ونصرنا أهل البيت على من نّصب لنا وجهل حقنا»، أتبايعون على ذلك؟

(١) الشكل: غنج المرأة ودلها.

(٢) جمر الأمير الجند، أى أبقاهم فى ثمر العدو ولم يقللهم.

فإذا قالوا : نعم ، وضع يده على يده ، ثم يقول : عليك عهدُ الله وميثاقه ودمته وذمة رسوله ، لتفني ببيعتي ولتقاتلنَّ عدوى ولتنصحنَّ في السرِّ والعلانية ؟ فإذا قال : نَعَمْ مسح يده على يده ، ثم قال ^(١) : اللهمَّ اشهد . فكث بذلك بضعة عشر شهراً ؛ فلما دنا خروجه أمر أصحابه بالاستعداد والتهيؤ ، فجعل من يريد أن يفي ويخرج معه يستعدُّ لو يتهيأ ، فشاع أمره في الناس .

* * *

[ذكر الخبر عن غزوة نصر بن سيار ما وراء النهر]

وفي هذه السنة غزا نصر بن سيار ما وراء النهر مرتين ، ثم غزا الثالثة ، فقتل كور صُول .

* ذكر الخبر عن غزواته هذه :

ذَكَرَ عَلِيٌّ عَنْ شَيْوْخِهِ ، أَنَّ نَصْرًا غَزَا مِنْ بَلْخَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ مِنْ نَاحِيَةِ بَابِ الْحَدِيدِ ؛ ثُمَّ قَفَلَ إِلَى مَرْوَ ، فَخَطَبَ ^(٢) النَّاسَ ، فَقَالَ : أَلَا إِنَّ بُهْرَامِيسَ كَانَ مَانِحَ الْحُجُوسِ ، يَمْنَحُهُمْ وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ ، وَيَحْمِلُ أَثْقَالَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ؛ أَلَا إِنَّ أَشْبَدَادَ بْنَ جَرِيحُورَ كَانَ مَانِحَ النَّصَارَى ؛ أَلَا إِنَّ عَقِيْبَةَ الْيَهُودَى كَانَ مَانِحَ الْيَهُودِ يَفْعَلُ ذَلِكَ . أَلَا إِنِّي مَانِحُ الْمُسْلِمِينَ ، أَمْنَحُهُمْ وَأُدْفَعُ عَنْهُمْ ، وَأَحْمِلُ أَثْقَالَهُمْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ؛ أَلَا إِنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنِّي إِلَّا تَوَقَّى الْخَرَجَ عَلَى مَا كَتَبَ وَرَفَعَ . وَقَدْ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ مَنْصُورَ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْحَسَرَاءِ ، وَأَمَرْتُهُ بِالْعَدْلِ عَلَيْكُمْ ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ يُؤْخَذُ مِنْهُ جَزِيَّةٌ مِنْ رَأْسِهِ ، أَوْ تُقْلَ عَلَيْهِ فِي خَرَجِهِ ، وَخَفَّفَ مِثْلَ ذَلِكَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ، فَلْيَرْفَعْ ذَلِكَ إِلَى الْمَنْصُورِ بْنِ عَمْرِو ، يَحْوَلْهُ عَنِ الْمُسْلِمِ إِلَى الْمُشْرِكِ . قَالَ : فَمَا كَانَتْ الْجُمُعَةُ الثَّانِيَّةُ ؛ حَتَّى أَتَاهُ ثَلَاثُونَ أَلْفَ مُسْلِمٍ ، كَانُوا يُؤْذَنُونَ الْجَزِيَّةَ عَنْ رِعْوِهِمْ وَثَمَانُونَ أَلْفَ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَلْقَيْتُ عَنْهُمْ جَزِيَّتَهُمْ ^(٣) ، فَحَوَّلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ^(٤) ، وَأَلْقَاهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ^(٥) . ثُمَّ صَنَّفَ الْخَرَجَ حَتَّى وَضَعَهُ مَوَاضِعَهُ ، ثُمَّ وَظَّفَ الْوُضَيْفَةَ الَّتِي جَرَى عَلَيْهَا الصَّلْحُ . قَالَ : فَكَانَتْ مَرْوُ يُؤْخَذُ مِنْهَا

(٢) ح : « وخطب » .

(٤) ب ، ح : « عنهم » .

(١) ح : « يقول » .

(٣) ح : « الجزية » .

(٥) ح : « حتى ألقاه على المشركين » .

مائة ألف سوى الحراج أيام بنى أمية . ثم غزا الثانية إلى ورغسّر وسمرقند
ثم قفل ، ثم غزا الثانية إلى الشاش من مَرَوْ ، فحال بينه وبين قطوع النهر (نهر
الشاش) كورصول في خمسة عشر ألفاً ، استأجر كل رجل منهم في كل
شهر بشقة حرير ، الشقة يومئذ بخمسة وعشرين درهماً ، فكانت بينهم
مراماة ، ففزع نصراً من القطوع إلى الشاش . وكان الحارث بن سريج يومئذ
بأرض الترك ، فأقبل معهم ؛ فكان بإزاء نصر ، فرمى نصراً ؛ وهو على سريره
على شاطئ النهر بحسبان^(١) ، فوقع السهم في شيدق وصيف لنصر يوضه ،
فتحوّل نصر عن سريره ، ورمى فرساً لرجل من أهل الشام فنفق . وعبر
كورصول في أربعين رجلاً ، فبيّت أهل العسكر ، وساق شاء لأهل بخارى ،
وكانوا في الساقة ، وأطاف بالعسكر في ليلة مظلمة ؛ ومع نصر أهل بخارى
وسمرقند وكيس وأشرو سنة ، وهم عشرون ألفاً ، فنادى نصر في الأخماس :
ألا لا يخرجن أحد من بنائه ، واثبتوا على مواضعكم . فخرج عاصم بن عمير
وهو على جُنْد أهل سمرقند ، حتى مرّت خيل كورصول ، وقد كانت الترك
صاحت صيحة ، فظن أهل العسكر أن الترك قد قطعوا كلهم . فلما مرّت
خيل كورصول على ذلك حمل على آخرهم ، فأسر رجلاً ؛ فإذا هو مملوك
من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبة ، فجاءوا به إلى نصر ، فإذا هو شيخ
يسحب درعه شبيهاً ، وعليه رانا ديباج فيهما حلق ، وقباء فرند مكف^(٢)
بالديباج ، فقال له نصر : من أنت ؟ قال : كورصول ، فقال نصر :
الحمد لله الذي أمكن منك يا عدوّ الله ! قال : فما ترجو من قتيل شيخ ،
وأنا أعطيك ألف بعير من إبل الترك ، وألف برّذون تقوى بها جندك ، وخل
سبيل ! فقال نصر لمن حوله من أهل الشام وأهل خراسان : ما تقولون ؟ فقالوا :
خل سبيله ، فسأله عن سنّه ، قال : لا أدري ، قال : كم غزوت ؟ قال :
اثنتين وسبعين غزوة ، قال : أشهدت يوم العطش ؟ قال : نعم ، قال :
لو أعطيتني ما طلعت عليه الشمس ما أفلت^(٣) من يدي بعد ما ذكرت من
مشاهدك . وقال لعاصم بن عمير السغدّي : قم إلى سلكيه فخذ به ؛ فلما

١٦٩٠/٢

١٦٩١/٢

(١) الحسبان : السهام الصغار .

(٢) ب : « مكلل » .

(٣) ح ، ف : « انفلت » .

أيقن بالقتل ، قال : مَنْ أُسْرِنِي ؟ قال نصر وهو يضحك : يزيد بن قُـرَّان الحنظليّ — وأشار إليه — قال : هذا لا يستطيع أن يغسل استه — أو قال : لا يستطيع أن يتمّ بوله — فكيف بأسرني ! فأخبرني مَنْ أُسْرِنِي ؛ فإني أهلّ أن أقتل سبع قتلات ، قيل له : عاصم بن عمير ، قال : لستُ أجِدُ مسّ القتل إذ كان الذي أسرنِي فارساً من فرسان العرب . فقتله وصلّبه على شاطئ النهر . قال : وعاصم بن عمير هو الهزار مرد ، قتل بنهاوند أيام قحطبة .

قال : فلما قتل كورصول تخدّرت الترك وجاءوا بأبنيتيه فحرقوها ، وقطعوا آذانهم ، وجردوا^(١) وجوههم ، وطفقوا يبكون عليه ؛ فلما أمسى نصر وأراد الرحلة ، بعث إلى كورصول بقارورة نفط ، فصبّها عليه ، وأشعل فيه النار لئلا يحملوا عظامه . قال : وكان ذلك أشدّ عليهم من قتله . وارتفع نصر إلى فـرّغانة ، فسبى منها ثلاثين ألف رأس ، قال : فقال عنبر بن بُرْغَمّة الأزدى : كتب يوسف بن عمر إلى نصر : سرّ إلى هذا الغارز^(٢) ذنبه بالشاش — يعنى الحارث بن سُريج — فإن أظفرك الله به وبأهل الشاش ، فخرّب بلادهم ، واسب ذراريهم ؛ وإياك وورطة^(٣) المسلمين . قال : فدعا نصر الناس ، فقرأ عليهم الكتاب ، وقال : ما ترون ؟ فقال يحيى بن حُصَيْن : امض لأمر أمير المؤمنين وأمر الأمير ، فقال نصر : يا يحيى ، تكلمت ليالى عاصم بكلمة ؛ فبلغت الخليفة فحظيت بها ، وزيد في عطائك ، وفرض لأهل بيتك ، وبلغت الدّرجة الرفيعة ، فقلت : أقول مثلها . سرّ يا يحيى ، فقد وليتلك مقدّمتي ؛ فأقبل الناس على يحيى يلوّمونه ، فقال نصر يومئذ : وأيّ ورطة أشدّ من أن تكون في السفر وهم في القرار !

قال : فسار إلى الشاش ، فأتاه الحارث بن سُريج فنصب عرّادتين^(٤) تلقاء بني تميم ؛ فقبل له : هؤلاء بنو تميم ، فنقلهما فنصبهما على الأزد — ويقال : على بكر بن وائل — وأغار عليهم الأخرم ، وهو فارس الترك ، فقتله المسلمون ، وأسروا سبعة من أصحابه ، فأمر نصر بن سيار برأس الأخرم ، فرمى به في عسكرهم بمنجنيق ، فلما رأوه ضجّوا ضجّة عظيمة ، ثم ارتحلوا

(٢) ح وابن الأثير : « الغادر دينه » .

(٤) المرادة : شبه المنجنيق ، صغيرة .

(١) ف : « وخذدوا » .

(٣) ح : « ورطة » ، بدون واو .

منهزمين ، ورجع نصر ، وأراد أن يعبر ، فحِيلَ بينه وبين ذلك ، فقال أبو نميلة صالح بن الأبتار :

كنا وأوبئة نصر عند غيبته كراقيب النوء حتى جاده المطر
أودى بأخرم منه عارض برد مُسْتَرْجِفٌ بمنايا القوم منهمر

١٦٩٣/٢

وأقبل نصر فنزل سمرقند في السنة التي لقي فيها الحارث بن سريج ، فأتاه بخارا أخذه منصرفاً ؛ وكانت المسلحة عليهم ، ومعهم دهقانان من دهاقين بخارى ، وكانا أسلما على يدى نصر ، وقد أجمعا على الفستك بواصل بن عمرو القيسى عامل بخارى وبيخاراخذه يتظلمان من بخاراخذه ، واسمه طوق شياده^(١) - فقال بَخَارَاخُذَاهُ لِنَصْرٍ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! قد علمت أنهما قد أسلما على يديك ، فما بالهما معلقى الخناجر عليهما ! فقال لهما نصر : ما بالكما معلقى الخناجر وقد أسلتما ! قال : بيننا وبين بخاراخذه عداوةٌ فلا نأمنه على أنفسنا . فأمر نصر هارون بن السياوش مولى بنى سليم - وكان يكون على الرابطة - فاجتذبهما فقطعهما ، ونهض بخاراخذه إلى نصر يساره في أمرهما ، فقالا : نموت كريمين ؛ فشد أحدهما على واصل ابن عمرو قطعته في بطنه بسكين ، وضربه واصل بسيفه على رأسه ؛ فأطار قَحْفَ رأسه فقتله ، ومضى الآخر إلى بخاراخذه - وأقيمت الصلاة ، وبخاراخذه جالس على كرسى - فوثب نصر ، فدخل السراق ، وأحضر بخاراخذه ، فعبث عند باب السراق قطعته ، وشد عليه الجوزجان بن الجوزجان ، فضربه بجرز كان معه فقتله ، وحمل بخاراخذه فأدخل سراق نصر ، ودعا له نصر بوسادة فاتكأ عليها ، وأتاه قرعة الطبيب ، فجعل يعالجه وأوصى إلى نصر ، ومات من ساعته ، ودفن واصل في السراق ، وصلى عليه نصر . وأما طوق شياده^(١) فكشطوا عنه لحمه ، وحملوا عظامه إلى بخارى . قال : وسار نصر إلى الشَّاش ، فلما قدم أشر وسنة عرض دهاقنا أباراخرة مالا ، ثم نفذ إلى الشَّاش ، واستعمل على فَرَّغَانة محمد بن خالد الأزدي ، وجهه إليها في عشرة نفر ، ورد من فَرَّغَانة أخاجيش فيمن كان

١٦٩٤/٢

معه من دهاقين الخُتَل وغيرهم ، وانصرف منها بتمائيل كثيرة ، فنصبها في أشروسنة .

وقال بعضهم : لما أتى نصر الشاش تلقاه قدر ملكها بالصلح والهدية والرهن ، واشترط عليه إخراج الحارث بن سُرَيْج من بلده ، فأخرجه إلى فاراب ؛ واستعمل على الشاش نيزك بن صالح مولى عمرو بن العاص ، ثم سار حتى نزل قُبَاء من أرض فرغانة ، وقد كانوا أحسوا بمجيئه ، فأحرقوا الحشيش وحبسوا الميرة . ووجه نصر إلى ولي عهد صاحب فرغانة في بقية سنة إحدى وعشرين ومائة ، فحاصروه في قلعة من قلاعها ، فغفل عنهم المسلمون ، فخرجوا على دوابهم فاستاقوها ، وأسروا ناساً من المسلمين ، فوجه إليهم نصر رجالاً من بني تميم ، ومعهم محمد بن المثني — وكان فارساً — فكايدهم المسلمون ، فأهملوا دوابهم وكنوا لهم ، فخرجوا فاستاقوا بعضهما ، وخرج عليهم المسلمون فهزموهم ، وقتلوا الدهقان ، وأسروا منهم أسراء ، وحمل ابن الدهقان المقتول على ابن المثني ، فختله محمد بن المثني ، فأسره ، وهو غلام أمرد ، فأتى به نصراً ، فضرب عنقه .

وكان نصر بعث سليمان بن صول إلى صاحب فرغانة بكتاب الصلح بينهما . قال سليمان : فقدمت عليه فقال لي : مَنْ أنت ؟ قلت : شاكري خليفة كاتب الأمير ، قال : فقال : أدخلوه الخزائن ليرى ما أعددنا ، فقبل له : قم ، قال : قلت ليس بي مشي ، قال : قدّموا له دابة يركبها ، قال : فدخلت خزانته ، فقلت في نفسي : يا سليمان ، شمت بك إسرائيل وبشر بن عبّيد ؛ ليس هذا إلا لكرامة الصلح ، وسأنصرف بخنفس حنينين . قال : فرجعت إليه ، فقال : كيف رأيت الطريق فيما بيننا وبينكم ؟ قلت : سهلاً كثير الماء والمرعى ؛ فكره ما قلت له ، فقال : ما علمك ؟ فقلت : قد غزت غرّ شِسْتان وغُور والختل وطبّيرستان ، فكيف لا أعلم ! قال : فكيف رأيت ما أعددنا ؟ قلت : رأيت عدّة حسنة ؛ ولكن أما علمت أن صاحب الحصار لا يسلم من خصال ! قال : وما هنّ ؟ قلت : لا يأمن أقرب الناس إليه وأحبهم إليه وأوثقهم في نفسه أن يشب به يطلب مرتبته ، ويتقرّب بذلك ، أو يفنى ما قد جمع ، فيسلم برُمته ، أو يصيبه داء فيموت .

فقطّب وكره ما قلت له وقال : انصرف إلى منزلك ، فانصرفت فأقمت يومين ، وأنا لا أشكّ في تركه الصلح ، فدعاني فحملتُ كتاب الصلح مع غلامي ، وقلت له : إن أتاكَ رسول يطلب الكتاب فانصرف إلى المنزل ، ولا تظهر الكتاب ، وقل لي : إني خلّفتُ الكتاب في المنزل . فدخلت عليه ، فسألني عن الكتاب ، فقلت : خلّفتُهُ في المنزل . فقال : ابعث مَنْ يجيئك به ، فقبل الصلح ، وأحسن جائزتي ، وسرّح معي أمّه ، وكانت صاحبة أمره . قال : فقدمتُ على نصر ، فلما نظر إلىّ قال : ما مثلك إلا كما قال الأوّل :

* فأرسل حكيمًا ولا توصيه ^(١) *

١٦٩٧/٢

فأخبرته ، فقال : وفّقت ، وأذن لأمه عليه ، وجعل يكلمها والترجمان يعبر عنها ، فدخل تميم بن نصر ، فقال للترجمان : قل لها : تعرفين هذا ؟ فقالت : لا ، فقال : هذا تميم بن نصر ، فقالت : والله ما أرى له حلاوة الصغير ، ولا نُبل الكبير .

قال أبو إسحاق بن ربيعة : قالت لنصر : كل مسلّك لا يكون عنده ستة أشياء فليس بمسلّك : وزيرٍ يائسه ^(٢) بكتاب نفسه وما شجر في صدره من الكلام ، ويشاوره ويثق بنصيحته ، وطباخ إذا لم يشته الطعام اتخذ له ما يشتهي ، وزوجة إذا دخل عليها مغتمًا فنظر إلى وجهها زال غمّه ، وحصن إذا فزع أو جُهد فزع إليه فأنجاه - تعني البرذون - وسيف إذا قارع الأقران لم يخش خيانتَه ، وذخيرة إذا حملها فأين وقع بها من الأرض عاش بها . ثم دخل تميم بن نصر في الأزفلة ^(٣) وجماعة ، فقالت : من هذا ؟ قالوا : هذا فتى خراسان ، هذا تميم بن نصر ، قالت : ما له نُبل الكبار ولا حلاوة الصغار .

ثم دخل الحجاج بن قتيبة فقالت : مَنْ هذا ؟ فقالوا : الحجاج بن قتيبة ، قال : فحيّته ، وسألت عنه ؛ وقالت : يا معشر العرب ، ما لكم وفاء ؛ لا يصلح بعضكم لبعض . قتيبة الذي وطّن لكم ما أرى ، وهذا ابنه تفعده دونك ! فحقك أن تجلسه هذا المجلس ، وتجلس أنت مجلسه .

(١) الأغاني ٦ : ٨٢ ، وصدّره * إذا كنت في حاجة مرسلًا *

(٢) كذا في ١ ، وفي ابن الأثير : « يث إليه ما في نفسه » .

(٣) الأزفلة : الجماعة من الناس . وفي ط : « مرفلة » تحريف ، صوابه من ١ .

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي - ١٦٩٨/٢ -
 كذلك قال أبو معشر، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن
 إسحاق بن عيسى، عنه. وكذلك قال الواقدي وغيره.

وكان عامل هشام بن عبد الملك على المدينة ومكة والطائف في هذه السنة
 محمد بن هشام، وعامله على العراق كله يوسف بن عمر، وعامله على أذربيجان
 وأرمينية مروان بن محمد، وعلى خراسان نصر بن سيار، وعلى قضاء البصرة
 عامر بن عبيدة، وعلى قضاء الكوفة ابن شبرمة.

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من أحداث

* * *

[خبر مقتل زيد بن علي]

فمن ذلك مقتل زيد بن علي .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر هشام عن أبي مخنف ، أن زيد بن علي لما أمر أصحابه بالتأهب للخروج والاستعداد ، أخذ من كان يريد الوفاء له بالبيعة فيما أمرهم به من ذلك ، فانطلق سليمان بن سُرَاقَة البارقي إلى يوسف بن عمر ، فأخبره خبره ، وأعلمه أنه يختلف إلى رجل منهم يقال له عامر ، وإلى رجل من بني تميم يقال له طُعْمَنَة ؛ ابن أخت لبارق ؛ وهو نازل فيهم . فبعث يوسف يطلب (١) زيد بن علي في منزلهما فلم يوجد عندهما ، وأخذ الرجلان ، فأتى بهما ، فلما كلمهما استبان له أمر زيد وأصحابه . وتخوف زيد بن علي أن يؤخذ ، فتمعجل (٢) قبل الأجل الذي جعله بينه وبين أهل الكوفة . قال : وعلى أهل الكوفة يومئذ الحكم بن الصلت ، وعلى شرطه عمرو بن عبد الرحمن ، (رجل من القارة) ؛ وكانت ثقيف أخواله ؛ وكان فيهم معه عبيد الله بن العباس الكندي ، في أناس (٣) من أهل الشام ، ويوسف بن عمر بالحيرة . قال : فلما رأى أصحاب زيد بن علي الذين بايعوه (٤) أن يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد ، وأنه يدس إليه ، ويستبحث عن أمره ، اجتمعت إليه جماعة من رعوسهم ، فقالوا : رحمك الله ! ما قولك في أبي بكر وعمر ؟ قال زيد : رحمهما الله وغفر لهما ، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً ، قالوا : فلم تطلب (٥) إذا بدم أهل هذا البيت ؛ إلا أن وثبا على سلطانكم (٦)

١٦٩٩/٢

(١) ح ، ف : « فطلب » ، ابن الأثير : « في طلب » .
 (٢) ب ، ح : « فيعجل » .
 (٣) ب وابن الأثير : « في ناس » .
 (٤) ف : « بايعوا » .
 (٥) ف : « نطلب » .
 (٦) ب ، ح : « سلطانكم » .

فنزعه من أيديكم ! فقال لهم زيد : إن أشد ما أقول فيما ذكرتُم أننا كنا أحقّ^١ بسُلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس أجمعين ، وإنّ القوم استأثروا علينا ، ودفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرًا ، قد ولّوا فعَدَلوا في الناس ، وعملوا بالكتاب والسنة . قالوا : فلم يظلمك هؤلاء ! وإن كان أولئك لم يظلموك ، فلم تدعوا إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين ! فقال : وإنّ هؤلاء ليسوا كأولئك ؛ إنّ هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم ؛ وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإلى السنن أن تُحيا ، وإلى البِدَع أن تُطْفَأ ؛ فإن أنتم أحببتُمونا سَعِدْتُم ، وإن أنتم أبيّتم علينا فليس عليكم بوكيل . ففارقوه ونكثوا ببعثته ، وقالوا : سبق الإمام — وكانوا يزعمون أنّ أبا جعفر محمد بن عليّ أخا زيد بن عليّ هو الإمام ، وكان قد هلك يومئذ — وكان ابنه جعفر بن محمد حيًّا ، فقالوا : جعفر إمامنا اليومَ بعد أبيه ؛ وهو أحقّ بالأمر بعد أبيه ؛ ولا نتبع زيد بن عليّ فليس بإمام . فسأهم زيد الرافضة ، فهم اليوم يزعمون أنّ الذي ساهم الرافضة المغيرة^(١) حيث فارقوه . وكانت منهم طائفة قبل خروج زيد مرّوا إلى جعفر بن محمد بن عليّ ، فقالوا له : إن زيد بن عليّ فينا يبايع ؛ أفترى لنا أن نبايعه ؟ فقال لهم : نعم بايعوه ؛ فهو والله أفضلُنا وسيدنا وخيرُنا فجاءوا ، فكنتموا ما أمرهم به .

١٧٠١/٢

قال : واستتبّ لزيد بن عليّ خروجه ، فواعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة .

وبلغ يوسف بن عمر أنّ زيداً قد أزمع على الخروج ، فبعث إلى الحكم ابن الصلت ، فأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم يحصرهم فيه ، فبعث الحكم إلى العرفاء والشُرط والمناكب^(٢) والمقاتلة ؛ فأدخلهم المسجد ، ثم نادى مناديه : ألا إنّ الأمير يقول : من أدركناه في رحلة فقد برئت منه الذمّة ؛ ادخلوا المسجد الأعظم . فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم ، وطلبوا زيداً في دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاريّ ، فخرج ليلاً ؛ وذلك ليلة الأربعاء ، في ليلة شديدة البرد ، من دار معاوية بن

(١) هو المغيرة بن سعيد العجلي ، وانظر ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢) المناكب : قوم دون العرفاء ، وفي حديث النخعي : كان يتوسط العرفاء والمناكب .

إسحاق ، فرفعوا المهادي^(١) فيها النيران ، ونادوا : يا منصور أمت ، أمت يا منصور . فكلما أكلت النار هُرْدِيًّا رفعوا آخر ، فما زالوا كذلك حتى طلع الفجر ؛ فلما أصبحوا بعث زيد بن علي القاسم التَّنْعِيّ ثم الحضرمي ورجلا آخر من أصحابه ، يناديان بشعارهما ، فلما كانوا في صحراء عبد القيس لقيهم جعفر بن العباس الكندي ، فشدوا عليه وعلى أصحابه ، فقتل الرجل الذي كان مع القاسم التَّنْعِيّ ، وارتث القاسم ، فأتى به الحكم ، فكلّمه فلم يردّ عليه شيئا ، فأمر به فضربت عنقه على باب القصر ؛ فكان أول مَنْ قُتِلَ من أصحاب زيد ابن علي هو وصاحبه . وأمر الحكم بن الصلت بدروب^(٢) السوق فغلقت ، وغلقت أبواب المسجد على أهل الكوفة . وعلى أرباع الكوفة يومئذ ؛ على رُبْع أهل المدينة إبراهيم بن عبد الله بن جرير البجليّ ، وعلى مَسَدٍ حج وأسد عمرو ابن أبي بذل العبديّ ، وعلى كِنْدَةَ وربيعة المنذر بن محمد بن أشعث بن قيس الكنديّ ، وعلى تميم وهمّدان محمد بن مالك الهمدانيّ ثم الحَيَوَانِيّ .

١٧٠٢/٢

قال : وبعث الحكم بن الصلت إلى يوسف بن عمر ، فأخبره الخبر ، فأمر يوسف مناديه فنادى في أهل الشام : مَنْ يَأْتِي الكوفة فيقترب من هؤلاء القوم فيأتيني بخبرهم ؟ فقال جعفر بن العباس الكنديّ : أنا ، فركب في خمسين فارسا ، ثم أقبل حتى انتهى إلى جبانة سالم السلوليّ ، فاستخبرهم ، ثم رجع إلى يوسف بن عمر فأخبره ، فلما أصبح خرج إلى تلّ قريب من الحيرة ، فنزل عليه ومعه قریش وأشراف الناس ؛ وعلى شُرْطَته يومئذ العباس بن سعيد المزنيّ ، فبعث الريّان بن سلامة الإراشيّ في ألفين ومعه ثلثمائة من القيقانية رجالاتا معهم النشاب .

وأصبح زيد بن عليّ ، فكان جميع مَنْ وافاه تلك الليلة مائتي رجل وثمانية عشر رجلا ، فقال زيد : سبحان الله ! أين الناس ! فقيل له : هم في المسجد الأعظم محصورون ، فقال : لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر . وسمع نصر ابن خزيمّة النداء ، فأقبل إليه ، فلقى^(٣) عمر بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم بن الصلت في خيله من جهة عند دار الزبير بن أبي حكمة في الطريق

١٧٠٣/٢

(١) في اللسان : « الهردية : قصبات تضم ملوية بطاقات الكرم تحمل عليها قضبانها » .

(٢) الدرب : الباب الأكبر . (٣) ح ، ف : « فتلقاء » .

الذى يخرج إلى مسجد بنى عدى ، فقال نصر بن خزيمة : يا منصور أمت ؛ فلم يرد عليه شيئاً ، فشد عليه نصر وأصحابه ، فقتل عمر بن عبد الرحمن ، وانهزم من كان معه ، وأقبل زيد بن علي^(١) جبانة سالم حتى انتهى إلى جبانة الصائديين ، وبها خمسمائة من أهل الشام ، فحمل عليهم زيد بن علي فيمن معه فهزمهم . وكان تحت زيد بن علي يومئذ برزذون أدّهم بهيم ؛ اشتراه رجل من بنى نسيه بن كهس بن مروان النجاري بخمسة وعشرين ديناراً ، فلما قتل زيد بعد ذلك أخذه الحكم بن الصلت . قال : وانتهى زيد بن علي إلى باب دار رجل من الأزد ، يقال له أنس ابن عمرو - وكان فيمن بايعه - فنودي وهو في الدار فجعل يحيب ، فناداه زيد يا أنس : اخرج إلى رحمتك الله ، فقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . فلم يخرج إليه ، فقال زيد : ما أخلفكم ! قد فعلتموها ، الله حسبيكم ! ٢ / ١٧٠٤

قال : ثم إن زيدا مضى حتى انتهى إلى الكناسة ، فحمل على جماعة بها من أهل الشام فهزمهم ؛ ثم خرج حتى ظهر إلى الجبانة ويوسف بن عمر على التل ينظر إليه هو وأصحابه ، وبين يديه حزام بن مرة المزني وزمزم بن سليم الثعلبي ؛ وهما على المحففة ، ومعه نحو من مائتي رجل ؛ والله لو أقبل على يوسف لقتله ، والريان بن سلمة يتبع أثر زيد بن علي بالكوفة في أهل الشام . ثم إن زيدا أخذ ذات اليمين على مصلتي خالد بن عبد الله حتى دخل الكوفة ، وكانت فرقة من أصحاب زيد بن علي حيث وجه إلى الكناسة قد انشعبت^(٢) نحو جبانة ميخنف بن سليم . ثم قال بعضهم لبعض : ألا ننطلق^(٣) نحو جبانة كندة ! قال : فإزاد الرجل على أن تكلم بهذا الكلام . وطلع أهل الشام ؛ فلما رأوهم دخلوا زُفَاقاً فضوّا فيه ، وتخلّف رجل منهم ، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم خرج إليهم فقاتلهم ساعة . ثم إنهم صرّعوه ، فجعلوا يضربونه بأسياهم ؛ فنادى رجل منهم مقتع بالحديد : أن اكشفوا السيوف ثم اضربوا رأسه بعمود حديد ؛ ففعلوا ، وقتل وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه وقد قتل ، وانصرف أهل الشام ؛ وقد اقتطعوا

(٢) ب ، ح : « اتست » .

(١) ابن الأثير : « على » .

(٣) ف : « ألا تنطلقوا » .

رجلا ، ونجا سائرهم . فذهب ذلك الرجل حتى دخل دار عبد الله بن عوف ، فدخل أهل الشام عليه فأسروه ، فذهب به إلى يوسف بن عمر فقتله . ١٧٠٥/٢

قال : وأقبل زيد بن عليّ ، وقد رأى خيذلان الناس إيتاه ، فقال : يا نصر بن خزيمة ، أتخاف^(١) أن يكون قد جعلوها حسينية ! فقال له : جعلني الله لك الفداء ! أما أنا فوالله لأضربنّ معك بسيفي هذا حتى أموت ؛ فكان قتاله يومئذ بالكوفة . ثم إن نصر بن خزيمة قال لزيد بن عليّ : جعلني الله لك الفداء ! إنّ الناس في المسجد الأعظم محصورون ، فامض بنا نحوهم ، فخرج بهم زيد نحو المسجد ، فمرّ على دار خالد بن عرفة . وبلغ عبيد الله ابن العباس الكندي إقباله ، فخرج في أهل الشام ، وأقبل زيد فالتقوا على باب عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فكع^(٢) صاحب لواء عبيد الله — وكان لواؤه مع سلمان مولاة — فلما أراد عبيد الله الحملة ورآه قد كع عنه ، قال : احمل يا ابن الحبيثة ! فحمل عليهم ، فلم ينصرف حتى خضّب لواؤه بالدم .

ثم إن عبيد الله برز فخرج إليه واصل الحنّاط ، فاضطربا بسيفيهما ، فقال للأحول : خذها منّي وأنا الغلام الحنّاط ! وقال الآخر : قطع الله يدي إن كِلَيْتَ بقفيزٍ أبداً . ثم ضربه فلم يصنع شيئا . وانهزم عبيد الله بن العباس وأصحابه ، حتى انتهوا إلى دار عمرو بن حريث . وجاء زيد وأصحابه حتى انتهوا إلى باب الفيل ؛ فجعل أصحاب زيد يدخلون راياتهم من فوق الأبواب ، ويقولون : يا أهل المسجد ، اخرجوا . وجعل نصر بن خزيمة يناديهم ، ويقول : يا أهل الكوفة ، اخرجوا من الدلّ إلى العزّ ، اخرجوا إلى الدين والدنيا ؛ فإنكم لستم في دين ولا دنيا . فأشرف عليهم أهل الشام ، فجعلوا يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد — وكان يومئذ جمع كبير بالكوفة في نواحيها ، وقيل في جبانة سالم — وانصرف الريّان بن سلمة إلى الحيرة عند المساء ، وانصرف زيد بن عليّ فيمن معه ، وخرج إليه ناس من أهل الكوفة ، فنزل دار الرزق ، فأتاه الريّان بن سلمة ، فقاتله عند دار الرزق قتالا شديداً ، فجرح من أهل

(١) ابن الأثير : « أنا أخاف » .

(٢) كع : جبن وضعف .

الشَّامُ وقتل منهم ناس كثير ، وتبعهم أصحاب زيد من دار الرزق ؛ حتى انتهوا إلى المسجد ؛ فرجع أهلُ الشَّام مساء يوم الأربعاء أسوأ شئ ظناً ؛ فلما كان من الغد غداة يوم الخميس ، دعا يوسف بن عمر الرِّيان بن سَكَمَة ، فلم يوجد حاضراً تلك الساعة .

وقال بعضهم : بل أتاه وليس عليه سلاحه فأقف به ، وقال له : أف لك من صاحب خيل ! اجلس . فدعا العباس بن سعيد المُنزني صاحب شرطته ، فبعثه في أهل الشَّام ، فسار حتى انتهى إلى زيد بن علي في دار الرزق ، وثمَّ خشب للتجار^(١) كثير ، فالطريق متضايق . وخرج زيد في أصحابه ، وعلى مجنبتيه نصر بن خزيمه العباسي ومعاوية بن إسحاق الأنصاري ، فلما رآهم العباس - ولم يكن معه رجال - نادى : يا أهل الشَّام ، الأرض والأرض ! فنزل ناس كثير ممن معه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً في المعركة . وقد كان رجل من أهل الشَّام من بني عَبَسْ يقال له نائل بن فَرْوَة قال ليوسف بن عمر : والله لئن أنا ملأتُ عيني من نصر بن خزيمه لأقتلته أو ليقتلني ، فقال له يوسف : خذ هذا السيف ؛ فدفع إليه سيفاً لا يمر بشيء إلا قطعه . فلما التقى أصحاب العباس بن سعيد وأصحاب زيد واقتتلوا ، بصُر نائل بن فَرْوَة بنصر بن خزيمه ، فأقبل نحوه ، فضرب نصرّاً فقطع فسخده ، وضربه نصر ضربةً فقتله ؛ فلم يلبث نصر أن مات ، واقتتلوا قتالاً شديداً .

ثم إن زيد بن علي هزمهم وقتل من أهل الشَّام نحواً من سبعين رجلاً ، فانصرفوا وهم بشر حال . وقد كان العباس بن سعيد نادى في أصحابه أن اركبوا ؛ فإن الخيل لا تطيق الرجال في المضيق فركبوا ، فلما كان العشي عبأهم يوسف بن عمر ثم سرحهم ، فأقبلوا حتى التقواهم وأصحاب زيد ، فحمل عليهم زيد في أصحابه فكشفهم ، ثم تبعهم حتى أخرجهم إلى السَّبَخَة ، ثم شدَّ عليهم بالسَّبَخَة حتى أخرجهم إلى بني سليم ، ثم تبعهم في خيله ورجاله ؛ حتى أخذوا على المسناة^(٢) .

ثم إن زيد أظهر^(٣) لهم فيما بين بارق ورؤاس ، فقاتلهم هنالك قتالاً شديداً .

(١) ط : « للنجار » ، وما أثبتته من ح . (٢) المسناة : ضفيرة تبنى للسيل لترد الماء .

(٣) ط : « أظهر » ، وما أثبتته من أ .

وصاحب لوائه يومئذ رجل يقال له عبد الصمد بن أبي مالك بن مسروح ، من بنى سعد بن زيد ، حليف العباس بن عبد المطلب ، وكان مسروح السعدي تزوج صفية بنت العباس بن عبد المطلب ، فجعلت خيلهم لا تثبت لحيله ورجله ، فبعث العباس إلى يوسف بن عمر يعلمه ذلك ، فقال له : ابعث إلى الناشبة ، فبعث إليهم سليمان بن كيسان الكلبي في التيقانية والبحاربية ؛ وهم ناشبة ، فجعلوا يرمون زيداً وأصحابه ، وكان زيد حريصاً على أن يصرفهم حين انتهوا إلى السبّخة ، فأبوا عليه ، فقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاري بين يدي زيد بن علي قتالاً شديداً ، فقتل بين يديه ، وثبت زيد بن علي ومن معه حتى إذا جنح الليل رمى بسهم فأصاب جانب^(١) جبهته اليسرى ، فتشبث^(٢) في الدماغ ، فرجع ورجع أصحابه ؛ ولا يظن أهل الشام أنهم رجعوا إلا للمساء والليل .

١٧٠٩/٢

قال : فحدثني سلمة بن ثابت الليثي - وكان مع زيد بن علي - وكان آخر من انصرف من الناس يومئذ ، هو و غلام لمعاوية بن إسحاق - قال : أقبلت أنا وصاحبي نقص أثر زيد بن علي ، فنجدّه قد أنزل ؛ وأدخل بيت حيران ابن كريمة (مولى لبعض العرب في سكة البريد في دور أرحب وشاكر) . قال سلمة بن ثابت : فدخلت عليه ، فقلت له : جعلني الله فداك أبا الحسين ! وانطلق أصحابه فجاءوا بطبيب يقال له شقير (مولى لبي رؤاس) فانتزع النصل من جبهته ، وأنا أنظر إليه ، فوالله ما عدا أن انزعه جعل يصيح ، ثم لم يلبث أن قضى ؛ فقال القوم : أين ندفنه ، وأين نواريه ؟ فقال بعض أصحابه : نلبسه درعه ونطرحه في الماء ، وقال بعضهم : بل نحتر رأسه ونضعه بين القتلى ، فقال ابنه يحيى : لا والله لا نأكل لحم أبي الكلاب . وقال بعضهم : لا بل نحمله إلى العباسية فندفنه .

قال سلمة : فأشرت عليهم أن ننطلق به إلى الحفرة التي يؤخذ منها الطين فندفنه فيها ، فقبلوا رأيي وانطلقنا ، وحفرنا له بين حفرتين ، وفيه حيثئذ ماء كثير ؛ حتى إذا نحن أمكنّا له دفناه ، وأجرينا عليه الماء^(٣) ، وكان معنا

١٧١٠/٢

(٢) ابن الأثير : « ثبت » .

(١) ح : « حاجب » .

(٣) ح ، ف : « الماء عليه » .

عبد له سندئ . قال : ثم انصرفنا حتى نأتى جبانة السبيع ، ومعنا ابنه ، فلم نزل بها ، وتصدع الناس عنا ، وبقيت في رهط معه لا يكونون^(١) عشرة ، فقلت له : أين تريد ؟ هذا الصبح قد غشيك - ومعهم أبو الصَّبَّار العبدئ - قال : فقال : التهرين ، فظننتُ أنه يريد أن يتشطط الفرات ويقاتلهم - فقلتُ له : لا تبرح مكانك ، تقاتلهم حتى تُقتل ، أو يقضى الله ما هو قاض . فقال لى : أنا أريد نهرئ كربلاء . فقلت له : فالتجاء قبل الصبح ، فخرج من الكوفة ، وأنا معه وأبو الصَّبَّار ورهط معنا ، فلمّا خرجنا من الكوفة سمعنا أذان المؤذنين ، فصلينا الغداة بالشُّخيلة ، ثم توجهنا سراعاً قبل نينوى ، فقال لى : إني أريد سابقاً مولى بشر بن عبد الملك بن بَشْر ، فأسرع السير ، وكنتُ إذا لقيت القوم أستطعمهم فأطعمم الأُرغفة فأطعمهم إياه ، فأكل ونأكل معه ، فأنهيناه إلى نينوى وقد أظلمنا ، فأتيناه منزل سابق ، فدعوتُ على الباب ، فخرج إلينا فقلت له : أما أنا فأتى الفيتوم ، فأكون به ؛ فإذا بدا لك أن ترسل إلى فأرسل . قال : ثم إني مضيت وخلفته عند سابق ؛ فذلك آخر عهدي به . قال : ثم إن يوسف بن عمر بعث أهل الشام يطلبون الجرحئ في دور أهل الكوفة ، فكانوا يخرجون النساء إلى صحن الدار ، ويطوفون البيت يلتمسون الجرحئ .

قال : ثم دلّ غلام زيد بن عليّ السندئ يوم الجمعة على زيد ، فبعث الحكم بن الصلت العباس بن سعيد المزني وابن الحكم بن الصلت ، فانطلقا فاستخرجاه ، فكره العباس أن يغلب عليه ابن الحكم بن الصلت . فتركه وسرح بشيراً إلى يوسف بن عمر غداة يوم الجمعة برأس زيد بن عليّ مع الحجاج بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عَقِيل ، فقال أبو الجُويرية مولى جهينة :

قُلْ لِلَّذِينَ انْتَهَكُوا المحارمَ ورفَعُوا الشُّمَعَ بصَحْرَا سَالِمٍ

كيف وجَدْتُمْ وقعةَ الأكارمَ يا يوسفَ بنَ الحكمِ بنِ القاسمِ !

قال : ولما أتى يوسف بن عمر البشير ، أمر بزيد فصلب بالكُتّاسة ،

(١) كذا في ح ، وفي ط : « لا تكون » .

هو ونصر بن خزيمة ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاريّ وزيد النهديّ ؛ وكان يوسف قد نادى : مَنْ جاء برأسٍ فله خمسمائة درهم ، فجاء محمد بن عباد برأس نصر بن خزيمة ، فأمر له يوسف بن عمر بألف درهم ، وجاء الأحول مولى الأشعريّين برأس معاوية بن إسحاق ؛ فقال : أنت قتلتَه ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! ليس أنا قتلتَه ؛ ولكني رأيته فعرفته ، فقال : أعطوه سبعمائة درهم ، ولم يمنعه أن يتمّ له ألفاً ، إلاّ أنه زعم أنه لم يقتله .

١٧١٢/٢

وقد قيل : إنّ يوسف بن عمر لم يعلم بأمر زيد ورجوعه من الطريق إلى الكوفة بعد ما شخص إلّا بإعلام هشام بن عبد الملك إياه ، وذلك أن رجلاً من بني أمية كتب — فيما ذكر — إلى هشام ، يذكر له أمر زيد ، فكتب هشام إلى يوسف يشتمّه ويجهّله ، ويقول : إنك لا تغافل ، وزيد غارز ذنبه بالكوفة يبايع له فألحج^(١) في طلبه ، فأعطيه الأمان فإن لم يقبل فقاتله . فكتب يوسف إلى الحكم بن الصلت من آل أبي عتيق وهو خليفته على الكوفة بطلبه ، فطلبه فخفيّ عليه موضعه ، فدرس يوسف مملوكاً خراسانياً ألكن ، وأعطاه خمسة آلاف درهم ، وأمره أن يلطف لبعض الشيعة فيخبره أنه قد قدم من خراسان حبّاً لأهل البيت ؛ وأنّ معه مالاً يريد أن يقويّهم به ؛ فلم يزل المملوك يلقي الشيعة ، ويخبرهم عن المال الذي معه حتى أدخلوه على زيد ، فخرج فدكّ يوسف على موضعه ، فوجّه يوسف إليه الخيل ، فنادى أصحابه بشعارهم ، فلم يجتمع إليه منهم إلا ثلثمائة أو أقلّ ، فجعل يقول : كان داود ابن عليّ أعلمكم بكم ؛ قد حذرتني خيلاً لأنكم فلم أحذر !

١٧١٣/٢

وقيل : إنّ الذي دلّ على موضع زيد الذي كان دُفن فيه — وكان دُفن في نهر يعقوب فيما قيل ، وكان أصحابه قد سَكروا^(٢) النهر ثم حفروا له في بطنه ، فدَفَنُوهُ في ثيابه ثم أَجْتَرُوا عليه الماء — عَبَسَد^(٣) قصّار كان به ، فاستجعل جُعلاً على أن يدلّهم على موضعه ، ثم دلّهم ، فاستخرجوه ، فقطعوا رأسه ، وصلبوا جسده ؛ ثم أمرُوا بحراسته لئلا يُنزل ، فمكث يُجرَس زماناً .

(١) ط : « فألحج » . (٢) سَكروا النهر : سدوا فاه .

(٣) كذا في ب ، وفي ط « عند » ، تصحيف .

وقيل إنه كان فيمن يحرسه زهير بن معاوية أبو خيثمة ، وبُعِثَ برأسه إلى هِشام فأمر به فنصِبَ على باب مدينة دمشق ، ثم أُرْسِلَ به إلى المدينة ، ومكث بالبدن مصلوباً حتى مات هشام ، ثم أمر به الوليد فأُنْزِلَ وأُحْرَقَ . وقيل : إن حكيم ابن شريك كان هو الذي سعى بزيد إلى يوسف .

فأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه قال في أمر يحيى بن زيد : لما قُتِلَ زيد عمّد رجلٌ من بني أسد إلى يحيى بن زيد ، فقال له : قد قُتِلَ أبوك ، وأهلُ خراسان لكم شيعةٌ ، فالرأى أن تخرج إليها . قال : وكيف لي بذلك ؟ قال : تتوارى حتى يكفّ عنك الطلب ثم تخرج ، فواراه عنده ليلة ، ثم خاف فأتى عبد الملك بن بشر بن مسروان ، فقال له : إن قَرابة زيد بك قريبة ، وحقّه عليك واجب ، قال له : أجعل ؛ ولقد كان العفو عنه أقرب إلى التقوى ، قال : فقد قتل وهذا ابنه غلاماً حداثاً^(١) لا ذنب له ؛ وإن علم يوسف بن عمر بمكانه قتله ، فتُجبره وتواريه عندك ، قال : نعم وكرامة . فأتاه به فواراه عنده . فبلغ الخبر يوسف ، فأرسل إلى عبد الملك : قد بلغتني مكان هذا الغلام عندك ، وأعطى الله عهداً ؛ لأن لم تأتني به لأكتبن فيك إلى أمير المؤمنين ، فقال له عبد الملك : أتاك الباطل والزور ؛ أنا أوارى من ينازعني سلطاني ويدعي فيه أكثر من حق ! ما كنت أخشاك على قبول مثل هذا على ولا الاستماع من صاحبه ، فقال : صدق والله ابن بشر ؛ ما كان ليوارى مثل هذا ، ولا يستر^(٢) عليه ؛ فكفّ عن طلبه ؛ فلما سكن الطلب خرج يحيى في نفر من الزيدية إلى خراسان .

وخطب يوسف بعد قتل^(٣) زيد بالكوفة فقال :

يا أهل الكوفة ، إن يحيى بن زيد يتنقّل في حِجَالِ نساءكم كما كان يفعل أبوه ؛ والله لو أبدي^(٤) لي صفحته لعرقتُ خصيئته كما عرقتُ خصيئتي أبيه . وذكر عن رجل من الأنصار قال : لما جرى برأس زيد فصُلب بالمدينة في سنة ثلاث وعشرين ومائة ، أقبل شاعر من شعراء الأنصار فقام بحياه ، فقال :

(١) ابن الأثير : « غلام حدث » . (٢) ب : « يستره » .

(٣) ف : « بعد ما قتل زيد » . (٤) ط : « بدى » ، وما أثبتته من ف .

أَلَا يَا نَاقِضَ الْمِيثَاقِ أَبْشِرْ بِالذِي سَاكَ
نَقَضْتَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ قَدْماً كَانَ قَدْماً
لَقَدْ أَخْلَفَ إِبْلِيسُ الذِّى قَدْ كَانَ مَذَاقاً

١٧١٥/٢

قال : فقيل له : ويلك ! أتقول هذا لمثل زيد ! فقال : إن الأمير
غضبنا فأردت أن أرضيه ، فرد عليه بعض شعرائهم :

أَلَا يَا شَاعِرَ السُّوءِ لَقَدْ أَصْبَحْتَ أَفَّاكَ
أَشْتَمُ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ هُ يُرْضِي مَنْ تَوَلَّاهُ (١)
أَلَا صَبَّحَكَ اللَّهُ بِخِزْيٍ ثُمَّ مَسَاكَ
وَيَوْمَ الْحَشْرِ لَا شَكَّ بَأَنَّ النَّارَ مَشَاكَ

وقيل : كان خيرا ش بن حوشب بن يزيد الشيباني على شرط يوسف
ابن عمر ؛ فهو الذى نسبش زيدا ، وصلبه ، فقال السيد :

بَتَّ لَيْلِي مُسْهِدَا سَاهِرَ الطَّرْفِ مُقْصِدَا
وَلَقَدْ قُلْتُ قَوْلَةً وَأَطَلْتُ التَّبَلْدَا
لَعَنَّ اللَّهَ حَوْشِبَا وَخِرَاشَا وَمَزِيدَا
وَيَزِيدَا فَإِنَّهُ كَانَ أَعْتَى وَأَعْنَدَا
أَلَفَ أَلَفَ وَأَلَفَ أَلَا هُ مِنْ اللُّغْنِ سَرْمَدَا
إِنَّهُمْ حَارَبُوا إِلَّا هُ وَآذَوْا مُحَمَّدَا
شَرَكُوا فِي دَمِ الْمُطَهَّرِ زَيْدَ تَعْنُدَا
ثُمَّ عَالَوْهُ فَوْقَ جِذْعٍ صَرِيعاً مُجَرَّدَا
يَا خِرَاشَ بْنَ حَوْشَبٍ أَنْتَ أَشْقَى الْوَرَى غَدَا

(١) ورد هذا البيت محرفاً مضطرباً فى ط ، وأثبت صوابه من ا .

قال أبو مخنف : ولما قتل يوسف زيد بن عليّ أقبل حتى دخل الكوفة ١٧١٦/٢

فصعد المنبر ، فقال :

يا أهل المدرة الخبيثة ، إني والله ما تقرن بي الصعبة ، ولا يقعقع لي بالشتان ، ولا أخوف بالذنب ^(١) . هيهات ! حبيت بالساعد الأشد ، أبشروا يا أهل الكوفة بالصغار والهوان ، لا عطاء لكم عندنا ولا رزق ؛ ولقد هممت أن أخرب بلادكم ودوركم ، وأحرمكم أموالكم . أمّا والله ما علوت منبري إلا أسمعتمكم ما تكرهون عليه ، فإنكم أهلُ بغى وخلاف ، ما منكم إلا من حارب الله ورسوله ؛ إلا حكيم بن شريك المحاربي ؛ ولقد سألت أمير المؤمنين أن يأذن لي فيكم ؛ ولو أذن لقتلت مقاتلتكم ، وسببت ذراريكم .

* * *

وفي هذه السنة قتل كلثوم بن عياض القشيري الذي كان هشام بن عبد الملك بعثه في خيول أهل الشام إلى إفريقية ؛ حيث وقعت الفتنة بالبربر . وفيها قتل عبد الله البطال في ^(٢) جماعة من المسلمين بأرض الروم . وفيها ولد الفضل بن صالح ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ .

وفيها وجه يوسف بن عمر بن شبرمة على سجستان ، فاستقضى ابن ١٧١٧/٢

أبي ليلى .

* * *

● وحج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام الخزومي ، كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحق بن عيسى ، عن أبي معشر ؛ وكذلك قال الواقدي وغيره .

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها ، وقد ذكرناهم قبل ؛ إلا أن قاضي الكوفة كان — فيما ذكر — في هذه السنة محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى .

(١) كذا في أ ، ح ، وفي ط : « الذنب » .

(٢) ف : « وجماعة » .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر صلح نصر بن سيار مع السُّعْدِ]

فمن ذلك ما جرى بين أهل السُّعْدِ ونَصْر بن سيار من الصلح .

* ذكر الخبر عن ذلك وسببه :

ذكر عليّ بن محمد ، عن شيوخي ، أن خاقان لما قُتِل في ولاية أسد ، تفرّقت الترك في غارة بعضها على بعض ؛ فطمع أهل السُّعْدِ في الرجعة إليها ، وانحاز قوم منهم إلى الشاش ، فلما ولي نصر بن سيار أرسل إليهم يدعُوهم إلى الفَيْثَةِ والمراجعة إلى بلادهم ، وأعطاهم كلّ ما أرادوا .

قال : وكانوا سألوا شُرُوطاً أنكرها أمراء خُرَاسان ؛ منها ألا يعاقب من كان مسلماً وارتدّ عن الإسلام ، ولا يعدّى عليهم في دين لأحد من الناس ، ولا يؤخذون بقبالة عليهم في بيت المال ، ولا يؤخذ أسراء المسلمين من أيديهم إلا بقضيّة قاض وشهادة العدول^(١) ؛ فعاب الناس ذلك على نصر ، وكلموه فقال : أما والله لو عاينتم شيوكتهم في المسلمين ونكاياتهم مثل الذي عاينت ما أنكرتم ذلك ! فأرسل رسولا إلى هشام في ذلك ؛ فلما قدم الرسول أبي أن ينفذ ذلك لنصر ، فقال الرسول : جرّبت يا أمير المؤمنين حربنا وصلحنا ، فاختر لنفسي . فغضب هشام ، فقال الأبرش الكلبيّ : يا أمير المؤمنين ، تألّف القوم واحمل لهم ؛ فقد عرفت نكاياتهم كانت في المسلمين ، فأنفذ هشام ما سأل .

* * *

وفي هذه السنة أوفد يوسف بن عمر الحكيم بن الصلت إلى هشام بن عبد الملك ، يسأله ضمّ خراسان إليه وعزّل نصر بن سيار .

(١) ابن الأثير : « عدول » .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما كان من الأمر فيه :

ذكر عليّ عن شيوخه ، قال : لما طالت ولاية نصّصر بن سيار ، ودانت له خراسان ، كتب يوسف بن عمر إلى هشام حسداً له : إن خراسان دبرة دبرة^(١) ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يضمّمها إلى العراق فأسرح إليها الحكم بن الصلت ؛ فإنه كان مع الجُنيد ، وولىّ جسم أعمالها ، فأعمر بلاد أمير المؤمنين بالحكم . وأنا باعث بالحكم بن الصلت إلى أمير المؤمنين ، فإنه أديب أريب ، ونصيحته لأمر المؤمنين مثل نصيحتنا ومودتنا أهل البيت .

فلما أتى هشاماً كتابه بعث إلى دار الضيافة ، فوجد فيها مقاتل بن عليّ السُغديّ ، فأنوّه به ، فقال : أمين خراسان أنت ؟ قال : نعم ، وأنا صاحب الترك — قال : وكان قدم على هشام بخمسين ومائة من الترك — فقال : أتعرف الحكم بن الصلت ؟ قال : نعم ، قال : فما ولىّ بخراسان ؟ قال : ولىّ قرية يقال لها الفارّياب ، خراجها سبعون ألفاً ، فأسره الحارث بن سُرّيج ، قال : ويحك ! وكيف أفلت منه ! قال : عرك أذنه ، وقفّده^(٢) وخلص سبيله . قال : فقدم عليه الحكم بعد بخراج العراق ، فرأى له جمالاً وبياناً ، فكتب إلى يوسف : إن الحكم قدم وهو على ما وصفت ، وفيما قبلك له سعة ، وخلّ الكنانى وعمله .

* * *

وفى هذه السنة غزا نصر فرغانة غزوته الثانية ، وأوفد مغراء بن أحمر إلى العراق ، فوقع فيه عند هشام .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من هشام ويوسف بن عمر فيه :

ذكر أن نصراً وجّه مغراء بن أحمر إلى العراق وافداً ، منصرفته من ١٧٢٠/٢ غزوته الثانية فرغانة ، فقال له يوسف بن عمر : يا ابن أحمر ؛ يغلبكم ابن الأقطع يا معشر قيس على سلطانكم ! فقال : قد كان ذلك أصلح الله الأمير ! قال : فإذا قدمت على أمير المؤمنين فابقر بطنه . فقدموا على هشام ، فسألهم عن أمر خراسان ، فتكلّم مغراء ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر

(١) الدبرة ، بالتحريك : قرحة الدابة ، ودبرت فهي دبرة ، كفرجة ، أى أنها موطن للقاتل .

(٢) القفد : صفع الرأس ببسط الكف .

يوسف بن عمر بخير ، فقال : ويحك ! أخبرني عن خراسان ، قال : ليس لك جند يا أمير المؤمنين أحد^(١) ولا أنجد منهم ، من سوا ذق^(٢) في السماء و فرسان^(٣) مثل الفيلة ؛ وعدة وعدد من قوم ليس لهم قائد ، قال : ويحك ! فما فعل الكنانى ؟ قال : لا يعرف ولده من الكبر . فردّ عليه مقاتله ، وبعث إلى دار الضيافة ، فأتى بشبّيل بن عبد الرحمن المازنى ، فقال له هشام : أخبرني عن نصر ، قال : ليس بالشيخ يخشى خرقه ، ولا الشاب يخشى سفهه ، المجرب المجرب ، قد ولى عامة ثغور خراسان وحروبها قبل ولايته . فكتب إلى يوسف بذلك ، فوضع يوسف الأرصاد ، فلما انتهوا إلى الموصّل تركوا طريق البريد ، وتكأّ دوا حتى قدموا بيّهُق — وقد كتب إلى نصر يقول شبّيل — وكان إبراهيم بن بسام في الوفد ، فمكر به يوسف ، ونعى له نصراً ، وأخبره أنه قد ولّى الحكم بن الصلت بن أبي عقيل خراسان . فقسم له إبراهيم أمر خراسان كله ؛ حتى قدم عليه إبراهيم بن زياد رسول نصر ؛ فعرف أن يوسف قد مكر به وقال : أهلكنى يوسف .

١٧٢١/٢

وقيل : إن نصراً أوفد مغراء ، وأوفد معه حمالة بن نعيم الكلبي ، فلما قدموا على يوسف ، أطمع يوسف مغراء ، إن هو تنقّص نصراً عند هشام أن يوليّه السند . فلما قدما عليه ذكر مغراء بأس نصر ونجدته ورأيه ، وأطنب في ذلك ، ثم قال : لو كان الله متّعنا منه ببقية ! فاستوى هشام جالساً ، ثم قال : ببقية ماذا ؟ قال : لا يعرف الرجل إلا بجيرمه ، ولا يفهم عنه حتى يلدنّى منه ، وما يكاد يفهم صوته من الضعف لأجل كبره . فقام حمالة الكلبي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كذب والله ، ما هو كما قال ؛ هو هو . فقال هشام : إن نصراً ليس كما وصف ، وهذا أمر يوسف بن عمر حسد لنصر ؛ وقد كان يوسف كتب إلى هشام يذكر كبر نصر وضعفه ، ويذكر له سلم بن قتيبة . فكتب إليه هشام : الله عن ذكر الكنانى ، فلما قدم مغراء على يوسف ، قال له : قد علمت بلاء نصر عندى ، وقد صنعت به

١٧٢٢/٢

(١) ا ، ب : « أعد » .

(٢) السواذق : الصقر .

(٣) كذا في ا و ق ط : « فراسية » .

ما قد علمت ، فليس لي في صحبته خير ، ولا لي بخراسان مقام ؛ فأمره^(١) بالمقام . وكتب إلى نصر : إني قد حولت اسمي ، فأشخص إلى مَنْ قبلك من أهله .

وقيل : إن يوسف لما أمر مغراء بغيب نصر ، قال : كيف أعيبه مع بلائه وآثاره الجميلة عندي وعند قومي ! فلم يزل به ، فقال : فيم أعيبه ؟ أعيب تجربته أم طاعته ؟ أم يُمنن نقيبته أم سياسته ؟ قال : عيبه بالكبر . فلما دخل على هشام تكلم مغراء ، فلذكر نصرًا بأحسن ما يكون ، ثم قال في آخر كلامه : لولا ... ، فاستوى هشام جالسًا ، فقال : ما لولا ! قال : لولا أن الدهر قد غلب عليه ، قال : ما بلغ به ويحك الدهر ! قال : ما يعرف الرجل إلا من قريب ، ولا يعرفه إلا بصوته ، وقد ضعُف عن الغزو والركوب . فشق ذلك على هشام . فتكلم حملة بن نعيم . فلما بلغ نصرًا قول مغراء بعث هارون بن السياوش إلى الحكم بن نميلة ، وهو في السراجين يعرض الجند ، فأخذ برجله فسحبه عن طمفسه له ، وكسر لواءه على رأسه ، وضرب بطنفسه وجهه ، وقال : كذلك يفعل الله بأصحاب^(٢) الغدر !

وذكر علي بن محمد ، عن الحارث بن أفلح بن مالك بن أسماء بن خارجة : ١٧٢٣/٢ لما ولي نصر خراسان أدنى مغراء بن أحمر بن مالك بن سارية النميري والحكم ابن نميلة بن مالك والحجاج بن هارون بن مالك ؛ وكان مغراء بن أحمر النميري رأس أهل قنسرين ، فأثر نصر مغراء وسنّى منزلته ، وشفّعه في حوائجه ، واستعمل ابن عمه الحكم بن نميلة على الجوزجان ، ثم عقد للحكم على أهل العالية ، وكان أبوه بالبصرة عليهم ؛ وكان بعده عمكابة بن نميلة ، ثم أوفد نصر وفدًا من أهل الشام وأهل خراسان ، وصيّر عليهم مغراء ؛ وكان في الوفد حملة بن نعيم الكلبي ، فقال عثمان بن صدقة بن وثاب لمسلم بن عبد الرحمن ابن مسلم عامل طخارستان :

خَيْرِي مُسْلِمٌ مَرَاكِبُهُ فَقُلْتُ حَسْبِي مِنْ مُسْلِمٍ حَكَمَا

(١) كذا في أ ، وهو الصواب ، وفي ط : « فأمرني » . (٢) أ ، ف : « بأهل » .

(٣) ح ، ف : « تولى » .

هَذَا فَتَى عَامِرٌ وَسَيِّدُهَا كَفَى بَمَنْ سَادَ عَامراً كَرَمًا

يعنى الحكم بن نميلة .

قال : فتغير نصر لقيس وأوحشه ما صنع مغراء . قال : وكان أبو نميلة صالح الأتبار مولى بني عبس ، خرج مع يحيى بن زيد بن علي بن حسين ، فلم يزل معه حتى قُتِلَ بالحوزجان . وكان نصر قد وجد عليه لذلك ، فأتى عبيد الله بن بسام صاحب نصر ، فقال :

١٧٢٤/٢ قد كُنْتُ فِي هِمَّةٍ حَيْرَانٍ مَكْتَبُأً حَتَّى كَفَانِي عُبَيْدُ اللَّهِ تَهْمَامِي
نَادَيْتُهُ فَسَمَا لِلْمَجْدِ مُبْتَهَجًا^(١) كَفَرَةُ الْبَدْرِ جَلَّى وَجْهَ إِظْلَامِ
فَأَسْمُ بَرَأَى أَبِي لَيْثٍ وَصَوْلَتِهِ إِنْ كُنْتَ يَوْمَ حِفَاطٍ بِأَمْرِي سَامِ
تَظْفَرُ يَدَاكَ بَمَنْ تَمَّتْ مُرُوتُهُ وَاخْتَصَّهُ رَبُّهُ مِنْهُ بِإِكْرَامِ
مَاضِي الْعَزَائِمِ لَيْثِيٌّ مَضَارِبُهُ عَلَى الْكَرْبَةِ يَوْمَ الرُّوعِ مِقْدَامِ
لَا هَذِرُ سَاحَةِ النَّادَى وَلَا مَزِلُّ فِيهِ وَلَا مُسَكِتُ إِسْكَاتِ إِفْحَامِ
لَهُ مِنَ الْجِلْمِ ثَوْبَاهُ وَمَجْلِسُهُ إِذَا الْمَجَالِسُ شَانَتْ أَهْلَ أَحْلَامِ

قال : فأدخله عبيد الله على نصر ، فقال أبو نميلة : أصلحك الله ! إني ضعيف ؛ فإن رأيت أن تأذن لراويتي ! فأذن له ، فأنشده :

١٧٢٥/٢ فَازَ قِدْحُ الْكَلْبَى فَاغْتَقَدَتْ مَعَهُ رَاءَ فِي سَعِيهِ عُرُوقُ لَيْثِ
فَأَبْنِي نُمَيْرُ ثُمَّ أَبْنِي الْعَبْدُ مَغْرَاءُ أَمَّ لِصِيمِ
فَلَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَا يَكُونُ الْخَدْرُ وَالْكَفَرُ مِنْ خِصَالِ الْكَرِيمِ
وَلَنْ كَانَ أَصْلُهُ كَانَ عَبْدًا مَا عَلَيْكُمْ مِنْ غَدْرِهِ مِنْ شَتِيمِ
وَلَيْتَهُ لَيْثٌ وَأَيُّ وُلَاةٍ بِأَيَادٍ بَيْضٍ وَأَمْرٍ عَظِيمِ
أَسْمَنَتْهُ حَتَّى إِذَا رَاحَ مَغْبُورٌ طَأَّ بِخَيْرٍ مِنْ سَيِّبِهَا الْمَقْسُومِ

كَادَ سَادَاتِهِ بِأَهْوَنَ مِنْ نَهْ قَمَةٍ عَيْرٍ بِقَفْرَةٍ مَرْقُومٍ -
 فَضَرَبْنَا لِغَيْرِنَا مَثَلَ الْكَلْبِ بِذِمِّيَا وَالذَّمُّ لِلْمَلْعُومِ -
 وَحَمِدْنَا لَيْثًا وَيَأْخُذُ بِالْقَضَى لِدُؤُو الْعُجُودِ وَالنَّدَى وَالْحُلُومِ -
 فَاعْلَمُنْ يَا بَنِي الْقَسَاوِرَةِ الْغُلَا بِ وَأَهْلَ الصَّفَا وَأَهْلَ الْحَطَمِ -
 أَنْ فِي شُكْرِ صَالِحِينَا لَمَّا يَدُ حَضُّ قَوْلِ الْمَرْهَقِ الْمَوْصُومِ -
 قَدْ رَأَى اللَّهُ مَا أَتَيْتَ وَلَنْ يَنْدُ قَصَصُ نَبْحِ الْكَلَابِ زُهْرَ النُّجُومِ -
 فلما فرغ قال نصر: صدقت، وتكلمت القيسية واعتذروا. قال: وأهان
 نصر قيساً وباعدهم حين فعل مغراء ما فعل، فقال في ذلك بعض الشعراء:
 لَقَدْ بَغَضَ اللَّهُ الْكِرَامَ إِلَيْكُمْ كَمَا بَغَضَ الرَّحْمَنُ قَيْسًا إِلَى نَصْرِ
 رَأَيْتُ أَبَا لَيْثٍ يُهَيِّنُ سَرَائِهِمْ وَيُدْفِي إِلَيْهِ كُلَّ ذِي وَالْتِ غَمْرِ

* * *

وحج بالناس في هذه السنة يزيد بن هشام بن عبد الملك؛ كذلك حدثني
 أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر؛
 وكذلك قال الواقدي أيضاً.

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة التي
 قبلها، وقد ذكرتهم قبل.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة

ذكر الإخبار عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ابتداء أمر أبي مسلم الخراساني]

فَمِمَّا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ مَقْدَمُ جَمَاعَةٍ مِنْ شِيعَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ الْكُوفَةِ يَرِيدُونَ مَكَّةَ ، وَشَرَى ^(١) بُكَيْرُ بْنُ مَاهَانَ - فِي قَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ السَّيْرِ - أَبَا مُسْلِمٍ صَاحِبَ دَعْوَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ عَيْسَى بْنِ مَعْقِلِ الْعَجَلِيِّ .

* ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ :

وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ ؛ فَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ حِمْرَةَ بْنَ طَلْحَةَ السَّلْمِيَّ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ بُكَيْرُ بْنُ مَاهَانَ كَاتِبًا لِبَعْضِ عَمَّالِ السَّنَدِ ، فَقَدِمَهَا ^(٢) ، فَاجْتَمَعُوا بِالْكُوفَةِ فِي دَارٍ ، فَغَمَزَ ^(٣) بِهِمْ فَأَخَذُوا ، فَحَبَسَ بِكَيْرٍ وَخُلِّيَ عَنْ ^(٤) الْبَاقِينَ ، وَفِي الْحَبْسِ يُونُسُ أَبُو عَاصِمٍ وَعَيْسَى بْنُ مَعْقِلِ الْعَجَلِيِّ ، وَمَعَهُ أَبُو مُسْلِمٍ يَخْدُمُهُ ، فَدَعَاهُمْ بُكَيْرٌ فَأَجَابُوهُ إِلَى رَأْيِهِ ، فَقَالَ لِعَيْسَى بْنُ مَعْقِلٍ : مَا هَذَا الْغَلَامُ ؟ قَالَ : مَمْلُوكٌ ، قَالَ : تَبِيعَهُ ؟ قَالَ : هُوَ لَكَ ، قَالَ : أَحَبُّ أَنْ تَأْخُذَ ثَمَنَهُ ، قَالَ : هُوَ لَكَ بِمَا شِئْتَ ؛ فَأَعْطَاهُ أَرْبَعِمِائَةَ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ أَخْرَجُوا مِنَ السِّجْنِ ، فَبِعْتُ بِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَدَفَعَهُ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَبِي مُوسَى السَّرَاجِ ، فَسَمِعَ مِنْهُ وَحَفِظَ ، ثُمَّ صَارَ إِلَى أَنْ اخْتَلَفَ إِلَى خِرَاسَانَ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : تَوَجَّهَ سُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ وَمَالِكُ بْنُ الْهَيْثَمِ وَلاهِزُ بْنُ قَرِيظٍ ، وَقَحْطَبَةُ بْنُ شَبِيبٍ مِنْ خِرَاسَانَ ، وَهُمْ يَرِيدُونَ مَكَّةَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ وَمِائَةٍ ، فَلَمَّا دَخَلُوا الْكُوفَةَ أَتَوْا عَاصِمَ بْنَ يُونُسَ الْعَجَلِيَّ ؛ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ ، قَدْ أَتَاهُمْ بِالْدَّعَاءِ إِلَى وَلَدِ الْعَبَّاسِ ، وَمَعَهُ عَيْسَى وَإِدْرِيسُ ابْنَا مَعْقِلٍ ؛ حَبَسَهُمَا يُونُسُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَبْسٍ مِنْ عَمَّالِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَمَعَهُمَا أَبُو مُسْلِمٍ يَخْدُمُهُمَا ؛ فَرَأَوْا فِيهِ الْعَلَامَاتِ ، فَقَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : غَلَامٌ مَعْنَا مِنْ

(١) شَرَاهُ يَشْرِيهِ شَرَى : مَلَكَه بِالْبَيْعِ ، مِثْلَ اشْتَرَى . (٢) ا ، ف : « فَقَدِمَ » .

(٣) غَمَزَ بِهِمْ ، أَيْ سَمَى بِهِمْ شَرًّا . (٤) كَذَا فِي ا ، وَفِي ط : « مِنْ » .

السَّراجين - وقد كان أبو مسلم يسمع عيسى وإدريس يتكلمان في هذا الرأي فإذا سمعهما بكى - فلما رأوا ذلك منه دعوهُ إلى ما هم عليه، فأجاب وقيل .

* * *

وفي هذه السنة غزا سليمان بن هشام الصائفة ، فلقى أليون ملك الروم فسلم وغنم .

وفيها مات - في قول الواقدي - محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس .

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل ؛ كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقدي .

وحجّ في هذه السنة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك معه امرأته أمّ سلمة بنت هشام بن عبد الملك .

وذكر محمد بن عمر أن يزيد مولى أبي الزناد حدّثه ، قال : رأيت محمد ابن هشام على بابها يرسل بالسلام والطفافه على بابها كثيرة ، ويعتذر فتأبى ؛ حتى كان يأيس من قبول هدّيته ، ثم أمرت بقبضها .

* * *

وكان عمّال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عمالها في سنة اثنتين وعشرين ومائة وفي سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وقد ذكرناهم قبل .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة .

* * *

[خبر وفاة هشام بن عبد الملك]

ومن ذلك وفاة هشام بن عبد الملك بن مروان فيها ، وكانت وفاته — فيما ذكر أبو معشر — لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر ؛ كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ؛ عنه .

وكذلك قال الواقدي والمدائني وغيرهما ؛ غير أنهم قالوا : كانت وفاته يوم الأربعاء لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر ، فكانت خلافته في قول جميعهم تسع عشرة سنة ، وسبعة أشهر وأحدًا وعشرين يومًا في قول المدائني وابن الكلبي ، وفي قول أبي معشر : ثمانية أشهر ونصفًا ، وفي قول الواقدي : وسبعة أشهر وعشر ليال .

واختلف في مبلغ سنه ، فقال هشام بن محمد الكلبي : توفي وهو ابن خمس وخمسين سنة . وقال بعضهم : توفي وله اثنتان وخمسون سنة .

وقال محمد بن عمر : كان هشام يوم توفى ابن أربع وخمسين سنة . وكانت وفاته بالرصافة وبها قبره ، وكان يكنى أبا الوليد .

* * *

ذكر الخبر عن العلة التي كانت بها وفاته

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : حدثني شيبه بن عثمان ، قال : حدثني عمرو بن كليع ؛ قال : حدثني سالم أبو العلاء ، قال : خرج علينا هشام بن عبد الملك يومًا وهو كئيب ، يعرف ذلك فيه ،

مستريح عليه ثيابه ، وقد أرخى عنان دابته ، فسار ساعة ثم انتبه ، فجمع ثيابه وأخذ بعنان دابته ، وقال للرّبيع : ادعُ الأبرش ، فدُعِيَ فسار بيني وبين الأبرش ، فقال له الأبرش : يا أمير المؤمنين ؛ لقد رأيتُ منك شيئاً غمّتي ، قال : وما^(١) هو ؟ قال : رأيته قد خرجت على حال غمّتي^(٢) ، قال : ويحك يا أبرش ! وكيف لا أغمّ وقد زعم أهل العلم أني ميت إلى ثلاثة وثلاثين يوماً ! قال سالم : فرجعت إلى منزلي ، فكتبت في قرطاس : «زعم أمير المؤمنين يوم كذا وكذا أنه يسافر إلى ثلاثة وثلاثين يوماً» . فلما كان في الليلة التي استكمل فيها ثلاثة وثلاثين يوماً إذا خادم يدق الباب يقول : أجيب أمير المؤمنين ، واحمِلْ معك دواء الذُبْحَة - وقد كان أخذه مرة فتعالج فأفاق - فخرجتُ ومعى الدواء فتغرّغَر به ، فازداد الوجعُ شِدَّةً ، ثم سكن فقال لي : يا سالم ، قد سكن بعض ما كنت^(٣) أجد ؛ فانصرفْ إلى أهليكَ ، وخلفِ الدواء عندي . فانصرفت ، فما كان إلا ساعة حتى سمعت الصّراخ عليه ، فقالوا : مات أمير المؤمنين ! فلما مات أغلق الخزان الأبواب ، فطلبوا قُصْقُمًا يسخن فيه الماء لغسله ، فما وجدوه حتى استعاروا قُصْقُمًا من بعض الجيران ، فقال بعض من حضر ذلك : إن في هذا لمعتبراً لمن اعتبر . وكانت وفاته بالذُبْحَة ، فلما مات صلى عليه ابنه مَسْلُمة بن هشام .

* * *

ذكر بعض سيرة هشام

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثني عليّ بن محمد ، عن وسّنان الأعرجي ، قال : حدثني ابن أبي نُحَيْلة ، عن عَقَّال بن شَبَّه ، قال : دخلتُ على هشام ، وعليه قُبَاء فتك^(٣) أخضر ، فوجهني إلى خُرَّاسان ، وجعل يوصيني وأنا أنظر إلى القُبَاء ، ففطِن ، فقال : ما لك ؟ قلت : رأيته عليك قبل أن تلي الخلافة قُبَاء فتك أخضر ، فجعلت أتأمل هذا ، أهو ذاك أم غيره ؟ فقال : هو والله الذي لا إله إلا ، هو ذاك ، ما لي قُبَاء غيره . وأما ما ترون من جمعي هذا المال وصونه فإنه لكم . قال : وكان عَقَّال مع

(١-١) ساقط من أ ، ب . (٢) ح : « بعض الذي » .

(٣) الفتك : دابة فروتها أطيب أنواع الفراء .

هشام . فأما شبة أبو عقّال ؛ فكان مع عبد الملك بن مروان ، وكان عقّال يقول : دخلت على هشام ، فدخلت على رجل محشو عقّالاً .

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثني عليّ ، قال : قال مروان بن شجاع ؛ مولد لمروان بن الحكم : كنت مع محمد بن هشام بن عبد الملك ، فأرسل إلى يومئذ ، فدخلت عليه ، وقد غضب وهو يتلهّف ، فقلت : ما لك ؟ فقال : رجل نصرانيّ شجّ غلامي — وجعل يشتمه — فقلت له : على رسلك ! قال : فما أصنع ؟ قلت : ترفعه إلى القاضي ، قال : وما غير هذا ! قلت : لا ، قال خصيّ له : أنا أكفيك ، فذهب فضربه . وبلغ هشاماً فطلب الخصىّ ، فعاد بمحمد ، فقال محمد بن هشام : لم آمرك ، وقال الخصىّ : بلى والله لقد أمرتني ، فضرب هشام الخصىّ وشتم ابنه .

وحدثني أحمد ، قال عليّ : لم يكن أحدٌ يسير في أيام هشام في موكب إلا مسلمة بن عبد الملك . قال : ورأى هشام يوماً سالماً في موكب ، فجزه وقال : لأعلمن متى سرت في موكب . وكان يقدم الرجل الغريب فيسير معه ، فيقف سالم ، ويقول : حاجتك ، ويمنعه أن يسير معه ، وكان سالم كأنه هو أمر هشاماً .

قال : ولم يكن أحدٌ من بني مروان يأخذ العطاء إلا عليه الغزو ؛ فمنهم من يغزو ، ومنهم من يُخرج بدلاً .

١٧٣٢/٢

قال : وكان لهشام بن عبد الملك مولى يقال له يعقوب ، فكان يأخذ عطاء هشام مائتي دينار وديناراً ، يفضل بدينار ، فيأخذها يعقوب ويغزو . وكانوا يصيرون أنفسهم في أعوان الديوان ، وفي بعض ما يجوز لهم المقام^(١) به ، ويوضع به الغزو عنهم . وكان داود وعيسى ابنا عليّ بن عبد الله بن عباس — وهما لأُمّ — في أعوان السوق^(٢) بالعراق لخالد بن عبد الله ، فأقاما عنده ، فوصلهما ، ولولا ذلك لم يستطع أن يجسهما ، فصيرهما^(٣) في الأعوان ، فسمرا ، وكانا يسامرانه ويحدّثانه .

(٢) كذا في أ ، ب ، وفي ط : « الشرق » .

(١) ف : « القيام » .

(٣) ب : « فصيرهما » .

قال : فولّى ^(١) هشام بعض مواليه ضيعةً له ، فعمّرَها فجاءت بغلةً عظيمة كبيرة ^(٢) ثم عمّرَها أيضاً ، فأضعفت الغلة ، وبعث بها مع ابنه ، فقدم بها على هشام ، فأخبره خبر ^(٣) الضيعة فجزاه خيراً ، فرأى منه انبساطاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لى حاجة ، قال : وما هى ^(٤) ؟ قال : زيادة عشرة دنانير فى العطاء ، فقال : ما يخيّل لى أحدكم أن عشرة دنانير فى العطاء إلا بقدر الجوز ! لا لعمرى لا أفعل .

حدثنى أحمد ، قال : حدثنا على ، قال : قال جعفر بن سليمان : قال لى عبد الله بن على : جمعت دواوين بنى مروان ، فلم أر ديواناً أصحّ ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان ^(٥) هشام .

حدثنا أحمد ، قال : قال على : قال غسان بن عبد الحميد : لم يكن أحدٌ من بنى مروان أشدّ نظراً ^(٦) فى أمر أصحابى ودواوينه ، ولا أشدّ مبالغة فى الفَحْص عنهم من هشام .

حدثنى أحمد ، قال : حدثنا على ، قال : قال حماد الأبلج : قال هشام لغيلان : ويحك يا غيلان ! قد أكثر الناس فيك ، فنزعنا بأمرك ، فإن كان حقاً اتبعناك ، وإن كان باطلاً نزعته عنه ، قال : نعم ، فدعا هشام ميعون بن مهران ليكلّمه ، فقال له ميعون : سل ؛ فإن أقوى ما تكونون إذا سألت ، قال له : أشاء الله أن يُعصى ؟ فقال له ميعون : أفُعصى كارهاً ! فسكت ، فقال هشام : أجبته فلم يجبه ، فقال له هشام : لا أقالنى الله إن أقلتُه ؛ وأمر بقطع يديه ورجليه .

حدثنى أحمد ، قال : حدثنا على عن رجل من غنى ، عن بيشر مولى هشام ، قال : أتى هشام برجل عنده قيان وخمير وبربط ، فقال : اكسروا الطنبور ^(٧) على رأسه وضربه ، فبكى الشيخ . قال بيشر : فقلت له

(١) ح : « ولى » . (٢) ح ، ف : « كثيرة » .

(٣) ح ، ف : « وأخبره عن الضيعة » . (٤) أ ، ح ، ف : « ما هى » ، بدون واو .

(٥) ح : « دواوين » . (٦) ط : « حصراً » ، وما أثبتته من أ ، ح .

(٧) الطنبور : من آلات الطرب ؛ ذو عنق طويل وستة أوتار ، والبربط : العود .

— وأنا أعزّيه : عليك بالصبر ، فقال : أترانى أبكى للضرب ! إنما أبكى لاحتقاره للبسر بَطَ إِذْ سَمَاهُ طنبوراً !

قال : وأغلظ رجل لهشام ، فقال له هشام : ليس لك أن تُغلظ لإمامك !
قال : وتفقد هشام بعض ولده — ولم يحضر الجمعة — فقال له : ما منعك من الصلاة ؟ قال : نفست دابتي ، قال : أفعجزت عن المشي فركت الجمعة ! فمنعه الدابة سنة .

قال : وكتب سليمان بن هشام إلى أبيه : إن بغلتي قد عجزت عني ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمرلى بدابة فعل . فكتب إليه : قد فهم أمير المؤمنين كتابك ، وما ذكرت من ضعف دابتك ، وقد ظن أمير المؤمنين أن ذلك من قلة تعهدك لعلمها ، وأن علفها يضيع ، فتعهد دابتك في القيام عليها بنفسك ، ويرى أمير المؤمنين رأيه في حملانك^(١) .

١٧٣٤/٢

قال : وكتب إليه بعض عماله : إني قد بعثت إلى أمير المؤمنين بسلة دُراق^(٢) ؛ فليكتب إلى أمير المؤمنين بوصولها . فكتب إليه : قد وصل إلى أمير المؤمنين الدراق الذي بعثت به فأعجبه ، فزد أمير المؤمنين منه ، واستوثق من الوعاء .

قال : وكتب إلى بعض عماله : قد وصلت الكمأة التي بعثت بها إلى أمير المؤمنين ؛ وهي أربعون ، وقد تغير بعضها ، ولم تؤت في ذلك إلا من حشوها ، فإذا بعثت إلى أمير المؤمنين منها شيئاً فأجد حشوها في الظرف الذي تجعلها فيه بالرمل ؛ حتى لا تضطرب ولا يصيب بعضها بعضاً .

حدثني أحمد ، قال : حدثني عليّ ، قال : حدثنا الحارث بن يزيد ، قال : حدثني مولى لهشام ، قال : بعث معي مولى لهشام كان على بعض ضياعه بطيرين ظريفيين ، فدخلت إليه وهو جالس على سرير في عرسة الدار ، فقال : أرسلهما في الدار ، قال : فأرسلتهما فنظر إليهما ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، جائزني ، قال : ويلك ! وما جائزة طيرين ؟ قلت : ما كان ، قال : خذ أحدهما ، فعدوت في الدار عليهما ، فقال : ما لك ؟ قلت :

١٧٣٥/٢

(١) حملانك ؛ أي حملك . (٢) الدراق : المشمش أو الخوخ ؛ شامية .

أختار خيرَهما ، قال : أختار أيضاً خيرهما وتدع شرَّهما لي ! دعهما ونحن نعطيك أربعين درهماً أو خمسين درهماً .

قال : وأقطع هشام أرضاً يقال لها دورين ، فأرسل في قبضتها ؛ فإذا هي خراب ، فقال لذؤيب (كاتب كان بالشام) : ويحك ! كيف الحيلة ؟ قال : ما تجعل لي ؟ قال : أربعمائة دينار ، فكتب « دورين وقراها » ، ثم أمضاها في الدواوين ، فأخذ شيئاً كثيراً ، فلما ولي هشام دخل عليه ذؤيب ، فقال له هشام : دورين وقراها ! لا والله لا تلي لي ولاية أبداً ، وأخرجه من الشام .

حدثني أحمد ، قال : حدثنا عليّ ، عن عمير بن يزيد ، عن أبي خالد ، قال : حدثني الوليد بن خليل ، قال : رأيته هشام بن عبد الملك ، وأنا على برذون طخاري^(١) ، فقال : يا وليد بن خليل ، ما هذا البرذون ؟ قلت : حملني عليه الجني ، فحسدني وقال : والله لقد كثرت الطخاريّة ، لقد مات عبد الملك فما وجدنا في دوابه برذوناً طخاريّاً غير واحد ، فتنافسه بنو عبد الملك أيهم يأخذه ؛ وما منهم أحدٌ إلا يرى أنه إن لم يأخذه لم يرث من عبد الملك شيئاً .

قال : وقال بعض آل مروان لهشام : أتطمع في الخلافة وأنت بخيل جبان^(٢) ؟ قال : ولم لا أطمع فيها وأنا حلیم عفيف !

١٧٣٦/٢

قال : وقال هشام يوماً للأبرش : أوضعت أعنك ؟ قال : إى والله ، قال : لكن أعنزي تأخر ولادها ، فاخرج بنا إلى أعنك نضب من ألبانها ، قال : نعم ، أفأقدم قوماً ؟ قال : لا ، قال : أفأقدم خباء حتى يضرب لنا ؟ قال : نعم ، فبعث برجلين بخباء فضرب ، وغدا هشام والأبرش وغدا الناس ، ففقد هشام والأبرش ؛ كل واحد منهما على كرسى ، وقدم إلى كل واحد منهما شاة ، فحلب هشام الشاة بيده ، وقال : تتعلم يا أبرش أنى لم أبس^(٣) الحلب ! ثم أمر بمكة فعُجنت وأوقد النار بيده ، ثم فحصها وألقى الملة ، وجعل يقلبها بالحرث ، ويقول : يا أبرش ، كيف ترى رفقى ! حتى فضجت ثم أخرجها ،

(١) برذون طخاري ، أى عتيق فاره . (٢) ح : « جبار » وجبان كشداد : هيبوب للأشياء لا يقدم عليها . (٣) الإبساس : التلطف في حلب الشاة بأن يقال لها : بس بس .

وجعل يقلّبها^(١) بالحراث ، ويقول : جبينك جبينك . والأبرش يقول : لبّيك لبّيك — وهذا شيء تقولهُ الصبيان إذا خُبِزَتْ لهم المَلَسَة — ثم تغدّى وتغدّى الناس ورجع .

قال : وقدم علباء بن منظور اللبّيّ على هشام ، فأنشده :

قالت عليّة واعتزمت لِرَحْلة زوراء بالأذنين ذات تسدّر^(٢)
أين الرحيل وأهل بيتك كلهم كلّ عليك كبيرهم كالأصغر !
فأصاغر أمثال سلكان القطا لا فى ثرى مال ولا فى معشر
إنى إلى ملك الشّام لراحِلُ وإليه يرحل كلّ عبد مؤقر
فلأتركنك إن حيث غنيّة بندى الخليفة ذى الفعّال الأزهر
إنّا أناس ميت ديواننا ومتى يُصبّه ندى الخليفة ينشر
فقال له هشام : هذا الذى كنت تحاول ، وقد أحسنت المسألة . فأمر

١٧٣٧/٢

له بخمسمائة درهم ، وألحق له عيّلاً^(٣) فى العطاء .

قال : وأتى هشاماً محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال : ما لك عندى شيء ، ثم قال : إياك أن يغرك أحد فيقول : لم يعرفك أمير المؤمنين ؛ إنى قد عرفتك ؛ أنت محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فلا تقيمنّ وتنفق ما معك ، فليس لك عندى صلة ، فالحق بأهلك .

قال : ووقف هشام يوماً قريباً من حائط فيه زيتون ، ومعه عثمان بن حسيان المرّى ، وعثمان قائم يكاد رأسه يوازي رأس أمير المؤمنين وهو يكلمه إذ سمع نفص الزيتون ، فقال لرجل : انطلق إليهم فقل لهم : القطوه لقطاً ، ولا تنفضوه نفصاً ، فتفتقأ عيونهُ ، وتكسر غصونه .

قال : وحجّ هشام ، فأخذ الأبرش مخنتين ومعهم البرابط ، فقال هشام : احبسوهم وبيعوا متاعهم — وما درى ما هو — وصيروا ثمنه فى بيت المال ، فإذا صلحوا فردّوا عليهم الثمن^(٤) .

وكان هشام بن عبد الملك ينزل الرّصافة — وهى فيما ذكر — من أرض قنسرين .

(١) كذا فى ١ ، وفى ط : « يضر بها » . (٢) ١ : « ذات تسدر » .

(٣) العيل : الزيادة . (٤) ح ، ف : « الثمن عليهم » .

وكان سبب نزوله إياها — فيما حدثني أحمد بن زهير بن حرب ، عن علي بن محمد — قال : كان الخلفاء وأبناء الخلفاء يتبدون^(١) ويهربون من الطاعون ، فينزلون البرية خارجاً عن الناس ، فلما أراد هشام أن ينزل الرصافة قيل له : لا تخرج ؛ فإن الخلفاء لا يسطعون^(٢) ؛ ولم نر خليفة طعين ، قال : أتريدون أن تجربوا بي ! فنزل الرصافة وهي برية ، ابتنى بها قصرين . والرصافة مدينة رومية بنتها الروم .

وكان هشام أحول ، فحدثني أحمد ، عن علي ، قال : بعث خالد بن عبد الله إلى هشام بن عبد الملك بجادٍ فحسداً بين يديه بأرجوزة أبي النجم :
والشمس في الأفق كعين الأحول صغوانه قد همت ولما تفعل
فغضب هشام وطرده .

وحدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : حدثنا أبو عاصم الضبي ، قال : مرّ بي معاوية بن هشام ، وأنا أنظر إليه في رحبة أبي شريك — وأبو شريك رجل من العجم كانت تنسب إليه وهي مزرعة — وقد أختبز خبزة ، فوقف علي ، فقلت : الغداء ! فنزل وأخرجتها ، فوضعها في لبن ، فأكل ثم جاء الناس ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : معاوية بن هشام ، فأمر لي بصلة . وركب وثار بين يديه ثعلب ، فركض خلفه ، فاتبه غلوة ؛ حتى عثر به فرسه فسقط فاحتماوه ميتاً ، فقال هشام : تالله لقد أجمعت أن أرشحه للخلافة ، ويتبع ثعلباً !

قال : وكانت عند معاوية بن هشام ابنة إسماعيل بن جرير وامرأة أخرى ، فأخرج هشام كل واحدة منهما من نصف الثمن بأربعين ألفاً .

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا علي ، قال : قال قحذم كاتب يوسف : بعثني يوسف بن عمر إلى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفها من كفّي ، وحبّة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب ، فدخلت عليه فدنوت منه ، فلم أر وجهه من طول السرير وكثرة الفرش ، فتناول الحجر والحبّة ، فقال :

(١) كذا في أ ، وفي ط : « يتبدون » .

(٢) لا يطعون ؛ أي لا يصابون بالطاعون .

أكتب معك بوزنهما ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، هما أجلّ عن أن يكتب بوزنهما ، ومن أين يوجد مثلهما ! قال : صدقت ، وكانت الياقوتة للرائقة جارية خالد بن عبد الله ، اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار .

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، قال : حدثنا حسين بن يزيد ، عن شهاب بن عبد ربّه ، عن عمرو^(١) بن عليّ ، قال : مشيتُ مع محمد بن عليّ إلى داره عند الحمام ، فقلت له : إنه قد طال مُلك هشام وسلطانة ، وقد قرب من العشرين . وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربّه مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فزعم الناس أنها العشرون ، فقال : ما أدري ما أحاديث الناس ! ولكن أبي حدثني عن أبيه ، عن عليّ ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لن يعمر الله ملكاً في أمة نبيّ مضى قبله ما بلغ بذلك النبيّ من العمر » .

١٧٤٠/٢

* * *

وفي هذه السنة ولى الخلافة بعد موت هشام بن عبد الملك الوليد بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان ، وليّها يوم السبت في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة في قول هشام بن محمد الكلبيّ .
وأما محمد بن عمر فإنه قال : استُخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين ومائة . وقال في ذلك عليّ بن محمد مثل قول محمد بن عمر .

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

* * *

ذكر الخبر عن بعض أسباب ولايته الخلافة

قد مضى ذكرى سبب عقد أبيه يزيد بن عبد الملك بن مروان له الخلافة بعد أخيه هشام بن عبد الملك ؛ وكان الوليدُ بن يزيد يومَ عقد له أبوه يزيد ذلك ابنَ إحدى عشرة سنة ، فلم يمضَ يزيد حتى بلغ ابنه الوليد خمس عشرة سنة ، فندم يزيد على استخلافه هشاماً أخاه بعده ؛ وكان ^(١) إذا نظر إلى ابنه الوليد ، قال : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك ! فتوفى يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة . وولى هشام وهو للوليد مكرّم معظم مقرّب ؛ فلم يزل ذلك من أمرهما حتى ظهر من الوليد بن يزيد مجون وشرب الشراب ؛ حمّله على ذلك — فيما حدثني أحمد بن زهير ، عن عليّ ابن محمد ، عن جويرية بن أسماء وإسحاق بن أيوب وعامر بن الأسود وغيرهم — عبدُ الصمد بن عبد الأعلى الشباني ^(٢) أخو عبد الله بن عبد الأعلى — وكان مؤدّب الوليد — واتّخذ الوليد ندماء ، فأراد هشام أن يقطعهم عنه فولاه الحجّ سنة تسع عشرة ومائة ^(٣) ، فحمل معه كلاباً في صناديق ، فسقط منها صندوق — فيما ذكر عليّ بن محمد عمّن سميت من شيوخه — عن البعير وفيه كلب ، فأجالوا على الكرى ^(٤) السيّاط ، فأوجعوه ضرباً . وحمل معه قبة عملها على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة ، وحمل معه خمرأ ، وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ؛ ويجلس فيها ؛ فخوّفه أصحابه وقالوا : لا نأمن الناس عليك وعلينا معك ؛ فلم يحرّكها . وظهر للناس منه تهاون بالدين واستخفاف به ، وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خلعه والبيعة لابنه مسلمة بن هشام ، فأراد على أن يخلعها ويبيع لمسلمة ؛ فأبى ، فقال له : اجعلها له من بعدك ؛ فأبى ، فتنكّر له هشام وأضرّ به ، وعمل سرّاً في البيعة لابنه ؛ فأجابه قوم .

١٧٤٢/٢

(١) ا ، ح ، ف : « فكان » . (٢) ط : « الشيباني » ، تحريف .
(٣) ابن الأثير : « سنة ست عشرة ومائة » . (٤) الكرى والمكارى ، هو الذي يكرى دابته .

قال : فكان ممن أجابه خاله : محمد وإبراهيم ابنا هشام بن إسماعيل المخزومي ،
وبنو القعقاع بن خليل العبسي وغيرهم من خاصته .

قال : وتماذى الوليد في الشراب وطلب اللذات فأفرط ، فقال له هشام :
ويحك يا وليد ! والله ما أدرى أعلى الإسلام أنت أم لا ! ما تدع شيئاً من
المنكر إلا أتيتته غير متحاشٍ ولا مستتر به ! فكتب إليه الوليد :

يأيُّها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكِر^(١)
نشرُّها صِرْفاً وممزوجةً بالسُّخْرِ أحياناً وبالْفَاتِرِ

فغضب هشام على ابنه مسلمة - وكان يكنى أبا شاكِر - وقال له :
يعيرني بك الوليد وأنا أرشحك للخلافة ! فالزم الأدب واحضر الجماعة .
وولاه الموسم سنة تسع عشرة ومائة ، فأظهر النسك والوقار واللين ، وقسم بمكة
والمدينة أموالاً ، فقال مولى لأهل المدينة :

يأيُّها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكِر
الواهب الجرد بأرسانها^(٢) ليس بزندق ولا كافِر
يعرض بالوليد .

وأم مسلمة بن هشام أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص . فقال الكميت :
إنَّ الخلافة كائنٌ أوتأدها بعد الوليد إلى ابن أمِّ حكيم
فقال خالد بن عبد الله القسري : أنا برىء من خليفة يكنى أبا شاكِر ؛
فغضب مسلمة بن هشام على خالد ، فلما مات أسد بن عبد الله أخو خالد
ابن عبد الله ، كتب أبو شاكِر إلى خالد بن عبد الله بشعر هجا به [يحيى]^(٣) بن نوفل
خالداً وأخاه أسداً حين مات :

أراحَ من خالدٍ وأهلكه ربُّ أراحِ العبادَ من أسدٍ
أما أبوه فكان مؤتسباً عبداً لثيماً لأعبد قفد^(٤)

(١) في الأغاني ٧ : ٣ ، وقال : « بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونحله إياه » .

(٢) الأغاني : « الواهب البزل » . (٣) من أ .

(٤) مؤتسب ؛ أي غير صريح في نسبه . والعبء الأقفد : الكزاليدين والرجلين القصيرا الأصابع .

وبعث بالطومار مع رسول على البريد إلى خالد ؛ فظنَّ أنه عزَّاه عن أخيه ،
ففضَّ الخاتم ، فلم ير في الطومار غير الهجاء ، فقال : ما رأيت كاليوم تعزية !
وكان هشام يعيب الوليدَ ويتنقَّصه ، وكثُر عبثه به وبأصحابه وتقصيره به ،
فلما رأى ذلك الوليد خرج وخرج معه ناس من خاصته ومواليه ، فنزل بالأزرق ؛
بين أرض بَلَقْسَيْنَ وفِزَارة ، على ماء يقال له الأغدف ، وخَلَّف كاتبه عِيَّاض
ابن مسلم مولى عبد الملك بن مروان بالرصافة ، فقال له : اكتب إلى بما يحدث
قبلكم . وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى ، فشريوا يوماً فلما أخذ فيهم
الشراب ، قال الوليد لعبد الصمد : يا أبا وهب ، قل أبياتاً ، فقال (١) :

أَلَمْ تَرِ لِلنَّجْمِ إِذْ شُيِّعَا (٢) يُبَادِرُ فِي بُرْجِهِ الْمَرْجِعَا
تَحِيرَ عَنْ قَصْدِ مَجْرَاتِهِ أَتَى الْغُورَ وَالتَّمَسَ الْمَطْلَعَا (٣)
فَقُلْتُ وَأَعْجَبَنِي شَأْنُهُ وَقَدْ لَاحَ إِذْ لَاحَ لِي مُطْمِعَا :
لَعَلَّ الْوَلِيدَ دَنَا مَدْكُهُ فَأَمْسَى إِلَيْهِ قَدْ اسْتَجْمَعَا
وَكُنَّا نَوْمُلُ فِي مَلِكِهِ كَتَامِلِ ذِي الْجَذْبِ أَنْ يُمْرِعَا
عَقَدْنَا لَهُ مُحْكَمَاتِ الْأُمُورِ طَوْعاً فَكَانَ لَهَا مَوْضِعَا

وروى الشعر (٤) ؛ فبلغ هشاماً ، فقطع عن الوليد ما كان يُجرى عليه ،
وكتب إلى الوليد : بلغني عنك أنك اتخذت عبد الصمد خديناً ومحدثاً ونديماً ؛
وقد حققت ذلك عندي ما بلغني عنك ، ولم أبرئك من سوء ، فأخرج عبد الصمد
مذموماً مدحوراً . فأخرجه ، وقال فيه :

لَقَدْ قَذَفُوا أَبَا وَهْبٍ بِأَمْرِ كَبِيرٍ بَلْ يَزِيدُ عَلَى الْكَبِيرِ (٥)
فَأَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَذَبُوا عَلَيْهِ شَهَادَةَ عَالِمٍ بِهِمْ خَبِيرٍ
وكتب الوليد إلى هشام يُعَلِّمه إخراج عبد الصمد ، واعتذر إليه مما بلغه

(٢) الأغاني : « سبعا » .
(٤) الأغاني : « وروى هذا الشعر » .

(١) الأغاني ٧ : ٨ .
(٣) الأغاني : « إلى الغور » .
(٥) الأغاني ٧ : ٩ .

١٧٤٥/٢

من منادته، وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج إليه - وكان ابن سهيل من أهل اليمن وقد ولي دمشق غير مرة ، وكان ابن سهيل من خاصة الوليد - فضرب هشام ابن سهيل وسيّره ، وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد، وبلغه أنه يكتب بالأخبار إلى الوليد ، فضربه ضرباً مبرحاً ، وألبسه المسوح . فبلغ الوليد ، فقال : مَنْ يثق بالناس ، ومن يصطنع المعروف ! هذا الأحول المشئوم قدّمه أبى على أهل بيته فصيّره وليّ عهده ، ثم يصنع بى ما ترون ؛ لا يعلم أنّى فى أحد هوّى إلا عبث به ، كتب إلى أن أخرج عبد الصمد فأخرجته إليه ، وكتبت إليه أن يأذن لابن سهيل في الخروج إلى ، فضربه وسيّره ، وقد علم رأي فيه ، وقد علم انقطاع عياض بن مسلم إلى ، وتحريمه بى ومكانه منى وأنه كاتبى ، فضربه وجبسه ، يضارّنى بذلك ؛ اللهم أجرنى منه ! وقال :

أنا النذيرُ لِمُسْدَى نعمة أبداً إلى المقاريف ما لَمْ يَخْبُرِ الدُّخْلَا^(١)
 إنَّ أنتَ أَكْرَمْتَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ بُطْراً وَإِنْ أَهْنَيْتَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ دُلْلاً
 أَتَشْمُخُونَ وَمَنَا رَأْسُ نَعْمَتِكُمْ سَتَعْلَمُونَ إِذَا كَانَتْ لَنَا دُولَا^(٢)
 انظُرْ فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى مَثَلٍ لَهُ سِوَى الْكَلْبِ فَاضْرِبْهُ لَهُ مَثَلَا
 بَيْنَا يُسَمِّنُهُ لِلصِّيدِ صَاحِبُهُ حَتَّى إِذَا مَاقَوْى مِنْ بَعْدِ مَا هُزِلَا
 عَدَا عَلَيْهِ فَلَمْ تَضُرُّهُ عَدُوَّتُهُ وَلَوْ أَطَاقَ لَهُ أَكْلَا لَقَدْ أَكَلَا

١٧٤٦/٢

وكتب إلى هشام :

لقد بلغنى الذى أحدث أمير المؤمنين من قَطْع ما قطع عنيّ، ومحو ما محَا من أصحابي وحُرَمي^(٣) وأهلي ، ولم أكن أخاف أن يبتلى الله أمير المؤمنين بذلك ولا أبالي به منه ؛ فإن يكن ابن سهيل كان منه ما كان فبحسب الغير أن يكون قدر^(٤) الذئب ؛ ولم يبلغ من صنعى فى ابن سهيل واستصلاحه، وكتابتى إلى أمير المؤمنين فيه كُفّه ما بلغ أمير المؤمنين من قطيعتى ؛ فإن يكن ذلك شىء فى نفس أمير المؤمنين علىّ ، فقد سبّب الله لى من العهد ، وكتب لى

(١) الأغاني ٧ : ١٠ . المقاريف : الأنذال . (٢) الأغاني : « إذا أبصرتم الدولا » .

(٣) الأغاني : « وأنه حرّمى وأهلى » . (٤) الأغاني : « قرب الذئب » .

من العمر ، وقسم لى من الرزق ما لا يقدر أحد دون الله على قطع شىء منه دون مُدَّتِه ، ولا صرف شىء عن مواقعه ؛ فقدّر الله يجرى بمقاديره فيما أحبّ الناس أو كرهوا ، ولا تأخيرَ لعاجله ولا تعجيلَ لآجله ؛ فالناس بين ذلك يقرّفون الآثام على نفوسهم من الله ، ولا ^(١) يستوجبون العقوبة عليه ؛ وأمير المؤمنين ١٧٤٧/٢ أحقّ أمته بالبصر بذلك والحفظ له ، والله الموفق لأمر المؤمنين بحسن القضاء له فى الأمور ^(٢) .

فقال هشام لأبى الزبير : يا نسطاس ، أترى الناس يرضون بالوليد إن حدث بى حدث ؟ قال : بل يطيل الله عمرَكَ يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك ! لا بدّ من الموت ؛ أفترى الناس يرضون بالوليد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنّ له فى أعناق الناس بَسِيعَةً ، فقال هشام : لئن رضى الناس بالوليد ما أظنّ الحديث الذى رواه الناس : « إن من قام بالخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار » ، إلا باطلاً .

وكتب هشام إلى الوليد :

قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قَطْع ما قَطَعَ عنك وغير ذلك ؛ وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يجرى عليك ؛ ولا يتخزّف على نفسه اقرار المآثم فى الذى أحدث من قطع ما قطع ، ومحو من محّا من صحابتك ، لأمرين : أمّا أحدهما فإيثار أمير المؤمنين إياك بما كان يجرى عليك ؛ وهو يعلم وضعك له وإنفاقه فى غير سبيله ، وأمّا الآخر فإثبات ^(٣) صحابتك ، وإدراك أرزاقهم عليهم ؛ لا يئالهم ما ينال المسلمون فى كلّ عام من مكروه عند قطع البعوث ، ١٧٤٨/٢

(١) الأغاني : « بما » (٢) الأغاني ١٢ : ٧ ، ١٣ . وبعدها هناك : « وكتب له الوليد فى آخر كتابه :

أَلَيْسَ عَظِيماً أَنْ أَرَى كُلَّ وَارِدٍ
فَأَرْجِعَ مَحْمُودَ الرَّجَاءِ مُصَرِّداً
فَأُصْبِحْتُ مِمَّنْ كُنْتُ أَمَلُ مِنْكُمْ
كَمَقْتَبِضِ يَوْماً عَلَى عُرْضِ هَبْوَ
حِيَاضِكَ يَوْماً صَادِراً بِالنَّوْافِلِ
بِتَحَلُّثَةٍ عَنْ وَرْدِ تِلْكَ الْمَنَاهِلِ
وَلَيْسَ بِلَاقٍ مَا رَجَا كُلُّ أَمَلٍ
يَشُدُّ عَلَيْهَا كَفَّهُ بِالْأَنَامِلِ

(٣) ح : « إيثار » .

وهم معك تجبول بهم في سفهلك ؛ ولأمر^(١) المؤمنين أخرى في نفسه للتقصير في القتر عليك منه للاعتداء عليك فيها ؛ مع أن الله قد نصر أمير المؤمنين في قطع ما قطع عنك من ذلك ما يرجو به تكفير ما يتخوف مما سلف فيه منه^(٢) . وأما ابن سهيل فلم يرى لئن كان نزل منك بما نزل ، وكان أهلاً أن تُسرَّ فيه أو تساء ؛ ما جعله الله كذلك ؛ وهل زاد ابن سهيل - لله أبوك - على أن كان مغنياً زفاناً^(٣) ، قد بلغ في السفه غاية ! وليس ابن سهيل مع ذلك بشرٌ ممن تستصحبه في الأمور التي يكرم أمير المؤمنين نفسه عن ذكرها ، مما كنت لعمرك الله أهلاً للتوبيخ به ؛ ولئن كان أمير المؤمنين على ظنك به في الحرص على فسادك ؛ إنك إذاً لغير آل^(٤) عن هوى أمير المؤمنين من ذلك .

وأما ما ذكرت مما سبب الله لك ؛ فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك ، واصطفاه له ؛ والله بالغ أمره . لقد أصبح أمير المؤمنين وهو على اليقين من ربه ؛ أنه لا يملك لنفسه فيما أعطاه من كرامته ضرراً ولا نفعاً ؛ وإن الله ولي ذلك منه ؛ وإنه لا بد له من مزايته ؛ والله أرف بعاده وأرحم من أن يولى أمرهم غير الرضى له منهم . وإن أمير المؤمنين من^(٥) حسن ظنه بربه لعلّ أحسن الرجاء أن يوليه تسبب^(٥) ذلك لمن هو أهله في الرضا له به ولهم ؛ فإن بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبلغه ذكره ، أو يؤديه^(٦) شكره ؛ إلا بعون منه ؛ ولئن كان قدّر لأمر المؤمنين تعجيل وفاة ، إن في الذي هو مفضل إليه إن شاء الله من كرامة الله لحسنه من الدنيا . ولعمري إن كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهلك وحمقك ، فاربع على نفسك من غلوائها ، وارقا على ظلمك^(٧) ؛ فإن لله سطوات وعيناً ؛ يصيب بذلك من يشاء ، ويأذن فيه لمن يشاء ممن شاء الله ؛ وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور إليه وأرضاها له .

فكتب الوليد إلى هشام :

(١-١) كذا في ١ ، ط ؛ و ، وفي الأغاني : « وأمير المؤمنين يرجو أن يكفر الله عنه ما سلف من إعطائه إياك باستنائه قطعه عنك » .
 (٢) الزقان : الرقاص . (٣) ط : « بغير إل » . (٤) الأغاني : « مع » .
 (٥) ح والأغاني : « بسبب » . (٦) الأغاني : « يوازيه » .
 (٧) الأغاني : « فأبق على نفسك ، وقصر من غلوائها ، واربع على ظلمك » .

رَأَيْتَكَ تَبْنِي جَاهِدًا فِي قَطِيعَتِي ^(١) فَلَوْ كُنْتَ ذَا إِرْبٍ لَهَدَمْتُ مَا تَبْنِي
تُثِيرُ عَلَى الْبَاقِينَ مَجْنَى ضَغِينَةٍ فَوَيْلٌ لَهُمْ إِنْ مِتَّ مِنْ شَرِّ مَا تَجْنِي !
كَأَنِّي بِهِمْ وَاللَّيْتُ أَفْضَلُ قَوْلِهِمْ ^(٢) أَلَا لَيْتَنَا وَاللَّيْتُ إِذْ ذَاكَ لَا يُغْنِي
كَفَرْتَ يَدًا مِنْ مُنْعِمٍ لَوْ شَكَرْتَهَا جَزَاكَ بِهَا الرَّحْمَنُ ذُو الْفَضْلِ وَالْمَنِّ

١٧٥٠/٢

قال : فلم يزل الوليد مُقيماً في تلك البريّة حتى مات هشام ؛ فلما كان صبيحةُ اليوم الذي جاءته فيه الخلافة ، أرسل إلى أبي الزبير المُنذر بن أبي عمرو ، فأتاه فقال له : يا أبا الزبير ؛ ما أتت على ليلة منذ عقلت عقلِي أطولَ من هذه الليلة ؛ عرضت لي هموم ، وحدثت نفسي فيها بأُمور من أمر هذا الرجل ؛ الذي قد أولع بي - يعني هشاماً - فأركب بنا تنفّساً ؛ فركبا ، فسارا ميلين ؛ ووقف على كثيب ، وجعل يشكو هشاماً إذ نظر إلى رَهِج ، فقال : هؤلاء رسلُ هشام ؛ نسأل الله من خيرهم ، إذ بدا رجلاَن على البريد مقبلان ؛ أحدهما مولًى لأبي محمد السفيناني ، والآخر جِرْدَ دَبَّة .

فلما قربا أتيا الوليد ، فنزلا يعدوان حتى دنوا منه ؛ فسلما عليه بالخلافة ، فوجّهم ، وجعل جردبة يكرّر عليه السلام بالخلافة ، فقال : ويحك ! أُمات هشام ! قال : نعم ؛ قال فمَن كنتابك ؟ قال : من مولاك سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل . فقرأ الكتاب وانصرفا ، فدعا مولى أبي (٣) محمد السفيناني ، فسأله عن كاتبه عياض بن مسلم ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمرُ الله . فلما صار في حدٍّ لا تُرجى الحياة لِمثله أرسل عياض إلى الخُزّان ؛ أن يحتفظوا بما في أيديكم ، فلا يصلنَّ أحدٌ منه إلى شيء . وأفاق هشام إفاقةً ، فطلب شيئاً فنعهوه فقال : أَرَأَا كُنَّا خُزَّاناً للوليد ! ومات من ساعته . وخرج عياضٌ من السجن ، ففتح أبواب الخُزائن ، وأمر بهشام فأُنزل عن فرشه ؛ فما وجدوا له قُمُقمّاً يسخن له فيه الماء حتى استعاروه ، ولا وجدوا كفنّاً من الخُزائن ؛ فكفّنَه غالب مولى هشام ؛ فكتب

١٧٥١/٢

(١) الأغاني ٧ : ٨ . وفي ابن الأثير : « تبنى دائماً » .

(٢) الأغاني : « كأني بهم يوماً وأكثر قولهم » .

(٣) ب : « فدعوا مولى » .

الوليد إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان أن يأتي الرُّصافة ، فيحصى ما فيها من أموال هشام وولده ، ويأخذ عمّاله وحشمه ؛ إلا مسلمة بن هشام ؛ فإنه كتب إليه ألا يعرض له ، ولا يدخل منزله ؛ فإنه كان يكثر أن يكلم أباه في الرِّفق به ، ويكفّه عنه . فقدم العباس الرُّصافة فأحكم ما كتب به إليه الوليد ؛ وكتب إلى الوليد بأخذ بنى هشام وحشمه وإحصاء أموال هشام ، فقال الوليد :

لَيْتَ هِشَامًا كَانَ حَيًّا يَرَى مِخْلَبُهُ الْأَوْفَرَ قَدْ أُتْرِعَا^(١)
ويروى :

لَيْتَ هِشَامًا عَاشَ حَتَّى يَرَى مِخْلَبُهُ الْأَوْفَرَ قَدْ طُبِعَا
كِلَنَاهُ بِالصَّاعِ الَّذِي كَالَهُ^(٢) وَمَا ظَلَمْنَاهُ بِهِ إِضْبَعَا^(٣)
وَمَا أَتَيْنَا ذَاكَ عَنْ يَدَعَةٍ أَحَلَّهُ الْفُرْقَانُ لِي أَجْمَعَا

١٧٥٢/٢

فاستعمل الوليد العمّال ، وجاءته بيعته من الآفاق ؛ وكتب إليه العمّال ، وجاءته الوفود ؛ وكتب إليه مروان بن محمد :

بارك الله لأمير المؤمنين فيما أصاره إليه^(٤) من ولاية عبادته ، ووراثته ببلاده ؛ وكان من تَغَشَّى غَمْرَةَ سَكْرَةِ الْوَلَايَةِ مَا حَمَلَ هِشَامًا عَلَى مَا حَاوَلَ مِنْ تَصْغِيرِ مَا عَظَّمَ اللَّهُ مِنْ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ورام من الأمر المستصعب عليه ؛ الذي أجابه إليه المدخولون^(٥) في آرائهم وأديانهم ؛ فوجد ما طمع فيه مستصعباً ، وزاحمته الأقدار بأشدّ مناكبها . وكان أمير المؤمنين بمكان من الله حاطه فيه حتى أزره بأكرم مناطق الخِلافة ، فقام بما أراه الله له أهلاً ، ونهض مستقلاً بما حُمِّلَ منها ، مثبتة ولايته في سابق الزُّبُر^(٦) بالأجل المسمى ، وخصه الله بها على خلقه وهو يرى حالاتهم ، فقلّده طوقها ، ورمى إليه بأزمنة الخِلافة ، وعَصِمَ الأمور .

١٧٥٣/٢

فالحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لخلافته ، ووثائق عُرِي دينه ، وذبت

(١) الأغاني ٧ : ١٨ . (٢) الأغاني : « كلنا له الصاع التي كالأها » .

(٣) الأغاني : « أصوعا » . (٤) ١ : « صار إليه » .

(٥) المدخول : من في عقله دخل ؛ أي فساد . (٦) الزبر : جمع زبور ؛ وهو الكتاب .

له عما كاده فيه الظالمون ، فرفعه ووضعهم ؛ فمن أقام على تلك الحسياسة من الأمور أوبق^(١) نفسه ، وأسخطَ ربّه ، ومن عدلتْ به التوبة نازعاً عن الباطل إلى حقّ وجد الله تواباً رحيماً .

أخيراً أمير المؤمنين أكرمه الله أنى عند ما انتهى إلى من قيامه بولاية خلافة الله ، نهضتْ إلى منبرى ؛ على سيفان مستعدّان بهما لأهل الغشّ ، حتى أعلمت مَنْ قِبَلِي ما امتنّ الله به عليهم من ولاية أمير المؤمنين ، فاستبشروا بذلك ، وقالوا : لم تأتنا ولاية خليفة كانت آمالنا فيها أعظم ولا هي لنا أسراً من ولاية أمير المؤمنين ؛ وقد بسطتْ يدي لبيعتهك فجددتها ووكدتها بوثائق العهود وترداد الموائيق وتغليظ الأيمان ، فكلهم حسنتْ إجابتهم وطاعتهم ، فأثبتهم يا أمير المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذى آتاك ؛ فإنك أجودهم جوداً وأبسطهم يداً ؛ وقد انتظروك راجين فضلك قِبَلِكهم بالرحم الذى استرحموك ، وزدّهم زيادة يفضل بها مَنْ كان قِبَلِك ؛ حتى يظهر بذلك فضلك عليهم وعلى رعيتك ؛ ولولا ما أحاول من سدّ الثغر^(٢) الذى أنا به ، لحفتْ أن يحملنى الشوق إلى أمير المؤمنين أن أستخلف رجلاً على غير أمره ، وأقدم لمعاينة أمير المؤمنين ؛ فإنها لا يعدلها عندي عادل نعمة وإن عظمت ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى المسير إليه لأشافه بأمور كرهتْ الكتاب بها فعل .

١٧٥٤/٢

فلما ولى الوليد أجرى على زمنى أهل الشام وعميانهم وكسّاهم ، وأمر لكل إنسان منهم بخادم ؛ وأخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة ؛ وزادهم على ما كان يخرج لهم هشام ، وزاد الناس جميعاً فى العطاء عشرة عشرة ، ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة عشرة ؛ لأهل الشام خاصة ، وزاد مَنْ وفد إليه من أهل بيته فى جوائزهم الضعّف ، وكان وهو ولى عهد يُطعم من وفد إليه من أهل الصائفة قافلاً ، ويُطعم من صدّر عن الحجّ بمنزل يقال له زيزاء ثلاثة أيام ، ويعلف دوابّهم ، ولم يقلْ فى شئ^(٣) : يسأله : لا ، فقيل

(١) أوبق نفسه ؛ أى أهلكها .

(٢) الثغر : موضع الخفاة من فروج البلدان .

(٣) ١ : « شئ » .

له : إن في قولك : أنظر، عِدَّةً ما يقيم عليها الطالب ؛ فقال : لأعود لسانى شيئاً لم أعتدّه ، وقال :

ضَمِنْتُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَعْفَنِي عَوَائِقُ بَأَنَّ سَمَاءَ الضَّرِّ عَنْكُمْ سَتُقْلِعُ^(١)
سَيُوشِكُ إلْحَاقُ مَعَا وَزِيَادَةُ وَأَعْطِيَةٌ مِنِّي عَلَيْكُمْ تَبْرَعُ
مُحَرَّمُكُمْ دِيوَانُكُمْ وَعَطَاؤُكُمْ بِهِ يَكْتُبُ الْكِتَابُ شَهْرًا وَتَطْبَعُ ١٧٥٥/٢

* * *

وفي هذه السنة عقد الوليد بن يزيد لابنيه الحكم وعثمان البيعة من بعده ، وجعلهما وليي عهده ؛ أحدهما بعد الآخر ، وجعل الحكم مقدماً على عثمان ، وكتب بذلك إلى الأمصار ؛ وكان ممن كتب إليه بذلك يوسف بن عمر ، وهو عامل الوليد يومئذ على العراق ، وكتب بذلك يوسف إلى نصر بن سيار ؛ وكانت نسخة الكتاب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار ؛ أما بعد فإني بعثت إليك نسخة كتاب أمير المؤمنين الذي كتب به إلى من قبلي في الذي ولي الحكم ابن أمير المؤمنين وعثمان ابن أمير المؤمنين من العهد بعده مع عقال بن شببة التميمي وعبد الملك القمي ، وأمرتهما بالكلام في ذلك ؛ فإذا قدما عليك فاجمع لقراءة كتاب أمير المؤمنين الناس ، ومرهم فليحشدوا له ، وقم فيهم بالذي كتب أمير المؤمنين ؛ فإذا فرغت فقم بقراءة الكتاب ، وأذن لمن أراد أن يقوم بخطبة ، ثم بايع الناس لهما على اسم الله وبركته ، وخذ عليهم العهد والميثاق^(٢) على الذي نسخت لك في آخر^(٣) كتابي هذا الذي نسخ لنا أمير المؤمنين في كتابه ، فافهمه وبايع عليه ، نسأل الله أن يبارك لأمر المؤمنين ورعيته^(٤) في الذي قضى لهم على لسان أمير المؤمنين ، وأن يصلح الحكم وعثمان ، ويبارك لنا فيهما ؛ والسلام عليك . ١٧٥٦/٢

وكتب النضر يوم الخميس للنصف من شعبان سنة خمس وعشرين ومائة .

(٢) ط : « بالمواثيق » .

(١) الأغاني ٧ : ٢١ .

(٤) ح : « في رعيته » .

(٣) ا ، ح : « أسفل » .

بسم الله الرحمن الرحيم . تباع لعبد الله الوليد أمير المؤمنين والحكم ابن أمير المؤمنين إن كان من بعده وعثمان ابن أمير المؤمنين إن كان بعد الحكم على السمع والطاعة ؛ وإن حدث بواحد منهما حدث فأمر المؤمنين أملك في ولده ورعيته ، يقدم من أحب ، ويؤخر من أحب . عليك بذلك عهد الله وميثاقه ؛ فقال الشاعر في ذلك :

تباع عُثْمَانُ^(١) بَعْدَ الْوَلِيدِ لِدِ الْوَلِيدِ فِينَا وَنَرْجُو يَزِيدَا
كَمَا كَانَ إِذْ ذَاكَ فِي مَلِكِهِ يَزِيدُ يُرَجَّى لَذَاكَ الْوَلِيدَا
عَلَى أَنَّهَا شَسَعَتْ شَسَعَةً فَخُنْ نَوْمَلَهَا أَنْ تَعُودَا
فَإِنْ هِيَ عَادَتْ فَأَرْضُ الْقَرِيدِ بِ عَنْهَا لِيُؤَيِّسَ مِنْهَا الْبَعِيدَا^(٢)

قال أحمد : قال علي عن شيوخه الذين ذكرت : فقدم عقّال بن شبّة وعبد الملك بن نعيم على نصر ، وقدا بالكتاب وهو :

أما بعد ؛ فإن الله تباركت أسماؤه ، وجل ثناؤه ، وتعالى ذكره ، اختار الإسلام ديناً لنفسه ، وجعله دين^(٣) خيرته من خلائقه ، ثم اصطفى من الملائكة رُسُلًا ومن الناس ؛ فبعثهم به ، وأمرهم به ؛ وكان بينهم وبين من مضى من الأمم ، وخلا من القرون قمرناً فقرناً ؛ يدعون إلى التي هي أحسن ، ويهدون إلى صراط مستقيم ؛ حتى انتهت كرامة الله في نبوته إلى محمد صلوات الله عليه ؛ على حين دروس من العلم ، وعمى من الناس ، وتشتت من الهوى ، وتفرق من السبل ، وطموس من أعلام الحق ؛ فأبان الله به الهدى ، وكشف به العمى ، واستنقذ به من الضلالة والردى ، وأبهج به الدين ، وجعله رحمة للعالمين ، وختم به وحىه ، وجمع له ما أكرم به الأنبياء قبله ؛ وقفى به على آثارهم ؛ مصداقاً لما نزل معهم ، ومهيئاً عليه ، وداعياً إليه ، وأمرأ به ؛ حتى كان من أجابه من أمته ، ودخل في الدين الذى أكرمهم الله به ، مصدقين لما سلف من أنبياء الله فيما يكذبهم فيه قومهم ، منتصحين لهم فيما ينهونه^(٤) ، ذابّين لحرمهم عما كانوا متهكين ؛ معظمين منها لما كانوا

(١) كذا في أ ، ج ، ف ، وفي ط : «نويل» . (٢) كذا في أ ، وفي ط : « فأوصى القريب » .
(٣) كذا في أ ، ف . (٤) أنهى الشيء : أبلغه .

مصغرين^(١) ؛ فليس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحدٌ كان يسمع^(٢) لأحد من أنبياء الله فيما بعثه الله به مكذباً ، ولا عليه في ذلك طاعناً ، ولا له مؤذياً ، بتسفيه له ، أو ردٍّ عليه ؛ أو جحداً ما أنزل الله عليه ومعه ، فلم يبقَ كافر إلا استحلَّ بذلك دمه ، وقطع الأسباب التي كانت بينه وبينه ؛ وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتهم . ثم استخلف خلفاءه على منهاج نبوته ؛ حين قبض نبيُّه صلى الله عليه وسلم ، وختَمَ به وحْيَه لإنفاذ حكمه^(٣) ، وإقامة سنته وحدوده ، والأخذ بفرائضه^(٤) وحقوقه ، تأييداً بهم للإسلام ، وتشبيهاً بهم^(٥) لعُراة ؛ وتقويةً بهم لقوى حبله ، ودفعاً بهم عن حريمه ، وعدلاً بهم بين عباده ، وإصلاحاً بهم لبلاده ؛ فإنه تبارك وتعالى يقول :

١٧٥٨/٢

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٦) ، فتتابع خلفاء الله على ما أورثهم الله عليه من أمرِ أنبيائه ، واستخلفهم عليه منه ؛ لا يتعرض لحقهم أحدٌ إلا صرعه الله ، ولا يفارق جماعتهم أحدٌ إلا أهلكه الله ؛ ولا يستخف بولايتهم ، ويتشبه قضااء الله فيهم أحدٌ إلا أمكنهم الله منه ، وسلطهم عليه ، وجعله نكالا وموعظة لغيره ؛ وكذلك صنع الله بمن فارق الطاعة التي أمر بلزومها والأخذ بها ، والآثرة لها ؛ والتي قامت السموات والأرض بها ؛ قال الله تبارك وتعالى :

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأْتِينِي طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٧) ، وقال عزّ ذكره : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٨) فبالخلافة أبقى الله مَنْ أبقى في الأرض من عباده ، وإليها صيره ، وبطاعة مَنْ وَلَّاهُ إياها سعد من ألهما ونصرها ؛ فإن الله عزّ وجلّ علم أن لا قوام

١٧٥٩/٢

(٢) ح ، ف : « أسمع » .

(٤) ح ، ف : « حقه » .

(٦) سورة البقرة ٢٥١ .

(٨) سورة البقرة ٣٠ .

(١) ا ، ب : « مضيعين » .

(٣) ف : « حكته » .

(٥) ح : « منهم » .

(٧) سورة فصلت ١١ .

لشيء ، ولا صلاح له إلا بالطاعة التي يحفظ الله بها حقه ، ويُضي بها أمره ،
ويُسْكِل^(١) بها عن معاصيه ، ويوقف عن محارمه ، ويذبّ عن حرّماته ؛
فمن أخذ بحظه منها كان لله ولياً ولأمره مطيعاً ، ولرشدّه مصيباً ، ولعاجل الخير
وأجله مخصوصاً ؛ ومن تركها ورغب عنها وحاد^(٢) الله فيها أضاع
نصيبه ، وعصى ربّه ، وخسر دنياه وآخرته ؛ وكان ممن غلبت عليه الشّقوة ،
واستحوذت عليه الأمور الغاوية ، التي تورّد أهلها أفضعَ المشارع^(٣) ، وتقودهم
إلى شرّ المصارع ، فيما يحلّ الله بهم في الدنيا من الذلة والنقمة ، ويصيرهم فيما
عندهم من العذاب والحسرة .

والطاعة رأس هذا الأمر وذروته وسنامه وميلاكه وزمامه ، وعصمته وقوامه ،
بعد كلمة الإخلاص التي ميّز الله بها بين العباد . وبالطاعة نال المفلحون من
الله منازلهم ، واستوجبوا عليه ثوابهم ، وفي المعصية مما يحلّ بغيرهم من نقماته ،
ويُصيبهم عليه ، ويحقّ^(٤) من سخطه وعذابه ، وبترك الطاعة والإضاعة لها
والخروج منها والإدبار عنها والتبذّل [للمعصية]^(٥) بها ، أهلك الله من
ضلّ وعتا ، وعمى وغلا ، وفارق مناهج^(٦) البرّ والتقوى .

فالزموا طاعة الله فيما عرّاكم ونالكم ؛ وألّمّ بكم من الأمور ، وناصحوها
واستوثقوا عليها ، وسارعوا إليها وخالفوها ، وابتغوا القرّة إلى الله بها ؛ فإنكم
قد رأيتم مواقع الله لأهلها في إعلائه إياهم ، وإفلاجه^(٧) حجّتهم ، ودفعه باطل
منّ حادّهم وناوأهم وساماهم ، وأراد إطفاء نور الله الذي معهم . وخبّرتم مع
ذلك ما يصير إليه أهل المعصية من التّوبيخ لهم والتقصير بهم ؛ حتى يؤوّل
أمرهم إلى تبار وصغار ، وذلة وبوار ؛ وفي ذلك لمن كان له رأى وموعظة عبرة
يُستفّع بواضحها ، ويتمسك بحظوتها ؛ ويعرف خيرة قضاء الله لأهلها .

ثم إن الله — وله الحمد والمنّ والفضل — هدى الأمة لأفضل الأمور عاقبةً
لها في حقّقن دمائها ، والثّام ألفتها ، واجتماع كتّمتها ، واعتدال عمودها ،

(١) أنكله عن حاجته : دفعه عنها . (٢) ج ، ف : « أوحاد » .

(٣) المشارع : جمع مشرعة ؛ وهو مورد الشاربة .

(٤) كذا في ١ ، وفي ط : « وينزل » .

(٥) من ١ .

(٧) أفلج الله حجته : نصرها وأظهرها .

(٦) ف : « منهاج » .

ولإصلاح دهائها^(١)؛ وذخر النعمة عليها في دنياها، بعد خلافته التي جعلها لهم نظاماً، ولأمرهم قواماً؛ وهو العهد الذي ألهم الله خلفاءه توكيده والنظر للمسلمين في جسيم أمرهم فيه؛ ليكون لهم^(٢) عند ما يحدث بخلفائهم ثقة في المفزع وملتجأ في الأمر، ولئلا للشعث، وصلاحاً لذات البين، وتثبيتاً لأرجاء الإسلام، وقطعاً لفرغات الشيطان؛ فيما يتطلع إليه أولياؤه، ويؤثبهم عليه من تلاف هذا الدين وانصداع^(٣) شعث أهله، واختلافهم فيما جمعهم الله عليه منه؛ فلا يريهم الله في ذلك إلا ما ساءهم، وأكذب أمانيتهم، ويجدون الله قد أحكم بما قضى لأوليائه من ذلك عتقدهم أمورهم، ونفى عنهم من أراد فيها إدغالا أو بها إغلالا، أو لما شدد الله منها توهيناً، أو فيما تولّى الله منها اعتماداً، فأكمل الله بها لخلفائه وحيزه البرّ الذين أودعهم طاعته أحسن الذي عودهم، وسبب لهم من إعزازه وإكرامه وإعلائه وتمكينه؛ فأمر هذا العهد من تمام الإسلام، وكمال ما استوجب الله على أهله من المدين العظام؛ ومما جعل الله فيه لمن أجراه على يديه، وقضى به على لسانه، ووفقه لمن ولاه هذا الأمر عنده أفضل الذخر؛ وعند المسلمين أحسن الأثر فيما يؤثر بهم من منفعته، ويتسع لهم من نعمته، ويستندون إليه من عزه، ويدخلون فيه من وزره الذي يجعل الله لهم به منعة، ويحرزهم به من كل مهلكة، ويجمعهم به من كل فرقة، ويقمع به أهل النفاق، ويعصمهم به من كل اختلاف وشقاق. فاحمدوا الله ربكم الرؤوف بكم، الصانع لكم في أموركم على الذي دلّكم عليه من هذا العهد؛ الذي جعله لكم سكناً ومعوّلاً تطمئنون إليه، وتستظلون في أفنائه؛ ويستنهج^(٤) لكم به مشنئ أعناقكم، وسحات وجوهكم، وملتقى نواصيكم في أمر دينكم ودنياكم؛ فإنّ لذلك خطراً عظيماً من النعمة؛ وإنّ فيه من الله بلاء حسناً في سعة العافية؛ يعرفه ذوو الألباب والنيات المريثون^(٥) من أعمالهم في العواقب، والعارفون منار مناهج الرشد؛ فأنتم حقيقون بشكر الله فيما حفظ به دينكم وأمر جماعتكم من ذلك، جديرون بمعرفة كنه واجب حقه فيه، وحمده

١٧٦١/٢

١٧٦٢/٢

(٢) ١: «أمرهم».

(١) الدهاء: جماعة الناس.

(٤) ١: «ويستنهج».

(٣) ب: «واتساع».

(٥) رياً في الأمر تربية: نظر فيه وتعقبه ولم يجعل بالجواب.

على الذى عزم لكم منه ؛ فلتكن منزلة ذلك منكم ، وفضيلته فى أنفسكم على قدّر حسن بلاء الله عندكم فيه إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله .

ثم إن أمير المؤمنين لم يكن منذ استخلفه الله بشيء من الأمور أشدّ اهتماماً وعنايةً منه بهذا العهد ؛ لعلمه بمنزلته من أمر المسلمين ، وما أراهم الله فيه من الأمور التى يفتبظون بها ، ويكرمهم بما يقضى لهم ويختار له ولهم فيه جهده ؛ ويستقضى له ولهم فيه إله ووليّه ؛ الذى بيده الحكم وعند الغيب ، وهو على كل شيء قدير . ويسأله أن يعينه ^(١) من ذلك على الذى هو أرشد له خاصة للمسلمين ^(٢) عامّة .

فرأى أمير المؤمنين أن يعهد لكم عهداً بعد عهد ، تكونون فيه على مثل الذى كان عليه من كان قبلكم ، فى مهلة من انفساح الأمل وطمأنينة النفس ، وصلاح ذات البين ؛ وعلم موضع ^(٣) الأمر الذى جعله الله لأهله عصمةً ونجاةً وصلاًحاً وحياة ، ولكل منافق وفاسق يحبّ تلف هذا الدين وفساد أهله وقصماً وخساراً وقدّماً ^(٤) . فولّى أمير المؤمنين ذلك الحكم ابن أمير المؤمنين ، وعثمان ابن أمير المؤمنين من بعده ، وهما ممّن يرجو أمير المؤمنين أن يكون الله خلقه لذلك وصاغه ، وأكمل فيه أحسن مناقب من كان يوليه إياه ، فى وفاء الرأى وصحة الدين ، وجزالة المروءة والمعرفة بصالح الأمور ، ولم يألكم أمير المؤمنين ولا نفسه فى ذلك اجتهداً وخيراً .

فبايعوا للحكم ابن أمير المؤمنين باسم الله وبركته ولأخيه من بعده ؛ على السمع والطاعة ، واحتسبوا فى ذلك أحسن ما كان الله يريكم وبيليكم ويعودكم ويعرفكم فى أشباهه فيما مضى ، من اليسر الواسع والخير العام ، والفضل العظيم الذى أصبحتم فى رجائه وخفضه ^(٥) وأمنه ونعمته ، وسلامته وعصمته . فهو الأمر الذى استبطأتموه واستسرعتم إليه ، وحمدتم الله على إمضائه إياه ، وقضائه لكم ، وأحدثتم فيه شكراً ، ورأيتموه لكم حظاً ، تستبقونه وتجهدون أنفسكم فى أداء حق الله عليكم ، فإنه قد سبق لكم فى ذلك من نِعَم الله وكرامته

(٢) ح ، ف : « وعلى المسلمين » .

(٤) الوقم : الإذلال ، والقُدع : الكف .

(١) ح ، ف : « يغلب » .

(٣) ح : « مواضع » .

(٥) ب ، : « وحفظه » .

وحسن قَسَمَهُ ما أنتم حقيقون أن تكون رغبتكم فيه ، وحد بكم عليه ، على قَدَرِ
الذى أبلاكم الله ، وصنع لكم منه .

وأمر المؤمنين مع ذلك إن حدث بواحد من وليّ عهده حدّث ، أو لى
بأن يجعل مكانه وبالمَنْزَل الذى كان به مَن أحبّ أن يجعل من أمته أو ولده ،
ويقدّمه بين يدي الباقي منهما إن شاء ، أو أن يؤخره بعده . فاعلموا ذلك وافهموه .
نسأل الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أن
يبارك لأمر المؤمنين ولكم فى الذى قضى به على لسانه من ذلك وقدّر منه ؛
وأن يجعل عاقبته عافيةً وسروراً وغبطةً ؛ فإن ذلك بيده ولا يملكه إلا هو ،
ولا يرغب فيه إلا إليه ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وكتب سَمَآل يوم الثلاثاء لثمان بقين من رجب سنة خمس وعشرين ومائة .

* * *

[تولية الوليد نصر بن سيار على خراسان وأمره مع يوسف بن عمر]

وفى هذه السنة ولّى الوليدُ نصر بن سيار خراسان كلها ، وأفرده (١) بها .
وفيهما وفد يوسف بن عمر على الوليد ، فاشتري نصرًا وعماله منه ، فردّ إليه
الوليد ولاية خراسان .

١٧٦٥/٢

وفى هذه السنة كتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يأمره بالقدوم
عليه ، ويحمل معه ما قدّر عليه من الهدايا والأموال .

* ذكر الخبر عما كان من أمر يوسف ونصر فى ذلك :

ذكر على عن شيوخته ؛ أن يوسف كتب إلى نصر بذلك ، وأمره أن
يقدم معه بعياله أجمعين ، فلما أتى نصرًا كتابه ، قسم على أهل خراسان
الهدايا وعلى عمّاله ، فلم يدع بخراسان جارية ولا عبدًا ولا برذونًا فارها إلا
أعدّه ، واشترى ألف مملوك ، وأعطاهم السلاح ، وحملهم على الخيل .

قال : وقال بعضهم : كان قد أعدّ خمسمائة وصيفة ، وأمر بصنعة
أباريق الذهب والفضّة وتمثيل الأطباء ورعوس السباع والأيايل وغير ذلك ؛
فلما فرغ من ذلك كله كتب إليه الوليد يستحثّه ، فسرّح الهدايا حتى بلغ

أواثلها بَيْسَهق ؛ فكتب إليه الوليد يأمره أن يبعث إليه ببرابط وطناير ، فقال بعض شعرائهم :

فأَبَشِّرْ يا أَمِينَ اللّهِ أَبَشِّرْ بَتَبَاشِيرٍ
بِإِنِّلٍ يُحْمَلُ المَالُ عَلَيْهَا كَالْأَنْبِيرِ
بِغَالٍ تَحْمَلُ الخَمَرَ حَقَائِبُهَا طَنَابِيرِ
وَدَلٌّ السَّبَرِيَّاتِ بِصَوْتِ البَمِّ والزَّيْرِ^(١)
وَقَرْعُ الدُّفِّ أَحْيَانًا وَنَفْخُ^(٢) بِالْمَزَامِيرِ^(٣)
فهذا لك في الدنيا وفي الجَنَّةِ تَحْيِيرُ

قال : وقدم الأزرق بن قرّة المِسْمَعِيُّ من التَّرمذ أيام هشام على نصر ، فقال لنصر : إني أَرَيْتُ^(٣) الوليد بن يزيد في المنام ؛ وهو وليّ عهد ، شبه الهارب من هشام ، ورأيتُه على سرير ، فشرِبَ عسلاً وسقاني بعضَه . فأعطاه نصر أربعة آلاف دينار وكُسُوة ، وبعثه^(٤) إلى الوليد ، وكتب إليه نصر . فأتى الأزرقُ الوليد ، فدفع إليه المال والكسوة ، فسُرَّ بذلك الوليد ، وألطف الأزرق ، وجزى نصرًا خيراً ، وانصرف الأزرق ، فبلغه قبل أن يصل إلى نصر موتُ هشام ، ونصر لا علمَ له بما صنع الأزرق ، ثم قدم عليه فأخبره ؛ فلمّا ولى الوليدُ كتب إلى الأزرق وإلى نصر ، وأمر رسوله أن يبتدئ بالأزرق فيدفع إليه كتابه ، فأتاه ليلاً ، فدفع إليه كتابه وكتاب نصر ، فلم يقرأ الأزرق كتابه ، وأتى نصرًا بالكتابين ؛ فكان في كتاب الوليد إلى نصر يأمره أن يتخذ له برابط وطناير وأباريق ذهب وفضة ، وأن يجمع له كلّ صَنَاجِعَ بخراسان يقدر عليها ، وكلّ بازى وبرذون فاره ، ثم يسير بذلك كله بنفسه في وجوه أهل خراسان . فقال رجل من باهلة : كان قوم من المنجمين يُخبرون نصرًا بفتنة تكون ؛ فبعث نصر إلى صدقة بن وثّاب وهو ببلخ - وكان منجمًا - وكان عنده . وألحَّ عليه يوسف بالقدوم ؛ فلم يزل يتباطأ ، فوجّهه يوسف

(٢) ح ، ف : « في المزامير » .

(٤) ح ، ف : « وبعث به » .

(١) ح : « عليها البم » .

(٣) ح : « رأيت » .

رسولاً وأمره بلزومه يستحثه بالقدوم ، أو ينادى^(١) في الناس أنه قد خلع ؛ فلما جاءه الرسول أجازته وأرضاه ، وتحول إلى قصره الذي هو دار الإمارة اليوم ؛ فلم يأت لذلك إلا يسير حتى وقعت الفتنة ، فتحول نصر إلى قصره بمجان ، واستخلف عصمة بن عبد الله الأسدي على خراسان ، وولّى المهلب بن إياس العدوي الخراج ، وولّى موسى بن ورقاء الناجي الشاش ، وحسان من أهل صغانيان الأسدي سمرقند ، ومقاتل بن علي السغدّي آمّ ، وأمرهم إذا بلغهم خروجه من مرو أن يستحبوا^(٢) الترك ، وأن يغيروا^(٣) على ما وراء النهر ؛ لينصرف إليهم بعد خروجه ، يعتل بذلك ، فبينما هو يسير يوماً إلى العراق طرّقه ليلاً مولّى لبني لبيث ؛ فلماً أصبح أذن للناس ، وبعث إلى رسل الوليد ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد كان في مسيرى^(٤) ما قد علمتم ، وبعثي بالهدايا ما رأيتم ؛ فطرقني^(٥) فلان ليلاً ، فأخبرني أن الوليد قد قُتل ، وأن الفتنة قد وقعت^(٦) بالشام ؛ وقدم منصور بن جمهور العراق ، وقد هرب يوسف ابن عمر ، ونحن في بلاد قد علمتم حالتها وكثرة عدونا . ثم دعا بالقادم فأحلفه إن ماجاء به لحق ! فحلف ؛ فقال سلم بن أحوز : أصلح الله الأمير ، لو حلفتُ لكنت صادقاً ؛ إنه بعض مكاييد قريش ، أرادوا تهجين طاعتك ، فسير ولا تهجسنا^(٧) . قال : يا سلم أنت رجل لك علم بالحروب^(٨) ، ولك مع ذلك^(٩) حسن طاعة لبني أمية ؛ فأما مثل هذا من الأمور فرأيك فيه رأى أمّة هباء^(١٠) . ثم قال نصر : لم أشهد بعد ابن خازم أمراً مفضلاً إلا كنت المفزع في الرأي ؛ فقال الناس : قد علمنا ذلك ، فالرأي رأيك .

١٧٦٨/٢

* * *

[تولية الوليد بن يزيد خاله يوسف الثقفي على المدينة ومكة]

وفي هذه السنة وجه الوليد بن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي

(١) ب : « وينادي » . (٢) ابن الأثير : « أن يستحبوا » .

(٣) ابن الأثير : « ليعبروا على ما وراء النهر » .

(٤) ابن الأثير : « من مسيرى » . (٥) ح : « وقد طرقني » .

(٦) ابن الأثير : « ووقعت الفتنة » . (٧) ابن الأثير : « ولا تمتعنا » .

(٨) ح وابن الأثير : « بالحرب » . (٩) ح ، ف : « هذا » .

(١٠) الهباء : التي انكسرت ثنيتها .

واليّاً على المدينة ومكة والطائف ، ودفع إليه إبراهيم ومحمد ابني هشام بن إسماعيل الخزرجي موثقتين في عبايتين ، فقدم بهما المدينة يوم السبت لاثنتي عشرة بقيت من شعبان سنة خمس وعشرين ومائة ، فأقامهما للناس بالمدينة . ثم كتب الوليد إليه يأمره أن يبعث بهما إلى يوسف بن عمر ، وهو يومئذ عامله على العراق ؛ فلما قدما عليه عذّبهما حتى قتلتهما ؛ وقد كان رُفِعَ عليهما عند الوليد أنهما أخذتا مالا كثيراً .

* * *

وفي هذه السنة عزّل يوسف بن محمد سعد بن إبراهيم عن قضاء المدينة ، وولاهما يحيى بن سعيد الأنصاري .

* * *

[غزو قبرس]

وفيها غزى^(١) الوليد بن يزيد أخاه الغنم بن يزيد بن عبد الملك ، وأمر على بن جيش البحر الأسود بن بلال المحاربي ، وأمره أن يسير^(٢) إلى قبرس فيخبرهم بين المسير إلى الشام إن شاءوا ، وإن شاءوا إلى الروم ، فاخترت طائفة منهم جوار المسلمين ، فنقلهم الأسود إلى الشام ؛ واختار آخرون أرض الروم فانتقلوا إليها .

* * *

وفيها قدم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب مكة ، فلقوا - في قول بعض أهل السير - محمد بن علي فأخبروه بقصة أبي مسلم وما رأوا منه ؛ فقال لهم : أحرّ هو أم عبد ؟ قالوا : أما عيسى فيزعم أنه عبد ، وأما هو فيزعم أنه حرّ ، قال : فاشترّوه وأعتقوه ؛ وأعطوا محمد بن علي مائتي ألف درهم وكسوة بثلاثين ألف درهم ، فقال لهم : ما أظنكم تلقوني بعد عامي هذا ، فإن حدث بي حدث فصاحبكم إبراهيم بن محمد ، فإني أثق به وأوصيكم به خيراً ، فقد أوصيته بكم . فصلدوا من عنده . وتوفّي محمد بن علي في مستهل ذي القعدة وهو ابن ثلاث وستين سنة ؛ وكان بين وفاته وبين وفاة أبيه علي سبع سنين .

(٢) ب ، ح : « أن يصير » .

(١) ابن الأثير : « أغزى » .

وحجّ بالناس في هذه السنة يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل يحيى بن زيد بن علي]

وفي هذه السنة قتل يحيى بن زيد بن علي بخراسان .

* ذكر الخبر عن مقتله :

قد مضى ذكرنا قبل أمر مصير يحيى بن زيد بن علي إلى خراسان . وسبب ذلك ؛ ونذكر الآن سبب مقتله ؛ إذ كان ذلك في هذه السنة .

ذكر هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف ، قال : أقام يحيى بن زيد بن علي عند الحريش بن عمرو بن داود بسلخ حتى هلك هشام بن عبد الملك ، وولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك . فكتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار بمسير يحيى بن زيد وبمنزله الذي كان ينزل^(١) ؛ حتى أخبره أنه عند الحريش ، وقال له : ابعث إليه وخذه أشدّ الأخذ . فبعث نصر بن سيار إلى عقيل بن معقل العجلي ، يأمره أن يأخذ الحريش ولا يفارقه حتى ترزق نفسه أو يأتيه بيحيى بن زيد بن علي . فبعث إليه عقيل ، فسأله عنه ، فقال : لا علم^(٢)

لي به ، فجلبده سبائة سوط ، فقال له الحريش : والله لو أنه كان تحت قدمي ما رفعتهما لك عنه ؛ فلما رأى ذلك قريش بن الحريش أتي عقيل ، فقال : لا تقتل أبي وأنا أدلك عليه ، فأرسل معه فدلّه عليه ، وهو في بيت في جوف بيت ، فأخذه ومعه يزيد بن عمر والفضل مولى عبد القيس — كان أقبل معه من الكوفة — فأتى به نصر بن سيار فحبسه ، وكتب إلى يوسف بن عمر يخبره بذلك ؛ فكتب بذلك يوسف إلى الوليد بن يزيد ، فكتب الوليد إلى نصر بن سيار ، يأمره أن يؤمنه ويخلّئ سبيله وسبيل أصحابه ، فدعاه نصر ابن سيار ، فأمره بتقوى الله وحذره الفتنة ، وأمره أن يباحق بالوليد بن يزيد ، وأمره بالنأي درهم وبغليين ، فمخرج هو وأصحابه حتى انتهى إلى سرّحس ، فأقام بها وعليها عبد الله بن قيس بن عبّاد ، فكتب إليه نصر بن سيار أن

(٢) ب : « ما لي علم » .

(١) ب : « نزل » .

يشخصه عنها ، وكتب إلى الحسن بن زيد التميمي^(١) - وكان رأس بني تميم ، وكان على طوس - أن انظر يحيى بن زيد ، فإذا مرّ بكم فلا تدّعه يقيم بطوس حتى يخرج منها ، وأمرهما إذا هو مرّ بهما ألا يفارقاه حتى يدفعا إلى عمرو بن زرارة بأبّر شهر . فأشخصه عبد الله بن قيس من سرخس ، ومرّ بالحسن بن زيد فأمره أن يمضي ، ووكل به سرحان بن فروخ بن مجاهد بن بلعاء العنبريّ أبا الفضل ، وكان على مَسْلُحة .

١٧٧٢/٢

قال : فدخلتُ عليه ، فذكر نصر بن سيار وما أعطاه ؛ فإذا هو كالمستقلّ له ؛ فذكر أمير المؤمنين الوليد بن يزيد ، فأثنى عليه ، وذكر مجيئه بأصحابه معه ، وأنه لم يأت بهم إلا مخافة أن يُسمّ أو يُغَمّ ، وعرض بيوسف ؛ وذكر أنه إياه يتخوّف^(٢) ، وقد كان أراد أن يقع فيه ثم كفّ ، فقلت له : قل ما أحببت رحمك الله ؛ فليس عليك مني عين ؛ فقد أتى إليك ما يستحقّ أن تقول فيه . ثم قال : العجب من هذا الذي يقيم الأحرار أو أمر الأحرار ، قال - وهو حينئذ يتفصّح : والله لو شئتُ أن أبعث إليه ؛ فأوتى به مربوطاً . قال : فقلتُ له : لا والله ما بك صنع هذا ؛ ولكن هذا شيء يصنع في هذا المكان أبداً ، لمكان بيت المال . قال : واعتذرتُ إليه من مسيرى معه ، وكنت أسير معه على رأس فرسخ ، فأقبلنا معه حتى وقفنا إلى عمرو بن زرارة ، فأمر له بألف درهم ، ثم أشخصه حتى انتهى إلى بَيْهَق ، وخاف اغتيال يوسف إياه ، فأقبل من بَيْهَق - وهي أقصى أرض خراسان ، وأدناه من قُومِس - فأقبل في سبعين رجلاً إلى عمرو بن زرارة ، ومرّ به تجار ، فأخذ دوابهم ، وقال :

١٧٧٣/٢

علينا أثمانها . فكتب عمرو بن زرارة إلى نصر بن سيار ، فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس وإلى الحسن بن زيد أن يمضيا إلى عمرو بن زرارة ، فهو عليهم ، ثم ينصبوا ليحيى بن زيد فيقاتلوه . فجاءوا حتى انتهوا إلى عمرو بن زرارة ، واجتمعوا فكانوا عشرة آلاف ، وأتاهم يحيى بن زيد ؛ وليس هو إلّا في سبعين رجلاً ، فهزمهم وقتل عمرو بن زرارة ، وأصاب دواب كثيرة . وجاء يحيى بن زيد حتى مرّ بهرة ، وعليها مغلس بن زياد العامريّ ، فلم

(١) : ١ « الحريش بن يزيد التميمي » .

(٢) : ١ « متخوف » .

يعرض واحد منهما لصاحبه ، فقطعها يحيى بن زيد ، وسرح نصر بن سيار .
سلم بن أحوز في طالب يحيى بن زيد ، فأتى هرة حين خرج منها يحيى بن
زيد فأتبعه فلحقه بالجوزجان بقرية منها ، وعليها حماد بن عمرو السغدّي .

قال : ولحق بيحيى بن زيد رجل من بني حذيفة يقال له أبو العجلان (١) ،
فقتل يومئذ معه ، ولحق به الحسحاس الأزدي فقطع نصر بعد ذلك يده ورجله .

قال : فبعث سلم بن أحوز (٢) سورة بن محمد بن عزيز الكندي على
ميمنته ، وحماد بن عمرو السغدّي على ميسرته ، فقاتله (٣) قتالاً شديداً ،
فذكروا أن رجلاً من عسرة يقال له عيسى ، مولى عيسى بن سليمان العنزي
رماه بنشاب ، فأصاب جبهته .

١٧٧٤/٢

قال : وقد كان محمد شهد ذلك اليوم ، فأمره سلم بتعبئة الناس ، فتمارض
عليه ، فعبى الناس سورة بن محمد بن عزيز الكندي ، فاقتتلا وقتلوا من عند
آخرهم . ومرت سورة بيحيى بن زيد فأخذ رأسه ، وأخذ العنزي سلبه وقميصه ،
وغلبه سورة على رأسه .

فلما قتل يحيى بن زيد وبلغ خبره الوليد بن يزيد ، كتب — فيما ذكر
هشام عن موسى بن حبيب — أنه حدثه — إلى يوسف بن عمر : إذا أتاك كتابي
هذا ، فانظر عجل العراق فأحرقه ثم انسه في اليمّ نسفاً . قال : فأمر يوسف
خراش بن حوشب ، فأنزله من جذعه وأحرقه بالنار ، ثم رضه فجعله في قنطرة ،
ثم جعله في سفينة ، ثم ذراه في الفرات .

وكانت عمّال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها ، وقد ذكرناهم
قبيل .

(٢) ابن الأثير : « سلم بن أحوز » .

(١) : « ابن العجلان » .

(٣) ب : « فقاتله » .

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجلييلة

* * *

[ذكر بقية أخبار يزيد بن الوليد بن عبد الملك]

فمن ذلك ما كان من قتل يزيد بن الوليد الذي يقال له الناقص الوليد ابن يزيد .

* ذكر الخبر عن سبب قتله إياه وكيف قُتِل :

قد ذكرنا بعض أمر الوليد بن يزيد وخلاعه ومجانبته ، وما ذكر عنه من تهاونه واستخفافه بأمر دينه قبل خلافته ولما ولي الخلافة وأفضت إليه ، لم يزد في (١) الذي كان فيه من اللهو واللذة والركوب للصيد (٢) وشرب النبيذ ومنادمة الفسَّاق إلا تمادياً وحداً (٣) — تركت الأخبار الواردة عنه بذلك كراهة إطالة الكتاب بذكرها — فتقل ذلك من أمره على رعيته وجنده ، فكروها أمره . وكان من أعظم ما جنى على نفسه حتى أورثه ذلك هلاكه إفساده (٤) على نفسه بنى عمّيه بنى هشام وولد الوليد ، ابني عبد الملك بن مروان ، مع إفساده على نفسه اليانسة ، وهم عظم جند أهل الشام .

* ذكر بعض الخبر عن إفساده بنى عمّيه هشام والوليد :

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عليّ ، عن المنهال بن عبد الملك ، قال : كان الوليد صاحباً لهو وصيد ولذات ، فلما ولي الأمر جعل يكره المواضع التي فيها الناس حتى قُتل ؛ ولم يزل ينتقل ويتصيد ، حتى ثقل على الناس وعلى جنده ، واشتد على بنى هشام ؛ فضرَب سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته ، وغرّبه إلى عمّان فحبسه بها ؛ فلم يزل بها محبوساً حتى

(١) كذا في أ ب ، ف وفي ط : « من » . (٢) أ : « إلى الصيد » .
(٣) كذا في أ ، ب ، ف . والحد : منتهى الشيء ، وفي ط : « وجداً » .
(٤) ح : « فساد » .

قتل الوليد . قال : وأخذ جارية كانت لآل الوليد ، فكلّمه عمر بن الوليد ، فيها فقال : لا أردّها ، فقال : إذن تكثّر الصّواهل حول عسكري . قال : وجبّس الأفقّم يزيد بن هشام ، وأراد البيعة لابنيه الحكّم وعثمان فشاور سعيد بن بيهس بن صُهب ، فقال : لا تفعل ؛ فإنهما غلامان لم يحتلما ؛ ولكن بايع لعتيق بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، فغضب وجبسه حتى مات في الحيس . وأراد خالد بن عبد الله على البيعة لابنيه فأبى ، فقال له قوم من أنله : أراك أمير المؤمنين على البيعة لابنيه فأبيت ، فقال : ويحكم ! كيف أباع بمن لا أصلّى خلفه ، ولا أقبل شهادته ! قالوا : فالوليد تُقبل شهادته مع مجونه وفسقه ! قال : أمر الوليد أمر غائب عني ولا أعلمه^(١) يقيناً ؛ إنما هي أخبار الناس ؛ فغضب الوليد على خالد .

١٧٧٧/٢

قال : وقال عمرو بن سعيد الثقفي : أوفدني يوسف بن عمر إلى الوليد فلما قدمتُ قال لي : كيف رأيتَ الفاسق ؟ يعني بالفاسق الوليد — ثم قال : إياك أن يسمع هذا منك أحدٌ ، فقلت : حبيبة بنت عبد الرحمن بن جُبَيْر طلق إن سمعته أذن ما دمتَ حيّاً ؛ فضحك . قال : فنقل الوليدُ على الناس ، ورماه بنو هشام وبنو الوليد بالكُفْر وغشيان أمّهات أولاد أبيه ، وقالوا : قد اتخذ مائة جامعة ؛ وكتب على كل جامعة اسم رجل من بني أمية ليقتلّه بها . ورموه بالزندقة ؛ وكان أشدّهم فيه قولاً يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وكان الناسُ إلى قوله أميل ؛ لأنه كان يُظهر التسك ويتواضع ، ويقول : ما يسعنا الرضا بالوليد ؛ حتى حمل الناس على الفستك به .

* * *

حدّثني أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عليّ ، عن يزيد بن مصاد الكلبيّ ، عن عمرو بن سراجيل ، قال : سیرنا هشام بن عبد الملك إلى دَهْلِك ؛ فلم نزل بها حتى مات هشام ، واستُخلف الوليد ، فكلّمُ فينا فأبى ، وقال : والله ما عمل هشام عملاً أرجى له عندي أن تناله المغنرة به من قتلته القدريّة^(٢) وتسييره إياهم . وكان الوالي علينا الحجاج بن بشر بن فيروز الديلمي ، وكان

(٢) ب : « الغدرة » .

(١) ح : « لا أعلمه » ، بدون واو .

يقول : لا يعيش الوليد إلا ثمانية عشر شهراً حتى يقتل ؛ ويكون قتله سبب هلاك أهل بيته . قال : فأجمع على قتل^(١) الوليد جماعة من قضاة واليانية من أهل دمشق خاصة ، فأق حريث وشبيب بن أبي مالك الغساني ومنصور بن جُمهور ويعقوب بن عبد الرحمن وحبال بن عمرو ؛ ابن عم منصور ، وحמיד بن نصر اللخمي والأصمغ بن ذؤالة وطُفيل بن حارثة والسري بن زياد بن علافة ، خالد بن عبد الله ، فدعوه إلى أمرهم فلم يجبههم ، فسأوه أن يكتم عليهم ، فقال : لا أُسمي أحداً منكم . وأراد الوليد الحج ، فخاف خالد أن يفتكوا به في الطريق ، فأثابه فقال : يا أمير المؤمنين ، أخّر الحج العام ، فقال : ولم ؟ فلم يخبره ، فأمر بحبسه وأن يُستأدى ما عليه من أموال العراق .

وقال عليّ عن الحكم بن النعمان ، قال : أجمع الوليد على عزل يوسف واستعمال عبد الملك بن محمد بن الحجاج ، فكتب إلى يوسف : إنك كتبت إلى أمير المؤمنين تذكر تخريب ابن النصرانية البلاد ، وقد كنت على ما ذكرت من ذلك تحمل إلى هشام ما تحمل ، وقد ينبغي أن تكون قد عمّرت^(٢) البلاد حتى رددتها إلى ما كانت عليه ؛ فاشخص إلى أمير المؤمنين ، فصدّق ظنّه بك فيما تحمل إليه لعبارتك البلاد ، وإيعرف أمير المؤمنين فضلك على غيرك ؛ لما جعل الله بينك وبين أمير المؤمنين من القرابة ؛ فإنك خاله ، وأحقّ الناس بالتوفير عليه ، ولما قد علمت ممّا أمر به أمير المؤمنين لأهل الشام وغيرهم من الزيادة في أعطياتهم ، وما وصل به أهل بيته لطول جفوة هشام إياهم ، حتى أضرت ذلك ببيوت الأوال . قال : فخرج يوسف واستخلف ابن عمّه يوسف بن محمد ، وحمل من الأموال والأمتعة والآنية ما لم يحمل من العراق مثله . فقدم - وخالد بن عبد الله محبوس - فلقبه حسان التبتطيّ ليلاً ، فأخبره أنّ الوليد عازم على تولية عبد الملك بن محمد ابن الحجاج ، وأنه لا بدّ ليوسف فيها من إصلاح أمر وزرائه ، فقال : ليس عندي فضل درهم ، قال : فعندي خمسمائة ألف درهم ، فإن شئت فهي

(١) ح ، ف : « قتال » .

(٢) ف : « عمّرت » .

لك ، وإن شئت فارد دُها إذا تيسرت . قال : فأنت أعرفُ بالقوم ومنازلهم من الخليفة منى ، ففرّقها على قدر علمك فيهم ؛ ففعل . وقدم يوسف والقوم يعظّمونه ، فقال له حسان : لا تَعْنِدُ على الوليد ؛ ولكن رُحْ إليه رواحاً ؛ واكتب على لسان خليفتك كتاباً إليك : إننى كتبت إليك ولا أملك إلا القَصْر . وادخل على الوليد والكتابُ معك متحازناً ^(١) ، فأقرئه الكتاب ، ومُرْ أبان ابن عبد الرحمن النميرى يشتري خالداً منه بأربعين ألف ألف . ففعل يوسف ، فقال له الوليد : ارجع إلى عمك ، فقال له أبان : ادفع إلى خالدٍ وأدفع إليك أربعين ألف ألف درهم ، قال : ومن يضمن عنك ؟ قال : يوسف ، قال : أتضمن عنه ؟ قال : بل ادفعه إلى ، فأنا أستأديه خمسين ألف ألف ، فدفعه إليه ، فحمله في محمل بغير وطاء .

١٧٨٠/٢

قال محمد بن محمد بن القاسم : فرحمته ، فجمعت الطافاً كانت معنا من أخصبة يابسة وغيرها في منديل ، وأنا على ناقة فارهة ، فتغفّلت يوسف ، فأسرعت ودنوت من خالد ، ورميت بالمنديل في محمله ، فقال لى : هذا من متاع عُمان — يعنى أن أخى الفَيْض كان على عُمان ، فبعث إلى ببال جسيم — فقلت في نفسى : هذا على هذه الحالة وهو لا يدع هذا ! ففطن يوسف بى فقال لى : ما قلت لابن النصرانية ؟ فقلت : عرضت عليه الحاجة ، قال : أحسنت ، هو أسير ؛ ولو فطن بما ألقيتُ إليه للقبى منه أذى .

وقدم الكوفة فقتله في العذاب ؛ فقال الوليد بن يزيد — فيما زعم الهيثم بن عدى — شعراً يوبّخ به أهل اليمن في تركهم نصرة خالد بن عبد الله . وأما أحمد بن زهير ، فإنه حدثه عن على بن محمد ؛ عن محمد بن سعيد العامرى ، عامر كلب ، أن هذا الشعر قاله بعض شعراء اليمن على لسان الوليد يحرّض عليه البائية :

١٧٨١/٢

ألم تهتج فتذكر الوصالاً ^(٢) وحبالاً كان مُتصلاً فزالا
بلى فالدمع منك له سجام كماء المزن ينسجل انسجالا

(١) كذا فى ١ ، وفى ط : « مختوماً متحازناً » . (٢) ط : « فتذكر » .

فَدَغْ عَنْكَ ادَّكَارَكَ آلَ سُعْدَى
وَنَحْنُ الْمَالِكُونَ النَّاسَ قَسْرًا
وَطِئْنَا الْأَشْعَرِينَ بِعِزِّ قَيْسٍ
وَهَذَا خَالِدٌ فِينَا أَسِيرًا^(١)
عَظِيمُهُمْ وَسَيِّدُهُمْ قَدِيمًا
فَلَوْ كَانَتْ قِبَائِلُ ذَاتِ عِزٍّ
وَلَا تَرْكُوهُ مَسْلُوبًا أَسِيرًا
يُسَامِرُ مِنْ سَلَسِلِنَا الثَّقَالَا

— ورواه المدائني: «يعالج من سلاسلنا (٢)» —

وَكِنْدَةُ وَالسَّكُونُ فَمَا اسْتَقَامُوا^(٣)
بِهَا سُمْنَا الْبَرِيَّةَ كُلَّ خَسْفٍ
وَلَكِنَّ الْوَقَائِعَ ضَعُضَعَتْهُمْ
فَمَا زَالُوا لَنَا أَبَدًا عَبِيدًا^(٤)
فَأَصْبَحْتُ الْغَدَاةَ عَلَى تَاجٍ
فَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ هَلْبَاءِ الْكَلْبِيِّ يَحْيِيهِ :

قَفِي صَدْرَ الْمَطِيَّةِ يَا حَلَالَا
أَلَمْ يَخْزُنْكَ أَنَّ ذَوِي يَمَانٍ
جَعَلْنَا لِلْقِبَائِلِ مِنْ نِزَارٍ
بَنَّا مَلِكَ الْمُمْلِكِ مِنْ قَرِيشٍ
مَتَى تَلَقَّ السَّكُونُ وَتَلَقَّ كَلْبًا
كَذَاكَ الْمَرْءُ مَا لَمْ يُلَفَّ عَدْلًا
وَجَدَى حَبْلَ مَنْ قَطَعَ الْوَصَالَا
يُرَى مَنْ حَاذَ قَيْلَهُمْ جُلَالَا
غَدَاةَ الْمَرْجِ أَيَّامًا طَوَالَا
وَأَوْدَى جَدَّ مَنْ أَوْدَى فَرَالَا
بَعْبَسَ تَخَشَّ مِنْ مَلِكٍ زَوَالَا
يَكُونُ عَلَيْهِ مِنْطِقُهُ وَبَالَا

(١) ابن الأثير: «أسير» .

(٢) ١: «فا استقاموا» ، وابن الأثير: «فا استقاموا» .

(٣) ابن الأثير: «بلداً عبيداً» .

(٤) وكذلك في ابن الأثير .

أَعِدُّوا آلَ حَمِيرٍ إِذْ دُعِيتُمْ
وَكُلَّ مُقَدَّصٍ نَهَدِ الْقَصِيرَى
يَذَرْنَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ قَتِيلًا
لِئِنْ عَيَّرْتُمُونَا مَا فَعَلْنَا
لِإِخْوَانِ الْأَشَاعِثِ قَتَلُوهُمْ
وَأَبْنَاءَ الْمُهَلَّبِ نَحْنُ ضَلْنَا
وَقَدْ كَانَتْ جُدَامٌ عَلَى أَخِيهِمْ
هَرَبْنَا أَنْ نُسَاعِدَكُمْ عَلَيْهِمْ
فَإِنْ عُدْتُمْ فَإِنَّ لَنَا سُيُوفًا
سَنَبْكِي خَالِدًا بِمُهَنْدَاتٍ
أَلَمْ يَكْ خَالِدٌ غَيْثَ الْيَتَامَى
يُكْفِنُ خَالِدٌ مَوْتِي نِزَارِ
لَوْ أَنَّ الْجَائِرِينَ عَلَيْهِ كَانُوا
سَتَلَقَى إِنْ بَقِيَتْ مُسَوِّمَاتٍ

سُيُوفَ الْهِنْدِ وَالْأَسَلِ النَّهَالَا^(١)
وَذَا فَوْدَيْنِ وَالْقُبَّ الْجِبَالَا^(٢)
عَلَيْهِ الطَّيْرُ قَدْ مَذَلِ السُّؤَالَا
لَقَدْ قَلِمَ وَجَدَّكُمْ مَقَالَا
فَمَا وَطِئُوا وَلَا لَاقُوا نَكَالَا
وَقَائِعَهُمْ وَمَا ضَلُّتُمْ مَصَالَا
وَلِخْمٍ يَقْتُلُونَهُمْ شِلَالَا
وَقَدْ أَخْطَا مُسَاعِدَكُمْ وَفَالَا
صَوَارِمَ نَسْتَجِدُّ لَهَا الصَّقَالَا
وَلَا تَذْهَبُ صَنَائِعُهُ ضَلَالَا
إِذَا حَضَرُوا وَكَنتَ لَهُمْ هُزَالَا
وَيُثْرَى حَيِّهِمْ نَشْبَاً وَمَالَا
بَسَاحَةِ قَوْمِهِ كَانُوا نَكَالَا
عَوَابِسَ لَا يُزِيلَنَّ الْحِلَالَا

١٧٨٣/٢

فحدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد ، قال : فازداد الناس
على الوليد حَسَنَةً لَمَّا رَوَى هَذَا الشَّعْرَ ، فَقَالَ ابْنُ بَيْضَ :

وَصَلَتْ سَمَاءُ الضَّرِّ بِالضَّرِّ بَعْدَ مَا
فَلَيْتَ هَشَامًا كَانَ حَيًّا يَسُوسُنَا

زَعَمْتَ سَمَاءُ الضَّرِّ عَنَّا سَتَقْلَعُ
وَكُنَّا كَمَا كُنَّا نُرْجَى وَنَطْمَعُ^(٣)

(٢) كَذَا فِي ١ ، وَفِي ط : « الْجِبَالَا » .

(١) : « الطُّوَالَا » .

(٣) ابْنُ الْأَثِيرِ : « وَقَالَ أَيْضًا :

يَا وَلِيدَ الْخَنَى تَرَكْتَ الطَّرِيقَا
وَقَمَادَيْتَ وَاعْتَدَيْتَ وَأَسْرَفَا
أَبَدًا هَاتِ ثُمَّ هَاتِ وَهَاتِي
أَنْتَ سَكْرَانٌ مَا تَفِيْقُ فَمَا تَرُ

وَاضِحًا وَارْتَكَبْتَ فَجًّا عَمِيقًا
تَ وَأَغْوَيْتَ وَانْبَعَثْتَ فَسُوقًا
ثُمَّ هَاتِي حَتَّى تَخْرُ صَعِيقًا
تَقِ فَتَقَّا وَقَدْ فَتَقْتَ فَتُوقَا

وكان هشام استعمل الوليد بن القعقاع على قنّسرين وعبد الملك بن القعقاع على حِمَص ، فضرب الوليد بن القعقاع ابن هبيرة مائة سوط ؛ فلما قام الوليد هرب بنو القعقاع منه ، فعادوا بقبر يزيد بن عبد الملك ؛ فبعث إليهم ، فدفعهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة - وكان على قنّسرين - فعذب بهم ، فمات في العذاب الوليد بن القعقاع وعبد الملك بن القعقاع ورجلان معهما من آل القعقاع ، واضطغن على الوليد آل الوليد وآل هشام وآل القعقاع واليمانية بما صنع بخالد بن عبد الله . فأتت اليمانية يزيد بن الوليد ، فأرادوه على البَيْعَة ، فشاور عمرو بن يزيد الحكمي ، فقال : لا يبايعك الناس على هذا ، وشاور أخاك العباس بن الوليد ؛ فإنه سيّد بني مروان ؛ فإنّ يبايعك لم يخالفك أحد ، وإنّ أبي كان الناس له أطوع ، فإنّ أبيّت إلّا المضيّ على رأيك فأظهروا أنّ العباس قد يبايعك . وكانت الشّام تلك الأيام وبيّة ، فخرجوا إلى البوادي ؛ وكان يزيد بن الوليد متبديّاً ، وكان العباس بالقسّطل بينهما أميال يسيرة . فحدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثني عليّ ، قال : أتى يزيد أخاه العباس ، فأخبره وشاوره ، وعاب الوليد ، فقال له العباس : مهلاً يا يزيد ؛ فإنّ في نقض عهد الله فساد الدين والدنيا . فرجع يزيد إلى منزله ، ودبّ في الناس فبايعوه سرّاً ، ودسّ الأحنف الكلبيّ ويزيد بن عنبسة السكسكيّ وقوماً من ثقاته من وجوه الناس وأشرافهم ؛ فدعوا الناس سرّاً ، ثمّ عاود أخاه العباس ومعه قسطن مولاهم ، فشاوره في ذلك ، وأخبره أنّ قوماً يأتونه يريدونه على البَيْعَة ، فزبره العباس ، وقال : إنّ عدتّ لمثل هذا لأشدّ نكّ وثاقاً ، ولأحملنك إلى أمير المؤمنين ! فخرج يزيد وقسطن ، فأرسل العباس إلى قسطن ، فقال : ويحك يا قطن ! أترى يزيد جاداً ! قال : جعلتُ فداك ! ما أظنّ ذاك ؛ ولكنه قد دخله مما صنع الوليد ببني هشام وبني الوليد وما يسمع مع الناس من الاستخفاف بالدين وتهاونهم ما قد ضاق به ذرعاً . قال : أما والله إنّني لأظنّه أشأمّ سخلة في بني مروان ؛ ولولا ما أخاف من عجلة الوليد مع تحامله علينا اشدتُ يزيد وثاقاً ، وحملته إليه ؛ فازجره عن أمره ؛ فإنه يسمع إليك . فقال يزيد لقسطن : ما قال لك العباس حين رآك ؟ فأخبره ، فقال له : والله لا أكفّ .

١٧٨٤/٢

١٧٨٥/٢

وبلغ معاوية بن عمرو بن عتبة خوضُ الناس ؛ فأقَى الوليدَ فقال :
يا أمير المؤمنين ؛ إنك تبسط لسانى بالأنس بك ، وأكفهُ بالهيبة لك ، وأنا أسمع ما لا تسمع
وأخاف عليك ما أراك تأمن ، أفأتكلم ناصحاً ، أو أسكت مطيعاً ؟ قال :
كلُّ مقبول منك ؛ والله فينا علم غيِّب نحن صاثرون إليه ؛ ولو علم بنو مروان
أنهم إنما يوقدون على رَضَفٍ ^(١) يلقونه في أجوافهم مافعلوا ، وتعود ونسمع منك .

وبلغ مروان بن محمد بأرمينية أن يزيد يولِّب الناس ، ويدعو إلى خلع
الوليد ؛ فكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان يأمره أن ينهَى الناس ويكشفهم
— وكان سعيد يتأله : إن الله جعل لكل أهل بيت أركاناً يعتمدون عليها ،
ويتقون بها المخاوف ، وأنت بمحمد ربك ركنٌ من أركان أهل بيتك ؛ وقد
بلغنى أن قوماً من سفهاء أهل بيتك قد استنوا أمرأ — إن تمت لهم رويةٌ بهم فيه
على ما أجمعوا عليه من نقض بيعتهم — استفتحوا باباً لن يغلقه الله عنهم
حتى تسفك دماء كثيرة منهم ؛ وأنا مشغل بأعظم ثغور المسلمين فرجاً ، ولو
جسمت سبى وإياهم لرممتُ فساد أمرهم بيدي ولسانى ، ولخفت الله في ترك
ذلك ؛ لعلمى ما فى عواقب الفرقة من فساد الدين والدنيا ؛ وأنه لن ينتقل
سلطان قوم قط إلا بتشتيت كلمتهم ؛ وإن كلمتهم إذا تشتت طمع
فيهم عدوهم . وأنت أقرب إليهم منى ، فاحتل لعلم ذلك وإظهار المتابعة لهم ؛
فإذا صرت إلى علم ذلك فتوددْهم بإظهار أسرارهم ، وخذْهم بلسانك ،
وخوفهم العواقب ؛ لعل الله أن يردَّ إليهم ما قد عزب عنهم من دينهم
وعقولهم ؛ فإن فيما سعوأ فيه تغير النعم وذهاب الدولة ، فعاجل الأمر وحبل
الألفة مشدودٌ ، والناس سكون ، والثغور محفوظة ؛ فإن للجماعة دولة من
الفرقة والسعة دافعاً من الفقر ، وللعهد منتقاصاً ، ودوكل الليالى مختلفة على
أهل الدنيا ، والتقلب مع الزيادة والنقصان ؛ وقد امتدت بنا — أهل البيت —
متابعات من النعم ، قد يعيها ^(٢) جميع الأمم وأعداء النعم وأهل الحسد لأهلها ؛
وبحسد إبليس خرج آدم من الجنة . وقد أمل القوم فى الفتنة أملاً ؛ لعل
أنفسهم تهلك دون ما أملوا ، ولكل أهل بيت مشائم يُغير الله النعمة بهم —

١٧٨٦/٢

١٧٨٧/٢

(٢) كذا فى ١ ، وفى ط : « يعنى بها » .

(١) الرضف : الحجارة المحماة .

فأعاذك الله من ذلك - فاجعلني من أمرهم على علم . حفظ الله لك دينك ، وأخرجك مما أدخلك فيه ، وغلب لك نفسك على رشدك .

فأعظم سعيد ذلك ، وبعث بكتابه إلى العباس ، فدعا العباس يزيد فعذله وتهدده ، فحذره يزيد ، وقال : يا أخي ، أخاف أن يكون بعض من حسدنا هذه النعمة من عدونا أن يُخزى بيننا ؛ وحسب له أنه لم يفعل . فصدمه .

حدثني أحمد ، قال : حدثنا عليّ ، قال : قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك : دخل (١) أبي بشر بن الوليد على عمي العباس ، فكلمته في خلع الوليد وبيعة يزيد ، فكان العباس ينهاه ، وأبى يراده ، فكنت أفرح وأقول في نفسي : أرى أبي يجترئ أن يكلم عمي ويرد عليه قوله ! وكنت أرى أن الصواب فيما يقول أبي ، وكان الصواب فيما يقول عمي ، فقال العباس : يا بني مروان ؛ إني أظن الله قد أذن في هلاككم (٢) ؛ وتمثل قائلا (٣) :

١٧٨٨/٢

إِنِّي أَعِيدُكُمْ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنٍ مِثْلِ الْجِبَالِ تَسَامَى ثُمَّ تَنْدَفِعُ
إِنَّ الْبَرِيَّةَ قَدْ مَلَّتْ سِيَاسَتَكُمْ فَاسْتَمْسِكُوا بِعُمُودِ الدِّينِ وَارْتَدُّوا
لَا تَلْجُمَنَّ ذُنُوبَ النَّاسِ أَنْفُسَكُمْ (٤)
لَا تَبْقُرَنَّ بِأَيْدِيكُمْ بُطُونَكُمْ فَشَمَّ لَا حَسْرَةَ تَغْنَى وَلَا جَزَعُ
قال : فلما اجتمع ليزيد أمره وهو متبدد ، أقبل إلى دمشق وبينه وبين
دمشق أربع ليال ، متنكراً في سبعة نفر على حمير (٥) ، فنزلوا بحرود على مَرَحَلَةٍ
من دمشق ، فرمى يزيد بنفسه فنام . وقال القوم لمولاي لعباد بن زياد : أما عندك
طعام فنشتره ؟ قال : أما لبيع فلا ، ولكن عندى قراكم وما يسعكم (٦) .
فأتاهم بدجاج وفراخ وعسل وسمن وشوانيز (٧) ، فطعموا . ثم سار فدخل

(١) الخبر في الأغاني ٧ : ٧٥ - ٧٧ ؛ بروايته عن أحمد بن الحارث عن المدائني ، عن جويرية بن أسماء . وروايته أيضاً عن ابن أبي الأزرع عن حماد عن أبيه عن جويرية بن أسماء ؛ عن ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك .
(٢) ب : « إهلاككم » .
(٣) ب : « وقال هذا الشعر » ، ف : « وقال » ، ابن الأثير ، « ثم تمثل » ؛ الأغاني :
(٤) ألحمت القوم : أطعمهم اللحم .
(٥) ١ : « على جمال » ، وفي الأغاني : « على حمير » . (٦) الأغاني : « من قراكم ما يشبعكم » .
(٧) الشوانيز : التوابل ، وفي ط : « شوايز » وأثبت ما في الأغاني .

١٧٨٩/٢

دمشق ليلا ، وقد بايع يزيد أكثر أهل دمشق سرّاً ، وبايع أهل المِزّة غير معاوية بن مصاد الكلبيّ - وهو سيد أهل المِزّة - فضى يزيد من ليلته إلى منزل معاوية بن مصاد ماشياً في نَفِير من أصحابه - وبين دمشق وبين المِزّة ميل أو أكثر - فأصابهم مطر شديد ، فأتوا منزل معاوية بن مصاد ، فضربوا بابه ، ففتح لهم ، فدخلوا^(١) ، فقال ليزيد : الفراش أصلحك الله ! قال : إن في رجلٍ طيناً ، وأكره أن أفسد بساطك ، فقال : الذي تريدنا عليه أفسد . فكلّمه يزيد فبايعه معاوية - ويقال هشام بن مصاد - ورجع يزيد إلى دمشق ؛ فأخذ طريق القناة ، وهو على حمار أسود ؛ فنزل دار ثابت بن سليمان^(٢) بن سعد الحُشنيّ ، وخرج الوليد بن رَوْح ، وحلف لا يدخل دمشق إلّا في السلاح ، فلبس سلاحه ، وكفّر عليه الثياب ، وأخذ طريق النّيرب - وهو على فرس أبلق - حتى وافى يزيد ، وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف فخاف الوباء ، فخرج فنزل قَطَنًا ، واستخلف ابنه على دمشق ، وعلى شُرطته أبو العاج كثير بن عبدالله السّلميّ ، فأجمع يزيد على الظهور ، فقيل للعامل^(٣) : إنّ يزيد خارج ، فلم يصدّق . وأرسل يزيد إلى أصحابه بين المغرب والعشاء ليلة الجمعة سنة ست^(٤) وعشرين ومائة ، فكمّنوا عند باب الفراديس حتى أذّنوا العتمة^(٥) ، فدخلوا المسجد ، فصلّوا - وللمسجد حَرَسٌ قد وُكِّلُوا بإخراج الناس من المسجد بالليل - فلمّا صلّى الناس صاح بهم الحرس ، وتباطأ أصحاب يزيد ، فجعلوا يخرجون من باب المقصورة ويدخلون من باب آخر حتى لم يبق في المسجد غير الحرس وأصحاب يزيد ، فأخذوا الحرس ، ومضى يزيد بن عتبّسة إلى يزيد بن الوليد ، فأعلمه وأخذ بيده ، وقال : قم يا أمير المؤمنين وأبشر بنصر الله وعونه ، فقام وقال : اللهم إن كان هذا لك رضا فاعنني عليه وسدّ دني له ؛ وإن كان غير ذلك فاصرفه عني بموت .

١٧٩٠/٢

وأقبل في اثني عشر رجلاً ، فلمّا كان عند سوق الحُمُر لقوا أربعين رجلاً من أصحابهم ، فلمّا كانوا عند سوق القمح لقيهم زهاء مائتي رجل من

(١) كذا في اوهو الصواب ، وفي ط : « فدخل » . (٢) الأغاني : « ثابت بن سليمان الحُسي » .
 (٣) الأغاني : « لعامل دمشق » .
 (٤) الأغاني : « سنة سبع وعشرين ومائة » .
 (٥) ابن الأثير : « أذن العشاء » .

أصحابهم ؛ ففَضُوا إلى المسجد فدخلوه ، فأخذوا بابَ المقصورة ففُضِرَوه وقالوا : رسل الوليد ؛ ففتح لهم الباب خادِم فأخذوه ودخلوا ، وأخذوا أبا العاج وهو سكران ، وأخذوا خُزَّانَ بيت المال وصاحب البريد ، وأرسل إلى كلِّ مَن كَانَ يحذره فأخِذَ . وأرسل يزيد من ليلته إلى محمد بن عبيدة — مولى سعيد ابن العاص وهو على بعليكَ — فأخذَه ، وأرسل من ليلته إلى عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف ، فأخذَه ووجَّهه إلى الثنيَّة إلى أصحابه ليأتوه ، وقال للبوابين : لا تفتحوا الباب غدوةً إلا لمن أخبركم بشعارنا^(١) . فتركوا الأبواب بالسلاسل . وكان في المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة ، ولم يكن الخُزَّان قبضوه ، فأصابوا سلاحاً كثيراً ، فلما أصبحوا جاء أهل المِزَّة وابن عصام ، فما انتصف النهار حتى تباع الناس ، ويزيد يتمثل [قول النابغة]^(٢) :

إذا استُنْزِلُوا عَنْهُنَّ لِلطَّغْنِ أَرْقُلُوا إِلَى الْمَوْتِ إِرْقَالَ الْجَمَالِ الْمَصَاعِبِ
فجعل أصحاب يزيد يتعجبون ، ويقولون : انظروا إلى هذا ؛ هو قبيل الصبح يُسَبِّحُ ، وهو الآن ينشد الشعر !

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عليّ ، قال : حدثنا عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال : حدثني رزين بن ماجد ، قال : غَدَوْنَا مع عبد الرحمن ابن مصاد ، ونحن زهاء ألف وخمسمائة ؛ فلما انتهينا إلى باب الجابية وجدناه مغلقاً ، وجدنا عليه رسلاً للوليد ، قال : ما هذه الهيئة وهذه العُدَّة ! أما والله لأعلمنَّ أمير المؤمنين . فقتله رجل من أهل المِزَّة ، فدخلنا من باب الجابية ، ثم أخذنا في زقاق الكلبيين ، فضاقت عنا ، فأخذ ناس منا سوق القمح ؛ ثم اجتمعنا على باب المسجد ، فدخلنا على يزيد ، فما فرغ آخرنا من التَّسْلِيم عليه ؛ حتى جاءت السَّكاسك في نحو ثلثمائة ، فدخلوا من باب الشرق حتى أتوا المسجد ، فدخلوا من باب الدَّرَج ، ثم أقبل يعقوب ابن عُمَيْر بن هانئ العبسيّ في أهل دارينَا ، فدخلوا من باب دمشق الصغير ، وأقبل عيسى بن شبيب التغلبيّ في أهل دُومَة وحرستنا ، فدخلوا من باب

(١) الأغاني : « إلا لمن أخبركم بشعار كذا وكذا » .

(٢) من الأغاني ، والبيت في ديوانه ٣ .

تُوما ، وأقبل حميد بن حبيب اللخمي في أهل دبر المُرَّان والأرزّة وسطرا ،
فدخلوا من باب الفرديس ، وأقبل النضر بن الحرثي في أهل جرّش وأهل
الحدِيثَة وديّر زكّا ، فدخلوا من باب الشرق ، وأقبل ربّعي بن هاشم الحارثي
في الجماعة من بني عُدرة وسلامان ، فدخلوا من باب تُوما ، ودخلت جُهيّة
ومنّ والأهم مع طلحة بن سعيد ، فقال بعض شعرائهم :

فجاءتهم أنصارهم حين أصبحوا سكا سكا أهل البيوت الصناديد
وكلب فجاءهم بخيل وعدة من البيض والأبدان ثم السواعد
فأكرم بهم أحياء أنصار سنة هم منعوا حرّمايتها كل جاحد
وجاءتهم شعبان والأزد شرعا وعبس وأخم بين حام وذائد
وغسان والحيان قيس وتغلب وأخجم عنها كل وإن وزاهد
فما أصبحوا إلا وهم أهل ملكها قد استوثقوا من كل عاتٍ ومارد

حدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد ، عن عمرو بن مروان
الكلبي ، قال : حدثني قُسيّم بن يعقوب ورزّين بن ماجد وغيرهما ، قالوا : وجّه
يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصاد في مائتي فارس أو نحوهم إلى قُطَن ؛
ليأخذوا عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف ، وقد تحصّن في قصره ^(١) ،
فأعطاه الأمان فخرج إليه ، فدخلنا القصر ، فأصبنا فيه خُرْجَيْن ، في
كل واحد منهما ثلاثون ألف دينار . قال : فلما انتهينا إلى المِزّة قلت
لعبد الرحمن بن مصاد : اصرف أحد هذين الخُرْجَيْن إلى منزلك أو كليهما ،
فإنك لا تصيب من يزيد مثلهما أبداً ، فقال : لقد عجلتُ إذاً بالخيانة ،
لا والله لا يتحدث العرب أني أوّل من خان في هذا الأمر ، ففضي به إلى
يزيد بن الوليد . وأرسل يزيد بن الوليد إلى عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ،
فأمره فوقف بباب الجابية ، وقال : من كان له عطاء فليأت إلى عطائه ، ومن
لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة . وقال لبني الوليد بن عبد الملك ومعه منهم
ثلاثة عشر : تفرّقوا في الناس يروّونكم وحضّورهم ، وقال للوليد بن رَوْح بن
الوليد : أنزل الرَّاهِبَ ، ففعل .

وحدثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال : حدثني
دُكين بن الشّماخ الكلبيّ وأبو عِلّاقة بن صالح السّلامانيّ أنّ يزيد بن الوليد
نادى بأمره مناد : من ينتدب إلى الفاسق وله ألف درهم ؟ فاجتمع إليه أقلّ
من ألف رجل ، فأمر رجلاً فنادى : من ينتدب إلى الفاسق وله ألف وخمسمائة ؟
فانتدب إليه يومئذ ألف وخمسمائة ، فعقد لمنصور بن جُهمور على طائفة ،
وعقد ليعقوب بن عبد الرحمن بن سُلَيم الكلبيّ على طائفة أخرى ، وعقد لحُمرم
ابن عبد الله بن دَحِيّة على طائفة أخرى ، وعقد لحُמיד بن حبيب اللّخميّ على
طائفة أخرى ، وعليهم جميعاً عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فخرج
عبد العزيز فعسكر بالحيرة^(١) .

وحدثني^(٢) أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عليّ ، عن عمرو بن مروان
الكلبيّ ، قال : حدثني يعقوب بن إبراهيم بن الوليد أنّ مولّى للوليد لما
خرج يزيد بن الوليد ، خرج على فرس له ، فأتى الوليد من يومه ، فنفق فرسه
حين بلغه ، فأخبر الوليد الخبر ، فضربه مائة سوط وجسه ، ثم دعا أبا محمد
ابن عبد الله بن يزيد بن معاوية فأجازه ، ووجهه إلى دمشق ، فخرج أبو محمد ،
فلما انتهى إلى ذُتَبّة أقام ، فوجّه يزيد بن الوليد إليه عبد الرحمن بن مصاد ،
فسأله أبو محمد ، وباع ليزيد بن الوليد وأتى الوليد الخبر ، وهو بالأغدف -
والأغدف من عمّان - فقال بيّس بن زُمَيْل الكلابيّ - ويقال قاله يزيد بن
خالد بن يزيد بن معاوية : يا أمير المؤمنين ، سر حتى تنزل حمص فإنها
حصينة ، ووجه الجنود إلى يزيد فيقتل أو يؤسر . فقال عبد الله بن عنبسة
ابن سعيد بن العاص : ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره ونساءه قبل أن يقاتل
ويُعذر ، والله مؤيدٌ أمير المؤمنين وناصرُهُ . فقال يزيد بن خالد : وماذا يخاف
على حرمة ! وإنما أتاه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وهو ابن عمهنّ ،
فأخذ بقول ابن عنبسة ، فقال له الأبرش سعيد بن الوليد الكلبيّ :
يا أمير المؤمنين ، تدّمرُ حصينة ، وبها قومي يمنعونك ، فقال : ما أرى أن نأتي
تدّمرُ أهلها بنو عامر ؛ وهم الذين خرجوا علىّ ؛ ولكن دُلّني على منزل

(٢) الأغاني ٧ : ٧٩ وما بعدها .

(١) الأغاني ٧ : ٨٧ .

حصين ، فقال : أرى أن تنزل القرية ، قال : أكرهها ، قال : فهذا الهزيم ، قال : أكره اسمه ، قال : فهذا البسخراء ، قصر النعمان بن بشير ، قال : ويحك ! ما أقبح أسماء مياهمكم ! فأقبل في طريق السماوة ، وترك الرّيف ، وهو في مائتين ، فقال :

إذا لم يكن خيرٌ مع الشرِّ لم تجِدْ نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزعُ
إذا ما همُّ همّوا بإحدى همتّاتهم حسرتُ لهم رأسي فلا أتقنعُ
فرّ بشبكة الضحّاك بن قيس الفهريّ ؛ وفيها من ولد وولد ولده أربعون رجلاً ، فساروا معه وقالوا : إنا عزّل ؛ فلو أمرت لنا بسلاح ! فما أعطاهم سيفاً ولا رُحماً ، فقال له بيهس بن زُمَيْل : أمّا إذْ أبيت أن تمضي إلى حِمص وتدّمرُ فهذا الحصن البسخراء فإنه حصين ، وهو من بناء العجم فانزله ، قال : إني أخاف الطاعون ، قال : الذي يراد بك أشدّ من الطاعون ؛ فنزل حصن البسخراء .

١٧٩٧/٢

قال : فندب يزيد بن الوليد الناس إلى الوليد مع عبد العزيز ، ونادى مناديه : من سار معه فله ألفان ، فانتدب ألفا رجل ، فأعطاهم ألفين ألفين ، وقال : موعدكم بدّنة ، فوافى بدّنة ألف ومائتان ، وقال : موعدكم مصنعة بنى عبد العزيز بن الوليد بالبريّة ، فوافاه ثمانمائة ، فسار ، فتلقاهم ثقل^(١) الوليد فأخذوه ، ونزلوا قريباً من الوليد ، فأثاه رسول العباس بن الوليد : إني آتيك ، فقال الوليد : أخرجوا سريراً ، فأخرجوا سريراً فجلس عليه وقال : أعلىّ تؤثب الرجال ، وأنا أثب على الأسد وأتخصّر^(٢) الأفاعي ! وهم ينتظرون العباس ، فقاتلهم عبد العزيز ، وعلى الميمنة عمرو بن حوى السكسكى وعلى المقدمة منصور بن جمهور وعلى الرجالة ثُمارة بن أبي كلثم الأزدي ، ودعا عبد العزيز ببغل له أدّهم فركبه ، وبعث إليهم زياد بن حصين الكلبي يدعومهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، فقتله قطريّ مولى الوليد ، فانكشف أصحاب يزيد ، ففرجّل^(٣) عبد العزيز ، ففكر أصحابه ، وقد قتل من أصحابه عدّة ، وحملت

١٧٩٨/٢

(٢) تخصر : أخذ المخرة بيده .

(١) الثقل : المتاع .

(٣) ح ، ف : « فدخل » .

رءوسهم إلى الوليد وهو على باب حصن البـخـراء قد أخرج لواء مروان بن الحكم الذي كان عقده بالجابية ، وقتل من أصحاب الوليد بن يزيد عثمان الحشبي ، قتله جناح بن نعيم الكلبي ، وكان من أولاد الحشبيّة الذين كانوا مع المختار .

وبلغ عبد العزيز مسيرُ العباس بن الوليد ، فأرسل منصور بن جُمهور في خيل^(١) ، وقال : إنكم تلقون العباس في الشَّعب ، ومعه بنوه [في الشَّعب]^(٢) فخذوهم . فخرج منصور في الخيل فلما صاروا بالشَّعب إذا هم بالعباس في ثلاثين من بنيهِ ، فقالوا له : اعدل إلى عبد العزيز ، فشتَمَهم ، فقال له منصور : والله لئن تقدّمتَ لأنفُذَنّا حصينَكَ — يعني درعَكَ — وقال نوح بن عمرو بن حُويّ السكسكي : الذي لقي العباس بن الوليد يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم الكلبي — فعدل به إلى عبد العزيز ، فأبى عليه فقال : يابن قسطنطين ؛ لئن أبستَ لأضربنّ الذي فيه عيناك ، فنظر العباس إلى هَرَم بن عبد الله بن دحية ، فقال : مَنْ هذا ؟ قال : يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم ، قال : أما والله إن كان لبغيضاً^(٣) إلى أبيهِ أن يقف ابنُهُ هذا الموقف ؛ وعدل به إلى عسكر عبد العزيز ، ولم يكن مع العباس أصحابه ، كان تقدّمهم مع بنيهِ ، فقال : إنا لله ! فأتوا به عبد العزيز ، فقال له : بايع لأخيك يزيد بن الوليد ، فبايع ووقف ونصبوا راية ، وقالوا : هذه راية العباس بن الوليد ، وقد بايع لأمير المؤمنين يزيد بن الوليد ، فقال العباس : إنا لله ! خُدْ عَتَةً من خُدْع الشيطان ! هلك بنو مروان . فتفرق النَّاس عن الوليد ، فأتوا العباس وعبد العزيز وظاهر الوليد بين درعين : وأتوه بفرسيه : السندى والزائد ، فقاتلهم قتالا شديداً ، فناداهم رجل : اقتلوا عدو الله قِتْلَةً قوم لوط ، ارموه بالحجارة^(٤) .

(١) في الأغاني : « جريدة خيل » ، والجريدة : الجماعة من الخيل .

(٢) من الأغاني . (٣) ب : « إلا بغيضاً » .

(٤) بعدها في الأغاني ٧ : ٧٩ : « فرموه بالحجارة ؛ فلما سمع ذلك دخل القصر ، وأغلق

الباب ، وقال :

دَعُوا لِي سُلَيْمِي وَالطَّلَاءَ وَقَيْنَةَ وَكَأْساً أَلَا حَسْبِي بِذَلِكَ مَالاً =

فلما سمع ذلك دخل القصر ، وأغلق الباب ، وأحاط عبد العزيز وأصحابه بالقصر ، فدنا الوليد من الباب ، فقال : أمّا فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكّله ! فقال له يزيد بن عنبسة السكسكي : كلمني ، قال له : من أنت ؟ قال : أنا يزيد بن عنبسة ، قال : يا أخا السكاسكك ؛ ألم أزد في أعطياتكم ! ألم أرفع المؤن عنكم ! ألم أعط فقراءكم ! ألم أخدم زمناًكم (١) ! فقال : إنا ما ننقم عليك في أنفسنا ، ولكن ننقم عليك في انتهاك ما حرّم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله ؛ قال : حسبك يا أخا السكاسك ، فلعمري لقد أكثرت وأغرقت (٢) ؛ وإن فيما أحلّ لي لسعة عمّا ذكرت . ورجع إلى الدار فجلس وأخذ مصحفاً ، وقال : يوم كيوم (٣) عثمان ؛ ونشر المصحف يقرأ ، فعملوا الحائط ، فكان أول من علا الحائط يزيد بن عنبسة السكسكي ، فنزل إليه وسيف الوليد إلى جنبه ، فقال له يزيد : نَح سيفك ، فقال له الوليد : لو أردتُ السيف لكانتُ لي ولك حالة فيهم (٤) غير هذه ، فأخذ بيد الوليد ؛ وهو يريد أن يحبسه ويؤامر فيه . فنزل من الحائط عشرة : منصور بن جمهور وحبّال بن عمرو الكلبي وعبد الرحمن بن عجلان مولى يزيد بن عبد الملك وحמיד بن نصر اللخمي والسريّ بن زياد بن أبي كبشة وعبد السلام اللخمي ، فضربه عبد السلام على رأسه ، وضربه السريّ على وجهه ، وجروه بين خمسة ليخرجوه (٥) . فصاحت امرأة كانت معه في الدار ، فكفّوا عنه ولم يخرجوه ، واحتزّ أبو علاقة القضاعي رأسه ، فأخذ عقيباً (٦)

١٨٠٠/٢

= إذا ماصفا عيش برملة عالج وعانقت سلمى لا أريد بدالا
خذوا ملككم ، لا ثبت الله ملككم ثباتاً يساوي ما حبيت عقلا
وخلوا عني قبل غير وما جرى ولا تحسدوني أن أموت هزالا

(١) بعدها في الأغاني : « ودفت عنكم المؤن ! » .
(٢) في الأغاني : « لقد أغرقت فأكثر » . (٣) يريد عثمان بن عفان فإنه لما قتل كان يقرأ في المصحف ، وجرى دمه عليه . (٤) من الأغاني .

(٥ - ٥) : « وهو يريد أن يدخله بيتاً ويؤامره ، فنزل من الحائط عشرة ؛ فيهم منصور بن جمهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسريّ بن زياد بن أبرهة ، فضربه عبد الرحمن السلمي على رأسه ضربة ، وضربه السريّ بن زياد على وجهه ، وجروه بين خمسة ليخرجوه » .
(٦) العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

١٨٠١/٢

فخاط الضربة التي في وجهه ، وقدم بالرأس على يزيد رَوْح بن مقبل ، وقال :
أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق الوليد وأسّر من كان معه ، والعباسين -
ويزيد يتغلّى - فسجد ومن كان معه ، وقام يزيد بن عنبسة السكسكى ،
وأخذ بيد يزيد ، وقال : قم يا أمير المؤمنين ، وأبشر بنصر الله ، فاختلج يزيد
يده من كفّه ، وقال : اللّٰهُمَّ إن كان هذا لك رضاً فسدّ دنى ، وقال ليزيد بن
عنبسة : هل كلمكم الوليد ؟ قال : نعم ، كلمني من وراء الباب ، وقال :
أما فيكم ^(١) ذو حجب فأكلمه ! فكلّمته ووبّخته ، فقال : حسبك ، فقد
لعمري أغرقت وأكثر ، أما والله لا يترتق فتقكم ، ولا يلّم شعثكم ، ولا
تجتمع كلمتكم .

حدثني أحمد عن عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال : قال نوح
ابن عمرو بن حوىّ السكسكى : خرجنا إلى قتال الوليد في ليالٍ ليس فيها
قمر ؛ فإن كنت لأرى الحصى فأعرف أسوده من أبيضه . قال : وكان عليّ
ميسرة الوليد بن يزيد الوليد بن خالد ، ابن أخى الأبرش الكلبيّ في بنى عامر -
وكانت بنو عامر ميمنة عبد العزيز - فلم تقاتل ميسرة الوليد ميمنة عبد العزيز ،
ومالوا جميعاً إلى عبد العزيز بن الحجاج . قال : وقال نوح بن عمرو : رأيت
خدّم الوليد بن يزيد وحشّمه يوم قُتِل يأخذون بأيدي الرجال ،
فيدخاؤهم عليه .

١٨٠٢/٢

وحدثني أحمد عن عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال : حدثني
المثنى بن معاوية ، قال : أقبل الوليد فنزل اللؤلؤة ، وأمر ابنه الحكم والمؤمل
ابن العباس أن يفرضا لمن أتاهما ستين ديناراً في العطاء ، فأقبلت أنا وابن
عمى سليمان بن محمد بن عبد الله إلى عسكر الوليد ، فقرّبني المؤمل وأدنانى .
وقال : أدخلك على أمير المؤمنين ، وأكلمه حتى يفرض لك في مائة دينار .
قال المثنى : فخرج الوليد من اللؤلؤة فنزل المليكة ، فأثاه رسول عمرو بن
قيس من حِمص يخبره أن عمرًا قد وجّه إليه خمسمائة فارس ، عليهم
عبد الرحمن بن أبي الجسّوب البهرانيّ ، فدعا الوليد الضحّاك بن أيمن من

بنى عوف بن كلب ، فأمره أن يأتي ابن أبي الجنوب — وهو بالغوير — فيستعجله ، ثم يأتي الوليد بالمليكة . فلما أصبح أمر الناس بالرحيل ، وخرج على برذون كُسميت ، عليه قباء خزّ وعمامة خزّ ، محتزماً برِيطَة رقيقة قد طواها ، وعلى كتفيه رِيطَة صفراء فوق السيف ، فلقبه بنو سليم بن كيسان في ستة عشر فارساً ، ثم سار قليلاً ، فتلقاه بنو النعمان بن بشير في فوارس ، ثم أتاه الوليد ابن أخي الأبرش في بني عامر من كَلَب ، فحمله الوليد وكساه ، وسار الوليد على الطريق ثم عدل في تَلْعَة يقال لها المشبهة ، فلقبه ابن أبي الجنوب في أهل حِمْنَص . ثم أتى البَخْرَاء ، فضج أهل العسكر ، وقالوا : ليس معنا عِلَاف لدوابنا ، فأمر رجلاً فنادى : إن أمير المؤمنين قد اشترى زُرُوع القرية ، فقالوا : ما نصنع بالقصيل^(١) ! تضعف عليه دوابنا ، وإنما أرادوا الدراهم .

١٨٠٣/٢

قال المثنى : أتيت الوليد ، فدخلت من مؤخر الفُسطاط ، فدعا بالغداء ، فلما وُضع بين يديه أتاه رسولُ أمّ كَلْثُوم بنت عبد الله بن يزيد بن عبد الملك يقال له عمرو بن مُرّة ، فأخبره أن عبد العزيز بن الحجاج ؛ قد نزل اللؤلؤة ، فلم يلتفت إليه ، وأتاه خالد بن عثمان الخراش — وكان على شُرطه — برجل من بني حارثة بن جناب ، فقال له : إنني كنتُ بدمشق مع عبد العزيز ، وقد أتيتك بالخبر ، وهذه ألف وخمسمائة قد أخذتها — وحلّ هِمِياناً من وسطه ، وأراه — وقد نزل اللؤلؤة ؛ وهو غاد منها إليك ، فلم يجبه والتفت إلى رجل إلى جنبه ، وكلمه بكلام لم أسمعته ، فسألت بعض مَنْ كان بيني وبينه عما قال ، فقال : سأله عن النهر الذي حفره بالأردن : كم بقي منه ؟ وأقبل عبد العزيز من اللؤلؤة ، فأتى المليكة فحازها ، ووجه منصور بن جمهور ، فأخذ شرقى القرى — وهو تل مشرف في أرض مَلَسَاء على طريق نِهْشٍ إلى البَخْرَاء — وكان العباس بن الوليد تهيأ في نحو من خمسين ومائة من مواليه وولده ، فبعث العباس رجلاً من بني ناجية يقال له حُبَيْش إلى الوليد يخبره بين أن يأتيه فيكون معه ؛ أو يسير إلى يزيد بن الوليد . فاتتهم الوليد العباس ، فأرسل إليه يأمره أن يأتيه

١٨٠٤/٢

فيكون معه ، فلقى منصور بن جمهور الرسول ، فسأله عن الأمر فأخبره ، فقال له منصور : قل له : والله لئن رحلت من موضعك قبل طلوع الفجر لأقتلنك ومن معك ؛ فإذا أصبح فليأخذ حيث أحب . فأقام العباس يتهياً ؛ فلما كان في السحر سمعنا تكبير أصحاب عبد العزيز قد أقبلوا إلى البسخراء ، فخرج خالد بن عثمان المخراش ، فعبأ الناس ؛ فلم يكن بينهم قتال حتى طلعت الشمس ؛ وكان مع أصحاب يزيد بن الوليد كتاب معلق في رمح ، فيه : إنا نندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن يصير الأمر شورى . فاقتتلوا فقتل عثمان الخشبي ، وقتل من أصحاب الوليد زهاء ستين رجلاً ، وأقبل منصور بن جمهور على طريق نيهيا ، فأتى عسكر الوليد من خلفهم ، فأقبل إلى الوليد وهو في فسطاطه ؛ ليس بينه وبين منصور أحد . فلما رأيته خرجت أنا وعاصم بن هبيرة المتعافري خليفة المخراش ، فأنكشف أصحاب عبد العزيز ، ونكص أصحاب منصور ، وصرع سمي بن المغيرة وقتل ، وعدل منصور إلى عبد العزيز . وكان الأبرش على فرس له يدعى الأديم ، عليه قنسسوة ذات أذنين ؛ قد شدّها تحت لحيته ؛ فجعل يصيح بأبن أخيه : يابن اللخناء ، قدّم رأيته ، فقال له : لا أجد متقدماً ، إنها بنو عامر . وأقبل العباس بن الوليد فمّنه أصحاب عبد العزيز ، وشدّ مولى لسليمان بن عبد الله بن دحية — يقال له التركي — على الحارث بن العباس بن الوليد ، فطعنه طعنة أذراه عن فرسه ؛ فعدل العباس إلى عبد العزيز ، فأسقط في أيدي أصحاب الوليد وانكسروا . فبعث الوليد بن يزيد الوليد بن خالد إلى عبد العزيز بن الحجاج بأن يعطيه خمسين ألف دينار ، ويجعل له ولاية حمص ما بقي ، ويؤمّنه على كل حدّث ، على أن ينصرف ويكف ؛ فأبى ولم يجبه ، فقال له الوليد : ارجع إليه فعاوده أيضاً ، فأتاه الوليد فلم يجبه إلى شيء ، فانصرف الوليد ؛ حتى إذا كان غير بعيد عطف دابّته ، فدنا من عبد العزيز ، فقال له : أتجعل لي خمسة آلاف دينار وللأبرش مثلها ، وأن أكون كأخص رجل من قومي منزلة وآتيك ، فأدخل معك فيما دخلت فيه ؟ فقال له عبد العزيز : على أن تحمل الساعة على أصحاب الوليد ؛ ففعل . وكان

١٨٠٦/٢

على ميمنة الوليد معاوية بن أبي سفيان بن يزيد بن خالد، فقال لعبد العزيز :
 أتجعل لي عشرين ألف دينار وولاية الأردن والشركة في الأمر على أن أصير
 مهكم ؟ قال : على أن تحمل على أصحاب الوليد من ساعتك ، ففعل ،
 فانهزم أصحاب الوليد . وقام الوليد فدخل البسخرءاء ، وأقبل عبد العزيز فوقف
 على الباب وعليه سلسلة ، فجعل الرجل بعد الرجل يدخل من تحت السلسلة .
 وأتى عبد العزيز عبد السلام بن بكير بن شماس اللخمي ، فقال له : إنه يقول :
 أخرج على حكمك ، قال : فليخرج ؛ فلما ولّى قيل له : ما تصنع بخروجه !
 دعه يكفئكم الناس . فدعا عبد السلام فقال : لا حاجة لي فيما عرض عليّ ،
 فنظرت إلى شاب طويل على فرس ، فدنا من حائط القصر فعلاه ، ثم
 صار إلى داخل القصر . قال : فدخلت القصر ، فإذا الوليد قائم في قميص قصص
 وسراويل وشئ ، ومعه سيف في غمد والناس يشتمونه ، فأقبل إليه بشر بن شيبان
 مولى كنانة بن عمير ؛ وهو الذي دخل من الحائط ، فضى الوليد يريد الباب — أظنه
 أراد أن يأتي عبد العزيز — وعبد السلام عن يمينه ورسول عمرو بن قيس عن يساره ،
 فضربه على رأسه ؛ وتعاوره الناس بأسيا فهم فقتل ، فطرح عبد السلام نفسه
 عليه يحتز رأسه — وكان يزيد بن الوليد قد جعل في رأس الوليد (١) مائة ألف —
 وأقبل أبو الأسد مولى خالد بن عبد الله القسري فسلخ من جلد الوليد قد ر
 الكف ، فأق بها يزيد بن خالد بن عبد الله ، وكان محبوساً في عسكر الوليد ،
 فانتهب الناس عسكر الوليد وخزائنه ، وأتاني يزيد العلّيميّ أبو البَطريق بن
 يزيد ؛ وكانت ابنته عند الحكم بن الوليد ، فقال : امنع لي متاع ابنتي ، فما
 وصل أحدٌ إلى شئ عزم أنه له .

١٨٠٧/٢

قال أحمد : قال عليّ : قال عمرو بن مروان الكلبيّ : لما قُتل الوليد
 قُطعت كفته اليسرى ، فبُعِث بها إلى يزيد بن الوليد ، فسبقت الرأس ؛ قدِم
 بها ليلة الجمعة ، وأتى برأسه من الغد ، فنصبه للناس بعد الصلاة . وكان أهل
 دمشق قد أرجفوا بعبد العزيز ، فلما أتاهاهم رأس الوليد سكتوا وكفّوا .
 قال : وأمر يزيد بنصب الرأس ، فقال له يزيد بن فروة مولى بني مروان :

لما تنصب رءوس الخوارج ، وهذا ابن عَمَكْ ؛ وخليفة ، ولا آمنُ إن نصبتَه
أن ترقّ له قابو الناس ، ويغضب له أهل بيته ؛ فقال : والله لأنصبتَه ،
فنصبه على رمح ، ثم قال له : انطلق به ، فطُفَّ به في مدينة دمشق ؛ وأدخله دار
أبيه . ففعل ، فصاح الناس وأهل الدار ، ثم رَدَّه إلى يزيد ، فقال : انطلق به
إلى منزلك ؛ فكث عنده قريباً من شهر ، ثم قال له : ادفعه إلى أخيه سليمان —
وكان سليمان أخو الوليد من سعى على أخيه — فغسل ابن فروة الرأس ، ووضعهُ
في سَفَط ، وأتى به سليمان ، فنظر إليه سليمان ، فقال : بُعْدًا له ! أشهد أنه
كان شَرُوبًا للخمر ، ماجنًا فاسقًا ؛ واقدأرأني على نفسي الفاسق . فخرج
ابن فروة من الدار ، فتلقته مولاة الوليد ، فقال لها : ويحك ! ما أشدَّ ما شتمه !
زعم أنه أرادَه على نفسه ! فقالت : كذب والله الخبيث ، ما فعل ، ولئن كان
أرادَه على نفسه لقد فَعَلَ ؛ وما كان ليقدر على الامتناع منه .

١٨٠٨/٢

وحدثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال : حدثني
يزيد بن مَصَاد عن عبد الرحمن بن مصاد ، قال : بعثني يزيد بن الوليد إلى
أبي محمد السفيناني — وكان الوليد وجهه حين بلغه خبر يزيد واليًا على دمشق
وأني دَنَبْتُهُ ؛ وبلغ يزيد خبره ، فوجهني إليه — فأتيته ، فسالم وباع ليزيد .
قال : فلم نرم حتى رُفِعَ لنا شخص مُقْبِلٌ من ناحية البَرِّيَّة ، فبعثت إليه ،
فأتيته به فإذا هو الغَزِيلُ أبو كامل المغنّي ، على بغلة لوليد تدعى مريم ،
فأخبرنا أن الوليد قد قتل ، فانصرف إلى يزيد ، فوجدت الخبر قد أتاه قبل
أن آتِيَهُ .

١٨٠٩/٢

حدثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو^(١) بن مروان الكلبيّ ، قال : حدثني
دُكَيْن بن شَمَاح الكلبيّ ثم العامريّ ، قال : رأيت بشر بن هلباء العامريّ يوم
قُتِلَ الوليد ضرب باب البَخْرَاء بالسيف ، وهو يقول :

سَنَبِكِي خَالِدًا بِمُهَنْدَاتٍ وَلَا تَذْهَبِ صَنَائِعُهُ ضَلَالًا

وحدثني أحمد ، عن عليّ ، عن أبي عاصم الزيّاديّ ، قال : ادّعى قتل
الوليد عشرة ، وقال : إني رأيتُ جلدة رأس الوليد في يدِ وَجْه الفلّس ،

فقال : أنا قتلته ؛ وأخذت هذه الجلدة ، وجاء رجل فاحتزَّ رأسه ، وبقيت هذه الجلدة في يدِي . واسم وجه الفلّس عبد الرحمن ، قال : وقال الحكم بن النعمان مولى الوليد بن عبد الملك : قدم برأس الوليد على يزيد منصور بن جمهور في عشرة ؛ فيهم رَوْح بن مُقْبِل ، فقال رَوْح : يا أمير المؤمنين ؛ أبشر بقتل الفاسق وأسر العباس ؛ وكان فيمن قدم بالرأس عبد الرحمن وجه الفلّس (١) ، وبشر مولى كنانة من كلب ؛ فأعطى يزيد كلَّ رجل منهم عشرة آلاف . قال : وقال الوليد يوم قُتِل وهو يقاتلهم : مَنْ جاء برأس فله خمسمائة ؛ فجاء قوم بأرؤس ، فقال الوليد : اكتبوا أسماءهم ، فقال رجل من مواليه ممن جاء برأس : يا أمير المؤمنين ؛ ليس هذا بيوم يعمَل فيه بنسيئة !

قال : وكان مع الوليد مالك بن أبي السمع المغنّى وعمرو الوادى ؛ فلما تفرّق عن الوليد أصحابه ، وحُصِر ، قال مالك لعمر : اذهب بنا ، فقال عمرو : ليس هذا من الوفاء ؛ ونحن لا نُعَرَضُ لَنَا لَأَنَا لسنّا ممن يقاتل ، فقال مالك : وياك ! والله لئن ظفروا بنا لا يقتل أحد قبلى وقبلك ؛ فيوضع رأسه بين رأسينا ؛ ويقال للناس : انظروا مَنْ كان معه في هذه الحال ؛ فلا يعيبونه بشيء أشدّ من هذا ؛ فهربا .

١٨١٠/٢

* * *

وقتل الوليد بن يزيد يوم الخميس لليلتين بقيتا من جما دى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، كذلك قال أبو معشر ؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه . وكذلك قال هشام بن محمد ومحمد ابن عمر الواقدي وعليّ بن محمد المدائني .

واختلفوا في قَدْر المدة التي كان فيها خليفة ؛ فقال أبو معشر : كانت خلافته سنة وثلاثة أشهر ، كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .

وقال هشام بن محمد : كانت خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً .

(١) هو عبد الرحمن بن الخطاب ، وانظر الفهرس .

واختلفوا أيضاً في مبلغ سنّهُ يوم قتل ، فقال هشام بن محمد الكلبي : قتل وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وقال محمد بن عمر : قتل وهو ابن ست وثلاثين سنة ، وقال بعضهم : قتل وهو ابن اثنتين وأربعين سنة . وقال آخرون : وهو ابن إحدى وأربعين سنة ، وقال آخرون : ابن خمس وأربعين سنة ، وقال بعضهم : وهو ابن ست وأربعين سنة .

وكان يكنى أبا العباس ، وأمّه أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي ؛ وكان شديد الباطش ، طويل أصابع الرجلين ؛ كان^(١) يوتد له سكة حديد فيها خيط ويشدّ الخيط في رجله ، ثم يثب على الدابة ، فينتزع السكة ويركب ، ما يمسّ الدابة بيده .

وكان شاعراً شروباً للخمر ؛ حدّثني أحمد ، قال : حدّثنا عليّ ، عن ابن أبي الزناد ، قال : قال أبي : كنتُ عند هشام وعنده الزهريّ ، فذكر الوليد ، فتتقّصاه وعاباه عيباً شديداً ، ولم أعرض في شيء مما كانا فيه ؛ فاستأذن الوليد ، فأذن له ، وأنا أعرف الغضب في وجهه ، فجلس قليلاً ، ثم قام . فلما مات هشام كتب فيّ فحملت إليه فرحب بي ، وقال : كيف حالك يا بن ذكوان ؟ وألطف المسألة بي ، ثم قال : أتذكرُ يوم الأحول وعنده الفاسق الزهريّ ، وهما يعيباني ؟ قلت : أذكر ذلك ؛ فلم أعرض في شيء مما كانا فيه ، قال : صدقت ؛ أرايت الغلام الذي كان قائماً على رأس هشام ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه نم^(٢) إلى بما قال ؛ وإيم الله لو بقى الفاسق — يعني الزهريّ — لقتلته ، قلت : قد عرفتُ الغضب في وجهك حين دخلت . ثم قال : يا بن ذكوان ، ذهب الأحول بعمرى ، فقلت : بل يطيل الله لك عمرك يا أمير المؤمنين ، ويمتّع الأمة ببقاتك ؛ فدعا بالعشاء فتعشنا ، وجاءت المغرب فصلينا ، وتحدّثنا حتى جاءت العشاء الآخرة فصلينا وجلس ، وقال : اسقني ؛ فجاءوا بإناء مغطّى ، وجاء ثلاث جوار فصُفّقن^(٣) بين يديه ، بيني وبينه ، ثم شرب ؛ وذهبنا فتحدّثنا ، واستسقى فصنعن مثل ما صنعن أولاً ؛ قال : فما زال عليّ

(١) ب ، ح : « وكان » .

(٢) ط : « نمي » ، وما أثبتته من .

(٣) ط : « صفقن » ، تصحيف .

ذلك يتحدث ويستسقى ويصنعن مثل ذلك حتى طلع الفجر ، فأحصيتُ له سبعين قدحاً .

• • •

[خبر قتل خالد بن عبد الله القسرى]

وفي هذه السنة قتل خالد بن عبد الله القسرى .

• ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك :

قَدْ تقدّم ذكرنا الخبر عن عزل هشام إياه عن عمله ولايته العراق وخراسان واستعماله على العراق يوسف بن عمر ؛ وكان — فيما ذكر — عمل لهشام على ذلك خمس عشرة سنة غير أشهر ؛ وذلك أنه — فيما قيل — ولي العراق لهشام سنة خمس ومائة ، وعُزل عنها في جمادى الأولى سنة عشرين ومائة . ولما عزله هشام وقدم عليه يوسف واسطاً أخذه وحبسه بها ، ثم شخص يوسف بن عمر إلى الحيرة ؛ فلم يزل محبوساً بالحيرة تمام ثمانية عشر شهراً مع أخيه إسماعيل بن عبد الله وابنه يزيد بن خالد وابن أخيه المنذر بن أسد بن عبد الله . واستأذن يوسف هشاماً في إطلاق يده عليه وتعذيبه ، فلم يأذن له حتى أكثر عليه ، واعتلّ عليه بانكسار الخراج وذهاب الأموال ، فأذن له مرة واحدة ، وبعث حرسياً يشهد ذلك ؛ وحلف : لئن أتى على خالد أجله وهو في يده ليقتلنه ؛ فدعا به يوسف ؛ فجلس على دكان بالحيرة وحضر الناس ، وبسط^(١) عليه ؛ فلم يكلّمه واحدة حتى شتمه يوسف ، فقال : يا بن الكاهن — يعنى شقّ بن صعب الكاهن — فقال له خالد : إنك لأحمق ، تعيّرني بشرفي ! واكنك يا بن السباء ، إنما كان أبوك سبّاء خمر — يعنى يبيع الخمر — . ثم رده إلى حبسه ، ثم كتب إليه هشام يأمره بتخليه سبيله في شوال سنة إحدى وعشرين ومائة ، فنزل خالد في قصر إسماعيل بن عبد الله بدوران ، خلف جسر الكوفة ، وخرج يزيد بن خالد وحده ؛ فأخذ على بلاد طيّي ؛ حتى ورد دمشق ، وخرج خالد ومعه إسماعيل والوليد ؛ قد جهّزهم عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد ابن العاص ، وبعث بالأنقال إلى قصر بني مقاتل ، وكان يوسف قد بعث خيلاً ، فأخذت الزاد والأنقال والإبل وموالى لخالد كانوا فيها ، فضرب وباع

١٨١٣/٢

ما أخذ لهم ، وردّ بعض الموالى إلى الرّقّ ، فقدم خالد قصر بني مقاتل ؛ وقد أخذ كل شيء لهم ، فسار إلى هيت ، ثم تحمّلوا إلى القرية — وهى بإزاء باب الرّصافة — فأقام بها بقيّة شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم وصفر ؛ لا يأذن لهم هشام فى القدوم عليه ؛ والأبرش يكاتب خالداً . وخرج زيد بن على فقتل .

قال الهيثم بن عدى — فيما ذكر عنه — : وكتب يوسف إلى هشام : إن أهل هذا البيت من بنى هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً ؛ حتى كانت همّة أحدهم قوت عياله ؛ فلما ولى خالد العراق أعطاهم الأموال فقتلوا بها حتى تاقت أنفسهم إلى طلب الخلافة ، وما خرج زيد إلا عن رأى خالد ؛ والدليل على ذلك نزول خالد بالقرية على مدّ رجّة العراق يستنشى^(١) أخبارها .

فسكت هشام حتى فرغ من قراءة الكتاب ، ثم قال للحكم بن حزن القينى — وكان على الوفد ، وقد أمره يوسف بتصديق ما كتب به ، ففعل — فقال له هشام : كذبت وكذب من أرسلك ؛ ومهما اتّهمنا خالداً فلسنا نتهّمه فى طاعة ؛ وأمر به فوجئست عنقه . وبلغ الخبر خالداً فسار حتى نزل دمشق فأقام حتى حضرت الصائفة ، فخرج فيها ومعه يزيد وهشام ابنا خالد بن عبد الله ؛ وعلى دمشق يومئذ كلثوم بن عيسى القسرى ، وكان متحاملاً على خالد ؛ فلما أدربوا^(٢) ظهر فى دور دمشق حريق ؛ كل ليلة يلقى رجل من أهل العراق يقال له أبو العمرس وأصحاب له ؛ فإذا وقع الحريق أغاروا يسرقون . وكان إسماعيل بن عبد الله والمندر بن أسد بن عبد الله وسعيد ومحمد ابنا خالد بالساحل لحدث كان من الروم ؛ فكتب كلثوم إلى هشام يذكر الحريق ، ويخبره أنه لم يكن قط ؛ وأنه عمّل موالى^(٣) خالد ؛ يريدون الوثوب على بيت المال . فكتب إليه هشام يأمره أن يحبس آل خالد ؛ الصغير منهم والكبير ، ومواليهم والنساء ؛ فأخذ إسماعيل والمندر ومحمد وسعيد من الساحل فقدم بهم فى الجوامع ومن كان معهم من مواليهم ؛ وحبس أم جرير بنت

(١) يستنشى الأخبار : يبحث عنها .

(٢) يقال : أدرب القوم ؛ إذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم .

(٣) ب : « موال خالد » .

خالد والرافقة وجميع النساء والصبيان ؛ ثم ظهر على أبي العمرّس ؛ فأخذ ومَن كان معه . فكتب الوليد بن عبد الرحمن عامل خراج دمشق إلى هشام يخبره بأخذ أبي العمرّس ومَن كان معه ؛ ساهم رجلا رجلا ، ونسبهم إلى قبائلهم وأمصارهم ، ولم يُذكر فيهم أحد من موالى خالد ، فكتب هشام إلى كلثوم يشتّمه ويعتقه ، ويأمره بتخلية سبيل جميع من حبس منهم ، فأرسلهم جميعاً واحتبس الموالى رجاء أن يكلمه فيهم خالد إذا قدم من الصائفة . فلما أقبل الناس وخرجوا عن الدّرب بلغ خالد حبسُ أهله ، ولم يبلغه تخليتُهم ؛ فدخل يزيد بن خالد في غمار الناس حتى أتى حمص ، وأقبل خالد حتى نزل منزله من دمشق ، فلما أصبح أتاه الناس ، فبعث إلى ابنتيه : زينب وعاتكة ؛ فقال : إني قد كبرت وأحببت أن تلياً خدمتي ؛ فسرتاً بذلك — ودخل عليه إسماعيل أخوه ويزيد وسعيد ابناه ، وأمر بالإذن ، فقامت ابنتاه لتتحنّيا ، فقال : وما لهما تتنحّيان ، وهشام في كلّ يوم يسوقهنّ إلى الحبس ! فدخل الناس ، فقام إسماعيل وابناه دون ابنتيه يسترونهما ، فقال خالد : خرجتُ غازياً في سبيل الله ؛ سامعاً مطيعاً ، فخلُفتُ في عَقِبي ، وأخذ حُرْمِي وحُرْمَ أهل بيتي ؛ فحبسوا مع أهل الجرائم كما يفعل بأهل الشرك ! فما منع عصابةً منكم أن تقوم فتقول : علامَ حبس حُرْمَ هذا السامع المطيع ! أخفتم أن تقتلوا جميعاً ! أخافكم الله ! ثم قال : مالى وهشام ! ليكفن عني هشام أو لأدعون إلى عراقى الهوى شأى الدار حجازى الأصل — يعنى محمد بن على بن عبد الله ابن عباس — وقد أذنت لكم أن تبتغوا هشاماً . فلما بلغه ما قال ، قال : خَرَفَ أبو الهيثم .

١٨١٦/٢

وذكر أبو زيد أن أحمد بن معاوية حدّثه عن أبى الخطاب ، قال : قال خالد : أما والله ، لئن ساء صاحب الرّصافة — يعنى هشاماً — لنصبنّ لنا الشأى الحجازى العراقى ، ولو نخر نخرة تداعت من أقطارها .

فبلغت هشاماً ، فكتب إليه : إنك هذآءة هذرة^(١) ، أبيعـجيلة القليلة

(١) هذاه بلسانه ، إذا أسمعه ما يكره ، والهذر : الكلام الباطل .

الذليلة تتهدّدنى ! قال : فوالله ما نصره أحد بيدٍ ولا بلسان إلاّ رجل من عبس ، فإنه قال :

أَلَا إِنَّ بَحْرَ الْجُودِ أَصْبَحَ سَاجِيًا أَسِيرَ ثَقِيفٍ مُوثَقًا فِي السَّلَاسِلِ ١٨١٧/٢

فَإِنْ تَسْجُنُوا الْقِسْرَى لَا تَسْجُنُوا اسْمَهُ وَلَا تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ

فأقام خالد ويزيد وجماعة أهل بيته بدمشق ، ويوسف ملحق على هشام

يسأله أن يوجّه إليه يزيد . وكتب هشام إلى كلثوم بن عياض يأمره بأخذ

يزيد والبعثة به إلى يوسف ، فوجه كلثوم إلى يزيد خيلاً وهو في منزله ، فشدّ

عليهم يزيد ، فأفرجوا له ، ثم مضى على فرسه ، وجاءت الخيل إلى كلثوم

فأخبروه ، فأرسل إلى خالد الغدّ من يوم تنحى يزيد خيلاً ، فدعا خالد بشيابه

فلبسها . وتصارخ النساء ، فقال رجل منهم : لو أمرت هؤلاء النسوة فسكتن !

فقال : ولم ؟ أمّا والله لولا الطاعة لعلم عبد بنى قَسْرَ أنه لا ينال هذه منى ،

فأعلموه مقاتلى ؛ فإن كان عربياً كما يزعم ؛ فليطلب جدّه منى . ثم مضى

معه فحبس في حبس دمشق . وسار إسماعيل من يومه حتى قدم الرضا

على هشام ، فدخل على أبي الزبير حاجبه فأخبره بحبس خالد ، فدخل

أبو الزبير على هشام فأعلمه ، فكتب إلى كلثوم يعنّفه ، ويقول : خلّيت عمن

أمرتك بحبسه ، وحبست من لم آمرك بحبسه . ويأمره بتخليّة سبيل خالد ، فخلّاه .

١٨١٨/٢ وكان هشام إذا أراد أمراً أمر الأبّرش فكتب به إلى خالد ، فكتب الأبّرش :

إنه بلغ أمير المؤمنين أن عبد الرحمن بن ثويب الضبّيّ - ضينة سعد إخوة عُدّة

ابن سعد - قام إليك ، فقال : يا خالد إني لأحبك لعشر خصال : إن الله

كريم وأنت كريم ، والله جواد وأنت جواد ، والله رحيم وأنت رحيم ، والله حلیم

وأنت حلیم ... حتى عدّ عشرّاً ؛ وأمير المؤمنين يقسم بالله لأنّ تحقق عنده

ذلك ليستحلّ دَمَك ؛ فاكتب إلى بالأمر على وجهه لأخبر به أمير المؤمنين .

فكتب إليه خالد : إن ذلك المجلس كان أكثر أهلاً من أن يجوز لأحد من

أهل البغى والفجور أن يحرف ما كان فيه إلى غيره ؛ قام (١) إلى عبد الرحمن

ابن ثويب ، فقال : يا خالد أنى لأحبك لعشر خصال : إن الله كريم يحبّ

كلّ كريم ، والله يحبك وأنا أحبك لحبّ الله إياك ؛ حتى عدد عشر خصال ؛ ولكن أعظم من ذلك قيام ابن شقّي الحميرى إلى أمير المؤمنين ، وقوله : يا أمير المؤمنين ، خليفتك فى أهلك أكرمٌ عليك أم رسولك ؟ فقال أمير المؤمنين : بل خليفتى فى أهلى ، فقال ابن شقّي : فأنت خليفة الله ومحمد رسوله ؛ ولعمري لضلالة رجل من بَجيلة إن ضلّ أهون على العامة والخاصّة من ضلال أمير المؤمنين . فأقرأ الأبرش هشاماً كتابه ، فقال خَرَفَ أبو الهيثم . ١٨١٩/٢

فأقام خالد بدمشق خلافة هشام حتى هلك ، فلما هلك هشام ، وقام الوليد ، قدم عليه أشراف الأجناد ؛ فيهم خالد ؛ فلم يأذن لأحد منهم . واشتكى خالد ، فاستأذن فأذن له ، فرجع إلى دمشق ، فأقام شهراً ، ثم كتب إليه الوليد : إن أمير المؤمنين قد علّم حال الخمسين الألف ألف ؛ التى تعلم ، فاقدم على أمير المؤمنين مع رسوله ؛ فقد أمره ألاّ يُعجلك عن جهاز .

فبعث خالد إلى عدّة من ثقاته ؛ منهم حُمارة بن أبى كلشم الأزديّ ، فأقرأهم الكتاب ، وقال : أشيروا علىّ ؛ فقالوا : إن الوليد ليس بمأمون عليك ؛ فالرأى أن تدخل دمشق ، فتأخذ بيوت الأموال وتدعو إلى من أحببت ؛ فأكثرُ الناس قومك ؛ ولن يختلف عليك رجلاّن ، قال : أو ماذا ؟ قالوا : تأخذ بيوت الأموال ، وتقيم حتى تتوثق لنفسك ، قال : أو ماذا ؟ قالوا : أو تتوارى . قال : أما قولكم : تدعو إلى من أحببت ؛ فإنى أكره أن تكون الفرقة والاختلاف على يديّ ، وأما قولكم : تتوثق لنفسك ؛ فأنتم لا تأمنون علىّ الوليد ؛ ولا ذنب لى ، فكيف ترجون وفاء لى وقد أخذتُ بيوت الأموال ! وأما التوارى ؛ فوالله ما قنّعت رأسى خوفاً من أحد قطّ ؛ فالآن وقد بلغت من السنّ ما بلغت ! لا ، ولكن أمضى وأستعين الله .

فخرج حتى قدم على الوليد ، فلم يدعْ به^(١) ، ولم يكلّمه وهو فى بيته^(٢) ؛ معه مواليه وخدمته ، حتى قدّم برأس يحيى بن زيد من خُرّاسان ، فجمع الناس فى رِواق ، وجلس الوليد ، وجاء الحاجب فوقف ، فقال له خالد : إن حالى ما ترى ؛ لا أقدر على المشى ؛ وإنما أحمل فى كرسىّ ، فقال

١٨٢٠/٢

الحاجب : لا يدخل عليه أحد يُحمَل ، ثم أذن لثلاثة نَفَرَ ، ثم قال : قم يا خالد ، فقال : حالي ما ذكرت لك ، ثم أذن لرجل أو رجلين ؛ فقال : قم يا خالد ، فقال : إن حالي ما ذكرت لك ؛ حتى أذن لعشرة ، ثم قال : قم يا خالد ، وأذن للناس كلهم ، وأمر بخالد فحمِل على كرسیه ؛ فدخل به الوليد جالس^١ على سريره ، والموائد موضوعة ، والناس بين يديه سباطان ، وشبة ابن عقّال — أوعقّال بن شبة — يخطب ، ورأس يحيى بن زيد منصوب ، فبِئِل بخالد إلى أحد السباطين ، فلما فرغ الخطيب قام الوليد وصُرف الناس ، وحُمِل خالد إلى أهله ؛ فلما نزع ثيابه جاءه رسول الوليد فردّه ، فلما صار إلى باب السرادق وقف فخرج إليه رسول الوليد ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين : أين يزيد بن خالد ؟ فقال : كان أصابه من هشام ظفر ، ثم طلبه فهرب منه ، وكنا نراه عند أمير المؤمنين حتى^(١) استخلفه الله ؛ فلما لم يظهر ظنناّه ببلاد قومه من السّراة^(٢) ، وما أوشكه . فرجع إليه الرسول ، فقال : لا ولكنك خلّفته طلباً للفتنة . فقال خالد للرسول : قد علم أمير المؤمنين أنّا أهل بيت طاعة ، أنا وأبى وجدى — قال خالد : وقد كنت أعلم بسرعة رجعة الرسول ؛ أنّ الوليد قريب حيث يسمع كلامى — فرجع الرسول ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين ؛ لتأتين به أو لأزهقن نفسك . فرفع خالد صوته ، وقال : قل له : هذا أردت ، وعليه دُرّت ؛ والله لو كان تحت قدمي ما رفعتُهما لك عنه ؛ فاصنع ما بدا لك ! فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبَسْط عليه ، وقال له : أسمعني صوته ، فذهب به غيلان إلى رَحْلِه ، فعذّبه بالسلاسل ، فلم يتكلم ، فرجع غيلان إلى الوليد ، فقال : والله ما أعذّب إنساناً ؛ والله ما يتكلم ولا يتأوّه ، فقال : اكفّف عنه واحبسه عندك . فحبسه حتى قدم يوسف بن عمر بمال من العراق ، ثم أداروا الأمر بينهم ، وجلس الوليد للناس ويوسف عنده ؛ فتكلّم^(٣) أبان بن عبد الرحمن النميري في خالد ، فقال يوسف : أنا أشتريه بخمسين ألف ألف ، فأرسل الوليد إلى خالد : إنّ يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف ؛ فإن كنت تضمّنها وإلاّ

١٨٢١/٢

(١) : « حين » .

(٢) ط : « السّراة » .

(٣) كذا في ١ ، و في ط : « فكلّم » .

دفعْتُكَ إليه ، فقال خالد : ما عهدت العرب تُباع ؛ والله لو سألتني أن أضمن هذا — ورفع عوداً من الأرض — ما ضمنتُهُ ، فرأيتُك .

فدفعه إلى يوسف ، فنزع ثيابه ودرّعه عباءة ولحفه بأخرى^(١) ، وحمله في حمل بغير وطاء ، وزميله أبوقحافة المُرّي ابن أخي الوليد بن تَمْلِيد — وكان عامل هشام على الموصل ، فانطلق به حتى نزل المحدثّة ، على مَرَحَلَة من عسكر الوليد . ثم دعا به فذكر أمّة ، فقال : وما ذكر الأمهات لعنك الله ! والله لا أكلمك كلمة أبداً . فبسط عليه ، وعذّبه عذاباً شديداً [وهو]^(٢) لا يكلمه كلمة . ثم ارتحل به حتى إذا كان ببعض الطريق بعث إليه زيد بن تميم القينّي بشربة سويق حبّ رمّان مع مولى له يقال له سالم النفاط ، فبلغ يوسف فضرب زيداً خمسمائة سوط ، وضرب سالمًا ألف سوط . ثم قدم يوسف الحيرة فدعا به وبإبراهيم وشمذ ابن هشام فبسط على خالد ، فلم يكلمه ، وصبر إبراهيم ابن هشام وخدّرع^(٣) محمد بن هشام . فكث خالد يوماً في العذاب ، ثم وُضِعَ على صدره المضرسّة فقتله من الليل ، ودفن بناحية الحيرة في عباءته التي كان فيها ، وذلك في المحرم سنة ست وعشرين ومائة في قول الهيثم بن عدى ، فأقبل عامر بن سهلة الأشعريّ فعقر فرسه على قبره ، فضربه يوسف سبعمائة سوط .

١٨٢٢/٢

قال أبو زيد : حدّثنى أبو نعيم قال : حدّثنى رجل ، قال : شهدتُ خالداً حين أتى به يوسف ، فدعا بعود فوضع على قدميه ، ثم قامت عليه الرجال حتى كسّرت قدماه ؛ فوالله ما تكلم ولا عبّس ، ثم على ساقيه حتى كسّرتا ، ثم على فخذه ثم على حَقْوَيْهِ ثم على صدره حتى مات ، فوالله ما تكلم ولا عبّس ، فقال خلف بن خليفة لما قتل الوليد بن يزيد :

لقد سَكَنْتُ كَلْبٌ وَأَسْبَاقُ مَذْجٍ ١٨٢٣/٢
تَرَكْنُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ
صَدَى كَانَ يَزُقُو لَيْلُهُ غَيْرَ رَاقِدٍ
فَإِنْ تَقَطَّعُوا مِنَّا مَنَاطَ قِلَادَةٍ
مُكِبًّا عَلَى خَيْشُومِهِ غَيْرَ سَاجِدٍ
قَطَّعْنَا بِهِ مِنْكُمْ مَنَاطَ قِلَائِدٍ

وَلَا تَشْغَلُونَا عَنْ نَدَانَا فَإِنَّا
وَلَا سَافِرَ الْقَسْرِ سَفْرَةَ هَالِكٍ فَإِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ لَيْسَ بِشَاهِدٍ
وَقَالَ حَسَانُ بْنُ جَعْدَةَ الْجَعْفَرِيُّ يَكْذِبُ خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ فِي قَوْلِهِ هَذَا :
إِنَّ أَمْرًا يَدَّعِي قَتْلَ الْوَلِيدِ سِوَى
مَا كَانَ إِلَّا أَمْرًا حَانَتْ مِنْيَتُهُ
وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ مَوْلَى خَالِدٍ :

سَائِلٌ وَلِيدًا وَسَائِلُ أَهْلِ عَسْكَرِهِ
هَلْ جَاءَ مِنْ مُضَرٍّ نَفْسٍ فَمَنْعَهُ
مَنْ يَهْجُنَا جَاهِلًا بِالشَّعْرِ نَنْقُضُهُ
وَقَالَ نَصْرُ بْنُ سَعِيدِ الْأَنْصَارِيِّ :

أَبْلَغُ يَزِيدَ بَنِي كَرْزٍ مُغْلَغَلَةٌ
قَطَعْتَ أَوْصَالَ قُنُورٍ عَلَى حَنْقٍ
أَمْسَتْ حَلَاتِلُ قُنُورٍ مُجْدَعَةٌ
ظَلَّتْ كِلَابُ دِمَشْقٍ وَهَى تَنْهَشُهُ
غَادَرْنَ مِنْهُ بَقَايَا عِنْدَ مَضْرَعِهِ
حَكَمْتَ سَيْفَكَ إِذْ لَمْ تَرْضَ حَكْمَهُمْ
لَا تَرْضَ مِنْ خَالِدٍ إِنْ كُنْتَ مُتَّعِرًا
أَسْعَرْتَ مُلْكَ نِزَارٍ ثُمَّ رُعْتَهُمْ
مَا كَانَ فِي آلِ قُنُورٍ وَلَا وَلَدُوا

* * *

[ذكر بيعة يزيد بن الوليد الناقص]

وفي هذه السنة بويغ إيزيد بن الوليد بن عبد الملك ؛ الذي يقال له يزيد
الناقص ؛ وإنما قيل : يزيد الناقص لنقصه الناس الزيادة التي زادهموها الوليد

ابن يزيد في أعطياتهم ؛ وذلك عشرة عشرة ، فلما قتل الوليد نقصهم تلك الزيادة ؛ وردت أعطياتهم إلى ما كانت عليه أيام هشام بن عبد الملك .
وقيل : أول من سماه بهذا الاسم مروان بن محمد ، حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا علي بن محمد ، قال : شتم مروان بن محمد يزيد بن الوليد فقال : الناقص بن الوليد ؛ (١) فسماه الناس (١) الناقص لذلك .

* * *

[ذكر اضطراب أمر بني مروان]

وفي هذه السنة اضطرب جبل بني مروان وهاجت الفتنة .

• ذكر الخبر عما حدث فيها من الفتن :

فكان في ذلك وثوب سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد ما قتل الوليد بن يزيد بعمّان . فحدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد قال : لما قتل الوليد خرج سليمان بن هشام من السجن ، وكان محبوساً بعمّان ، فأخذ ما كان بعمّان من الأموال ، وأقبل إلى دمشق ، وجعل يلعن الوليد ويعيبه بالكفر .

* * *

[ذكر خلاف أهل حمص]

وفيها كان وثوب أهل حمص بأسباب العباس بن الوليد وهدمهم داره وإظهارهم الطلب بدم الوليد بن يزيد .
• ذكر الخبر عن ذلك :

١٨٢٦/٢

حدثني أحمد عن علي ، قال : كان مروان بن عبد الله بن عبد الملك عاملاً للوليد على حمص ، وكان من سادة بني مروان نبلاً وكرماً وعقلاً وجمالاً ، فلما قتل الوليد بلغ أهل حمص قتله ، فأغلقوا أبوابها ، وأقاموا النوائح والبواكي على الوليد ، وسألوا عن قتله ، فقال بعض من حضرهم : مازلنا منتصفين من القوم قاهرين لهم ؛ حتى جاء العباس بن الوليد ، فقال إلى عبد العزيز بن الحجاج . فوثب أهل حمص فهدموا دار العباس وانتهبوها وسلبوا حرمه ، وأخذوا بنيّه فحبسوهم وطلبوه . فخرج إلى يزيد بن الوليد . وكاتبوا الأجناد ، ودعّوهم إلى الطلب بدم الوليد ؛ فأجابوهم . وكتب أهل

حمص بينهم كتاباً؛ ألاّ يدخلوا في طاعة يزيد ؛ وإن كان وليّاً عهد الوليد حين قاموا بالبيعة لهما ولا جعلوها لخير من يعلمون ؛ على أن يعطيهم العطاء من الحرم إلى الحرم ، ويعطيهم للذرية . وأمرُوا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين ، فكتب إلى مروان بن عبد الله بن عبد الملك وهو بحمص في دار الإمارة ، فلما قرأه قال : هذا كتاب حَضَرَهُ من الله حاضر . وتابعهم على ما أرادوا .

فلما بلغ يزيد بن الوليد خبرهم ، وجه إليهم رسلاً فيهم يعقوب بن هاني ، وكتب إليهم : إنه ليس يسدّ جو إلى نفسه ، ولكنه يدعوهم إلى الشورى . فقال عمرو بن قيس السكوني : رضينا بوليّ عهدنا — يعني ابن الوليد بن يزيد — فأخذ يعقوب بن عمير بلحيته ، فقال : أيها العَشَمَة ، إنك قد فِيتل^(١) وذهب عقلك ؛ إن الذي تعني لو كان يتيماً في حِجْرِكَ لم يحلّ لك أن تدفع إليه ماله ، فكيف أمر الأمّة ! فوثب أهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم . وكان أمر حمص لمعاوية بن يزيد بن حُصَيْن ، وليس إلى مروان بن عبد الله من أمرهم شيء ، وكان معهم السَّمط بن ثابت ، وكان الذي بينه وبين معاوية بن يزيد متباعداً . وكان معهم أبو محمد السفيناني فقال لهم : لو قد أتيت دُمَشْق ، ونظر إلى أهلها لم يخالفوني^(٢) . فوجه يزيد بن الوليد مَسْرُور ابن الوليد والوليد بن رَوْح في جمع كبير ، فنزلوا حوَّارين ، أكثرهم بنو عامر من كَلْب . ثم قدم على يزيد سايان بن هشام فأكرمه يزيد ، وتزوج أخته أم هشام بنت هشام بن عبد الملك ، وردّ عليه ما كان الوليد أخذه من أموالهم ، ووجهه إلى مسرور بن الوليد والوليد بن رَوْح ، وأمرهما بالسمع والطاعة له . وأقبل أهل حمص فنزلوا قرية لخالد بن يزيد بن معاوية .

حدثني أحمد ، قال : حدثنا عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبي ، قال : حدثني عمرو بن محمد ويحيى بن عبد الرحمن البهرازي ، قالوا : قام مَرَّوان بن عبد الله ، فقال : يا هؤلاء ؛ إنكم خرجتم للجهاد عدوكم والطلب

(١) شيخ عشة ؛ أي كبير هرم يابس من الهزال . يقال : فال الرجل وفيل (بتشديد الياء) ؛ إذا لم يصب فيه . (٢) كذا في ١ ، وفي ط : « وأنظر إلى أهلها لم يخالفني » .

بدم خليفتمكم ، وخرجتم مخرجاً أرجو أن يُعْظِمَ الله به أجركم ، ويحسن عليه ثوابكم ، وقد نجم لكم منهم قَرْنٌ ، وشال إليكم منهم عُنُقٌ ، إن أنتم قطعتموه اتبعه ما بعده ، وكنتم عليه أخرى ، وكانوا عليكم أهون ، ولست أرى المضي إلى دمشق وتخليف هذا الجيش خلفكم . فقال السَّمُطُ : هذا والله العدو القريب الدار ؛ يريد أن ينقض جماعتكم ؛ وهو مُمَّايل للقَدْرِية . قال : فوثب الناس على مروان بن عبد الله فقتلوه وقتلوا ابنه ، ورفعوا رأسيهما للناس ؛ وإنما أراد السَّمُطُ بهذا الكلام خلاف معاوية بن يزيد ، فلما قُتِلَ مروان بن عبد الله ولَّوْا عليهم أبا محمد السفيناني ، وأرسلوا إلى سليمان بن هشام : إنا آتوك فأقيم بمكانك ؛ فأقام . قال : فتركوا عسكر سليمان ذات اليسار ، ومضوا إلى دمشق ، وبلغ سليمان مضيئهم ، فخرج مُغْنِداً ، فلقيهم بالسليمانية - مزرعة كانت لسليمان بن عبد الملك خلف عذراء من دمشق على أربعة عشر ميلاً .

قال عليّ : فحدثني عمرو بن مروان بن بشار والوليد بن عليّ ، قالوا : لما بلغ يزيد أمرُ أهل حِمَصٍ دعا عبد العزيز بن الحجاج ، فوجَّهه في ثلاثة آلاف ، وأمره أن يثبت على ثنية العُقَاب ، ودعا هشام بن مصاد ، فوجَّهه في ألف وخمسمائة ، وأمره أن يثبت على عقبة السلامة ، وأمرهم أن يُعِدَّ بعضهم بعضاً .

قال عمرو بن مروان : فحدثني يزيد بن مَصَّاد ، قال : كنت في عسكر سليمان ، فلحقنا أهل حِمَصٍ ، وقد نزلوا السليمانية ، فجعلوا الزيتون على أيانهم ، ولجبل على شمائلهم ، والجباب خلفهم ؛ وليس عليهم مأتئ إلا من وجه واحد ، وقد نزلوا أوّل الليل ، فأراحوا دوابهم ، وخرجنا نسرى ليلتنا كلَّها ، حتى دفعنا إليهم ؛ فلما متع^(١) النهار واشتدَّ الحرّ ، ودوابنا قد كالت وثقل علينا الحديد ، دنوت من مسرور بن الوليد ، فقلت له - وسليمان يسمع كلامي : أنشدك الله يا أبا سعيد أن يُقدِّم الأمير جندَه إلى القتال في هذه الحال ! فأقبل سليمان فقال : يا غلام ، اصبر نفسك ، فوالله لا أنزل حتى يقضى الله

١٨٢٩/٢

(١) متع النهار : طال وامتد .

بني وبينهم ما هو قاض . فتقدم وعلى ميمنته الطُّفيل بن حارثة الكلبي ، وعلى ميسرته الطُّفيل بن زرارة الحبشي ، فحملوا علينا حَمَلَةً ، فانهمزمت الميمنة والميسرة أكثر من غلّوتين ، وسليمان في القلب لم يزل من مكانه ؛ ثم حمل عليهم أصحاب سليمان حتى ردّوهم إلى موضعهم ؛ فلم يزالوا يحملون علينا ونحمل عليهم مراراً ، فقتل منهم زهاء مائتي رجل ، فيهم حرب بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وأصيب من أصحاب سليمان نحو من خمسين رجلاً ، وخرج أبو الهسباء البهراني - وكان فارس أهل حمص - فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه حية بن سلامة الكلبي فطعنه طعنة أذراه عن فرسه ، وشدّ عليه أبو جعدة (مولي لقريش من أهل دمشق) فقتله ، وخرج ثبيت ابن يزيد البهراني ، فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه إيرك السغدّي ؛ من أبناء ملوك السغد كان منقطعاً إلى سليمان بن هشام - وكان ثبيت قصيراً ، وكان إيرك جسيماً - فلما رآه ثبيت قد أقبل نحوه استطرد ، فوقف إيرك ورماه بسهم فأنبت^(١) عضلة ساقه إلى لبده . قال : فبينما هم كذلك إذ أقبل عبد العزيز من ثنية العقّاب ، فشدّ عليهم ، حتى دخل عسكرهم فقتل ونفذ إلينا .

١٨٣٠/٢

[قال أحمد^(٢)] : قال عليّ : قال عمرو بن مروان : فحدثني سليمان بن زياد الغساني قال : كنت مع عبد العزيز بن الحجاج ؛ فلما عاين عسكر أهل حمص ، قال لأصحابه : موعدكم التلّ الذي في وسط عسكرهم ؛ والله لا يتخلف منكم أحدٌ إلاّ ضربت عنقه . ثم قال لصاحب لوائه : تقدّم ، ثم حمل وحملنا معه ؛ فما عرض لنا أحدٌ إلاّ قُتِل حتى صرنا على التلّ ، فتصدّع^(٣) عسكرهم ، فكانت هزيمتهم ، ونادى يزيد بن خالد بن عبد الملك القسريّ : الله الله في قومك ! فكفّ الناس ، وكره ما صنع سليمان وعبد العزيز ؛ وكاد يقع الشرّ بين الذّكوانية وسليمان وبين بني عامر من كلب ، فكفّوا عنهم ؛ علّى أن يبايعوا ليزيد ابن الوليد . وبعث سليمان بن هشام إلى أبي محمد السفينانيّ ويزيد خالد بن يزيد بن معاوية فأخذوا ، فرّ بهما على الطُّفيل بن حارثة ، فصاحا به : يا خاله ! ننشدك الله والرحيم ! فضى معهما إلى سليمان فحبسهما ، فخاف

(١) أثبتته ، أى أصابه . (٢) من ا . (٣) ط : « فصدع » ، وما أثبتته من ا .

بنو عامر أن يقتلهم ، فجاءت جماعة منهم ؛ فكانت معهما في الفسطاط ، ثم وجهتهما إلى يزيد بن الوليد ، فحبسهما في الخضراء مع ابني الوليد ، وحبس أيضاً يزيد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان ؛ خال عثمان بن الوليد معهم . ثم دخل سليمان وعبد العزيز إلى دمشق ؛ ونزلا بعذراء . واجتمع أمر أهل دمشق ، وبايعوا يزيد بن الوليد ، وخرجوا إلى دمشق وحبسوا وأعطاهم يزيد العطاء ، وأجاز الأشراف منهم معاوية بن يزيد بن الحصين والسَّمط بن ثابت وعمرو بن قيس وابن حوَيّ والصقر بن صفوان ؛ واستعمل معاوية بن يزيد بن حصين من أهل حمص ، وأقام الباقون بدمشق ، ثم ساروا إلى أهل الأردن وفلسطين وقد قتل من أهل حمص يومئذ ثلثمائة رجل .

١٨٣١/٢

[ذكر خلاف أهل الأردن وفلسطين]

وفي هذه السنة وثب أهل فلسطين والأردن على عاملهم فقتلوه (١) .

* ذكر الخبر عن أمرهم وأمر يزيد بن الوليد معهم :

حدثني أحمد ، عن علي بن محمد ، عن عمرو بن مروان الكلبي ، قال : حدثني رجاء بن رَوْح بن سلامة بن رَوْح بن زنباع ، قال : كان سعيد بن عبد الملك عاملاً للوليد على فلسطين ، وكان حسن السيرة ، وكان يزيد بن سليمان سيّد ولد أبيه ، وكان ولد سليمان بن عبد الملك ينزلون فلسطين ، فكان أهل فلسطين يحبّونهم لحوارهم ؛ فلما أتى قتل الوليد - ورأس أهل فلسطين يومئذ سعيد بن رَوْح بن زنباع - كتب إلى يزيد بن سليمان : إن الخليفة قد قُتِل فاقدم علينا نولك أمرنا . فجمع له سعيد قومه ، وكتب إلى سعيد بن عبد الملك - وهو يومئذ نازل بالسبع : ارتحل عنا ، فإن الأمر قد اضطرب ؛ وقد ولينا أمرنا رجلاً قد رضيّا أمره . فخرج إلى يزيد بن الوليد ، فدعا يزيد ابن سليمان أهل فلسطين إلى قتال يزيد بن الوليد ، وبلغ أهل الأردن أمرهم ، فولّوا عليهم محمد بن عبد الملك - وأمر أهل فلسطين إلى سعيد بن رَوْح وضبّعان بن رَوْح - وبلغ يزيد أمرهم ، فوجّه إليهم سليمان بن هشام في أهل دمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفينائي .

قال عليّ : قال عمرو بن مروان : حدثني محمد بن راشد الخزاعي أنّ أهل دمشق كانوا أربعة وثمانين ألفاً ، وسار إليهم سليمان بن هشام . قال محمد بن راشد : وكان سليمان بن هشام يرسلني إلى ضُبَّعَانَ وسعيد ابني رَوْح وإلى الحكمم وراشد ابني جِرْوٍ من بَلْثَقِينَ ، فأعِدُّهُمْ وأمنِّيهم على الدخول في طاعة يزيد بن الوليد ، فأجابوا .

قال : وحدّثني عثمان بن داود الخولانيّ ، قال : وجهني يزيد بن الوليد ومعى حذيفة بن سعيد إلى محمد بن عبد الملك ويزيد بن سليمان ، يدعوهما إلى طاعته ، وبعدهما ويمنِّيهم ، فبدأنا بأهل الأردنّ ومحمد بن عبد الملك ، فاجتمع إليه جماعة منهم ؛ فكلّمته فقال بعضهم : أصلح الله الأمير ! (١) اقل هذا القدرىّ الحبيث ، فكفهم عن الحكم بن جرو القيني . فأقيمت الصلاة فخلوتُ به ، فقلت : إني رسول يزيد إليك ، والله ما تركت ورأى راية تُعَقِّدُ إلّا على رأس رجل من قومك ، ولا درهم يخرج من بيت المال إلّا في يد رجل منهم ؛ وهو يحمل لك كذا وكذا . قال : أنت بذاك ؟ قلت : نعم : ثم خرجت فأتييت ضُبَّعَانَ بن رَوْح ، فقلت له مثل ذلك ، وقلت له : إنه يوليكم فلسطين ما بقي ، فأجابني فانصرفت ، فما أصبحت حتى رحل بأهل فلسطين .

حدّثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو بن مَرْوَانَ الكلابيّ ، قال : سمعتُ محمد بن سعيد بن حسان الأردنيّ ، قال : كنت عينا ليزيد بن الوليد بالأردنّ ، فلما اجتمع له ما يريد ولّاني خراج الأردنّ ، فلما خالفوا يزيد بن الوليد أتيتُ سليمان بن هشام ، فسألته أن يوجه معي خيلاً ، فأشنّ الغارة على طَبْرِية ، فأبى سليمان أن يوجه معي أحداً ، فخرجت إلى يزيد بن الوليد ، فأخبرته الخبر ، فكتب إلى سليمان كتاباً بخطه ، يأمره أن يوجه معي ما أردت ؛ فأتييتُ به سليمان ، فوجه معي مسلم بن ذَكْوَانَ في خمسة آلاف ، فخرجت بهم ليلاً حتى أنزلتهم البطيحة ، فتنفّرقوا في القرى ، وسرت أنا في طائفة منهم نحو طَبْرِية ، وكتبوا إلى عسكرهم ، فقال أهل طَبْرِية : علام نقيم والجنود تجوس منازلنا وتحكم في أهالينا ! ومضوا إلى حجرة يزيد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك ،

١٨٣٣/٢

فانتهبوهما وأخذوا دوابَّهما وسلاحهما ، ولحقوا بقراهم ومنازلهم ؛ فلما تفرَّق أهل فلسطين والأردن ، خرج سليمان حتى أتى الصَّنبرة ، وأتاه أهل الأردن ، فبايعوا ليزيد بن الوليد ؛ فلما كان يوم الجمعة وجَّه سليمان إلى طبرية ، وركب مركباً في البحيرة ، فجعل يسايرهم حتى أتى طبرية ، فصلى بهم الجمعة ، وبايع مَنْ حضر ثم انصرف إلى عسكره .

حدثني أحمد ، قال : حدَّثنا عليّ ، عن عمرو بن مَرْوان الكلابي ، قال : حدَّثني عثمان بن داود ، قال : لما نزل سليمان الصَّنبرة ، أرسلني إلى يزيد بن الوليد ، وقال لي : أعلمه أنك قد علمت جفاء أهل فلسطين ، وقد كفى الله مئونتهم ، وقد أزمعت على أن أولَّى ابن سراقَة فلسطين والأسود بن بلال الحاربيّ الأردن . فأتيت يزيد ، فقلت له ما أمرني به سليمان ، فقال : أخبرني كيف قلت لضبيعان بن رَوْح ؟ فأخبرته ، قال : فما صنع ؟ قلت : ارتحل بأهل فلسطين ، وارتحل ابن جِرْو بأهل الأردن قبل أن يُصْبِحَا . قال : فليسا بأحقّ بالوفاء منا ، ارجع فمرّه ألاّ ينصرف حتى ينزل الرَّملة ، فيبايع أهلها ، وقد استعملت إبراهيم بن الوليد على الأردن وضبيعان بن رَوْح على فلسطين ومسرور بن الوليد على قنسرين وابن الحصين على حِمص .

١٨٣٤/٢

* * *

ثم خطب يزيد بن الوليد بعد قتل الوليد ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

أيها الناس ؛ إني والله ما خرجتُ أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وما بي إطرأ نفسي ؛ إني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي ^(١) ؛ ولكني خرجتُ غضباً لله ورسوله ودينه ، داعياً إلى الله وكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ لما هدمت معالم الهدى ، وأطفئ نور أهل التقوى ^(٢) ، وظهر الجبار العنيد ، المستحل لكل حرمة ، والراكب لكل بدعة ؛ مع أنه والله ما كان يصدّق بالكتاب ، ولا يؤمن بيوم الحساب ؛ وإنه لابنُ عمي في الحسب ، وكفيّ في النسب ^(٣) ؛ فلما رأيتُ ذلك استخرت الله في أمره ، وسألته ألاّ يكلني إلى

(١) ، البيان : « وإني لظلوم لها ، ولقد خسرت إن لم يرحمني ربي » .

(٢) ، البيان : « نور التقى » . (٣) ، البيان : « لابن عمي في النسب ، وكفيّ في الحسب » .

نفسى ، ودعوت إلى ذلك مَن أجابنى من أهل ولايتى ، وسعيت فيه حتى أراح الله منه العباد والبلاد بحول الله وقوته ، لا بحولى وقوى .

أيّها الناس ، إنّ لكم علىّ ألاّ أضع حجراً على حجر ، ولا لبينة على لبينة ؛ ولا أكرى^(١) نهراً ، ولا أكثير^(٢) مالا ، ولا أعطيّه زوجة ولا ولدا ، ولا أنقل مالا من بلدة إلى بلدة حتى أسدّ ثغر ذلك البلد وخصاصة^(٣) أهله بما يُعينُهُمْ ؛ فإنّ فضل فضل^(٤) نقلته إلى البلد الذى يليه ؛ ممن هو أحوج إليه ؛ ولا أجمركم فى ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم ، ولا أغلق بابى دونكم ؛ فياً كل قوتكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما يُجلبهم عن بلادهم ويقطع نسلهم ؛ وإنّ لكم أعطياتكم عندي فى كل سنة وأرزاقكم فى كل شهر ؛ حتى تستدرّ المعيشة بين المسلمين ، فيكون أقصاهم كأدناهم ، فإن وفيت لكم بما قلت ؛ فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة ، وإن أنا لم أف فلکم أن تخلعوني ؛ إلا أن تستيبوني ؛ فإن تبت قبلتم منى ، فإن علمتم أحداً ممن يُعرّفُ بالصلاح يُعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايعوه ؛ فأنا أول مَن يبايعه ، ويدخل فى طاعته .

أيّها الناس ، إنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، ولا وفاء له بنقض عهد ؛ إنما الطاعة طاعة الله ؛ فأطيعوه بطاعة الله ما أطاع ، فإذا عصى الله ودعا إلى المعصية ؛ فهو أهل أن يُعصى ويُقتل . أقول قولى هذا وأستغفر الله لي ولكم^(٥) .

ثم دعا الناس إلى تجديد البيعة له ، فكان أول مَن بايعه الأفقم يزيد بن هشام . وبايعه قيس بن هانىء العبسى ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اتقى الله ، وذمّ على ما أنت عليه ، فما قام مقامك أحدٌ من أهل بيتك ؛ وإن قالوا : عمر بن عبد العزيز فأنت أخذتها بحبل صالح ، وإن عمر أخذها بحبل سوء . فبلغ مروان بن محمد قوله ، فقال : ما له قاتله الله ذمنا جميعاً وذمّ عمر !

١٨٣٦/٢

(٢) البيان : « ولا أكنز » .

(١) كرى النهر : احتفرو .

(٤) ط : « فضلة » .

(٣) الخصاصة : الفقر .

(٥) الخطبة أوردتها الجاحظ فى البيان والتبيين ٢ : ١٤١ ، ١٤٢ .

فلما ولي مروان بعث رجلاً ، فقال : إذا دخلتَ مسجدَ دمشق فانظر قيس ابن هاني ، فإنه طالما صلتى فيه ، فاقتله ؛ فانطلق الرجل ، فدخلَ مسجد دمشق ، فرأى قيساً يصلي فقتله .

* * *

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن العراق وولاها منصور بن جُمهور .

ذكر الخبر عن عزل يوسف بن عمر وولاية منصور بن جُمهور : ولما استوثق ليزيد بن الوليد على الطاعة أهل الشام ، ندب — فيما قيل — لولاية العراق عبد العزيز بن هارون بن عبد الله بن دحية بن خليفة الكلبي ، فقال له عبد العزيز : لو كان معي جند لقبلت ، فتركه وولاها منصور بن جمهور .

وأما أبو مخنف ، فإنه قال — فيما ذكر هشام بن محمد عنه : قتل الوليد ابن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء ، لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وباع الناس يزيد بن الوليد بن عبد الملك بدمشق ، وسار منصور بن جمهور من البسْخراء في اليوم الذي قتل فيه الوليد بن يزيد إلى العراق ، وهو سابع سبعة ، فبلغ خبره يوسف بن عمر فهرب . وقدم منصور بن جمهور الحيرة في أيام خلتون من رجب ، فأخذ بيوت الأموال ، فأخرج العطاء لأهل العطاء والأرزاق ، واستعمل حرِيث بن أبي الجهم على واسط ، وكان عليها محمد بن نُبَاته ، فطرقه ليلاً فحبسه وأوثقه ، واستعمل جرير بن يزيد بن يزيد بن جرير على البصرة ، وأقام منصور وولّى العمال ، وباع ليزيد بن الوليد بالعراق ، وفي كورها ، وأقام بقيّة رجب وشعبان ورمضان ، وانصرف لأيام بقيّين منه .

١٨٣٧/٢

وأما غير أبي مخنف فإنه قال : كان منصور بن جمهور أعرابياً جافياً غيلاً نياً ، ولم يكن من أهل الدّين ؛ وإنما صار مع يزيد لرأيه في الغيْلا نية ، وحميةً لقتل خالد ، فشهد لذلك قتل الوليد ، فقال يزيد له لما ولاه العراق : قد وليتكَ العراق فسر إليه ، واتق الله ، واعلم أني إنما قتلت الوليد لفسقه

ولمّا أظهر من الجور ، فلا ينبغي لك أن تركب مثل ما قتلناه عليه . فدخل على يزيد بن الوليد يزيد بن حجرة الغسانيّ — وكان ديتاً فاضلاً ذا قدير في أهل الشام ، قد قاتل الوليد ديانةً — فقال : يا أمير المؤمنين ، أوليت منصوراً العراق ؟ قال : نعم ، لبلائه وحسن معونته ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه ليس هناك في أعرابيته وجفائه في الدين . قال : فإذا لم أول منصوراً في حسن معاونته فمن أولي ! قال : تولي رجلاً من أهل الدين والصلاح والوقوف عند الشبهات ، والعلم بالأحكام والحدود ؛ ومالي لا أرى أحداً من قيس يغشاك ، ولا يقف ببابك ! قال : لولا أنه ليس من شأني سفك الدماء لعاجلتُ قيساً ؛ فوالله ما عزت إلاّ ذلّ الإسلام .

ولما بلغ يوسف بن عمر قتل الوليد ، جعل يعمد إلى من بحضرته من اليمانية فيلقيهم في السجون ، ثم جعل يخلو بالرجل بعد الرجل من المضريّة ، فيقول له : ما عندك إن اضطرب جبل أو انفتق فتق ؟ فيقول : أنا رجل من أهل الشام ، أباع منّ بايعوا ، وأفعل ما فعلوا . فلم ير عندهم ما يحب ، فأطلق منّ في السجون من اليمانية ، وأرسل إلى الحجاج بن عبد الله البصريّ ومنصور ابن نصير — وكانا على خبّر ما بينه وبين أهل الشام — فأمرهما بالكتاب إليه بالخبر ، وجعل على طريق الشام أرسادا ، وأقام بالخير وجلا . وأقبل منصور حتى إذا كان بالجمع ؛ كتب إلى سليمان بن سليم بن كيسان كتاباً :

أما بعد ، فإن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ؛ وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له ؛ وإنّ الوليد بن يزيد بدّل نعمة الله كفوّاً ، فسفك الدماء ، فسفك الله دمه ، وعجّله إلى النار ! وولى خلافته منّ هو خير منه ، وأحسن هديّاً ؛ يزيد بن الوليد ، وقد بايعه الناس ، وولّي على العراق الحارث بن العباس بن الوليد ، وجنّهي العباس لآخذ يوسف وعماله ، وقد نزل الأبيض ، ورأى على مرحلتين ؛ فخذ يوسف وعماله ، لا يفوتك منهم أحد ، فاحبسهم قبيلك . وإياك أن تخالف ، فيحلّ بك وبأهل بيتك ما لا قبيل لك به ؛ فاختر (١) لنفسك أو دَعُ .

وقيل إنه لما كان بعين التَّمَرُّ كُتِبَ إلى مَنّ بالحيرة من قوَاد أهل الشَّام يُخبرهم بقتل الوليد، ويأمرهم بأخذ يوسف وعماله . وبعث بالكتب كلها إلى سليمان بن سُلَيم بن كَيْسَان ، وأمره أن يفرّقها على القوَاد ، فأمسكها سليمان ، ودخل على يوسف ، فأقرأه كتاب منصور إليه ، فبِعِلَ به (١) .

١٨٣٩/٢

قال حُرَيْث بن أبي الجهم : كان مكثي بواسط ؛ فما شعرت إلا بكتاب منصور بن جمهور قد جاءني أن خذُ عمال يوسف ، فكنت أتولّي أمره بواسط ، فجمعت موالى وأصحابي ، فركبنا نحواً من ثلاثين رجلاً في السلاح ؛ فأتينا المدينة ، فقال البوابون : مَنّ أنت ؟ قلتُ : حُرَيْث بن أبي الجهم ، فقالوا : نقسم بالله ما جاء بحريث إلا أمر مهمٌّ ؛ ففتحو الباب فدخلنا ، فأخذنا العامل فاستسلم ، وأصبحنا فأخذنا البيعة من الناس ليزيد بن الوليد .

قال : وذكر عمر بن شجرة أن عمرو بن محمد بن القاسم كان على السند ، فأخذ محمد بن غَزَّان — أو عَزَّان — الكلبي ، فضربه وبعث به إلى يوسف ، فضربه وألزمه مالاً عظيماً يؤدّي منه في كل جمعة نجماً ، وإن لم يفعل ضرب خمسة وعشرين سوطاً ، فجفّت يده وبعض أصابعه ، فلما ولي منصور ابن جمهور العراق ولّاه السند وسجستان ، فأتى سجستان فبايع ليزيد ، ثم سار إلى السند ، فأخذ عمرو بن محمد ، فأوثقه وأمر به حرساً يحرسونه ، وقام إلى الصلاة ، فتناول عمرو سيفاً مع الحرّس ، فاتكأ عليه مسلولاً حتى خالط جوفه ، وتصايح الناس ؛ فخرج ابن غَزَّان فقال : ما دعاك إلى ما صنعت ؟ قال : خفت العذاب ، قال : ما كنت أبلغ منك ما بلغته من نفسك . فلبث ثلاثاً ثم مات ، وبايع ابن غَزَّان ليزيد ؛ فقال يوسف بن عمر لسليمان بن سليم بن كيسان الكلبي حين أقرأه كتاب منصور بن جمهور : ما الرأي ؟ قال : ليس لك إمام تقاتل معه ، ولا يقاتل أهل الشَّام الحارث بن العباس معلن ، ولا آمن عليك منصور بن جمهور إن قدم عليك ، وما الرأي إلا أن تلحق بشأملك ؛ قال : هو رأيي ، فكيف الحيلة ؟ قال : تظهر الطاعة

١٨٤٠/٢

(١) بعِلَ به ؛ أي تبرم فلم يدر ما يصنع ، والبعل : الضجر والتبرم بالشيء .

ليزيد ، وتدعو له في خطبتك ؛ فإذا قرب منصور وجهته معك ممن أثق به . فلما نزل منصور بحيث يصبغ الناس ^(١) البلد ، خرج يوسف إلى منزل سليمان بن سليم ، فأقام به ثلاثاً ، ثم وجهه معه من أخذ به طريق السماء حتى صار إلى البلقاء .

وقد قيل إن سليمان قال له : تستخفي وتدع منصوراً والعمل ، قال : فعند من ؟ قال : عندي ، وأضعك في ثقة ؛ ثم مضى سليمان إلى عمرو بن محمد ابن سعيد بن العاص ، فأخبره بالأمر ، وسأله أن يؤوى يوسف ، وقال : أنت امرؤ من قريش ، وأخوالك بكر بن وائل ؛ فأواه . قال عمرو : فلم أر رجلاً كان مثل عتوه رعب رعبه ؛ أتيت به بجارية نفيسة ، وقلت : تدفئه وتطيب نفسه ، فوالله ما قربها ولا نظر إليها ، ثم أرسل إلى يومئذ فأتيته ، فقال : قد أحسنت وأجملت ؛ وقد بقيت لي حاجة ، قلت : هاتها ، قال : تخرجني من الكوفة إلى الشام ، قلت : نعم . وصبتحنا منصور بن جمهور ، فذكر الوليد فعابه ، وذكر يزيد بن الوليد . فقرضه ^(٢) ، وذكر يوسف وجوره ، وقامت الخطباء فشعثوا من الوليد ويوسف ، فأتيته فأقصصت قصتهم ، فجعلت لا أذكر رجلاً ممن ذكره بسوء إلا قال : لله على أن أضربه مائة سوط ، مائتي سوط ؛ ثلثمائة سوط ؛ فجعلت أتعجب من طمعه في الولاية بعد ؛ وتهده الناس ، فتركه سليمان بن سليم ، ثم أرسله إلى الشام فاختلفى بها ، ثم تحول إلى البلقاء .

١٨٤١/٢

ذكر علي بن محمد أن يوسف بن عمر وجه رجلاً من بني كلاب في خمسمائة ، وقال لهم : إن مر بكم يزيد بن الوليد فلا تدعونه يجوز . فأتاهم منصور بن جمهور في ثلاثين ، فلم يهاجوه ، فانتزع سلاحهم منهم ، وأدخلهم الكوفة . قال : ولم يخرج مع يوسف من الكوفة إلا سفيان بن سلامة بن سليم بن كيسان وغسان بن قعاس العذري ، ومعه من ولده لصلبه ستون بين ذكر وأنثى . ودخل منصور الكوفة لأيام خلدون من رجب ، فأخذ بيوت الأموال ، وأخرج العطاء والأرزاق ، وأطلق ممن في سجون يوسف من العمال وأهل الحراج .

(١) ساقطة من أ .

(٢) ط : « فقرضه » ، والصواب ما أثبتته من أ .

قال : فلما بلغ يوسف البلقاء حينئذ بلغ خبره إلى يزيد بن الوليد ؛ فحدثني أحمد بن زهير ؛ قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم خالد بن يزيد بن هريم ، قال : حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح مولى عثمان بن عفان ، قال : سمعت محمد بن سعيد الكلبي — وكان من قواد يزيد بن الوليد — يقول : إن يزيد وجهه في طلب يوسف بن عمر حيث بلغه أنه في أهله بالبلقاء ، قال : فخرجت في خمسين فارساً أو أكثر ، حتى أحطت بداره بالبلقاء ، فلم نزل نفتش ، فلم نر شيئاً ، وكان يوسف قد لبس لبسة النساء ، وجلس مع نسائه وبناته ، ففتشهن فظفر به مع النساء ، فجاء به في وثاق ، فحبسه في السجن مع الغلامين ابني الوليد ، فكان في الحبس ولاية يزيد كلها وشهرين وعشرة أيام من ولاية إبراهيم ؛ فلما قدم مروان الشام وقرب من دمشق ولي قتلهم يزيد ابن خالد ، فأرسل يزيد مولى خالد — يكنى أبا الأسد — في عدة من أصحابه ؛ فدخل السجن لشدخ الغلامين بالعصم ، وأخرج يوسف بن عمر فضرب عنقه .

١٨٤٢/٢

وقيل : إن يزيد بن الوليد لما بلغه مصير يوسف إلى البلقاء وجهه إليه خمسين فارساً ، فعرض له رجل من بني ثُمير ، فقال : يا بن عم ، أنت والله مقتول فأطعني وامتنع ، واثذن لي حتى أنتزعك من أيادي هؤلاء ، قال : لا ، قال : فدعني أقتلك أنا ، ولا يقتلك هذه اليمانية ؛ فتغيظنا بقتلك ، قال : مالي في واحدة مما عرضت علي خيار ، قال : فأنت أعلم .

ومضوا به إلى يزيد ، فقال : ما أقدمك ؟ قال : قدم منصور بن جمهور والياً فتركته والعمل ، قال : لا ، ولكنك كرهت أن تلي لي . فأمر بحبسه . وقيل : إن يزيد دعا مسلم بن ذكوان ومحمد بن سعيد بن مطرف الكلبي ، فقال لهما ؛ إنه بلغني أن الفاسق يوسف بن عمر قد صار إلى البلقاء ، فانطلقا فأتيا به ، فطلباه فلم يجداه : فرهبنا ابناً له ، فقال : أنا أدلكما عليه ، فقال : إنه انطلق إلى مزرعة له على ثلاثين ميلاً ، فأخذا معهما خمسين رجلاً من جند البلقاء ، فوجدوا أثره — وكان جالساً — فلما أحس بهم هرب وترك نعليه ، ففتشا فوجداه بين نسوة قد ألقين عليه قطيفة خز ، وجلسن على حواشيها حاسرات ، فجروا برجله ، فجعل يطلب إلى محمد بن سعيد أن يرضي عنه

كلباً ، ويدفع عشرة آلاف دينار وديةً كلثوم بن عمير وهاني بن بشر ، فأقبلوا إلى يزيد ، فلقيه عاملٌ لسليمان على نوبة من نواب الحرس ، فأخذ بلحيته فمزّها ، وفتف بعضها — وكان من أعظم الناس لحية وأصغرهم قامه — فأدخله على يزيد ، فقبض على لحيته نفسه — وإنها حينئذ لتجوز سرته — وجعل يقول : نتف والله يا أمير المؤمنين لحيتي ، فما بقي فيها شعرة . فأمر به يزيد فحبس في الحبس ، فدخل عليه محمد بن راشد ، فقال له : أما تخاف أن يطلع عليك بعض من قد وترت ، فيسلق عليك حجراً ! فقال : لا والله ما فطنت إلى هذا ، فنشدتك الله إلا كلمت أمير المؤمنين في تحويلي إلى مجلس غير هذا ؛ وإن كان أضيّق منه ! قال : فأخبرت يزيد ، فقال : ما غاب عنك من حُكمه أكثر ، وما حبستُه إلا لأوجهه إلى العراق ، فيقام للناس ، وتؤخذ المظالم من ماله ودمه .

ولما قتل يزيد بن الوليد الوليد بن يزيد ، ووجه منصور بن جمهور إلى العراق كتب يزيد بن الوليد إلى أهل العراق كتاباً يذكر فيه مساوئ الوليد ، فكان مما كتب به — فيما حدّثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد : إن الله اختار الإسلام ديناً وارتضاه وطّره ، وافترض فيه حقوقاً أمر بها ، ونهى عن أمور حرّمها ؛ ابتلاء لعباده في طاعتهم ومعصيتهم ، فأكل فيه كل منقبة خير وجسم فضل ؛ ثم تولاه ، فكان له حافظاً ولأهله المقيمين حدوده ولياً ، يحوطهم ويعرفهم بفضل الإسلام ، فلم يكرم الله بالخلافة أحداً يأخذ بأمر الله وينتهي إليه فيناوته أحدٌ بميثاق أو يحاول^(١) صرف ما حباه الله به ، أو ينكث ناكث ، إلا كان كيدُه الأوهن ، ومكرُه الأبور ؛ حتى يتم الله ما أعطاه ، ويدّخر له أجره ومثوبته ، ويجعل عدوّه الأضلّ سبيلاً ، الأخسر عملاً . فتناسخت^(٢) خلفاء الله ولاية دينه ، قاضين فيه بحُكمه ، متبعين فيه لكتابه ؛ فكانت لهم بذلك من ولايته ونصرته ما تمت به النعم عليهم ، قد رضى الله بهم لها حتى توفي هشام .

(١) ط : « بحول » تحريف ، صوابه من أ .

(٢) تناسخوا : أى تعاقبوا وتداولوا .

ثم أفضى الأمر إلى عدوّ الله الوليد، المنتهك للمحارم التي لا يأتي مثلها مُسلم، ولا يُقدّم عليها كافر؛ تكررماً عن غشيان مثلها. فلما استفاض ذلك منه واستعلن، واشتدّ فيه البلاء، وسُفِكَت فيه الدماء، وأخذت الأموال بغير حقها؛ مع أمور فاحشة، لم يكن الله ليملي للعاملين^(١) بها إلا قليلاً، سرتُ إليه مع انتظار مراجعته، وإعذار إلى الله وإلى المسلمين، منكراً لعمله وما اجتراً عليه من معاصي الله، متوخيّاً من الله لإتمام الذي نويتُ؛ من اعتدال عمود الدين، والأخذ في أهله بما هو رضا، حتى أتيت جنداً، وقد وَغَرْتُ صدورهم على عدوّ الله، لما رأوا من عمله؛ فإنّ عدوّ الله لم يكن يرى من شرائع الإسلام شيئاً إلا أراد تبديله، والعمل فيه بغير ما أنزل الله؛ وكان ذلك منه شائعاً شاملاً، عريان لم يجعل الله فيه سترًا، ولا لأحد فيه شكًا، فذكرتُ لهم الذي نَقِمْتُ وخِفْتُ من فساد الدين والدنيا، وحَضَضْتُهم على تلافى دينهم، والمحاماة عنه؛ وهم في ذلك مُستريبون، قد خافوا أن يكونوا قد أبقوا لأنفسهم بما قاموا عليه، إلى أن دعوتُهم إلى تغييره فأسرعوا الإجابة.

فابتعث الله منهم بعضًا يخبرهم، من أولى الدين والرضا، وبعثت عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، حتى لقي عدوّ الله إلى جانب قرية يقال لها البَحْرَاء، فدعوه إلى أن يكون الأمر شورى، ينظر المسلمون لأنفسهم مَنْ يَقلُدونه ممّن اتفقوا عليه، فلم يجب عدوّ الله إلى ذلك؛ وأبى إلاّ تنابُعاً في ضلّالته؛ فبدرهم الحملة جهالة بالله، فوجد الله عزيزاً حكيمًا، وأخذَه ألياً شديداً، فقتله الله على سوء عمله وعُصْبَتِهِ؛ ممن صاحبه من بطانته الخبيثة، لا يبلغون عشرة؛ ودخل مَنْ كان معه سواهم في الحقّ الذي دُعوا إليه، فأطفأ الله جَمْرَتَهُ وأراح العباد منه، فبُعداً له ولمن كان على طريقته!

١٨٤٥/٢

أحببت أن أعلمكم ذلك، وأعجل به إليكم، لتحمّدوا الله وتشكروه، فإنكم قد أصبحتم اليوم على أمثل^(٢) حالكم؛ إذ ولا تنكم خياركم، والعدل مبسوط لكم، لا يسار فيكم بخلافه؛ فأكثروا على ذلك حمد ربّكم، وتابعوا منصور بن جمهور؛ فقد ارتضىته لكم؛ على أنّ عليكم عهد الله وميثاقه، وأعظم ما عهد

(١) ط: «ليخلى العاملين»، وما أثبتته من أ. (٢) أمثل: أفضل.

وعقد على أحد من خلقه ؛ لتسمعنّ وتطيعنّ لي ، ولئن استخلفته من بعدى ،
ممن اتفقت عليه الأمة ؛ ولكم علىّ مثل ذلك ؛ لأعملنّ فيكم بأمر الله وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم ، واتبع سبيل مَن سلف من خياركم ؛ نسأل الله
ربنّا ووليّنّا أحسن توفيقه وخير قضائه .

* * *

[ذكر امتناع نصر بن سيار على منصور بن جمهور]

وفي هذه السنة امتنع نصر بن سيار بخُرّاسان من تسليم عمله لعامل منصور
ابن جمهور ، وقد كان يزيد بن الوليد ولاّها منصوراً مع العراق .

قال أبو جعفر : قد ذكرت قبلُ من خبَر نصر ؛ وما كان من كتاب يوسف
ابن عمر إليه بالمصير إليه مع هدايا الوليد بن يزيد ، وشخص نصر من
خُرّاسان متوجّهاً إلى العراق ، وتباطئه في سفره ، حتى قدم عليه الخبر بقتل
الوليد ؛ فذكر علىّ بن محمد أن أبا هلىّ أخبره ، قال : قدم على نصر بشرُ بن نافع
مولى سالم الليثيّ — وكان علىّ سكك العراق — فقال : أقبل منصور بن جمهور
أميراً على العراق ؛ وهرب يوسف بن عمر ؛ فوجّه منصور أخاه منظور بن
جمهور على الرّىّ ، فأقبلتُ مع منظور إلى الرّىّ ، وقلت : أقدم على نصر فأخبره ،
فلما صرتُ بنيسابور حبسني حُמיד مولى نصر ، وقال : لن تجاوزني أو تخبرني ؛
فأخبرته ، وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ألاّ يخبر أحداً حتى أقدم على نصر
فأخبره . ففعل ؛ فأقبلنا جميعاً حتى قدمنا على نصر ، وهو بقصره بماجان ،
فاستأذنا ، فقال خصيّ له : هو نائم ، فألححنا عليه ، فانطلق فأعلمه ،
فخرج نصر حتى قبض على يدي وأدخلني ؛ فلم يكلمني حتى صرتُ في
البيت ، فسألتني فأخبرته ، فقال لحמיד موله : انطلق به ؛ فأتته بجائزة ؛ ثم أتاني
يونس بن عبد ربّه وعبيد الله بن بسام فأخبرتهما ، وأتاني سلم بن أحوز فأخبرته .
قال : وكان خبر يوسف عند نصر ، فأتوه حين بلغهم الخبر ، فأرسل إلىّ
فلما أخبرتهم كذبوني ، فقلت : استوثق من هؤلاء ؛ فلما مضت ثلاث على
ذلك ؛ جعل علىّ ثمانين رجلاً حرساً ، فأبطأ الخبر على ما كنت قدّرت ،
فلما كانت الليلة التاسعة — وكانت ليلة نوروز — جاءهم الخبر على ما وصفتُ ،

فصرف إلى عامة تلك الهدايا ، وأمر لي ببرذون بسرجه ولحامه ، وأعطاني سرجاً صينياً ، وقال لي : أقم حتى أعطيتك تمام مائة ألف . قال : فلما تيقن نصر قتل الوليد ردّ تلك الهدايا ، وأعتق الرقيق ، وقسم روقة^(١) الجوارى في ولده وخاصته ، وقسم تلك الآنية في عوامّ الناس ، ووجه العمال ، وأمرهم بحسن السيرة . قال : وأرجفت الأزدي خراسان أن منظور بن جمهور قادم خراسان ؛ فخطب نصر ، فقال في خطبته : إن جاءنا أميرٌ ظنين قطعنا يديه ورجليه . ثم باح به بعد ؛ فكان يقول : عبد الله المخذول المبور .

١٨٤٧/٢

قال : وولّى نصر بن سيار ربيعة واليمن ، وولّى يعقوب بن يحيى بن حنظل على أعلى طخارستان ، ومسعدة بن عبد الله اليشكري على خوارزم ؛ وهو الذي يقول فيه خلائف :

أقول لأصحابي معاً دون كَرْدَرٍ لِمَسْعُودَةِ الْبَكْرِى غَيْثُ الْأَرَامِلِ
ثم أتبعه بأبان بن الحكم الزهراني ؛ واستعمل المغيرة بن شعبة الجهمي على قهستان وأمرهم بحسن السيرة ، فدعا الناس إلى البيعة فبايعوه ، فقال في ذلك :

أقولُ لِنَصْرِ وبِايَعْتُهُ	على جُلِّ بَكْرٍِ وَأَحْلَافِهَا
يَدِي لَكَ رَهْنٌ بِبَكْرِ الْعَرَا	قِي سَيِّدِهَا وَابْنِ وَصَافِهَا
أَخَذْتُ الْوُثِيْقَةَ لِلْمُسْلِمِينَ	لَأَهْلِ الْبِلَادِ وَالْأَفِهَا
إِذَا آلَ يَحْيَى إِلَى مَا تُرِيدُ	أَتَتِكَ الدَّمَائُ بِأَخْفَافِهَا ^(٢)
دَعَوْتُ الْجُنُودَ إِلَى بَيْعَةٍ	فَأَنْصَفْتُهَا كُلَّ أَنْصَافِهَا
وَوَدَدْتُ خُرَاسَانَ لِلْمُسْلِمِينَ	إِنَّ الْأَرْضَ هَمَّتْ بِإِرْجَافِهَا
وَأِنْ جُمِعَتِ أَلْفَةُ الْمُسْلِمِينَ	صَرَفَتْ الضَّرَابَ لِأَلْفِهَا
أَجَارَ وَسَلَّمْ أَهْلَ الْبِلَا	دِ وَالنَّازِلِينَ بِأَطْرَافِهَا
فَصَرَفْتُ عَلَى الْجُنْدِ بِالْمَشْرِقِينَ	لِقَوْحاً لَهُمْ دَرُّ أَخْلَافِهَا

(١) روقة الجوارى ، أى حسانهم ، وفي ابن الأثير : « حان الجوارى » .

(٢) الدموك : البكرة الصلبة ، وفي ط : « الرقال » .

١٨٤٨/٢

فَنَحْنُ عَلَى ذَاكَ حَتَّى تَبِينَ
وَحَتَّى تَبُوحَ قَرِيشُ بِمَا
فَأَقْسَمْتُ لِلْمُعْبَرَاتِ الرُّتَا
إِلَى مَا تَوَدَّى قَرِيشُ الْبِطَا
فَإِنْ كَانَ مَنْ عَزَّ بَزَّ الضَّعِيفَ
وَجَدْنَا الْعَلَائِفَ أَنَّى يَكُو
إِذَا مَا تَشَارَكُ فِيهِ كَبَتْ
فَنَحْنُ عَلَى عَهْدِنَا نَسْتَدِيمُ
سَنَرَضَى بِظِلِّكَ كِنًّا لَهَا
لَعَلَّ قَرِيشًا إِذَا نَاضَلَتْ
وَتُلِيسُ أَغْشِيَةً بِالْعِرَاقِ
وَبِالْأَسَدِ مِنَّا وَإِنَّ الْأَسْوَدَ
فَإِنْ حَازَرَتْ تَلَفًا فِي النَّفَا
فَقَدْ ثَبَّتَتْ بِكَ أَقْدَامُنَا
وَجَدْنَاكَ بَرًّا رُغُوفًا بِنَا
وَلَمْ تَكُ بَيِّعَتُنَا خُلْسَةً
نِكَاحَ الَّتِي أَسْرَعَتْ بِالْحَلِي
فَكَشَّفَهَا الْبَعْلَ قَبْلَ الصَّدَا
قِ فَاسْتَقْبَلْتَهُ بِمَعْتَاظِهَا

١٨٤٩/٢

قال : وكان نصر ولَّى عبد الملك بن عبد الله السلمي خوارزم ؛ فكان
يخطبهم ويقول في خطبته : ما أنا بالأعرابي الجلف ، ولا الفزاري المستنيط ؛
ولقد كرمتني الأمور وكرمتها ، أمّا والله لأضعن السيف موضعه ، والسوط

(١) كذا في ١ ، وفي نسخة بجاشيتها : « خلاقتها بعض أشرافها » .

(٢) ١ : « نصرنا » . (٣) ورد البيت ناقصاً في ط ، وأكلته من ١ .

موضعه ، والسجن مدخله ، ولتجدنني غشمشماً ، أغشني الشجر ،
ولتستقيمن لي على الطريقة ورفض البكارة في السنن الأعظم ، أو لأصكنكم
صلك القطامي القطا (١) القارب يصكهن جانباً فجانباً .

قال : فقدم رجل من بلسقين خراسان ، وجهه منصور بن جمهور ،
فأخذه مولتي لنصر ، يقال له حميد ، كان على سكة (٢) بنيسابور ؛ فضر به وكسر
أنفه ، فشكاه إلى نصر ، فأمر له نصر بعشرين ألفاً وكساه ، وقال : إن الذي
كسر أنفك مولتي لي وليس بكفء فأقصك منه ، فلا تقل إلا خيراً . [قال :
ماقبلت جائزتك ، وأنا أريد ألا أذكر إلا خيراً] (٣) .

قال عصمة بن عبد الله الأسدي : يا أخا بلسقيين ، أخبر من تأتى أنا قد
أعددتنا قيساً لربيعه وتميماً للأزد ، وبقيت كنانة ، ليس لها من يكافئها .
فقال نصر : كلما أصلحتُ أمراً أفسدتموه !

قال أبو زيد عمر بن شبثة : حدثني أحمد بن معاوية عن أبي الخطاب ،
قال : قدم قدامة بن مصعب العبدى ورجل من كندة على نصر بن سيار
من قبيل منصور بن جمهور ، فقال : أمات أمير المؤمنين ؟ قالا : نعم ،
قال : وولي منصور بن جمهور وهرب يوسف بن عمر عن سرير العراق ؟
قالا : نعم ، قال : أنا بجمهوركم من الكافرين ، ثم حبسهما ووسّع عليهما ،
وجه رجل حتى أتى فرأى منصوراً يخطب بالكوفة ، فأخرجهما ، وقال لقدامة :
أوليسكم رجل من كلب ؟ قال : نعم ؛ إنما نحن بين قيس واليمن ، قال :
فكيف لا يولاهما رجل منكم ! قال : لأننا كما قال الشاعر :

١٨٥٠/٢

إذا ما خَشِينَا مِنْ أَمِيرٍ ظُلَامَةً دَعَوْنَا أَبَا غَسَّانَ يَوْمًا فَعَسَّكَرَا
فضحك نصر ، وضممه إليه .

قال : ولما قدم منصور بن جمهور العراق ولتي عبيد الله بن العباس الكوفة -
أو وجده والياً عليها فأقره - وولتي شرطته ثمامة بن حوشب ثم عزله
وولتي الحجاج بن أوطاة النخعي .

* * *

(٢) كذا في ١ ، وفي ط « سكك » .

(١) كذا في ١ .

(٣) من ١ .

[ذكر مخالفة مروان بن محمد]

وفي هذه السنة كتب مروان بن محمد إلى الغمّر بن يزيد ، أخى الوليد بن يزيد يأمره بدم أخيه الوليد .

ذكر نسخة ذلك الكتاب الذى كتب إليه :

حدثني أحمد عن عليّ ، قال : كتب مروان إلى الغمّر بن يزيد بعد قتل الوليد :

أما بعد ، فإن هذه الخلافة من الله على مناهج نبوة رسله ، وإقامة شرائع دينه ، أكرمهم الله بما قلّدهم ، يعزّهم ويعزّ من يعزّهم ، والحيّين^(١) على منّنا وأهمّ فابتغى غير سبيلهم ، فلم يزالوا أهل رعاية لما استودعهم الله منها ، يقوم بحققها ناهضاً بعد ناهض ، بأنصار لها من المسلمين . وكان أهل الشام أحسن خلقه فيه طاعة ، وأذنبه عن حرّمة وأوفاه بعهده ، وأشدّه نكايّة في مارقٍ يخالف ناكث ناكث^(٢) عن الحق ، فاستدرّت نعمة الله عليهم . قد عمّر بهم الإسلام ، وكُتبت^(٣) بهم الشرك وأهله ، وقد نكثوا أمر الله ، وحاولوا نكث العهود ، وقام بذلك من أشعل ضرامها ، وإن كانت القلوب عنه نافرة ، والمطلوبون بدم الخليفة ولاية^(٤) من بنى أمية ؛ فإن دمه غير ضائع ؛ وإن سكنت بهم الفتنة ، والتأمت الأمور ؛ فأمر أراده الله لامرّد له . فاكذب بحالك فيما أبرموا وما تدرى ؛ فلانى مطّرق إلى أن أرى غيراً^(٥) فأسطو بانتقام ، وأنتم لدين الله المنبوذة فرائضه ، المتروكة مجانة ، ومعى قوم أسكن الله طاعتي قلوبهم ؛ أهل إقدام إلى ما قدّمت بهم عليه ، ولهم نظراء صدورهم مسترعة ممتلئة لو يجدون منزعاً^(٦) ، والنقمة دولة تأتى من الله ؛ ووقت مؤجل^(٧) ؛ ولم أشبه محمداً ولا مروان^(٨) — غير أن رأيت غيراً —

(١) الحين : الهلاك والحنة .

(٢) كبت : صرعه وأخزاه .

(٣) الولاية : الإمارة والسلطان ؛ والمعنى ذوو ولاية ؛ أى أمراء من بنى أمية .

(٤) غير الدهر : حوادثه المفيرة . (٦) ط : « المشبول » ، وما أثبتته من أ .

(٧) المنزع : الموضع الذى يصعد فيه الدلو إذا نزع من النبر ؛ أى لو يجدون مجالا وفرة

(٨) ط : « موكل » ، والصواب ، ما أثبتته من أ .

(٩) محمد أبوه ومروان جده .

إن لم أثمرم للقَدْرِية إزارى ، وأضربهم بسيفي جارحاً وطاعناً ، يرمى قضاء الله في ذلك حيث أخذ ، أو يرمى بهم في عقوبة الله حيث بلغ منهم فيها رضاه ؛ وما لإطراقى إلّا لما أنتظر مما يأتيني عنك ، فلا تنهن عن ثأرك بأخيك ، فإن الله جارئك وكافيك ، وكفى بالله طالباً ونصيراً .

حدثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، عن مسلم بن ذكوان ، قال : كلّمَ يزيد بن الوليد العباس بن الوليد في طُفَيْل بن حارثة الكلبيّ ، وقال : إنه حمّل حمالة ، فإن رأيت أن تكتب إلى مروان بن محمد في الوصاة به ، وأن يأذن له أن يسأل عشيرته فيها — وكان مروان يمنع الناس أن يسألوا شيئاً من ذلك عند العطاء — فأجابه وحمله على البريد . وكان كتاب العباس ينفذ في الآفاق بكلّ ما يكتب به . وكتب يزيد إلى مروان أنه اشترى من أبي عبيدة بن الوليد ضيعة بمائة عشر ألف دينار ، وقد احتاج إلى أربعة آلاف دينار . قال مسلم بن ذكوان : فدعاني يزيد ، وقال : انطلق مع طُفَيْل بهذا الكتاب ^(١) ، وكلّمه في هذا الأمر . قال : فخرجنا ولم يعلم العباسُ بخروجه ، فلما قدمنا خيلاط ، لقينا عمرو بن حارثة الكلبيّ ، فسألنا عن حالنا فأخبرنا ، فقال : كذبتما ^(٢) ؛ إن لكما ولمروان لقصةً ، قلنا : وما ذاك ؟ قال : أخلا في حين أردت الخروج ، وقال لي : جماعة أهل المِرْزة يكونون ألفاً ؟ قلت : وأكثر ، قال : وكم بينها وبين دمشق ؟ قلت : يسمعون المنادى ، قال : كم ترى عدّة بنى عامر ؟ (يعني بنى عامر من كلب) ، قلت : عشرون ألف رجل ، فحرّك أصبعه ، ولوى وجهه . قال مسلم : فلما سمعت ذلك طمعتُ في مروان ، وكتبت إليه على لسان يزيد : أما بعد ، فإنني وجهت إليك ابنَ ذكوان مولاي بما سيذكره لك ، ويسئله إليك ، فألق إليه ما أحببت ، فإنه من خيار أهلى وثقات موالى ؛ وهو شعب حصين ، ووعاء أمين ؛ إن شاء الله . فقدمنا على مروان ، فدفع طُفَيْل كتاب العباس إلى الحاجب ، وأخبره أن معه كتاب يزيد بن الوليد ، فقرأه ، فخرج الحاجب ، وقال : أما معك كتاب غير هذا ، ولا أوصاك بشيء ! قلت : لا ، ولكنى معى مسلم بن

١٨٥٢/٢

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « هذه الكتب » . (٢) كذا في ١ ، وفي ط : « كذابتما » .

ذكوان ، فدخل فأخبره ، فخرج الحاجب ، فقال : مرّ مولاه بالرواح .
قال مسلم : فانصرفت ، فلما حضرت المغرب أتيت المقصورة ؛ فلما صلتى مروان انصرفت لأعيد الصلاة ، ولم أكن أعتدّ بصلاته ، فلما استويت قائماً جاءنى خصى ، فلما نظر إلى انصرفت وأوجزت الصلاة ، فلحقته ، فأدخاني على مروان ؛ وهو فى بيت من بيوت النساء ، فسلمتُ وجلست ، فقال : من أنت ؟ فقلت : مسلم بن ذكوان مولى يزيد ، قال : مولى عتاقة أو مولى تباعة ؟ ١٨٥٣/٢
قلت : مولى عتاقة ، قال : ذلك أفضل ؛ وفى كل ذلك فضل ؛ فاذكر ما بدا لك . قلت : إن رأى الأمير أن يجعل الأمان على ما قلته ، أوافقه فى ذلك أو أخالفه ؛ فأعطاني ما أردت ، فحمدت الله وصلّيت على نبيّه ، ووصفت ما أكرم الله به بنى مروان من الخلافة ورضا العامة بهم ، وكيف نقض الوليد العُرى ، وأفسد قلوب الناس ، وذمّته العامة ؛ وذكرت حاله كلّها . فاما فرغت تكلم ؛ فوالله ما حمد الله ولا تشهد ، وقال : قد سمعت ما قلت ، قد أحسنت وأصبت ، ولنعم الرأى رأى يزيد ؛ فأشهد الله أنى قد بايعته ، أبذل فى هذا الأمر نفسى ومالى ؛ لا أريد بذلك إلا ما عند الله ؛ والله ما أصبحت أستزيد الوليد ، لقد وصل وفرض وأشرك فى ملكه ؛ ولكنى أشهد أنه لا يؤمن بيوم الحساب . وسألنى عن أمر يزيد ، فكبرت الأمر وعظمته ، فقال : اكتم أمرك ؛ وقد قضيت حاجّة صاحبك ، وكفيته أمر حمّالته ، وأمرت له بألف درهم . فأقمت أياماً ، ثم دعاني ذات يوم نصف النهار ، ثم قال : الحقّ بصاحبك ، وقل له : سدّدك الله ، امض على أمر الله ؛ فإنك بعين الله . وكتب جواب كتابى ، وقال لى : إن قدرت أن تطوى أو تطير فطير ، فإنه يخرج بالجزيرة إلى ست ليال أو سبع خارجة ؛ وقد خفت أن يطول أمرهم فلا تقدر أن تجوز . قلت : وما علم الأمير بذلك ؟^(١) فضحك ، وقال : ليس من أهل هوى إلا وقد أعطيتهم الرضا حتى أخبروني بذات أنفسهم . فقلت فى نفسى : أنا واحد من أولئك ، ثم قلت : لئن فعلت ذلك أصلحك الله ؛ إنه قيل لخالد بن يزيد بن معاوية : أتى أصبت هذا العلم ؟ قال : وافقت الرجال على أهوائهم ، ودخلت معهم فى آرائهم ؛ حتى بذلوا لى ما عندهم ، وأفضوا لى بذات أنفسهم .

فودعته وخرجت . فلما كنت بآميد لقيت البرد تتبع بعضها بعضاً بقتل الوليد ؛ وإذا عبد الملك بن مروان [بن محمد] ^(١) قد وثب على عامل الوليد بالجزيرة ، فأخرجه منها ، ووضع الأرصاد على الطريق ، فتركت البرد ، واستأجرت دابة ودليلاً ، فقدمت على يزيد بن الوليد .

* * *

[ذكر الخبر عن عزل منصور بن جمهور عن العراق]

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد منصور بن جمهور عن العراق ، ولأها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر عن يزيد بن الوليد أنه قال لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز : إن أهل العراق يميلون إلى أبيك فسر إليها فقد وليتكمها ؛ فذكر عن أبي عبيدة ، قال : كان عبد الله بن عمر متألهاً متأماً ، فقدّم حين شخص إلى العراق بين يديه رسلاً وكتباً إلى قواد الشام الذين بالعراق ، وخاف ألاّ يسلم له منصور بن جمهور العمل ، فانقاد له كلهم ، وسلم له منصور بن جمهور ، وانصرف إلى الشام ، ففرق عبد الله بن عمر عماله في الأعمال ، وأعطى الناس أرزاقهم وأعطيتهم ؛ فنازعه قواد أهل الشام وقالوا : تقسم على هؤلاء فيثنا وهم عدونا ! فقال عبد الله لأهل العراق : إني قد أردت أن أرد فيكم عليكم ، وعلمت أنكم أحقّ به ؛ فنازعني هؤلاء فأنكروا على .

١٨٥٥/٢

فخرج أهل الكوفة إلى الحبانة ، وتجمعوا ، فأرسل إليهم قواد أهل الشام يعتذرون وينكرون ، ويخلفون أنهم لم يقولوا شيئاً مما بلغهم ، وثار غوغاء الناس من الفريقين ، فمتناوشوا ، وأصيب منهم رهط لم يُعرفوا ، وعبد الله بن عمر بالخير ، وعبيد الله بن العباس الكندي بالكوفة ؛ قد كان منصور بن جمهور استخلفه عليها فأراد ^(٢) أهل الكوفة إخراجه من القصر ، فأرسل إلى عمر بن الغضبان بن القبيعري ، فأتاه فنجى الناس عنه ، وسكنهم وزجر سفهاءهم ^(٣) حتى تجاوزوا ، وأمن بعضهم بعضاً . وبلغ ذلك عبد الله بن عمر ، فأرسل إلى ابن الغضبان ،

(١) من أ . (٢) ط : « وأراد » . (٣) ط : « وزجرهم » .

فكساه وحمله ، وأحسن جائزته ، وولاه شُرطه وخراج السواد والمحاسبات ، وأمره أن يفرض لقومه ، ففرض في ستين وفي سبعين .

* * *

[ذكر وقوع الخلاف بين اليمانية والنزارية في خراسان]

وفي هذه السنة وقع الاختلاف في خراسان بين اليمانية والنزارية ، وأظهر الكرماني فيها الخلاف لنصر بن سيار ، واجتمع مع كل واحد منهما جماعة لنصرته .

* ذكر الخبر عما كان بينهما من ذلك وعن السبب الذي أحدث ذلك : ذكر على بن محمد عن شيوخه ؛ أن عبد الله بن عمر لمّا قدم العراق واليًّا

عليها من قبيل يزيد بن الوليد ، كتب إلى نصر بعهدده على خراسان ؛ قال : ويقال : بل أثناه كتابه بعد خروج الكرماني من حبس نصر ، فقال المنجمون لنصر : إن خراسان سيكون بها فتنة ؛ فأمر نصر برفع حاصل^(١) بيت المال ،

١٨٥٦/٢

وأعطى الناس بعض أعطياتهم ورقًا وذهبًا من الآنية التي كان اتخذها للوليد ابن يزيد ؛ وكان أول من تكلم رجل من كندة ، أفوه طُوال ، فقال : العطاء

العطاء ! فلما كانت الجمعة الثانية ، أمر نصر رجالا من الحرس ، فلبسوا السلاح ، وفرّقهم في المسجد مخافة أن يتكلم متكلم ، فقام الكندي فقال :

العطاء العطاء ! فقام رجل مولى للأزد — وكان يلقب أبا الشياطين — فتكلم ، وقام حماد الصائغ وأبو السليل البكري ، فقالا : العطاء العطاء ! فقال نصر :

إياي والمعصية ؛ عليكم بالطاعة والجماعة ؛ فاتقوا الله واسمعوا ماتوعظون به . فصعد سلم بن أحوز إلى نصر وهو على المنبر فكلّمه ، فقال : ما يغني

عنّا كلامك هذا شيئًا . وثب أهل السوق إلى أسواقهم ؛ فغضب نصر وقال : ما لكم عندي عطاء بعد يومكم هذا ، ثم قال : كأني بالرجل منكم

قد قام إلى أخيه وابن عمه ، فلطم وجهه في جمل يهدى له وثوب يكساه ، ويقول : مولاي وظري ؛ وكأني بهم قد نبغ من تحت أرجلهم شر لا يطاق ،

وكأني بكم مطّرحين في الأسواق كالحزُر المنحورة ؛ إنه لم تطل ولاية رجل إلا ملّوها ؛ وأنتم يا أهل خراسان ؛ مسلحة في نحور العدو ، فإياكم أن

(١) الحاصل من كل شيء : ما بقى منه .

يختلف فيكم سيفان .

قال عليّ : قال عبد الله بن المبارك ، قال نصر في خطبته : إني لمكفر ومع ذاك لمظلم ؛ وعسى أن يكون ذلك خيراً لي . إنكم تغشون^(١) أمراً تريدون فيه الفتنة ، فلا^(٢) أبقى الله عليكم ؛ والله لقد نشرتكم وطويتكم ، وطويتكم ونشرتكم ، فإعندي منكم عشرة ، وإني وإياكم كما قال من كان قبلكم :
استمسيكوا أصحابنا نحدو بكم فقد عرفنا خيركم وشركم فاتقوا الله ؛ فوالله لئن اختلف فيكم ليطمئن الرجل منكم أنه يخلع من ماله وولده ولم يكن رآه . يا أهل خراسان ، إنكم غمطتم الجماعة ، وركنتم إلى الفرقة . أسلطان الجبّول تريدون وتنتظرون ! إن فيه هلاككم معشر العرب ، وتمثل بقول النابغة الذبياني :

١٨٥٧/٢

فإن يغلب شقاؤكم عليكم فإن في صلاحكم سعيت

وقال الحارث بن عبد الله بن الحشرح بن المنيرة بن الورد الجعدي :

أبيت أرى النجوم مرتفقا	إذا استقلت تجزى أوائلها
من فتنة أصبحت مجللة	قد عم أهل الصلاة شاملها
من بخراسان والعراق ومن	بالشام كل شجاء شاغلها
فالناس منها في لون مظلمة	دهماء ملتجة غياطلها
يمسى السفيه الذي يعنف بال	جهل سواء فيها وعقلها
والناس في كربة يكاد لها	تنبذ أولادها حواملها
يغدون منها في ظل مبهم	عمياء تغتالهم غوائلها
لا ينظر الناس في عواقبها	إلا التي لا يبين قائلها
كرغوة البكر أو كصيحة حبة	لى طرقت حولها قوايلها
فجاء فينا أزرى بوجهته	فيها خطوب حمر زلازلها

١٨٥٨/٢

(١) كذا في ١ ، وهو الصواب ، وفي ط : « ترشون » .

(٢) كذا في ١ ، وفي ط : « ولا » .

قال : فلما أتى نصرًا عهده من قبل عبد الله بن عمر قال الكرمانى لأصحابه : الناس فى فتنة ؛ فانظروا لأموركم ^(١) رجلاً — وإنما سُمى الكرمانى لأنه ولد بكرمان ، واسمه جُمْدَيْع بن على بن شبيب بن بَرَارى ^(٢) بن صُنَيْم المعنى — فقالوا : أنت لنا ، فقاتل المضربىة لنصر : الكرمانى يفسد عليك ؛ فأرسل إليه فاقته ، [أو فاحبسه] ^(٣) ، قال : لا ، ولكن لى أولاد ذكور وإناث ، فأزوج بَنَى من بناته وبنيه من بناتى ؛ قالوا : لا ، قال : فأبعث إليه بمائة ألف درهم ، فإنه بخيل ولا يعطى أصحابه شيئاً ، ويعلمون بها فينفروا عنه ، قالوا : لا ، هذه قوة له ، قال : فدعوه على حاله يتتقينا ونتتقيه ، قالوا [لا ، قال] ^(٣) : فأرسل إليه فاحبسه ^(٤) .

قال : وبلغ نصرًا أن الكرمانى يقول : كانت غايى فى طاعة بنى مروان أن يقلد ولدى ^(٥) السيوف فأطلب بئارى المهبلى ، مع مالتينا من نصر وجفائه وطول حرمانه وكافأته إيانا بما كان من صنيع أسد إليه . فقال له عصمة ابن عبد الله الأسدى : إنها بدء فتنة ، فتجن عليه فاحشة ، وأظهر أنه مخالف واضرب عنقه وعنق سباع بن النعمان الأزدى والفرافصة بن ظهير البكرى ، فإنه لم يزل متغضباً على الله بتفضيله مضر على ربيعة .

وكان بخراسان . وقال جسيم بن النعمان : إنك قد شرفته وإن كرهت قتله فادفعه إلى أقتله . وقيل : إنما غضب عليه فى مكاتبه بكر بن فراس البهرانى عامل جرجان ، يعلمه حال منصور بن جمهور حين بعث عهد الكرمانى مع أبى الزعفران مولى أسد بن عبد الله ، فطلبه نصر فلم يقدر عليه . والذى كتب إلى الكرمانى بقتل الوليد وقدم منصور بن جمهور على العراق صالح الأثرم الحرار . وقيل : إن قومًا أتوا نصرًا ، فقالوا : الكرمانى يدعو إلى الفتنة . وقال أصرم ابن قبيصة لنصر : لو أن جديعاً لم يقدر على السلطان والملك إلا بالنصرانية واليهودية لتنصر وتهود . وكان نصر والكرمانى متصافيين ، وقد كان الكرمانى أحسن إلى نصر فى ولاية أسد بن عبد الله ، فلما ولي نصر خراسان عزل الكرمانى عن الرئاسة وصيرها لحرب بن عامر بن أيثم الواشجنى ، فمات حرب

(١) كذا فى وابن الأثير ، وفى ط : « فى أموركم » . (٢) ١ : « برادى بن صبي المعنى » . (٣) من ١ . (٤) ط : « فاحبسه » . (٥) ط : « أن تقلد السيوف » .

فأعاد الكرمانى عليها ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى عزله ، وصيرها لحميل بن النعمان . قال : فتباعد ما بين نصر والكرمانى فحبس الكرمانى فى القهндز وكان على القهندز مقاتل بن على المرتى - ويقال المرى .

قال : ولما أراد نصر حبس الكرمانى أمر عبيد الله بن بسام صاحب حرسه ؛ فأثاه به ، فقال له نصر : يا كيرمانى ، ألم يأتنى كتاب يوسف بن عمر يأمرنى بقتلك ، فراجعتُه وقلت له : شيخ خراسان وفارسها ، وحقت دمك ! قال : بلى ، قال ألم أغرم عنك ما كان لزمك من الغرم وقسمته فى أعطيات الناس ! قال : بلى ، قال ألم أرش^(١) عليك ابنتك على كره من قومك ! قال : بلى ، قال : فبدلت ذلك إجماعاً على الفتنة ! قال الكرمانى : لم يقل الأمير شيئاً إلا وقد كان أكثر منه ، فأنا لذلك شاكر ؛ فإن كان الأمير حقتن دى فقد كان منى أيام أسد بن عبد الله ما قد علم ، فليستأن الأمير ويتثبت فلست أحب الفتنة . فقال عصمة بن عبد الله الأسدى : كذبت ؛ وأنت تريد الشغب ، ومالا تناله . وقال سلم بن أحوز : اضرب عنقه أيها الأمير ، فقال المقدام وقدامة ابنا عبد الرحمن بن نعيم الغامدى : لجلساء فرعون خير منكم ، إذ قالوا : ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾^(٢) ، والله لا يقتلن الكرمانى بقولك يابن أحوز [وعلت الأصوات ، فأمر^(٣) نصر سلماً بحبس الكرمانى ، فحبس لثلاث بقين من شهر رمضان سنة ست وعشرين ومائة ، فكلمت الأزد ، فقال نصر : إننى حلفت أن أحبسه ولا يبدؤه^(٤) منى سوء ، فإن خشيم عليه فاختراروا رجلاً يكون معه . قال : فاختراروا يزيد النحوى ؛ فكان معه فى القهندز ، وصير حرسه بنى ناجية أصحاب عثمان وجهم ابنى مسعود . قال : وبعث الأزد إلى نصر المغيرة بن شعبة الجهمى وخالد بن شعيب بن أبى صالح الحذاتى ، فكلّماه فيه . قال : فلبث فى الحبس تسعة وعشرين يوماً ؛ فقال على بن وائل أحد بنى ربيعة بن حنظلة : دخلت على نصر ، والكرمانى

١٨٦٠/٢

(٢) سورة الأعراف ١١١ .

(١) ط : « ألم أرش » .

(٤) ط : « يتداه » .

(٣) من ١ .

جالس ناحية ، وهو يقول : ما ذنبى إن كان أبو الزعفران جاء ! فوالله ما وارىته ولا أعلم مكانه .

وقد كانت الأزد يوم حبس الكرمانى أرادت أن تنزعه من رُسله ، فناشدتهم الله الكرمانى ألا يفعلوا ، ومضى مع رسل سلكم بن أحوز ، وهو يضحك ، فلما حبس تكلم عبد الملك بن حرملة اليحمدي والمغيرة بن شعبة وعبد الجبار بن شعيب بن عبّاد وجماعة من الأزد ، فنزلوا نَوْش ، وقالوا : لا نرضى أن يحبس الكرمانى بغير جناية ولا حدّ ، فقال لهم شيوخ من اليحمدي : لا تفعلوا وانظروا ما يكون من أميركم ، فقالوا : لا نرضى ؛ لئيكفنّ عنا نصر أو لنسبّدأنّ بكم . وأتاهم عبد العزيز بن عبّاد بن جابر بن همام بن حنظلة اليحمدي في مائة ، ومحمد بن المثني وداد بن شعيب ، فباتوا بنَوْش مع عبد الملك بن حرملة ومن كان معه ، فلما أصبحوا أتوا حوزان ، وأحرقوا منزل عزة أمّ ولد نصر — وأقاموا ثلاثة أيام ، وقالوا : لا نرضى ؛ فعند ذلك صيروا عليه الأمان ، فاجعلوا معه يزيد النحوي وغيره ، فجاء رجل من أهل نسف ، فقال لجعفر غلام الكرمانى : ما تجعلون لى إن أخرجته ؟ قالوا : لك ما سألت ، فأتى مجرى الماء من القهندز فوسّعه ، وأتى ولد الكرمانى ، وقال لهم : اكتبوا إلى أبيكم يستعدّ الليلة للخروج ، فكتبوا إليه ، وأدخلوا الكتاب فى الطعام ، فدعا الكرمانى يزيد النحوي وحسين بن حكيم فتعشّيا معه وخرجا ، ودخل الكرمانى السرب ، فأخذوا بعصده ، فانطوت على بطنه حيّة فلم تضره ، فقال بعض الأزد : كانت الحيّة أزدية فلم تضره .

قال : فانتهى إلى موضع ضيق فسحبوه فسحج منكبه وجنبه ، فلما خرج ركب بغلته دوامة — ويقال : بل ركب فرسه البشير — والقيّد فى رجله ، فأتوا به قرية تسمى غلاطان ، وفيها عبد الملك بن حرملة ، فأطلق عنه .

قال على : وقال أبو الوليد زهير بن هنيذ العدوى : كان مع الكرمانى غلامه بسام ، فرأى خرقاً على القهندز ، فلم يزل يوسعه حتى أمكنه الخروج منه . قال : فأرسل الكرمانى إلى محمد بن المثني وعبد الملك بن حرملة : إني خارج

الليلة ، فاجتمعوا ، وخرج فأتاهم فترقد مولاه ، فأخبرهم ، فلقوه في قرية حرب ابن عامر ، وعليه ملحفة متقلدا سيفاً ، ومعه عبد الجبار بن شعيب وابنا الكرماني : علي وعثمان ، وجعفر غلامه ، فأمر عمرو بن بكر (١) أن يأتي غلطان وأنذغ وأشترج معاً (٢) ، وأمرهم أن يوافوه على باب الريان بن سنان اليحمدي بنوش في المرج - وكان مصلاًهم في العيد - فأتاهم فأخبرهم ، فخرج القوم من قراهم في السلاح ، فصلّى بهم الغداة ، وهم زهاء ألف ، فترجلت الشمس حتى صاروا ثلاثة آلاف ، وأتاهم أهل السقادم ، فسار على مرج نيران حتى أتى حوزان ، فقال خلف بن خليفة :

أُصْحِرُوا لِلْمَرْجِ أَجْلَى لِلْعَمَى فَلَقَدْ أَصْحَرَ أَصْحَابَ السَّرْبِ
إِنَّ مَرْجَ الْأَزْدِ مَرْجٌ وَاسِعٌ تَسْتَوِي الْأَقْدَامُ فِيهِ وَالرُّكْبُ
وقيل : إن الأزد بايعت لعبد الملك بن حرملة على كتاب الله عز وجل

١٨٦٣/٢

ليلة خرج الكرماني ، فلما اجتمعوا في مرج نوش أقيمت الصلاة ، فاختلف عبد الملك والكرماني ساعة ، ثم قدمه عبد الملك ، وصيراً الأمر له ، فصلى الكرواني . ولما هرب الكرماني أصبح نصر معسكراً بباب مَرَوَ الرّوذ بناحية إبردانة ، فأقام يوماً أو يومين .

وقيل : لما هرب الكرماني استخلف نصر عصمة بن عبد الله الأسدي ، وخرج إلى القناطر الخمس بباب مَرَوَ الرّوذ ، وخطب الناس ، فقال من الكرماني ، فقال : ولدت بكرمان وكان كيرمانياً ، ثم سقط إلى هرة فكان هروياً ، والساقط بين الفراشين لا أصل ثابت ؛ ولا فرع ثابت ، ثم ذكر الأزد ، فقال : إن يستوثقوا فأذل قوم ، وإن يأبوا فهم كما قال الأخطل :
ضَفَادِعٌ فِي ظِلْمَاءٍ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ (٣)
ثم ندّم على ما فرط منه ، فقال : اذكروا الله ؛ فإن ذكر الله شفاء ، ذكر الله خير لا شر فيه ، يذهب الذنب ، وذكر الله براءة من النفاق .
ثم اجتمع إلى نصر بشير كثير ، فوجه سلم بن أحوز إلى الكرماني في

(٢) ط : « معنا » .

(١) ا : « بكير » .

(٣) ديوانه ١٣ .

المجتمعة في بشر كثير. فسفر الناس بين نصر والكرمانى ، وسألوا نصراً أن يؤمنه ولا يحبسّه ، ويضمن عنه قومه ألا يخالفه . فوضع يده في يد نصر فأمره بلزوم بيته ، ثم بلغه عن نصر شيء ، فخرج إلى قرية له ، وخرج نصر فعمسك بالقناطر^(١) ، فأتاه القاسم بن نجيب ، فكلّمه فيه فأمنه ، وقال له : إن شئت خرج لك عن خراسان ، وإن شئت أقام في داره — وكان رأى نصر إخراجها — فقال له سلم : إن أخرجته نوّهت باسمه وذكره ، وقال الناس : ١٨٦٤/٢ أخرجته لأنه^(٢) هابه ، فقال نصر : إن الذى أتخوفه منه إذا خرج أيسر مما أتخوفه منه وهو مقيم ، والرجل إذا نفى عن بلده صغر أمره . فأبوا عليه ، فكف عنه ، وأعطى من كان معه عشرة عشرة . وأتى الكرمانى نصراً ، فدخل سرادقه فأمنه . ولحق عبد العزيز بن عبد ربّه بالحارث بن سريج . وأتى نصراً عزل منصور بن جمهور وولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في شوال سنة ست وعشرين ومائة ؛ فخطب الناس ، وذكر ابن جمهور ، وقال : قد علمت أنه لم يكن من عمال العراق ، وقد عزله الله ، واستعمل الطيب ابن الطيب ؛ فغضب الكرمانى لابن جمهور ، فعاد في جمع الرجال واتخاذ السلاح . وكان يحضر الجمعة في ألف وخمسمائة وأكثر وأقل ، فيصلى خارجاً من المقصورة ثم يدخل على نصر ، فيسلم ولا يجلس . ثم ترك إتيان نصر وأظهر الخلاف ، فأرسل إليه نصر مع سلم بن أحوز : إني والله ما أردت بك في حبسك سوءاً ، ولكن خفت أن تفسد أمر الناس ، فأتى . فقال الكرمانى : لولا أنك في منزلي لقتلتك ، ولولما أعرف من حُملك أحسنت أدبك ، فارجع إلى ابن الأقطع فأبلغه ما شئت من خير وشر^(٣) . فرجع إلى نصر فأخبره ، فقال : عدّ إليه ، فقال : لا والله ، وما بى هيبة له ولكنى أكره أن يُسمِعنى فيك ما أكره . فبعث إليه عصمة بن عبد الله الأسدى ، فقال : يا أبا على ، إني أخاف عليك عاقبة ما ابتدأت به في دينك ودنياك ، ونحن نعرض عليك خيصالاً ؛ فانطلق إلى أميرك يعرضها عليك ، وما نريد

(١) ابن الأثير : « باب مرو » . (٢) ط : « إنه » .

(٣) ابن الأثير : « أوشر » .

بذلك إلا الإنذار إليك . فقال الكرماني : إني أعلم أن نصرًا لم يقل هذا لك ولكنك أردت أن يبلغه فتحظي ، والله لا أكلمك كلمة بعد انقضاء كلامي حتى ترجع إلى منزلك ، فيرسل من أحب غيرك . فرجع عصمة ، وقال : ما رأيت عليًّا أعدى لظوره من الكرماني ، وما أعجب منه ؛ ولكن من يحيي بن حصين لعنهم الله ! [والله لهم ^(١)] أشد تعظيماً له من أصحابه . قال سلم بن أحوز : إني أخاف فساد هذا الثغر والناس ، فأرسل إليه قُديداً . وقال نصر لقُديد بن مسبيع : انطلق إليه ، فأثاه فقال له : يا أبا عليّ ، لقد لحجت وأخاف أن يتفاقم الأمر فهلك جميعاً ، وتشمّت بنا هذه الأعاجم ، فقال : يا قُديد ؛ إني لا أتهمك ؛ وقد جاء ما لا أثق بنصر معه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «البكري أخوك ولا تنق به» ؛ قال : أما إذ وقع هذا في نفسك فأعطه رهناً ، قال : من ؟ قال : أعطه عليّاً وعثمان ، قال : فمن يعطيني ؟ ولا خير فيه ، قال : يا أبا عليّ ، أنشدك الله أن يكون خراب هذه البلدة على يديك . ورجع إلى نصر ، فقال لعقيل بن معقل الليثي : ما أخوفني أن يقع بهذا الثغر بلاء ، فكلّم ابن عمك ، فقال عقيل لنصر : أيها الأمير ؛ أنشدك الله أن تشأم عشيرتك ؛ إن مروان بالشأم تقتاتله الخوارج ، والناس في فتنة والأزد سفهاء وهم جيرانك . قال : فما أصنع ؟ إن علمت أمراً يُصلح الناس فدونك ، فقد عزم أنه لا يثق بي . قال : فأثى عقيل الكرماني ، فقال : أبا عليّ ، قد سننت سنة تُطلبُ بعدك من الأمراء ، إني أرى أمراً أخاف أن تذهب فيه العقول ، قال الكرماني : إن نصرًا يريد أن آتيه ولا آمنه ، ونريد أن يعتزل ونعتزل ، ونختار رجلاً من بكر بن وائل ، نرضاه جميعاً ، فيلي أمرنا جميعاً حتى يأتني أمرٌ من الخليفة ؛ وهو يأتني هذا . قال : يا أبا عليّ ، إني أخاف أن يهلك أهل هذا الثغر ، فأت أميرك وقل ما شئت تُجسبُ إليه ، ولا تُطمع سفهاء قومك فيما دخلوا فيه ، فقال الكرماني : إني لا أتهمك في نصيحة ولا عقل ، ولكنتي لا أثق بنصر ؛ فليحمل من مال خراسان ما شاء ويشخص . قال : فهل لك في أمر يجمع الأمر بينكما ؟ تتزوج إليه ويتزوج إليك ، قال : لا آمنه على حال ،

١٨٦٦/٢

قال : ما بعد هذا خير ، وإني خائف أن تهلك غداً بمضيعة ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له عَقِيل : أعود إليك ؟ قال : لا ؛ ولكن أبلغه عني وقل له : لا آمن أن يحملك قوم على غير ما تريد ، فتركب منا ما لا بقيّة بعده ؛ فإن شئت خرجت عنك لا من هيبة لك ، ولكن أكره أن أشأم أهل هذه البلدة ، وأسفلك الدماء فيها . وتهيباً ليخرج إلى جرجان .

* * *

[خبر الحارث بن سريج مع يزيد]

وفي هذه السنة آمن يزيد بن الوليد الحارث بن سريج ، وكتب له بذلك ، ١٨٦٧/٢
فكتب إلى عبد الله بن عمر يأمره برد ما كان أخذ منه من ماله وولده .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

ذكر أن الفتنه لما وقعت بخراسان بين نصر والكرماني ، خاف نصر قدوم الحارث بن سريج عليه بأصحابه والترك ، فيكون أمره أشد عليه من الكرماني وغيره ، وطمع أن يناصحه ، فأرسل إليه مقاتل بن حيان النبطي وثلعة بن صفوان البنانى وأنس بن بجالة الأعرجي وهندبة الشعراوي وربيعه القرشي ليردوه عن بلاد الترك .

فذكر على بن محمد عن شيوخي أن خالد بن زياد البدّي من أهل الترمذ وخالد بن عمرو ومولى بنى عامر ، خرجا إلى يزيد بن الوليد يطلبان الأمان للحارث بن سريج ، فقدموا الكوفة ، فلقيهما سعيد خدينة ، فقال لخالد ابن زياد : أتدرى لم سمّوني خدينة ؟ قال : لا ، قال : أرادوني على قتل أهل اليمن فأبيت . وسألا أبا حنيفة أن يكتب لهما إلى الأجلح — وكان من خاصة يزيد بن الوليد — فكتب لهما إليه ، فأدخلهما عليه ، فقال له خالد بن زياد : يا أمير المؤمنين ، قتل ابن عمك لإقامة كتاب الله ، وعمالك يغشون ويظلمون ! قال : لا أجد أعواناً غيرهم ، وإني لأبغضهم ، قال : يا أمير المؤمنين ، ولأهل البيوتات ، وضم إلى كل عامل رجلاً من أهل الخير والفقّه يأخذونهم بما في عهدك ، قال : أفعل ، وسألاه أماناً للحارث بن سريج ، فكتب له :

أما بعد ، فإننا غضبنا لله ، إذ عطلت حدوده ، وبأبلغ بعباده كل مبلغ ، ١٨٦٨/٢

وسفكت الدماء بغير حلّها، وأخذت الأموال بغير حقّها، فأردنا أن نعمل في هذه الأمة بكتاب الله جلّ وعزّ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولا قوة إلا بالله ؛ فقد أوضحنا لك عن ذات أنفسنا، فأقبل آمنًا أنت ومن معك ؛ فإنكم إخواننا وأعواننا . وقد كتبتُ إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بردًا ما كان اصطفى من أموالكم وذرائعكم .

فقدما الكوفة فدخلنا على ابن عمر ، فقال خالد بن زياد : أصلح الله الأمير ! ألا تأمر عمالك بسيرة أبيك ؟ قال : أوليس سيرة عمر بن الخطاب معروفة ! قال : فما ينفع الناس منها ولا يُعمل بها ! ثم قدما مَرَوْا فدفعنا كتاب يزيد إلى نصر ، فردّ ما كان أخذ لهم مما قدر عليه . ثم نفدنا إلى الحارث ، فلقينا مقاتل بن حيان وأصحابه الذين وجههم نصر إلى الحارث . وكان ابن عمر كتب إلى نصر : إنك آمنت الحارث بغير إذن ولا إذن الخليفة . فأسقط في يديه ، فبعث يزيد بن الأحمر وأمره أن يفتك بالحارث إذا صار معه في السفينة . فلما لقيا مقاتلا بأمّ قطع إليه مقاتل بنفسه ، فكفّ عنه يزيد . قال : فأقبل الحارث يريد مَرَوْا — وكان مقامه بأرض الشراك اثنتي عشرة سنة — وقدم معه القاسم الشيباني ومضرّس بن عمران قاضيه وعبد الله بن سنان . فقدم سمرقند وعليها منصور بن عمر فلم يتلقه ، وقال : الحسن بلائه ! وكتب إلى نصر يستأذنه في الحارث أن يشبّ به ، فأيتهما قتل صاحبه فإلى الجنة أو إلى النار . وكتب إليه : لئن قدم الحارث على الأمير وقد ضربت أمة في سلطانهم ؛ وهو بالغ في دم بعد دم ، قد طوى كشحًا عن الدنيا بعد أن كان في سلطانهم أقراهم لضيّف ، وأشدّهم بأسًا ، وأنفذهم غارة في الترك ؛ ليفترقن عليك بني تميم . وكان سمردرخندها محبوسًا عند منصور بن عمر ؛ لأنه قتل بياسان ، فاستعدى ابنه جنده منصورًا ، فحبسه ، فكلم الحارث منصورًا فيه ، فخلّى سبيله ، فلزم الحارث ووفّى له .

١٨٦٩/٢

• • •

[كتاب إبراهيم الإمام إلى شيعة بنى العباس]

وفي هذه السنة — فيما زعم بعضهم — وجه إبراهيم بن محمد الإمام أبا هاشم بكير بن ماهان إلى خراسان ، وبعث معه بالسيرة والوصية . فقدم مَرَوْا ؛

وجمع النقباء ومن بها من الدعاة، فنعى لهم الإمام محمد بن عليّ، ودعاهم إلى إبراهيم، ودفع إليهم كتاب إبراهيم، فقبلوه ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة، فقدم بها بكير على إبراهيم بن محمد.

[ذكر بيعة إبراهيم بن الوليد بالعهد]

وفي هذه السنة أخذ يزيد بن الوليد لأخيه إبراهيم بن الوليد على الناس البيعة، وجعله وليّ عهده، ولعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بعد إبراهيم ابن الوليد؛ وكان السبب في ذلك — فيما حدثني أحمد بن زهير، عن عليّ ابن محمد — أن يزيد بن الوليد مرض في ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة، فقليل له: بايع لأخيك إبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده. قال: فلم تزل القدرية يحشونه على البيعة، ويقولون له: إنه لا يحلّ لك أن تهمل أمر الأمة فبايع لأخيك؛ حتى بايع لإبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده.

١٨٧٠/٢

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن محمد بن يوسف عن المدينة، وولّاها عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان. قال محمد بن عمر: يقال إن يزيد بن الوليد لم يولّه، ولكنه افتعل كتاباً بولايته المدينة، فعزله يزيد عنها، وولّاها عبد العزيز بن عمر، فقدمها لليلتين بقيتا من ذى القعدة.

[ذكر خلاف مروان بن محمد على يزيد]

وفي هذه السنة أظهر مروان بن محمد الخلاف على يزيد بن الوليد؛ وانصرف من أرمينية إلى الجزيرة، مظهراً أنه طالبٌ بدم الوليد بن يزيد. فلما صار بمرّان بايع يزيد.

• ذكر الخبر عما كان منه في ذلك وعن السبب الذي حمله على الخلاف

ثم البيعة :

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم بن خالد ابن يزيد بن هريم، قال: حدثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح مولى عثمان بن عفان — وسألته عما شهد مما حدثنا به فقال: لم أزل في عسكر مروان بن محمد — قال: كان عبد الملك بن مروان بن محمد بن مروان حين

انصرف عن غزواته الصائفة مع الغمّر بن يزيد بحرّان ، فأتاه قتلُ الوليد وهو بها ، وعلى الجزيرة عبّدة بن رباح الغسانيّ عاملاً للوليد عليها ، فشخص منها — حيث بلغه قتلُ الوليد — إلى الشام ، ووثب عبد الملك بن مروان بن محمد على حرّان ومدائن الجزيرة فضبطها ، ولأها سليمان بن عبد الله بن عُلّانة ، وكتب إلى أبيه بأرمينية يعلمه بذلك ، ويشير عليه بتعجيل السير والقدوم. فتهيأ مروان للمسير ، وأظهر أنه يطلب بدم الوليد، وكره أن يدع الثغر معطلاً حتى يحكم أمره ؛ فوجه إلى أهل الباب إسحاق بن مسلم العقيليّ — وهو رأس قيس — وثابت بن نعيم الجندائيّ من أهل فلسطين — وهو رأس اليمن — وكان سبب صحبة ثابت إياه أن مروان كان خلّصه من حبس هشام بالرّصافة. وكان مروان يقدّم على هشام المرة في السنتين ، فيرفع إليه أمر الثغر وحاله ومصالحة من به من جنوده ، وما ينبغي أن يعمل به في عدوه. وكان سبب حبس هشام ثابتاً ما قد ذكرنا قبل من أمره مع حنظلة بن صفوان وإفساده عليه الجند الذين كان هشام وجههم معه لحرب البربر وأهل إفريقية ؛ إذ قتلوا عامل هشام عليهم ، كلثوم بن عياض القسريّ ، فشكا ذلك من أمره حنظلة إلى هشام في كتاب كتبه إليه ، فأمر هشام حنظلة بتوجيهه إليه في الحديد ، فوجهه حنظلة إليه ، فحبسه هشام ، فلم يزل في حبسه حتى قدم مروان بن محمد على هشام في بعض وفاداته — وقد ذكرنا بعض أمر كلثوم ابن عياض وأمر إفريقية معه في موضعه فيما مضى من كتابنا هذا — فلما قدم مروان على هشام أتاه رعوس أهل البجانية ؛ ممن كان مع هشام ، فطلبوا إليه فيه ؛ وكان ممن كلمه فيه كعب بن حامد العبسيّ صاحب شرط هشام وعبد الرحمن بن الضخّم وسليمان بن حبيب قاضيه ، فاستوبه مروان منه فوهبه له ، فشخص إلى أرمينية ، فولّاه وجبّاه ، فلما وجه مروان ثابتاً مع إسحاق إلى أهل الباب ، كتب إليهم معهما كتاباً يعلمهم فيه حال ثغرهم وما لهم من الأجر في لزوم أمرهم ومراكزهم ، وما في ثبوتهم فيه من دفع مكروه العدو عن ذراريّ المسلمين .

١٨٧١/٢

١٨٧٢/٢

قال : وحمل إليهم معهما أعطياتهم ، وولّى عليهم رجلاً من أهل

فلسطين يقال له حميد بن عبد الله اللخميّ - وكان رضيعاً فيهم وكان
 وليهم قبل ذلك - فحمدوا ولايته . فقاما فيهم بأمره ، وأبلغاهم رسالته ، وقرأ
 عليهم كتابه ، فأجابوا إلى الثبوت في ثغرهم ولزوم مراكزهم . ثم بلغه أنّ ثابتاً
 قد كان يدسّ إلى قوّادهم بالانصراف من ثغْرهم واللحاق بأجنادهم ، فلما
 انصرفا إليه تهيّأ للمسير وعرض جنده ، ودسّ ثابت بن نعيم إلى من معه من
 أهل الشام بالانخزال عن مَرَوَان والانضمام إليه ليسير بهم إلى أجنادهم ،
 ويتولّى أمرهم ؛ فانخزلوا عن عسكرهم مع من فرّ ليلاً وعسكروا على حدة .
 وبلغ مروان أمرهم فبات ليلته ومن معه في السلاح يتحارسون حتى أصبح ؛
 ثم خرج إليهم بمن معه ومن مع ثابت يضعفون على من مع مَرَوَان ،
 فصافوهم ليقاتلوهم ، فأمر مروان منادين فنادوا بين الصّفين من الميمنة والميسرة
 والقلب ، فنادوهم : يا أهل الشام ؛ ما دعاكم إلى الانخزال ! وما الذي نقصتم
 على فيه من سيّسرى ! ألم أليكم بما تحبّون ، وأحسن السيرة فيكم والولاية عليكم !
 ما الذي دعاكم إلى سفك دماءكم ! فأجابوه بأننا كنا نطيعك بطاعة خليفتنا
 وقد قتل خليفتنا وبايع أهل الشام يزيد بن الوليد ، فرضينا بولاية ثابت ،
 ورأسناه ليسير بنا على ألويتنا حتى نردّ إلى أجنادنا . فأمر مناديه فنادى : أن
 قد كذبتم ، وليس تريدون الذي قلتم ؛ وإنما أردتم أن تتركبوا رءوسكم ،
 فتغصبوا من مررتهم به من أهل الذمّة أموالهم وأطعمتهم وأعلافهم ؛ وما بيني
 وبينكم إلا السيف حتى تنقادوا إليّ ، فأسير بكم حتى أوردكم الفرات ، ثم
 أخلّي عن كل قائد وجنده ، فتلحقون بأجنادكم . فلما رأوا الجدد
 منه انقادوا إليه ومالوا له ، وأمكنوه من ثابت بن نعيم وأولاده ؛ وهم
 أربعة رجال : رفاعه ، ونعيم ، وبكر ، وعمران . قال : فأمر بهم
 فأنزلوا عن خيولهم ، وسلّبوها سلاحهم ، ووضع في أرجلهم السلاسل .
 ووكل بهم عدّة من حرسه يحتفظون بهم ، وشخص بجماعة من الجند من
 أهل الشام والجزيرة ، وضمهم إلى عسكره ، وضبطهم في مسيره ، فلم يقدر
 أحد منهم على أن يفسد ولا يظلم أحداً من أهل القرى ، ولا يرزأه شيئاً إلا
 بشمن ، حتى ورد حرّان . ثم أمرهم باللحاق بأجنادهم ، وحبس ثابتاً معه ،

ودعا أهل الجزيرة إلى الفَرَض ، ففرض لنيّف وعشرين ألفاً من أهل الجزيرة منهم ، وتهيئاً للمسير إلى يزيد ، وكاتبه يزيد على أن يبايعه ويوليه ما كان عبد الملك بن مروان ولّى أباه محمد بن مروان من الجزيرة وأرمينية والموصل وأذربيجان ، فبايع له مَرَوَان ، ووجّه إليه محمد بن عبد الله بن عُمَلة ونفراً من وجوه الجزيرة .

* * *

[ذكر خبر وفاة يزيد بن الوليد]

وفي هذه السنة مات يزيد بن الوليد ، وكانت وفاته سلخ ذى الحجة من سنة ست وعشرين ومائة ، قال أبو معشر ما حدثني به أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه : توفّي يزيد بن الوليد في ذى الحجة بعد الأضحى سنة ست وعشرين ومائة ، وكانت خلافته في قول جميع من ذكرنا ستة أشهر ، وقيل كانت خلافته خمسة أشهر وليلتين .

١٨٧٤/٧

وقال هشام بن محمد : ولي ستة أشهر وأياماً . وقال عليّ بن محمد : كانت ولايته خمسة أشهر واثني عشر يوماً .

وقال عليّ بن محمد : مات يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن ست وأربعين سنة .

وكانت ولايته فيما زعم ستة أشهر وليلتين ، وتوفّي بدمشق .
واختلف في مبلغ سنه يوم توفّي فقال هشام توفّي وهو ابن ثلاثين سنه .
وقال بعضهم : توفّي وهو ابن سبع وثلاثين سنة . وكان يكنى أبا خالد وأمه أم ولد اسمها شاه آفرید بنت فَيَسْرُوز بن يَزْدَجِرْد بن شَهْرِبَار ابن كسرى . وهو القائل :

أَنَا ابْنُ كِسْرَى وَأَبِي مَرْوَانَ وَقَبِصِرْ جَدِّي وَجَدَّ خَاقَانَ
وقيل : إنه كان قَدَرِيّاً . وكان - فيما حدثني أحمد ، عن عليّ بن محمد في صفته - أَسْمَر طَوِيلًا ، صَغِير الرَّأْس ، بَوَجه خَال . وكان جَمِيلًا من رجل ، في فمه بعض السعة ، وليس بالمفْرِط .

وقيل له يزيد الناقص لنقصه الناس العشرات التي كان الوليد زادها الناس في قول الواقدي؛ وأما علي بن محمد فإنه قال: سبّه مروان بن محمد، فقال: الناقص ابن الوليد، فسماه الناس الناقص.

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مَرَوَّان ١٨٧٥/٢ في قول الواقدي. وقال بعضهم: حجّ بالناس في هذه السنة عمر بن عبد الله ابن عبد الملك، بعثه يزيد بن الوليد، وخرج معه عبد العزيز وهو على المدينة ومكة والطائف.

وكان عامله على العراق في هذه السنة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وعلى قضاء الكوفة ابن أبي ليلى، وعلى أحداث البصرة المسور بن عمر بن عباد. وعلى قضائها عامر بن عبيدة، وعلى خراسان نصر بن سيار الكناني.

* * *

خلافة أبي إسحاق إبراهيم بن الوليد

ثم كان إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان غير أنه لم يتم له أمر. فحدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، قال: لم يتم لإبراهيم أمره، وكان يسأّم عليه جمعة بالخلافة، وجمعة بالإمرة؛ وجمعة لا يسلمون عليه لا بالخلافة ولا بالإمرة؛ فكان على ذلك أمره حتى قدم مَرَوَّان بن محمد فخلعه وقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك.

وقال هشام بن محمد: استخلف يزيد بن الوليد أبا إسحاق إبراهيم بن الوليد؛ فمكث أربعة أشهر ثم خلع في شهر ربيع الآخر من سنة ست وعشرين ومائة، ثم لم يزل حيناً حتى أصيب في سنة اثنتين وثلاثين ومائة أمه ولد.

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد، قال: كانت ولاية إبراهيم بن الوليد سبعين ليلة.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر مسير مروان إلى الشام وخلع إبراهيم بن الوليد]

فما كان فيها من ذلك مسير مروان بن محمد إلى الشام والحرب التي جرت بينه وبين سليمان بن هشام بعين الجسر .

* ذكر ذلك والسبب الذي كانت عنه هذه الواقعة :

قال أبو جعفر : وكان السبب ما ذكرتُ بعضه ؛ من أمر مسير مروان بعد مقتل الوليد بن يزيد إلى الجزيرة من أرمينية ، وغلبته عليها ، مظهرًا أنه ناثر بالوليد ، منكرًا قتله ، ثم إظهاره البيعة ليزيد بن الوليد بعد ما ولّاه عمل أبيه محمد بن مروان ، وإظهاره ما أظهر من ذلك ، وتوجيهه وهو بجرّان محمد بن عبد الله بن علّالة وجماعة من وجوه أهل الجزيرة . فحدثني أحمد ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد ، قال : لما أتى مروان موت يزيد أرسل إلى ابن علّالة وأصحابه فردّهم من منسّيج ، وشخص إلى إبراهيم بن الوليد ، فسار مروان في جند الجزيرة ، وخلف ابنه عبد الملك في أربعين ألف من الرابطة بالرقّة . فلما انتهى إلى قنّسرين ، وبها أخ ليزيد بن الوليد يقال له بشر ، كان ولّاه قنّسرين فخرج إليه فصافّه ، فنادى الناس ، ودعاهم مروان إلى مبايعته ، فقال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسية ، وأسلموا بشرًا وأخًا له يقال له مسرور بن الوليد ؛ — وكان أخا بشر لأمه وأبيه — فأخذه مروان وأخاه مسرور بن الوليد ، فحبسهما وسار فيمن معه من أهل الجزيرة وأهل قنّسرين ، متوجهًا إلى أهل حمص ؛ وكان أهل حمص امتنعوا حين مات يزيد بن الوليد أن يبايعوا إبراهيم وعبد العزيز ابن الحجاج ، فوجه إليه إبراهيم عبد العزيز بن الحجاج وجند أهل دمشق ، فحاصروهم في مدينتهم ، وأغذّ مروان السّير ، فلما دنا من مدينة حمص ، رحل عبد العزيز عنهم ، وخرجوا إلى مروان فبايعوه ، وساروا بأجمعهم معه ،

ووجه إبراهيم بن الوليد الجنود مع سليمان بن هشام، فسار بهم حتى نزل عين الجحر، وأتاه مروان وسليمان في عشرين ومائة ألف فارس ومروان في نحو من ثمانين ألفاً فالتقيا، فدعاهم مروان إلى الكف عن قتاله، والتخليه عن ابني الوليد: الحكم وعثمان، وهما في سجن دمشق محبوسان، وضمن عنهما ألا يؤاخذاهم بقتلهم أباهما، وألا يطلبأ أحداً ممن ولي قتله؛ فأبوا عليه، وجدوا في قتاله؛ فاقتتلوا ما بين ارتفاع النهار إلى العصر، واستحضر القتل بينهم؛ وكثر في الفريقين. وكان مروان مجرباً مكيداً، فدعا ثلاثة نفر من قواده — أحدهم أخ لإسحاق بن مسلم يقال له عيسى — فأمرهم بالمسير خلف صفه في خيله وهم ثلاثة آلاف، ووجه معهم فعلة بالفؤوس، وقد ملأ الصفان من أصحابه وأصحاب سليمان بن هشام ما بين الجبلين المحيطين بالمرج، وبين العسكرين نهر جرار، وأمرهم إذا انتهوا إلى الجبل أن يقطعوا الشجر، فيعقدوا جسوراً، ويجوزوا إلى عسكر سليمان، ويغيروا فيه.

قال: فلم تشعر خيول سليمان وهم مشغولون بالقتال إلا بالخيل والبارقة^(١) ١٨٧٨/٢ والتكبير في عسكرهم من خلفهم، فلما رأوا ذلك انكسروا؛ وكانت هزيمتهم، ووضع أهل حمص السلاح فيهم لخدمهم عليهم، فقتلوا منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً، وكف أهل الجزيرة وأهل قنسرين عن قتلهم، فلم يقتلوا منهم أحداً، وأتوا مروان من أسرائهم بمثل عدة القتلى وأكثر، واستبيح عسكرهم. فأخذ مروان عليهم البيعة للغلامين: الحكم وعثمان، وخلص عنهم بعد أن قواهم. بدينار دينار، وألحقهم بأهاليهم، ولم يقتل منهم إلا رجلين يقال لأحدهما يزيد بن العقار وللآخر الوليد بن مصاد الكلبين؛ وكانا فيمن سار إلى الوليد وولّى قتله. وكان يزيد بن خالد بن عبد الله القسري معهم، فسار حتى هرب فيمن هرب مع سليمان بن هشام إلى دمشق؛ وكان أحدهما — يعني الكلبين — على حرس يزيد والآخر على شرطه؛ فإنه ضربهما في موقفه ذلك بالسياط، ثم أمر بهما فحبسا فهلكا في حبسه.

قال: ومضى سليمان وممن معه من الفل حتى صبحوا دمشق، واجتمع

(١) البارقة: السيوف؛ سميت بذلك لبريقها.

إليه وإلى إبراهيم وعبد العزيز بن الحجاج رعوس من معهم ، وهم يزيد بن خالد القسريّ وأبو علاقة السكسكيّ والأصبغ بن ذؤالة الكلبيّ ونظراؤهم ؛ فقال بعضهم لبعض : إن بقي الغلامان ابنا الوليد حتى يقدم مروان ويخرجهما من الحبس ويصير الأمر إليهما لم يستبقيا أحداً من قتلتهما أبيهما ؛ والرأى أن نقتلتهما . فولّوا ذلك يزيد بن خالد - ومعهما في الحبس أبو محمد السفينانيّ ويوسف بن عمر - فأرسل يزيد مولّى لخالد يقال له أبا الأسد ، في عدّة من أصحابه ، فدخل السجن ، فشدّخ الغلامين بالعمد ؛ وأخرج يوسف بن عمر ليقتلوه ، وضربت عنقه . وأرادوا قتل أبي محمد السفينانيّ ، فدخل بيتاً من بيوت السجن فأغلقه ، وألقى خلفه الفرش والوسائد ، واعتمد على الباب فلم يقدرُوا على فتحه ، فدعوا بنار ليحرقوه فلم يؤتوا بها ، حتى قيل : قد دخلت خيل مروان المدينة وهرب إبراهيم بن الوليد ، وتغيّب ، وأذهب سليمان ما كان في بيت المال وقسمه فيمن معه من الجنود وخرج من المدينة .

١٨٧٩/٢

* * *

[ذكر ظهور عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة دعا إلى نفسه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة ، وحارب بها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ابن مروان ، فهزمه عبد الله بن عمر ، فلحق بالجلال فغلب عليها .

* ذكر الخبر عن سبب خروج عبد الله ودعائه الناس إلى نفسه :

وكان إظهار عبد الله بن معاوية الخلاف على عبد الله بن عمر ونصيبه الحرب له - فيما ذكر هشام عن أبي مخنف - في المحرم سنة سبع وعشرين ومائة . وكان سبب خروجه عليه - فيما حدثني أحمد ، عن عليّ بن محمد ، عن عاصم ابن حفص التميميّ وغيره من أهل العلم - أن^(١) عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر قدِم الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، يلتبس صِلته ،^(٢) لا يريد خروجا ، فتزوج ابنة حاتم بن الشرق بن عبد المؤمن بن شبيب بن

١٨٨٠/٢

(١) الخبر في الأغاني ١٢ : ٢٢٨ وما بعدها .

(٢) الأغاني : « مستبيحاً » .

رَبْعِيَّ ، فلما وقعت العصبية قال له أهل الكوفة : ادعُ إلى نفسك ، فبنو هاشم أولى بالأمر من بني مَرْوَانَ ، فدعا سرّاً بالكوفة وابن عمر بالحيرة ، وبايعه ابن ضَمْرَةَ الخِزَاعِيَّ ، فدسّ إليه ابن عمر فأرضاه ، فأرسل إليه : إذا نحن التقينا بالناس انهزمتُ بهم . وبلغ ابن معاوية ، فلما التقى الناس قال ابن معاوية : إنَّ ابن ضَمْرَةَ قد غَدَرَ ، ووعد ابن عمر أن ينهزم بالناس ؛ فلا يهولنكم انهزامه ، فإنه عن غَدَرٍ يفعل . فلما التقوا انهزم ابن ضَمْرَةَ ، وانهزم الناس ، فلم يبق معه أحد ، فقال :

تَفَرَّقَتِ الطَّبَائُ عَلَى خِدَاشٍ فَمَا يَدْرِي خِدَاشُ مَا يَصِيدُ

فرجع ابنُ معاوية إلى الكوفة ؛ وكانوا التقوا ما بين الحيرة والكوفة ، ثم خرج إلى المدائن فبايعوه ، وأتاه قوم من أهل الكوفة ، فخرج فغلب على حلوان والجبّال .

قال : ويقال قدم عبد الله بن معاوية الكوفة وجمع جمعاً ، فلم يعلم عبد الله بن عمر حتى خرج في الجبّانة مجتمعاً على الحرب ، فالتقوا ، ونحّال بن قَسْطَنَ الحارثي على أهل اليمن ، فشدّ عليه الأصبع بن ذؤالة الكلبي في أهل الشام ، فانهزم خالد وأهل الكوفة وأمسكت نزار عن نزار ورجعوا ، وأقبل خمسون رجلاً من الزيدية إلى دار ابن محرز القرشي يريدون القتال ، فقتلوا ، ولم يقتل من أهل الكوفة غيرهم .

قال : وخرج ابن معاوية من الكوفة مع عبد الله بن عباس التميمي إلى المدائن ، ثم خرج منها فغلب على الماهين وهَمَسَدَان وقوميس وأصبهان والرّي ، وخرج إليه عبيد أهل الكوفة ، وقال :

فَلَا تَرَكْبَنَّ الصَّنِيعَ الَّذِي تَلُومُ أَخَاكَ عَلَى مِثْلِهِ^(١)

(١) قبلهما في الأغاني :

أَلَا تَرَعُ الْقَلْبَ عَنْ جَهْلِهِ وَعَمَّا تُؤَنَّبُ مِنْ أَجْلِهِ !
فَأُبْدِلْ بَعْدَ الصَّبَا حِلْمَهُ وَأَقْصِرْ ذُو الْعَدْلِ عَنْ عَدْلِهِ

وَلَا يُعْجِبَنَّكَ قَوْلُ امْرِئٍ يَخَالِفُ مَا قَالَ فِي فَعْلِهِ (١)
وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى ؛ فإنه زعم أن سبب ذلك أن عبد الله
والحسن ويزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قدموا على عبد الله بن عمر ؛
فنزّلوا في النَّخَع ، في دار مولى لهم ، يقال له الوليد بن سعيد ، فأكرمهم ابن
عمر وأجازهم ، وأجرى عليهم كلّ يوم ثلثمائة درهم ، فكانوا كذلك حتى
هانتك يزيد بن الوليد ، وبايع الناس أخاه إبراهيم بن الوليد ومن بعده عبد العزيز
ابن الحجاج بن عبد الملك ، فقد مت بيعتهما على عبد الله بن عمر بالكوفة ،
فبايع الناس لهما ، وزادهم في العطاء مائة مائة ؛ وكتب بيعتهما إلى الآفاق ،
فجاءته البيعة ، فبينما هو كذلك ؛ إذ أتاه الخبر بأن مروان بن محمد قد سار
في أهل الجزيرة إلى إبراهيم بن الوليد ، وأنه امتنع من البيعة له ، فاحتبس
عبد الله بن عمر عبد الله بن معاوية عنده ، وزاده فيما كان يجري عليه ، وأعدّ لمروان
ابن محمد إن هو ظفر بإبراهيم بن الوليد ليبايع له ؛ ويقا تل به مروان ؛ فهاج
الناس في أمرهم ، وقرب مروان من الشام ، وخرج إليه إبراهيم فقاتله مروان ،
فهزمه وظفر بعسكره وخرج هارباً ، وثبت عبد العزيز بن الحجاج يقاتل حتى
قتل . وأقبل إسماعيل بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله القسري هارباً حتى
أتى الكوفة ؛ وكان في عسكر إبراهيم ، فافتعل كتاباً على لسان إبراهيم بولاية
الكوفة ، فأرسل إلى اليمانية ، فأخبرهم سرّاً أن إبراهيم بن الوليد ولّا له العراق ،
فقبلوا ذلك منه ، وبلغ الخبر عبد الله بن عمر فباكره صلاة الغداة ، فقاتله من
ساعته ، ومعه عمر بن الغَضْبَان ؛ فلما رأى إسماعيل ذلك - ولا عهد معه
وصاحبه الذي افتعل العهد على لسانه هارب منهزم - خاف أن يظهر أمره
فيفتضح ويقتل ، فقال لأصحابه : إني كارهٌ لسفك الدماء ؛ ولم أحسن
أن يبلغ الأمر ما بلغ ، فكفّوا أيديكم . ففترّق القوم عنه ، فقال لأهل
بيته : إنّ إبراهيم قد هرب ، ودخل مروان دمشق ، فحسكي ذلك عن

١٨٨٢/٢

(١) بعدما في الأغاني :

وَلَا تُتْبِعِ الطَّرْفَ مَا لَا تُنَالُ وَلَكِنْ سَلِّ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ
فَكَمْ مِنْ مَقْلٍ يَنَالُ الْغَنَى وَيَحْمَدُ فِي رِزْقِهِ كُلَّهُ

أهل بيته ، فانتشر الخبر ، واشترأبت الفتنة ، ووقعت العصبيّة بين الناس . وكان سبب ذلك أن عبد الله بن عمر كان أعطى مضر وربيعة عطايًا عظاماً ، ولم يعط جعفر بن نافع بن القعقاع بن شتور الذهليّ وعثمان بن الحخيرىّ أخا بني تميم اللات بن ثعلبة شمساً ، ولم يسوّهما بنظرائهما ؛ فدخلوا عليه ؛ فكلّماه كلاماً غليظاً ، فغضب ابنُ عمر ، وأمر بهما ، فقام إليهما عبد الملك الطائيّ - وكان على شرطه يقوم على رأسه - فدفعهما ، فدفعاه وخرجا مغضبين . وكان ثمامة بن حوشب بن رويم الشيبانيّ حاضراً ، فخرج مغاضباً لصاحبيه ، فخرجوا جميعاً إلى الكوفة ، وكان هذا وابن عمر بالحيرة ، فلما دخلوا الكوفة نادوا : يا آل ربيعة ، فثارت إليهم ربيعة ، فاجتمعوا وتنمّروا ، وبلغ الخبر ابنَ عمر ، فأرسل إليهم أخاه عاصماً ، فأتاهم وهم بدير هند قد اجتمعوا وحشدوا ، فألقى نفسه بينهم ، وقال : هذه يدى لكم فاحكموا ؛ فاستحيوا وعظّموا عاصماً ، وتشكّروا له ، وأقبل على صاحبيتهم فسكتا وكفّتا ، فلما أمسى ابنُ عمر أرسل من تحت ليلته إلى عمر بن الغضبان بمائة ألف ، فقسمها في قومه بني همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ، وأرسل إلى ثمامة بن حوشب بن رويم بمائة ألف ، فقسمها في قومه ، وأرسل إلى جعفر بن نافع بن القعقاع بعشرة آلاف ، وإلى عثمان بن الحخيرىّ بعشرة آلاف .

قال أبو جعفر : فلما رأت الشيعة ضعفه اغتمزوا فيه ، واجترءوا عليه وطمعوا فيه ودعوا إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر . وكان الذى ولى ذلك هلال ابن أبى الورد مولى بنى عجل ، فثاروا في غوغاء الناس حتى أتوا المسجد ، فاجتمعوا فيه وهلال القائم بالأمر ، فبايعه ناس من الشيعة لعبد الله بن معاوية ، ثم مضوا من فتورهم إلى عبد الله ، فأخرجوه من دار الوليد بن سعيد ؛ حتى أدخلوه القصر ، وحالوا بين عاصم بن عمر وبين القصر ، فلحق بأخيه عبد الله بالحيرة ، وجاء ابن معاوية الكوفيون فبايعوه ، فيهم عمر بن الغضبان بن القبعريّ ومنصور بن جمهور وإسماعيل بن عبد الله القسريّ ومن كان من أهل الشام بالكوفة له أهل وأصل ، فأقام بالكوفة أياماً يبايعه الناس ، وأتته البيعة من المدائن وفهم النيل ، واجتمع إليه الناس ، فخرج يريد عبد الله بن عمر بالحيرة ،

١٨٨٤/٢

وبرز له عبد الله بن عمر فيمن كان معه من أهل الشام ، فخرج رجل من أهل الشام يسأله البراز ، فبرز له القاسم بن عبد الغفار ، فقال له الشامي^(١) : لقد دعوت حين دعوت ، وما أظن أن يخرج إلى رجل من بكر بن وائل ، والله ما أريد قتالك ، ولكن أحببت أن ألقى إليك ما انتهى إلينا ؛ أخبرك أنه ليس معكم رجل من أهل اليمن ؛ لا منصور ولا إسماعيل ولا غيرهما إلا وقد كاتب عبد الله بن عمر ، وجاءته كتب مضر ، وما أرى لكم أيها الحى من ربيعة كتاباً ولا رسولا ، وليسوا موافعيكم يومكم حتى تُصَبِّحُوا فيواقعكم ، فإن استطعتم ألا تكون بكم الحزة فافعلوا ، فإن رجل من قيس ، وسنكون غداً بإزائكم ؛ فإن أردتم الكتاب إلى صاحبنا أبلغته ، وإن أردتم الوفاء لمن خرجتم معه فقد أبلغتكم حال الناس . فدعا القاسم رجالاً من قومه ، فأعلمهم ما قال له الرجل ؛ وأن ميمنة ابن عمر من ربيعة ، ومضر ستقف بإزاء ميسرة وفيها ربيعة ، فقال عبد الله بن معاوية : إن هذه علامة ستظهر لنا إن أصبحنا ؛ فإن أحب عمر بن الغضبان فليلقني الليلة ؛ وإن منعه شغل ما هوفيه فهو عذر^(٢) ؛ وقل له : إني لأظن القيسي قد كذب ، فأتى الرسول عمر بذلك ، فردّه إليه بكتاب يُعلمه أن رسول هذا بمنزلي عندي ، ويأمره أن يتوثق من منصور وإسماعيل ، وإنما أراد أن يعلمهما بذلك . قال : فأبى ابن معاوية أن يفعل ، فأصبح الناس غادين على القتال ، وقد جعل اليمن في الميمنة ومضر وربيعة في الميسرة ، ونادى مُنادٍ : من أتى برأس فله كذا وكذا ، أو بأسير فله كذا وكذا ، والمال عند عمر بن الغضبان .

١٨٨٥/٢

والتقى الناس واقتتلوا ، وحمل عمر بن الغضبان على ميمنة ابن عمر فانكشفوا ، ومضى إسماعيل ومنصور من فَوْرَهما إلى الحيرة ، ورجمت^(٣) غوغاء الناس أهل اليمن من أهل الكوفة ، فقتلوا فيهم أكثر من ثلاثين رجلاً ، وقتل الهاشمي العباس بن عبد الله زوج ابنة الملاة .

ذكر عمر أن محمد بن يحيى حدثه عن أبيه ، عن عاتكة بنت الملاة ،

(١) ابن الأثير : « فسأله الشامي ففرقه فقال » .

(٢) ط : « فهو عذر » ، وما أثبتته من أ .

(٣) كذا في أ ، وفي ط : « وزجت » .

تزوجت أزواجاً، منهم العباس بن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، قُتِلَ مع عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في العصبية بالعراق. وقتل مبكر ابن الحواري بن زياد في غيرهم؛ ثم انكشفوا وفيهم عبد الله بن معاوية حتى دخل نصر الكوفة، وبقيت الميسرة من مُضَرَّ وربيعة ومسنٍ بإزائهم من أهل الشام، وحمل أهل القلب من أهل الشام على الزيدية فانكشفوا، حتى دخلوا الكوفة، وبقيت الميسرة وهم نحو خمسمائة رجل، وأقبل عامر بن ضبارة ونُبَّاتة ابن حنظلة بن قبيصة وعتبة بن عبد الرحمن الثعلبي والنضر بن سعيد بن عمرو الحرثي، حتى وقفوا على ربيعة، فقالوا لعمر بن الغضبان: أمّا نحن يا معشر ربيعة، فما كنا نأمنُ عليكم ما صنع الناس بأهل اليمن، ونتخوف عليكم مثلها؛ فانصرفوا. فقال عمر: ما كنت ببارح أبداً حتى أموت؛ فقالوا: إن هذا ليس بمغنٍ عنك ولا عن أصحابك شيئاً، فأخذوا بعنان دابته فأدخلوه الكوفة.

قال عمر: حدثني عليّ بن محمد، عن سليمان بن عبد الله النوفلي، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا خِرَاش بن المغيرة بن عطية مولى لبني ليث، عن أبيه، قال: كنت كاتب عبد الله بن عمر؛ فوالله إني لعنده يوماً وهو بالحيرة إذ أتاه آت فقال: هذا عبد الله بن معاوية قد أقبل في الحلق، فأطرق ملياً وجاءه رئيس خبازيه، فقام بين يديه كأنه يؤذنه بإدراك طعامه، فأوماً إليه عبد الله: أن هاته. فجاء بالطعام، وقد شخصت قلوبنا، ونحن نتوقع أن يهجم علينا ابن معاوية ونحن معه، قال: فجعلت أتفقده: هل أراه تغير في شيء من أمره من مطعم أو مشرب أو منظر أو أمر أو نهى؟ فلا والله، ما أنكرت من هيئته قليلاً ولا كثيراً؛ وكان طعامه إذا أتى به وُضع بين كل اثنين منا صحفة. قال: فوضعت بيني وبين فلان صحفة، وبين فلان وفلان صحفة أخرى؛ حتى عدّ مسن كان على خوانه، فلما فرغ من غدائه ووضوئه، أمر بالمال فأخرج؛ حتى أخرجت آنية من ذهب وفضة وكسّاً، ففرّق أكثر ذلك في قواده، ثم دعا مولى له أو مملوكاً كان يتبرّك به ويتفأل باسمه — إمّا يدعى ميموناً أو فتحاً أو اسماً من الأسماء المتبرّك بها — فقال له:

خذلواك، وامض إلى تل كذا وكذا فاركزه [عليه] ^(١)؛ وادع أصحابك، وأقم حتى آتيتك. ففعل وخرج عبدُ الله وخرجنا معه؛ حتى صار إلى التل فإذا الأرض بيضاء من أصحاب ابنِ معاوية، فأمر عبد الله منادياً، فنادى: من جاء برأس فله خمسمائة؛ فوالله ما كان بأسرع من أن أتى برأس، فوُضِع بين يديه؛ فأمر له بخمسمائة، فدفعته إلى الذي جاء به، فلما رأى أصحابه وفاءه لصاحب الرأس، ثاروا ^(٢) بالقوم؛ فوالله ما كان إلا هُنيئها حتى نظرت إلى نحو من خمسمائة رأس قد أُلقيت بين يديه؛ وانكشف ابنُ معاوية ومن معه منهزمين، فكان أول من دخل الكوفة من أصحابه منهزماً أبو البلاد مولى بني عبس وابنه سليمان بين يديه— وكان أبو البلاد متشيعاً—فجعل أهل الكوفة ينادونهم كل يوم؛ وكأنهم يعبرونهم بانهزامه؛ فجعل يصيح بابنه سليمان: امض ودع النواضح ^(٣) ينفقن. قال: ومرَّ عبد الله بن معاوية فطوى الكوفة، ولم يعرَّج بها حتى أتى الجبل.

١٨٨٧/٢

وأما أبو عُبَيْدة: فإنه ذكر أن عبد الله بن معاوية وإخوته دخلوا القصر فلما أمسوا قالوا لعمر بن الغضبان وأصحابه: يا معشرَ ربيعة، قد رأيتم ما صنع الناس بنا؛ وقد أعلقنا دماءنا في أعناقكم؛ فإن كنتم مقاتلين معنا قاتلنا معكم؛ وإن كنتم تروون الناس خاذلين وإيائكم؛ فخذوا لنا ولكم أماناً؛ فما أخذتم لأنفسكم فقد رضينا لأنفسنا، فقال لهم عمر بن الغضبان: ما نحن بتارككم من إحدى خلتين: إما أن نقاتل معكم، وإما أن نأخذ لكم أماناً كما نأخذ لأنفسنا، فطيبوا نفساً، فأقاموا في القصر، والزيدية على أفواه السكك يستغذو عليهم أهل الشام ويروحون، يقاتلونهم أياماً. ثم إن ربيعة أخذت لأنفسها وللزيدية ولعبد الله بن معاوية أماناً؛ ألا يتبعوهم ويذهبوا حيث شاءوا. وأرسل عبد الله بن عمر إلى عمر بن الغضبان يأمره بنزول القصر وإخراج عبد الله بن معاوية، فأرسل إليه ابنُ الغضبان فرحله ومن معه من شيعته ومن تبعه من أهل المدائن وأهل السواد وأهل

(١) من أ. ط: «نادوا»، وأثبت ما في أ.

(٣) النواضح: جمع ناضح؛ وهو البعير أو الثور أو الحمار يستق عليه.

الكوفة ، فسار بهم رسلُ عمر حتى أخرجوهم من الجسّس فنزل عمر من القصر .

* * *

[ذكر خبر رجوع الحارث بن سريج إلى مَرَوْ]

وفي هذه السنة وافى الحارث بن سريج مَرَوْ ، خارجاً إليها من بلاد الترك بالأمان الذي كتب له يزيد بن الوليد ، فصار إلى نصر بن سيار ، ثم خالفه وأظهر الخلاف له ، وبايعه على ذلك جمع كبير .

* ذكر الخبر عن أمره وأمر نصر بعد قدومه عليه :

ذكر عليّ بن محمد عن شيوخته ؛ أنّ الحارث سار إلى مَرَوْ ، مخرجه^(١) من بلاد الترك ، فقدمها يوم الأحد لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة ، فتلقاه سلم بن أحوز ، والناس بكشماهين ، فقال محمد بن الفضل^(٢) ابن عطية العبسيّ : الحمد لله الذي أقرّ أعيننا بقدمك ، وردّك إلى فئة الإسلام وإلى الجماعة . قال : يا بنيّ ؛ أما علمت أنّ الكثير إذا كانوا على معصية الله كانوا قليلاً ، وأنّ القليل إذا كانوا على طاعة الله كانوا كثيراً ! وما قرّرت عيني منذ خرجت إلى يومي هذا ، وما قرّة عيني إلا أن يطاع الله . فلما دخل مَرَوْ قال : اللهمّ إني لم أنوِ قطّ في شيء مما بيني وبينهم إلّا الوفاء ، فإن أرادوا الغدر فانصرتني عليهم . ولقاه نصر فأنزله قصرٌ بخارخذه ، وأجرى عليه نزلاً^(٣) خمسين درهماً في كلّ يوم ، وكان يقتصر على لون واحد ، وأطلق نصر من كان عنده من أهله ؛ أطلق محمد بن الحارث والألوف بنت الحارث وأمّ بكر ؛ فلما أتاه ابنه محمد ، قال : اللهمّ اجعله باراً تقيّاً .

قال : وقدم الوضاح بن حبيب بن بُدّيل على نصر بن سيار من عند عبد الله بن عمر ، وقد أصابه برد شديد ، فكساه أثواباً ، وأمر له بقصرى وجاريتين ؛ ثم أتى الحارث بن سريج ، وعنده جماعة من أصحابه قيام على رأسه ، فقال له : إنّنا بالعراق ، نشهر عظم عمودك ونقله ؛ وإني أحبّ أن أراه ، فقال : ما هو إلّا كبعض ما ترى مع هؤلاء — وأشار إلى أصحابه — ولكني إذا ضربت به [شهرت^(٣)] ضربتني ، قال : وكان في عموده بالشأمي ثمانية عشر رطلاً .

١٨٨٩/٢

قال : ودخل الحارث بن سريج على نَصْر ، وعليه الجوشن ^(١) الذي أصابه من خاقان ، وكان خيمته بين مائة ألف دينار دنبكانيّة وبين الجوشن ؛ فاختر الجوشن . فنظرت إليه المرزبانة بنت قديد ؛ امرأة نصر بن سيار ، فأرسلت إليه بجرز لها سُمور ^(٢) ، مع جارية لها فقالت ، أقرئي ابن عمي السّلام ، وقولي له : اليوم بارد فاستدفي بهذا العجرز السّمور ، فالحمد لله الذي أقدمك صالحاً . فقال للجارية : أقرئي بنت عمي السّلام ، وقولي لها : أعاريت أم هدية ؟ فقالت : بل هدية ؛ فباعه بأربعة آلاف دينار وقسمها في أصحابه . وبعث إليه نصر بفرش كثيرة وفرس ، فباع ذلك كله ، وقسمه في أصحابه بالسّوية . وكان يجلس على برّذعة ، وتُشنى له وسادة غليظة . وعرض نصر على الحارث أن يوليه ويعطيه مائة ألف دينار ، فلم يقبل ، وأرسل إلى نصر : إني لست من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات ، ولا من تزويج عقائل العرب في شيء ؛ وإنما أسأل كتاب الله عزّ وجلّ والعمل بالسّنة واستعمال أهل الخير والفضّل ، فإن فعلت ساعدتك على عدوك .

وأرسل الحارث إلى الكرمانى : إن أعطاني نصر العمل بكتاب الله وما سألته من استعمال أهل الخير والفضل عضدته وقمت بأمر الله ، وإن لم يفعل استعنت بالله عليه ، وأعتك إن ضمننت لى ما أريد من القيام بالعدل والسّنة .

١٨٩٠/٢

وكان كلما دخل عليه بنو تميم دعاهم إلى نفسه ، فباعه محمد بن حمران ومحمد ابن حرب بن جبر فاس المنقريّان والخليل بن غزّوان العدوى ، وعبد الله ابن مجاعة وهبيرة بن شراحيل السعديان ، وعبد العزيز بن عبد ربّه الليثي ، وبشر ابن جرموز الضبيّ ، ونهار بن عبد الله بن الحُتات المجاشعيّ ، وعبد الله النباني ^(٣) . وقال الحارث لنصر : خرجت من هذه المدينة منذ ثلاث عشرة سنة لإنكاراً للجور ، وأنت تريدني عليه ! فانضمّ إلى الحارث ثلاثة آلاف .

* * *

(١) في اللسان : « الجوشن من السلاح : زرد يلبس على الصدر » .

(٢) الجرّز ، بالكسر : لباس النساء من الوبر والجلد . وفي اللسان : « السمور : دابة

معروفة تسمى من جلودها فراء غالية الأثمان » . (٣) ١ : « البنانى » .

خلافة مروان بن محمد

وفي هذه السنة بويع بدمشق لمروان بن محمد بالخلافة :

• ذكر الخبر عن سبب البيعة له :

حدثني أحمد ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد مولى عثمان بن عفان ، قال : لما قيل : قد دخلت خيل مروان دمشق هرب إبراهيم بن الوليد وتغيّب ، فانتهب^(١) سليمان ما كان في بيت المال وقسمه فيمن معه من الجند ، وخرج من المدينة ، وثار من فيها من موالى الوليد بن يزيد إلى دار عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه ، ونشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الحايية ، ودخل مروان دمشق فنزل عالية ، وأتى بالعلماء مقتولين ويوسف بن عمر فأمر بهم فدفنوا ، وأتى بأبي محمد السفيناني محمولاً في كبشوله ، فسلم عليه بالخلافة ، ومروان يومئذ يسلّم عليه بالإمرة ، فقال له : مه ، فقال : إنهما جعلاهما لك بعدهما ، وأنشده شعراً قاله الحكم في السجن .

١٨٩١/٢

قال : وكانا قد بلغا ، ووُلد لأحدهما وهو الحكم والآخر قد احتلم قبل ذلك بستين ، قال : فقال الحكم :

أَلَا مَنْ مَبْلُغُ مَرْوَانَ عَنِّي	وَعَمَى الْغَمْرَ طَالَ بَذَا حَيْنِنَا ^(٢)
بَأَنِّي قَدْ ظَلَمْتُ وَصَارَ قَوِّمِي	عَلَى قَتْلِ الْوَلِيدِ مَتَابِعِينَا ^(٣)
أَيَذْهَبُ كَلْبُهُمْ بِيَدِي وَمَالِي ^(٤)	فَلَا غَثًا أَصَبْتُ وَلَا سَمِينَا
وَمَرْوَانُ بَارِضُ بَنِي نِزَارٍ	كَلَيْثِ الْغَابِ مَفْتَرِسُ عَرِينَا
أَلَمْ يَحْزُنْكَ قَتْلُ قَتْنَى قَرِيشٍ	وَشَقُّهُمْ عَصِيَّ الْمُسْلِمِينَا
أَلَا فَاقَرَ السَّلَامَ عَلَى قُرَيْشٍ	وَقَيْسٍ بِالْجَزِيرَةِ أَجْمَعِينَا
وَسَادَ النَّاqِصُ الْقَدَرِيُّ فِينَا ^(٥)	وَأَلْقَى الْحَرْبَ بَيْنَ بَنِي أَبِينَا

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « فأنهب » . (٢) ابن الأثير : « طال به » .

(٣) ١ : « مشايعينا » . (٤) ابن الأثير : « أيذهب كلمهم » .

(٥) ١ : « وسار » .

فلو شهد الفوارس من سليم
ولو شهدت ليوث بنى تميم
أتنتكث بيعتي من أجل أمي
فليت خضولتي من غير كلب
فإن أهلك أنا وولي عهدي
فمروان أمير المؤمنين

وكعب لم أكن لهم رهينا
لما بعنا تراث بني أبينا
فقد بايعتم قبلي هجينا
وكانت في ولادة آخرينا
فمروان أمير المؤمنين

ثم قال : أبسط يدك أبايعك ، وسمعه من مع مروان من أهل الشام ؛ فكان أول من نهض معاوية بن يزيد بن الحصين بن نمير ورعوس أهل حمص ، فبايعوه ، فأمرهم أن يختاروا لولاية أجنادهم ، فاختار أهل دمشق زامل بن عمرو الجبراني ، وأهل حمص عبد الله بن شجرة الكندي ، وأهل الأردن الوليد بن معاوية بن مروان ، وأهل فلسطين ثابت بن نعيم الجندامي الذي كان استخرجه من سجن هشام وغدر به بأرمينية ، فأخذ عليهم العهود المؤكدة والأيمان المغلظة على بيعته ، وانصرف إلى منزله من حرّان .

١٨٩٢/٢

قال أبو جعفر : فلما استوت لمروان بن محمد الشام وانصرف إلى منزله بحرّان طلب الأمان منه إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام فآمنهم ، فقدم عليه سليمان — وكان سليمان بن هشام يوءد بتدمير بمن معه من إخوته وأهل بيته ودواليه الذكوانية — فبايعوا مروان بن محمد .

* * *

[ذكر الخبر عن انتقاض أهل حمص على مروان]

وفي هذه السنة انتقض على مروان أهل حمص وسائر أهل الشام فحاربهم .

* ذكر الخبر عن أمرهم وأمره وعن سبب ذلك :

حدثني أحمد^(١) ، قال حدثني عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو هاشم محمد بن محمد بن صالح ، قال : لما انصرف مروان إلى منزله من حرّان بعد فراغه من أهل الشام لم يلبث إلا ثلاثة أشهر ؛ حتى خالفه أهل الشام وانتقضوا عليه ؛ وكان الذي دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم ، ورأسلهم

(١) هو أحمد بن زهير (الراوى) .

وكتبهم ، وبلغ مروان خبرهم ، فصار إليهم بنفسه ، وأرسل أهل حمص إلى منْ بدمر من كلب ؛ فشنخص إليهم الأصبع بن ذؤالة الكلبي ومعه بنون له ثلاثة رجال : حمزة وذؤالة وفرافصة ومعاوية السكسكي — وكان فارس أهل الشام — وعصمة بن المقشعر وهشام بن مصاد وطغيل بن حارثة ونحو ألف من فرسانهم ، فدخلوا مدينة حمص ليلة الفطر من سنة سبع وعشرين ومائة . قال : ومروان بحمّة ليس بينه وبين مدينة حمص إلا ثلاثون ميلاً ، فأتاه خبرهم صبيحة الفطر ، فجدّ في السير ، ومعه يومئذ إبراهيم بن الوليد المخاوع وسليمان بن هشام ؛ وقد كانا راسلاه وطلبا إليه الأمان ، فصارا معه في عسكره يكرمهما ويؤدنيهما ويجلسان معه على غدائه وعشائه ، ويسيران معه في موكبه . فانتهى إلى مدينة حمص بعد الفطر بيومين ، والكلبية فيها قد ردّموا أبوابها من داخل ، وهو على عدّة معه روابطه ، فأحدث خيله بالمدينة ، ووقف حذاء باب من أبوابها ، وأشرف على جماعة من الحائط ، فناداهم مناديه : ما دعاكم إلى التكت ؟ قالوا : إنا على طاعتك لم نكت ، فقال لهم : فإن كنتم على ما تذكرون فافتحوا ، ففتحوا الباب ، فاقتحم منه عمرو بن الوضاح في الوضاحية [وهم] نحو من ثلاثة آلاف فقاتلوهم في داخل المدينة ؛ فلما كثرتهم خيل مروان ، انتهوا إلى باب من أبواب المدينة يقال له باب تدمر ، فخرجوا منه والروابط عليه فقاتلواهم ، فقتل عامتهم ، وأفلت الأصبع بن ذؤالة والسكسكي وأسر ابنا الأصبع : ذؤالة وفرافصة في نيّف وثلاثين رجلا منهم ، فأتى بهم مروان فقتلهم وهو واقف ، وأمر بجمع قتلاهم وهم خمسمائة أو ستمائة ، فصلبوا حول المدينة ، وهدم من حائط مدينتها نحواً من غسّوة . وثار أهل الغوطة إلى مدينة دمشق ، فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو ، وولّوا عليهم يزيد بن خالد القسري ، وثبت مع زامل المدينة وأهلها وقائد في نحو أربعمائة ، يقال له أبو هبّار القرشي فوجّه إليهم مروان من حمص أبا الورد بن الكوثر بن زفر بن الحارث — واسمه مجزأة — وعمرو بن الوضاح في عشرة آلاف ، فلما دنّوا من المدينة حملوا عليهم ، وخرج أبو هبّار وخيله من المدينة ، فهزمهم واستباحوا عسكرهم وحرّقوا الميزّة من قرى البانية ، ولجأ يزيد بن خالد وأبو عِلّاقة إلى رجلٍ من لحَم من أهل الميزّة ، فدُلّ عليهما زامل ، فأرسل إليهما ، فقتلا

١٨٩٣/٢

١٨٩٤/٢

قبل أن يوصل بهما إليه ، فبعث برأسيهما إلى مَرْوَانَ بِحِمْنَص ، وخرج ثابت ابن نُعَيْمٍ من أهل فلسطين ؛ حتى أتى مدينة طَبَرِيَّةَ ، فحاصر أهلها ، وسأها الوليد بن معاوية بن مَرْوَانَ ؛ ابن أخى عبد الملك بن مروان ، فقاتلوه أياماً ، فكتب مَرْوَانَ إلى أبى الورد أن يشخص إليهم فيمدّهم . قال : فرحل من دمشق بعد أيام ، فلما بلغهم دنوّه خرجوا من المدينة على ثابت ومَنْ معه ، فاستباحوا عسكرهم ، فانصرف إلى فلسطين منزوماً ، فجمع قومه وجُنْدَه ؛ ومضى إليه أبو الورد فهزمه ثانية ، وتفرّق مَن معه ، وأسر ثلاثة رجال من ولده ؛ وهم نُعَيْم وبَكْر وعمران ، فبعث بهم إلى مَرْوَانَ فقُدّم بهم عليه ؛ — وهو بدير أيوب — جرحى ، فأمر بمدّاة جراحاتهم ، وتغيّب ثابت بن نعيم ، فولّى الرُّمّاحس بن عبدالعزيز الكنانى فلسطين ، وأفلت مع ثابت من ولده رفاعه ابن ثابت — وكان أخبثهم — فلاحق بمنصور بن جمهور ، فأكرمه وولّاه وخالّفه مع أخ له يقال له منظور بن جمهور ؛ فوثب عليه فقتله ، فبلغ منصوراً وهو متوجّه إلى المُنْتان^(١) ، وكان أخوه بالمنصورة ، فرجع إليه فأخذه ، فبنى له أسطوانة من آجرٍ مجوّفة ، وأدخله فيها ، ثم سَمّره إليها ، وبنى عليه .

١٨٩٥/٢

قال : وكتب مَرْوَانَ إلى الرُّمّاحس في طلب ثابت والتلطف له ، فدلّ عليه رجل من قومه فأخذ ومعه نفر ، فأتى به مَرْوَانَ موثقاً بعد شهرين ، فأمر به وبنيه الذين كانوا في يديه ، فقطّعت أيديهم وأرجلهم ؛ ثم حمّلوا إلى دمشق ، فرأيتهم مقطّعين ، فأقيموا على باب مسجدّها ؛ لأنه كان يبلغه أنهم يرجفون بثابت ، ويقولون : إنه أتى مصر ؛ فغلب عليها ، وقتل عامل مَرْوَانَ بها . وأقبل مَرْوَانَ من دير أيوب حتى بايع لابنيه عبيد الله وعبد الله ، وزوّجهما ابنتى هشام بن عبد الملك ؛ أمّ هشام وعائشة ، وجمع لذلك أهل بيته جميعاً ؛ من ولد عبد الملك محمد وسعيد وبكار وولد الوليد وسليمان ويزيد وهشام وغيرهم من قريش ورعوس العرب ، وقطع على أهل الشام بعضاً وقواهم ، وولّى على كل جند منهم قائداً منهم ، وأمرهم باللاحق بيزيد بن عمر بن هُبيرة . وكان قبل مسيره إلى الشام وجهه في عشرين ألفاً من أهل قنّسرين والجزيرة ، وأمره أن ينزل دورين إلى أن يقدم ، وصيّره

١٨٩٦/٢

(١) ا : « الميان » ، ومن نسخة بحاشيتها : « المطان » .

مقدمة له ، وانصرف من دير أيوب إلى دمشق ؛ وقد استقامت له الشام كلها ما خلا تدمر ، وأمر ب ثابت بن نعيم وبنيه والنفر الذين قطعهم فقتلوا وصلبوا على أبواب دمشق ، قال : فرأيتهم حين قتلوا وصلبوا . قال : واستبق رجلاً منهم يقال له عمرو بن الحارث الكلبي ، وكان — فيما زعموا — عنده علم من أموال كان ثابت وضعها عند قوم ، ومضى بمن معه ، فنزل القسطل من أرض حمص مما يلي تدمر ؛ بينهما مسيرة ثلاثة أيام ؛ وبلغه أنهم قد عوروا^(١) ما بينه وبينها من الآبار ، وطموها بالصخر ؛ فهيئاً المزداد والقرب والأعلاف والإبل ، فحمل ذلك له ولبن معه ، فكلمه الأبرش بن الوليد وسليمان ابن هشام وغيرهما ، وسأله أن يعذر إليهم ، ويحتج عليهم . فأجابهم إلى ذلك ، فوجه الأبرش إليهم أخاه عمرو بن الوليد ، وكتب إليهم يحذروهم ويعلمون أنه يتخوف أن يكون هلاكه وهلاك قومه ، فطرده ولم يجيبوه ، فسأله الأبرش أن يأذن له في التوجه^(٢) إليهم ، ويوجه أياماً ، ففعل ، فأتاهم فكلمهم وخوفهم وأعلمهم أنهم حمقى ، وأنه لا طاقة لهم به وبمن معه ، فأجابه عامتهم ، وهرب من لم يثق به منهم إلى برية كلب وباديتهم ، وهم السكسكى وعيصمة بن المقشعر وطفيل بن حارثة ومعاوية بن أبي سفيان بن يزيد بن معاوية ، وكان صهر الأبرش على ابنته . وكتب الأبرش إلى مروان يعلمه ذلك ، فكتب إليه مروان : أن اهدم حائط مدينتهم ، وانصرف إلى بمن بايعك منهم .

فانصرف إليه ومعه [من] ^(٣) رءوسهم الأصبع بن ذؤالة وابنه حمزة وجماعة من رءوسهم ، وانصرف مروان بهم على طريق البرية على سورية ودير اللثقي ، حتى قدم الرضافة ومعه سليمان بن هشام وعمه سعيد بن عبد الملك وإخوته جميعاً وإبراهيم الخاوع وجماعة من ولد الوليد وسليمان ويزيد ، فأقاموا بها يوماً ، ثم شخص إلى الرقة فاستأذنه سليمان ، وسأله أن يأذن له أن يقيم أياماً ليقوى من معه من مواليه ، ويحجم ظهره ثم يتبعه ، فأذن له ومضى مروان ، فنزل

(١) عور البئر : أفسدها ؛ رقى اللسان : « وفي حديث علي : « أمره أن يعور آبار بدر » ، أى يدفنها ويطمها . » (٢) كذا ما في وهو الصواب ، وفي ط : « التوجيه . » (٣) من أ .

عند واسط على شاطئ الفرات في عسكر كان ينزله ، فأقام به ثلاثة أيام ، ثم مضى إلى قَرْقِيسيا وابن هبيرة بها ، ليقدمه إلى العراق لمحاربة الضحّاك ابن قيس الشيباني الحروري ، فأقبل في نحو عشرة آلاف من كان مروان قطع عليهم البعث بدير أيّوب لغزو العراق مع قوّادهم حتى حلّوا بالرّصافة ، فدعوا سليمان إلى خلع مروان ومحاربتة .

وفي هذه السنة دخل الضحّاك بن قيس الشيباني الكوفة .

ذكر الأخبار عن خروج الضحّاك

محكمًا ودخوله الكوفة ، ومن أين كان إقباله إليها

اختلف في ذلك من أمره ، فأما أحمد^(١) ، فإنه حدّثني عن عبد الوهاب ابن إبراهيم ، قال : حدّثني أبو هاشم مخلّد بن محمد ، قال : كان سبب خروج الضحّاك أن الوليد حين قتل خرج بالجزيرة حروريّ يقال له سعيد ابن بهدل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة ؛ فيهم الضحّاك ، فاغتم قتل الوليد واشتغال مروان بالشأم ، فخرج بأرض كَفَرْتُوثًا ، وخرج بسطام البيهسي وهو مفارق لرأيه في مثل عبدتهم من ربيعة ، فسار كل واحد منهما إلى صاحبه ؛ فلما تقارب العسكران وجّه سعيد بن بهدل الخيبري — وهو أحد قوّاده ، وهو الذي هزم مروان — في نحو من مائة وخمسين فارسًا لبيسته ، فانتهى إلى عسكره وهم غارثون ، وقد أمر كل واحد منهم أن يكون معه ثوب أبيض يجلّل به رأسه ، ليعرف بعضهم بعضًا ، فبكروا في عسكرهم فأصابوهم في غرة ، فقال الخيبري :

١٨٩٨/٢

إِنْ يَكْ بِسْطَامُ فَإِنِّي الْخَيْبَرِيّ أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَأَخْمِي عَسْكَرِي
فقتلوا بسطامًا وجميع من معه إلا أربعة عشر ، فلحقوا بمروان ، فكانوا معه فأثبتهم في روابطه ، وولّى عليهم رجالًا منهم يقال له مقاتل ، ويكنى أبا النعثل . ثم مضى سعيد بن بهدل نحو العراق لما بلغه من تشييت الأمر بها واختلاف أهل الشأم ، وقتل بعضهم بعضًا مع عبد الله بن عمر ،

(١) هو أحمد بن زهير (الراوى) .

والتنضر بن سعيد الحرشي - وكانت اليمانية من أهل الشام مع عبد الله بن عمر بالحيرة ، والمضرية ، مع ابن الحرشي بالكوفة ؛ فهم يقتتلون فيما بينهم غدوة وعشية . قال : فمات سعيد بن بهدل في وجهه ذلك من طاعون أصابه ؛ واستخلف الضحاك بن قيس من بعده ؛ وكانت له امرأة تسمى حوماء ، فقال الخيبري في ذلك :

سَقَى اللَّهُ يَا حَوْمَاءُ قَبْرَ ابْنِ بَهْدَلٍ إِذَا رَحَلَ السَّارُونَ لَمْ يَتَرَخَّلْ
قال : واجتمع مع الضحاك نحو من ألف ثم توجه إلى الكوفة ، ومرو بأرض الموصل ، فاتبعه منها ومن أهل الجزيرة ^(١) نحو من ثلاثة آلاف ، وبالكوفة يومئذ التنضر بن سعيد الحرشي وبعه المضرية ، وبالحيرة عبد الله بن عمر في اليمانية ، فهم متعصبون يقتتلون فيما بين الكوفة والحيرة ، فلما دنا إليه الضحاك فيمن معه من الكوفة اصططح ابن عمر والحرشي ، فصار أمرهم واحداً ، ويداً على قتال الضحاك ، وخندقاً على الكوفة ، ومعهما يومئذ من أهل الشام نحو من ثلاثين ألفاً ، لهم قوة وعدة ، ومعهم قائد من أهل قنيسرين ، يقال له عباد بن الغزييل في ألف فارس ، قد كان مروان أمد به ابن الحرشي ، فبرزوا لهم ، فقاتلوهم ، فقتل يومئذ عاصم بن عمر بن عبد العزيز وجعفر بن عباس الكندي ، وهزمهم أقبح هزيمة ، ولحق عبد الله بن عمر في جماعتهم بواسط ، وتوجه ابن الحرشي - وهو التنضر - وجماعة المضرية وإسماعيل ابن عبد الله القسري إلى مروان ، فاستولى الضحاك والحزرية على الكوفة وأرضها ، وجبوا السواد . ثم استخلف الضحاك رجلاً من أصحابه - يقال له ملحان - على الكوفة في مائتي فارس ، ومضى في عظم أصحابه إلى عبد الله بن عمر بواسط ، فحاصره بها ؛ وكان معه قائد من قواد أهل قنيسرين يقال له عطية الثعلبي ^(٢) - وكان من الأشداء - فلما تخوف محاصرة الضحاك خرج في سبعين أو ثمانين من قومه متوجهاً إلى مروان ، فخرج على القادسية ، فبلغ ملحان ممره ، فخرج في أصحابه مبادراً يريده ، فلقه على قنطرة السيلحين - وملحان قد تسرع في نحو من ثلاثين فارساً - فقاتله

(١) ١ : « السواد » . (٢) ط : « الثعلبي » ، تحريف .

١٩٠٠/٢

فقتله عطية وناساً من أصحابه ، وانهزم بقيتهم حتى دخلوا الكوفة ، ومضى عطية حتى لحق فيمن معه مروان .

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى ، فإنه قال : حدثني أبو سعيد ، قال : لما مات سعيد بن بهدل المرسى ، وبايعت الشراة للضحاك ، أقام بشهر زور وثابت إليه الصُفْرىة من كل وجه حتى صار في أربعة آلاف ، فلم يجتمع مثلهم لخارجي قط قبله . قال : وهلك يزيد بن الوليد وعامله على العراق عبد الله بن عمر ، فأنحط مروان من أرمينية حتى نزل الجزيرة ، وولّى العراق النضر بن سعيد — وكان من قواد ابن عمر — فشخص إلى الكوفة ، ونزل ابن عمر الحيرة ، فاجتمعت المضرية إلى النضر واليانية إلى ابن عمر ، فحاربه أربعة أشهر ، ثم أمد مروان النضر بابن الغزيل ، فأقبل الضحاك نحو الكوفة وذلك في سنة سبع وعشرين ومائة ، فأرسل ابن عمر إلى النضر : هذا لا يريد غيري وغيرك ، فهلم نجتمع عليه [فتعاقد عليه] ^(١) ، وأقبل ابن عمر ، فنزل تلّ الفتح وأقبل الضحاك ليعبر الفرات ، فأرسل إليه ابن عمر حمزة بن الأصبع بن ذؤالة الكلبي ليمسّعه من العبور ، فقال عبيد الله بن العباس الكندي : دعه يعبر إلينا ، فهو أهون علينا من طلبه . فأرسل ابن عمر إلى حمزة يكفّنه عن ذلك ، فنزل ابن عمر الكوفة ، وكان يصلى في مسجد الأمير بأصحابه ، والنضر بن سعيد في ناحية الكوفة يصلّى بأصحابه ، لا يجامع ابن عمر ولا يصلى معه ؛ غير أنهما قد تكافأ واجتمعا على قتال الضحاك ، وأقبل الضحاك حين رجع حمزة حتى عبّر الفرات ، ونزل النخيلة يوم الأربعاء في رجب سنة سبع وعشرين ومائة ، فخف إليهم أهل الشام من أصحاب ابن عمر والنضر ، قبل أن ينزلوا ، فأصابوا منهم أربعة عشر فارساً وثلاث عشرة امرأة . ثم نزل الضحاك وضرب عسكره ، وعبى أصحابه ، وأراح ، ثم تغادوا يوم الخميس ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فكشفوا ابن عمر وأصحابه ، وقتلوا أخاه عاصماً ، قتله البرذون بن مرزوق ^(٢) الشيباني ، فدفنه بنو الأشعث بن قيس في دارهم ، وقتلوا جعفر بن العباس الكندي أخا عبيد الله ، وكان جعفر على شرطة عبد الله بن عمر ، وكان

١٩٠١/٢

الذى قتل جعفرًا عبد الملك بن علقمة بن عبد القيس ، وكان جعفر حين ربه عبد الملك نادى ابن عم له يقال له شاشلة ، فكرر عليه شاشلة ، وضربه رجل من الصفورية ، ففلق وجهه .

قال أبو سعيد : فرأيت بعد ذلك كأن له وجهين ، وأكب عبد الملك على جعفر فذبحه ذبحاً ، فقالت أم البرذون الصفورية :

نَحْنُ قَتَلْنَا عاصماً وجعفرًا والفارس الضبي حين أضحرا

* ونَحْنُ جئنا الخندق المقعرا *

فانهزم أصحاب ابن عمر ، وأقبل الخوارج ، فوقفوا على خندقنا إلى الليل ثم انصرفوا ، ثم تغادينا يوم الجمعة ؛ فوالله ماتنا منا حتى هزّمونا ، فدخلنا خنادقنا ، وأصبحنا يوم السبت ؛ فإذا الناس يتسللون ويهربون إلى واسط ، ورأوا قومًا لم يروا مثلهم قطّ أشدّ بأساً ؛ كأنهم الأسد عند أشبالها ، فذهب ابن عمر ينظر أصحابه ، فإذا عامتهم قد هربوا تحت الليل ، ولحق عظمهم بواسط ؛ فكان ممن لحق بواسط النضر بن سعيد وإسماعيل بن عبد الله ومنصور ابن جمهور والأصبغ بن ذؤالة وابناه : حمزة وذؤالة ، والوليد بن حسان الغساني وجميع الوجوه ، وبقي ابن عمر فيمن بقي من أصحابه مقيماً لم يبرح .

١٩٠٢/٢

ويقال : إن عبد الله بن عمر لما ولي العراق ولّى الكوفة عبيد الله بن العباس الكندي وعلى شرطه عمر بن الغضبان بن القسبري ، فلم يزلوا على ذلك حتى مات يزيد بن الوليد ، وقام إبراهيم بن الوليد ، فأقرّ ابن عمر على العراق ، فولّى ابن عمر أخاه عاصماً على الكوفة ، وأقرّ ابن الغضبان على شرطه ، فلم يزلوا على ذلك حتى خرج عبد الله بن معاوية فاتهم عمر بن الغضبان ، فلما انقضى أمر عبد الله بن معاوية ولّى عبد الله بن عمر عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الكوفة ، وعلى شرطه الحكم بن عتيبة الأسدي من أهل الشام ، ثم عزل عمر بن عبد الحميد عن الكوفة ، ثم عزل عمر بن الغضبان عن شرطه وولى الوليد بن حسان الغساني ، ثم ولّى إسماعيل بن عبد الله القسري وعلى شرطه أبان بن الوليد ، ثم عزل إسماعيل

وولّى عبد الصمد بن أبان بن النعمان بن بشير الأنصارى ، ثم عزل فولّى
عاصم بن عمر ، فقدم عليه الضحّاك بن قيس الشيباني .

١٩٠٣/٢

ويقال : إنما قدم الضحّاك وإسماعيل بن عبد الله القسرى فى القصر
وعبد الله بن عمر بالحيرة وابن الحرّشى بدير هند ، فغلب الضحّاك على الكوفة ،
وولّى مِلْحان بن معروف الشيباني عليها ، وحلى شرطه الصّفّرى من بنى حنظلة
— حرّورى — فخرج ابن الحرّشى يريد الشام ، فعارضه مِلْحان ، فقتله ابن
الحرّشى فولى الضحّاك على الكوفة حسان فولّى حسان ابنه الحارث على شرطه .
وقال عبد الله بن عمر يرنى أخاه عاصماً لما قتله الخوارج :

رَمَى غَرَضِي رَيْبُ الزَّمَانِ فَلَمْ يَدْعُ	غَدَاةَ رَمَى لِلْقَوْسِ فِي الْكَفِّ مَنَزَعَا
رَمَى غَرَضِي الْأَقْصَى فَأَقْصَدَ عَاصِماً	أَخَا كَانَ لِي حِرْزًا وَمَأْوَى وَمَفْزَعَا
فَإِنْ تَكُ أَحْزَانُ وَفَائِضُ عَبْرَةٍ	أَذَابَتْ عَيْبِطًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ مَنْقَعَا
تَجَرَّعْتُهَا فِي عَاصِمٍ وَاحْتَسَيْتُهَا	فَاعْظَمُ مِنْهَا مَا احْتَسَى وَتَجَرَّعَا
فَلَيْتَ الْمَنَايَا كُنَّ خَلْفَنَ عَاصِماً	فَعِشْنَا جَمِيعاً أَوْ ذَهَبَنَ بِنَا مَعَا

وذكر أن عبد الله بن عمر يقول : بلغنى أن عيين بن عيين بن عيين بن عيين
يقتل ميم بن ميم بن ميم بن ميم ، وكان يأمل أن يقتله ؛ فقتله عبد الله بن عليّ
ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، فذكر أن أصحاب ابن عمر لما انهزموا
فلحقوا بواسط ، قال لابن عمر أصحابه : علام تقيم وقد هرب الناس ! قال :
أتلوم وأنظر ، فأقام يوماً أو يومين لا يرى إلا هارباً ، وقد امتلأت قلوبهم
رُعباً من الخوارج ، فأمر عند ذلك بالرحيل إلى واسط ، وجمع خالد بن
الغزّيل أصحابه ، فلحق بمروان وهو مقيم بالجزيرة ، ونظر عبید الله بن العباس
الكندي إلى ما لقي الناس ، فلم يأمن على نفسه ، فمجنح إلى الضحّاك
فبايعه ؛ وكان معه فى عسكره ، فقال أبو عطاء السندی يعيره باتباعه الضحّاك ،
وقد قتل أخاه :

١٩٠٤/٢

قُلْ لِعَبِيدِ اللَّهِ لَوْ كَانَ جَعْفَرُ^(١) هُوَ الْحَيُّ لَمْ يَجْنَحْ وَأَنْتَ قَتِيلٌ

(١) ابن الأثير : « قتل » .

ولم يتبع المراق والثائر فيهم وفي كفه عَضْبُ الذُّبابِ صَقِيلٍ
إلى مَعْشَرٍ أَرَدُوا أَخَاكَ وَأَكْفَرُوا^(١) أباك، فماذا بعد ذلك تقول !
- فلما بلغ عبيد الله بن العباس هذا البيت من قول أبي عطاء ، قال أقول :
أَعْضَلَكَ اللهُ بِيْظَرِ أَمَلِكْ -

فلا وصلتك الرَّحْمُ من ذى قَرَابَةٍ وطالب وتر ، والدليل دليل
تركت أخا شيبان يسلب بزه ونجك خوار العنان مطول

قال : فنزل ابن عمر منزل الحجاج بن يوسف بواسط - فيما قيل - في اليمانية
ونزل النضر وأخوه سليمان ابنا سعيد وحنظلة بن نُبَّاتَة وابناه محمد ونباتة في
المضرية ذات اليمين إذا صعدت من البصرة ، وخلوا الكوفة والحيرة للضحاك
والثائرة ، وصارت في أيديهم ، وعادت الحرب بين عبد الله بن عمر والنضر
ابن سعيد الحرشي إلى ما كانت عليه قبل قدوم الضحاك يطلب النضر أن يسلم
إليه عبد الله بن عمر ولاية العراق بكتاب مروان ، ويأتي عبد الله بن عمر واليمانية
مع ابن عمر والنزارية مع النضر ؛ وذلك أن جند أهل اليمن كانوا مع يزيد
الناقص تعصباً على الوليد حيث أسلم خالد بن عبد الله القسري إلى يوسف بن عمر
حتى قتله ؛ وكانت القيسية مع مروان ، لأنه طلب بدم الوليد - وأحوال الوليد
من قيس ، ثم من ثقيف ، أمه زينب بنت محمد بن يوسف ابنة أخى الحجاج -
فعادت الحرب بين ابن عمر والنضر ، ودخل الضحاك الكوفة فأقام بها ،
واستعمل عليها مسلحان الشيباني في شعبان سنة سبع وعشرين ومائة ، فأقبل
منقضاً في الثائرة إلى واسط ، متبعاً لابن عمر والنضر ، فنزل باب المضمار .
فلما رأى ذلك ابن عمر والنضر نكلا عن الحرب فيما بينهما ، وصارت كلمتهما
عليه واحدة ؛ كما كانت بالكوفة ؛ فجعل النضر وقواده يعبرون الجسر ،
فيقاتلون الضحاك وأصحابه مع ابن عمر ثم يعودون إلى مواضعهم ، ولا يقيمون
مع ابن عمر ؛ فلم يزالوا على ذلك : شعبان وشهر رمضان وشوال ، فاقتلوا
يوماً من تلك الأيام ، فاشتد قتالهم ، فشده منصور بن جمهور على قائد

١٩٠٦/٢

(١) ابن الأثير : « إلى معشر ردوا » .

من قواد الضحاك ، كان عظيم القدر في الشرة ، يقال له عكرمة بن شيبان ،
فضربه على باب القورج ، فقطعه باثنين فقتله . وبعث الضحاك قائداً
من قواده يدعى شوالا من بني شيبان إلى باب الزاب ، فقال : اضرمه عليهم
ناراً ، فقد طال الحصار علينا ، فانطلق شوال ومعه الخيبري ؛ أحد بني شيبان
في خيلهم ، فلقيهم عبد الملك بن علقمة ، فقال لهم : أين تريدون ؟ فقال
له شوال : نريد باب الزاب ، أمرني أمير المؤمنين بكذا وكذا ، فقال : أنا
معلك ؛ فرجع معه وهو حاسر ، لا درع عليه ؛ وكان من قواد الضحاك أيضاً
وكان أشد الناس ، فانتهوا إلى الباب فأضرموه ، فأخرج لهم عبد الله بن عمر
منصور بن جمهور في سائمة فارس من كلب ، فقاتلوهم أشد القتال ، وجعل
عبد الملك بن علقمة يشد عليهم وهو حاسر ؛ فقتل منهم عدة ، فنظر إليه
منصور بن جمهور ، فغاضه صنيعة ، فشد عليه فضربه على حبل عاتقه
فقطعه حتى بلغ حررقفته ؛ فخر ميتاً ، وأقبلت امرأة من الخوارج شادة ؛
حتى أخذت بلبجام منصور بن جمهور ، فقالت : يا فاسق ، أجب
أمير المؤمنين ، فضرب يدها - ويقال : ضرب عنان دابته فقطعه في يدها - ونجا .
فدخل المدينة الخيبري يريد منصوراً ، فاعترض عليه ابن عم له من كلب ،
فضربه الخيبري فقتله ؛ [فقال حبيب بن خدره مولى بني هلال] - (١)
وكان يزعم أنه من أبناء ملوك فارس - يرثي عبد الملك بن علقمة :

وقائلة ودفع العين يجري على روح ابن علقمة السلام
أأذكرك الحمام وأنت سار وكل فتى لمصرعه حمام
فلا رعش اليتيم ولا هدان ولا وكل اللقاء ولا كهام
وما قتل على شار بعار ولكن يقتلون وهم كرام
طعام الناس ليس لهم سبيل شجاني يا بن علقمة الطغام

١٩٠٧/٢

ثم إن منصوراً قال لابن عمر : ما رأيت في الناس مثل هؤلاء قط - يعني
الشرة - فلم تحاربهم وتشغلهم عن مروان ؟ أعطهم الرضا ، واجعلهم بينك
وبين مروان ، فإنك إن أعطيتهم الرضا خلّوا عنا ومضوا إلى مروان ،

فكان حدثهم وبأسهم عليه ، وأقمت أنت مستريحاً بموضعك هذا ؛ فإن ظفروا بها كان ما أردت وكنت عندهم آمناً ، وإن ظفر بهم وأردت خلافة قتاله قاتلته جاماً مستريحاً ؛ مع أن أمره وأمرهم سيطول ، ويوسعونه شراً . فقال ابن عمر : لا تعجل حتى نتلوّم وننظر ، فقال : أى شئ ننتظر ! فما تستطيع أن تطلع معهم ولا تستقر ، وإن خرجنا لم نقم لهم ، فما انتظارنا بهم ومروان في راحة ، وقد كفيناه حدثهم وشغلناهم عنه ! أما أنا فخرج لاحق بهم . فخرج فوقف حيال صفّهم وناداهم : إني جانح أريد أن أسليم وأسمع كلام الله — قال : وهى محنتهم^(١) — فلاحق بهم فبايعهم ، وقال : قد أسلمت ، فدعوا له بغداء فتغدى ، ثم قال لهم : من الفارس الذى أخذ بعناني يوم الزّاب ؟ يعنى يوم ابن علقمة — فنادوا يا أمّ العنبر ، فخرجت إليهم ؛ فإذا أجمل الناس ، فقالت له : أنت منصور ؟ قال : نعم ، قالت : قبح الله سيفك ، أين ما تذكر منه ! فوالله ما صنع شيئاً ، ولا ترك — تعنى ١٩٠٨/٢ ألا يكون قتلها حين أخذت بعنانه فدخلت الجنة — وكان منصور لا يعلم يومئذ أنها امرأة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، زوّجنيها ، قال : إن لها زوجاً — وكانت تحت عبيدة بن سوّار التغلبيّ — قال : ثم إن عبد الله بن عمر خرج إليهم في آخر شوال فبايعه .

* * *

[خبر خروج سليمان بن هشام على مروان بن محمد]

وفي هذه السنة — أعنى سنة سبع وعشرين ومائة — خلع سليمان بن هشام ابن عبد الملك بن مروان مروان بن محمد ونصب الحرب .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما جرى بينهما :

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثني عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثني أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح ، قال : لما شخص مروان من الرّصافة إلى الرّقة لتوجيه ابن هبيرة إلى العراق لمحاربة الضّحّاك بن قيس الشيبانيّ استأذنه سليمان بن هشام في مقام أيام ، لإجماع ظهره وإصلاح أمره ؛ فأذن

(١) ابن الأثير : « حجّتهم » .

له . ومضى مروان ، فأقبل نحو من عشرة آلاف من كان مروان قطع عليه
 البعث بدير أيوب لغزو العراق مع قوادهم ؛ حتى جاءوا (١) الرضاة ، فدعوا
 سليمان إلى خسلع مروان ومحاربتة ، وقالوا : أنت أرضى منه عند أهل الشام وأولى
 بالخلافة ، فاستزله الشيطان ، فأجابهم ، وخرج إليهم بإخوته وولده ومواليه ،
 فعسكر [بهم] (٢) وسار بجمعهم (٣) إلى قنسرين ، فكاتب أهل الشام فانقضوا
 إليه من كل وجه وجند ؛ وأقبل مروان بعد أن شارف قرقيسيا منصرفاً إليه ،
 وكتب إلى ابن هبيرة يأمره بالثبوت في عسكره من دورين حتى نزل معسكره
 بواسط ، واجتمع من كان بالهتّى من موالى سليمان وولد هشام ، فدخلوا
 حصن الكامل بذراريهم فتحصنوا فيه ، وأغلقوا الأبواب دونه ، فأرسل
 إليهم : ماذا صنعتُم ؟ خلعتُم طاعتي ونقضتُم بيعتي بعد ما أعطيتُموني من
 العهود والمواثيق ! فردوا على رسله : إنا مع سليمان على من خالفه . فرد إليهم :
 إننى أحذركم وأنذركم أن تعرضوا لأحد ممن تبغى من جندى أو يناله منكم
 أذى ، فتحلوا بأنفسكم ؛ ولا أمان لكم عندى . فأرسلوا إليه : إنا سنكف .
 ومضى مروان ، فجعلوا يخرجون من حصنهم ، فيغيرون على من اتبعه من
 أخريات الناس وشذآن الجند ؛ فيسلبونهم خيولهم وسلاحهم . وبلغه ذلك ،
 فتحرق عليهم غيظاً . واجتمع إلى سايمان نحو من سبعين ألفاً من أهل الشام
 والذكوانية وغيرهم ، وعسكر في قرية لبني زفر يقال لها خساف من قنسرين
 من أرضها . فلما دنا منه مروان قدم السكسكى في نحو سبعة آلاف ،
 ووجه مروان عيسى بن مسلم في نحو من عديتهم ، فالتقوا فيما بين العسكرين ،
 فاقتتلا قتالاً شديداً ، والتقى السكسكى وعيسى ، وكل واحد منهما فارس
 بطل ، فاطعنا حتى تقصفت رماحهما ، ثم صارا إلى السيوف ، فضرب السكسكى
 مقدم فرس صاحبه ، فسقط بالحامه في صدره ، وجال به فرسه ، فاعترضه
 السكسكى ، فضربه بالعمود فصصره ، ثم نزل إليه فأسره ، وبارز فارساً من
 فرسان أنطاكية ، يقال له سلساق قائد الصقالبة . فأسره ، وانهزمت مقدمة مروان
 وبلغه الخبر وهو في مسيره ، ففضى وطوى على تعبته ، ولم ينزل حتى انتهى

١٩٠٩/٢

١٩١٠/٢

(١) ا : « حلوا » . (٢) من ا .

(٣) ط : « بجمعهم » .

إلى سليمان ، وقد تعباً له ، وتهيئاً لقتاله ، فلم يناظره حتى واقعه ^(١) ، فانهزم سليمان ومن معه ، وأتبعتهم خيوله تقتلهم وتأسرهم ؛ وانتهوا إلى عسكرهم فاستباحوه ، ووقف مروان موقفاً ، وأمر ابنه فوقفاً موقفين ، ووقف كوثر صاحب شرطته في موضع ، ثم أمرهم ألا يأتوا بأسير إلا قتلوه إلا عبداً مملوكاً ، فأحصى من قتلهم يومئذ نيف على ثلاثين ألفاً .

قال : وقُتِل إبراهيم بن سليمان أكبر ولده ، وأتى بخال هشام بن عبد الملك يقال له خالد بن هشام الخزرجي - وكان بادنًا كثير اللحم - فأدنى إليه وهو يلتهث ، فقال له : يا فاسق ؛ أما كان لك في خمر المدينة وقبائنها ما يكفئك عن الخروج مع الخراء تقاتلني ! قال : يا أمير المؤمنين ، أكرهني ، فأنشدك الله والرحم ! قال : وتكذب أيضاً ! كيف أكرهك وقد خرجت بالقيان والرقاق والبرابط معك في عسكره ! فقتله ^(٢) . قال : وادعى كثير من الأسراء من الجند أنهم رقيق ، فكف عن قتلهم ، وأمر ببيعهم فيمن يزيد مع ما بيع مما أصيب في عسكرهم . قال : ومضى سليمان مفلولاً حتى انتهى إلى حِمَص ؛ فانضم إليه من أفلت ممن كان معه ، فعسكر بها ، وبني ما كان مروان أمر بهدمه من حيطانها ، ووجه مروان يوم هزمه قواداً وروابط في جرّيدة خيل ، وتقدّم إليهم أن يسبقوا كلّ خبر ؛ حتى يأتوا الكامل ، فيحدقوا بها إلى أن يأتهم ، حتقاً ^(٣) عليهم ، فأتوهم فنزلوا عليهم ، وأقبل مروان نحوهم حتى نزل معسكره من واسط ، فأرسل إليهم أن انزلوا على حكمي ، فقالوا : لا حتى تؤمّنا بأجمعنا ، فدلف إليهم ، ونصب عليهم المجانيق ، فلما تتابعت الحجارة عليهم نزلوا على حكمه ، فقتل بهم واحتملهم أهل الرقة فأوهم ، وداووا جراحاتهم ، وهلك بعضهم وبقي أكثرهم ، وكانت عدتهم جميعاً نحواً من ثلثمائة . ثم شخص إلى سليمان ومن تجمع معه بحمص ، فلما دنا منهم اجتمعوا ، فقال بعضهم لبعض : حتى متى نهزم من مروان ! هلموا فلتبائع على الموت ولا نفرق بعد معاينته حتى نموت جميعاً . فضى على ذلك من فرسانهم من قد وطن

(١) : « دافعه » .

(٢) : « وقتله » .

(٣) : « حرّاً » .

نفسه على الموت نحو من تسعمائة ، وولّى سليمان على شَطْرِهِم معاوية السَّكْسَكِيَّ ، وعلى الشَّطْرِ الثَّانِي (١) ثُبَيْتًا البَهْرَانِيَّ . فتوجهوا إليه مجتمعين (٢) ، على أن يبيّته وإن أصابوا منه غيرة ، وبلغه خبرهم وما كان منهم ، فتحرّز وزحف إليهم في الخنادق على احتراس وتعبية ، فراموا تبيّته فلم يقدرُوا ، فتهيّشوا له وكنوا في زيتون ظَهَرَ على طريقه ، في قرية تسمى تَلّ منّس من جبل السَّمّاق ، فخرجوا عليه وهو يسير على تعبئة ، فوضعوا السلاح فيمن معه ، وانتبذ لهم ، ونادى خيولَه فتأبّت إليه من المقدمة والمجنبتين والسَّاقَة ، فقاتلوه من لَمَدُن ارتفاع النهار إلى بعد العَصْرِ ، والتقى السَّكْسَكِيَّ وفارس من فرسان بني سليم ، فاضطربا ، فصرعه السُّلَمِيّ عن فرسه ، ونزل إليه ، وأعانَه رجل من بني تميم ، فأثياه به أسيراً وهو واقف ؛ فقال : الحمد لله الذي أمكّن منك فظالماً بلغت منّا ! فقال : استبقني فأني فارس العرب ، قال : كذبت ؛ الذي جاء بك أفرسُ منك ، فأمر به فأوثق ، وقتل ممّن صبر معه نحو من ستة آلاف .

١٩١٢/٢

قال : وأُفْلِت ثُبَيْت وممّن انهزم معه ، فلما أتوا سليمان خلف أخاه سعيد ابن هشام في مدينة حِمَص ، وعرف أنه لا طاقة له به ، ومضى هو إلى تَمَدُّمَر ، فأقام بها ، ونزل مَرَّوَان على حِمَص ، فحاصره (٣) بها عشرة أشهر ، ونصب عليها نَيْفًا وثمانين مِشْجِنِقًا ، فطرح عليهم حجارتها بالليل والنهار وهم في ذلك يخرجون إليه كلَّ يوم فيقاتلونهُ ، وربما بيّتوا نواحي عسكره ، وأغاروا على الموضع الذي يطمعون في إصابة العورة والفرصة منه . فلما تتابع عليهم البلاء ، ولزمهم الذُّلُّ سألوه أن يؤمّنهم على أن يمكنوه من سعيد بن هشام وابنيه عثمان ومروان ومن رجل كان يسمى السَّكْسَكِيَّ ، كان يغير على عسكرهم ، ومن حبشيّ كان يشتمه ويفترى عليه ؛ فأجابهم إلى ذلك وقبّله . وكانت قصّة الحبشيّ أنه كان يشرف من (٤) الحائط ويربط في ذكّره ذكّر حمار ، ثم يقول : يا بني سليم ، يا أولاد كذا وكذا ، هذا لواؤكم !

(١) ط : « الباقي » . (٢) ابن الأثير : « مجتمعين » .

(٣) أ : « تحصرا » ، وفي ابن الأثير : « يرى بها » .

(٤) ط : « على » ، وما أثبتته من أ .

وكان يشتم مروان ، فلما ظفر به دفعه إلى بنى سليم ، فقطعوا مذاكيره وأنفه ، ومثلوا به ، وأمر بقتل المتسمى السكسكى والاستيثاق من سعيد وابنيه ، وأقبل متوجّهاً إلى الضحّاك .

١٩١٣/٢

وأما غير أبي هاشم مخلّد بن محمد ، فإنه ذكر من أمر سليمان بن هشام بعد انهزامه من وقعة خُصّاف غير ما ذكره مخلّد ؛ والذي ذكره من ذلك أن سليمان بن هشام بن عبد الملك حين هزمه مروان يوم خُصّاف أقبل هارباً ؛ حتى صار إلى عبد الله بن عمر ، فخرج مع عبد الله بن عمر إلى الضحّاك ، فبايعه ، وأخبر عن مروان بفسق وجور وحضض عليه ، وقال : أنا سائر معكم في موالى وممن اتبعنى ، فسار مع الضحّاك حين سار إلى مروان ، فقال شُبَيْل ابن عَزْرَةَ الضُّبَيْعَى في بيعتهم الضحّاك :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ فَصَلَّتْ قَرِيْشٌ خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ

فصارت كلمة ابن عمر وأصحابه واحدة على النّضر بن سعيد ، فعلم أنه لا طاقة له بهم ؛ فارتحل من ساعته يريد مروان بالشّأم .

وذكر أبو عبيدة أن بيّهساً أخبره : لما دخل ذو القعدة سنة سبع وعشرين ومائة ، استقام لمروان الشّأم ونفى عنها من كان يخالفه ، فدعا يزيد بن عمر ابن هبيرة ، فوجّهه عاملاً على العراق ، وضمّ إليه أجناد الجزيرة ، فأقبل حتى نزل سعيد بن عبد الملك ، وأرسل ابن عمر إلى الضحّاك يعلمه ذلك . قال : فجعل الضحّاك لنا ميسان وقال : إنها تكفيكم حتى ننظر عما تنجلى . واستعمل ابن عمر عليها مولاة الحكم بن النعمان .

فأما أبو مخنف فإنه قال — فيما ذكر عنه هشام : إن عبد الله بن عمر صالح الضحّاك على أن يبد الضحّاك ما كان غلب عليه من الكوفة وسوادها ، ويبد ابن عمر ما كان بيده من كَسْكَر وميسان ودَسْتَمِيسَان وكور دجلة والأهواز وفارس ، فارتحل الضحّاك حتى لقي مروان بكَنْفَرْتَوْثًا من أرض الجزيرة .

١٩١٤/٢

وقال أبو عبيدة : تهياً الضحّاك ليسير إلى مروان ، ومضى النّضر يريد

الشَّامَ ، فنزل القادسيّة ، وبلغ ذلك ملحقان^(١) الشيباني عامل الضحّاك على الكوفة ، فخرج إليه فقاتله وهو في قلّة من الشُّرّة ، فقاتله فصبر حتى قتله النّضر . وقال ابن خدرّة يرثيه وعبد الملك بن علقمة :

كَائِنْ كَمِلْحَانَ مِنْ شَارٍ أَخِي ثِقَةٍ وَأَبْنِ عِلْقَمَةَ الْمُسْتَشْهِدِ الشَّارِي
مِنْ صَادِقٍ كُنْتُ أَضْفِيهِ مَخَالَصَتِي فَبَاعَ دَارِي بِأَعْلَى صَفْقَةِ الدَّارِ
لِإِخْوَانِ صِدْقٍ أَرْجِيهِمْ وَأَخَذْلَهُمْ أَشْكُو إِلَى اللَّهِ خَذْلَانِي وَإِخْفَارِي

وبلغ الضحّاك قتل ملحقان ، فاستعمل على الكوفة المثنى بن عمران من بني عائدة ، ثم سار الضحّاك في ذى القعدة ، فأخذ الموصل ، وانحطّ ابن هبيرة من نهر سعيد حتى نزل غزّة من عين التّمسّر ، وبلغ ذلك المثنى بن عمران العائذي ، عامل الضحّاك على الكوفة ، فسار إليه فيمنّ معه من الشُّرّة ، ومعه منصور بن جمهور ، وكان صار إليه حين بايع الضحّاك خلافاً على مروان ، فالتقوا بغزّة ، فاقتتلا وقتلاً شديداً أياماً متوالية ؛ فقتل المثنى وعزيز وعمر - وكانوا من رؤساء أصحاب الضحّاك - وهرب منصور ، وانوزمت الخوارج ، فقال مسلم حاجب يزيد :

١٩١٥/٢

أَرْتُ لِلْمُثَنَّى يَوْمَ غَزَاةٍ حَتْفَهُ وَأَذَرْتُ عُزَيْرَ ابْنِ تِلْكَ الْجَنَادِلِ
وَعَمْرًا أَزَارَتْهُ الْمَنِيَّةُ بَعْدَ مَا أَطَافَتْ بِمَنْصُورٍ كِفَاتُ الْحَبَائِلِ^(٢)
وقال غيّلان بن حرّيث في مدحه ابن هبيرة :

نَصَرْتُ يَوْمَ الْعَيْنِ إِذْ لَقِينَا كَنْصُرَ دَاوُدَ عَلَى جَالُوتَا
فلما قتل منهم من قتل في يوم العين ، وهرب منصور بن جمهور ، أقبل لا يلوى حتى دخل الكوفة ، فجمع بها جموعاً من اليمانية والصفريّة ومن كان تفرّق منهم يوم قتل ملحقان ومن تخلف منهم عن الضحّاك ، فجمعهم منصور جميعاً ، ثم سار بهم حتى نزل الرّوحاء ، وأقبل ابن هبيرة في أجناديه حتى لقيهم ، فقاتلهم أياماً ثم هزمهم ، وقتل البردؤن بن

(١) ابن الأثير : « ملحقان » .

(٢) ١ : « لها في الحبايل » .

مرزوق الشيباني ، وهرب منصور ففى ذلك يقول غيلان بن حرّيث :
وَيَوْمَ رَوْحَاءِ الْعُدَيْبِ دَفَّقُوا عَلَى ابْنِ مَرْزُوقٍ سَامٌ مُزْعِفٌ

قال : وأقبل ابن هبيرة حتى نزل الكوفة ونفى عنها الخوارج ، وبلغ الضحّاك ١٩١٦/٢ ما لقي أصحابه ، فدعا عبيدة بن سوار التغلبيّ ، فوجهه إليهم ، وانحطّ ابن هبيرة يريد واسطا وعبد الله بن عمر بها ، وولى على الكوفة عبد الرحمن بن بشير العجليّ ، وأقبل عبيدة بن سوار مغنّداً فى فرسان أصحابه ، حتى نزل الصّراة ، ولحق به منصور بن جمهور ؛ وبلغ ذلك ابن هبيرة فسار إليهم فالتقوا بالصّراة فى سنة سبع وعشرين ومائة .

* * *

وفى هذه السنة توجه سليمان بن كثير ولاهز بن قريظة وقحطبة بن شبيب — فيما ذكر — إلى مكة ، فلقوا إبراهيم بن محمد الإمام بها ، وأعلموه أن معهم عشرين ألف دينار ومائتى ألف درهم ومسكاً ومتاعاً كثيراً ، فأمرهم بدفع ذلك إلى ابن عروة مولى محمد بن عليّ ، وكانوا قدموا معهم بأبى مسلم ذلك العام ، فقال ابن كثير لإبراهيم بن محمد : إن هذا مولاك .

وفىها كتب بكير بن ماهان إلى إبراهيم بن محمد يخبره أنه فى أول يوم من أيام الآخرة ، وآخر يوم من أيام الدنيا ، وأنه قد استخلف حفص بن سامان ، وهو رضا للأمر . وكتب إبراهيم إلى أبى سلامة يأمره بالقيام بأمر أصحابه ؛ وكتب إلى أهل خراسان يخبرهم أنه قد أسند أمرهم إليه ، ومضى أبو سلّمة إلى خراسان فصدّقوه ، وقبلوا أمره ، ودفعوا إليه ما اجتمع قبلكم من نفقات الشيعة وخمس أموالهم . ١٩١٧/٢

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو عامل مروان على المدينة ومكة والطائف ؛ حدثنى بذلك أحمد بن ثابت الرازى ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدي وغيره . وكان العامل على العراق النضر بن الحرسىّ ، وكان من أمره وأمر عبدالله ابن عمر والضحّاك الحزورىّ ما قد ذكرت قبل . وكان بخراسان نصر بن سيار وبها من ينازعه فيها كالكرمانى والحارث بن سريج .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة

* * *

[ذكر خبر قتل الحارث بن سريج بخراسان]

فما كان فيها من الأحداث قتل الحارث بن سريج بخراسان .

* ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك :

قد مضى ذكر كتاب يزيد بن الوليد للحارث بأمانه ، وخروج الحارث من بلاد الترك إلى خراسان ومصيره إلى نصر بن سيار ، وما كان من نصّر إليه ، واجتماع من اجتمع إلى الحارث مستجيبين له . فذكر على بن محمد عن شيوخه ، أن ابن هبيرة لما ولي العراق كتب إلى نصر بعهدته ، فبايع مروان ، فقال الحارث : إنما آمنى يزيد بن الوليد ، ومروان لا يُجيز أمان يزيد ، فلا آمنه . فدعا إلى البيعة ، فشتّم أبو السليل مروان ، فلما دعا الحارث إلى البيعة أتاه سلم بن أحوز وخالد بن هریم وقطّسن بن محمد وعباد^(١) بن الأبرد بن قرّة وحماد بن عامر ، وكلموه وقالوا له : لم يصير نصر سلطاناً وولايته في أيدي قومك ؟ ألم يخرجك من أرض الترك ومن حكم خاقان ! وإنما أتى بك لئلا يجترئ عليك عدوك فخالفته ، وفارقت أمر عشيرتك ، وأطمعت فيهم عدوهم ، فندكرّك الله أن تفرّق جماعتنا ! فقال الحارث : إني لأرى في يدي الكرمانى ولاية ، والأمر في يد نصر ، فلم يجبههم بما أرادوا ، وخرج إلى حائط لحمزة بن أبي صالح السلمى بإزاء قصر بخاراخذاه ، فعسكر وأرسل إلى نصر ، فقال له : اجعل الأمر شورى ، فأبى نصر . فخرج الحارث فأتى منازل يعقوب بن داود ، وأمر جهّم بن صفوان ، مولى بنى راسب ، فقرأ كتاباً سيّر فيه الحارث على الناس ، فأنصرفوا يكبّرون ، وأرسل الحارث إلى نصر : اعزل سلم بن أحوز عن شرطك ، واستعمل بشّر بن بسطام البرنجمى ، فوقع بينه وبين مغلس بن زياد كلام ، ففترقت^(٢) قيس وتميم ،

١٩١٨/٢

(١) ١ : « عتاب » .

(٢) ط : « ففترت » ، وما أثبتته من أ .

فغزله . واستعمل إبراهيم بن عبد الرحمن ، واختاروا رجالا يسمون لهم قوماً يعملون بكتاب الله . فاختار نصر مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان ، واختار الحارث المغيرة بن شعبة الجهمي ومعاذ بن جبلة ، وأمر نصر كاتبه أن يكتب ما يرضون من السنن ، وما يختارونه من العمال ، فيوليهم الثغر ، ثغر سمرقند وطخارستان ، ويكتب إلى من عليهما ما يرضونه من السير والسنن . فاستأذن سلم بن أحوز نصرًا في الفتك بالحارث ، فأبى وولّى إبراهيم الصائغ ، وكان يوجه ابنه إسحاق بالفيروزج إلى مرو ، وكان الحارث يظهر أنه صاحب الرايات السود ؛ فأرسل إليه نصر : إن كنت كما تزعم ، وأنكم تهدمون سور دمشق ، وتزيلون أمر بني أمية ، فخذ مني خمسمائة رأس ومائتي بعير ، واحمل من الأموال ما شئت وآلة الحرب وسر ؛ فلعمري لئن كنت صاحب ما ذكرت إني لفي يدك ؛ وإن كنت لست ذلك فقد أهلكك عشيرتك . فقال الحارث : قد علمت أن هذا حق ، ولكن لا يبايعني عليه من صحبني . فقال نصر : فقد استبان أنهم ليسوا على رأيك ، ولا لهم مثل بصيرتك ، وأنهم هم فساق ورعاع ، فأذكرك الله في عشرين ألفًا من ربيعة واليمن سيملكون^(١) فيما بينكم . وعرض نصر على الحارث أن يوليّه ما وراء النهر ، ويعطيّه ثلثمائة ألف ؛ فلم يقبل ؛ فقال له نصر : فإن شئت فابدأ بالكرومان فإن قتلته فأنا في طاعتك ، وإن شئت فخلّ بني وبينه ؛ فإن ظفرت به رأيت رأيك ، وإن شئت فسر بأصحابك^(٢) ؛ فإذا جنزت الرّى فأنا في طاعتك . قال : ثم تناظر الحارث ونصر ، فتراضيا أن يحكم بينهم^(٣) مقاتل بن حيان وجههم بن صفوان ، فحكما بأن يعتزل نصر ، ويكون الأمر شوري . فلم يقبل نصر . وكان جهنم يقصّ في بيته في عسكر الحارث ، وخالف الحارث نصرًا ، ففرض نصر لقومه من بني سلمة وغيرهم ، وصيّر سلميًا في المدينة في منزل ابن سوار ، وضمّ إليه الرّابطة وإلى هدبة بن عامر الشعراوي فرسًا ، وصيّره في المدينة ، واستعمل على المدينة عبد السلام بن يزيد بن حيان السلمي ، وحوّل السلاح والدواوين إلى القهндز ، واتّهم قوماً من أصحابه

(١) ابن الأثير : « يملكون » .

(٢) ط : « بأصحابه » .

(٣) ابن الأثير : « ثم تراضيا بأن حكما » .

أنهم كاتبوا الحارث ، فأجلس عن يساره من اتهم من لا بلاء له عنده ، وأجلس الّذين ولّاهم واصطنعهم عن يمينه ؛ ثم تكلم وذكر بني مَرْوان ومن خرج عليهم ؛ كيف أظفر الله به ؛ ثم قال : أحمدُ الله وأذمُّ من على يسارى ؛ وليتُ خراسان فكنت يا يونس بن عبد ربّه من أراد الهرب من كلف مثنوات مَرْو ، وأنت وأهل بيتك من أراد أسد بن عبد الله أن يختم أعناقهم ، ويجعلهم في الرّجالة ، فوليتكم إذ وليتكم واصطنعتكم وأمرتكم أن ترفعوا ما أصبتم إذا أردتُ المسير إلى الوليد ، فنكنم من رفع ألف ألف وأكثر وأقلّ ، ثم ملائم الحارث على ، فهلاً نظرتُم إلى هؤلاء الأحرار الّذين لزموني مؤاسين^(١) على غير بلاء ! وأشار إلى هؤلاء الّذين عن يمينه . فاعتذر القوم إليه ، فقبل عندهم .

وقدم على نصر من كور خراسان حين بلغهم ما صار إليه من الفتنة جماعة ؛ منهم عاصم بن عمير الصّريمي وأبو الذّيال النّاجي وعمرو الفادوسبان السّغديّ البخاريّ وحسان بن خالد الأسديّ من طخارستان في فوارس ، وعقيل ابن معقل اللّيثي ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم وسعد الصّغير في فرسان . وكتب الحارث بن سريج سيرته ، فكانت تقرأ في طريق مَرْو والمساجد فأجابه قوم كثير ؛ فقرأ رجل كتابه على باب نصر بما جان ، فضربه غلمان نصر ، فتابه^(٢) الحارث ، فأتى نصراً هبيرة بن شراحيل ويزيد أبو خالد ، فأعلماه ، فدعا الحسن بن سعد مولى قريش ، فأمره فنأدى : إن الحارث بن سريج عدوّ الله قد نابذ وحارب ، فاستعينوا الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله . وأرسل من ليلته عاصم بن عمير إلى الحارث ، وقال لخالد بن عبد الرحمن : ما نفعل شعارنا غدا ؟ فقال مقاتل بن سليمان : إن الله بعث نبياً فقاتل عدوّاً له ، فكان شعاره « حُم لا ينصرون » ، فكان شعارهم « حم لا ينصرون » ، وعلامتهم على الرّماح الصّوف .

وكان سلم بن أخوّز وعاصم بن حمير وقطن وعقيل بن معقل ومسلم

(١) ط : « مؤاسير » ، تحريف ، صوابه من ا .

(٢) المنابذة : نقض العهد .

ابن عبد الرحمن وسعيد الصغير وعامر بن مالك والجماعة في طرف^(١) الطخارية ويحيى بن حُصَيْن وربيعة في البخاريين . ودلّ رجل من أهل مدينة مَرَو الحارث على نَقَب في الحائط ، ففضى الحارث فنَقَسَ الحائط ، فدخلوا المدينة من ناحية باب بالين وهم خمسون ، ونادوا : يا منصور — بشعار الحارث — وأتوا باب نَيْق ، فقاتلهم جَهَنَم بن مسعود الناجي ، فحمل رجل على جَهَنَم فطعنه في فيه فقتله ، ثم خرجوا من باب نَيْق حتى أتوا قبة سلم بن أحوز فقاتلهم عَصَمَة بن عبد الله الأسدي وخضِر بن خالد والأبرد بن داود من آل الأبرد بن قرّة ، وعلى باب بالين حازم بن حاتم ، فقتلوا كلّ مَنْ كان يحرسه ، وانتهبوا منزل ابن أحوز ومنزل قُدَيْد بن منيع ؛ ونهاهم الحارث أن ينتهبوا منزل ابن أحوز ومنزل قُدَيْد بن مَسْنِع ومنزل إبراهيم وعيسى ابني عبد الله السلمي إلاّ الدوابّ والسلاح ؛ وذلك ليلة الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة . قال : وأتى نصرّاً رسولُ سلم يخبره دنو الحارث منه ، وأرسل إليه : أخرّه حتى نصبح ، ثم بعث إليه أيضاً محمد بن قَسَطَن بن عمران الأسدي ، أنه قد خرج عليه عامّة أصحابه ، فأرسل إليه : لا تبدأهم .

وكان الذي أهاج القتال ، أن غلاماً للنَّضَر بن محمد الفقيه يقال له عطية ، صار إلى أصحاب سلم ، فقال أصحاب الحارث : رُدُّوه إلينا^(٢) ، فأبوا ، فاقتتلوا ، فرمى غلاماً لعاصم في عينه فمات ؛ فقاتلهم ومعه عَقِيل بن مَعْقِل فهزمهم ، فانتهبوا إلى الحارث وهو يصليّ الغداة في مسجد أبي بكرّة ، مولى بني تميم ؛ فلما قضى الصلاة دنا منهم ، فرجعوا حتى صاروا إلى طَرَف الطُّخاريّة ، فدنا منه رجلان ، فناداهما عاصم : عَرِّقَا بِرُدُونِه ؛ فضرب الحارث أحدهما بعصوده فقتله ، ورجع الحارث إلى سكة السَّغْد ، فرأى أعين مولى حيّان ، فنهاه عن القتال ، فقاتل فقتل ، وعَدَل في سكة بني عصمة ، فأتبعه حماد بن عامر الحماني ومحمد بن زُرْعَة ، فكسر رجليهما ، وحمل على مرزوق مولى سلم ؛ فلما دنا منه رمى به فرسه ؛ فدخل حانوتاً ، وضرب بِرُدُونِه على مؤخره فنفق . قال : وركب سلم حين أصبح إلى باب

(١) : « طرق » .

(٢) : « علينا » .

نِيق ، فأمرهم بالخذق ، فخذقوا وأمر منادياً ، فنادى : مَنْ جاء برأس
 فله ثلثائة ، فلم تطلع الشمس حتى انهزم الحارث ، وقتلهم الليل كله ، فلما
 أصبحنا أخذ أصحاب نصر على الرزيق ، فأدركوا عبد الله بن مجاعة بن سعد ،
 فقتلوه . وانتهى سلم إلى عسكر الحارث ؛ وانصرف إلى نَصْر فنهاه نصر ،
 فقال : لست منتهياً حتى أدخل المدينة على هذا الدبوسى ؛ فضى معه محمد
 ابن قَطَن وعبيد الله بن بسام إلى باب دَرَسْنَكَن — وهو القهندز — فوجدوه
 مردوماً ، فصعد عبد الله بن مَزَيْد الأسدى السور ومعه ثلاثة ، ففتحوا
 الباب ، ودخل بن أَحْوَز ، ووكل بالباب أبا مطهر حرب بن سليمان ، فقتل
 سلم يومئذ كاتب الحارث بن سريج ، واسمه يزيد بن داود، وأتى (١) عبد ربه
 ابن سيس فقتله ، ومضى سلم إلى باب نِيق ففتحه ، وقتل رجلاً من الحزارين
 كان دلّ الحارث على النقب ؛ فقال المنذر الرقاشى ابن عم يحيى بن حضين ،
 يذكر صبر القاسم الشيبانى :

١٩٢٣/٢

ما قاتَلَ القومَ مِنْكُمْ غيرُ صاحبِنَا فى عُصْبَةٍ قاتَلوا صَبْرًا فما ذُعِرُوا
 هُم قاتَلوا عِنْدَ بابِ الحصَنِ ما وَهَنُوا حتى أَتاهُمْ غِيَاثُ اللَّهِ فانْتَصَرُوا
 فقاسِمٌ بَعْدَ أَمْرِ اللَّهِ أَحْرَزَها وَأَنْتَ فى مَعزِلٍ عن ذاكِ مَقْتَصِرُ
 ويقال : لما غلظ أمر الكرماني والحارث أرسل نَصْر إلى الكرماني ، فأثاه

١٩٢٤/٢

على عهد، وحضرهم محمد بن ثابت القاضى ومقدام بن نعيم أخو عبد الرحمن
 ابن نعيم الغامدى وسلم بن أَحْوَز ، فدعا نصر إلى الجماعة ، فقال للكرماني :
 أنت أسعدُ الناسِ بذلك ؛ فوقع بين سلم بن أَحْوَز والمقدام كلام ؛ فأغلظ
 له سلم ، فأعانه عليه أخوه ، وغضب لهما السُغْدَى بن عبد الرحمن الحزنى ،
 فقال سلم : لقد هممتُ أن أضربَ أنفَكَ بالسيف ، فقال السُغْدَى : لو
 مسستَ السَّيْفَ لم ترجعَ إليك يدُكَ ، فخاف الكرماني أن يكون مكرأ من
 نصر ، فقام وتعلقوا به ، فلم يجلس ، وعاد إلى باب المقصورة .

قال : فتلقوه بفرسه ، فركب فى المسجد ، وقال نصر : أراد الغدر بى ،
 وأرسل الحارث إلى نصر : إنا لا نرضى بك إماماً ، فأرسل إليه نصر : كيف

يكون لك عقل ، وقد أفنيت عمرك في أرض الشرك وغزوت المسلمين بالمشركين !
 أتراني أتضرع إليك أكثر مما تضرعت ! . قال : فأسير يومئذ جـهـمـم بن صفوان
 صاحب الجـهـمـيـة ، فقال لسلم : إن لي وكثاً من ابنك حارث ؛ قال : ما كان
 ينبغي له أن يفعل ؛ ولو فعل ما آمنتك ، ولو ملأت هذه الملاعة كواكب ،
 وأبرأك إلى عيسى بن مريم ما نجوت ؛ والله لو كنت في بطني لشقت بطني
 حتى أقتلك ؛ والله لا يقوم علينا مع اليانية أكثر مما قتت ؛ وأمر عبد ربه بن
 سبيسن فقتله ، فقال الناس : قتل أبو محرز — وكان جـهـمـم يكنى أبا محرز .
 وأسير يومئذ هبيرة بن شراحيل وعبد الله بن مجاعة فقال : لا أبقى الله من استبقا كما ،
 وإن كننا من تميم . ويقال : بل قتل هبيرة ، كـلـقـتـه الخيل عند دار
 قديد بن منيع فقتل . قال : ولما هزم نصر الحارث ، بعث الحارث ابنه حاتماً
 إلى الكرماني ، فقال له محمد بن المثنى : هما عدواك ، دعهما يضطربا ؛ فبعث
 الكرماني السغدني بن عبد الرحمن الخزمي معه ، فدخل السغدني المدينة من
 ناحية باب ميخان ، فأثاه الحارث ، فدخل فـازة^(١) الكرماني ، ومع الكرماني داود
 ابن شعيب الجـداني ومحمد بن المثنى ، فأقيمت الصلاة ، فصلى بهم الكرماني ،
 ثم ركب الحارث ، فسار معه جماعة بن محمد بن عزيز أبو خلف ، فلما
 كان الغد سار الكرماني إلى باب ميدان يزيد ، فقاتل أصحاب نصر ، فقتل
 سعد بن سلم المراغي ، وأخذوا عـلـم عثمان بن الكرماني ؛ فأول من أتى الكرماني
 بهزيمة الحارث وهو معسكر بباب مـاسـر جـسـان على فرسخ من المدينة النضر
 ابن غـلـاق السغدني وعبد الواحد بن المنخل . ثم أتاه سودة بن سريج ،
 [وحاتم بن الحارث والخليل بن غزوان العذري ، أتوه ببيعة الحارث بن سريج]^(٢)

وأول من بايع الكرماني يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني ، فوجه الكرماني
 إلى الحارث بن سريج سورة بن محمد الكندي [إلى أسماير]^(٢) والسغدني بن
 عبد الرحمن أبا طعمة وصعباً أو صعبياً ، وصباحاً ، فدخلوا المدينة من باب
 ميخان ، حتى أتوا باب ركك ، وأقبل الكرماني إلى باب حرّ بن عامر ،

(١) في اللسان : الفـازة مظلة تمد بعمود .

(٢) من ١ .

وجهه أصحابه إلى نصر يوم الأربعاء ، فتراموا ثم تجاوزوا ، ولم يكن بينهم يوم الخميس قتال . قال : والتفوا يوم الجمعة ، فانهزمت الأزد حتى وصلوا إلى الكرماني ، فأخذ اللواء بيلقه فقاتل به ، وحمل الخضر بن تميم وعليه تجفاف ، فرموه بالنشاب ، وحمل عليه حبيش مولى نصر فطعنه في حلقه ، فأخذ الخضر السنمان بشماله من خلفه ؛ فشب به فرسه ، وحمل فطعن حبيشاً فأذراه عن برذونه ، فقتله رجالة الكرماني بالعصى .

قال : وانهزم أصحاب نصر ، وأخذوا لهم ثمانين فرساً ، وصرع تميم ابن نصر ، فأخذوا له برذونين ؛ أخذ أحدهما السغددي بن عبد الرحمن ، وأخذ الآخر الخضر ، ولحق الخضر بسلم بن أحوز ، فتناول من ابن أخيه عموداً فضربه فصرعه ، فحمل عليه رجلان من بني تميم فهرب ، فرمى سلم بنفسه تحت القناطر وبه بضع عشرة ضربة على بيضته فسقط ، فحمله محمد بن الحداد إلى عسكر نصر ، وانصرفوا ، فلما كان في بعض الليالي خرج نصر من مرو ، وقتل عصمة بن عبد الله الأسدي ، وكان يحمي أصحاب نصر ؛ فأدركه صالح بن القعقاع الأزدي ، فقال له عصمة : تقدم يا مزوني ، فقال صالح : أثبت يا حصي - وكان عقيماً - فعطف فرسه فشب فسقط ، فطعنه صالح فقتله .

١٩٢٧/٢

وقاتل ابن الديلمري ، وهو يرتجز ؛ فقتل إلى جنب عصمة . وقتل عبيد الله بن حوثة^(١) السلمي ، رمى مروان البهراني بجرزة^(٢) ؛ فقتل ، فأتى الكرماني برأسه فاسترجع - وكان له صديقاً - وأخذ رجل يمانى بعنان فرس مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم فعرفه فتركه . واقتتلوا ثلاثة أيام ، فهزمت آخر يوم المضرية اليمن ، فنادى الخليل بن غزوان : يا معشر ربيعة واليمن ؛ قد دخل الحارث السوق ، وقتل ابن الأقطع ؛ ففت في أعضاء المضرية . وكان أول من انهزم إبراهيم بن بسام الليثي ، وترجل تميم بن نصر ، فأخذ برذونه عبد الرحمن بن جامع الكندي ، وقتلوا هيباً جاك الكلبى ولقيط بن أخضر ؛ قتله غلام لهاني البزار .

(٢) ١ : « نحره » ، والجرز : عمود من حديد .

(١) ١ : « خزيمه » .

قال : ويقال : لما كان يوم الجمعة تأهبوا للقتال ، وهدموا الحيطان ليتسّع لهم الموضع ، فبعث نصر محمد بن قطن إلى الكرمانى : إنك لست مثل هذا الديوسى ، فاتتق الله ، لا تشرع فى الفتنة . قال : وبعث تميم بن نصر شاكريته ، وهم فى دار الجنبوب بنت القعقاع ؛ فرماهم أصحاب الكرمانى من السطوح ونذروا بهم ، فقال عقيل بن محقيل لمحمد بن المثنى : علام نقتل أنفسنا لنصر والكرمانى ! هلم نرجع إلى بلدنا بطخارستان ، فقال محمد : إن نصر لم يف لنا ، فلسنا ندع حربه . وكان أصحاب الحارث والكرمانى يرمون نصرًا وأصحابه بعزادة ، فضرب سراقه^(١) وهو فيه فلم يحوله ، فوجه إليهم سالم ابن أحوز فقاتلهم ؛ فكان أول الظفر لنصر ، فلما رأى الكرمانى ذلك أخذ لواءه من محمد بن محمد بن حميرة ، فقاتل به حتى كسره . وأخذ محمد بن المثنى والزراغ وحيطان فى كارابكل ، حتى خرجوا على الرزىق ، وتمعى بن نصر على قنطرة النهر ، فقال محمد بن المثنى لتميم حين انتهى إليه : تنح يا صبي . وحمل محمد والزراغ معه راية صفراء ، فصرعوا أعين مولى نصر ، وقتلوه ؛ وكان صاحب دواة نصر ، وقتلوا نقرأ من شاكريته . وحمل الخضر بن تميم على سالم بن أحوز قطعته ، فال السنان ، فضربه بجُرُز على صدره وأخرى على منكبه ؛ وضربه على رأسه فسقط ، وحمل نصر أصحابه فى ثمانية ، فنهزم من دخول السوق .

١٩٢٨/٢

قال : ولما هزمت اليمانية مُضَر ، أرسل الحارث إلى نصر : إن اليمانية يعيروننى بانتهزامكم ؛ وأنا كاف ؛ فاجعل حماة أصحابك بإزاء الكرمانى ، فبعث إليه نصر يزيد النحوى أو خالدًا^(٢) يتوثق منه ؛ أن يفى له بما أعطاه من الكف . ويقال : إنما كف الحارث عن قتال نصر أن عمران بن الفضل الأزدى وأهل بيته وعبد الجبار العدوى وخالد بن عبيد الله بن حبيب^(٣) العدوى وعامة أصحابه نقيموا على الكرمانى فعلته بأهل التبوشكان ؛ وذلك أن أسدًا وجهه [إليهم^(٤)] ، فترلوا على حكم أسد ، فبقر بطون خمسين رجلاً وألقاهم فى نهر بلدخ ، وقطع أيدي ثلثائة منهم وأرجلهم ، وصلب ثلاثة ، وباع أثقالهم فيمن يزيد ،

(٢) ط : « وخالد » .

(٤) من أ .

(١) أ : « رواقه » .

(٣) ط : « حية » .

١٩٢٩/٢

فَنَقِمُوا عَلَى الْحَارِثِ عَوْنَهُ الْكُرْمَانِيَّ ، وَقَتَالَهُ نَصْرًا . فَقَالَ نَصْرٌ لِأَصْحَابِهِ حِينَ تَغْيِيرِ الْأَمْرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَارِثِ : إِنْ مُضِرَّ ، لَا تَجْتَمِعْ لِي مَا كَانَ الْحَارِثُ مَعَ الْكُرْمَانِيَّ ؛ لَا يَتَّفِقَانِ عَلَى أَمْرٍ ، فَالرَّأْيُ تَرْكُهُمَا ؛ فَإِنَّهُمَا يَخْتَلِفَانِ . وَخَرَجَ إِلَى جُلُفَرٍ فَيَجِدُ عَبْدَ الْجَبَّارِ الْأَحْوَلَ الْعَدُوَّ وَعُمَرَ بْنَ أَبِي الْهَيْثَمِ الصَّغْدِيَّ ، فَقَالَ لهُمَا : أَيْسَعُكُمَا الْمَقَامُ مَعَ الْكُرْمَانِيَّ ؟ فَقَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ : وَأَنْتِ فَلَا عَدَمْتَ أَسِيًّا ؛ مَا أَحْلَكَ هَذَا الْمَحَلَّ !

فَلَمَّا رَجَعَ نَصْرٌ إِلَى مَرَوْ أَمَرَ بِهِ فَضْرَبَ أَرْبَعُمِائَةِ سَوْطٍ ، وَمَضَى نَصْرٌ إِلَى خَرْقٍ ، فَأَقَامَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ بِهَا ، وَمَعَهُ مُسْلِمٌ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ وَسَلَمٌ بْنُ أَحْوَزَ وَسَنَانُ الْأَعْرَابِيِّ ، فَقَالَ نَصْرٌ لِنِسَائِهِ : إِنْ الْحَارِثُ سَيَخْلِفُنِي فَيَكُنْ وَيَحْمِيكُنْ . فَلَمَّا قَرَبَ مِنْ نَيْسَابُورَ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ : مَا أَقْدَمَكَ ، وَقَدْ أَظْهَرْتَ مِنَ الْعَصْبِيَّةِ أَمْرًا قَدْ كَانَ اللَّهُ أَطْفَاهُ ؟ وَكَانَ عَامِلُ نَصْرٍ عَلَى نَيْسَابُورَ ضَرَارُ بْنُ عَيْسَى الْعَامِرِيُّ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ نَصْرٌ بْنُ سَيَّارٍ سَنَانًا الْأَعْرَابِيَّ وَمُسْلِمَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَلَمَ بْنَ أَحْوَزَ ، فَكَلَّمُوهُمْ فَخَرَجُوا ، فَتَلَقَوْا نَصْرًا بِالْمَوَاكِبِ وَالْجَوَارِي وَالْهَدَايَا ، فَقَالَ سَلَمٌ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! هَذَا الْحَيُّ مِنْ قَيْسٍ ؛ فَإِنَّمَا كَانَتْ عَاتِبَةٌ ، فَقَالَ نَصْرٌ :

أَنَا ابْنُ خِنْذِفَ تَنْمِينِي قَبَائِلُهَا لِلصَّالِحَاتِ وَعُمِّي قَيْسُ عَيْلَانَا وَأَقَامَ عِنْدَ نَصْرٍ حِينَ خَرَجَ مِنْ مَرَوْ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ وَمُحَمَّدُ بْنُ قَطَنَ وَخَالِدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي نَظَرَاتِهِمْ .

١٩٣٠/٢

قَالَ : وَتَقَدَّمَ عَبَادُ بْنُ عُمَرَ الْأَزْدِيُّ وَعَبْدُ الْحَكِيمِ بْنُ سَعِيدِ الْعَوَّاذِيِّ وَأَبُو جَعْفَرٍ عَيْسَى بْنُ جَرَزٍ عَلَى نَصْرٍ مِنْ مَكَّةَ بِأَبْرِشَهْرٍ ، فَقَالَ نَصْرٌ لِعَبْدِ الْحَكِيمِ : أَمَا تَرَى مَا صَنَعَ سَفَهَاءُ قَوْمِكَ ؟ فَقَالَ عَبْدُ الْحَكِيمِ : بَلْ سَفَهَاءُ قَوْمِكَ ؛ طَالَتْ وَلَا يَتَسَهَّأُ فِي وَلَا يَتَكُ ، وَصَيَّرَتِ الْوَلَايَةُ لِقَوْمِكَ دُونَ رِبِيعَةَ وَالْيَمَنِ فَبَطَرُوا ^(١) ، وَفِي رِبِيعَةَ وَالْيَمَنِ حُلَمَاءُ وَسَفَهَاءُ فَغَلَبَ السَّفَهَاءُ الْحُكَمَاءَ ^(٢) . فَقَالَ عَبَادُ : أَتَسْتَقْبِلُ الْأَمِيرَ بِهَذَا الْكَلَامِ ! قَالَ : دَعْنِي فَقَدْ صَدَقَ ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَيْسَى بْنُ جَرَزٍ - وَهُوَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ عَلَى نَهْرِ مَرَوْ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، حَسْبُكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ وَالْوَلَايَةِ ،

(١) ابْنُ الْأَثِيرِ : « فَظَرُّوا » . (٢) كَذَا فِي أ ، وَفِي ط : « الْعُلَمَاءُ » .

فإنه قد أطل^(١) أمرٌ عظيم ، سيقوم رجل مجهول النسب يُظهر السواد ، ويدعو إلى دولة تكون ، فيغلب على الأمر وأنتم تنظرون وتضطربون . فقال نصر : ما أشبه أن يكون^(٢) لقلة الوفاء ، واستجراح^(٣) الناس ، وسوء ذات البين . وجهتُ إلى الحارث وهو بأرض الترك ، فعرضتُ عليه الولاية والأموال فأبى وشغب ، وظاهر على . فقال أبو جعفر عيسى : إن الحارث مقتول مصلوب ، وما الكرمانى من ذلك ببعيد . فوصله نصر . قال : وكان سلكم بن أحوز يقول : ما رأيت قوماً أكرم إجابةً ، ولا أبذل لدمائهم من قيس .

قال : فلما خرج نصر من مَرَوْ غلب عليها الكرمانى ، وقال للحارث : إنما أريد كتاب الله ، فقال قحطبة : لو كان صادقاً لأمددته ألف عنان ، فقال مقاتل بن حيان : أفى كتاب الله هدمُ الدور وانتهابُ الأموال ! فحبسه الكرمانى فى خيمة فى العسكر ، فكلّمه معمر بن مقاتل بن حيان — أو معمر بن حيان — فخلاه ، فأتى الكرمانى المسجد ، ووقف الحارث ، فخطب الكرمانى الناس ، وآمنهم غير محمد بن الزبير ورجل آخر ، فاستأمن لابن الزبير داود بن أبى داود بن يعقوب ، ودخل الكاتب فآمنه ، ومضى الحارث إلى باب دوران وسرخس ، وعسكر الكرمانى فى مصلّى أسد ، وبعث إلى الحارث فأثاه ، فأنكر الحارث هدمُ الدور وانتهابُ الأموال ، فهمّ الكرمانى به ، ثم كفّ عنه ، فأقام أياماً . وخرج بشر بن جرموز الضبى بخرقان ، فدعا إلى الكتاب والسنة ، وقال للحارث : إنما قاتلت معلنك طلبَ العدل ، فأما إذ كنت^(٤) مع الكرمانى ، فقد علمتُ أنك إنما تقاتل ليقال : غلب الحارث ! وهؤلاء يقاتلون عصبيةً ، فلستُ مقاتلاً معلنك . واعتزل فى خمسة آلاف وخمسمائة — ويقال فى أربعة آلاف — وقال : نحن الفئة العادلة ، ندعو إلى الحق ولا نقاتل إلا مَنْ يقاتلنا . وأتى الحارث مسجد عياض ، فأرسل إلى الكرمانى يدعوه إلى أن يكون الأمر شورى ، فأبى الكرمانى ، وبعث الحارث ابنه محمداً فحمل ثقله من دار تميم بن نصر ، فكتب نصر إلى عشيرته ومُضر ؛ أن الزموا الحارث مناصحةً

(٢) بمدعا فى ابن الأثير : « كما تقول » .

(٤) ابن الأثير : « إذأنت » .

(١) ابن الأثير : « أظلك » .

(٣) ١ : « استخراج » .

فأتوه؛ فقال الحارث : إنكم أصلُ العرب وفرعها ، وأنتم قريب عهد بالهزيمة ، فاخرجوا إلى بالأثقال ، فقالوا : لم نكن نرضى بشيء دون لقائه . وكان من مدبري^(١) عسكر الكيرمانى مقاتل بن سليمان ، فأثاه رجل من البُخاريين ، فقال : أعطنى أجر المِنجنيق التى نصبتها ، فقال : أقم البيسنة أنلك نصبتها من منفعة المسلمين ، فشهد له شعبة بن شيخ الأزدى ، فأمر مقاتل فسلَّك له إلى بيت المال . قال : فكتب أصحاب الحارث إلى الكيرمانى : نوصيكم بتقوى الله وطاعته وإيثار أئمة الهدى وتحريم ما حرّم الله من دماءكم ؛ فإن الله جعل اجتماعنا كان إلى الحارث ابتغاء الوسيلة إلى الله ، ونصيحة في عباده ، فعرضنا أنفسنا للحرب ودماءنا للسفك وأموالنا للتلف ، فصغُر ذلك كله عندنا فى جنب ما نرجو من ثواب الله ؛ ونحن وأنتم إخوان فى الدين وأنصار على العدو ، فاتقوا الله وراجعوا الحق ، فإننا لا نريد سفك الدماء بغير حلها .

١٩٣٢/٢

فأقاموا أياماً ، فأتى الحارث بن سُرَيْج الحائط فثَلَم فيه ثلثة ناحية نوبان عند دار هشام بن أبى الهيثم ، ففترق عن الحارث أهل البصائر وقالوا : غدرت . فأقام القاسم الشيبانى وربيع التيمى فى جماعة ، ودخل الكيرمانى من باب سرخس ، فحاذى الحارث ؛ ومَرَّ المنخل بن عمرو الأزدى فقتله السَّميدع ؛ أحد بنى العدوية ، ونادى : يالثرات لَتَقِيط ! واقتتلوا ، وجعل الكيرمانى على ميمنته داود بن شعيب وإخوته : خالداً ومزیداً والمهلب ، وعلى ميسرته سورة بن محمد بن عزيز الكيندى ، فى كندة وربيعة . فاشتد الأمر بينهم ، فانهزم أصحابُ الحارث وقتلوا ما بين الثلثة وعسكر الحارث ، والحارث على بَغْل فزل عنه ، وركب فرساً فضر به ، فجرى وانهزم أصحابه ، فبقى فى أصحابه ، فقتل عند شجرة ، وقتل أخوه سودة وبشر بن جرُموز وقتل بن المغيرة بن عجرد ، وكَتَفَ الكيرمانى ، وقتل مع الحارث مائة ، وقتل من أصحاب الكيرمانى مائة ، وصلب الحارث عند مدينة مَرَو بغير رأس . وكان قُتل بعد خروج نصر من مَرَو بثلاثين يوماً ، قُتل يوم الأحد لست بقين من رجب . وكان يقال : إن الحارث يُقتل تحت زيتونة أو شجرة غُبَيْراء . فقتل كذلك سنة ثمان وعشرين ومائة . وأصاب الكيرمانى صفائح ذهب للحارث

١٩٣٣/٢

فأخذها وحيس أمّ ولده ثم خلّى عنها ، وكانت عند حاجب بن عمرو بن سلمة بن سكن بن جون بن دبيب . قال : وأخذ أموال منّ خرج مع نصر ، واصطفى متاع عاصم بن عمير ، فقال إبراهيم : بم تستحل ماله ؟ فقال صالح من آل الوضاح : اسقى دمه ، فحال بينه وبينه مقاتل بن سليمان ، فأتى به منزله .

قال عليّ : ، قال زهير بن المهنيّد : خرج الكرمانيّ إلى بيشر بن جرّموز ، وعسكر خارجاً من المدينة ؛ مدينة مَرّو ، وبشر في أربعة آلاف ، فعسكر الحارث مع الكرمانيّ ، فأقام الكرمانيّ أياماً بينه وبين عسكر بيشر فرسخان ، ثم تقدّم حتى قرب من عسكر بشر ، وهو يريد أن يقاتله ، فقال للحارث : تقدّم . وندم الحارث على اتباع الكرمانيّ ، فقال : لا تعجل إلى قتالهم ، فإنّي أردّهم إليك ، فخرج من العسكر في عشرة فوارس ؛ حتى أتى عسكر بيشر في قرية الدّرزيّجان ، فأقام معهم وقال : ما كنت لأقاتلكم مع اليانبة ، وجعل المضريّون ينسلّون من عسكر الكرمانيّ إلى الحارث حتى لم يبق مع الكرمانيّ مضرّ غير ساسمة بن أبي عبد الله ، مولى بني سليم ؛ فإنه قال : والله لا أتبع الحارث أبداً فإنّي لم أره إلا غادراً والمهلب بن إياس ، وقال : لا أتبعه فإنّي لم أره قطّ إلا في خيل تطرد . فقاتلهم الكرمانيّ مراراً يقتتلون ثم يرجعون إلى خنادقهم ، فرّة لهؤلاء ومرة لهؤلاء ، فالتقوا يوماً من أيامهم ، وقد شرب مرثد بن عبد الله المجاشعيّ ، فخرج سكران على برزّون للحارث ، فطعن فصرع ، وحماه فوارس من بني تميم ؛ حتى تخلص ، وعار البرزّون ، فلما رجع لأمه الحارث ، وقال : كدت تقتل نفسك ، فقال للحارث : إنما تقول ذلك لمكان برزّونك ، امرأتى طالق إن لم آتك ببرزّون أفره من برزّونك من عسكرهم ، فالتقوا من غد ، فقال مرثد : أيّ برزّون في عسكرهم أفره ؟ قالوا : برزّون عبد الله ابن ديسم العنزيّ — وأشاروا إلى موقفه — حتى وصل إليه ، فلما غشيّه رمى ابن ديسم نفسه عن برزّونه ، وعلّق مرثد عنان فرسه في ربحه ، وقاده حتى أتى به الحارث ، فقال : هذا مكان برزّونك ، فلقى مخلد بن الحسن مرثداً ، فقال له يمازحه : ما أهياً برزّون ابن ديسم تحتك ! فنزل عنه ، وقال : خذه ، قال : أردت أن تفضحني ! أخذته منا في الحرب وأخذه في السلم ! ومكثوا بذلك

أياماً ، ثم ارتحل الحارث ليلاً ، فأتى حائط مَرَوْ فنقب ^(١) باباً ، ودخل الحائط ، فدخل الكيرمانى ، وارتحل ، فقالت المضريّة للحارث : قد تركنا الخنادق فهو يومنا ، وقد فررت غير مَرّة ، فترجّل . فقال : أنا لكم فارساً خير منى لكم راجلاً ، قالوا : لا نرضى إلا أن ترجّل ، فترجّل وهو بين حائط مَرَوْ والمدينة ، فقتل الحارث وأخوه وبشر بن جرموز وعدّة من فرسان تميم ، وانهزم الباقون ، وصلىب الحارث وصفّت مَرَوْ لليمن ، فهدموا دور المضريّة ، فقال نصر بن سيار للحارث حين قتل :

يا مُدْخِلَ الذِّلِّ على قومِهِ بعداً وسُخْفاً لك مِنْ هَالِكِ!
شُؤْمُكَ أَرَدَى مُضْراً كُلَّهَا وَغَضَّ مِنْ قَوْمِكَ بِالْحَارِكِ ^(٢)
ما كانتِ الْأَزْدُ وأشْياعُها تَطْمَعُ في عمرو ولا مالِكَ
ولا بَنَى سَعْدٍ إِذَا أَلْجَمُوا ^(٣) كُلَّ طَيْرٍ لُونُهُ حَالِكُ

ويقال : بل قال هذه الأبيات نصر لعثمان بن صدقة المازنى .
وقالت أم كثير الضبيّة :

لا بَارَكَ اللهُ في أنى وَعَذَّبَهَا تَزَوَّجَتْ مُضْريّاً آخِرَ الدهرِ
أَبْلَغَ رجالَ تَمِيمٍ قولَ مُوجَعَةٍ أَحْلَلْتُموها بدار الذِّلِّ والْفَقْرِ
إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَكْرُوا بَعْدَ جَوْلَتِكُمْ حَتَّى تُعِيدُوا رِجالَ الْأَزْدِ في الظَّهِيرِ ^(٤)
إِنّى اسْتَحَيْتُكُمْ مِنْ بَذَلِ طَاعَتِكُمْ ^(٥) هَذَا الْمَرْوَنَى يَجْبِيكُمْ على قَهَرٍ ^(٦)
وقال عبّاد بن الحارث :

أَلا يا نَصْرُ قَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ وَقَدْ طَالَ التَّمْنَى والرَّجَاءُ
وَأَصْبَحَتِ الْمَرْوَنُ بِأَرْضِ مَرَوْ تُقْضَى في الْحُكُومَةِ ما تَشَاءُ
يَجْوزُ قضاؤها في كُلِّ حُكْمٍ على مُضَرٍ وَإِنْ جَارَ الْقضاءُ

(٢) ابن الأثير : « وحزن قومك » .

(٤) ابن الأثير : « حتى تمعدوا » .

(٦) ابن الأثير : « يجنيكم » .

(١) ابن الأثير : « فنقب سوراً »

(٣) ١ : « أَلْجَمُوا » .

(٥) ابن الأثير : « من بعد طاعتكم » .

وَجَمِيرٌ فِي مَجَالِسِهَا قُعودُ
فَإِنْ مُضِرٌّ بَذَا رَضِيَتْ وَذَلَّتْ
وَلِنْ هِيَ أَعْتَبَتْ فِيهَا وَإِلَا
وَقَالَ :

أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الْ
أَفْقُ وَدَعِ الَّذِي قَدْ كُنْ
فَقَدْ حَدَّثْتُ بِحَضْرَتِنَا
الْأَزْدَ رَأَيْتُهَا عَزَّتْ
فَجَاَزَ الصُّفْرُ لَمَّا كَا
ذِي قَدْ شَفَّهَ الطَّرْبُ
تَ تَطْلُبُهُ وَنَطْلِبُ
أُمُورُ شَانُهَا عَجِبُ
بَمَرَوْ وَذَلَّتِ الْعَرَبُ
نَ ذَاكَ وَبُهِرَجَ الذَّهَبُ

وقال أبو بكر بن إبراهيم لعلّى وعثمان ابني الكرمانى :

إِنِّي لَمُرْتَجِلٌ أُرِيدُ بِمِدْحَتِي
سَبْقَا الْجِيَادِ فَلَمْ يَزَالَا نُجْعَةً
يَسْتَعْلِيَانِ وَيَجْرِيَانِ إِلَى الْعُلَا
أَعْنِي عَلِيًّا إِنَّهُ وَوَزِيرُهُ
جَرِيًّا لَكَيْمَا يَلْحَقَا بِأَبِيهِمَا
فَلْتُنْ هُمَا لِحِقَا بِهِ لِمُنْصَبٍ
وَلَكِنْ أَبَرَّ عَلَيْهِمَا فَلَطَمَا
فَلَا مَدَحَتْهُمَا بِمَا قَدْ عَايَنْتَ
فَهُمَا التَّقِيَانِ الْمُشَارُ إِلَيْهِمَا
وَهُمَا أَزَالَا عَنْ عَرِيكَتِ مُلْكِهِ
نَفِيًّا ابْنَ أَقْطَعَ بَعْدَ قَتْلِ حُمَاتِهِ
أَخَوَيْنِ فَوْقَ ذُرَى الْأَنَامِ ذِرَاهُمَا
لَا يَعْدُمُ الضَّيْفُ الْغَرِيبُ قِرَاهُمَا
وَيَعِيشُ فِي كَنْفَيْهِمَا حَيَّاهُمَا
عُثْمَانُ لَيْسَ يَدِلُّ مَنْ وَالَاهُمَا
جَرَى الْجِيَادِ مِنَ الْبَعِيدِ مَدَاهُمَا
يَسْتَعْلِيَانِ وَيَلْحَقَانِ أَبَاهُمَا
جَرِيًّا فَبَذَّاهُمَا وَبَذَّ سِوَاهُمَا
عَيْنِي وَإِنْ لَمْ أُحْصِ كُلَّ نَدَاهُمَا^(١)
الْحَامِلَانِ الْكَامِلَانِ كِلَاهُمَا
نَضْرًا وَلَا قِيَّ الذَّلَّ إِذْ عَادَاهُمَا
وَتَقَسَّمَتْ أَسْلَابُهُ خِيَلَاهُمَا

والحارث بن سُرَيْج إِذْ قَصَدُوا لَهُ حَتَّى تَعَاوَرَ رَأْسُهُ سَيْفَاهُمَا
أَخَذَا بِعَقْوِ أَبِيهِمَا فِي قَدْرِهِ إِذْ عَزَّ قَوْمُهُمَا وَمِنْ وَالَاهُمَا

• • •

١٩٣٧/٢

وفي هذه السنة وجه إبراهيم بن محمد أبا مسلم إلى خراسان ، وكتب إلى
أصحابه : إني قد أمرته بأمرى ، فاسمعوا منه واقبلوا قوله ؛ فإنني قد أمرته على
خراسان وما غلب عليه بعد ذلك ؛ فأتاهم فلم يقبلوا قوله ، وخرجوا من قابل ،
فالتقوا بمكة عند إبراهيم ، فأعلمه أبو مسلم أنهم لم ينفذوا كتابه وأمره ، فقال
إبراهيم : إني قد عرضت هذا الأمر على غير واحد فأبوه على ، وذلك أنه كان
عرض ذلك قبل أن يوجه أبا مسلم على سليمان بن كثير ، فقال : لا ألي (١)
اثنين أبداً ، ثم عرضه على إبراهيم بن سلمة فأبى ، فأعلمهم أنه أجمع رأيه
على أبي مسلم ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، ثم قال : يا عبد الرحمن ، إنك
رجلٌ منا أهل البيت ؛ فاحتفظ (٢) وصيتي ، وانظر هذا الحى من اليمن
فأكرمهم (٣) ، وحل بين أظهرهم ؛ فإن الله لا ييسم هذا الأمر إلا بهم ؛
وانظر هذا الحى من ربيعة فاتهمهم في أمرهم ، وانظر هذا الحى من مضر ؛
فإنهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت في أمره ومن كان في أمره شبهة
ومن وقع في نفسك منه شيء ؛ وإن استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربياً
فافعل ، فأيتما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمة فاقتله ، ولا تخالف هذا الشيخ -
يعنى سليمان بن كثير - ولا تعصه ، وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به منى .

• • •

[ذكر الخبر عن مقتل الضحاك الخارجي]

وفي هذه السنة قُتِلَ الضحاك بن قيس الخارجي ، فيما قال أبو مخنف ،
ذكر ذلك هشام بن محمد عنه .

١٩٣٨/٢

(٢) ابن الأثير : « فاحفظ » .

(١) بعد ما في الأثير : « عل » .

(٣) ابن الأثير : « فالزهم » .

* ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك :

ذكر أن الضحّاك لما حاصر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط ، وبايعه منصور بن جُمهور ، ورأى عبد الله بن عمر أنه لا طاقة له به ، أرسل إليه : إن مقامكم علىّ ليس بشيء^(١) ؛ هذا مروان فسرّ إليه ؛ فإن قاتلته^(٢) فأنا معك ، فصالحه على ما قد ذكرت من اختلاف المختلفين فيه .

فذكر هشام ، عن أبي مخنف ؛ أن الضحّاك ارتحل عن ابن عمر حتى لقي مَرَوَانَ بكفَرَتَوْثًا من أرض الجزيرة ، فقتل الضحّاك يوم التقوا .

وأما^(٣) أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح ، فقال فيما حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم عنه أن الضحّاك لما قتل عطية الثعلبي^(٤) صاحبه وعامله على الكوفة ملّحان بقنطرة السَّيْلَحِينَ ، وبلغه خبرُ قتل ملّحان وهو محاصر عبد الله بن عمر بواسط ، وجّه مكانه من أصحابه رجلا يقال له مطاعن ؛ واصطلح عبد الله بن عمر والضحّاك عن أن يدخل في طاعته ؛ فدخل وصلى خلفه ، وانصرف إلى الكوفة ، وأقام ابن عمر فيمن معه بواسط ، ودخل الضحّاك الكوفة ، وكتبه أهل الموصل ودعوه إلى أن يقدم عليهم فيمكنوه منها ؛ فسار في جماعة جنوده بعد عشرين شهراً ، حتى انتهى إليها ، وعليها يومئذ عامل مروان ؛ وهو رجل من بني شَيْبَانَ من أهل الجزيرة يقال له القسْطِرَان بن أكمّته ، ففتح أهل الموصل المدينة للضحّاك وقتلهم القطرّان في عدّة

يسيرة من قومه وأهل بيته حتى قتلوا ، واستولى الضحّاك على الموصل وكورها . ١٩٣٩/٢ وبلغ مَرَوَانَ خبره وهو محاصرٌ حِمَص ، مشغل بقتال أهلها ، فكتب إلى ابنه عبد الله وهو خليفته بالجزيرة ، يأمره أن يسير فيمن معه من روابطه إلى مدينة نَصِيبِينَ ليشغل^(٥) الضحّاك عن توسط الجزيرة ، فشخص عبد الله إلى نَصِيبِينَ في جماعة روابطه ؛ وهو في نحو من سبعة آلاف أو ثمانية ، وخلف بجرّان قائدًا في ألف أو نحو ذلك ؛ وسار الضحّاك من الموصل إلى عبد الله

(١) ابن الأثير : « يسى » .

(٣) كذا في أ .

والصواب ما أثبتته من الأصول .

(٢) ١ ، وابن الأثير : « قتلته » .

(٤) ط : « الثعلبي » من توبيخه مصححه ،

(٥) كذا في أ .

بنصيبين، فقاتله فلم يكن له قوة لكثرة من مع الضحاك؛ فهم فيما بلغنا عشرون ومائة ألف، يرزق الفارس عشرين ومائة والراجل والبغال المائة والثمانين في كل شهر؛ وأقام الضحاك على نصيبين محاصراً لها، ووجهه قائدان من قواده يقال لهما عبد الملك بن بشر التغلبي، وبدر الذكواني مولى سليمان بن هشام، في أربعة آلاف أو خمسة آلاف حتى وردا الرقة، فقاتلهم من بها من خيل مروان؛ وهم نحو من خمسمائة فارس، ووجهه مروان حين بلغه نزولهم الرقة خيلاً من روابطه؛ فلما دنوا منها انقشع أصحاب الضحاك منصرفين إليه، فاتبعتهم خيله، فاستسقطوا من ساقاتهم نيفاً وثلاثين رجلاً، فقطعهم مروان حين قدم الرقة، ومضى صامداً إلى الضحاك وجموعه حتى التقيا بموضع يقال له الغز من أرض كفسرتوثا، فقاتله يومه ذلك؛ فلما كان عند المساء ترجل الضحاك وترجل معه من ذوى الثبات من أصحابه نحو من ستة آلاف وأهل عسكره أكثرهم لا يعلمون بما كان منه، وأحدقت بهم خيول مروان فألحوا عليهم حتى قتلهم عند العتمة، وانصرف من بقي من أصحاب الضحاك إلى عسكرهم؛ ولم يعلم مروان ولا أصحاب الضحاك أن الضحاك قد قُتِلَ فيمن قتل حتى فقدوه في وسط الليل. وجاءهم بعض من عاينه حين ترجل، فأخبرهم بخبره ومقتله، فبكوه وناحوا عليه، وخرج عبد الملك بن بشر التغلبي القائد الذي كان وجهه في عسكرهم إلى الرقة حتى دخل عسكر مروان، ودخل عليه فأعلمه أن الضحاك قُتِلَ، فأرسل معه رسلاً من حرسه، معهم النيران والشَّمْع إلى موضع المعركة، فقلبا القتلى حتى استخرجوه فاحتملوه حتى أتوا به مروان، وفي وجهه أكثر من عشرين ضربة، فكبر أهل عسكر مروان، فعرف أهل عسكر الضحاك أنهم قد علموا بذلك، وبعث مروان برأسه من ليلته إلى مدائن الجزيرة، فطيف به فيها.

وقيل: إن الخيبري والضحاك إنما قُتِلَا في سنة تسع وعشرين ومائة.

[ذكر الخبر عن مقتل الخيبري وولاية شيبان]

وفي هذه السنة كان أيضاً - في قول أبي مخنف - قتل الخيبري الخارجي، كذلك ذكر هشام عنه.

* ذكر الخبر عن مقتله :

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال :
حدثني أبو هاشم محمد بن محمد بن صالح ، قال : لما قتل الضحاك أصبح
أهل عسكره بايعوا^(١) الخيبري ، وأقاموا يومئذ وغادوه^(٢) من بعد الغد ، وصافوه
وصافوهم ، وسليمان بن هشام يومئذ في مواليه وأهل بيته مع الخيبري ؛ وقد كان
قدم على الضحاك وهو بنصيبين ؛ وهم في أكثر من ثلاثة آلاف من أهل
بيته ومواليه ، فتزوج فيهم أخت شيبان الحروري الذي بايعوه بعد قتل الخيبري ،
فحمل الخيبري على مروان في نحو من أربع مائة فارس من الشراة ، فهزم
مروان وهو في القلب ، وخرج مروان من المعسكر هارباً ، ودخل الخيبري
فيمن معه عسكره ، فجعلوا ينادون بشعارهم : يا خيبري يا خيبري ،
ويقتلون من أدركوا حتى انتهوا إلى حجرة مروان ، فقطعوا أطناها ، وجلس
الخيبري على فرشه ، وميمنة مروان عليها ابنة عبد الله ثابتة على حالها ، وميسرته
ثابتة عليها إسحاق بن مسلم العُقَيْبِيُّ ، فلما رأى أهل عسكر مروان قلة
من مع الخيبري ثار إليه عبيد من أهل العسكر بعمد الخيام ، فقتلوا الخيبري
وأصحابه جميعاً في حجرة مروان وحولها ، وبلغ مروان الخبر وقد جاز
العسكر بخمسة أميال أو ستة منهزمًا ، فانصرف إلى عسكره وردّ خيوله عن
مواقعها ومواقفها ، وبات ليلته تلك في عسكره . فانصرف أهل عسكر الخيبري
فولتوا عليهم شيبان وبايعوه ، فقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس ، وأبطل
الصف منذ يومئذ . وكان مروان يوم الخيبري بعث محمد بن سعيد ، وكان من
ثقافته وكتابه إلى الخيبري ، فبلغه أنه مالأهم وانحاز إليهم يومئذ ، فأتى به
مروان أسيراً فقطع يده ورجله ولسانه .

• • •

وفي هذه السنة وجّه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لحرب من بها
من الخوارج .

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ؛ كذلك
قال أبو معشر — فيما حدثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى

(١) ابن الأثير : « قبايعوا » . (٢) : « وعادوه » .

عنه . وكذلك قال الواقدي وغيره .
وقال الواقدي : وافتتح مَرْوَان حِمْنُص وهدم سورها ، وأخذ نُعَيْم بن ثابت الجُزَامِي فقتله في شوال سنة ثمان ، وقد ذكرنا من خالفه في ذلك قبل .
وكان العامل على المدينة ومكة والطائف — فيما ذكر — في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وبالعراق عمّال الضحّاك وعبد الله بن عمر . وعلى قضاء البصرة ثُمَامَة بن عبد الله ، وبخراسان نَصْر بن سيار وخراسان مفتونة .

* * *

[خبر أبي حمزة الخارجي مع عبد الله بن يحيى]
وفي هذه السنة لقي أبو حمزة الخارجي عبد الله بن يحيى طالب الحق فدعاه إلى مذهبه .

* ذكر الخبر عن ذلك :

حدثني العباس بن عيسى العُقَيْلِي ، قال : حدثنا هارون بن موسى القروي^(١) ، قال : حدثني موسى بن كثير مولى الساعديّين ، قال : كان أول أمر أبي حمزة — وهو المختار بن عوف الأزديّ السّليّميّ من البصرة — قال موسى : كان أول أمر أبي حمزة أنه كان يوافي كل سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مَرْوَان بن محمد وإلى خلاف آل مروان . قال : فلم يزل يختلف في كل سنة حتى وافى عبد الله بن يحيى في آخر سنة ثمان وعشرين ومائة ، فقال له : يا رجل ، أسمعُ كلاما حسنا ، وأراك^(٢) تدعو إلى حق ، فانطلق معي ، فإني رجل مطاع في قومي ، فخرج حتى ورد حَضْرَمَوْتَ ، فبايعه أبو حمزة على الخلافة ، ودعا إلى خلاف مَرْوَان وآل مروان .

١٩٤٣/٢

وقد حدثني محمد بن حسن أن أبا حمزة مرّ بمعدن بنى سليم وكثير بن عبد الله عامل على المعدن ، فسمع بعض كلامه ، فأمر به فجلد سبعين سوطاً ، ثم مضى إلى مكة ، فلما قدم أبو حمزة المدينة حين افتتحها تغيب كثير حتى كان من أمرهم ما كان^(٣) .

(٢) كذا في الأغاني .

(١) ط : « القروي » ، وصوابه من الأغاني .

(٣) الخبر في الأغاني ٢٠ : ٩٩ .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر هلاك شيبان بن عبد العزيز الحروري]

فمن ذلك ما كان من هلاك شيبان بن عبد العزيز اليشكريّ أبي الدلفاء .

* ذكر الخبر عن سبب مهلكه :

وكان سبب ذلك أنّ الخوارج الذين كانوا بإزاء مروان بن محمد يحاربونه لما قتل الضحاك بن قيس الشيبانيّ رئيس الخوارج والخيبريّ بعده ، ولوّا عليهم شيبان وبايعوه ؛ فقاتلهم مروان ، فنذكر هشام بن محمد والحيثم بن عديّ أنّ الخيبريّ لما قتل قال سليمان بن هشام بن عبد الملك للخوارج — وكان معهم في عسكرهم : إنّ الذي تفعلون ليس برأى ؛ فإن أخذتم برأى ، وإلا انصرفت عنكم . قالوا : فما الرأي ؟ قال : إنّ أحدكم يظفر ثم يستقتل فيقتل ، فإنّي أرى أنّ ننصرف على حاميتنا حتى ننزل الموصل ، فنخندق . ففعل وأتبعه مروان والخوارج في شرق دجلة ومروان بإزائهم ؛ فاقتتلوا تسعة أشهر ، ويزيد بن ١٩٤٤/٢ عمر بن هبيرة بقرقيسيا في جُند كثيف من أهل الشام وأهل الجزيرة ، فأمره مروان أن يسير إلى الكوفة ، وعليها يومئذ المنثيّ بن عمران ؛ من عائدة قريش من الخوارج .

وحدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثني أبو هاشم مخلد بن محمد ، قال : كان مروان بن محمد يقاتل الخوارج بالصف ، فلما قتل الخيبريّ وبويع شيبان ، قاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس ، وأبطل الصف منذ يومئذ ، وجعل الآخرون يكرّدسون بكراديس مروان كراديس تكافئهم وتقاتلهم ، وتفرّق كثير من أصحاب الطمع عنهم وخذلوه ، وحصلوا في نحو من أربعين ألفاً ، فأشار عليهم سليمان بن هشام أن ينصرفوا إلى مدينة الموصل ، فيصيروها ظهراً وملجأً وميرةً لهم ، فقبلوا رأيه ، وارتحلوا

ليلاً ، وأصبح مروان فأتبعهم ؛ ليس يرحلون عن منزل إلا نزله ؛ حتى انتهوا إلى مدينة الموصل ، فعسكروا على شاطئ دجلة ، وخندقوا على أنفسهم ، وعقدوا جسوراً على دجلة من عسكرهم إلى المدينة ؛ فكانت ميرتهم ومرافقهم منها ، وخندق مروان بإزائهم ، فأقام ستة أشهر يقاتلهم بكثرة وعشية .

قال : وأتى مروان بابن أخ لسليمان بن هشام ، يقال له أمية بن معاوية بن هشام ، وكان مع عمه سليمان بن هشام في عسكر شيبان بالموصل ؛ فهو مبارز رجلاً من فرسان مروان ، فأسر الرجل فأتى به أسيراً ، فقال له : أنشدك الله والرحيم يا عم ! فقال : ما بيني وبينك اليوم من رحيم ، فأمر به - وعمه سليمان وإخوته ينظرون - فقطعت يدها وضربت عنقه .

١٩٤٥/٢

قال : وكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من قرقيسيا بجميع من معه إلى عبدة بن سوار خليفة الضحاك بالعراق ، فلقى خيوله بعين التمر ، فقاتلهم فهزمهم ؛ وعليهم يومئذ المشي بن عمران من عائذة قريش والحسن بن يزيد ؛ ثم تجمعوا له بالكوفة بالنخيلة ، فهزمهم ، ثم اجتمعوا بالصرّة ومعهم عبدة ؛ فقاتلهم فقتل عبدة ، وهزم أصحابه ، واستباح ابن هبيرة عسكرهم ، فلم يكن لهم بقية بالعراق ، واستولى ابن هبيرة عليها ، وكتب إليه مروان بن محمد من الخنادق يأمره أن يمدّه بعامر بن ضبارة المُرّي ، فوجهه في نحو من ستة آلاف أو ثمانية ؛ وبلغ شيبان خبرهم ومن معه من الحرورية ، فوجهوا إليه قائدتين في أربعة آلاف ، يقال لهما ابن غوث والحنون ، فلقوا ابن ضبارة بالسنّ دون الموصل ، فقاتلوه قتالاً شديداً ، فهزمهم ابن ضبارة ، فلما قدم فلهم أشار عليهم سليمان بالارتحال عن الموصل ، وأعلمهم أنه لا مقام لهم إذ جاءهم ابن ضبارة من خلفهم ، وركبهم مروان من بين أيديهم ؛ فارتحلوا فأخذوا على حُلوان إلى الأهواز وفارس ، ووجه مروان إلى ابن ضبارة ثلاثة نفر من قواده في ثلاثين ألفاً من روابطه ؛ أحدهم مصعب بن الصّحّاح الأسدي وشقيق وعطيف [السلياني] ^(١) ، وشقيق الذي يقول فيه الخوارج :

قد عَلِمْتَ أختاك ^(٢) يا شقيق أنك من سُكرك ما تُفِيقُ
وكتب إليه يأمره أن يتبعهم ، ولا يقلع عنهم حتى يُبِيرهم ويستأصلهم ،

فلم يزل يتبعهم حتى وردوا فارسَ ، وخرجوا منها وهو في ذلك يستسقط مَن
لحق من أخريّاتهم ، فتفرّقوا ، وأخذ شيبان في فرقه إلى ناحية البحرين ، فقتل
بها ، وركب سليمان فيمن معه من مواليه وأهل بيته السفن إلى السند ، وانصرفَ
مروان إلى منزله من حرّان ، فأقام بها حتى شغص إلى الزّاب .

وأما أبو مخنف فإنه قال — فيما ذكر هشام بن محمد عنه — قال : أمر
مروان يزيد بن عمر بن هبيرة — وكان في جنود كثيرة من الشام وأهل
الجزيرة بقرّ قيسيا — أن يسير إلى الكوفة ، وعلى الكوفة يومئذ رجل من الخوارج
يقال له المثنى بن عمران العائذي ؛ عائذة قريش ، فسار إليه ابن هبيرة على
الفُرات حتى انتهى إلى عين التّمّر ، ثم سار فلقى المثنى بالروحاء ، فوافي
الكوفة في شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة ، فهزم الخوارج ، ودخل ابن
هبيرة الكوفة ثم سار إلى الصّراة ، وبعث شيبان عبيدة بن سوّار في خيل كثيرة ،
فعسكر في شرق الصّراة ، وابن هبيرة في غربيّها ، فالتقوا ، فقتل عبيدة وعدة من
أصحابه ؛ وكان منصور بن جمهور معهم في دَوْر الصّراة ، فضى حتى
غلب على الماهيين وعلى الجبل أجمع ، وسار ابن هبيرة إلى واسط ؛ فأخذ ابن
عمر فحبسه ، ووجّه ثُبّانة بن حنظلة إلى سليمان بن حبيب وهو على كُور الأهواز ،
وبعث إليه سليمان داود بن حاتم ، فالتقوا بالمریان ^(١) على شاطئ دُجيل ،
فانهزم الناس ، وقتل داود بن حاتم . وفي ذلك يقول خلف بن خليفة :

نَفْسِي لِدَاوُدَ الْفِدَاَ وَالْحِمَى إِذْ أَسْلَمَ الْجَيْشُ أَبَا حَاتِمٍ
مُهَلَّبِيْ مُشْرِقٌ وَجْهُهُ لَيْسَ عَلَى الْمَعْرُوفِ بِالنَادِمِ
سَأَلْتُ مَنْ يَعْلَمُ لِي عِلْمَهُ حَقًّا [وَمَا الْجَاهِلُ كَالْعَالِمِ ^(٢)]

قَالُوا عَهْدُنَاهُ عَلَى مَرْقَبٍ يَحْمِلُ كَالضَّرْغَامَةِ الصَّارِمِ
ثُمَّ انْشَى مِنْجِدًا فِي دَمٍ يُسْفَحُ فَوْقَ الْبَدَنِ النَّاعِمِ
وَأَقْبَلَ الْقِبْطُ عَلَى رَأْسِهِ وَاخْتَصَمُوا فِي السَّيْفِ وَالْخَاتَمِ

وسار سليمان حتى لحق بابن معاوية الجعفرى بفارس . وأقام ابن هبيرة شهراً .

(١) ابن الأثير : « بالمرتان » .

(٢) من أ .

ثم وجه عامر بن ضُبارة في أهل الشام إلى الموصل ؛ فسار حتى انتهى إلى السنّ فلقية بها الجحون بن كلاب الخارجي ، فهزم عامر بن ضُبارة حتى أدخله السنّ فتحصن فيها ، وجعل مَرَوَانُ يُمدّه بالجنود يأخذون طريق البر ؛ حتى انتهوا إلى دجلة ، فقطعوها إلى ابن ضُبارة حتى كثروا . وكان منصور بن جُمهور يمدّ شيبان بالأموال من كُور الجبل ؛ فلما كثر من يتبع ^(١) ابن ضُبارة من الجنود ؛ نهض إلى الجحون بن كلاب فقتل الجحون ، ومضى ابن ضُبارة مصعداً إلى الموصل . ؛ فلما انتهى خبر الجحون وقتله إلى شيبان ومسير عامر بن ضُبارة نحوه ، كره أن يقيم بين العسكرين ؛ فارتحل بمن معه وفرسان الشام من اليمانية . وقدم عامر بن ضُبارة بمن معه على مَرَوَان بالموصل ، فضم إليه جنوداً من جنوده كثيرة ، وأمره أن يسير إلى شيبان ؛ فإن أقام أقام ؛ وإن سار سار ؛ وألاّ يبدأه بقتال ؛ فإن قاتله شيبان قاتله ؛ وإن أمسك أمسك عنه ، وإن ارتحل اتبعه ؛ فكان على ذلك حتى مرّ على الجبل ، وخرج على بيضاء اصطخر ، وبها عبد الله بن معاوية في جموع كثيرة ؛ فلم يتهياً الأمرُ بينه وبين ابن معاوية ، فسار حتى نزل جيرفت من كرمان ، وأقبل عامر بن ضُبارة حتى نزل بإزاء ابن معاوية أياماً ، ثم ناهضه القتال ، فانهزم ابن معاوية ، فلحق به سَرّاة وسار ابن ضُبارة بمن معه ، فلقى شيبان بجيرفت من كرمان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزمت الخوارج ، واستبيح عسكرهم ؛ ومضى شيبان إلى سجستان ، فهلك بها ؛ وذلك في سنة ثلاثين ومائة .

١٩٤٨/٢

وأما أبو عبيدة فإنه قال : لما قتل الخبيرى قام بأمر الخوارج شيبان بن عبد العزيز اليشكري ، فحارب مَرَوَان ، وطالت الحرب بينهما ؛ وابن هبيرة بواسط قد قتل عبيدة بن سوار ونفى الخوارج ومعه رعوس قواد أهل الشام وأهل الجزيرة . فوجه عامر بن ضُبارة في أربعة آلاف مدداً لمروان ، فأخذ على باب المدائن ، وبلغ مسيره شيبان ، فخاف أن يأتيهم مروان ، فوجه إليه الجحون بن كلاب الشيباني ليشغله ، فالتقيا بالسنّ ، فحصر الجحون عامراً أياماً . قال أبو عبيدة : قال أبو سعيد : فأخرجناهم والله ، واضطروناهم إلى

(١) ابن الأثير : « من مع ابن ضُبارة » .

قتالنا ؛ وقد كانوا خافونا وأرادوا الهرب منا ؛ فلم ندع لهم مسلكاً . فقال لهم عامر :
أنتم ميتون لا محالة ؛ فموتوا كراماً ، فصدمونا صدمة لم يقيم لها شيء ، وقتلوا رئيسنا
الجن بن كلاب ، وانكشفنا حتى لحقنا بشيبان ، وابن ضبارة في آثارنا ؛
حتى نزل منا قريباً ؛ وكنا نقاتل من وجهين ؛ نزل ابن ضبارة من ورائنا مما
يلي العراق ، ومروان أمامنا مما يلي الشام ؛ فقطع عنا المادّة والميرة ، فغلت
أسعارنا ؛ حتى بلغ الرغيف درهماً ؛ ثم ذهب الرغيف فلا شيء يشتري به غالٍ
ولارخيص . فقال حبيب بن خدرّة لشيبان : يا أمير المؤمنين ؛ إنك في ضيق
من المعاش ؛ فلو انتقلت إلى غير هذا الموضع ! ففعل ومضى شهرزور من
أرض الموصل ، فعاب ذلك عليه أصحابه ؛ فاختلفت كلمتهم .

١٩٤٩/٢

وقال بعضهم : لما ولي شيبان أمر الخوارج [رجع بأصحابه] ^(١) إلى الموصل
فاتبعه مروان ينزل معه حيث نزل [فقاتله شهراً ثم انهزم] ^(١) شيبان حتى لحق
بأرض فارس ، فوجه مروان في أثره عامر بن ضبارة [فقطع] ^(١) إلى جزيرة ابن
كاوان ، ومضى شيبان بمن معه حتى صار إلى عُمان ، فقتله جلندى بن مسعود
ابن جعفر بن جلندى الأزدي .

* * *

[ذكر إظهار الدعوة العباسية بخراسان]

وفي هذه السنة أمر إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس أبا مسلم ،
وقد شخص من خراسان يريدّه حتى بلغ قوميس ، بالانصراف إلى شيعته
بخراسان ، وأمرهم بإظهار الدعوة والتسويد .

* ذكر الخبر عن ذلك وكيف كان الأمر فيه :

قال عليّ بن محمد عن شيوخي : لم يزل أبو مسلم يختلف إلى خراسان ،
حتى وقعت العصيّة بها ؛ فلما اضطرب الحبل ، كتب سليمان بن كثير إلى
أبي سلمة الخلال يسأله أن يكتب إلى إبراهيم ، يسأله أن يوجه رجلاً من
أهل بيته . فكتب أبو سلمة إلى إبراهيم ، فبعث أبا مسلم . فلما كان في سنة
تسع وعشرين ومائة ، كتب إبراهيم إلى أبي مسلم يأمره بالقدوم عليه ليسأله
عن أخبار الناس ، فخرج في النصف من جمادى الآخرة مع سبعين نفساً

١٩٥٠/٢

من النقباء ، فلما صار بالدَّندَانقان من أرض خُرَّاسان عرض له كامل — أبو كامل — قال : أين تريدون ؟ قالوا : الحجَّ ، ثم خلا به أبو مسلم ، فدعاه فأجابهم ، وكفَّ عنهم ، ومضى أبو مسلم إلى بيورْد ، فأقام بها أياماً ، ثم سار إلى نَسَا ؛ وكان بها عاصم بن قيس السُّلَمِيّ عاملاً لنصر بن سيار اللبثي ؛ فلما قرب منها أرسل الفضل بن سليمان الطوسي^(١) إلى أسيد بن عبد الله الخُزاعيّ ليعلمه قدومه ، ففضى الفضل فدخل قرية من قرى نَسَا ، فلقى رجلاً من الشيعة يعرفه ، فسأله عن أسيد ، فانتهره ، فقال : يا عبد الله ، ما أنكرت من مسألتى عن منزل رجل ؟ قال : إنه كان في هذه القرية شرّاً ، سعيّ برجلين قدما إلى العامل ، وقيل إنهما داعيان ، فأخذهما ، وأخذ الأحجم بن عبد الله وغِيلان بن فضالة وغالب بن سعيد والمهاجر بن عثمان ؛ فانصرف الفضل إلى أبي مسلم وأخبره ، فتنكّب الطريق ، وأخذ في أسفل القرى ، وأرسل طرخان الحمّال^(٢) إلى أسيد ، فقال : ادعْه لى ومَنْ قدرت عليه من الشيعة ، وإياك أن تكلم أحداً لم تعرفه ، فأتى طرخان أسيداً فدعاه ، وأعلمه بمكان أبي مسلم ، فأتاه فسأله عن الأخبار ، قال : نعم ، قدم الأزهر بن شعيب وعبد الملك بن سعد بكتبٍ من الإمام إليك ، فخلّفا الكتبَ عندى وخرجا ، فأخذنا فلا أدري مَن سعى بهما ! فبعث بهما العامل إلى عاصم بن قيس ، فضرب المهاجر بن عثمان وناساً من الشيعة . قال : فأين الكتب ؟ قال : عندى ، قال : فأنتى بها [فأتاه بالكتب فقرأها]^(٣) .

١٩٥١/٢

قال : ثم سار حتى أتى قُوميس ، وعليها بيهس بن بُدليل العجليّ ، فأتاهم بيهس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : الحجَّ ، قال : أفعلمكم فضل برّذون تبعونه ؟ قال أبو مسلم : أما بيعاً فلا ؛ ولكن خذ أى دوابنا شئت ؛ قال : اعرضوها علىّ ، فعرضوها ، فأعجبته برّذون منها سمّند ، فقال أبو مسلم : هولك ، قال : لا أقبله إلّا بثمان ، قال : احتكم ، قال : سبعائة ، قال : هولك . وأتاه وهو بقوميس كتاب من الإمام إليه وكتاب إلى سليمان بن كثير ؛ وكان في كتاب أبي مسلم : إني قد بعثت إليك براية النصر فارجع من حيث ألقاك^(٤) .

(١) في ابن الأثير : « سليمان بن قيس السلمي » (٢) ابن الأثير : « الحمّال » .
(٣) من أ . (٤) أ : « لقيك » .

كتاني، ووجهه إلى قَحطبة بما معك يوافني^(١) به في الموسم . فانصرف أبو مسلم إلى خُراسان ، ووجهه قحطبة إلى الإمام ، فلما كانوا بنساعرض لهم صاحب مَسْلَحِه في قرية من قُرى نَسَا ، فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : أردنا الحج ، فبلغنا عن الطريق شيء خفناه ، فأوصلهم إلى غاصم بن قيس السَلَمي ، فسألهم فأخبروه ، فقال : [ارتحلوا وأمر]^(٢) المفضل بن الشرق^(٣) السَلَمي — وكان على شُرطته — أن يزعمهم ، فخلا به أبو مسلم وعرض عليه أمرهم ، فأجابه ، وقال : ارتحلوا على مَهَل ، ولا تعجلوا . وأقام عندهم حتى ارتحلوا .

١٩٥٢/٢ فقدم أبو مسلم مَرَوْ في أول يوم من شهر رمضان سنة تسع وعشرين ومائة ، ودفع كتاب الإمام إلى سليمان بن كثير ، وكان فيه أن أظهر دعوتك ولا ترتبص ، فقد آن ذلك . فنصبوا أبا مُسلم ، وقالوا : رجل من أهل البيت ، ودعوا إلى طاعة بني العباس ، وأرسلوا إلى مَن قرب منهم أو بعد من أجابهم ، فأمره بإظهار أمرهم والدعاء إليهم . ونزل أبو مُسلم قرية من قُرى خُزاعة يقال لها سفيزنج ، وشيبان والكِرواني يقاتلان نصر بن سيار ، فبث أبو مسلم دعائته في الناس ، وظهر أمره ، وقال الناس : قدم رجل من بني هاشم ، فأتوه من كل وجه ، فظهر يوم الفطر في قرية خالد بن إبراهيم . فصلى بالناس يوم الفطر القاسم بن مجاشع المَرّائي ، ثم ارتحل فنزل بالين — ويقال قرية اللين — لخزاعة ، فوافاه في يوم واحد أهل ستين قرية ، فأقام اثنين وأربعين يوماً ؛ فكان أول فتح أبي مسلم من قبيل موسى بن كعب في بيورد ، وتشاغل بقتل عاصم بن قيس ، ثم جاء فتح من قبل مَروروذ .

٩٥٣/٢

قال أبو جعفر : وأما أبو الخطاب فإنه قال : كان مقدم أبي مسلم أرض مَرَوْ منصرفاً من قوميس ، وقد أنفذ من قوميس قحطبة بن شبيب بالأموال التي كانت معه والعروض إلى الإمام إبراهيم بن محمد ، وانصرف إلى مَرَوْ ، فقدمها في شعبان سنة تسع وعشرين ومائة لتسع خلون منه يوم الثلاثاء ، فنزل قرية تدعى فنين على أبي الحكم عيسى بن أعين النقيب ، وهي قرية أبي داود النقيب ، فوجه منها أبا داود ومعه عمرو بن أعين إلى طخارستان فما دون بلخ

(٢) من ١ .

(١) : « فيرافني » .

(٣) ابن الأثير : « السرق » .

يُظَاهَر الدَّعْوَةُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ عَامِهِمْ ، وَوَجَّهَ النَّصْرُ ^(١) بِنِ صَبِيحِ التَّمِيمِيِّ وَمَعَهُ شَرِيكَ بِنِ غَضِيٍّ التَّمِيمِيِّ إِلَى مَرَّو الرُّوْذِ بِإِظْهَارِ الدَّعْوَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَوَجَّهَ أَبُو عَاصِمٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بِنِ سَلِيمٍ إِلَى الطَّالِقَانِ ، وَوَجَّهَ أَبُو الْجَهْمِ بِنِ عَطِيَّةٍ إِلَى الْعَلَاءِ بِنِ حَرِيثٍ بِخَوَارِزْمٍ بِإِظْهَارِ الدَّعْوَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَخَمْسٍ بَقِيْنَ مِنَ الشَّهْرِ ، فَإِنْ أَعْجَلَهُمْ عَدُوَّهُمْ ^(٢) دُونَ الْوَقْتِ ، فَعَرَضَ لَهُمْ بِالْأَذَى وَالْمَكْرُوهِ فَفَقَدَ حُلَّ لَهُمْ أَنْ يَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَأَنْ يُظْهِرُوا السِّیُوفَ وَيَجْرُدُوهَا مِنْ أَغْمَادِهَا ، وَيَجَاهِدُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ وَمَنْ شَغَلَهُمْ عَدُوَّهُمْ عَنِ الْوَقْتِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَظْهَرُوا بَعْدَ الْوَقْتِ .

ثُمَّ تَحَوَّلَ أَبُو مُسْلِمٍ عَنْ مَنْزِلِ أَبِي الْحَكَمِ عَيْسَى بِنِ أَعِينٍ ، فَتَنَزَّلَ عَلَى سَلِيمَانَ ابْنِ كَثِيرٍ الْخَزَاعِيِّ فِي قَرْيَتِهِ الَّتِي تَدْعَى سَفِيذَنْجَ مِنْ رُبْعِ خَرْقَانَ لِلْبَلْتَيْنِ خَلْتَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ وَمِائَةٍ ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْخَمِيسِ لَخَمْسٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ وَمِائَةٍ اعْتَقَدُوا اللَّوَاءَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ الْإِمَامُ إِلَيْهِ الَّذِي يُدْعَى الظِّلَّ ، عَلَى رَمَحٍ طَوْلُهُ أَرْبَعَةُ عَشَرَ ذِرَاعًا ، وَعَقَدَ الرَّايَةَ الَّتِي ^(٣) بَعَثَ بِهَا الْإِمَامُ الَّتِي تَدْعَى السَّحَابَ عَلَى رَمَحٍ طَوْلُهُ ثَلَاثَةُ عَشَرَ ذِرَاعًا ، وَهُوَ يَتْلُو : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَلْقَدِيرُ ﴾ ^(٤) ، وَلَبَسَ السَّوَادَ هُوَ وَسَلِيمَانُ بِنِ كَثِيرٍ وَإِخْوَتُهُ سَلِيمَانُ وَمَوَالِيهِ وَمَنْ كَانَ أَجَابَ الدَّعْوَةَ مِنْ أَهْلِ سَفِيذَنْجَ ، مِنْهُمْ غِيلَانُ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَزَاعِيِّ — وَكَانَ صَهِرَ سَلِيمَانَ عَلَى أُخْتِهِ أُمِّ عَمْرٍو بِنْتِ كَثِيرٍ — وَمِنْهُمْ حُمَيْدُ بِنِ رَزِينَ وَأَخُوهُ عُثْمَانُ بِنِ رَزِينَ ، فَأَوْقَدُوا النَّيْرَانَ لَيْلَتِهِمْ أَجْمَعٍ لِلشَّيْعَةِ مِنْ سُكَّانِ رُبْعِ خَرْقَانَ — وَكَانَتِ الْعَلَامَةُ بَيْنَ الشَّيْعَةِ — فَتَجَمَّعُوا لَهُ حِينَ أَصْبَحُوا مُغْبِذِينَ ، وَتَأَوَّلَ هَذِينَ الْأَسْمِينَ : الظِّلَّ وَالسَّحَابَ ، أَنَّ السَّحَابَ يَطْبِقُ الْأَرْضَ ؛ وَكَذَلِكَ دَعْوَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَتَأَوَّلَ الظِّلَّ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنَ الظِّلِّ أَبَدًا ، وَكَذَلِكَ لَا تَخْلُو مِنْ خَلِيفَةِ عَبَّاسِيٍّ أَبَدَ الدَّهْرِ .

١٩٥٤/٢

وَقَدِمَ عَلَى أَبِي مُسْلِمٍ الدَّعَاةُ مِنْ أَهْلِ مَرَّو بَعْنِ أَجَابِ الدَّعْوَةِ ؛ وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ أَهْلُ السَّقَادَمِ ^(٥) مَعَ أَبِي الْوَضَّاحِ الْهَرْمُزُفَرِيِّ عَيْسَى بِنِ شُبَيْلٍ

١٩٥٥/٢

(٢) ١ : « غزوم » .

(٤) سورة الحج ٣٩ .

(١) ابن الأثير : « نصر » .

(٣) كذا في أ ، وفي ط : « الذي » .

(٥) ١ وابن الأثير : « السقادم » .

في تسعمائة رجل وأربعة فرسان، ومن أهل هُرْمُزُ فَرَّةَ سليمان بن حسان وأخوه
يزدان بن حسان والهيثم بن يزيد بن كيسان؛ وبُؤَيْع^(١) مولى نصر بن معاوية
وأبو خالد الحسن وجردى ومحمد بن عاكوان، وقدم أهل السقادم مع أبي القاسم
محرز بن إبراهيم الجوباني في ألف وثلاثمائة راجل وستة عشر فارساً، ومنهم من
الدَّعَاة أبو العباس المُرُورِيّ وخذام بن عمار وحمزة بن زُئيم، فجعل أهل
السقادم يكبّرون من ناحيتهم وأهل السقادم مع محرز بن إبراهيم يُحِبُّونهم
بالتكبير؛ فلم يزاوا كذلك حتى دخلوا عسكر أبي مسلم بسفيلذنج؛ وذلك
يوم السبت من بعد ظهور أبي مسلم بيومين، وأمر أبو مسلم أن يرمّ حصن
سفيلذنج ويحصن ويدرب؛ فلما حضر العيد يوم الفطر بسفيلذنج أمر أبو مسلم
سليمان بن كثير أن يصلي به وبالشيعة، ونصب له منبراً في العسكر، وأمره
أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة - وكانت بنو أمية تبدأ بالخطبة
والأذان، ثم الصلاة بالإقامة على صلاة يوم الجمعة، فيخطبون على المنابر جلوساً
في الجمعة والأعياد - وأمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يكبّر الركعة الأولى ست
تكبيرات تِباعاً، ثم يقرأ ويركع بالسابعة، ويكبر في الركعة الثانية خمس تكبيرات
تباعاً، ثم يقرأ ويركع بالسادسة، ويفتح الخطبة بالتكبير ويختتمها بالقرآن،
وكانت بنو أمية تكبر في الركعة الأولى أربع تكبيرات يوم العيد، وفي الثانية
ثلاث تكبيرات. فلما قضى سليمان بن كثير الصلاة والخطبة انصرف أبو مسلم
والشيعة إلى طعام قد أعدّه لهم أبو مسلم الحراساني، فطعموا مستبشرين. وكان
أبو مسلم وهو في الخندق إذا كتب إلى نصر بن سيار يكتب: للأمر نصر؛
فلما قوى أبو مسلم بمن اجتمع إليه في خندقه من الشيعة بدأ بنفسه، فكتب
إلى نصر: أما بعد، فإن الله تبارك أسأؤه وتعالى ذكره غير أقواماً في القرآن
فقال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى
الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكَّرَ
السَّيِّئُ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سَنَةً

١٩٥٦/٢

الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا^(١) .
فتعظم نصر الكتاب وأنه بدأ بنفسه، وكسر له إحدى عينيه [وأطال الفكرة]^(٢) .
وقال : هذا كتاب له جواب . فلما استقر بأبي مسلم معسكره بالماخوآن أمر محرز
ابن إبراهيم أن يخندق خندقاً بجيرنج ، ويجمع إليه أصحابه ومن نزاع إليه
من الشيعة ، فيقطع مادة نصر بن سيار من مرو وروذ وبلخ وكورطخارستان .
ففعل ذلك محرز بن إبراهيم ، واجتمع له في خندق نحو من ألف رجل ، فأمر
أبو مسلم أبا صالح كامل بن مظفر أن يوجه رجلاً إلى خندق محرز بن إبراهيم
لعرض من فيه وإحصائهم في دقير بأسمائهم وأسماء آبائهم وقراهم ، فوجه
أبو صالح حُميداً الأزرق لذلك ، وكان كاتباً ، فأحصى في خندق محرز
ثمانمائة رجل وأربعة رجال من أهل الكف ، وكان فيهم من القواد المعروفين
زياد بن سيار الأزدي من قرية تدعى أسبواذ من ربيع خرقان ، وخديام بن
عمار الكندي من ربيع السقادم ومن قرية تدعى بالأوايق ، وحنيفة بن قيس من
ربيع السقادم ، ومن قرية تدعى الشنج ، وعبدويه الجردامد بن عبد الكريم من
أهل هرة ، وكان يجلب الغنم إلى مَرَو ، وحمزة بن زُنيَم الباهلي من ربيع
خرقان من قرية تدعى ميلاد جرد^(٣) ، وأبو هاشم خليفه بن مهران من ربيع
السقادم من قرية تدعى جوبان وأبو خديجة جيلان بن السغدلي وأبو نُعيم
موسى بن صبيح . فلم يزل محرز بن إبراهيم مقيماً في خندقه حتى دخل
أبو مسلم حائط مَرَو ، وعطل الخندق بالماخوآن وإلى أن عسكر بمارسرَجَس
يريد نيسابور ، فضم إليه محرز بن إبراهيم أصحابه ، وكان من الأحداث ،
وأبو مسلم بسفیدنج ، وكان نصر بن سيار وجه مولى له يقال له يزيد في خيل عظيمة
لحاربة أبي مسلم بعد ثمانية عشر شهراً من ظهوره ، فوجه إليه أبو مسلم مالك
ابن الهيثم الخزاعي ومعه مصعب بن قيس ، فالتقوا بقرية تدعى آلين ،
فدعاهم مالك إلى الرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستكبروا
عن ذلك ، فصافهم^(٤) مالك وهو في نحو من مائتين من أول النهار إلى وقت
العصر .

١٩٥٧/٢

١٩٥٨/٢

(٢) من ١ .

(٤) ١ : « فصادهم » .

(١) سورة فاطر ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) ط : « هتلا دجور » .

وقدم على أبي مسلم صالح بن سليمان الضبّي وإبراهيم بن يزيد وزياد بن عيسى فوجّهتهم إلى مالك بن الهيثم ، فقدموا عليه مع العصر ، فقوى بهم أبو نصر ، فقال يزيد مولى نصر بن سيار لأصحابه : إن تركنا هؤلاء الليلة أتتْهم الأمداد ، فاحملوا على القوم ؛ ففعلوا ، وترجّل أبو نصر وحضّ أصحابه ، وقال : إني لأرجو أن يقطع الله من الكافرين طرفاً ، فاجتلدوا جلاداً صادقاً ، وصبر الفريقان ، فقتل من شيعة بني مروان أربعة وثلاثون رجلاً ، وأسر منهم ثمانية نفر ، وحمل عبد الله الطائيّ على يزيد مولى نصر عميد القوم فأسره ، وانهزم أصحابه ، فوجّه أبو نصر عبد الله الطائيّ بأسيره في رجال من الشيعة ، ومعهم الأسرى والرءوس ، وأقام أبو نصر في معسكره بسفينةنج ، وفي الوفد أبو حماد المروزيّ وأبو عمرو الأعجميّ ، فأمر أبو مسلم بالرءوس فنُصبت على باب الحائط الذي في معسكره ، ودفع يزيد الأسلميّ إلى أبي إسحاق خالد بن عثمان ، وأمره أن يعالج يزيد مولى نصر من جراحات كانت به ، ويحسن تعاehده ، وكتب إلى أبي نصر بالقدوم عليه ، فلما اندمل يزيد مولى نصر من جراحاته دعاه أبو مسلم ، فقال : إن شئت أن تقيم معنا وتدخل في دعوتنا فقد أُرشدك الله ، وإن كرهت فارجع إلى مولاك سالمًا ، وأعطنا عهد الله ألاّ تحاربنا وألاّ تكذب علينا ، وأن تقول فينا ما رأيت ؛ فاختر الرجوع إلى مولا ، فخلّى له الطريق . وقال أبو مسلم : إنّ هذا سيردّ عنكم أهل الورع والصلاح ، فإنّا عندهم على [غير] (١) الإسلام .

١٩٥٩/٢

وقدم يزيد على نصر بن سيار ؛ فقال : لا مرحباً بك ؛ والله ما ظننت استبّقاك القوم إلّا ليتخذوك حجة علينا ، فقال يزيد : فهو والله ما ظننت ، وقد استحلّفوني ألاّ أكذب عليهم ، وأنا أقول : إنهم يصلّون الصلوات لمواقيتّها بأذان وإقامة ، ويتلون الكتاب ، ويذكرون الله كثيراً ، ويدعون إلى ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وما أحسب أمرهم إلا سيعاؤ ؛ ولولا أنك مولاى أعتقنّى من الرّقّ ما رجعت إليك ، ولأقمت معهم . فهذه أول حرب كانت بين الشيعة وشيعة بني مروان .

وفي هذه السنة غلب خازم بن خزيمة على مروروذ ، وقتل عامل نصر بن
سيار الذي كان عليها ؛ وكتب بالفتح إلى أبي مسلم مع خزيمة بن خازم .
• ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر علي بن محمد أن أبا الحسن الجشمي^(١) وزهير بن هنيذ والحسن
ابن رشيد أخبروه أن خازم بن خزيمة لما أراد الخروج بمروروذ أراد ناس
من تميم أن يمنعه ، فقال : إنما أنا رجل منكم ، أريد مرو لعلي أن أغلب
عليها^(٢) ؛ فإن ظفرتُ فهي لكم ، وإن قُتلت فقد كفيتمكم أمري . فكفروا
عنه ، فخرج فعسكر في قرية يقال لها كَنْجَ رُستاه^(٣) ، وقدم عليهم من قبل
أبي مسلم النضر بن صبيح وبسام بن إبراهيم . فلما أمسى خازم بيست أهل
مروروذ ، فقتل بشر بن جعفر السعدى — وكان عاملاً لنصر بن سيار على
مروروذ — في أول ذي القعدة ، وبعث بالفتح إلى أبي مسلم مع خزيمة بن خازم
عبد الله بن سعيد وشبيب بن واج .

١٩٦٠/٢

* * *

قال أبو جعفر : وقال غير الذين ذكرنا قوهم في أمر أبي مسلم وإظهاره
الدعوة ومصيره إلى خراسان وشخصه عنها وعوده إليها بعد الشخص قولاً
خلاف قوهم ؛ والذي قال في ذلك : أن إبراهيم الإمام زوج أبا مسلم لما توجه إلى
خراسان ابنة أبي النجم ، وساق عنه صداقها ، وكتب بذلك إلى النقباء ، وأمرهم
بالسمع والطاعة لأبي مسلم ، وكان أبو مسلم — فيما زعم — من أهل خُطَرَنِيَّة ، من
سواد الكوفة ، وكان قهرماناً لإدريس بن معقل العجلي ، قال أمره ومنتهى
ولائه^(٤) لحمد بن علي ، ثم لإبراهيم بن محمد ، ثم للأئمة من أولاد محمد
ابن علي فقدم خراسان وهو حديث السن . فلم يقبله سليمان بن كثير وتخوف
ألا يقوى على أمرهم ، وخاف على نفسه وأصحابه ، فردوه — وأبو داود
خالد بن إبراهيم غائب خلف نهر بلسخ — فلما انصرف أبو داود ، وقدم

(١) ط : « الحسى » ؛ وانظر الفهرس .

(٢) ابن الأثير : « أريد أن أغلب على مرو » .

(٣) ابن الأثير : « كنج رستان » .

(٤) ابن الأثير : « فصار أمره إلى ولاية » .

مَرَّوْ أقرأه كتاب الإمام إبراهيم ، فسأل عن الرجل الذى وجَّهه ، فأخبروه أن سليمان بن كثير رَدَّه ، فأرسل إلى جميع النقباء ، فاجتمعوا في منزل عمران بن إسماعيل ، فقال لهم أبو داود: أتاكم كتاب الإمام فيمن وجَّهه إليكم وأنا غائب فرددتموه ، فما حجبتكم في رَدِّه ؟ فقال سليمان بن كثير : لحدائثة سنه ، وتخوفاً ألاَّ يقدر على القيام بهذا الأمر ؛ فأشفقنا على مَنْ دعونا إليه وعلى أنفسنا وعلى المحبيين لنا ، فقال : هل فيكم أحد ينكر أن الله تبارك وتعالى اختار محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وانتخبه واصطفاه ، وبعثه برسالته إلى جميع خلقه ؟ فهل فيكم أحدٌ ينكر ذلك ؟ قالوا : لا ؛ قال : أفتشكون أن الله تعالى نزل عليه كتابه فأثابه به جبريل الروح الأمين ، أحلَّ فيه حلاله ، وحرم فيه حرامه ، وشرَّع فيه شرائعه ، وسنَّ فيه سننه ، وأنبأه فيه بما كان قبله ، وما هو كائن بعده إلى يوم القيامة ؟ قالوا : لا ، قال : أفتشكون أن الله عزَّ وجلَّ قبضه إليه بعد ما أدَّى ما عليه من رسالة ربه ؟ قالوا : لا ، قال : أفتظنون أن ذلك العلم الذى أنزل عليه رُفِعَ معه أو خُلِفَ ؟ قالوا : بل خُلِفَ ، قال : أفتظنونه خُلِفَ عند غير عِترته وأهل بيته ، الأقرب فالأقرب ؟ قالوا : لا ، قال : فهل أحدٌ منكم إذا رأى من هذا الأمر إقبالاً ، ورأى الناس له محبيين بدا له أن يصرف ذلك إلى نفسه ؟ قالوا : اللهم لا ، وكيف يكون ذلك ! قال : لستُ أقول لكم فعلمتُ ؛ ولكن الشيطان ربما نَزَعَ النزعة فيما يكون وفيما لا يكون . قال : فهل فيكم أحدٌ بدا له أن يصرف هذا الأمر عن أهل البيت إلى غيرهم من عِترَةِ النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : لا ، قال : أفتشكُّون أنهم معدن العلم وأصحاب ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : لا ، قال : فأراكم ^(١) شككتُم في أمرهم ^(٢) ورددتُم عليهم علمهم ؛ ولو لم يعلموا أن هذا الرجل هو الذى ينبغى له أن يقوم بأمرهم ، لما بعثوه إليكم ، وهو لايتهم في موالاتهم ونصرتهم والقيام بحقهم .

١٩٦٢/٢

فبعثوا إلى أبي مسلم فردوه من قومس بقول أبي داود ؛ وولَّوه أمرهم وسمعوا له وأطاعوا . ولم ^(٣) تنزل في نفس أبي مسلم على سليمان بن كثير ، ولم يزل

(١) ابن الأثير : « أراكم » . (٢) : « أمرهم » . (٣) : ابن الأثير : « فلم » .

يعرفها لأبي داود . وسمعت الشيعة من النقباء وغيرهم لأبي مسلم ، وأطاعوه وتنازعوا ، وقبلوا ما جاء به ، وبثّ الدعاة في أقطار خراسان ؛ فدخل الناس أفواجا ، وكثروا ، وفشت الدعاة بخراسان كلها . وكتب إليه إبراهيم الإمام يأمره أن يوافيه بالموسم في هذه السنة - وهي سنة تسع وعشرين ومائة - ، ليأمره بأمره في إظهار دعوته ، وأن يقدم معه بقسحطبة بن شبيب ، ويحمل إليه ما اجتمع عنده من الأموال ؛ وقد كان اجتمع عنده ثلثمائة ألف وستون ألف درهم ، فاشترى بعامتتها عروضا من متاع التجار ؛ من القهوي والمروى والخريز والفِرند ، وصيّر بقيته سبائك ذهب وفضة وصيّرهما في الأقبية المحشوة ، واشترى البغال وخرج في النصف من جمادى الآخرة ، ومعه من النقباء قحطبة بن شبيب والقاسم بن مجاشع وطلحة بن رزيق ؛ ومن الشيعة واحد وأربعون رجلا ، وتحمل من قري خزاعة ، وحمل أثقاله على واحد وعشرين بَعْلا ، وحمل على كل بغل رجلا من الشيعة بسلاحه ، وأخذ المفازة وعدا عن مسلحة نصر بن سيار حتى انتهوا إلى أبيسورد .

١٩٦٣/٢

فكتب أبو مسلم إلى عثمان بن نَهيك وأصحابه يأمرهم بالقُدوم عليه ، وبينه وبينهم خمسة فراسخ ، فقدم عليه منهم خمسون رجلا ، ثم ارتحلوا من أبيسورد ؛ حتى انتهوا إلى قرية يقال لها قافس ؛ من قري نسا ، فبعث الفضل ابن سليمان إلى أندومان - قرية أسيد - فلقى بها رجلا من الشيعة ، فسأله عن أسيد ، فقال له الرجل : وما سؤالك عنه ! فقد كان اليوم شرّ طويل من العامل أخيد ، فأخيدَ معه الأحجم بن عبد الله وغسيلان بن فضالة وغالب ابن سعيد والمهاجر بن عثمان ، فحملوا إلى العامل عاصم بن قيس بن الحروري ، فحبسهم . وارتحل أبو مسلم وأصحابه حتى انتهوا إلى أندومان ، فأثاء أبو مالك والشيعة من أهل نسا ؛ فأخبره أبو مالك أن الكتاب الذي كان مع رسول الإمام عنده ، فأمره أن يأتيه به ، فأثاء بالكتاب وبلواء وراية ؛ فإذا في الكتاب إليه يأمره بالانصراف حيثما يلقاه كتابه ؛ وأن يظهر الدعوة . فعقد اللواء الذي أثاره من الإمام على رمح ، وعقد الراية ، واجتمع إليه شيعة أهل نسا والدعاة والرعويس ، ومعه أهل أبيسورد الذين قدموا معه .

وبلغ ذلك عاصم بن قيس الحروري ، فبعث إلى أبي مسلم يسأله عن حاله ، فأخبره أنه من الحاجّ الذين يريدون بيت الله ، ومعه عدة من

أصحابه من التجار ، وسأله أن يخلّي سبيل من احتبس من أصحابه حتى يخرج من بلاده ، فسألوا أبا مسلم أن يكتب لهم شرطاً على نفسه ؛ أن يصرف من معه من العبيد وما معه من الدوابّ والسلاح ، على أن يخلّوا سبيل أصحابه الذين قدموا من بلاد الإمام وغيرهم . فأجابهم أبو مسلم إلى ذلك ، وخلّى سبيل أصحابه ؛ فأمر أبو مسلم الشيعة من أصحابه أن ينصرفوا ، وقرأ عليهم كتاب الإمام ؛ وأمرهم بإظهار الدعوة ؛ فانصرف منهم طائفة وسار معه أبو مالك أسيد بن عبد الله الخزاعي وزريق بن شاذب ومن قدم عليه من أبيسورد ، وأمر من انصرف بالاستعداد . ثم سار فيمن بقي من أصحابه ومعه (١) قحطية ابن شبيب ؛ حتى نزلوا تخوم جرجان ؛ وبعث إلى خالد بن برمك وأبي عون يأمرهما بالقدوم عليه بما قبلاهما من مال الشيعة ، فقدموا عليه ؛ فأقام أياماً حتى اجتمعت القوافل . وجهّز قحطية بن شبيب ، ودفع إليه المال الذي كان معه ، والأحمال بما فيها ؛ ثم وجهّه إلى إبراهيم بن محمد ، وسار أبو مسلم بمن معه حتى انتهى إلى نسا ، ثم ارتحل منها إلى أبيسورد حتى قدّمها ؛ ثم سار حتى أتى مرو متكرراً ، فنزل قرية تدعى فتين من قرى خوزة لسبع ليال بقين من شهر رمضان ؛ وقد كان واعد أصحابه أن يوافوه بمرو يوم الفطر . وجهّه أبا داود وعمرو بن أعين إلى طخارستان ، والنضر بن صبيح إلى آمل وبخارى ومعه شريك بن عيسى ، وموسى بن كعب إلى أبيسورد ونسا ، وخازم بن خزيمة إلى مرو وروذ ، وقدموا عليه ، فصلّى بهم القاسم بن مجاشع التميمي يوم العيد ؛ في مصلى آل قنبر ؛ في قرية أبي داود خالد بن إبراهيم .

* * *

[ذكر تعاقد أهل خراسان على قتال أبي مسلم]

وفي هذه السنة تحالفت وتعاقدت عامة من كان بخراسان من قبائل العرب على قتال أبي مسلم ؛ وذلك حين كثرت تباع أبي مسلم وقوى أمره . وفيها تحول أبو مسلم من معسكره بإسفيدنج إلى الماخوان .

• ذكر الخبر عن ذلك والسبب فيه :

قال عليّ : أخبرنا الصبّاح مولى جبريل ، عن مسلمة بن يحيى ، قال :

لما ظهر أبو مسلم ، تسارع إليه الناس ، وجعل أهل مَرَوْ يأتونه ؛ لا يعرض لهم نصر ولا يمنعههم ؛ وكان الكرمانيّ وشيبيان لا يكرهان أمر أبي مسلم ؛ لأنه دعا إلى خلع مَرَّوان بن محمد ، وأبو مسلم في قرية يقال لها بالين في خباء ليس له حرس ولا حجاب ، وعظم أمره عند الناس ، وقالوا : ظهر رجل من بني هاشم ، له حلم ووقار وسكينة ؛ فانطلق فتية من أهل مَرَّو ، نساك كانوا يطلبون الفقه ، فأتوا أبا مسلم في معسكره ، فسألوه عن نسبه ، فقال : خَبَرِي (١) خير لكم من نسبي ، وسألوه عن أشياء من الفقه ، فقال : أمرُكم بالمعروف ونهيكم عن المنكر خير لكم من هذا ؛ ونحن في شغل ، ونحن إلى عونكم أحوج منا إلى مسألتكم ، فأعفونا . قالوا : والله ما نعرف لك نسباً ، ولا نظنك تبقى إلا قليلاً حتى تقتل ؛ وما بينك وبين ذلك إلا أن يتفرغ أحد هذين ؛ قال أبو مسلم : بل أنا أقتلهما إن شاء الله .

١٩٦٦/٢

فرجع الفتية فأتوا نصر بن سيار فحدثوه ، فقال : جزاكم الله خيراً ، مثلكم تفقد هذا وعرفه . وأتوا شيبيان فأعلموه ، فأرسل : إنا قد أشجى بعضنا بعضاً ؛ فأرسل إليه نصر : إن شئت فكف عني حتى أقاتله ، وإن شئت فجامعني على حربه حتى أقتله أو أنفيته ؛ ثم نعود إلى أمرنا الذي نحن عليه . فهم شيبيان أن يفعل ، فظهر ذلك في المعسكر ، فأتت عيون أبي مسلم فأخبروه ، فقال سليمان : ما هذا الأمر الذي بلغهم ! تكلّمت عند أحد بشيء ؟ فأخبره خبر الفتية الذين أتوه ؛ فقال : هذا لذلك إذا . فكتبوا إلى عليّ بن الكرمانيّ : إنك موتور ؛ قتل أبوك ونحن نعلم أنك لست على رأي شيبيان ؛ وإنما تقاتل لثأرك ؛ فامنع شيبيان من صلح نصر ؛ فدخل على شيبيان ، فكلّمه فشاه عن رأيه ، فأرسل نصر إلى شيبيان : إنك لمغرور ؛ وإيم الله ليتفاقم هذا الأمر حتى تستصغرني في جنبه (٢) .

(١) ابن الأثير : « خبري » .

(٢) ابن الأثير : « حتى يستصغر في جنبه كل كبير » ، وزاد بعدها : « وقال شعراً يخاطب به ربيعة وإيمن ، ويحثهم على الاتفاق معه على حرب أبي مسلم :

أَبْلِغْ رَبِيعَةَ فِي مَرَّو وَفِي يَمَنٍ أَنْ اغْضِبُوا قَبْلَ أَلَّا يَنْفَعِ الْغَضَبُ
مَا بِالْكُمِ تَنْشَبُونَ الْحَرْبَ بَيْنَكُمْ كَأَنَّ أَهْلَ الْحِجَى عَنْ رَأْيِكُمْ غَيْبُ

فبينما هم في أمرهم إذ بعث أبو مسلم النَّضْر بن نَعِيم الضَّبِّي إلى هَرَاة وعليها عيسى بن عَقِيل الليثي ، فطرده عن هَرَاة ، فقدم عيسى على نَضْر منهزمًا ، وغلب النَّضْر على هَرَاة . قال : فقال يحيى بن نَعِيم بن هبيرة : اختاروا إما أن تهلكوا أتم قبل مُضَرَّ أو مَضَرَّ قبلكم ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : إن هذا الرجل إنما ظهر أمره منذ شهر ، وقد صار في عسكره مثل عسكركم ؛ قالوا : فما الرأي ؟ قال : صالحوا نَضْرًا ، فإنكم إن صالحتموه قاتلوا نصرًا وتركوكم ، لأن الأُمري مُضَر ، وإن لم تصالحوا نصرًا صالحوه وقتلوكم ، ثم عادوا عليهم . قالوا : فما الرأي ؟ قال : قدّموهم قبلكم ولو ساعة ؛ فتقرّ أعينكم بقتلهم . فأرسل شيبان إلى نصر يدعوه إلى المودعة فأجابه ، فأرسل إلى سَلَم بن أَحوز ، فكتب بينهم كتابًا ، فأتى شيبان وعن يمينه ابن الكِرْماني ، وعن يساره يحيى ابن نَعِيم ، فقال سَلَم لابن الكِرْماني : يا أَعْوَر ، ما أخلقك أن تكون الأعور الذي بلغنا أن يكون هلاك مَضَر على يديه ! ثم توادعوا سنة ؛ وكتبوا بينهم كتابًا ؛ فبلغ أبا مسلم ، فأرسل إلى شيبان : إنا نُوادعك أشهرًا ، فتوادعنا ثلاثة أشهر ؛ فقال ابن الكِرْماني : إني ما صالحت نصرًا ؛ وإنما صالحه شيبان ؛ وأنا لذلك كاره ، وأنا موتور ، ولا أدع قتاله . فعادوه القتال ؛ وأبى شيبان أن يعينه ، وقال : لا يحل الغدر . فأرسل ابن الكِرْماني إلى أبي مسلم يستنصره على نَضْر بن سيار ، فأقبل أبو مسلم حتى أتى الماخوأن ، وأرسل إلى ابن الكِرْماني شبل بن طهمان : إني معك على نصر ، فقال ابن الكِرْماني : إني أحب أن يلقاني أبو مسلم ، فأبلغه ذلك شبل ، فأقام أبو مسلم أربعة عشر يومًا ، ثم سار إلى ابن الكِرْماني ، وخلف عسكره بالماخوأن ، فتلقاه عثمان بن الكِرْماني في خيل ، وسار معه حتى دخل العسكر ؛ وأتى لحجرة على فوقف ، فأذن له

= وتتركون عدوًا قد أحاط بكم
لا عرب مثلكم في الناس تعرفهم
من كان يسألني عن أهل دينهم
قوم يقولون قولاً ما سمعت به
ممن تأسب لا دين ولا حسب
ولا صريح موال إن هم نسيبوا
فإن دينهم أن تهلك العرب
عن النبي ولا جاءت به الكتب

فدخل، فسلم على عليّ بالإمرة، وقد اتخذ له عليّ منزلاً^(١) في قصر لخلد بن الحسن الأزدي، فأقام يومين، ثم انصرف إلى عسكره بالماخون، وذلك لخمس خلون من المحرم من سنة ثلاثين ومائة.

وأما أبو الخطاب، فإنه قال: لما كثرت الشيعة في عسكر أبي مسلم، ضاقت به سيفيدنج، فارتاد معسكرًا فسيحًا، فأصاب حاجته بالماخون؛ — وهي قرية العلاء بن حُرِيث وأبي إسحاق خالد بن عثمان، وفيها أبو الجهم ابن عطية وإخوته — وكان مقامه بسيفيدنج اثنين وأربعين يومًا، وارتحل من سيفيدنج إلى الماخون، فنزل منزل أبي إسحاق خالد بن عثمان يوم الأربعاء، لتسع ليال خلون من ذي القعدة من سنة تسع وعشرين ومائة، فاحتفر بها خندقًا، وجعل للخندق بابين، فعسكر فيه والشيعة، ووكل بأحد بابي الخندق مُصعب بن قيس الحنفي وبهديل بن إياس الضبي، ووكل بالباب الآخر أبا شراحيل وأبا عمرو الأعجمي، واستعمل على الشرط أبا نصر مالك ابن الهيثم، وعلى الحرس أبا إسحاق خالد بن عثمان، وعلى ديوان الجند كامل ابن مظفر أبا صالح، وعلى الرسائل أسلم بن صبيح، والقاسم بن مجاشع النقيب التميمي على القضاء، وضم أبا الوضاح وعدة من أهل السقادم إلى مالك بن الهيثم، وجعل أهل نَوْشَان — وهم ثلاثة وثمانون رجلًا — إلى أبي إسحاق في الحرس.

وكان القاسم بن مجاشع يصلي بأبي مسلم الصلوات في الخندق، ويقص القصص بعد العصر، فيذكر فضّل بن هاشم ومعاب بن أمية، فنزل أبو مسلم خندق الماخون، وهو كرجل من الشيعة في هيئته؛ حتى أتاه عبد الله بن بسْطام؛ فأتاه بالأروقة والفساطيط والمطابخ والمعالف للدواب وحياض الأدم للماء؛ فأول عامل استعمله أبو مسلم على شيء من العمل داود بن كراز؛ فردّ أبو مسلم العبيد عن أن يضاموا في خندقه، واحتفر لهم خندقًا في قرية شَوَّال، وولى الخندق داود بن كراز. فلما اجتمعت للعبيد جماعة، وجههم إلى موسى بن كعب بأبيـمُورْد، وأمر أبو مسلم كامل بن مظفر أن يعرض أهل الخندق بأسمائهم وأسماء آبائهم فينسبهم إلى القوى، ويجعل ذلك في دفتر،

(١) كذا في ١، وفي ط: «قصر».

ففعّل ذلك كامل أبو صالح ، فبلغت عدّتهم سبعة آلاف رجل ، فأعطاهم ثلاثة دراهم لكلّ رجل ، ثم أعطاهم أربعة أربعة على يدى أبى صالح كامل .

ثم إنّ أهل القبائل من مُضر وربيعة وقحطان توادعوا على وضع الحرب ، وعلى أن تجتمع كلمتهم على محاربة أبى مسلم ، فإذا نفوه عن مَرَوْ نظروا فى أمر أنفسهم وعلى ما يجتمعون عليه . فكتبوا على أنفسهم بذلك كتاباً وثيقاً . وبلغ أبامسلم الخبر ، فأفظعه ذلك وأعظمه ، فنظر أبومسلم فى أمره ، فإذا ماخوان سافلة الماء ؛ فتخوّف أن يقطع عنه نصر بن سيار الماء ، فتحوّل إلى آلين — قرية أبى منصور طلحة بن رزيق النقيب — وذلك بعد مقامه أربعة أشهر بخندق الماخوآن ، فنزل آلين فى ذى الحجة من سنة تسع وعشرين ومائة ، يوم الخميس لستّ خلون من ذى الحجة . فخندق بآلين خندقاً أمام القرية ؛ فيما بينها وبين بلاش جبرّد ، فصارت القرية من خلف الخندق ، وجعل وجه دار المحتفر بن عثمان ابن بشر المزنيّ فى الخندق ، وشرب أهل آلين من نهر يدعى الخرقان ، لا يمكن نصر ابن سيار قطع الشرب عن آلين . وحضر العيدُ يوم النحر ، وأمر القاسم بن مجاشع التميميّ فضلى بأبى مسلم والشيعة فى مصلى آلين ، وعسكر نصر بن سيار على نهر عياض ، ووضع عاصم بن عمرو ببلاش جبرّد ، ووضع أبى الديال بطوسان ، ووضع بشر بن أنيف اليربوعيّ بجلفر ، ووضع حاتم بن الحارث ابن سريج بخرق ؛ وهو يلتمس موقعة أبى مسلم . فأما أبو الديال فأنزله جنده على أهلها مع أبى مسلم فى الخندق ، فأدوا أهل طوسان وعسفوهم وذبحوا الدجاج والبقر والحمام ، وكلّفوهم الطعام والعلف ، فشكت الشيعة ذلك إلى أبى مسلم ، فوجّه معهم خيلاً ، فلقوا أبى الديال فهزموه ، وأسروا من أصحابه ميموناً الأعسر الخوارزمية فى نحو من ثلاثين رجلاً ، فكساهم أبو مسلم ، ودأوى جراحاتهم ونخّأى لهم الطريق .

* * *

[ذكر خبر مقتل الكرمانى]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة قُتِلَ جُديع بن على الكرمانى وصُلِبَ .

• ذكر الخبر عن مقتله :

قد مضى قبلُ ذكرنا مقتلَ الحارث بن سُرَيْج ، وأنَّ الكرمانى هو الذى قتله . ولما قتل الكرمانى الحارث ، خلاصت له مَرَوْ بقتله إياه ، وتنحى نصر ابن سيار عنها إلى أبرشهر ، وقوى أمرُ الكرمانى ، فوجه نصر إليه - فيما قيل - سلم بن أحوز ، فسار فى رابطة نصر وفرسانه ؛ حتى لقي أصحاب الكرمانى ، فوجد يحيى بن نعيم أبا الميلاء واقفاً فى ألف رجل من ربيعة ، ومحمد بن المثنى فى سبعمائة من فرسان الأزد ، وابن الحسن بن الشيخ الأزدى فى ألف من فتيانهم ، والحزيمى السعدى^(١) فى ألف رجل من أبناء اليمن ، فلما توافقوا قال سلم بن أحوز لمحمد بن المثنى : يا محمد بن المثنى ، مرُّ هذا الملاح بالخروج إلينا ، فقال محمد لسلم : يا ابن الفاعلة ؛ لأبى علىّ تقول هذا ! ودلف القوم بعضهم إلى بعض ، فاجتلدوا بالسيوف ، فانهمز سلم بن أحوز ، وقتل من أصحابه زيادة على مائة ، وقتل من أصحاب محمد زيادة على عشرين ، وقدم أصحاب نصر عليه فلولا ، فقال له عتيقيل بن معقل : يا نصر شأمت العرب ؛ فأما إذ صنعت ما صنعت فجئت وشمر عن ساق ، فوجه عصمة بن عبد الله الأسدى فوقف موقف سلم بن أحوز ، فنادى : يا محمد ، لتعلمن أن السمك لا يغلب اللُحْم^(٢) ؛ فقال له محمد : يا ابن الفاعلة ، قف لنا إذا . وأمر محمد السعدى^(٣) فخرج إليه فى أهل اليمن ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهمز عصمة حتى أتى نصر بن سيار ، وقد قتل من أصحابه أربعمائة .

١٩٧١/٢

١٩٧٢/٢

ثم أرسل نصر بن سيار مالك بن عمرو التميمى فأقبل فى أصحابه ، ثم نادى : يا ابن المثنى ، ابرزلى إن كنت رجلاً ! فبرز له ، فضربه التميمى على حبل العاتق فلم يصنع شيئاً ؛ وضربه محمد بن المثنى بعمود فشدخ رأسه ؛ فالتحم القتال ، فاقتتلوا قتالا شديداً كأعظم ما يكون من القتال ، فانهمز أصحاب نصر ، وقد قتل منهم سبعمائة رجل ، وقتل من أصحاب الكرمانى ثلثمائة رجل ؛ ولم يزل الشر بينهم حتى خرجوا جميعاً إلى الخندقين ، فاقتتلوا قتالا شديداً ،

(١) ابن الأثير : « والجزيمى السعدى » .

(٢) فى ابن الأثير : « اللحم : دابة من دواب الماء ، تشبه السبع ، تأكل السمك » .

(٣) ابن الأثير : « السعدى » .

فلما استيقن أبو مسلم أن كلا الفريقين قد أثخن صاحبه ؛ وأنه لا مدد لهم ، جعل يكتب الكتب إلى شَيْبَان ، ثم يقول للرسول : اجعل طريقك على المضربة ، فإنهم سيعرضون لك ، ويأخذون كتبك ، فكانوا يأخذونها فيقرءون فيها : إني رأيت أهل اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم ، فلا تثقن بهم ولا تطمئن إليهم ؛ فإني أرجو أن يريك الله ما تحب ، ولئن بقيت لأدع لهم شعرا ولا ظفراً . ويرسل رسولا آخر في طريق آخر بكتاب فيه ذكر المضربة وإطراء اليمن بمثل ذلك ؛ حتى صار هوى الفريقين جميعاً معه ؛ وجعل يكتب إلى نصر بن سيار وإلى الكرماني : إن الإمام قد أوصاني بكم ، ولست أعدو رأيه فيكم . وكتب إلى الكُور بإظهار الأمر ؛ فكان أول من سَوَدَ — فيما ذكر — أسيد^(١) ابن عبد الله بنسا ، ونادى : يا محمد ، يا منصور . وسود معه مقاتل بن حكيم وابن غزوان ، وسود أهل أبيسورد وأهل مَرَو الرّوذ ، وقرى مَرَو .

وأقبل أبو مسلم حتى نزل بين خندق نصر بن سيار وخندق جُديع الكرماني ، وهابه الفريقان ، وكثر أصحابه ، فكتب نصر بن سيار إلى مَرَو ابن محمد يعلمه حال أبي مسلم وخروجه وكثرة من معه ومن تبعه ، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد ، وكتب بأبيات شعر :

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِیْضِ جَمْسِرٍ فَأَحْجَ بِأَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ^(٢)
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكَّى وَإِنَّ الْحَرْبَ مَبْدُوهَا الْكَلَامُ^(٣)
فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ : لَيْتَ شِعْرِي أَأَيْقَاطُ أُمِّيَّةٌ أَمْ نِيَامٌ !

فكتب إليه : الشاهد^(٤) يرى ما لا يرى الغائب ، فاحسم الثؤلؤل قبيلك ، فقال نصر : أما صاحبكم فقد أعلمكم ألا نصر عنده . فكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يستمدّه ، وكتب إليه بأبيات شعر :

أَبْلَغُ يَزِيدَ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ وَقَدْ تَبَيَّنْتُ أَلَّا خَيْرَ فِي الْكَذِبِ^(٥)

(١) ابن الأثير : « أسد بن عبد الله الخزاعي » .

(٢) ابن الأثير : « وأخشي أن يكون لها ضرام » .

(٣) ابن الأثير : « مبدؤها كلام » .

(٤) ١ : « إن الشاهد » .

(٥) ابن الأثير : « تبينت » .

أَنَّ خُرَاسَانَ أَرْضٌ قَدْ رَأَيْتُ بِهَا بَيْنَضًا لَوْ أْفَرَخَ قَدْ حَدَّثْتَ بِالْعَجَبِ
فِرَاحُ عَامِينَ إِلَّا أَنَّهَا كَبِرتُ لَمَّا يَطِرْنَ وَقَدْ سُرِبِلْنَ بِالزَّغَبِ ١٩٧٤/٢
فَإِنْ يَطِرْنَ وَلَمْ يُحْتَلْ لَهُنَّ بِهَا يُلْهَبْنَ نِيرَانَ حَرْبٍ أَيْمًا لَهَبٌ^(١)

فقال يزيد : لا غلبة إلا بكثرة ؛ وليس عندى رجل . وكتب نصر إلى
مَرْوَانَ يخبره خبر أَبِي مُسْلِمٍ وظهوره وقوته ؛ وأنه يدعو إلى إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ ،
فَأَلْنَى الْكِتَابَ مَرْوَانَ وَقَدْ أَتَاهُ رَسُولُ الْأَبِيِّ مُسْلِمٍ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ؛ كَانَ قَدْ عَادَ مِنْ
عِنْدِ إِبْرَاهِيمَ ، وَمَعَهُ كِتَابُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ جَوَابَ كِتَابِهِ ، يُلْعِنُ فِيهِ أَبَا مُسْلِمٍ
وَيَسِبُّهُ ؛ حَيْثُ لَمْ يَنْتَهِزِ الْفُرْصَةَ مِنْ نَصْرِ الْكِرْمَانِيِّ إِذْ أَمَكْنَاهُ ، وَيَأْمُرُهُ إِلَّا يَدْعُ
بِخُرَاسَانَ عَرَبِيًّا إِلَّا قَتْلَهُ . فَدَفَعَ الرَّسُولُ الْكِتَابَ إِلَى مَرْوَانَ ، فَكَتَبَ مَرْوَانَ
إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ عَلَى دِمَشْقَ ، يَأْمُرُهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى عَامِلِ
الْبَلْسَقَاءِ ، فَيَسِيرَ إِلَى كِرَارِ الْحُمَيْمَةِ ، فليَأْخُذَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَيَشْدَهُ وَثَاقًا ،
وَلِيَبْعَثَ بِهِ إِلَيْهِ فِي خَيْلٍ ؛ فَوَجَّهَ الْوَلِيدُ إِلَى عَامِلِ الْبَلْسَقَاءِ فَأَتَى إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ
الْقَرْيَةِ ، فَأَخَذَهُ وَكَتَفَهُ وَحَمَلَهُ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَحَمَلَهُ إِلَى مَرْوَانَ فَحَبَسَهُ مَرْوَانَ فِي السَّجْنِ .

* * *

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ نَصْرِ وَالْكِرْمَانِيِّ . وَبَعَثَ أَبُو مُسْلِمٍ حِينَ عَظُمَ
الْأَمْرُ بَيْنَ الْكِرْمَانِيِّ وَنَصْرِ إِلَى الْكِرْمَانِيِّ : إِنِّي مَعَكُمْ ، فَقَبِيلَ ذَلِكَ الْكِرْمَانِيُّ وَانْضَمَّ
إِلَيْهِ أَبُو مُسْلِمٍ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى نَصْرِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْكِرْمَانِيِّ : وَيْلَكَ لَا تَغْتَرَّ !
فَوَاللَّهِ إِنِّي لَخَائِفٌ عَلَيْكَ وَعَلَى أَصْحَابِكَ مِنْهُ ؛ وَلَكِنْ هَلُمَّ إِلَى الْمَوَادِعَةِ ، فَتَدْخُلْ
مَرْوَةَ ، فَنَكْتُبُ بَيْنَنَا كِتَابًا بِصُلْحٍ — وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي مُسْلِمٍ —
فَتَدْخُلُ الْكِرْمَانِيُّ مَنْزِلَهُ ، وَأَقَامَ أَبُو مُسْلِمٍ فِي الْمَعْسُكِرِ ، وَخَرَجَ الْكِرْمَانِيُّ حَتَّى وَقَفَ
فِي الرَّحْبَةِ فِي مَائَةِ فَارَسٍ ، وَعَلَيْهِ قُرْطُقُ خَشْكَشُونَةَ . ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى
نَصْرِ : أَخْرِجْ لِنَكْتُبَ بَيْنَنَا ذَلِكَ الْكِتَابَ ، فَأَبْصَرَ نَصْرُ مِنْهُ غِرَّةً ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ

(١) ابن الأثير :

إِلَّا تَدَارَكَ بِخَيْلِ اللَّهِ مُعْلِمَةً أَلْهَبْنَ نِيرَانَ حَرْبٍ أَيْمًا لَهَبٍ

ابن الحارث بن سريج في نحو من ثلثمائة فارس ، فالتقوا في الرَّحْبَةِ ، فاقتتلوا بها طويلاً .

ثم إنَّ الكرمانيَّ طُعِنَ في خاصرته فخرَّ عن دابَّته ، وحماه أصحابه حتى جاءهم ما لا قِبَلَ لهم به ، فقتل نصر الكرمانيَّ وصلَّبه ، ومعه سمكة ، فأقبل ابنه عليٌّ — وقد كان صار إلى أبي مسلم ، وقد جمع جمعاً كثيراً — فسار بهم إلى نصر بن سيار فقاتله حتى أخرجه من دار الإمارة ، فقال إلى بعض دور مَرَوْ ، وأقبل أبو مسلم حتى دخل مَرَوْ ، فأتاه عليٌّ بن جُديع الكرمانيَّ فسَلَّم عليه بالإمرة ، وأعلمه أنه معه على مساعدته ، وقال : مَرْنِي بِأَمْرِكَ ، فقال : أقم على ما أنت عليه حتى آمرك بأمرى .

* * *

[غلبة عبد الله بن معاوية على فارس]

وفي هذه السنة غلب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على فارس .

* ذكر الخبر عن ذلك وعن السبب الذي وصل به إلى الغلبة عليها :
ذكر عليٌّ بن محمد أنَّ عاصم بن حفص التميميَّ وغيره حدَّثوه أنَّ عبد الله ابن معاوية لما هُزم بالكوفة ، شخَّص إلى المدائن ، فبايعه أهلُ المدائن ، فأتاه قومٌ من أهل الكوفة ، فخرج إلى الجبال فغلب عليها ، وعلى حُلُوان وقُوميس وأصبهان والريَّ ، وخرج إليه عبيد أهل الكوفة ، فلمَّا غلب على ذلك أقام بأصبهان ؛ وقد كان محارب بن موسى مولى بني يَشْكُر عظيم القدر بفارس ، فجاء يمشي في نعلين إلى دار الإمارة بإصطخر ، فطرد العامل ؛ عامل ابن عمر عنها ، وقال لرجل يقال له عمارة : بايع الناس ، فقال له أهل إصطخر : علامَ نبايع ^(١) ؟ قال : على ما أحببتهم وكرهتهم . فبايعوه لابن معاوية ، وخرج محارب إلى كرمان فأغار عليهم ، وأصاب في غارته إبلًا لثعلبة بن حسان المازنيَّ فاستاقها ورجع . فخرج ثعلبة يطلب إبله في قرية له تدعى أشهر — قال : ومع ثعلبة مولى له — فقال له مولاه : هل لك أن نفتك بمحارب ؛ فإن شئت ضربته وكفيتني الناس ؛ وإن شئت ضربته وكفيتك الناس ؟ قال : ويحك ! أردت أن تفتك ^(٢)

١٩٧٧/٢

(٢) ١ : « تقتل » .

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « تباع » .

[وتذهب الإبل ولم نلق] ^(١) الرجل ! ثم دخل على محارب فرحب به ، ثم قال : حاجتك ! قال : إيلي ، [قال : نعم ، لقد أخذت] ^(٢) ، وما أعرفها ، وقد عرفتها ، فدونك إيلك فأخذها ، وقال لمولاه ^(٣) : [هذا خير ، وما أردت ؟] ^(١) قال : ذلك لو أخذناها كان أشقى . وانضم إلى محارب القواد والأمراء من أهل الشام : فسار إلى مسلم بن المسيب وهو بشيراز ، عامل لابن عمر ؛ فقتله في سنة ثمان وعشرين ومائة ، ثم خرج محارب إلى أصبهان ، فحوّل عبد الله بن معاوية إلى إصطخر ؛ واستعمل أخاه عبد الله أخاه الحسن على الجبال ، فأقبل فنزل في دير على ميل من إصطخر ، واستعمل أخاه يزيد على فارس فأقام ، فأتاه الناس ؛ بنوهاشم وغيرهم ؛ وجبى المال ، وبعث العمال ؛ وكان معه منصور بن جمهور وسليمان بن هشام بن عبد الملك وشيبان بن الحلس بن عبد العزيز الشيباني الخارجي ، وأتاه أبو جعفر عبد الله ، وعبد الله وعيسى ابنا علي . وقدم يزيد بن عمر بن هبيرة على العراق ، فأرسل نبأته بن حنظلة الكلابي إلى عبد الله بن معاوية ؛ وبلغ سليمان بن حبيب أن ابن هبيرة ولي نبأته الأهواز ، فسرح داود بن حاتم ، فأقام بكرسج دينار ليمنع نبأته من الأهواز ، فقدم نبأته ، فقاتله ، فقتل داود ، وهرب سليمان إلى سابور ؛ وفيها الأكراد قد غلبوا عليها ، وأخرجوا المسيح بن الحماري ، فقاتلهم سليمان ، فطرد الأكراد عن سابور ، وكتب إلى عبد الله بن معاوية بالبيعة ، فقال : عبد الرحمن ابن يزيد بن المهلب : لا ينبغي لك ، وإنما أراد أن يدفعك عنه ؛ ويأكل سابور ؛ فكتب إليه فليقدم عليك إن كان صادقاً . فكتب إليه فقدم ، وقال لأصحابه : ادخلوا معي ؛ فإن منكم أحد فقاتلوه ، فدخلوا فقال لابن معاوية : أنا أطوع الناس لك ، قال : ارجع إلى عملك ، فرجع .

١٩٧٨/٢

ثم إن محارب بن موسى نافر ابن معاوية ، وجمع جمعاً ، فأتى سابور — وكان ابنه مغلدة بن محارب محبوساً بسابور ، أخذه يزيد بن معاوية فحبسه — فقال لمحارب : ابنك في يديه وتحاربه ! أما تخاف أن يقتل ابنك ! قال : أبعد الله ! فقاتله يزيد ، فانهزم محارب ، فأتى كيرمان ، فأقام بها حتى قدم محمد بن الأشعث ، فصار معه ، ثم نافر ابن الأشعث فقتله وأربعة وعشرين

(٢) كذا في ١ ، وفي ط : « لولا » .

(١) من ١ .

ابنًا له . ولم يزل عبد الله بن معاوية بإصطخر حتى أتاه ابن ضُبارة مع داود ابن يزيد بن عمر بن هبيرة ، فأمر ابن معاوية فكسروا قنطرة الكوفة ، فوجه ابن هبيرة معن بن زائدة من وجه آخر ، فقال سليمان لأبان بن معاوية بن هشام : قد أتاك القوم ، قال : لم أومر بقتالهم ؛ قال : ولا تؤمر والله بهم أبداً ، وأتاهم فقاتلهم عند مَرَو الشاذان ، ومعن يرتجز :

لَيْسَ أَمِيرُ الْقَوْمِ بِالْخَبِّ الْخَدَعُ فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ فِي الْمَوْتِ وَقَعَ ١٩٧٩/٢
قال ابن المقفع أو غيره :
فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ فِيهِ قَدْ وَقَعَ .

قال : عمداً ، قلت : قد عملت ، فانهزم ابن معاوية ، وكفّ معن عنهم ، فقتل في المعركة رجل من آل أبي لهب ، وكان يقال : يقتل رجل من بني هاشم بمَرَو الشاذان . وأسروا أسراء كثيرة ، فقتل ابن ضبارة عدّة كثيرة ؛ فيقال : كان فيمن قُتِل يومئذ حكيم الفرد أبو المجد ، ويقال : قُتِل بالأهواز ، قتله نباة . ولما انهزم ابن معاوية هرب شيبان إلى جزيرة ابن كاوا ومنصور بن جمهور إلى السند ، وعبد الرحمن بن يزيد إلى عُمان ، وعمر بن سهل بن عبد العزيز إلى مصر ؛ وبعث ببقية الأسراء إلى ابن هبيرة .

قال حميد الطويل : أطلق أولئك الأسراء فلم يقتل منهم غير حصين بن وعلة السدوسي ، ولما أمر بقتله قال : أَقْتُلُ من بين الأسراء ! قال : نعم ، أنت مشرك ، أنت الذي تقول :

* وَكَوْ أَمْرُ الشَّمْسِ لَمْ تُشْرِقِ *

ومضى ابن معاوية من وجهه إلى سجستان . ثم أتى خراسان ومنصور بن جمهور إلى السند ، فسار في طلبه معن بن زائدة وعطية الثعلبي وغيره من بني ثعلبة ، فلم يدركوه ، فرجعوا . وكان حصين بن وعلة السدوسي مع يزيد بن معاوية ، فتركه [ولحق بعبد الله بن معاوية] فأسره مورع السلمى ، رآه دخل غيضة فأخذه فأتى به [معن بن زائدة] فبعث به معن إلى ابن ضبارة ، فبعث به ابن ضبارة إلى واسط ؛ وسار ابن ضبارة إلى عبد الله بن معاوية بإصطخر ، فنزل بإزائه على نهر إصطخر ، فعب ابن الصّحّصَح في ألف ، فلقه من أصحاب

عبد الله بن معاوية أبان بن معاوية بن هشام فيمن كان معه من أهل الشام، ممن كان مع سليمان بن هشام فاقتتلوا، قال ابن نباتة إلى القنطرة، فلقيهم من كان مع ابن معاوية من الخوارج، فانهزم أبان والخوارج، فأسر منهم ألفاً، فأتوا بهم ابن ضبارة، فخلى عنهم، وأخذ يومئذ عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس في الأسراء، فنسبه ابن ضبارة، فقال: ما جاء بك إلى ابن معاوية، وقد عرفت خلافة أمير المؤمنين! قال: كان علي دين فأديته. فقام إليه حرب بن قطن الكنانى^(١)، فقال: ابن اختنا، فوهبه له، وقال: ما كنت لأقدم على رجل من قريش. وقال له ابن ضبارة: إن الذي قد كنت معه قد عيب بأشياء، فعندك منها علم؟ قال: نعم، وعابه ورعى أصحابه باللواط، فأتوا ابن ضبارة بغلمان عليهم أقبية قوهية مصبغة ألواناً، فأقامهم للناس وهم أكثر من مائة غلام، لينظروا إليهم. وحمل ابن ضبارة عبد الله بن علي على البريد إلى ابن هبيرة ليخبره أخباره، فحمله ابن هبيرة إلى مروان في أجناد أهل الشام، وكان يعيبه، وابن ضبارة يومئذ في مفازة كيرمان في طلب عبد الله ابن معاوية، وقد أتى ابن هبيرة مقتل نباتة، فوجّه ابن هبيرة كرب بن مصقلة والحكم بن أبي الأبيض العبسي وابن محمد السكرني؛ كلهم خطيب، فتكلموا في تقرّظ ابن ضبارة، فكتب إليه أن سير بالناس إلى فارس، ثم جاءه كتاب ابن هبيرة: سر إلى أصبهان.

١٩٨١/٢

* * *

[مجيء أبي حمزة الخارجي الموسم]

وفي هذه السنة وافى الموسم أبو حمزة الخارجي، من قبيل عبد الله ابن يحيى طالب الحق، محكماً^(٢) مظهراً للخلاف على مروان بن محمد.

* ذكر الخبر عن ذلك من أمره :

حدثني العباس بن عيسى العُقيلي، قال: حدثنا هارون بن موسى الفروي قال: حدثنا موسى بن كثير مولى الساعديين، قال: لما كان تمام سنة تسع وعشرين ومائة، لم يدر الناس بعرفة إلا وقد طلعت أعلام عمائم سود

(١) ١، وابن الأثير: «الهلال». (٢) ١: «فحكم».

حرقانية في رموس الرماح وهم في سبعمائة ، ففرغ الناس حين رؤوهم ، وقالوا :
 ما لكم ! وما حالكم ؟ فأخبروهم بخلافهم مَرَوَان وآل مَرَوَان والتبرُّؤ منه .
 فراسلهم عبد الواحد بن سليمان - وهو يومئذ على المدينة ومكة - فراسلهم في
 الهدنة ، فقالوا : نحن بحجتنا أضنّ ، ونحن عليه أشح . وصالحهم على أنهم
 جميعاً آمنون ؛ بعضهم من بعض ، حتى ينفّر الناس النّفَر الأخير ، وأصبحوا (١)
 من الغد . فوقفوا على حدة بعرفة ، ودفع بالناس عبد الواحد بن سليمان بن
 عبد الملك بن مروان ، فلما كانوا بمنى ندّموا عبد الواحد ، وقالوا : قد أخطأت
 فيهم ، ولو حملت الحاجّ عليهم ما كانوا إلاّ أكلة رأس . فنزل أبو حمزة
 بقريين الثعالب ، ونزل عبد الواحد منزل السلطان ، فبعث عبد الواحد إلى
 أبي حمزة عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن
 عثمان ، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وعبيد الله بن عمر بن
 حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، في رجال
 أمثالهم ، فدخلوا على أبي حمزة وعليه إزار قُطُن غليظ ، فتقدّمهم إليه
 عبد الله بن الحسن ومحمد بن عبد الله فنسبهما فانتسبا له ، فعبّس في وجوههما ،
 وأظهر الكراهة لهما ، ثم سأل عبد الرحمن بن القاسم وعبيد الله بن عمر
 فانتسبا له ، فهشّ إليهما ، وتبسّم في وجوههما ، وقال : والله ما خرجنا إلا
 لنسير بسيرة أبويكما ، فقال له عبد الله بن حسن : والله ما جئنا لتفضّل بين
 آبائنا ، ولكننا بعثنا إليك الأمير برسالة - وهذا ربيعة يخبركها - فلما ذكر
 ربيعة نقض العهد ؛ قال بلج وأبرهه - وكانا قائدين له : الساعة الساعة !
 فأقبل عليهم أبو حمزة ، فقال : معاذ الله أن نقض العهد أو نجس ،
 والله لا أفعل ولو قطع رقبتي هذه ؛ ولكن تنقضي الهدنة بيننا وبينكم . فلما
 أبي عليهم خرجوا ، فأبلغوا عبد الواحد ، فلما كان النّفَر نفر عبد الواحد في
 النّفَر الأول ، وخلي مكة لأبي حمزة ، فدخلها بغير قتال . قال العباس : قال
 هارون : فأنشدني يعقوب بن طلحة الليثي أبياتاً هُجِيَ بها عبد الواحد -
 قال : وهي لبعض الشعراء لم أحفظ اسمها :

زَارَ الْحَجِيجَ عَصَابَةً قَدْ خَالَفُوا دِينَ الْإِلَهِ فَفَرَّ عَبْدُ الْوَاحِدِ
تَرَكَ الْحَلَائِلَ وَالْإِمَارَةَ هَارِباً وَمَضَى يُخَبِّطُ كَالْبَعِيرِ الشَّارِدِ
لَوْ كَانَ وَالِدُهُ تَنَصَّلَ عِرْقُهُ لَصَفَّتْ مَضَارِبُهُ بِعِرْقِ الْوَالِدِ

ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة ، فدعا بالديوان ، فضرب على الناس البعث ، وزادهم في العطاء عشرة عشرة . قال العباس : قال هارون : أخبرني بذلك أبو ضمرة أنس بن عياض ، قال : كنت فيمن اكتتب ، ثم حوت اسمي .

قال العباس : قال هارون : وحدثنى غير واحد من أصحابنا أن عبد الواحد استعمل عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس فخرجوا ؛ فلما كانوا بالحرّة لقيتهم جزر منحورة ففوضوا .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال محمد بن عمر وغيره .

١٩٨٤/٢

وكان العامل على مكة والمدينة عبد الواحد بن سليمان ، وعلى العراق يزيد ابن عمر بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المخاربى — فيما ذكر — وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور ، وعلى خراسان نصر بن سيار ، والفتنة بها .

ثم دخلت سنة ثلاثين ومائة
ذكر خبر الأحداث التي كانت فيها

* * *

[ذكر دخول أبي مسلم مَرَّو والبيعة بها]

فمما كان فيها من ذلك دخول أبي مسلم حائط مَرَّو ونزوله دار الإمارة بها ، ومطابقة علي بن جُديع الكرمانى لِيَأْتاه على حرب نصر بن سيار .

* ذكر الخبر عن ذلك وسببه :

ذكر أبو الخطاب أن دخول أبي مسلم حائط مَرَّو ونزوله دار الإمارة التي ينزلها عمال خراسان كان في سنة ثلاثين ومائة لتسع خلون من جمادى الآخرة يوم الخميس ، وأن السبب في مسير علي بن جُديع مع أبي مسلم كان أن سليمان ابن كثير كان بإزاء علي بن الكرمانى حين تعاهد هو ونصر على حَرَب أبي مسلم ؛ فقال سليمان بن كثير لعلي بن الكرمانى : يقول لك أبو مسلم : أما تأنف من مصالحة نصر بن سيار ، وقد قتل بالأمس أباك وصلبه ! ما كنت أحسبك تجامع نصر بن سيار في مسجد تصليان فيه ! فأدرك علي بن الكرمانى الحفيظة ، فرجع عن رأيه وانتقض صلح العرب . قال : ولما انتقض صلحهم بعث نصر ابن سيار إلى أبي مسلم يلتمس منه أن يدخل مع مُضَر ، وبعث ربيعة وقحطان إلى أبي مسلم بمثل ذلك ، فتراسلوا بذلك أياماً ، فأمرهم أبو مسلم أن يقدم عليه وفد الفريقين حتى يختار أحدهما ، ففعلوا . وأمر أبو مسلم الشيعة أن يختاروا ربيعة وقحطان ؛ فإن السلطان في مُضَر ، وهم عمال مروان الجعدى ، وهم قتلة يحيى بن زيد . فقدم الوفدان ؛ فكان في وفد مُضَر عقيل بن معقل بن حسان الليثى وعبيد الله بن عبدربه الليثى والخطاب بن محرز (١) السُلَاسَى ، في رجال منهم . وكان في وفد قحطان عثمان بن الكرمانى ومحمد بن المثني وسورة بن محمد ابن عزيز الكندى ، في رجال منهم ؛ فأمر أبو مسلم عثمان بن الكرمانى وأصحابه

فدخلوا بستان المحتفز ، وقد بسط لهم فيه ؛ فقعدها وجلس أبو مسلم في بيت في دار المحتفز ، وأذن لـعَقِيل بن معقل وأصحابه من وفد مُضَرَّ ، فدخلوا إليه ، ومع أبي مسلم في البيت سبعون رجلاً من الشيعة ، قرأ على الشيعة كتاباً كتبه أبو مسلم ليختاروا أحد الفريقين ؛ فلما فرغ من قراءة الكتاب ، قام سليمان ابن كثير ، فتكلم - وكان خطيباً مفوهاً - فاخترنا على بن الكرماني وأصحابه ، وقام أبو منصور طلحة بن رزيق النقيب فيهم - وكان فصيحاً متكلماً - فقال كمقالة سليمان بن كثير ، ثم قام يزيد بن شقيق السلمى ، فقال : مضر قتلة آل النبي صلى الله عليه وسلم وأعوان بني أمية وشيعة مَرْوَانَ الجعدي ، ودماؤنا في أعناقهم ، وأموالنا في أيديهم ، والتباعات قبيلهم ، ونصر بن سيار عامل مروان على خراسان يُنفذ أموره ، ويدعو له على منبره ، ويسميه أمير المؤمنين ؛ ونحن من ذلك إلى الله بُرَاءً وأن يكون مَرْوَانَ أمير المؤمنين ، وأن يكون نصرٌ على هدى وصواب ، وقد اخترنا على بن الكرماني وأصحابه من قسطنطين وربيعة . فقال السبعون الذين جمعوا في البيت بقول يزيد بن شقيق .

١٩٨٦/٢

فنهض وفد مضر عليهم الذلة والكآبة ؛ ووجه معهم أبو مسلم القاسم بن مجاشع في خيل حتى بلغوا مأمنهم ، ورجع وفد على بن الكرماني مسرورين منصورين . وكان مقام أبي مسلم بألین تسعة وعشرين يوماً ، فرحل عن آلین راجعاً إلى خندقه بالماخون ، وأمر أبو مسلم الشيعة أن يبتنوا^(١) المساكن ، ويستعدوا للشتاء فقد أعفاهم^(٢) الله من اجتماع كلمة العرب ، وصيرهم بنا إلى افتراق الكلمة ؛ وكان ذلك قد رآ من الله مقدوراً .

وكان دخول أبي مسلم الماخون منصرفاً عن آلین سنة ثلاثين ومائة ، للنصف من صفر يوم الخميس ، فأقام أبو مسلم في خندقه بالماخون ثلاثة أشهر ؛ تسعين يوماً ، ثم دخل حائط مَرْوَانَ يوم الخميس لتسع خلون من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة .

قال : وكان حائط مَرْوَانَ إذ ذاك في يد نصر بن سيار لآنته عامل خراسان ،

(٢) ابن الأثير : « أغناهم الله » .

(١) ابن الأثير : « أن يبنوا » .

فأرسل على بن الكرماني إلى أبي مسلم أن أدخل الحائط من قبلك ، وأدخل ١٩٨٧/٢ أنا وعشيرتي من قبلي ، فنغلب على الحائط . فأرسل إليه أبو مسلم أن لست آمن أن يجتمع يدك ويد نصر على محاربي ؛ ولكن ادخل أنت فأنشب الحرب بينك وبينه وبين أصحابه ؛ فدخل على بن الكرماني فأنشب الحرب ، وبعث أبو مسلم أبا علي شبل بن طهمان النقيب في جند ، فدخلوا الحائط ، فنزل في قصر بخارا خذاه ؛ فبعثوا إلى أبي مسلم أن ادخل ، فدخل أبو مسلم من خندق الماخوان ، وعلى مقدّمته أسيد بن عبد الله الخزاعي ، وعلى ميمنته مالك بن الهيثم الخزاعي ، وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع التميمي ؛ حتى دخل الحائط ؛ والفريقان يقتتلان . فأمرهما بالكف وهو يتلو من كتاب الله :

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ (١) . ومضى أبو مسلم حتى نزل قصر الإمارة بمرو الذي كان ينزله عمال خراسان ؛ وكان ذلك لتسع خلون من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة ، يوم الخميس .

وهرب نصر بن سيار عن مرو الغد من يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الأولى من سنة ثلاثين ومائة ، وصفت مرو لأبي مسلم . فلما دخل أبو مسلم حائط مرو أمر أبا منصور طلحة بن رزيق بأخذ البيعة على الجند من الهاشمية خاصة — وكان أبو منصور رجلاً فصيحاً نبيلاً مفوهاً عالماً بحجج الهاشمية وغوامض أمورهم ؛ وهو أحد النقباء الاثني عشر ؛ والنقباء الاثنا عشر هم الذين اختارهم محمد بن علي من السبعين الذين كانوا استجابوا له حين بعث رسوله إلى خراسان سنة ثلاث ومائة أو أربع ومائة — وأمره أن يدعو إلى الرضا ، ولا يسمى أحداً ، ومثل له مثالا ووصف من العدل صفة ، فقدمها فدعا سرّاً ، فأجابته ناس ، فلما صاروا سبعين أخذ منهم اثني عشر نقيباً . منهم من خزاعة سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وزياد بن صالح وطلحة ابن رزيق وعمر بن أعين ، ومن طيئ قحطبة — واسمه زياد بن

شبيب بن خالد بن معّدان - ومن تميم موسى بن كعب أبو عيينة ولاهز بن قريظ والقاسم بن مجاشع ، كلّهم من بني امرئ القيس ، وأسلم بن سلام أبو سلام ؛ ومن بكر بن وائل أبو داود خالد بن إبراهيم من بني عمرو بن شيبان أخى سُدُوس وأبو على الهروى .

ويقال: شبل بن طهمان مكان عمرو بن أعين . وعيسى بن كعب وأبو النجم عمران بن إسماعيل ^(١) مكان أبي على الهروى ، وهو ختن أبي مسلم .

ولم يكن فى النقباء أحد والده حتى غير أبي منصور طلحة بن رزيق بن أسعد ^(٢) ؛ وهو أبو زينب الخزاعى ، وقد كان شهد حرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وصحب المهلب بن أبي صفرة وغزا معه ؛ فكان أبو مسلم يشاوره فى الأمور ، ويسأله عما شهد من الحروب والمغازى ، ويسأله عن الكنية بأبى منصور : يا أبا منصور ، ما تقول ؟ وما رأيك ؟

قال أبو الخطاب : فأخبرنا من شهد أبا منصور يأخذ البيعة على الهاشمية : أبايعكم على كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، والطلاق والعتاق ، والمشى إلى بيت الله ، وعلى ألاّ تسألوا رزقاً ولا طمعاً ^(٣) حتى يبدأكم به ولا تكلم ؛ وإن كان عدوّ أحدكم تحت قدمه فلا تهيّجوه إلاّ بأمر ولا تكلم . فلما حبس أبو مسلم سلكم بن أحوز ويونس بن عبدربه ^(٤) ، وعقيل ابن معقل ومنصور بن أبى الخرقاء وأصحابه ، شاور أبا منصور ، فقال : اجعل سوطك السيف ، وسجنك القبر ؛ فأقدمهم أبو مسلم فقتلهم ، وكانت عدّتهم أربعة وعشرين رجلاً .

١٩٨٩/٢

وأما على بن محمد ، فإنه ذكر أن الصباح مولى جبريل ، أخبره عن مسلمة ابن يحيى ، أن أبا مسلم جعل على حرسه خالد بن عثمان ، وعلى شُرطه مالك

(١) ابن الأثير : « أبو النجم إسماعيل بن عمران » .

(٢) ابن الأثير : « سعد » . قال : « ورزيق ، بتقديم الراء على الزاى » .

(٣) ابن الأثير : « ولا طمعاً » . (٤) ابن الأثير : « عبدويه » .

ابن الهيثم ، وعلى القضاء القاسم بن مجاشع ، وعلى الديوان كامل بن مظفر ،
فرزق كل رجل أربعة آلاف ، وأنه أقام في عسكره بالماخوئان ثلاثة أشهر ،
ثم سار من الماخوئان ليلاً في جمع كبير يريد عسكر ابن الكرمانى ؛ وعلى
ميمنته لاهز بن قريظ ، وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع ، وعلى مقدّمته أبو نصر
مالك بن الهيثم . وخلف على خندقه أبا عبد الرحمن الماخوئانى ، فأصبح في عسكر
شيبان ؛ فخاف نصر أن يجتمع أبو مسلم وابن الكرمانى على قتاله ؛ فأرسل إلى
أبى مسلم يعرض عليه أن يدخل مدينة مَرَوْ ويؤدعه ، فأجابه ، فوَدَعَ
أبا مسلم نصر ، فراسل نصر ابن أحموز يومه ذلك كله ، وأبو مسلم في عسكر
شيبان ، فأصبح نصر وابن الكرمانى ، فغدوا إلى القتال ، وأقبل أبو مسلم
ليدخل مدينة مَرَوْ ، فردّ خيل نصر وخيل ابن الكرمانى ، ودخل المدينة لسبع
— أو تسع — خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين ومائة ، وهو يتلو :
﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ
هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ... ﴾ (١) إلى آخر الآية .

قال على : وأخبرنا أبو الدّيال والمفضل الضبى ، قالا : لما دخل أبو مسلم
مدينة مَرَوْ ، قال نصر لأصحابه : أرى هذا الرجل قد قوى أمره ، وقد سارع
إليه الناس ، وقد وادعته وسيتمّ له ما يريد ؛ فاخرجوا بنا عن هذه البلدة
وخلّوه ، فاختلفوا عليه ، فقال بعضهم : نعم ، وقال بعضهم : لا ، فقال :
أما لأنكم ستذكرون قولى . وقال لخاصته من مضر : انطلقوا إلى أبى مسلم
فالقوه ، وخذوا بحظكم منه ، وأرسل أبو مسلم إلى نَصْر لاهز بن قريظ يدعوه
فقال لاهز : ﴿ إِنْ الْمَلَأُ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ ﴾ (٢) ، وقرأ قبلها آيات ،
ففطن نصر ، فقال لغلامه : ضع لى وضوءاً ؛ فقام كأنه يريد الوضوء ، فدخل
بستاناً وخرج منه ، فركب وهرب .

قال على : وأخبرنا أبو الدّيال ، قال : أخبرني إياس بن طلحة بن طلحة
قال : كنت مع أبى وقد ذهب عمى إلى أبى مسلم يبايعه ؛ فأبطأ حتى صليتُ

١٩٩١/٢

العصر والنهار قصير ؛ فنحن ننتظره ؛ وقد هيئنا له الغداء ؛ فإني لقاعد مع أبي
لإذ مر نصر على بردون ؛ لا أعلم في داره بردوناً أسرى منه ، ومعه حاجبه
والحكيم بن نميلة النميري . قال أبي : إنه لحارب ليس معه أحد ، وليس بين يديه
حرابة ولا راية ، فربنا ، فسلم تسليماً خفياً ، فلما جازنا ضرب بردونه ،
ونادى الحكيم بن نميلة غلماناه ، فركبوا واتبعوه .

قال عليّ : قال أبو الذّيال : قال إياس : كان بين منزلنا وبين مرو أربعة
فراسخ ، فربنا نصر بعد العتمة ، فضج أهل القرية وهربوا ، فقال لي أهلي
وإخواني : اخرج لا تقتل ؛ وبكوا ؛ فخرجت أنا وعمي المهلب بن إياس
فلحقنا نصرأ بعد هده الليل ؛ وهو في أربعين ، قد قام بردونه ، فنزل عنه ،
فحملة بشر بن بسطام بن عمران بن الفضل البُرجمي على بردونه ، فقال
نصر : إني لا آمن الطّلب ، فن يسوق بنا ؟ قال عبد الله بن عرعة الضّبيّ :
أنا أسوق بكم ، قال : أنت لها ، فطرد بنا ليلته حتى أصبحنا في بئر في
المفازة على عشرين فرسخاً أو أقل ، ونحن سمانه ؛ فسرنا يومنا فنزلنا العصر ،
ونحن ننظر إلى أبيات سرحس وقصورها ونحن ألف وخمسمائة ، فانطلقت
أنا وعمي إلى صديق لنا من بني حنيفة يقال له مسكين ، فبيتنا نحن عنده
لم نطعم شيئاً ، فأصبحنا ، فجاءنا بشريدة فأكلنا منها ونحن جياع لم نأكل
يومنا وليلتنا ؛ واجتمع الناس فصاروا ثلاثة آلاف ، وأقمنا بسرحس يومين ؛
فلما لم يأتنا أحد صار نصر إلى طوس ، فأخبرهم خبر أبي مسلم ، وأقام خمسة
عشر يوماً ، ثم سار وشرنا إلى نيسابور فأقام بها ، ونزل أبو مسلم حين هرب
نصر دار الإمارة ، وأقبل ابن الكرماني ، فدخل مَرَو مع أبي مسلم ، فقال
أبو مسلم حين هرب نصر : يزعم نصر أني ساحر ؛ هو والله ساحر !

١٩٩٢/٢

وقال غير من ذكرت قوله في أمر نصر وابن الكرماني وشيخان الحروري :
انتهى أبو مسلم في سنة ثلاثين ومائة من معسكره بقرية سليمان بن كثير إلى
قرية تدعى الماخون فنزلها ، وأجمع على الاستظهار بعليّ بن جندب ومَن
معه من اليمن ، وعلى دعاء نصّر بن سيار ومَن معه إلى معاونته ، فأرسل إلى
الفريقين جميعاً ، وعرض على كلّ فريق منهم المسألة واجتماع الكلمة والدخول

في الطاعة ، فقبِل ذلك عليّ بن جُديع ، وتابعه على رأيه ، فعاقده عليه ، فلما وثق أبو مسلم بمبايعة عليّ بن جُديع لإياه ، كتب إلى نصر بن سيار أن يبعث إليه وفدًا يحضرون مقالته ومقالة أصحابه فيما كان وعده أن يميل معه ، وأرسل إلى عليّ بمثل ما أرسل به إلى نصر .

ثم وصف من خبر اختيار قواد الشيعة البائية على المضربة نحوًا مما وصف من قد ذكرنا الرواية عنه قبل في كتابنا هذا ، وذكر أن أبا مسلم إذ وجهه شبل ابن طهمان فيمن وجهه إلى مدينة مَرّو وأنزله قصر بخاراخذاه ؛ إنما وجهه مددًا لعلّي بن الكرمانى .

قال : وسار أبو مسلم من خندقه بالماخون بجميع من معه إلى عليّ ابن جُديع ، ومع عليّ عثمان وأخوه وأشراف اليمن معهم وحلفاءهم من ربيعة ، فلما حاذى أبو مسلم مدينة مَرّو استقبله عثمان بن جُديع في خيل عظيمة ، ومعه أشراف اليمن ومن معه من ربيعة ؛ حتى دخل عسكر عليّ بن الكرمانى وشيبان بن سلمة الحرورى ومن معه من النقباء ، ووقف على حجرة عليّ بن جُديع ، فدخل عليه وأعطاه الرضا ، وآمنه على نفسه وأصحابه ، وخرجوا إلى حجرة شيبان ، وهو يسلم عليه يومئذ بالخلافة ، فأمر أبو مسلم عليّا بالجلوس إلى جنب شيبان ، وأعلمه أنه لا يحلّ له التسليم عليه . وأراد أبو مسلم أن يسلم على عليّ بالإمرة ، فيظنّ شيبان أنه يسلم عليه . ففعل ذلك عليّ ، ودخل عليه أبو مسلم ، فسلم عليه بالإمرة ، وألطف لشيبان وعظمه ، ثم خرج من عنده فنزل قصر محمد بن الحسن الأزديّ ، فأقام به ثلاثة أشهر ، ثم ارتحل من خندقه بالماخون إلى مَرّو لسبع خلون من ربيع الآخر ؛ وخلف على جنده (١) أبا عبد الرحمن الماخونى ، وجعل أبو مسلم على ميمنته لاهز بن قريظ ، وعلى ميسرته القاسم ابن مجاشع ، وعلى مقدّمته مالك بن الهيثم ، وكان مسيره ليلاً ، فأصبح على باب مدينة مَرّو ، وبعث إلى عليّ بن جُديع أن يبعث خيله حتى وقف على باب قصر الإمارة ، فوجد الفريقين يقتتلان أشد القتال في حائط مَرّو ،

فأرسل إلى الفريقين أن كفوا ، وليتفرق كل قوم إلى معسكرهم ، ففعلوا .
وأرسل أبو مسلم لاهز بن قريظ وقريش بن شقيق وعبد الله بن البختري ،
وداود بن كراز إلى نصر يدعوه إلى كتاب الله والطاعة للرضا من آل محمد
صلى الله عليه وسلم .

فلما رأى نصر ما جاءه من اليانية والرابعة والعجم ، وأنه لا طاقة له بهم ؛
ولا بد إن أظهر قبول ما بعث به إليه أن يأتيه فيبايعه ، وجعل يريثهم
لما هم به من الغدر والهرب إلى أن أمسى ، فأمر أصحابه أن يخرجوا من
ليلتهم إلى ما يأمنون فيه ؛ فما تيسر لأصحاب نصر الخروج في تلك الليلة .
وقال له ساسم بن أحوز : إنه لا يتيسر لنا الخروج الليلة ؛ ولكننا نخرج
القبالة ، فلما كان صبح تلك الليلة عبأ أبو مسلم كتابته ، فلم يزل في
تعبيتها إلى بعد الظهر ، وأرسل إلى نصر لاهز بن قريظ وقريش بن شقيق
وعبد الله بن البختري وداود بن كراز وعدة من أعاجم الشيعة ، فدخلوا على
نصر ، فقال لهم : لشر ما عدتم ، فقال له لاهز : لا بد لك من ذلك ؛
فقال نصر : أما إذ كان لا بد منه ؛ فإني أتوضأ وأخرج إليه ، وأرسل إلى
أبي مسلم ؛ فإن كان هذا رأيه وأمره أتيتُه ونعمتُ لعينه ، وأتيتها إلى أن يحيى
رسول ، وقام نصر ، فلما قام قرأ لاهز هذه الآية : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَجَرَّوْنَ بِكَ
لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِلَىٰ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (١) ، فدخل نصر منزله ، وأعلمهم
أنه ينتظر انصراف رسوله من عند أبي مسلم ، فلما جنت الليل ، خرج من خلف
حجرته ، ومعه تميم ابنه والحكم بن نميلة النميري وحاجبه وامرأته ؛ فانطلقوا
هراً ، فلما استبطأه لاهز وأصحابه دخلوا منزله ، فوجدوه قد هرب ؛ فلما
بلغ ذلك أبا مسلم سار إلى معسكر نصر ، وأخذ ثقات أصحابه وصناديدهم
فكثفهم ؛ وكان فيهم ساسم بن أحوز صاحب شرطة نصر والبختري كاتبه ،
وابنان له ويونس بن عبد ربّه ومحمد بن قطن ومجاهد بن يحيى بن حصين
[والنضر بن إدريس ومنصور بن عمر بن أبي الحرقاء وعقيل بن معقل اللثي ،
وسيار بن عمر السلمي ، مع رجال من رؤساء مضر] (٢) فاستوثق منهم بالحديد ،
[ووكل بهم عيسى بن أعين] (٢) ، وكانوا في الحبس عنده حتى أمر بقتلهم

١٩٩٤/٢

١٩٩٥/٢

جميعاً ، ونزل نصر سرّخس فيمن اتّبعه من المضريّة ، وكانوا ثلاثة آلاف ، ومضى أبو مسلم وعلى بن جُديع في طلبه ، فطلباه ليلةً حتى أصبحا في قرية تدعى نصرانيّة ؛ فوجدوا نصراً قد خلف امرأته الممرّزُبانة فيها ، ونجا بنفسه .

ورجع أبو مسلم وعلى بن جُديع إلى مَرّو ، فقال أبو مسلم لمن كان وجهه إلى نصر : ما الذى ارتاب به منكم ؟ قالوا : لا ندرى ، قال : فهل تكلم أحد منكم ؟ قالوا : لا هزّ تلا هذه الآية : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَنَبَّهُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ قال : هذا الذى دعاه إلى الحرب ، ثم قال : يالا هز ؛ أتدغل في الدين ! فضرب عنقه .

* * *

[خبر مقتل شيبان بن سلمة الخارجى]

وفى هذه السنة قتل شيبان بن سلمة الحرورى .

* ذكر الخبر عن مقتله وسببه :

وكان سبب مقتله — فيما ذكر — أن على بن جُديع وشيبان كانا مجتمعين على قتال نصر بن سيار لمخالفة شيبان نصراً ؛ لأنه من عمال مَرّوان بن محمد ، وأن شيبان يرى رأى الخوارج ومخالفة على بن جُديع نصراً ، لأنه يمان ونصر مضرى ، وأن نصراً قتل أباه وصلبه ، ولما بيّس الفريقين من العصبية التى كانت بين اليمانية والمضريّة ؛ فلما صالح على بن الكرمانيّ أبا مسلم ، وفارق شيبان ، تنحى شيبان عن مَرّو ، إذ علم أنه لا طاقة له بحرب أبي مسلم وعلى ابن جُديع [مع اجتماعهما على] ^(١) خلافه ، وقد هرب نصر من مَرّو [وسار إلى سرخس] ^(١)

[فذكر على بن محمد أن أبا حفص] ^(١) أخبره والحسن [بن رشيد وأبا الذيال أن المدة التى كانت بين أبي مسلم وبين شيبان] ^(١) لما انقضت ، أرسل أبو مسلم إلى شيبان يدعوه إلى البيعة ، فقال شيبان : أنا أدعوك إلى بيعتى ؛ فأرسل إليه أبو مسلم : إن لم تدخل في أمرنا فارتحل عن منزلك الذى أنت فيه ، فأرسل شيبان إلى ابن الكرمانيّ يستنصره ، فأبى . فسار شيبان إلى سرّخس ،

واجتمع إليه جمع كثير من بسكر بن وائل . فبعث إليه أبو مسلم تسعة من الأزد ، فيهم المنتجع بن الزبير ؛ يدعوه ويسأله أن يكف ، فأرسل شيبان ، فأخذ رسل أبي مسلم فسجنهم ، فكتب أبو مسلم إلى بسام بن إبراهيم مولى بني ليث ببيورده ، يأمره أن يسير إلى شيبان فيقاتله . ففعل ، فهزمه بسام ، واتبعه حتى دخل المدينة ، فقتل شيبان وعدة من بكر بن وائل ، فقيل لأبي مسلم : إن بساماً ناثراً بأبيه ؛ وهو يقتل البريء والسقيم ، فكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه ، فقدم ، واستخلف على عسكره رجلاً .

قال عليّ : أخبرنا المفضل ، قال : لما قتل شيبان مرّ رجل من بكر بن وائل — يقال له خنّاف — برسل أبي مسلم الذين كان أرسلهم إلى شيبان ، وهم في بيت ، فأخرجهم وقتلهم .
وقيل : إن أبا مسلم وجهه إلى شيبان عسكراً من قبيلة ، عليهم خزيمة ابن خازم وبسام بن إبراهيم .

١٩٩٧/٢

* * *

[ذكر خبر قتل عليّ وعثمان ابني جديع]

وفي هذه السنة قتل أبو مسلم عليّاً وعثمان ابني جديع الكرمانى .

* ذكر سبب قتل أبي مسلم لياهما :

وكان السبب في ذلك — فيما قيل — أن أبا مسلم كان وجهه موسى بن كعب إلى أبيسورد فافتتحها ، وكتب إلى أبي مسلم بذلك ، ووجه أبا داود إلى بلخ وبها زياد بن عبد الرحمن القشيري ، فلما بلغه قصد أبي داود بلخ خرج في أهل بلخ والتمذ وغيرهما من كور طخارستان إلى الجوزجان ، فلما دنا أبو داود منهم ، انصرفوا منهزمين إلى الترمذ ، ودخل أبو داود مدينة بلخ ، فكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه ، ووجه مكانه يحيى بن نعيم أبا الميلاء [على بلخ ، فخرج] ^(١) أبو داود ، فلقبه كتاب من أبي مسلم يأمره بالانصراف ، فانصرف ، وقدم عليه أبو الميلاء ؛ فكتب زياد ^(٢) بن عبد الرحمن يحيى بن نعيم أبا الميلاء أن يصير أيديهم ^(٣) واحدة ، فأجابه ، فرجع زياد بن عبد الرحمن القشيري ومسلم

(١) من أ . (٢) ابن الأثير : « فكتب زياد » .

(٣) ابن الأثير : « أن يرجع ويصير » .

١٩٩٨/٢

ابن عبد الرحمن بن مسلم الباهليّ وعيسى بن زُرْعَة السُّلَميّ وأهل بلخ والترمذ وملوك طخارستان ، وما خَلَفَ النهر وما دونه ، فنزل زياد وأصحابه على فرسخ من مدينة بلخ ، وخرج إليه يحيى بن نعيم بَمَنَ معه حتى اجتمعوا ، فصارت كلمتهم واحدة ، مضريّهم ويமானهم وربّعِيّهم ومَنَ معهم من الأعاجم على قتال المسوّدَة ، وجعلوا الولاية عليهم لمقاتل بن حِيّان النَبْطِيّ ؛ كراهة أن يكون من الفرق الثلاثة ، وأمر أبو مسلم أبا داود بالعود ، فأقبل أبو داود بَمَنَ معه حتى اجتمعوا على نهر السرجنّان . وكان زياد بن عبد الرحمن وأصحابه قد وجهوا أبا سعيد القرشيّ مسلّحاً فيما بين العود وبين قرية يقال لها أمديان ؛ لئلا يأتيهم أصحاب أبي داود مِن خلفهم . وكانت أعلام أبي سعيد وراياته سوداً ، فلما اجتمع أبو داود وزياد وأصحابهما ، واصطفوا للقتال ، أمر أبو سعيد القرشيّ أصحابه أن يأتوا زياداً وأصحابه مِن خلفهم ، فرجع وخرج عليهم من سكة العود وراياته سود ، فظنّ أصحاب زياد أنهم كَمَينَ لأبي داود ، وقد نشب القتال بين الفريقين ، فانهزم زياد ومَنَ معه ، وتبعهم أبو داود ، فوقع عامة أصحاب زياد في نهر السرجنّان ، وقتل عامة رجالهم المتخلفين ، ونزل أبو داود عسكرهم ، وحوّى ما فيه ، ولم يتبع زياداً ولا [أصحابه وأكثر من تبعهم سرعان من سرعان] ^(١) خيل أبي داود إلى مدينة [بلخ لم يجاوزها] ^(١) ومضى زياد ويحيى ومن معهما إلى الترمذ ، وأقام أبو داود يومه [ذلك ومن الغد ، ولم يدخل مدينة بلخ] ^(١) واستصفي أموال من قتل بالسرجنّان ومن هرب من العرب وغيرهم ، واستقامت بلخ لأبي داود .

١٩٩٩/٢

ثم كتب إليه أبو مسلم يأمره بالقُدوم عليه ، ووجهه النضر بن صُبَيْح المُرّيّ على بلخ . وقدم أبو داود ، واجتمع رأى أبي داود وأبي مسلم على أن يفرقا بين عليّ وعثمان ابني الكرمانيّ ، فبعث أبو مسلم عثمان عاملاً على بلخ ، فلما قدمها استخلف الفُرافصة بن ظُهير العبسيّ على مدينة بلخ ، وأقبلت المضريّة من تِرمذ ، عليهم مسلم بن عبد الرحمن الباهليّ ، فالتقوا وأصحاب عثمان بن جُديع بقرية بين البِروقان وبين الدّستَجرد ؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أصحاب عثمان بن جُديع ، وغلب المضريّة ومسلم بن عبد الرحمن

على مدينة بلخ ، وأخرجوا الفُرافصة منها . وبلغ عثمان بن جُديع الخبر والنضر ابن صُبُح ، وهما بمرّو الرّوذ ، فأقبلا نحوهم ، وبلغ أصحاب زياد بن عبد الرحمن فهربوا من تحت ليلتهم ، وعتب النضر في طلبهم ، رجاء أن يفوتوا ، ولقيهم أصحاب عثمان بن جُديع ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزم أصحاب عثمان بن جُديع ، وأكثروا فيهم القتل ، ومضت المضريّة إلى أصحابها ، ورجع أبو داود من مرّو إلى بلخ ، وسار أبو مسلم ومعه عليّ بن جُديع إلى نيسابور . واتفق رأى أبي مسلم ورأى أبي داود على أن يقتل أبو مسلم عليّاً ، ويقتل أبو داود عثمان في يوم واحد . فلما قدم أبو داود بلخ بعث عثمان عاملاً على الخُتل (١) فيمن معه من يمانى أهل مرّو وأهل بلخ وربّعتهم . فلما خرج من بلخ خرج أبو داود [فاتبع الأثر فلحق عثمان على شاطئ نهر بوخش] (٢) من أرض الخُتل ، فوثب أبو داود على عثمان وأصحابه ، فحبسهم جميعاً ثم ضرب أعناقهم صبراً (٣) . وقتل أبو مسلم في ذلك اليوم على بن الكرمانى ، وقد كان أبو مسلم أمره أن يسمّى له خاصته ليولّيههم ، ويأمر لهم بجوائز وكُسا ، فسماهم له فقتلهم جميعاً .

٢٠٠٠/٢

* * *

[قدوم قحطبة بن شبيب على أبي مسلم]

وفي هذه السنة قدم قحطبة بن شبيب على أبي مسلم خراسان منصرفاً من عند إبراهيم بن محمد بن عليّ ، ومعه لواؤه الذي عقّد له إبراهيم ، فوجّهه أبو مسلم حين قدّم عليه على مقدّمته ، وضمّ إليه الجيوش ، وجعل له العزل والاستعمال ، وكتب إلى الجنود بالسّمع والطاعة .

وفيها وجّه قحطبة إلى نيسابور للقاء نصر ، فذكر عليّ بن محمد أن أبا الذّيال والحسن بن رشيد وأبا الحسن الجُشَميّ أخبروه أن شيّبان بن سلمة الحرّوريّ لما قُتل لحق أصحابه بنصر وهو بنيسابور ، وكتب إليه النّابى بن سويد العجلىّ يستغيث ، فوجّه إليه نصر ابنه تميم بن نصر في ألفين ، وتهياً نصر على أن يسير إلى طُوس ، ووجّه أبو مسلم قحطبة بن شبيب في قوّاد ، منهم القاسم

(٢) من أ .

(١) ابن الأثير : « الجبل » .

(٣) صبراً ، أى حبساً .

ابن مجاشع وجهور بن مرّار ، فأخذ القاسم من قبيل سرخس ، وأخذ جهور من قبيل أبيورد ، فوجه تميم عاصم بن عمير السغدّي إلى جهور ؛ وكان أذانهم منه ، فهزّمه عاصم بن عمير ، فتحصّن في كبادقان ، وأطلّ قحطبة والقاسم على النّابي ، فأرسل تميم إلى عاصم أن ارحل عن جهور وأقبل ؛ فتركه ، وأقبل فقاتلهم قحطبة .

٢٠٠١/٢

قال أبو جعفر : فأما غير الذين روى عنهم عليّ بن محمد ما ذكرنا في أمر قحطبة وتوجيه أبي مسلم إياه إلى نصر وأصحابه ، فإنه ذكر أن أبا مسلم لما قتل شيبان الخارجي وابني الكيرمانيّ ، ونفسى نصرّاً عن مسرو ، وغلب على خراسان ، وجه عماله على بلادها ، فاستعمل سباع بن النعمان الأزديّ على سمرقند وأبا داود خالد بن إبراهيم على طخارستان ، وجه محمد بن الأشعث إلى الطبّسين وفارس ، وجعل مالك بن الهيثم على شُرطته ، وجه قحطبة إلى طوس ، ومعه عدّة من القوادم ؛ منهم أبو عون عبد الملك بن يزيد ومقاتل بن حكيم العكبيّ وخالد بن برمك وخازم بن خزيمة والمنذر بن عبد الرحمن وعثمان ابن نهييك وجهور بن مرّار العجليّ وأبو العباس الطوسيّ وعبد الله بن عثمان الطائيّ وسلمة بن محمد وأبو غانم عبد الحميد بن ربيع وأبو حميد وأبو الجهم — وجعله أبو مسلم كاتباً لقحطبة على الجند — وعامر بن إسماعيل ومحرز بن إبراهيم ، في عدّة من القوادم ، فلقى من بطوس فانهزموا ، وكان من مات منهم في الزحام أكثر ممن قُتِل ؛ فبلغ عدّة القتلى يومئذ بضعة عشر ألفاً . ووجه أبو مسلم القاسم بن مجاشع إلى نيسابور على طريق الحجّة ؛ وكتب إلى قحطبة يأمره بقتال تميم بن نصر بن سيار والنّابي بن سويد ، ومنّ بلأ إليهما من أهل خراسان ، وأن يصرف إليه موسى بن كعب من أبييورد . فلما قدم قحطبة أبييورد صرف موسى بن كعب إلى أبي مسلم ، وكتب إلى مقاتل بن حكيم يأمره أن يوجه رجلاً إلى نيسابور ، ويصرف منها القاسم بن مجاشع ؛ فوجه أبو مسلم عليّ بن معقل في عشرة آلاف إلى تميم بن نصر ، وأمره [إذا دخل] ^(١) قحطبة طوس أن يستقبله بمنّ معه وينضمّ إليه ؛ فسار عليّ بن معقل حتى نزل قرية يقال لها حلوان ، وبلغ قحطبة مسير عليّ [ونزوله حيث] ^(١) نزل ، فعبّج

٢٠٠٢/٢

السير إلى السوذقان ، وهو معسكر تميم بن نصر والنابي بن سويد ، ووجهه على مقدمته أسيد بن عبد الله الخزاعي في [ثلاثة آلاف رجل من شيعة] (١) أهل نسا وأبيورد ، فسار حتى نزل قرية يقال [لها حبوسان ، فتعباً تميم والنابي] (٢) لقتاله . فكتب أسيد إلى قحطبة يعلمه [ما أجمعوا عليه من قتاله ، وأنه إن] (٣) لم يعجل القدوم عليه حاكمهم إلى الله عز وجل ، وأخبره أنهما في ثلاثين ألفاً من صناديد أهل خراسان وفرسانهم . فوجه قحطبة مقاتل بن حكيم العكي في ألف ونخالد بن برمك في ألف ، فقدموا على أسيد ؛ وبلغ ذلك تيمماً والنابي فكسرها . ثم قدم عليهم قحطبة بمن معه ، وتعباً لقتال تميم ، وجعل على ميمنته مقاتل بن حكيم (٤) وأبا عون عبد الملك بن يزيد ونخالد بن برمك ، وعلى ميسرته أسيد بن عبد الله الخزاعي والحسن بن قحطبة والمسيب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن ، وصار هو في القلب ، ثم زحف إليهم ، فدعاهم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم فلم يجيبوه ، فأمر الميمنة والميسرة أن يحملوا ، فاقتتلوا قتالاً شديداً أشد ما يكون من القتال ، فقتل (٥) تميم بن نصر في المعركة ، وقتل معه منهم مقتلة عظيمة ، واستبيح عسكرهم ، وأفلت النابي في عدة ، فتحصنوا في المدينة ، وأحاطت بهم الجنود ، فنقبوا الحائط ودخلوا إلى المدينة ، فقتلوا النابي ومن كان معه ، وهرب عاصم بن عمير السمرقندي وسالم بن راوية السعدي إلى نصر بن سيار بنيسابور ، فأخبراه بمقتل تميم والنابي ومن كان معهما ؛ فلما غلب قحطبة على عسكرهم بما فيه صير إلى خالد بن برمك قبض ذلك ، ووجهه مقاتل بن حكيم العكي على مقدمته إلى نيسابور ؛ فبلغ ذلك نصر بن سيار ، فارتحل هارباً في أثر أهل إبرشهر حتى نزل قوميس وتفرق عنه أصحابه ، فسار إلى نُبّاة بن حنظلة بيجرجان ، وقدم قحطبة نيسابور بجنوده .

٢٠٠٣/٢

* * *

(١) من أ .

(٢) ١ : « حيان » .

(٣) ١ : « وقتل » .

[ذكر خبر قتل نباتة بن حنظلة]

وفي هذه السنة قُتل نباتة بن حنظلة عامل يزيد بن عمر بن هبيرة على جرجان .

• ذكر الخبر عن مقتله :

ذكر علي بن محمد أن زهير بن هُنَيْد وأبا الحسن الجُشمي وجبله بن فَرْوْخ وأبا عبد الرحمن الأصبهاني أخبروه أن يزيد بن عمر بن هبيرة بعث نباتة بن حنظلة الكلابي إلى نصر ، فأقى فارس وأصبهان ، ثم سار إلى الري ، ومضى إلى جرجان ، ولم ينضم^(١) إلى نصر بن سيار ، فقالت القيسية لنصر : لا تحملنا قوميس ، فتحولوا إلى جرجان . وخندق نباتة ؛ فكان إذا وقع الخندق في دار قوم رشوه فأخبره ، فكان خندقه نحواً من فرسخ .

وأقبل قحطبة إلى جرجان في ذي القعدة من سنة ثلاثين ومائة ، ومعه أسيد ابن عبد الله الخراعي وخالد بن برمك وأبوعون عبد الملك بن يزيد وموسى بن كعب المراتي والمسيب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي ، وعلى ميمته موسى بن كعب ، وعلى ميسرته أسيد بن عبد الله ، وعلى مقدّمته الحسن بن قحطبة ، فقال قحطبة : يا أهل خراسان ، أتدرون إلى من تسيرون ، ومن تقاتلون ؟ إنما تقاتلون بقيّة قوم أحرّقوا بيت الله عز وجل . وأقبل الحسن حتى نزل تخوم خراسان ، ووجه الحسن عثمان بن رُفيع ونافعاً المروزي وأبا خالد المروزي ومسعدة الطائي إلى مسلحة نباتة ، وعليها رجل يقال له ذؤيب ، فبيته^(٢) ، فقتلوا ذؤيباً وسبعين رجلاً من أصحابه ، ثم رجعوا إلى عسكر الحسن ، وقدم قحطبة فنزلوا بإزاء نباتة وأهل الشام في عدة لم ير الناس مثلها . فلما رآهم أهل خراسان هابوهم حتى تكلموا بذلك وأظهروه . وبلغ قحطبة ، فقام فيهم خطيباً فقال :

يا أهل خراسان ؛ هذه البلاد كانت لأبائكم الأولين ، وكانوا ينصرون على عدوّهم بعدلهم^(٣) وحسن سيرتهم ؛ حتى بدّلوا وظلموا ، فسخط الله عز وجل عليهم ، فانتزع سلطانهم ، وسلط عليهم أذلّ أمة كانت في الأرض عندهم ،

(١) ط : « يضم » . (٢) ابن الأثير : « فبيته » .

(٣) ط : « بعدلهم » ، وما أثبتته من أ .

فغلبوهم على بلادهم ، واستنكحوا نساءهم ، واسترقوا أولادهم ؛ فكانوا بذلك يحكمون بالعدل ويوفون بالعهد ، وينصرون المظلوم ، ثم بدلوا وغيروا وجاروا في الحكم ، وأخافوا أهل البر والتقوى من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلبكم عليهم لينتقم منهم بكم لتكونوا أشد عقوبة ؛ لأنكم طلبتموهم بالثأر . وقد عهد إلى الإمام أنكم تلقونهم في مثل هذه العدة فينصركم الله عز وجل عليهم فتهزمونهم وتقتلونهم .

وقد قرئ على قحطبة كتاب أبي مسلم . من أبي مسلم إلى قحطبة :
بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فناهض عدوك ؛ فإن الله عز وجل ناصرك ؛ فإذا ظهرت عليهم فأخذ في القتل .

فالتقوا في مستهل ذي الحجة سنة ثلاثين ومائة في يوم الجمعة ، فقال قحطبة : يا أهل خراسان . إن هذا اليوم قد فضله الله تبارك وتعالى على سائر الأيام والعمل فيه مضاعف ؛ وهذا شهر عظيم فيه عيد من أعظم أعيادكم عند الله عز وجل ، وقد أخبرنا الإمام أنكم تنصرون في هذا اليوم من هذا الشهر على عدوكم ، فالقوه بجذ وصبر واحتساب ؛ فإن الله مع الصابرين . ثم ناهضهم وعلى ميمنته الحسن بن قحطبة ، وعلى ميسرته خالد بن برمك ومقاتل بن حكيم العكبي ، فاقتتلوا وصبر بعضهم لبعض ، فقتل نباتة ، وانهزم أهل الشام فقتل منهم عشرة آلاف ، وبعث قحطبة إلى أبي مسلم برأس نباتة وابنه حية . ٢٠٠٦/٢

قال : وأخبرنا شيخ من بني عدى ، عن أبيه ، قال : كان سالم بن راوية التميمي ممن هرب من أبي مسلم ، وخرج مع نصر ، ثم صار مع نباتة ، فقاتل قحطبة بمرجان ، فانهزم الناس ، وبقى يقاتل وحده ، فحمل عليه عبد الله الطائي - وكان من فرسان قحطبة - فضربه سالم بن راوية على وجهه ، فأندر عينه ، وقاتلهم حتى اضطر إلى المسجد ، فدخله ودخلوا عليه ، فكان لا يشد من ناحية إلا كشفهم ، فجعل ينادى : شريرة ! فوالله لأُنقعن لهم شرّاً يوم هذا . وحرّقوا عليه سقف المسجد ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه وجاءوا

برأسه إلى قحطبة، وليس في رأسه ولا وجهه مصحح؛ فقال قحطبة: ما رأيت مثل هذا قط!

* * *

[ذكر وقعة أبي حمزة الخارجي بقُديد]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كانت الوقعة التي كانت بقُديد بين أبي حمزة الخارجي وأهل المدينة .

* ذكر الخبر عن ذلك :

حدثني العباس بن عيسى العَقيليّ ، قال : حدثنا هارون بن موسى الفروسيّ ، قال حدثني غير واحد من أصحابنا ، أن عبد الواحد بن سليمان استعمل عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس ، فخرجوا، فلما كان بالحرّة لقيتهم جُزُرَ مَنْسُحُورَة ، ففضوا ، فلما كان بالعقيق تعلق لواؤهم بِسَمَرَة ، فانكسر الريح ، فنشأَم الناس بالخروج ؛ ثم ساروا حتى نزلوا قُديداً ، فنزلوها ليلاً — وكانت قرية قُديد من ناحية القصر المبنى اليوم ، وكانت الحياض هنالك ، فنزل قوم مغترّون ^(١) ليسوا بأصحاب حرب ، فلم يرعهم إلا القوم قد خرجوا عليهم من القصر ^(٢) .

وقد زعم بعضُ الناس أن خُرَاعة دلت أبا حمزة على عَوَرَتهم ، وأدخلوهم عليهم فقتلوهم ؛ وكانت المقتلة على قريش ، هم كانوا أكثر الناس ، وبهم كانت الشوكة ، وأصيب منهم عدد كثير .

قال العباس : قال هارون : وأخبرني بعضُ أصحابنا أن رجلاً من قريش نظر إلى رجل من أهل اليمن وهو يقول : الحمد لله الذي أقرّ عيني بمقتل قريش ، فقال لابنه : يا بنيّ ابدأ به — وقد كان من أهل المدينة — قال : فدنا منه ابنه فضرب عنقه ، ثم قال لابنه : أي بنيّ ، تقدم ؛ فقاتلا حتى قتلا . ثم ورد فلّال الناس المدينة ، وبكى الناس قتلاهم ؛ فكانت المرأة تقيم على حميمها النَّوَاح ؛ فما تبرح النساء حتى تأتیهنّ الأخبار عن رجالهنّ فتخرج النساء امرأة

(١) ابن الأثير : «وكانوا مترفين» .

(٢) كذا في ١ ، وفي ط : «الفضل» ، وهو موضع .

امرأة ؛ كل امرأة تذهب إلى حميمها [فتصرف] ^(١) حتى ما تبقى عندها امرأة ^(٢) .

قال : وأنشدني أبو ضمرة هذه الأبيات في قتلتني قديد الذين أصيبوا من قومه ، رثاهم بعض أصحابهم فقال :

يَالْهَفَ نَفْسِي وَلَهْفِي غَيْرَ كَاذِبَةٍ ^(٣) على فوارس بالبطحاء أنجاد
عَمُرُوا وَعَمُرُوا وَعَبُدُوا اللَّهَ بَيْنَهُمَا وابناهما خامس والحارث السادي

* * *

[ذكر خبر دخول أبي حمزة المدينة]

وفي هذه السنة دخل أبو حمزة الخارجي من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهرب عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشام .

• ذكر الخبر عن دخول أبي حمزة المدينة وما كان منه فيها :

٢٠٠٨/٢

حدثني العباس بن عيسى ، قال : حدثنا هارون بن موسى الفروي ، قال : حدثني موسى بن كثير ، قال : دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة ، ومضى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشام ، فرقي المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

يا أهل المدينة ؛ سألناكم ^(٤) عن ولايتكم هؤلاء ، فأسأتم لعمر الله فيهم القول ، وسألناكم : هل يقتلون بالظن ؟ فقلتم لنا : نعم ، وسألناكم : هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام ؟ فقلتم لنا : نعم ، فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم نناشدهم الله إلا تنحوا عنا وعنكم ، فقلتم : لا يفعلون ، فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم نقاتلهم ؛ فإن نظهر نحن وأنتم [نأت] ^(٥) بمن يقيم فينا كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فقلتم : لا نقوى ، فقلنا لكم : فخلوا بيننا وبينهم ؛ فإن نظفر نعدل في أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم [ونقسم] ^(٥) فيحكم بينكم ، فأبيتكم ، وقاتلمونا دونهم ، فقاتلناكم

(٢) الأغاني ٢٠ : ١٠٠ (ساس) .

(٤) ط : « سألتكم » .

(١) من الأغاني .

(٣) الأغاني : « نافعة » .

(٥) من الأغاني .

فأبعدكم الله وأسحقكم (١) .

قال محمد بن عمر : حدثني حزام بن هشام ، قال : كانت الحرورية أربعمائة ، وعلى طائفة من الحرورية الحارث ، وعلى طائفة بكار بن محمد العدوي ؛ عدى قريش ، وعلى طائفة أبو حنيفة ، فالتقوا وقد تهيأ الناس بعد الإعداد من الخوارج إليهم ، وقالوا لهم : إنا والله ما لنا حاجة بقتالكم ، دعونا نمض إلى عدونا . فأبى أهل المدينة ، فالتقوا لسبع ليال خلت من صفر يوم الخميس ٢٠٠٩/٢ سنة ثلاثين ومائة ، فقتل أهل المدينة ، لم يفلت منهم إلا الشريد ، وقتل أميرهم عبد العزيز بن عبد الله ، واتهمت قريش خزاعة أن يكونوا داهنوا الحرورية . فقال لى حزام : والله لقد آويت رجالاً من قريش منهم حتى آمن الناس ؛ فكان بسلج على مقدمتهم . وقدمت الحرورية المدينة لتسع عشرة ليلة خلت من صفر .

حدثني العباس بن عيسى ، قال : قال هارون بن موسى : أخبرني بعض أشياخنا ، أن أبا حمزة لما دخل المدينة قام فخطب فقال في خطبته :

يا أهل المدينة مررتُ [بكم] (٢) في زمن الأحول هشام بن عبد الملك ، وقد أصابتكم عاهة في ثماركم (٣) وكتبتم إليه تسألونه أن يضع أخراصكم (٤) عنكم ، فكتب إليكم يضعها عنكم ، فزاد الغنى غنى ، وزاد الفقر فقراً ، فقلتم : جزاك الله خيراً ؛ فلا جزاكم الله خيراً ولا جزاه (٥) .

قال العباس : قال هارون : وأخبرني يحيى بن زكرياء أن أبا حمزة خطب بهذه الخطبة ، قال : رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : تعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشراً ولا بطراً ولا عبثاً ، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ، ولا لثأر قديم نيل منا ؛ ولكننا لما رأينا مصاييح الحق قد عطلت ، وعنّف القاتل بالحق ، وقتل القائم بالقسط ؛ ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، فأجبنا داعي الله * ﴿ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي

(١) انظر الأغاني ٢٠ : ١٠٣ ، ونقل الخبر عن الطبري .

(٢) الأغاني . (٣) الأغاني : « في ثماركم فركبتم » .

(٤) الأغاني : « خراجكم » . (٥) الأغاني ٢٠ : ١٠٤ .

٢٠١٠/٢

الأرض^(١) ، أقبلنا^(٢) من قبائل شتى ، نفرمناً على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم ، يتعاورون لحافاً واحداً ، قليلون مستضعفون في الأرض ؛ فأوانا وأيدنا بنصره^(٣) ، فأصبحنا والله جميعاً بنعمته إخواناً ، ثم لقينا رجالكم بقديدهم ، فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم آل مروان ؛ فشتان لعمر الله ما بين الرشد والغي . ثم أقبلوا يهرعون يزفون^(٤) ، قد ضرب الشيطان فيهم بحجرانه ، وغلت بدمائهم مراحله ، وصدق عليهم ظنه ، وأقبل أنصار الله عز وجل عصائب وكتائب ، بكل مهتد ذي روثق ، فدارت رحانا واستدارت رحاهم ، بضرب يرتاب منه المبطلون . وأنتم يا أهل المدينة ، إن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله عز وجل بعذاب من عنده أو بأيدينا ، ويشف صدور قوم مؤمنين . يا أهل المدينة ، أولكم خير أول وآخركم شر آخر . يا أهل المدينة ، الناس منا ونحن منهم ؛ إلا مشركاً عابداً وثناً ، أو مشرك أهل الكتاب ؛ أو إماماً جائراً . يا أهل المدينة ممن زعم أن الله عز وجل كلف نفساً فوق طاقتها ، أو سأها ما لم يؤتيها ، فهو الله عز وجل عدو ، ولنا حرب . يا أهل المدينة ، أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله عز وجل في كتابه على القوى والضعيف ، فجاء تاسع ليس له منها^(٥) ولا سهم واحد ، فأخذها [جميعها]^(٦) لنفسه ، مكابراً محارباً لربه . يا أهل المدينة ؛ بلغني أنكم تنتقصون أصحابي ؛ قلم : شباب أحداث ، وأعراب جفافة ، ويليكم يا أهل المدينة ! وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً أحداثاً ! شباب والله مكتهلون في شبابهم ، غضية^(٧) عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أقدامهم ، قد باعوا الله عز وجل أنفساً تموت بأنفس لا تموت ، قد خالطوا^(٨) كلالهم بكلالهم ، وقيام ليلهم بصيام نهارهم ، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مروا بآية [خوف شهقوا خوفاً من النار ، وإذا مروا بآية^(٩)

٢٠١١/٢

(٢) الأغاني : « فأقبلنا » .

(١) سورة الأحقاف ٣٢ .

(٣) الأغاني : « فأوانا الله وأيدنا بنصره » .

(٤) يزفون : يسرعون ، وفي الأغاني : « ويزفون » . (٥) ١ : « فيها » .

(٧) الأغاني : « غضية » .

(٦) من الأغاني .

(٩) من ١ .

(٨) ١ : « خلطوا » .

شوق شهقوا شوقاً إلى الجنة، فلما نظروا إلى السيوف قد انتضيت^(١) والرماح قد شرعت^(٢)، وإلى السهام قد فوّقت^(٣)، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت، استخفّوا وعيد^(٤)، الكتيبة لوعيد الله عز وجل، ولم يستخفّوا وعيد الله لوعيد الكتيبة^(٥)، فطوبى لهم وحسن مآب! فكم من عين في منقار طائر طالما فاضت في جوف الليل من خوف الله عز وجل! وكم من يد زالت عن مفصلها طالما اعتمد بها صاحبها^(٦) في سجوده لله، وكم من خد عتيق وجبين رقيق فُلّق بعمد الحديد. رحمة الله على تلك الأبدان، وأدخل أرواحها الجنان. أقول قولي هذا وأستغفر الله من تقصيرنا، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب^(٧).

حدثني العباس، قال قال هارون: حدثني جدّي أبو علقمة، قال: سمعت أبا حمزة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: من زنى فهو كافر، ومن شكّ فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، ومن شكّ أنه كافر فهو كافر.

قال العباس: قال هارون: وسمعتُ جدّي يقول: كان قد أحسن السيرة في أهل المدينة حتى استمال الناس حين سمعوا كلامه^(٨)، في قوله: «من زنى فهو كافر».

قال العباس: قال هارون: وحدثني بعض أصحابنا: لما رقى المنبر قال: برّح الخفاء، أين ما بك يذهب! من زنى فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، قال العباس: قال هارون: وأنشدني بعضهم في قديده:

ما للزمان وماليّة أفنت قديده رجاليّة^(٩)
فلأبكين سريرة ولأبكين علانيه
ولأبكين إذا شجيت مع الكلاب العاوية

(١) ط: «انتضت».

(٢) الأغاني: «لوعيد».

(٣) الأغاني: «طالما بكى بها صاحبها من خشية الله، وكم من يد قد أبينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راکماً وساجداً».

(٤) الأغاني ٢٠: ١٠٤.

(٥) الأغاني: «حتى استمال الناس وسمع بعضهم كلامه».

(٦) الأغاني ٢٠: ١٠٢.

فكان دخول أبي حمزة وأصحابه المدينة لثلاث عشرة بقية من صفر .
واختلفوا في قدر مدتهم في مقامهم [بها] ^(١) ، فقال الواقدي : كان مقامهم
بها ثلاثة أشهر . وقال غيره : أقاموا بها بقية صفر وشهر ربيع وطائفة من
جمادى الأولى .

وكانت عيدة من قتل من أهل المدينة بقديد — فيما ذكر الواقدي —
سبعمائة .

قال أبو جعفر : وكان أبو حمزة — فيما ذكر — قد قدم طائفة من
أصحابه ، عليهم أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن عمر القرشي ، ثم أحد
بنى عدى بن كعب ، وبلج بن عيينة بن الهيصم الأسدي من أهل البصرة ،
فبعث مروان بن محمد من الشام عبد الملك بن محمد بن عطية أحد بني سعد
في خيول ^(٢) الشام . فحدثني العباس بن عيسى ، قال : حدثني هارون بن
موسى ، عن موسى بن كثير ، قال : خرج أبو حمزة من المدينة ، وخلف
بعض أصحابه ، فسار حتى نزل الوادي .

قال العباس : قال هارون : حدثني بعض أصحابنا ممن أخبرني عنه
أبويحيى الزهرى ، أن مروان انتخب من عسكره أربعة آلاف ، واستعمل
عليهم ابن عطية ، وأمره بالجد في السير ، وأعطى كل رجل منهم
مائة دينار ، وفرساً عربية وبغلاً لشقيله ، وأمره أن يمضي فيقاتلهم ؛ فإن هو
ظفر مضى حتى بلغ اليمن ويقاتل عبد الله بن يحيى ومن معه ؛ فخرج حتى
نزل بالعلاء — وكان رجل من أهل المدينة يقال له العلاء بن أفلح مولى
أبي الغيث ، يقول : لقيني وأنا غلام ذلك اليوم رجل من أصحاب ابن عطية ؛
فسألني : ما اسمك يا غلام ؟ قال : فقلت : العلاء ، قال : ابن من ؟
قلت : ابن أفلح ، قال : مولى من ؟ قلت : مولى أبي الغيث ، قال : فأين
نحن ؟ قلت بالعلاء ، قال : فأين نحن غداً ؟ قلت : بغالب ، قال : فما
كلمتني حتى أردفني وراءه ، ومضى بي حتى أدخلني على ابن عطية ، فقال :
سل هذا الغلام : ما اسمه ، فسألني ، فرددت عليه القول الذي قلت ، قال : فسر

٢٠١٣/٢

بذلك ، ووهب لى دراهم (١) .

قال العباس : قال هارون : وأخبرنى عبد الملك بن الماجشون ، قال : لما لقي أبو حمزة وابن عطية ، قال أبو حمزة : لا تقتلوهم حتى تخبروهم (٢) ، قال : فصاحوا بهم : ما تقولون فى القرآن والعمل به ؟ قال : فصاح ابن عطية : نضعه فى جوف الجوالق ، قال : فما تقولون فى مال اليتيم ؟ قال : نأكل ماله ونفجر بأمه ... فى أشياء بلغنى أنهم سألوهم عنها . قال : فلما سمعوا كلامهم ، قاتلوهم حتى أمسوا ، فصاحوا : ويحك يا ابن عطية ! إن الله عز وجل قد جعل الليل سكناً ، فاسكن نسكن . قال : فأبى فقاتلهم حتى قتلهم .

قال العباس : قال هارون : وكان أبو حمزة حين خرج ودع أهل المدينة للخروج إلى مروان يقاتله ، قال : يا أهل المدينة ، إنا خارجون إلى مروان ؛ فإن نظفر نعدل فى أحكامكم ، ونحملكم على سنة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ، ونقسم فيحكم بينكم ؛ وإن يكن ما تمنون ؛ فسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . قال العباس : قال هارون : وأخبرنى بعض أصحابنا أن الناس وثبوا على أصحابه حين جاءهم قتلهم فقتلوهم .

قال محمد بن عمر : سار أبو حمزة وأصحابه إلى مروان ، فلقيهم خيل مروان بوادى القرى ؛ عليها ابن عطية السعدى ، من قيس ، فأوقعوا بهم ، فرجعوا منهزمين منهم إلى المدينة ، فلقيهم أهل المدينة فقتلوهم . قال : وكان الذى قاد جيش مروان عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى سعد هوازن ، قدم المدينة فى أربعة آلاف فارس عربى ؛ مع كل واحد منهم بغل ، ومنهم من عليه درعان أو درع وستور (٣) وتجايف ؛ وعدة لم ير مثلها فى ذلك الزمان ، ففضوا إلى مكة .

وقال بعضهم : أقام ابن عطية بالمدينة حين دخلها شهراً ، ثم مضى إلى مكة ، واستخلف على المدينة الوليد بن عروة بن محمد بن عطية ، ثم مضى إلى مكة وإلى اليمن واستخلف على مكة ابن ماعز ؛ رجلاً من أهل الشام .

(١) الأغاني ٢٠ : ١٠٨ . (٢) ١ : « تختبروهم » .

(٣) السطور : الدرع فيه حلق ، وفى ط : « تنور » تحريف .

ولما مضى ابن عطية بلغ عبد الله بن يحيى - وهو بصنعاء - مسيره إليه ، فأقبل إليه بمن معه فالتقى هو وابن عطية ، فقتل ابن عطية عبد الله بن يحيى ، وبعث ابنه بشير إلى مروان ، ومضى ابن عطية فدخل صنعاء وبعث برأس عبد الله بن يحيى إلى مروان ، ثم كتب مروان إلى ابن عطية يأمره أن يُغذَّ السير ، ويحجَّ بالناس ، فخرج في نفر من أصحابه - فيما حدثني العباس بن عيسى ، عن هارون - حتى نزل الجُرْف - هكذا قال العباس - ففطن له بعض أهل القرية ، فقالوا : منهزمين والله ، فشدوا عليه ، فقال : ويحكم ! عامل الحج ؟ والله كتب إلى أمير المؤمنين .

قال أبو جعفر : وأما ابن عمر ، فإنه ذكر أن أبا الزبير بن عبد الرحمن حدثه ، قال : خرجتُ مع ابن عطية السعدي ، ونحن اثنا عشر رجلاً ، بعهد مروان على الحج ، ومعه أربعون ألف دينار في خُرْجه ، حتى نزل الجُرْف يريد الحج ، وقد خلاَّف عسكره وخيله وراءه بصنعاء ؛ فوالله إنا آمنون مطمئنون ؛ إذ سمعتُ كلمة من امرأة : قاتل الله ابني جمانة ما أشأهما ! فقمت كأني أهريق الماء ، وأشرقت على نَشْز من الأرض ؛ فإذا الدُّهُم من الرجال والسلاح والخيل والقذافات ؛ فإذا ابنا جمانة المراديان واقفان علينا ، قد أحدقوا بنا من كل ناحية ، فقلنا : ما تريدون ؟ قالوا : أنتم لصوص ؛ فأخرج ابن عطية كتابه ، وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين وعهده على الحج وأنا ابن عطية ، فقالوا : هذا باطل ، ولكنكم لصوص ؛ فأرأينا الشر . فركب الصفر ^(١) بن حبيب فرسه ، فقاتل وأحسن حتى قتل ؛ ثم ركب ابن عطية فقاتل حتى قُتِل ، ثم قتل مَنْ معنا وبقيت ، فقالوا : من أنت ؟ فقلت : رجل من هَمْدَان ، قالوا : من أي همدان أنت ؟ فاعتزيت إلى بطن منهم - وكنت عالمًا ببطون هَمْدَان - فتركوني ، وقالوا : أنت آمن ؛ وكلّ ما [كان] ^(٢) لك في هذا الرجل فخذْه ، فلو ادَّعيتُ المال كله لأعطوني . ثم بعثوا معي فرساناً حتى بلغوا بي صَعْدَةَ ، وأمنت ومضيتُ حتى قدمتُ مكة .

* * *

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة غزا الصّائفة — فيما ذكر — الوليد بن هشام، فنزل العمق وبني حصن مرّ عَش .

وفيهما وقع الطاعون بالبصرة .

وفي هذه السنة قَتَلَ قَحْطَبَةُ بْنُ شَيْبٍ مِنْ أَهْلِ جُرْجَانِ مَنْ قَتَلَ مِنْ أَهْلِهَا ؛ قِيلَ إِنَّهُ قَتَلَ مِنْهُمْ زُهَاءَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ — فِيمَا ذَكَرَ — عَنْ أَهْلِ جُرْجَانِ أَنَّهُ أَجْمَعَ رَأْيَهُمْ بَعْدَ مَقْتَلِ نَبَاتَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ عَلَى الْخُرُوجِ عَلَى قَحْطَبَةَ ، فَدَخَلَ قَحْطَبَةُ لَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ ؛ وَاسْتَعْرَضَهُمْ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَنْ ذَكَرْتُ . وَلَمَّا بَلَغَ نَصْرَ بْنَ سِيَارٍ قَتْلُ قَحْطَبَةَ نَبَاتَةَ وَمَنْ قَتَلَ مِنْ أَهْلِ جُرْجَانِ وَهُوَ بِقَوْمِيسَ ، ارْتَحَلَ حَتَّى نَزَلَ خُورَ الرَّيِّ .

وَكَانَ سَبَبُ نَزُولِ نَصْرِ قَوْمِيسَ — فِيمَا ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ — أَنَّ أَبَا الذِّيَالِ حَدَّثَهُ وَالْحَسَنُ بْنُ رَشِيدٍ وَأَبَا الْحَسَنِ الْجَشْمِيُّ ؛ أَنَّ أَبَا مُسْلِمَ كَتَبَ مَعَ الْمُنْهَالِ ابْنَ فِتَّانٍ ^(١) إِلَى زِيَادِ بْنِ زُرَّارَةَ الْقَشِيرِيِّ بِعَهْدِهِ عَلَى نَيْسَابُورَ بَعْدَ مَا قَتَلَ تَمِيمَ بْنَ نَصْرِ وَالنَّابِ بْنِ سُوَيْدِ الْعَجَلِيِّ ، وَكَتَبَ إِلَى قَحْطَبَةَ بِأَمْرِهِ أَنْ يَتَّبِعَ نَصْرًا ؛ فَوَجَّهَ قَحْطَبَةَ الْعَكْسَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ . وَسَارَ قَحْطَبَةُ حَتَّى نَزَلَ نَيْسَابُورَ ، فَأَقَامَ بِهَا شَهْرَيْنِ ؛ شَهْرِي رَمَضَانَ وَشَوَّالَ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، وَنَصَرَ نَازِلَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قَرْيِ قَوْمِيسَ يُقَالُ لَهَا بَذَشَ ، وَنَزَلَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قَيْسٍ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا الْمَمْدَ ^(٢) ؛ وَكَتَبَ نَصْرَ إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ يَسْتَمِدُّهُ وَهُوَ بِوَاسِطَ مَعَ نَاسٍ مِنْ وَجْهِ أَهْلِ خُرَّاسَانَ ؛ يَعِظُ الْأَمْرَ عَلَيْهِ ، فَحَبَسَ ابْنَ هُبَيْرَةَ رِسَالَتَهُ ، وَكَتَبَ نَصْرَ إِلَى مَرْوَانَ : إِنِّي وَجَّهْتُ إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ قَوْمًا مِنْ وَجْهِ أَهْلِ خُرَّاسَانَ لِيَعْلَمُوهُ أَمْرَ النَّاسِ مِنْ قَبْلِنَا ، وَسَأَلْتُهُ الْمَدَدَ فَاحْتَبَسَ رِسْلِي وَلَمْ يَمْدَنْ بِي بِأَحَدٍ ؛ وَإِنَّمَا أَنَا بِمَنْزِلَةٍ مِنْ أَخْرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى حَجْرَتِهِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ حَجْرَتِهِ إِلَى دَارِهِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ دَارِهِ إِلَى فَنَاءِ دَارِهِ ؛ فَإِنْ أَدْرَكَهُ مَنْ يَعِينُهُ فَعَسَى أَنْ يَعُودَ إِلَى دَارِهِ وَتَبْقَى لَهُ ؛ وَإِنْ أَخْرَجَ مِنْ دَارِهِ إِلَى الطَّرِيقِ فَلَا دَارَ لَهُ وَلَا فَنَاءَ .

فَكَتَبَ مَرْوَانَ إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ بِأَمْرِهِ أَنْ يَمْدَ نَصْرًا ، وَكَتَبَ إِلَى نَصْرِ يَعْلَمُهُ

(١) ا : « قَتَان » . (٢) كَذَا فِي ا ، رَأَى ط : « الْمَدَا » .

ذلك ، فكتب نصر إلى ابن هبيرة مع خالد مولى بنى ليث يسأله أن يعجل إليه
الجنود ، فإن أهل خراسان قد كذبتهم حتى ما رجل منهم يصدق لى قولاً ؛
فأمدتني بعشرة آلاف قبل أن تمدتني بمائة ألف ، ثم لا تغنى شيئاً .

* * *

وحجّ في هذه السنة بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان ؛ كذلك حدثني
أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ؛ عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكانت إليه مكة والمدينة والطائف .

وكان فيها العراق إلى يزيد بن عمر بن هبيرة .

وكان على قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المخاربى ، وكان على قضاء
البصرة عبّاد بن منصور ، وعلى خراسان نصر بن سيار ، والأمر بخراسان على
ما ذكرت .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة
ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر موت نصر بن سيار]

فمّا كان فيها من ذلك توجيه قحطبة ابنه الحسن إلى نصر وهو بقوميس .
فذكر على بن محمد ؛ أن زهير بن هنيذ والحسن بن رشيد وجبلة بن فروخ
التاجي ، قالوا : لما قُتِلَ نُبّاة ارتحل نصر بن سيار من بدّش ، ودخل خوار
وأمرها أبو بكر العقيلي ، ووجه قحطبة ابنه الحسن إلى قوميس في المحرم سنة
إحدى وثلاثين ومائة ، ثم وجه قحطبة أبا كامل وأبا القاسم محرز بن إبراهيم
وأبا العباس المروزي إلى الحسن في سبعمائة ، فلما كانوا قريباً منه ، انحاز
أبو كامل وترك عسكره ، وأتى نصرّاً فصار معه ، وأعلمه مكان القائد الذي
خلف ، فوجه إليهم نصر جنداً فأتوهم وهم في حائط فحصرهم ، فنقب
جميل بن مهران الحائط ، وهرب هو وأصحابه ، وخلّفوا شيئاً من متاعهم
فأخذه أصحاب نصر ، فبعث به نصر إلى ابن هُبيرة ، فعرض له عطيف
٢/٣ بالري ، فأخذ الكتاب من رسول نصر والمتاع ، وبعث به إلى ابن هُبيرة ،
فغضب ^(١) نصر ، وقال : أبى يتلعّب ^(٢) ابن هُبيرة ! أيّ شغب على بضغاييس
قيس ^(٣) ! أما والله لأدعته فليعرفنّ أنه ليس بشيء ولا ابنه الذي تربّص له
الأشياء . وسار حتى نزل الريّ - وعلى الريّ حبيب بن بُديل النهشليّ -
فخرج عطيف من الريّ حين قدّمها نصر إلى هَمّذان ، وفيها مالك بن
أدهم بن محرز الباهليّ على الصّحّصحيّة ، فلما رأى مالكا في هَمّذان
عدل منها إلى أصبّهان إلى عامر بن ضُبارة - وكان عطيف في ثلاثة
آلاف - وجهه ابن هُبيرة إلى نصّر ، فنزل الريّ ، ولم يأت نصرّاً . وأقام
نصر بالريّ يومين ثم مرض ، فكان يُحْمَلُ حَمَلاً ؛ حتى إذا كان
بساوة قريباً من هَمّذان مات بها ؛ فلما مات دخل أصحابه هَمّذان .

(٢) كذا في ١ .

(١) ط : « فعتب » ، وما أثبتته من ١ .

(٣) الضمير : الرجل الضعيف .

وكانت وفاة نصر — فيما قيل — لمضى اثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول ، وهو ابن خمس وثمانين سنة .

وقيل إن نصرًا لما شخص من خوار متوجّهًا نحو الرى لم يدخل الرى ولكنه أخذ المفازة التى بين الرى وهمذان فمات بها .

* * *

رجع الحديث إلى حديث على عن شيوخه . قالوا: ولما مات نصر بن سيار بعث الحسن خازم بن خزيمه إلى قرية يقال لها سمنان ، وأقبل قحطبة من جرجان ، وقدّم أمامه زياد بن زرارة القشيري ؛ وكان زياد قد ندّم على اتباع أبي مسلم ، فانخزل^(١) عن قحطبة ، وأخذ طريق أصبهان يريد أن يأتى^(٢) عامر بن ضبارة ، فوجّه قحطبة المسيّب بن زهير الضبيّ ، فلحقه من غد بعد العصر فقاتله ، فانهزم زياد ، وقتل عامة من معه ، ورجع المسيّب بن زهير إلى قحطبة ، ثم سار قحطبة إلى قوميس وبها ابنه الحسن ، فقدم خازم من الوجه الذى كان وجّهه فيه الحسن ، فقدم قحطبة ابنه الحسن إلى الرى . وبلغ حبيب ابن بديل النهشلى ومن معه من أهل الشام مسير الحسن ، فخرجوا من الرى ودخلها الحسن ، فأقام حتى قدم أبوه .

وكتب قحطبة حين قدم الرى إلى أبي مسلم يعلمه بنزوله الرى .

* * *

[أمر أبي مسلم مع قحطبة عند نزوله الرى]

قال أبو جعفر: وفى هذه السنة تحوّل أبو مسلم من مرسو إلى نيسابور فنزلها .

* ذكر الخبر عما كان من أمر أبي مسلم هنالك
ومن قحطبة بعد نزوله الرى:

ولما كتب قحطبة إلى أبي مسلم بنزوله الرى ارتحل أبو مسلم — فيما ذكر — من مرسو ، فنزل نيسابور وخندق بها ، ووجّه قحطبة ابنه الحسن بعد نزوله الرى بثلاث إلى همذان ؛ فذكر على عن شيوخه وغيرهم أن الحسن بن قحطبة لما توجه إلى همذان ؛ خرج منها مالك بن أدهم ومن كان بها من أهل الشام وأهل خراسان إلى نهاوند ، فدعاهم مالك إلى أرزاقهم ، وقال : من

(٢) بعدها فى ب : « على » .

(١) ابن الأثير : « فانخزل » .

كان له ديوان فليأخذ رزقه ، فترك قوم كثير دواوينهم ومضوا ، فأقام مالك وممن بقي معه من أهل الشام وأهل خراسان ممن كان مع نصر ، فسار الحسن من همدان إلى نهاوند ، فنزل على أربعة فراسخ من المدينة ، وأمدّه قحطبة بأبي الجهم بن عطية مولى باهلة في سبعمائة ، حتى أطاف بالمدينة ٤/٣ وحصرها^(١) .

• • •

[ذكر خبر قتل عامر بن ضبارة ودخول قحطبة أصبهان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قتل عامر بن ضبارة .

• ذكر الخبر عن مقتله وعن سبب ذلك :

وكان سبب مقتله أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر لما هزمه ابن ضبارة مضى هارباً نحو خراسان ، وسلك إليها طريق كيرمان ، ومضى عامر بن ضبارة في أثره لطلبه ، وورد على يزيد بن عمر مقتل نباتة بن حنظلة بمجرجان ؛ فذكر علي بن محمد أن أبا السري وأبا الحسن الجشمي والحسن ابن رشيد وجبله بن فروج وحفص بن شبيب أخبروه ، قالوا : لما قُتل نباتة كتب ابن هبيرة إلى عامر بن ضبارة وإلى ابنه داود بن يزيد بن عمر أن يسيرا إلى قحطبة - وكانا بكرمان - فسارا في خمسين ألفاً حتى نزلوا أصبهان بمدينة جتي - وكان يقال لعسكر ابن ضبارة عسكر العساكر - فبعث قحطبة إليهم مقاتلاً وأبا حفص المهلب وأبا حماد المروزي مولى بني سليم وموسى بن عتيقيل^(٢) وأسلم بن حسان وذؤيب بن الأشعث وكثلاثون من شبيب ومالك بن طريف والمخارق بن غفار والهيثم بن زياد ؛ وعليهم جميعاً العكبي ، فسار حتى نزل قم . وبلغ ابن ضبارة نزول الحسن بأهل نهاوند ، فأراد أن يأتيهم معيناً لهم ، وبلغ الخبر العكبي ، فبعث إلى قحطبة يعلمه ، فوجه زهير بن محمد إلى قاشان ، وخرج العكبي من قم وخلف بها طريف بن غيлян^(٣) ، فكتب إليه قحطبة يأمره أن يقيم حتى يقدم عليه ، وأن يرجع إلى قم ، وأقبل ٥/٣ قحطبة من الرّي ، وبلغه طلائع العسكرين ؛ فلما لحق قحطبة بمقاتل بن حكيم

(١) ب : « وحصرهم » . (٢) ط : « عقال » ، وانظر الفهرس . (٣) ا : « عجلان » .

العكى ضمّ عسكر العكى إلى عسكره ، وسار عامر بن ضُبارة إليهم وبينه وبين عسكر قَحْطَبَة فرسخ ، فأقام أياماً ، ثم سار قَحْطَبَة إليهم ، فالتقوا وعلى ميمنة قَحْطَبَة العكى ومعه خالد بن بَرْمَك ، وعلى ميسرته عبد الحميد بن رُبْعَى ومعه مالك بن طريف - وقحطبة في عشرين ألفاً وابن ضُبارة في مائة ألف ، وقيل في خمسين ومائة ألف - فأمر قَحْطَبَة بمصحف فنُصِب على رُمح ثم نادى : يا أهل الشام ، إنا ندعوكم إلى ما في هذا المصحف ، فشتموه وأفحشوا في القول ، فأرسل إليهم قحطبة : احمِلوا عليهم ، فحمل عليهم العكى ، وتهايج الناس ، فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم أهلُ الشام ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ، وحوّوا عسكرهم ، فأصابوا شيئاً لا يدري عدده من السلاح والمتاع والرقيق ، وبعث بالفتح إلى ابنه الحسن مع شُريح بن عبد الله .

قال عليّ : وأخبرنا أبو الذّيال ، قال : لقي قحطبة عامر بن ضُبارة ؛ ومع ابن ضُبارة ناس من أهل خُرَاسان ؛ منهم صالح بن الحجاج النميرى وبشر ابن بَسْطام بن عمران بن الفضل البرجميّ وعبد العزيز بن شماس المازنيّ وابن ضُبارة في خيل ليست معه رجالة ، وقحطبة معه خيل ورجالة . فرموا الخيل بالنشاب ، فانهزم ابن ضُبارة حتى دخل عسكره ، واتبعه قحطبة ، فترك ابن ضُبارة العسكر ، ونادى : إلىّ ، فانهزم الناس وقتل .

قال عليّ : وأخبرنا المفضل بن محمد الضبيّ ، قال : لما لقي قحطبة ابن ضُبارة انهزم داود بن يزيد بن عمر ، فسأل عنه عامر ، فقيل : انهزم ، فقال : لعن الله شرّاً منقلباً ! وقاتل حتى قتل .

قال عليّ : وأخبرنا حفص بن شبيب ، قال : حدثني مَنْ شهد قَحْطَبَة وكان معه ، قال : ما رأيتُ عسكراً قطّ جَمَعَ ما جمع أهلُ الشام بإصْبَهان من الخيل والسلاح والرقيق ، كأننا افتتحنا مدينةً ؛ وأصبنا معهم ما لا يحصى من البرابط والطنابير والمزامير ؛ ولَقَلَّ بيت أو خِباء ندخله إلا أصبنا فيه زُكْرَة أو زِقّاً من الخمر ، فقال بعض الشعراء :

لما رَمَيْنَا مُضْراً بالقَبِّ قَرَضَبَهُمْ قَحْطَبَةُ الْقِرْضَبِ
يَدْعُونَ مَرَوَانَ كَدَعَوَى الرَّبِّ *

[ذكر خبر محاربة قحطبة أهل نهاوند ودخولها]

وفي هذه السنة كانت وقعة قحطبة بنهاوند بمن^١ كان لجا إليها من جنود مروان بن محمد . وقيل : كانت الوقعة بجابلق من أرض أصبـهـان يوم السبت لسبع بقين من رجب .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة :

ذكر علي^٢ بن محمد أن الحسن بن رشيد وزهير بن الهنيد أخبراه أن ابن ضبارة لما قتل كتب بذلك قحطبة إلى ابنه الحسن ، فلما أتاه الكتاب كبر وكبر جنده ، ونادوا بقتله ، فقال عاصم بن عمير^(١) السُّغْدِيّ : ما صاح هؤلاء بقتل ابن ضبارة إلا وهو حق ، فاخرجوا إلى الحسن بن قحطبة وأصحابه ؛ فإنكم لا تقومون لهم ، فتذهبون حيث شئتم قبل أن يأتيه أبوه أو مدده^(٢) . فقالت الرّجالة : تخرجون وأنتم فرسان على خيول فتذهبون وتركونا ! فقال لهم مالك ابن أدهم الباهلي^٣ : كتب إلى ابن هبيرة ولا أبرح حتى يقدم علي^٤ . فأقاموا وأقام قحطبة بأصبهان عشرين يوماً ، ثم سار حتى قدم على الحسن نهاوند فحصرهم أشهراً ، ثم دعاهم إلى الأمان فأبوا ، فوضع عليهم الحنانق ، فلما رأى ذلك مالك طلب الأمان لنفسه ولأهل الشام – وأهل خراسان لا يعلمون – فأعطاه الأمان فوفى له قحطبة ، ولم يقتل منهم أحداً ، وقتل من كان بنهاوند من أهل خراسان ، إلا الحكم بن ثابت بن أبي مسعر الحنفي^٥ ، وقتل من أهل خراسان أبا كامل وحاتم بن الحارث بن شريح وابن نصر بن سيار وعاصم بن عمير وعلي^٦ بن عقيل وبيسبس بن بديل من بني سليم ؛ من أهل الجزيرة ، ورجلا من قريش يقال له البخري^٧ ، من أولاد عمر بن الخطاب – وزعموا أن آل الخطاب لا يعرفونه – وقطن بن حرب الهلالي^٨ .

قال علي^٩ : وحدّثنا يحيى بن الحكم الهمداني^{١٠} ، قال : حدّثني مولى لنا قال : لما صالح مالك بن أدهم قحطبة قال بيهس بن بديل : إن ابن أدهم لمصالح^(٣) علينا ؛ والله لأفتكن به ؛ فوجد أهل خراسان أن قد فتح لهم الأبواب ، ودخلوا وأدخل قحطبة من كان معه من أهل خراسان حائطاً .

(١) ب : « عمر » . (٢) ١ : « مدد من قبله » . (٣) ط : « ليصالح » .

وقال غير عليّ : أرسل قَحْطَبَةَ إلى أهل خُرَّاسان الذين في مدينة نَهْاوَند
يَسُدُّوهم إلى الخُروج إليه ، وأعطاهم الأمان ، فأبوا ذلك . ثم أرسل إلى أهل
الشَّام بمثل ذلك فقبلوا ، ودخلوا في الأمان بعد أن حوصروا ثلاثة أشهر : شعبان
ورمضان وشوّال ، وبعث أهل الشَّام إلى قَحْطَبَةَ يسألونه أن يشغل أهل المدينة
حتى يفتحوا الباب وهم لا يشعرون ، ففعل ذلك قَحْطَبَةُ ، وشغل أهل المدينة
بالمُقاتلة ، ففتح أهل الشَّام الباب الذي كانوا عليه ؛ فلما رأى أهل خُرَّاسان
الذين في المدينة خروجَ أهل الشَّام ، سألوهم عن خروجهم ، فقالوا : أخذنا
الأمان لنا ولكم ، فخرج رؤساء أهل خُرَّاسان ، فدفع قحطبة كلَّ رجل
منهم إلى رجلٍ من قوَّاد أهل خُرَّاسان ، ثم أمر مناديه فنَادى : مَنْ كان في
يده أسير مِمَّن خرج إلينا من أهل المدينة فليضرب عنقه ، وليأتنا برأسه . ففعلوا
ذلك ، فلم يبقَ أحدٌ مِمَّن كان قد هرب من أبي مسلم وصاروا إلى الحصن إلَّا قتل ،
ما خلا أهل الشَّام فإنه خلَّى سبيلهم ، وأخذ عليهم ألا يمالئوا عليه عدوًّا .

• • •

رجع الحديث إلى حديث عليّ عن شيوخه الذين ذكرت : ولما أدخل
قحطبة الذين كانوا بنَهْاوَند من أهل خُرَّاسان ومن أهل الشَّام الحائط ، قال لهم
عاصم بن عمير : ويلكم ! ألا تدخلون الحائط ! وخرج عاصم فلبس درعه ، ولبس
سواداً كان معه ، فلقبه شاكرى كان له بخُرَّاسان فعرَّفه ، فقال : أبو الأسود ؟
قال : نعم ، فأدخله في سَرَّاب ، وقال للغلام له : احتفظ به ولا تطلعن عليّ
مكانه أحدًا ، وأمر قحطبة : مَنْ كان عنده أسيراً فليأتنا به . فقال الغلام
الذي كان وُكِّلَ بعاصم : إن عندى أسيراً أخاف أن أغلب عليه ، فسمعه
رجلٌ من أهل اليمن ، فقال : أرنيه ، فأراه إياه فعرَّفه ، فأتى قحطبة فأخبره ،
وقال : رأس من رءوس الجبابرة ، فأرسل إليه فقتله ، ووفى لأهل الشَّام فلم
يقتل منهم أحدًا .

قال عليّ : وأخبرنا أبو الحسن الخُرَّاسانيّ وجبله بن فروخ ؛ قالوا : لما قدم
قحطبة نهْاوَند والحسن محاصره ، أقام قَحْطَبَةُ عليهم ، ووجه الحسن
إلى مَرَّج القلعة ، فقدم الحسن خازم بن خُزَيْمَةَ إلى حُلوان ، وعليها عبد الله

ابن العلاء الكِنْدِيّ ، فهرب من حُلوان وخلاّها .
 قال عليّ : وأخبرنا محرز بن إبراهيم ، قال : لما فتح قحطبة نَسْهَونْد ،
 أرادوا أن يكتبوا إلى مَرْوَان باسم قَحْطُبة ، فقالوا : هذا اسم شنيع ، اقلبوه
 فجاء « هبط حق » ، فقالوا : الأول مع شنعته أيسر من هذا . فردّوه ^(١) .

* * *

[ذكر وقعة شهرزور وفتحها]

وفي هذه السنة كانت وقعة أبي عون بشهرزور .

• ذكر الخبر عنها وعمّا كان فيها :

ذكر عليّ أن أبا الحسن وجسيلة بن فروخ ، حدثاه قالا : وجه قحطبة
 أبا عون عبد الملك بن يزيد الخراساني ومالك بن طريف ^(٢) الخراساني في أربعة
 آلاف إلى شهرزور ، وبها عثمان بن سفيان على مقدمة عبد الله بن مَرْوَان ،
 فقدم أبو عون ومالك ، فنزلا على فرسخين من شهرزور ، فأقاما به يوماً وليلة ،
 ثم ناهضا عثمان بن سفيان في العشرين من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين ومائة
 فقتل عثمان بن سفيان ، وبعث أبو عون بالبشارة مع إسماعيل بن المتوكل ،
 وأقام أبو عون في بلاد الموصل .

وقال بعضهم : لم يُقتل عثمان بن سفيان ، ولكنه هرب إلى عبد الله بن
 مَرْوَان ، واستباح أبو عون عسكره ، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة بعد قتال
 شديد . وقال : كان قحطبة وجه أبا عون إلى شهرزور في ثلاثين ألفاً بأمر
 أبي مسلم إياه بذلك . قال : ولما بلغ خبر أبي عون مروان وهو بحرّان ، ارتحل ^{١٠/٣}
 منها ومعه جنود الشام والجزيرة والموصل ، وحشرت بنو أمية معه أبناءهم مقبلا
 إلى أبي عون ؛ حتى انتهى إلى الموصل ، ثم أخذ في حفر الخنادق من خندق
 إلى خندق ؛ حتى نزل الزّاب الأكبر ، وأقام أبو عون بشهرزور بقية ذي الحجة
 والمحرم من سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وفرض فيها خمسة آلاف رجل .

(١) : « فتركوه » .

(٢) : أ ب : « طراف » ، ابن الأثير : « طرافة » .

[ذكر خبر مسير قحطبة إلى ابن هبيرة بالعراق]

وفي هذه السنة سار قحطبة نحو ابن هبيرة ؛ ذكر علي بن محمد أن أبا الحسن أخبره وزهير بن هُنَيْد وإسماعيل بن أبي إسماعيل وجبله بن فروخ ، قالوا : لما قدم علي ابن هبيرة ابنه منهزماً من حلوان ، خرج يزيد بن عمر بن هبيرة ، فقاتل قحطبة في عدد كثير لا يُحصى مع حوثة بن سهيل الباهلي ، وكان مروان أمدّ ابن هبيرة به ، وجعل على الساقة زياد بن سهل الغطّافاني ، فسار يزيد بن عمر بن هبيرة ، حتى نزل جسلولاء الوقعة وخندق ، فاحتفر الخندق الذي كانت العجم احتفرته أيام وقعة جلولاء ؛ وأقبل قحطبة حتى نزل قوماسين ، ثم سار إلى حلوان ، ثم تقدّم من حلوان ، فنزل خانقين ، فارتحل قحطبة من خانقين ، وارتحل ابن هبيرة راجعاً إلى الدّسكرة .

وقال هشام عن أبي مخنف ، قال : أقبل قحطبة ، وابن هبيرة مخندق بجلولاء ، فارتفع إلى عكسبراء ، وجاز قحطبة دجلة ، ومضى حتى نزل دما دون الأنبار^(١) ، وارتحل ابن هبيرة بمرّنه معه منصرفاً مبادراً إلى الكوفة لقحطبة ، حتى نزل في الفرات في شريقته ، وقدم حوثة في خمسة عشر ألفاً إلى الكوفة ، وقطع قحطبة الفرات من دما ، حتى صار من غريبته ، ثم سار يريد الكوفة حتى انتهى إلى الموضع الذي فيه ابن هبيرة .

* * *

وفي هذه السنة حجّ بالناس الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي ؛ سعد هوازن ، وهو ابن أخى عبد الملك بن محمد بن عطية الذي قتل أبا حمزة الخارجي . وكان إلى المدينة من قبل عمه ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال الواقدي وغيره .

وقد ذكر أن الوليد بن عروة إنما كان خرج خارجاً من المدينة ، وكان مروان قد كتب إلى عمه عبد الملك بن محمد بن عطية يأمره أن يحجّ بالناس وهو باليمن ؛ فكان من أمره ما قد ذكرت قبل ، فلما أبطأ عليه عمه عبد الملك

افتعل كتاباً من عمته يأمره بالحجّ بالناس ، فحجّ بهم .
 وذكر أن الوليد بن عروة بلغه قتلُ عمه عبد الملك فضى [إلى] الذين قتلوه ،
 فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وبقرَ بطون نسايتهم ، وقتل الصبيان ، وحرّق
 بالنيران من قدر عليه منهم .

* * *

وكان عامل مكة والمدينة والطائف في هذه السنة الوليد بن عروة السعديّ
 من قبل عمه عبد الملك بن محمد ، وعامل العراق يزيد بن عمر بن هبيرة .
 وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربيّ ، وعلى قضاء البصرة عبّاد
 ابن منصور الناجي .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

١٢/٣

* * *

[ذكر الخبر عن هلاك قحطبة بن شبيب]

فَمَا كَانَ فِيهَا هَلَاكُ قَحْطَبَةَ بْنِ شَبِيبٍ .

* ذكر الخبر عن مهلكه وسبب ذلك :

فكان السبب في ذلك أن قحطبة لما نزل خانقين مقبلاً إلى ابن هبيرة ، وابن هبيرة بجملولاء ، ارتحل ابن هبيرة من جملولاء إلى الدسكرة ، فبعث — فيما ذكر — قحطبة ابنه الحسن طليعةً ليعلم له خبر ابن هبيرة ، وكان ابن هبيرة راجعاً إلى خندقه بجملولاء ، فوجد الحسن بن هبيرة في خندقه ، فرجع إلى أبيه فأخبره بمكان ابن هبيرة ؛ فذكر على بن محمد ، عن زهير بن هنيد وجبله ابن فروخ وإسماعيل بن أبي إسماعيل والحسن بن رشيد ، أن قحطبة ، قال لأصحابه لما رجع ابنه الحسن إليه وأخبره بما أخبره به من أمر ابن هبيرة : هل تعلمون طريقاً يخرجنا إلى الكوفة ، لانتم بابن هبيرة ؟ فقال خلف بن المورع الهمداني ، أحد بني تميم : نعم ، أنا أدلك ، فعبر به تامراً من رؤس ثقباذ ، ولزم الجادة حتى نزل بزرّج سابور ، وأتى عكبراء ، فعبر دجلة إلى أوانا .

قال على : وحدّثنا إبراهيم بن يزيد الخراساني ، قال : نزل قحطبة بخانقين وابن هبيرة بجملولاء ؛ بينهما خمسة فراسخ ، وأرسل طلائعه إلى ابن هبيرة ليعلم علمه ، فرجعوا إليه ، فأعلموه أنه مقيم ، فبعث قحطبة خازم بن خزيمه ، وأمره أن يعبر دجلة ، فعبر وسار بين دجلة ودجيسل ؛ حتى نزل كوئبا^(١) ؛ ثم كتب إليه قحطبة يأمره بالمسير إلى الأنبار ، وأن يُحذر إليه ما فيها من السفن وما قدّر عليه يعبرها ، ويوافيه بها بدميماً ، ففعل ذلك خازم ، ووافاه قحطبة بدميماً ، ثم عبر قحطبة الفُرات في المحرم من سنة اثنتين وثلاثين

١٢/٣

ومائة، ووجه الأثقال في البرية، وصارت الفرسان معه على شاطئ الفرات، وابن هبيرة معسكر على فم الفرات من أرض الفلوجة العليا، على رأس ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة، وقد اجتمع إليه فتل ابن ضبارة، وأمدّه مروان بحوثة بن سهيل الباهلي في عشرين ألفاً من أهل الشام.

وذكر على أن الحسن بن رشيد وجبله بن فروخ أخبراه أن قحطبة لما ترك ابن هبيرة ومضى يريد الكوفة، قال حوثة بن سهيل الباهلي وناس من وجوه أهل الشام لابن هبيرة: قد مضى قحطبة إلى الكوفة، فاقصد أنت خراسان، ودعه ومروان فإنك تكسره، فبالحرى أن يتبعك، فقال: ما هذا برأى، ما كان ليتبعني ويدع الكوفة؛ ولكن الرأي أن أبادره إلى الكوفة. ولما عبر قحطبة الفرات، وسار على شاطئ الفرات ارتحل ابن هبيرة من معسكره بأرض الفلوجة، فاستعمل على مقدمته حوثة بن سهيل، وأمره بالمسير إلى الكوفة، والفريقان يسيران على شاطئ الفرات؛ ابن هبيرة بين الفرات وسورا، وقحطبة في غربيه مما يلي البر. ووقف قحطبة فعبّر إليه رجل أعرابي في زورق، فسلم على قحطبة، فقال: ممن أنت؟ قال: من طيئ، فقال الأعرابي لقحطبة: اشرب من هذا واسقني سورك، فغرف قحطبة في قصعة فشرب وسقاه، فقال: الحمد لله الذي نسأ أجلي حتى رأيت هذا الجيش يشرب من هذا الماء. قال قحطبة: أتتلك الرواية؟ قال: نعم؛ قال: ممن أنت؟ قال: من طيئ، ثم أحد بني نسيهان، فقال قحطبة: صدقني إمامي، أخبرني أن لي وقعة على هذا النهر لي فيها النصر، يا أخا بني نيهان، هل ها هنا مخاضة؟ قال: نعم ولا أعرفها، وأدلك على من يعرفها؛ السندی بن عصم. فأرسل إليه قحطبة، فجاء وأبو السندی وعون، فدلّوه على المخاضة وأمسى ووافته مقدمة ابن هبيرة في عشرين ألفاً، عليهم حوثة.

فذكر على، عن ابن شهاب العبدى، قال: نزل قحطبة الجبارية^(١) فقال: صدقني الإمام أخبرني أن النصر بهذا المكان، وأعطى الجند أرزاقهم، فرد عليه كاتبه ستة عشر ألف درهم، فضل الدرهم والدرهمين وأكثر وأقل، فقال: لا تزالون بخير ما كنتم على هذا. ووافته خيول الشام، وقد دلّوه على

(١) كذا في ب وابن الأثير، وفي أ، ط «الحاضرة» بدون نقط.

مخاضة فقال : إنما أنتظر شهر حرام وليلة عاشوراء ، وذلك سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

• • •

وأما هشام بن محمد ، فإنه ذكر عن أبي مخنف أن قحطبة انتهى إلى موضع مخاضة ذكرت له ، وذلك عند غروب الشمس ليلة (١) الأربعاء ؛ لثمان خلون من المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فلما انتهى قحطبة إلى المخاضة افتحمت في عبدة من أصحابه ، حتى حمل على ابن هبيرة ، وولى أصحابه منهزمين ؛ ثم نزلوا فم النيل ، ومضى حوثة حتى نزل قصر ابن هبيرة ، وأصبح أهل خراسان وقد فقدوا أميرهم ، فألقوا بأيدهم ، وعلى الناس الحسن بن قحطبة .

• • •

١٥/٣

رجع الحديث إلى حديث عليّ عن ابن شهاب العبدى : فأما صاحب علم قحطبة خيران أو يسار مولاه ، فقال (٢) له : اعبر ، وقال لصاحب رايته مسعود بن علاج (رجل من بكر بن وائل) : اعبر ، وقال لصاحب شرطته عبد الحميد بن ربعي أبي غانم أحد بني نبهان من طيء : اعبر يا أبا غانم ، وأبشر بالغنيمة . وعبر جماعة حتى عبر أربعمائة ، فقاتلوا أصحاب حوثة حتى نحوهم عن الشريعة ، ولقوا محمد بن نباتة فقاتلوه ، ورفعوا النيران ، وانهزم أهل الشام ، وفقدوا قحطبة فبايعوا حميد بن قحطبة على كره منه ، وجعلوا على الأثقال رجلاً يقال له أبو نصر في مائتين ، وسار حميد حتى نزل كربلاء ، ثم دبر الأعور ثم العباسية .

قال عليّ : أخبرنا خالد بن الأصفح وأبو الذيثال ، قالوا : وجِد قحطبة فدفنه أبو الجهم ، فقال رجل من عرض الناس : من كان عنده عهد من قحطبة فليخبرنا به ، فقال مقاتل بن مالك العكبي : سمعت قحطبة يقول : إن حدث بي حدث فالحسن أمير الناس ، فبايع الناس حميداً للحسن ، وأرسلوا إلى الحسن ، فلحقه الرسول دون قرية شاهی ، فرجع الحسن فأعطاه أبو الجهم خاتم قحطبة ، وبايعوه ، فقال الحسن : إن كان قحطبة مات فأنا ابن قحطبة . وقتل في هذه الليلة ابن نَبْهَان السدوسيّ وحرب بن سلم بن

(٢) ط : « قال » .

(١) ط : « عشيّة » .

أحوز وعيسى بن إياس العدويّ ورجل من الأساورة، يقال له مصعب، وادّعى
 قتل قحطبة معن بن زائدة ويحيى بن حُضَيْن .
 ١٦/٣

قال عليّ : قال أبو الذِّيَال : وجدوا قحطبة قتيلاً في جدول وحرب بن
 سلم بن أحوز قتيلاً إلى جسّبه ، فظنوا أن كلّ واحد منهما قتل صاحبه .

قال عليّ : وذكر عبد الله بن بدر قال : كنتُ مع ابن هبيرة ليلة قحطبة
 فعبروا إلينا ، فقاتلونا على مسنّة عليها خمسة فوارس ؛ فبعث ابنُ هبيرة
 محمد بن نباتة ، فتلّقاهم فدفعناهم دفعاً ، وضرب معن بن زائدة قحطبة على حبل
 عاتقه ، فأسرعه فيه السيف ، فسقط قحطبة في الماء فأخرجوه ، فقال : شدُّوا
 يديّ ، فشدّوها بعمامة ، فقال : إن متّ فألقوني في الماء لا يعلم أحد بقتلي .
 وكرّ عليهم أهل خراسان ، فانكشف ابن نباتة وأهل الشام ، فاتبعونا وقد
 أخذ طائفة في وجهه ، ولحقنا قوم من أهل خراسان ، فقاتلناهم طويلاً ، فما
 نجونا إلّا برجلين من أهل الشام قاتلوا عنا قتالاً شديداً ، فقال بعض الخراسانية :
 دعوا هؤلاء الكلاب (بالفارسية) فانصرفوا عنا . ومات قحطبة وقال قبل موته :
 إذا قدمتم الكوفة فوزير الإمام أبو سلمة ؛ فسلموا هذا الأمر إليه . ورجع
 ابن هبيرة إلى واسط .

وقد قيل في هلاك قحطبة قول غير الذي قاله من ذكرنا قوله من شيوخ
 عليّ بن محمد ؛ والذي قيل من ذلك أن قحطبة لما صار بجذاء ابن هبيرة من
 الجانب الغربي من الفرات ، وبينهما الفرات ، قدّم الحسن ابنه على مقدّمته ،
 ثم أمر عبد الله الطائيّ ومسعود بن علاج وأسد بن المرزبان وأصحابهم بالعبور
 على خيولهم في الفرات ، فعبروا بعد العصر ، فطعن أول فارس لقيهم من
 أصحاب ابن هبيرة ، فولّوا منهزمين حتى بلغت هزيمتهم جسر سورا حتى
 اعترضهم سويد صاحب شرطة ابن هبيرة ، فضرب وجوههم ووجوه دوابهم
 حتى ردّهم إلى موضعهم ؛ وذلك عند المغرب ؛ حتى انتهوا إلى مسعود بن
 علاج ومن معه ؛ فكثروهم ، فأمر قحطبة المخارق بن غفار وعبد الله بسّام وسلمة
 ابن محمد - وهم في جريدة خيل - أن يعبروا ، فيكونوا ردّاً لمسعود بن علاج ،

فعبروا ولقيهم محمد بن نباتة ، فحصر سلمة ومن معه بقرية على شاطئ
الفرات ، وترجل سلمة ومن معه ، وحمى القتال ، فجعل محمد بن نباتة
يحمل على سلمة وأصحابه ، فيقتل العشرة والعشرين ، ويحمل سلمة وأصحابه
على محمد بن نباتة وأصحابه ، فيقتل منهم المائة والمائتين ، وبعث سلمة إلى
قحطبة يستمدّه ، فأمدّه بقواده جميعاً ، ثم عبر قحطبة بفُرسانه ، وأمر كل
فارس أن يردف رجلاً ؛ وذلك ليلة الخميس لليال خلون من المحرم ، ثم واقع
قحطبة محمد بن نباتة ومن معه ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فهزّمهم قحطبة
حتى ألحقهم بابن هُبيرة ، وانهزم ابن هُبيرة بهزيمة ابن نباتة ، وخلّوا عسكرهم
وما فيه من الأموال والسلاح والرّثة^(١) والآنية وغير ذلك ؛ ومضت بهم الهزيمة
حتى قطعوا جسر الصّراة ، وساروا ليلتهم حتى أصبحوا بفم النيل ، وأصبح
أصحاب قحطبة وقد فقدوه ؛ فلم يزالوا في رجاء منه إلى نصف النهار ، ثم
يشسوا منه وعلموا بغرقه ، فأجمع القوّاد على الحسن بن قحطبة فولّوه الأمر
وبايعوه ، فقام بالأمر وتولاه ، وأمر بإحصاء ما في عسكر ابن هُبيرة ، ووكل
بذلك رجلاً من أهل خراسان يكنى أبا النضر^(٢) في مائتي فارس ، وأمر بحمل
الغنائم في السفن إلى الكوفة ، ثم ارتحل الحسن بالجنود حتى نزل كربلاء ،
ثم ارتحل فنزل سورا ، ثم نزل بعدها دير الأعور ، ثم سار منه فنزل العباسيّة . ١٨/٣
وبلغ حوثرة هزيمة ابن هُبيرة ، فخرج بمن معه حتى لحق بابن هُبيرة بواسط .

وكان سبب قتل قحطبة - فيما قال هؤلاء - أن أحلم بن إبراهيم بن بسام مولى
بنى ليث قال : لما رأيت قحطبة في الفرات ، وقد سبّحت به دابته حتى كادت
تعبر به من الجانب الذي كنت فيه أنا وبسام بن إبراهيم أخى - وكان بسام
على مقدّمة قحطبة - فذكرت من قُتل من ولد نصر بن سيار وأشياء ذكرتها
منه ؛ وقد أشفقت على أخى بسام بن إبراهيم لشىء بلغه عنه ، فقلت : لا
طلبتُ بثأر أبداً إن نجوت الليلة . قال : فأتلقاه وقد صعدت به دابته لتخرج
من الفرات وأنا على الشطّ ، فضربته بالسيف على جبينه ، فوثب فرسه ، وأعجله
الموت ؛ فذهب في الفرات بسلاحه . ثم أخبر ابن حصين السعدى بعد موت

أحلم بن إبراهيم بمثل ذلك ، وقال : لولا أنه أقرّ بذلك عند موته ما أُخبرتُ عنه بشيء .

* * *

[ذكر خبر خروج محمد بن خالد بالكوفة مسوداً]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة خرج محمد بن خالد بالكوفة ، وسودّ قبل أن يدخلها الحسن بن قحطبة ، وخرج عنها عامل ابن هبيرة ، ثم دخلها الحسن .

* ذكر الخبر عما كان من أمر من ذكرت :

ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، قال : خرج محمد بن خالد بالكوفة في ليلة عاشوراء ، وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثي ، وعلى شرطه عبد الرحمن ابن بشير العجليّ ؛ وسودّ محمد وسار إلى القَصْرِ ، فارتحل زياد بن صالح وعبد الرحمن بن بشير العجليّ ومَنَ معهم من أهل الشام ، وخلّوا^(١) القصر ، ١٩/٣ فدخله محمد بن خالد ، فلما أصبح يوم الجمعة — وذلك صبيحة اليوم الثاني من مهلك قحطبة — بلغه نزولُ حوثة^(٢) ومَنَ معه مدينة ابن هبيرة ، وأنه تهيأً للمسير إلى محمد ، فتفرّق عن محمد عامة مَنَ معه حيث بلغهم نزول حوثة مدينة ابن هبيرة ، ومسيره إلى محمد لقتاله ؛ إلّا فرساناً من فرسان أهل اليمن ، ممن كان هرب من مسروان ومواليه . وأرسل إليه أبو سلمة الخلال — ولم يظهر بعد — يأمره بالخروج من القصر والحق بأسفل الفرات ؛ فإنه يخاف عليه لقلّة مَنَ معه وكثرة مَنَ مع حوثة — ولم يبلغ أحداً من الفريقين هلاكُ قحطبة — فأبى محمد بن خالد أن يفعلَ حتى تعالى النهار ، فتهيأ حوثة للمسير إلى محمد بن خالد ؛ حيث بلغه قلّة مَنَ معه وخذلان العامة له ، فبينما محمد في القصر إذ أتاه بعض طلائعه ، فقال له : خيلٌ قد جاءت من أهل الشام ، فوجه إليهم عدّة من مواليه ، فأقاموا بباب دار عمر بن سعد ؛ إذ طلعت الرّيايات لأهل الشام ، فتهيّئُوا لقتالهم ، فنادى الشاميون : نحن بجيلة ، وفيينا مليح بن خالد البجليّ ، جئنا لندخل في طاعة الأمير . فدخلوا ، ثم جاءت خيل أعظم منها مع رجل من آل بحدل ، فلما رأى ذلك حوثة من صنع

(٢) ب : « الحوثة » .

(١) ب : « ودخلوا » .

أصحابه ، ارتحل نحو واسط بمن معه ، وكتب محمد بن خالد من ليلته إلى قحطبة ؛ وهو لا يعلم بهلُكته ؛ يعلمه أنه قد ظفر بالكوفة ، وعجل به مع فارس ؛ فقدم على الحسن بن قحطبة ، فلما دفع إليه كتاب محمد بن خالد قرأه على الناس ، ثم ارتحل نحو الكوفة ، فأقام محمد بالكوفة يوم الجمعة والسبت والأحد وصَبَّحه الحسن يوم الاثنين ، فأتوا أبا سلمة وهو في بني سلمة^(١) فاستخرجوه ، فعسكر بالتَّخِيلَة يومين ، ثم ارتحل إلى حمّام أعين ، ووجه الحسن ابن قحطبة إلى واسط لقتال ابن هُبيرة .

وأما عليّ بن محمد ، فإنه ذكر أن عمارة مولى جبرائيل بن يحيى أخبره ، قال : بايع أهلُ خراسان الحسن بعد قحطبة ، فأقبل إلى الكوفة ، وعليها يومئذ عبد الرحمن بن بشير العجليّ ، فأتاه رجل من بني ضَبّة ، فقال : إن الحسن داخل اليوم أو غداً ؛ قال : كأنك جئتَ ترهبني ! وضربه ثلثمائة سوط . ثم هرب فسوّد محمد بن خالد بن عبد الله القسريّ ، فخرج في أحد عشر رجلاً ، ودعا الناس إلى البيعة ، وضبط الكوفة ، فدخل الحسن من الغد ، فكانوا يسألون في الطريق : أين منزل أبي سلمة ، وزير آل محمد ؟ فدلّوهم عليه ، فجاءوا حتى وقفوا على بابيه ، فخرج إليهم ، فقدّموا له دابة من دواب قحطبة فركبها ، وجاء حتى وقف في جَبانة السَّبَّيع ، وبايع أهل خراسان ، فكثّ أبو سلمة حفص بن سليمان مولى السَّبَّيع — يقال له وزير آل محمد — واستعمل محمد بن خالد بن عبد الله القسريّ على الكوفة — وكان يقال له الأمير — حتى ظهر أبو العباس .

وقال عليّ : أخبرنا جبلة بن فروخ وأبو صالح المروزيّ وعمارة مولى جبرائيل وأبو السريّ وغيرهم ممن قد أدرك أولَ دعوة بني العباس ، قالوا : ثم وجه الحسن ابن قحطبة إلى ابن هُبيرة بواسط ، وضمّ إليه قُوّاداً ، منهم خازم بن خزيمه ومقاتل بن حكيم العكيّ وخفّاف بن منصور وسعيد بن عمرو وزياد بن مشكان والفضّل بن سليمان وعبد الكريم بن مسلم وعثمان بن نَهْمِيك وزهير بن محمد والهيثم بن زياد وأبو خالد المروزيّ وغيرهم ، ستة عشر قائداً وعلى جميعهم

الحسن بن قحطبة . ووجه حميد بن قحطبة إلى المدائن في قواد ؛ منهم عبد الرحمن بن نعيم ومسعود بن علاج ؛ كل قائد في أصحابه . وبعث المسيب بن زهير وخالد بن برمك إلى ديرقنسى ، وبعث المهلب وشراحيل في أربعمئة إلى عيّن التمر ، وبسّام بن إبراهيم بن بسام إلى الأهواز ، وبها عبد الواحد ابن عمر بن هبيرة . فلما أتى بسام الأهواز خرج عبد الواحد إلى البصرة ، وكتب مع حفص بن السبيّع إلى سفيان بن معاوية بعهد على البصرة ، فقال له الحارث أبو غسان الحارثي - وكان يتكهن وهو أحد بني الديان : لا ينفذ هذا العهد . فقدم الكتاب على سفيان ، فقاتله سلم بن قتيبة ، وبطل عهد سفيان . وخرج أبو سلمة فمسكر عند حمام أعين ، على نحو من ثلاثة فراسخ من الكوفة ، فأقام محمد بن خالد بن عبد الله بالكوفة .

وكان سبب قتال سلم بن قتيبة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب - فيما ذكر - أن أبا سلمة الخلال وجه إذ فرق العمال في البلدان بسّام بن إبراهيم مولى بني ليث إلى عبد الواحد بن عمر بن هبيرة وهو بالأهواز ، فقاتله بسام حتى فضّه ، فلحق سلم بن قتيبة الباهليّ بالبصرة ؛ وهو يومئذ عامل ليزيد بن عمر بن هبيرة . وكتب أبو سلمة إلى الحسن بن قحطبة أن يوجه إلى سلم من أحب من قواده ، وكتب إلى سفيان بن معاوية بعهد على البصرة ، وأمره أن يظهر بها دعوة بني العباس ، ويدعو إلى القائم منهم ؛ وينفى^(١) سلم ابن قتيبة . فكتب سفيان إلى سلم يأمره بالتحوّل عن دار الإمارة ، ويخبره بما أتاه من رأى أبي سلمة ؛ فأبى سلم ذلك ، وامتنع منه ، وحشد مع سفيان جميع المانيّة وحلفاءهم من ربيعة وغيرهم ، وجنح إليه قائد من قواد ابن هبيرة ؛ وكان بعثه مدداً لسلم في ألوي رجل من كلب ، فأجمع السير إلى سلم بن قتيبة ، فاستعد له سلم ، وحشد معه من قدر عليه من قيس وأحياء مضر ومن كان بالبصرة من بني أمية ومواليهم ، وسارعت بنو أمية إلى نصره .

فقدم سفيان يوم الخميس وذلك في صفر ؛ فأتى المربد سلم ، فوقف منه عند سوق الإبل ، ووجه الخيول في سكة المربد وسائر سبائك البصرة للقاء من وجه إليه سفيان ، ونادى : من جاء برأس فله خمسمائة درهم ، ومن

جاء بأسير فله ألف درهم . ومضى معاوية بن سفيان بن معاوية في ربيعة خاصة ، فلقبه خيل^(١) من تميم في السكة التي تأخذ إلى بني عامر في سكة المربيد عند الدار التي صارت لعمر بن حبيب ، فطعن رجل^٢ منهم فرس معاوية ، فشب به فصرعه ؛ فنزل إليه رجل من بني ضبة يقال له عياض ، فقتله ، وحمل رأسه إلى سلم بن قتيبة ، فأعطاه ألف درهم ، فانكسر سفيان لقتل ابنه ، فانهزم ومسن معه ، وخرج من فتوره هو وأهل بيته حتى أتى القصر الأبيض فنزلوه ، ثم ارتحلوا منه إلى كسكس .

وقدم على سلم بعد غلبته على البصرة جابر بن توبة الكلابي والوليد بن عتبة الفراسي ، من ولد عبد الرحمن بن سمرة في أربعة آلاف رجل ، كتب إليهم ابن هبيرة أن يصيروا مدداً لسلم وهو بالأهواز ، فغدا جابر بمسن معه على دور المهلب وسائر الأزد ، فأغاروا عليهم ، فقاتلهم مسن بقي من رجال الأزد قتلاً شديداً حتى كثرت القتلى فيهم ؛ فانهزموا ، فسمي جابر ومسن معه من أصحابه النساء ، وهدموا الدور وانتهوا ؛ فكان ذلك من فعلهم ثلاثة أيام ؛ فلم يزل سلم مقيماً بالبصرة حتى بلغه قتل ابن هبيرة ، فشخص عنها فاجتمع من البصرة من ولد الحارث بن عبد المطلب إلى محمد بن جعفر فولوه أمرهم فوليهم أياماً يسيرة ، حتى قدم البصرة أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعي من قبيل أبي مسلم ، فوليها خمسة أيام ، فلما قام أبو عباس ولأها سفيان بن معاوية .

* * *

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة بويع لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، ليلة الجمعة لثلاث عشرة مضت من شهر ربيع الآخر ؛ كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال هشام بن محمد . وأما الواقدي فإنه قال : بويع لأبي العباس بالمدينة بالخلافة في جمادى الأولى في سنة ثنتين وثلاثين ومائة . قال الواقدي : وقال لي أبو معشر : في شهر ربيع الأول سنة ثنتين وثلاثين ومائة ؛ وهو الثبت .

(١) ط : « رجل » ، وما أثبتته من ١ .

خلافة أبي العباس عبد الله بن محمد بن عليّ ابن عبد الله بن عباس

ذكر الخبر عن سبب خلافته

وكان بدء ذلك — فيما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه — أنه أعلم العباس ابن عبد المطلب أنه تزول الخلافة إلى ولده ، فلم يزل ولده يتوقعون ذلك ، ٢٤/٣ ويتحدثون به بينهم .

وذكر عليّ بن محمد أن إسماعيل بن الحسن حدثه عن رشيد بن كُريب ، أنّ أبا هاشم خرج إلى الشام ، فلقى محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، فقال : يا بن عمّ ، إن عندى علمًا أنبذه إليك فلا تطلعنّ عليه أحدًا ؛ إن هذا الأمر الذى يرتجيه الناس ، فيكم . قال : قد علمتُ فلا يسمعنه منك أحد . قال عليّ : وأخبرنا سليمان بن داود ، عن خالد بن عجلان ، قال : لما خالف ابن الأشعث ، وكتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك ، أرسل عبد الملك إلى خالد بن يزيد فأخبره ، فقال : أما إذا كان الفتق من سِجِسْتَان فليس عليك بأس ؛ إنما كنا نتخوّف لو كان من خراسان .

وقال عليّ : أخبرنا الحسن بن رُشيد وجبله بن فروخ التاجيّ ويحيى بن طفيل والنعمان بن سريّ وأبو حفص الأزدي وغيرهم أن الإمام محمد بن عليّ ابن عبد الله بن عباس ، قال : لنا ثلاثة أوقات : موت الطاغية يزيد بن معاوية ، ورأس المائة ، وفتح (١) بإفريقية ، فعند ذلك يدعولنا دعاة ، ثم يُقبل أنصارنا من المشرق حتى تردّ خيولهم المغرب ، ويستخرجوا ما كثر الجبارون فيها . فلما قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية ، ونقضت البربر ، بعث محمد بن عليّ رجلاً إلى خراسان ، وأمره أن يدعو إلى الرضا ، ولا يسمّى أحدًا . وقد ذكرنا قبل خبر محمد بن عليّ ، وخبر الدعاة الذى وجههم إلى خراسان . ثم مات محمد بن عليّ وجعل وصيته من بعده ابنه إبراهيم ؛ فبعث إبراهيم بن محمد إلى خراسان أبا سلمة حفص بن سليمان مولى السبّيع ، وكتب ٢٥/٣ معه إلى النقباء بخراسان ، فقبلوا كتبه وقام فيهم ، ثم رجع إليه فردّه ومعه

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « وفتح إفريقية » .

أبو مسلم . وقد ذكرنا أمر أبي مسلم قبل وخبره .

ثم وقع في يد مسروان بن محمد كتاب لإبراهيم بن محمد إلى أبي مسلم ، جواب كتاب لأبي مسلم يأمره بقتل كل من يتكلم بالعربية بخراسان . فكتب مسروان إلى عامله بدمشق يأمره بالكتاب إلى صاحبه بالسلامة أن يسير إلى الحميمة ، ويأخذ إبراهيم بن محمد ويوجه به إليه . فذكر أبو زيد عمر بن شبة أن عيسى ابن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، حدثه عن عثمان بن عروة ابن محمد بن عمار بن ياسر ، قال : إني مع أبي جعفر بالحميمة ومعه ابنه محمد وجعفر ، وأنا أرقصهما ، إذ قال لي : ماذا تصنع ؟ أما ترى إلى ما نحن فيه ! قال : فنظرت فإذا رسل مروان تطلب إبراهيم بن محمد ، قال : فقلت : دعني أخرج إليهم ، قال : تخرج من بيتي وأنت ابن عمار بن ياسر ! قال : فأخذوا أبواب المسجد حين صلوا الصبح ، ثم قالوا للشاميين^(١) الذين معهم : أين إبراهيم بن محمد ؟ فقالوا : هو ذا ، فأخذوه ؛ وقد كان مروان أمرهم بأخذ إبراهيم ، ووصف لهم صفة أبي العباس التي كان يجدها في الكتب أنه يقتلهم ؛ فلما أتوه بإبراهيم ، قال : ليس هذه الصفة التي وصفت لكم ، فقالوا : قد رأينا الصفة التي وصفت ، فردّهم في طلبه ، ونُذروا ، فخرجوا إلى العراق هرباً .

قال عمر : وحدثني عبد الله بن كثير بن الحسن العبدى ، قال : أخبرني علي بن موسى ، عن أبيه ، قال : بعث مسروان بن محمد رسولا إلى الحميمة ٢٦/٣ يأتيه بإبراهيم بن محمد ، ووصف له صفته^(٢) ، فقدم الرسول فوجد الصفة صفة أبي العباس عبد الله بن محمد ، فلما ظهر إبراهيم بن محمد وأمين قيل للرسول : إنما أمرت بإبراهيم ؛ وهذا عبد الله ! فلما تظاهر ذلك عنده ترك أبا العباس وأخذ إبراهيم ، وأنطلق به . قال : فشخصت معه أنا وأنا من بني العباس ومواليهم ، فانطلق بإبراهيم ، ومعه أم ولد له كان بها معجباً ، فقلنا له : إنما أتاك رجل ، فهلم فلنقتله ثم ننكح إلى الكوفة ، فهم لنا شيعة ، فقال : ذلك لكم ، قلنا : فأمهل حتى نصير إلى الطريق التي تُخرجنا إلى العراق . قال : فسرنا حتى صرنا إلى طريق تتشعب إلى العراق ، وأخرى إلى الجزيرة ، فنزلنا منزلاً ؛ وكان إذا أراد التعريس اعتزل لمكان أم ولده ، فأتينا للأمر الذي

(٢) ط : « ووصفه » .

(١) ط : « ليستأمن » .

اجتمعنا عليه ، فصرخنا به ، فقام ليخرج فتعلقت به أم ولده ، وقالت : هذا وقت لم تكن تخرج فيه ؛ فما هاجك ! فالتوى عليها ، فأبت حتى أخبرها ، فقالت : أنشدك الله أن تقتله فتشأم أهلك ! والله لئن قتله لا يبقي مروان من آل العباس أحداً بالحميمة إلا قتله ؛ ولم تفارقه حتى حلف لها ألا يفعل ، ثم خرج إلينا وأخبرنا ، فقلنا : أنت أعلم .

قال عبد الله : فحدثني ابن لعبد الحميد بن يحيى كاتب مروان ، عن أبيه ، قال : قلت لمروان بن محمد : أتتبهمني ؟ قال : لا ، قلت : أفيحططك صهره ؟ قال : لا ، قلت : فإنني أرى أمره ينبغ عليك فأنكححه وأنكح إليه ، فإن ظهر كنت قد أعلقت بينك وبينه سبيلاً لا يريبك معه ، وإن كفيته لم يشنك صهره . قال : ويحك ! والله لو علمته صاحب ذاك لسبقت إليه ؛ ولكن ليس بصاحب ذلك .

٢٧/٣

وذكر أن إبراهيم بن محمد حين أخذ للمضي به إلى مروان نعى إلى أهل بيته حين شيعوه نفسه ، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبي العباس عبد الله ابن محمد ، وبالسَّمْع له وبالطاعة ، وأوصى إلى أبي العباس ، وجعله الخليفة بعده ؛ فشخص أبو العباس عند ذلك ومن معه من أهل بيته ؛ منهم عبد الله ابن محمد وداود بن عيسى ، وصالح وإسماعيل وعبد الله وعبد الصمد بنو علي ويحيى ابن محمد وعيسى بن موسى بن محمد بن علي ، وعبد الوهاب ومحمد ابنا إبراهيم وموسى بن داود ويحيى بن جعفر بن تمام ؛ حتى قدموا الكوفة ، في صفر ، فأنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم في بني أود ، وكرم أمرهم نحواً من أربعين ليلة من جميع القواد والشيعه . وأراد - فيما ذكر - أبو سلمة تحويل الأمر إلى آل أبي طالب لما بلغه الخبر عن موت إبراهيم بن محمد ؛ فذكر علي بن محمد أن جبلة بن فروخ وأبا السري وغيرهما قالوا : قدم الإمام الكوفة في ناس من أهل بيته ، فاخففوا ، فقال أبو الجهم لأبي سلمة : ما فعل الإمام ؟ قال : لم يقدم بعد ، فألح عليه يسأله ، قال : قد أكثر السؤال ، وليس هذا وقت خروجه [فكانوا بذلك] ^(١) ، حتى لقي أبو حميد خادماً

لأبي العباس ، يقال له سابق الخوارزمي ، فسأله عن أصحابه ، فأخبره أنهم بالكوفة ، وأن أبا سلمة يأمرهم أن يختفوا ، فجاء به إلى أبي الجهم ، فأخبره خبرهم ، فسرّح أبو الجهم أبا حميد مع سابق حتى عرف منزلهم بالكوفة ، ثم رجع وجاء معه إبراهيم بن سلمة (رجل كان معهم) ، فأخبر أبا الجهم عن منزلهم ونزول الإمام في بني أود ، وأنه أرسل حين قدموا إلى أبي سلمة يسأله مائة دينار ، فلم يفعل ، فثنى أبو الجهم وأبو حميد وإبراهيم إلى موسى بن كعب ، وقصّوا عليه القصة ، وبعثوا إلى الإمام بمائتي دينار ، ومضى أبو الجهم إلى أبي سلمة ، فسأله عن الإمام ، فقال : ليس هذا وقت خروجه ، لأن واسطاً لم تفتح بعد ، فرجع أبو الجهم إلى موسى بن كعب فأخبره ، فأجمعوا على أن يلقوا الإمام ، فضى موسى بن كعب وأبو الجهم وعبد الحميد بن ربيع وسلمة ابن محمد وإبراهيم بن سلمة وعبد الله الطائي وإسحاق بن إبراهيم وشراحيل وعبد الله بن بسام وأبو حميد محمد بن إبراهيم وسليمان بن الأسود ومحمد بن الحصين إلى الإمام ، فبأخ أبا سلمة ، فسأل عنهم فقليل : ركبوا إلى الكوفة في حاجة لهم .

٢٨/٣

وأقن القوم أبا العباس ، فدخلوا عليه فقالوا : أيكم عبد الله بن محمد ابن الحارثية ؟ فقالوا : هذا ، فسلموا عليه بالخلافة ؛ فرجع موسى بن كعب وأبو الجهم الآخرين ؛ فتخلفوا عند الإمام ، فأرسل أبو سلمة إلى أبي الجهم : أين كنت ؟ قال : ركبْتُ إلى إمامي . فركب أبو سلمة إليهم ، فأرسل أبو الجهم إلى أبي حميد أن أبا سلمة قد أتاكم ؛ فلا يدخلن على الإمام إلا وحده ؛ فلما انتهى إليهم أبو سلمة منعوه أن يدخل معه أحد ، فدخل وحده ، فسلم بالخلافة على أبي العباس .

وخرج أبو العباس على برّذون أبلق يوم الجمعة ، فصلّى بالناس ؛ فأخبرنا عمارة مولى جبرئيل وأبو عبد الله السلمي أن أبا سلمة لما سلّم على أبي العباس بالخلافة ، قال له أبو حميد : على رَغْم أنفك يا ماص

٢٩/٣ بظر أمّه ! فقال له أبو العباس : مه !

وذكر أن أبا العباس لما صعد المنبر حين بويع له بالخلافة، قام في أعلاه، وصعد داود بن علي فقام دونه، فتكلم أبو العباس، فقال: الحمد لله الذي اصطفتي الإسلام لنفسه تكملة، وشرّفه وعظّمه، واختاره لنا وأيده بنا، وجعلنا أهله وكهنته وحصنه والقوام به، والذابين عنه والناصرين له، وألزمنا كلمه التقوى، وجعلنا أحقّ بها وأهلها، وخصّنا برحيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقربته، وأنشأنا من آبائه، وأنبتنا من شجرته، واشتقنا من نسبته، جعله من أنفسنا عزيزاً عليه ما عسّتنا، حريصاً علينا بالمؤمنين رءوفاً رحيماً، ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يتلى عليهم، فقال عزّ من قائل فيما أنزل من محكم القرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١)، وقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٢) وقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣)، وقال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾^(٥) فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا، وأوجبّ عليهم حقنا ومودتنا، وأجزل من النى والغنيمة نصيبنا تكملة لنا، وفضلاً علينا، والله ذو الفضل العظيم.

وزعمت السبيئة^(٦) الضلال، أن غيرنا أحقّ بالرياسة والسياسة والخلافة منا،

فشاهت وجوههم! بم ولم أيّها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، وبصرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلاكهم، وأظهر بنا الحق، وأدحض بنا الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً، ورفع بنا الحسيّة، وتمّ بنا النقيصة، وجمع الفرقة، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبرّ

(١) سورة الأحزاب ٣٣ .

(٢) سورة الشورى ٢٣ .

(٣) سورة الشعراء ٢١٤ .

(٤) سورة الحشر ٧ .

(٥) سورة الأنفال ٤١ .

(٦) ب : « الشامية » .

ومواساة في دينهم ودنياهم، وإخواناً على سرر متقابلين في آخرتهم؛ فتح الله ذلك مِنَّةً وَمِنْحَةً لِّمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلما قبضه الله إليه، قام بذلك الأمر من بعده أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، فحوّوا موارث الأئم، فعدّوا فيها ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها، وخرجوا خيماً صفاً منها. ثم وثب بنو حَرْبٍ ومَرْوَان، فابتزوها وتداولوها^(١) بينهم، فجاروا فيها، واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا، وردّ علينا حقّنا، وتدارك بنا أمّتنا، وولى نصرتنا والقيام بأمرنا، لِيَمُنَّ بِنَا عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ؛ وَخَتَمَ بِنَا كَمَا افْتَتَحَ بِنَا. وَإِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْجَوْرُ مِنْ حَيْثُ أَنَا كَمَا خَيْرُ، وَلَا الْفَسَادُ مِنْ حَيْثُ جَاءَكُمْ الصَّلَاحُ؛ وَمَا تَوْفِيقُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِلَّا بِاللَّهِ. يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، أَنْتُمْ مَحَلُّ مَحَبَّتِنَا وَمَنْزِلُ مَوَدَّتِنَا. أَنْتُمْ الَّذِينَ لَمْ تَتَغَيَّرُوا عَنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَشْنِكُمْ عَنْ ذَلِكَ تَحَامُلُ أَهْلِ الْجَوْرِ عَلَيْكُمْ؛ حَتَّى أَدْرَكْتُمْ زَمَانَنَا، وَأَنَا كَمَا اللَّهُ بَدَّ وَلَيْتَنَا؛ فَأَنْتُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِنَا، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيْنَا؛ وَقَدْ زِدْتَكُمْ فِي أُعْطِيَاتِكُمْ مِائَةَ دَرْهَمٍ، فَاسْتَعْدُوا، فَأَنَا السَّفَاحُ الْمَبِيعُ، وَالثَّائِرُ الْمَبِيرُ.

وكان موعوكاً فاشتدّ به الوعك، فجلس على المنبر، وصعد داود بن عليّ ٣١/٣ فقام دونه على مراق المنبر، فقال:

الحمد لله شكراً شكراً؛ الذي أهلك عدونا، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه. أيّها الناس، الآن أقشعت حنادس الدنيا، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها وسماؤها، وطلعت الشمس من مطلعها، وبزغ القمر من ميزغه؛ وأخذ القوس باريها، وعاد السهم إلى منزعه، ورجع الحق إلى نصابه؛ في أهل بيت نبيّكم، أهل الرأفة والرّحمة بكم والعطف عليكم. أيّها الناس، إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثير لجيئنا ولا عقيانا، ولا نحفر نهراً، ولا نبني قصراً؛ وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم^(٢) حقّنا، والغضب لبني عمنا، وما كرّتنا^(٣) من أموركم، وبهظتنا من شؤونكم؛ ولقد كانت أموركم تُرمضنا ونحن على فرشنا، ويشتدّ علينا سوء

(١) ب: «وتداولوا».

(٢) ابن الأثير: «ما كرهنا».

(٣) ب: «انبتازهم».

سيرة بنى أمية فيكم ، وخرقهم^(١) بكم ، واستذلالهم لكم ؛ واستثأرهم بفسيثكم
وصدقاتكم ومغانمكم عليكم . لكم ذمة الله تبارك وتعالى ، وذمة رسوله صلى الله
عليه وآله ، وذمة العباس رحمه الله ؛ أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل
فيكم بكتاب الله ، ونسير في العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم . تَبَّأ تَبَّأ لِبْنِي حَرْبُ بنِ أمية وبنى مروان ! آثروا في مُدَّتْهم وعصرهم
العاجلة على الآجلة ، والدارَ القانية على الدارِ الباقية ، فركبوا الآثام ، وظلموا
الأنام ، وانتهكوا المحارم ، وغشَّوا الجرائم ، وجاروا في سيرتهم في العباد ؛
وسنتهم في البلاد التي بها استلذُّوا تسرُّبُ الأوزار ، وتجلبب الآصار ، ومرحوا
في أعنة المعاصي ، وركضوا في ميادين الغي ؛ جهلاً باستدراج الله ، وأمنًا
لمكر الله ؛ فاتاهم بأس الله بياتًا وهم نائمون ، فأصبحوا أحاديث ، ومزَّقوا كلَّ
٣٢/٣ ممزق ، فبعداً للقوم الظالمين ! وأدالنا الله من مروان ، وقد غره بالله الغرور ،
أرسل لعدوِّ الله في عنانه حتى عثر في فضل خِطامه ، فظنَّ عدوَّ الله أن لن
نقدِر عليه ، فنادى حزبه ، وجمع مكابده ، ورمى بكتائبه ؛ فوجد أمامه
ووراءه وعن يمينه وشماله ، من مكسَّر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله ،
ومحق ضلاله ، وجعل دائرة السوء به ، وأحيا شرفنا وعِزَّنا ، وردَّ إلينا حقنا وإرثنا .
أيُّها الناس ؛ إن أمير المؤمنين نصره الله نصرًا عزيزًا ، إنما عاد إلى المنبر
بعد الصلَاة ؛ أنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعه عن استتمام
الكلام بعد أن اسحقفر فيه شدَّة الوَعَكْ ؛ وادَّعُوا الله لأمر المؤمنين بالعافية ،
فقد أبدلكم الله بمرَّوان عدوَّ الرحمن وخليفة الشيطان المتبع للسفلة الذين أفسدوا
في الأرض بعد صلاحها بإبدال الدين وانتهاك حريم المسلمين ، الشابَّ المتكهَّل
التمهل ، المقتدِى بسلفه الأبرار الأخيار ؛ الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها ،
بمعالم الهدى ، ومناهج التقوى .

فعبَّج الناس له بالدعاء . ثم قال :

يا أهل الكوفة ؛ إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقِّنا ، حتى أتاه الله
لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقَّنا ، وأفلىح بهم حجَّتنا ، وأظهر بهم

دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم تنتظرون ، وإليه تشوقون ، فأظهر فيكم الخليفةَ من هاشم ، وبيتض به وجوهكم ، وأدالكم على أهل الشام ، ونقل إليكم السلطان ، وعزّ الإسلام ، ومنّ عليكم بإمام منحه^(١) العدالة ، وأعطاه حسن الإيالة^(٢) . ٣٣/٣

فخذوا ما آتاكم الله بشكر ، والزموا طاعتنا ، ولا تُخذلوا عن أنفسكم فإن الأمر أمركم ، وإن لكل أهل بيت مصراً ؛ وإنكم مصرنا . ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين على ابن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد — وأشار بيده إلى أبي العباس — فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه ، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا .

ثم نزل أبو العباس وداود بن عليّ أمامه ؛ حتى دخل القصر ، وأجلس أبا جعفر ليأخذ البيعة على الناس في المسجد ، فلم يزل يأخذها عليهم ؛ حتى صلى بهم العصر ، ثم صلى بهم المغرب ، وجنّهم الليل ، فدخل .

وذكر أن داود بن عليّ وابنه موسى كانا بالعراق أو بغيرها ، فخرجا يريدان الشّرة فلقيةًهما أبو العباس يريد الكوفة ، معه أخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد وعبد الله بن عليّ وعيسى بن موسى ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس ، ونفر من مواليهم بدومة الجندل ، فقال لهم داود : أين تريدون ؟ وما قِصّتكم ؟ فقصّ عليه أبو العباس قِصّتهم ، وأنهم يريدون الكوفة ليظهروا بها ، ويظهروا أمرهم ، فقال له داود : يا أبا العباس ، تأتى الكوفة وشيخ بنى مروان^(٣) ؟ مروان ابن محمد بجرّان مطلق على العراق في أهل الشام والجزيرة ، وشيخ العرب يزيد بن عمر بن هبيرة بالعراق في حلبة العرب ! فقال أبو الغنائم : من أحب الحياة ذلّ ، ثم تمثل بقول الأعشى :

فما ميتةٌ إن مِثُّها غيرَ عاجزٍ بعارٍ إذا ما غالتِ النفسُ غولُها

فالتفت داود إلى ابنه موسى فقال : صدق والله ابن عمك ، فارجع بنا

٣٤/٣ معه نعش أعزّاء أو نمت كراماً ، فرجعوا جميعاً ، فكان عيسى بن موسى

(٢) ب : « الإيالة » .

(١) ب : « منحه » .

(٣) ابن الأثير : « أمية » .

يقول إذا ذكر خروجهم من الحميمة يريدون الكوفة : إن نفراً أربعة عشر رجلاً خرجوا من دارهم وأهليهم يطلبون مطالبنا ، لعظيم همّهم كبيرة أنفسهم ، شديدة قلوبهم .

* * *

ذكر بقيّة الخبر عما كان

من الأحداث في سنة اثنتين وثلاثين ومائة

تمام الخبر عن سبب البيعة لأبي العباس عبد الله بن محمد بن عليّ وما كان من أمره : قال أبو جعفر : قد ذكرنا من أمر أبي العباس عبد الله بن محمد بن عليّ ما حضرنا ذكره قبل ، عمّن ذكرنا ذلك عنه ؛ وقد ذكرنا من أمره وأمر أبي سلمة وسبب عقد الخلافة لأبي العباس أيضاً ما أنا ذاكره ؛ وهو أنه لما بلغ أبا سلمة قتل مروان بن محمد إبراهيم الذي كان يقال له الإمام ، بدا له في الدعاء إلى ولد العباس وأضمر الدعاء لغيرهم ؛ وكان أبو سلمة قد أنزل أبا العباس حين قدم الكوفة مع من قدم معه من أهل بيته في دار الوليد بن سعد في بني أود ، فكان أبو سلمة إذا سئل عن الإمام يقول : لا تعجلوا ، فلم يزل ذلك من أمره وهو في معسكره بحمّام أعين حتى خرج أبو حميد ، وهو يريد الكُناسة ، فلقى خادماً لإبراهيم يقال له سابق الخوارزمي ، فعرّفه ، وكان يأتيهم بالشام ٣٥/٣ فقال له : ما فعل الإمام إبراهيم ؟ فأخبره أنّ مروان قتله غيلة ، وأن إبراهيم أوصى إلى أخيه أبي العباس ، واستخلفه من بعده ، وأنه قدم الكوفة ومعه عامة أهل بيته ، فسأله أبو حميد أن ينطلق به إليهم ، فقال له سابق : الموعدُ بيني وبينك غدّاً في هذا الموضع ، وكره سابق أن يدلّه عليهم إلا بإذنهم ، فرجع أبو حميد من الغد إلى الموضع الذي وعد فيه سابقاً ، فلقيه ، فانطلق به إلى أبي العباس وأهل بيته ، فلما دخل عليهم سأل أبو حميد : من الخليفة منهم ؟ فقال داود بن عليّ : هذا إمامكم وخليفتمكم — وأشار إلى أبي العباس — فلم عليه بالخلافة ، وقبل يديه ورجليه ، وقال : مرّنا بأمرك ، وعزّاه بالإمام إبراهيم . وقد كان إبراهيم بن سلمة دخل عسكر أبي سلمة متنكراً ، فأتى أبا الجهم فاستأمنه ، فأخبره أنه رسول أبي العباس وأهل بيته ، وأخبره بمن معه وبموضعهم ،

وأنّ أبا العباس كان سرّحه إلى أبي سلمة يسأله مائة دينار ، يعطيها للجملّاء كراء الجمل التي قدّم بهم عليها ، فلم يبعث بها إليه ، ورجع أبو حميد إلى أبي الجهم ، فأخبره بحالهم ، فشنى أبو الجهم وأبو حميد ومعهما إبراهيم بن سلمة ، حتى دخلوا على موسى بن كعب ، فقصّ عليه أبو الجهم الخبر ، وما أخبره إبراهيم بن سلمة ، فقال موسى بن كعب : عجّل البعثة إليه بالذنانير وسرّحه . فانصرف أبو الجهم ودفع الذنانير إلى إبراهيم بن سلمة ، وحمله على بغل وسرّحه معه رجلين ، حتى أدخلاه (١) الكوفة ، ثم قال أبو الجهم لأبي سلمة ، وقد شاع في العسكر أن مروان بن محمد قد قتل الإمام : فإن كان قد قُتل كان أخوه (٢) أبو العباس الخليفة والإمام من بعده ؛ فردّ عليه أبو سلمة : يا أبا الجهم ، اكفف أبا حميد عن دخول الكوفة ، فإنهم أصحاب إرجاف وفساد .

فلما كانت الليلة الثانية أتى إبراهيم بن سلمة أبا الجهم وموسى بن كعب ، فبلغهما رسالة من أبي العباس وأهل بيته ، ومشى في القوادر والشيعات تلك الليلة ، فاجتمعوا في منزل موسى بن كعب ؛ منهم عبد الحميد بن ربعي وسلمة بن محمد وعبد الله الطائي وإسحق بن إبراهيم وشراحيل (٣) وعبد الله بن بسام وغيرهم من القوادر . فأتَمروا في الدخول إلى أبي العباس وأهل بيته ، ثم تسللوا من الغدق حتى دخلوا الكوفة وزعيمهم موسى بن كعب وأبو الجهم وأبو حميد الحميري — وهو محمد بن إبراهيم — فانتهوا إلى دار الوليد بن سعد ، فدخلوا عليهم ، فقال موسى ابن كعب وأبو الجهم : أيكم أبو العباس ؟ فأشاروا إليه ، فسلموا عليه وعزّوه بالإمام إبراهيم ، وانصرفوا إلى العسكر ، وخلصوا عنده أبا حميد وأبا مقاتل وسليمان بن الأسود ومحمد بن الحصين (٤) ومحمد بن الحارث ونهار بن حصين ويوسف بن محمد وأبا هريرة محمد بن فروخ .

فبعث أبو سلمة إلى أبي الجهم فدعاه ، وكان أخبره بدخوله الكوفة ، فقال : أين كنت يا أبا الجهم ؟ قال : كنت عند إمامي ، وخرج أبو الجهم فدعا حاجب بن صلدان ، فبعثه إلى الكوفة ، وقال له : ادخل ، فسلم على أبي العباس

(١) ط : « دخلا » ، أ : « أدخلوه » . (٢) أ : « فإن أخاه العباس » .

(٣) أ ، ب : « أبو شراحيل » . (٤) أ ، ط : « الحسين » .

بالخلافة ، وبعث إلى أبي حميد وأصحابه : إن أناكم أبو سلمة فلا يدخل إلا وحده ؛ فإن دخل وباع فسبيله ذلك ؛ وإلا فاضربوا عنقه ؛ فلم يلبثوا أن أتاهم أبو سلمة فدخل وحده ، فسلم على أبي العباس بالخلافة ، فأمره أبو العباس بالانصراف إلى عسكره ، فانصرف من ليلته ، فأصبح الناس قد لبسوا سلاحهم ، ٢٧/٣ واصطفوا لخروج أبي العباس ، وأتوه بالدواب ، فركب ومن معه من أهل بيته حتى دخلوا قصر الإمارة بالكوفة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر . ثم دخل المسجد من دار الإمارة ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر عظمة الربّ تبارك وتعالى وفضل النبي صلى الله عليه ، وقاد الولاية والوراثة حتى انتهياً إليه ، ووعد الناس خيراً ثم سكت .

وتكلم داود بن عليّ وهو على المنبر أسفل من أبي العباس بثلاث درجات ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : أيّها الناس ، إنه والله ما كان بينكم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة إلا عليّ بن أبي طالب وأمير المؤمنين هذا الذي خلقني . ثم نزل وأخرج أبو العباس ، فعسكر بحمام أعين في عسكر أبي سلمة ، ونزل معه في حجرته ، بينهما ستر ، وحاجب أبي العباس يومئذ عبد الله بن بسام . واستخلف على الكوفة وأرضها عمّه داود بن عليّ ، وبعث عمه عبد الله بن عليّ إلى أبي عتّون ابن يزيد ، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة ، وهو يومئذ بواسط محاصر ابن هبيرة ، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام ابن عباس إلى حميد بن قحطبة بالمدائن ، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة ابن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز ، وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن طريف^(١) ، وأقام أبو العباس في العسكر أشهراً ثم ارتحل ، فنزل المدينة الهاشمية في قصر الكوفة ، وقد كان تنكّر لأبي سلمة قبل تحوله حتى عرف ذلك .

(١) ب وابن الأثير : « الطواف » .

[ذكر هزيمة مروان بن محمد بموقعة الزّاب]

وفي هذه السنة هُزم مروان بن محمد بالزّاب .

٣٨/٣

• ذكر الخبر عن هذه الواقعة وما كان سببها وكيف كان ذلك :

ذكر على بن محمد أن أبا السريّ وجبّلة بن فروخ والحسن بن رشيد وأبا صالح المروزي وغيرهم أخبروه أن أبا عون عبد الملك^(١) بن يزيد الأزديّ وجهه قحطبة إلى شهرزور من نهاوند ، فقتل عثمان بن سفيان ، وأقام بناحية الموصل ، وبلغ مروان أن عثمان قد قُتل ، فأقبل من حرّان ، فنزل منزلاً في طريقه ، فقال : ما اسم هذا المنزل ؟ قالوا : بسلوى ، قال : بل عسكوى وبُشري . ثم أتى رأس العين ، ثم أتى الموصل ، فنزل على دجلة^(٢) ، وحفر خندقاً فسار إليه أبو عوّن ، فنزل الزّاب ، فوجه أبو سلمة إلى أبي عون عيّنة بن موسى والمنهال بن فتّان وإسحاق بن طلحة ؛ كل واحد في ثلاثة آلاف ؛ فلما ظهر أبو العباس بعث سلمة بن محمد في ألفين وعبد الله الطائي في ألف وخمسمائة وعبد الحميد بن ربيع الطائي في ألفين ، ووداس بن نضلة في خمسمائة إلى أبي عون . ثم قال : من يسير إلى مروان من أهل بيتي ؟ فقال عبد الله بن عليّ : أنا ، فقال : سير على بركة الله ، فسار عبد الله بن عليّ ، فقدم على أبي عون ، فتحول له أبو عون عن سرّاده وخلاه وما فيه ، وصير عبد الله بن عليّ على شرطته حيتاش بن حبيب الطائي ، وعلى حرسه نصير بن المحتفز^(٣) ، وجهه أبو العباس موسى بن كعب في ثلاثين رجلاً على البريد إلى عبد الله بن عليّ ، فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، سأل عبد الله بن عليّ عن مخاضة ، فدُلّ عليها بالزّاب ، فأمر عيّنة بن موسى فعبّر في خمسة آلاف ، فانتهى إلى عسكر مروان ، فقاتلهم حتى أمسوا ، ورُفعت لهم النيران فتحاجزوا ، ورجع عيّنة فعبّر المخاضة إلى عسكر عبد الله ابن عليّ ؛ فأصبح مروان فعقد الجسر ، وسرح ابنه عبد الله يحفر خندقاً أسفل من عسكر عبد الله بن عليّ ، فبعث عبد الله بن عليّ المحارق^(٤) بن غيفار في أربعة آلاف ، فأقبل حتى نزل على خمسة أميال من عسكر عبد الله بن

٣٩/٣

(١) ب : « عبد الله » .
(٢) ١ : « الفرات » .
(٣) ط : « المحتفز » ، وانظر الفهرس .
(٤) ب : « المحارق بن غفار » .

على ، فسرّح عبد الله بن مَرْوَان إليه الوليد بن معاوية ، فلقى المخارق ، فانهزم أصحابه ، وأسروا ، وقتل منهم يومئذ عِدَّة ، فبعث بهم إلى عبد الله ، وبعث بهم عبد الله إلى مَرْوَان مع الرعوس ، فقال مروان : أدخلوا عليّ رجلا من الأسارى ، فأتوه بالمخارق — وكان نحيفًا — فقال : أنت المخارق ؟ فقال : لا ، أنا عبد من عبيد أهل العسكر ، قال : فتعرف المخارق ؟ قال : نعم ، قال : فانظر في هذه الرعوس هل تراه ؟ فنظر إلى رأس منها ، فقال : هو هذا ، فخلّى سبيله ، فقال رجل مع مروان حين نظر إلى المخارق وهو لا يعرفه : لعن الله أبا مسلم حين جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم !

قال عليّ : حدثنا شيخ من أهل خراسان قال : قال مروان [للمخارق] ^(١) : تعرف المخارق إن رأيته ؟ فإنهم زعموا أنه في هذه الرعوس التي أتينا بها ، قال : نعم ، قال : اعرضوا عليه تلك الرعوس ، فنظر فقال : ما أرى رأسه في هذه الرعوس ، ولا أراه إلّا وقد ذهب ، فخلّى سبيله . وبلغ عبد الله بن عليّ انهزام المخارق ، فقال له موسى بن كعب : اخرج إلى مَرْوَان قبل أن يصل الفلّ إلى العسكر ، فيظهر ما لقي المخارق . فدعا عبد الله بن عليّ محمد بن صوّل ، فاستخلفه على العسكر ، وسار على ميمنته أبو عون ، وعلى ميسرة مَرْوَان الوليد بن معاوية ، ومع مروان ثلاثة آلاف من الحمرة ومعه الذكوانية ^(٢) والصّحصحية والراشدية ، فقال مروان لما التقى العسكران لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : إن زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها إلى عيسى بن مريم ؛ وإن قاتلونا قبل الزوال ؛ فإنّا لله وإنا إليه راجعون . وأرسل مَرْوَان إلى عبد الله بن عليّ يسأله الموادعة ، فقال عبد الله : كذب ابن زُرّيق ، ولا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله . فقال مروان لأهل الشام : قِفُوا لا تبدءوهم بقتال ؛ فجعل ينظر إلى الشمس ، فحمل الوليد بن معاوية بن مروان وهو ختن مروان على ابنته ، فغضب وشتمه . وقاتل ابن معاوية أهل الميمنة ، فانهاز أبو عون إلى عبد الله بن عليّ ، فقال موسى ابن كعب لعبد الله : مر الناس فلينزّلوا ، فنودى : الأرض ، فنزل الناس ،

(١) من أ . (٢) ط : « الذكوانية » .

وأشرعوا الرماح ، وجشَّوْا على الركب ، فقاتلوه ، فجعل أهل الشام يتأخرون كأنهم يذفعون ، ومشى عبد الله قدماً وهو يقول : يا رب ، حتى متى نُقتل فيك ! ونادى : يا أهل خراسان ، يا لثارات إبراهيم ! يا محمد ، يا منصور ! واشتدَّ بينهم القتال . وقال مروان لقضاة : انزلوا ، فقالوا : قل لبني سليم فليزلوا ، فأرسل إلى السكاسك أن احملا ، فقالوا : قل لبني عامر فليحملا ، فأرسل إلى السكون أن احملا ، فقالوا : قل لغطفان فليحملا ، فقال لصاحب شرطه : انزل ، فقال : لا والله ما كنت لأجعل نفسي غرضاً . قال : أما والله لأسوءنك ، قال : وددت والله أنك قدرت على ذلك . ثم انهزم أهل الشام ، وانهزم مروان ، وقطع الجسر ، فكان من غرق يومئذ أكثر ممن قُتل ، فكان فيمن غرق يومئذ إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك [المخلوع] ^(١) ، وأمر عبد الله بن علي ففقد الجسر على الزاب ، واستخرجوا الغرقى [فأخرجوا ثلثمائة] ^(١) ، فكان فيمن أخرجوا إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، فقال عبد الله بن علي : ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ ^(٢) .

وأقام عبد الله بن علي في عسكره سبعة أيام ، فقال رجل من ولد سعيد ابن العاص يعير مروان :

لَجَّ الْفِرَارُ بِمِرْوَانَ فَقُلْتُ لَهُ عَادَ الظُّلُومُ ظَلِيماً هَمَّهُ الْهَرَبُ
أَيْنَ الْفِرَارُ وَتَرَكُ الْمُلُكُ إِذْ ذَهَبَتْ عَنْكَ الْهُوَيْنَى فَلَا دِينَ وَلَا حَسَبُ
فِرَاشَةُ الْجِلْمِ فِرْعَوْنَ الْعِقَابِ وَإِنْ تَطَلَّبُ نَدَاهُ فَكَلْبٌ دُونَهُ كَلْبُ

وكتب عبد الله بن علي إلى أمير المؤمنين أبي العباس بالفتح ، وهرب مروان وحوى عسكر مروان بما فيه ، فوجد فيه سلاحاً كثيراً وأموالاً ، ولم يجدوا فيه امرأة إلا جارية كانت لعبد الله بن مروان ، فلما أتى العباس كتاب عبد الله ابن علي صلى ركعتين ، ثم قال : ﴿ فلما فصل طألت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر ﴾ إلى قوله : ﴿ وعلمه مما يشاء ﴾ ^(٣) . وأمر لمن شهد الواقعة

(١) من ١ .

(٢) سورة البقرة ٥٠ .

(٣) سورة البقرة ٢٤٩ .

بخمسمائة خمسمائة ، ورفع أرزاقهم إلى ثمانين .

حدثنا أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد ، قال : قال عبد الرحمن بن أمية : كان مروان لما لقيه أهل خراسان لا يدبر شيئاً إلا كان فيه الخلل والفساد . قال : بلغني أنه كان يوم انهزم واقفاً ، والناس يقتتلون ؛ إذ أمر ٤٢/٣ بأموال فأخرجت ، وقال للناس : اصبروا وقاتلوا ، فهذه الأموال لكم ، فجعل ناس من الناس يصيبون من ذلك المال ، فأرسلوا إليه : إن الناس قد مالوا على هذا المال ، ولا نأمنهم أن يذهبوا به . فأرسل إلى ابنه عبد الله أن سير في أصحابك إلى مؤخر عسكرك ، فاقتل من أخذ من ذلك المال وامنعهم ؛ فقال عبد الله برأيته وأصحابه ، فقال الناس : الهزيمة ؛ فانهزموا .

حدثنا أحمد بن علي ، عن أبي الجارود السلمي ، قال : حدثني رجل من أهل خراسان ، قال : لقينا مروان على الزاب ، فحمل علينا أهل الشام كأنهم جبال حديد ، فجنونا وأشرعنا الرماح ، فالوا عنا^(١) كأنهم سحابة ، ومنحنا الله أكتافهم ، وانقطع الجسر مما يليهم حين عبروا ، فبقى عليه رجل من أهل الشام ، فخرج عليه رجل منا ، فقتله الشامي ، ثم خرج آخر فقتله ؛ حتى والى بين ثلاثة ؛ فقال رجل منا : اطلبوا لي سيفاً قاطعاً ، وترساً صلباً ، فأعطيناه ، فشى إليه فضربه الشامي فاتقاه بالترس ، وضرب رجله فقطعها ، وقتله ورجع ؛ وحملناه وكبرنا فإذا هو عبيد الله الكابلي . وكانت هزيمة مروان بالزاب — فيما ذكر — صبيحة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة .

* * *

[ذكر خبر قتل إبراهيم بن محمد بن علي الإمام]

وفي هذه السنة قتل إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

اختلف أهل السير في أمر إبراهيم بن محمد ، فقال بعضهم : لم يقتل ولكنه مات في سجن مروان بن محمد بالطاعون .

(١) : « علينا »

• ذكر من قال ذلك :

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم بن خالد
ابن يزيد بن هريم . قال : حدثنا أبو هاشم محمد بن محمد بن صالح ، قال :
قدم مروان بن محمد الرقة حين قدمها متوجهاً إلى الضحاك بسعيد بن هشام
ابن عبد الملك وابنيه عثمان ومروان ، وهم في وثاقهم معه ؛ فسرّح بهم إلى خليفته
بحرّان ، فحبسهم في حبسها ، ومعهم إبراهيم بن عليّ بن عبد الله بن عباس
وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز والعباس بن الوليد وأبو محمد السفينانيّ — وكان
يقال له البسيطار — ، فهلك في سجن حرّان منهم في وباء وقع بحرّان العباس
ابن الوليد وإبراهيم بن محمد وعبد الله بن عمر . قال : فلمّا كان قبل هزيمة مروان
من الزّاب يوم هزمه عبد الله بن عليّ بجمعة ، خرج سعيد بن هشام ومَن
معه من الحبّسين ^(١) ، فقتلوا صاحب السجن ، وخرج فيمن معه ، وتخلّف
أبو محمد السفينانيّ في الحبس ، فلم يخرج فيمن خرج ، ومعه غيره لم يستحلّوا
الخروج من الحبس ، فقتل أهل حرّان ومَن كان فيها من الغوغاء سعيد
ابن هشام وشراحيل بن مسلمة بن عبد الملك وعبد الملك بن بشر ^(٢) التغلبيّ ،
وبطريق أرمينية الرابعة — وكان اسمه كوشان — بالحجارة ، ولم يلبث مروان
بعد قتلهم إلا نحواً من خمس عشرة ليلة ؛ حتى قدم حرّان منهزماً من الزّاب ،
فخلّى عن أبي محمد ومَن كان في حبسه من الحبّسين .

وذكر عمر أن عبد الله بن كثير العبديّ حدّثه عن عليّ بن موسى ،
عن أبيه ، قال : هدم مروان على إبراهيم بن محمد بيتاً فقتله .

قال عمرو : وحدثني محمد بن معروف بن سويد ، قال : حدثني أبي عن
المهلهل بن صفوان — قال عمر : ثمّ حدثني المفضل بن جعفر بن سليمان بعده ؛
قال : حدثني المهلهل بن صفوان — قال : كنت أخدم ^(٣) إبراهيم بن محمد في الحبس ؛
وكان معه في الحبس عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وشراحيل بن مسلمة بن عبد الملك
فكانوا يتزاوون ، وخصّ الذي بين إبراهيم وشراحيل فأتاه رسوله يوماً بلبن ،

(٢) ١ : « بشير » .

(١) ط : « الحبس »

(٣) ط : « مع » .

فقال : يقول لك أنحوك : إننى شربتُ من هذا اللبن فاستطبتُهُ فأحببتُ أن تشربَ منه ، فتناوله فشرب فتوصّب من ساعته وتكسر جسده^(١) ، وكان يوماً يأتى فيه شراحيل ، فأبطأ عليه ، فأرسل إليه : جُعِلت فداك ! قد أبطأت فما حبسك ؟ فأرسل إليه : إني لما شربت اللبن الذى أرسلته إلى أخلفنى ، فأناه شراحيل مذعوراً وقال : لا والله الذى لا إله إلا هو ؛ ما شربت اليوم لبناً ، ولا أرسلت به إليك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ! احتيل لك والله . قال : فوالله ما بات إلاّ ليلته وأصبح من غد ميتاً ؛ فقال إبراهيم بن على بن سلمة بن عامر ابن هرمة بن هذيل بن الربيع بن عامر بن صبيح بن عدى بن قيس - وقيس هو ابن الحارث بن فهر - يرثيه :

قد كنتُ أحسبني جلداً فضغضعتني قبرٌ بحرّانَ فيه عِصْمَةُ الدينِ
فيه الإمامُ وخيرُ الناسِ كلّهمُ بين الصفائح والأحجار والطينِ
فيه الإمامُ الذى عَمّتْ مُصِيبَتُهُ وعَيَّلَتْ كُلَّ ذى مالٍ ومِسْكِينِ
فلا عفا الله عن مروانَ مظلمةً لكن عفا الله عمن قال آمين

* * *

[ذكر الخبر عن قتل مروان بن محمد]

وفى هذه السنة قتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم .
* ذكر الخبر عن مقتله وقتاله من قاتله من أهل الشام فى طريقه وهو هارب من الطلب :

حدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال :
حدثنى أبو هاشم مخلد بن محمد ، قال : لما انهزم مروان من الزّاب كنتُ ٤٥/٣
فى عسكره . قال : كان لمروان فى عسكره بالزّاب عشرون ومائة ألف ؛ كان
فى عسكره ستون ألفاً ، وكان فى عسكر ابنه عبد الله مثل ذلك ، والزّاب
بينهم ، فلقيه عبد الله بن على فيمن معه وأبى عون وجماعة قوّاد ، منهم حميد بن
قحطبة ؛ فلما هُزموا سار إلى حرّان وبها أبان بن يزيد بن محمد بن مروان ،

(١) ب : نكس جسده .

ابن أخيه عامله عليها ، فأقام بها نيفاً وعشرين يوماً . فلما دنا منه عبد الله بن عليّ حمل أهله وولده وعياله ، ومضى منهزماً ، وخلف بمدينة حرّان أبان ابن يزيد ؛ وتحتة ابنة مروان يقال لها أمّ عثمان ، وقدم عبد الله بن عليّ ، فتلّقه أبان مسوداً مباعاً له ، فبايعه ودخل في طاعته ، فأمنه ومنّ كان بحرّان والجزيرة . ومضى مروان حتى مرّ بقتنسرين وعبد الله بن عليّ متبع له . ثم مضى من قنسرين إلى حمص ، فتلّقه أهلها بالأسواق وبالسمع والطاعة فأقام بها يومين أو ثلاثة ، ثم شخّص منها ؛ فلما رأوا قلة من معه طمعوا فيه ، وقالوا : مرعوب منهزم ، فاتبعوه بعد ما رحل عنهم ؛ فلحقوه على أميال ، فلما رأى غيرة خيلهم أكن لهم في واديين قائدين من مواليه ، يقال لأحدهما يزيد والآخر محمّد ؛ فلما دنوا منه وجازوا الكمينين ومضى الذراريّ صافقهم فيمن معه وناشدهم ، فأبوا إلا مكاثرتهم وقتاله ، فنشب القتال بينهم ؛ وثار الكمينان^(١) من خلفهم ؛ فهزّمهم وقتلّتهم خيلهم حتى انتهوا إلى قريب من المدينة . قال : ومضى مروان حتى مرّ بدمشق ، وعليها الوليد بن معاوية بن مروان ؛ وهو ختن مروان ، متزوج بابنة له يقال لها أمّ الوليد ، ففضى وخلقه بها حتى قدم عبد الله بن عليّ عليه ، فحاصره أياماً ، ثم فتحت المدينة ، ودخلها عنوة معترضاً أهلها . وقتل الوليد بن معاوية فيمن قُتِل ، وهدم عبد الله بن عليّ حائط مدينتها . ومرّ مروان بالأردن ، فشخّص معه ثعلبة ابن سلامة العامليّ ، وكان عامله عليها ، وتركها ليس عليها وال ، حتى قدم عبد الله بن عليّ فولى عليها ، ثم قدم فلسطين وعليها من قبله الرّماحس بن عبد العزيز . فشخّص به معه ؛ ومضى حتى قدم مصر ، ثم خرج منها حتى نزل منزلاً منها يقال له بوصير ؛ فبيّته عامر بن إسماعيل وشعبة ومعهما خيل أهل الموصل فقتلوه بها ، وهرب عبد الله وعبيد الله ابنا مروان ليلة بيّت مروان إلى أرض الحبشة ، فلقوا من الحبشة بلاءً وقتلتهم الحبشة ، فقتلوا عبيد الله ، وأفلت عبد الله في عدة ممن معه ؛ وكان فيهم بكر بن معاوية الباهليّ ، فسلم حتى كان في خلافة المهديّ ، فأخذه نصر بن محمد بن الأشعث عامل فلسطين ، فبعث به إلى المهديّ .

وأما عليّ بن محمد ؛ فإنه ذكر أن بشر بن عيسى والنعمان أبا السريّ
ومحرز بن إبراهيم وأبا صالح المروزيّ وعمارة مولى جبريل^(١) أخبروه أن مروان
لقي عبد الله بن عليّ في عشرين ومائة ألف وعبد الله في عشرين ألفاً .

وقد خولف هؤلاء في عدد من كان مع عبد الله بن عليّ يومئذ . فذكر
مسلم بن المخيرة^(٢) ، عن مصعب بن الربيع الخثعميّ وهو أبو موسى ابن
مصعب - وكان كاتباً لمروان - قال : لما انهزم مروان ، وظهر عبد الله بن عليّ
على الشام ، طلبت الأمان فأمنني ، فإني يوماً جالس عنده ؛ وهو متكئ
إذ ذكر مروان وانهزماه ، قال : أشهدت القتال ؟ قلت : نعم أصلح
الله الأمير ! فقال : حدثني عنه ؛ قال : قلت : لما كان ذلك اليوم قال لي :
أحزر القوم ، فقلت : إنما أنا صاحب قلم ؛ ولست صاحب حرب ؛ فأخذ
يمنة ويسرة ونظر فقال : هم اثنا عشر ألفاً ، فجلس عبد الله ، ثم قال :
ما له قاتله الله ! ما أحصى الديوان يومئذ فضلاً على اثني عشر ألف رجل !

* * *

رجع الحديث إلى حديث عليّ بن محمد عن أشياخه : فانهزم مروان حتى
أتى مدينة الموصل ؛ وعليها هشام بن عمرو التغلبيّ وبشر بن خزيمة الأسديّ ،
وقطعوا الجسر ، فناداهم أهل الشام : هذا مروان ، قالوا : كذبتم ، أمير المؤمنين
لا يفرّ ، فسار إلى بلد ، فعبر دجلة ، فأتى حرّان ثم أتى دمشق ، وخلف بها
الوليد بن معاوية ، وقال : قاتلهم حتى يجتمع أهل الشام . ومضى مروان حتى
أتى فلسطين ، فنزل نهر أبي فطرس ، وقد غلب على فلسطين الحكم بن
ضبّعان الجنداميّ ، فأرسل مروان إلى عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع ،
فأجازه ، وكان بيت المال في يد الحكم . وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن
عليّ يأمره باتباع مروان ، فسار عبد الله إلى الموصل ، فتلقاه هشام بن عمرو
التغلبيّ وبشر بن خزيمة . وقد سوّدا في أهل الموصل ، ففتحوا له المدينة ، ثم سار
إلى حرّان ، وولّى الموصل محمد بن صول ؛ فهدم الدار التي حبس فيها إبراهيم

(١) كذا في ب ، وفي ط : « جبرئيل » . (٢) ط : « المعرة » ، وما أثبتته من أ .

ابن محمد ، ثم سار من حرّان إلى منبج وقد سوّدوا ، فنزل منبج وولاهها
أبا حميد المروروذي ، وبعث إليه أهل قنّسرين ببيعتهم إياه بما أتاه به عنهم
أبو أمية التغلبيّ . ٤٨/٣ وقدّم عليه عبد الصمد بن عليّ ، أمده به أبو العباس في أربعة
آلاف ، فأقام يومين بعد قدوم عبد الصمد ، ثم سار إلى قنّسرين ، فأثاها
وقد سوّد أهلها ، فأقام يومين ، ثم سار حتى نزل حمص ، فأقام بها أياماً
وباع أهلها ، ثم سار إلى بعلبك ، فأقام يومين ثم ارتحل ، فنزل بعين الحرّ ،
فأقام يومين ثم ارتحل ، فنزل مِرْزَة (قرية من قرى دمشق) فأقام . وقدّم عليه
صالح بن عليّ مددًا ، فنزل مَرْج عذراء في ثمانية آلاف ، معه بسام بن
إبراهيم وخفاف وشعبة والهيثم بن بسام . ثم سار عبد الله بن عليّ ، فنزل على
الباب الشرق ، ونزل صالح بن عليّ على باب الجابية ، وأبو عون على باب
كيسان ، وبسام على باب الصغير ، وحميد بن قحطبة على باب توما ،
وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفراديس — وفي
دمشق الوليد بن معاوية — فحصرُوا أهل دمشق والبلقاء ، وتعصّب الناس
بالمدينة ، فقتل بعضهم بعضًا ، وقتلوا الوليد ، ففتحو الأبواب يوم الأربعاء
لعشر مضمين من رمضان سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، فكان أول من صعد
سور المدينة من الباب الشرق عبد الله الطائيّ ، ومن قبل باب الصغير بسام بن
إبراهيم ، فقاتلوا بها ثلاث ساعات ، وأقام عبد الله بن عليّ بدمشق خمسة
عشر يومًا ، ثم سار يريد فلسطين ، فنزل نهر الكسوة ، فوجّه منها يحيى بن
جعفر الهاشمي إلى المدينة ، ثم ارتحل إلى الأردنّ ، فأثوّه وقد سوّدوا ، ثم نزل
بيسان ، ثم سار إلى مَرْج الروم ، ثم أتى نهر أبي فطرُس ، وقد هرب مروان ،
فأقام بفلسطين ، وجاءه كتاب أبي العباس ؛ أن وجهه صالح بن عليّ في
طلب مروان ، فسار صالح بن عليّ من نهر أبي فطرُس في ذى القعدة سنة
٤٩/٣ اثنتين وثلاثين ومائة ، ومعه ابن فنان وعامر بن إسماعيل وأبو عون ، فقدّم صالح
ابن عليّ أبا عون على مقدّمته وعامر بن إسماعيل الحارثي ، وسار فنزل الرملة ،
ثم سار فنزلوا ساحل البحر ، وجمع صالح بن عليّ السفن وتجهز يريد مروان ،
وهو بالفرمّاء ، فسار على الساحل والسفن حذاه في البحر ، حتى نزل
العريش .

وبلغ مروان فأحرق ما كان حوله من علف وطعام وهرب ، ومضى صالح ابن عليّ فنزل الليل ، ثم سار حتى نزل الصعيد . وبلغه أن خيلاً لمروان بالساحل يحرقون الأعلاف ، فوجه إليهم قواداً ، فأخذوا رجالاً ، فقدّموا بهم على صالح وهو بالفسطاط ، فعبر مروان النيل ، وقطع الجسر ، وحرق ما حوله ، ومضى صالح يتبعه ، فالتقى هو وخیل لمروان على النيل فاقتتلوا ، فهزمهم صالح ، ثم مضى إلى خليج ، فصادف عليه خيلاً لمروان ، فأصاب منهم طرفاً وهزمهم ، ثم سار إلى خليج آخر فعبروا ، ورأوا رهجاً فظنوه مروان ، فبعث طليعة عليها الفضل بن دينار ومالك ابن قادم ، فلم يلقوا أحداً ينكرونه ، فرجعوا إلى صالح فارتحل ، فنزل موضعاً يقال له ذات الساحل ؛ ونزل فقدم أبو عون عامر بن إسماعيل الحارثي ، ومعه شعبة بن كثير المازني ، فلقوا خيلاً لمروان وافوهم ، فهزموهم وأسروا منهم رجالاً ، فقتلوا بعضهم ، واستحيوا بعضاً ، فسألوا عن مروان فأخبروهم بمكانه ، على أن يؤمنوهم ، وساروا فوجدوه نازلاً في كنيسة في بؤصير ، ووافوهم في آخر الليل ، فهرب الجند وخرج إليهم مروان في نفر يسير ، فأحاطوا به فقتلوه .

قال عليّ : وأخبرني إسماعيل بن الحسن ، عن عامر بن إسماعيل قال : لقينا مروان ببؤصير ونحن في جماعة يسيرة فشدوا علينا ، فانضوينا إلى نخل ولو يعلمون ٥٠/٣ بقلتنا لأهلكونا ، فقلت لمن معي من أصحابي : فإن أصبحنا فرأوا قلتنا وعددنا لم ينج منا أحد ، وذكرت قول بكير بن ماهان : أنت والله تقتل مروان ؛ كأني أسمعك ، تقول «دهيد ياجوانكشان» ؛ فكسرت جفني سيني ، وكسر أصحابي جفون سيوفهم ، وقلت : «دهيد ياجوانكشان» ؛ فكأنها نار صبت عليهم ، فانهزموا وحمل رجل على مروان فضربه بسيفه فقتله . وركب عامر بن إسماعيل إلى صالح بن عليّ ، فكتب صالح بن عليّ إلى أمير المؤمنين أبي العباس : إننا اتبعنا عدو الله الجعدي حتى ألبأناه إلى أرض عدو الله شبيهه فرعون ، فقتلته بأرضه .

قال عليّ : حدثنا أبو طالب الأنصاري ، قال : طعن مروان رجل من

أهل البصرة - يقال له المغود، وهو لا يعرفه - فصرعه، فصاح صائح : صُرِعَ أمير المؤمنين، وابتدروه، فسبق إليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان، فاحترّ رأسه، فبعث عامر بن إسماعيل برأس مروان إلى أبي عَون، فبعث بها أبو عون إلى صالح بن عليّ، وبعث صالح برأسه مع يزيد بن هاني - وكان على شرطه - إلى أبي العباس يوم الأحد، لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة، ورجع صالح إلى الفسطاط، ثم انصرف إلى الشام، فدفع الغنائم إلى أبي عَون، والسلاح والأموال والرفيق إلى الفضل بن دينار، وخلف أبا عون على مصر.

قال عليّ : وأخبرنا أبو الحسن الخراساني، قال : حدثنا شيخ من بكير ابن وائل، قال : إني لبديرتني مع بكير بن ماهان ونحن نتحدث ؛ إذ مرّ فتى معه قربتان ؛ حتى انتهى إلى دجلة، فاستقى ماء، ثم رجع فدعاه بكير، فقال : ما اسمك يا فتى ؟ قال : عامر، قال : ابن من ؟ قال : ابن إسماعيل، من بلسحارث، قال : وأنا من بلسحارث، قال : فكمن من بني مسلمية، قال : فأنا منهم، قال : فأنت والله تقتل مروان، لكأني والله أسمعك تقول : « يا جوانكثان دهيد » .

قال عليّ : حدثنا الكناني، قال : سمعتُ أبا شيخان بالكوفة يقولون : [بنو] مسلمية قتلة مروان .

وقتل مروان يوم قتل وهو ابن اثنتين وستين سنة في قول بعضهم، وفي قول آخرين : وهو ابن تسع وستين، وفي قول آخرين : وهو ابن ثمان وخمسين .

وقتل يوم الأحد لثلاث بقين من ذى الحجة، وكانت ولايته من حين بويج إلى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوماً، وكان يكنى أبا عبد الملك . وزعم هشام بن محمد أن أمه كانت أم ولد كردية .

وقد حدثني أحمد بن زهير، عن عليّ بن محمد، عن عليّ بن مجاهد وأبي سنان الجهنّي، قالوا : كان يقال : إن أم مروان بن محمد كانت لإبراهيم بن الأشتر ؛ أصابها محمد بن مروان بن الحكم يوم قتل ابن الأشتر،

فأخذها من ثقله وهي تنثني^(١) ، فولدت مَرْوَانَ على فراشه ، فلما قام أَبُو العباس دخل عليه عبد الله بن عِيَّاش المنتوف ، فقال : الحمد لله الذي أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أُمّة النَّخَع ابنَ عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عبد المطلب .

* * *

وفي هذه السنة قتل عبد الله بن عليٍّ مَن قتل بنهر أبي فطرس من بني أُميّة ، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً .

وفيها خلَعَ أَبُو الوَرْدُ أبا العباس بقتسرين ؛ فبيّض وبيّضوا معه .

* * *

ذكر الخبر عن تببيض أبي الورد

٥٢/٣

وما آل إليه أمره وأمر من بيّض معه

وكان سبب ذلك — فيما حدثني أحمد بن زهير — قال : حدثني عبد الوهاب ابن إبراهيم ، قال : حدثني أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح ، قال : كان أَبُو الوَرْدُ — واسمه مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي ، من أصحاب مَرْوَانَ وقواده وفرسانه — فلما هُزِم مروان ، وأبو الورد بقتسرين ، قدّمها عبد الله بن عليٍّ فبايعه ودخل فيما دخل فيه جندُه من الطاعة . وكان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاورين له بباليّس والناعورة ، فقدّم بالس قائد من قواده عبد الله ابن عليٍّ من الأزارمدين في مائة وخمسين فارساً ، فبعث بولد مسلمة بن عبد الملك ونسائهم ، فشكا بعضهم ذلك إلى أبي الورد ، فخرج من مزرعة يقال لها زراعة بن زفر — ويقال لها خُصاف — في عدّة من أهل بيته ؛ حتى هجم على ذلك القائد وهو نازل في حصن مسلمة ؛ فقاتله حتى قتله ومَن معه ، وأظهر التببيض والمخلع لعبد الله بن عليٍّ ، ودعا أهل قتسرين إلى ذلك ، فبيّضوا بأجمعهم ، وأبو العباس يومئذ بالحيرة وعبد الله بن عليٍّ يومئذ مشغول بجرب حبيب بن مرّة المرقّي ، فقاتله بأرض البلقاء والبنيّة وحوران . وكان قد لقيه عبد الله بن عليٍّ في جموعه فقاتلهم وكان بينه وبينهم وقعات ؛ وكان من قواده مَرْوَانَ وفرسانه . وكان سبب تببيضه الخوف على نفسه وعلى قومه ، فبايعته قيس وغيرهم ممن يليهم من أهل تلك الكور ؛ البنيّة وحوران .

(١) كذا في ط ، والنثني : المبالغة في الطم واللبس . وموضع الكلمة في غير واضح .

٥٣/٣ فلما بلغ عبد الله بن علي تبييضهم ، دعا حبيب بن مرة إلى الصلح فصالحه وأمنه ومن معه ، وخرج متوجهاً نحو قنسرين للقاء أبي الورد ، فرّ بدمشق ، فخلّف فيها أبا غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي في أربعة آلاف رجل من جنده ؛ وكان بدمشق يومئذ امرأة عبد الله بن علي أمّ البنين بنت محمد بن عبد المطلب النوفلية أخت عمرو بن محمد ، وأمّهات أولاد لعبد الله وثقل له . فلما قدّم حِمَص في وجهه ذلك انتقض عليه بعده أهلُ دمشق فبيّضوا ، ونهضوا مع عثمان بن عبد الأعلى بن سراقبة الأزدی . قال : فلقوا أبا غانم ومن معه ، فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة ، وانتهبوا ما كان عبد الله بن علي خلف من ثقله ومتاعه ؛ ولم يعرضوا لأهله ، وبيّض أهل دمشق واستجمعوا على الخلاف ، ومضى عبد الله بن علي - وقد كان تجتمع مع أبي الورد جماعة أهل قنسرين ، وكاتبوا من يلبّهم من أهل حِمَص وتصدّروا ، وقدمهم ألوف ، عليهم أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، فرأسوا عليهم أبا محمد ، ودعوا إليه وقالوا : هو السفيناني الذي كان يذكر وهم في نحو من أربعين ألفاً - فلما دنا منهم عبد الله بن علي وأبو محمد معسكر في جماعته بمرج يقال له مرج الأخرم - وأبو الورد المتولى لأمر العسكر والمدبر له وصاحب القتال والوقائع - وجهه عبد الله أخاه عبد الصمد بن علي في عشرة آلاف من فرسان من معه ؛ فناهضهم أبو الورد ، ولقيهم فيما بين العسكرين ، واشتجر القتل فيما بين الفريقين . وثبت القوم ، وانكشف عبد الصمد ومن معه ، وقتل منهم يومئذ ألوف ، وأقبل عبد الله حيث أتاه عبد الصمد ومعه حميد بن قحطبة وجماعة من معه من القوادر ، فالتقوا ثانية بمرج الأخرم ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وانكشف جماعة ممن كان مع عبد الله ، ثم ثابوا ، وثبت لهم عبد الله وحميد بن قحطبة فهزموهم ، وثبت أبو الورد في نحو من خمسمائة من أهل بيته وقومه ، فقتلوا جميعاً ، وهرب أبو محمد ومن معه من الكلبية حتى لحقوا بتدور ، وآمن عبد الله أهل قنسرين ، وسودوا وباعوه ، ودخلوا في طاعته ؛ ثم انصرف راجعاً إلى أهل دمشق ، لما كان من تبييضهم عليه ، وهزيمتهم أبا غانم . فلما دنا من دمشق هرب الناس وتفرقوا ، ولم يكن بينهم وقعة ، وآمن عبد الله أهلها ، وباعوه ولم يأخذهم بما كان منهم .

قال: ولم يَزَلْ أبو محمد متغيّباً هارباً، ولحق بأرض الحجاز . وبلغ زياد بن عبيد الله الحارثي عامل أبي جعفر مكانه الذي تغيب فيه ، فوجّه إليه خيلاً ، فقاتلوه حتى قُتِلَ ، وأخذ ابنيْن له أسيرين ، فبعث زياد برأس أبي محمد وابنيه إلى أبي جعفر أمير المؤمنين ، فأمر بتخليفة سبيلهما وأمنهما .

وأما عليّ بن محمد فإنه ذكر أن النعمان أبا السريّ حدثه وجبله بن فروخ وسليمان بن داود وأبو صالح^(١) المروزيّ . قالوا: خلع أبو الورد بقنّسرين ، فكتب أبو العباس إلى عبد الله بن عليّ وهو بفطرس أن يقاتل أبا الورد ، ثمّ وجّه عبد الصمد إلى قنّسرين في مبيعة آلاف ، وعلى حرسه مخارق بن غفار ، وعلى شرطه كلثوم بن شبيب ؛ ثمّ وجّه بعده ذؤيب بن الأشعث في خمسة آلاف ، ثمّ جعل يوجه الجنود ، فلقى عبد الصمد أبا الورد في جتمع كثير ، ٥٥/٣ فانهزم الناس عن عبد الصمد حتى أتوا حمص ؛ فبعث عبد الله بن عليّ العباس بن يزيد بن زياد ومروان الجرجانيّ وأبا المتوكل الجرجانيّ ؛ كل رجل في أصحابه إلى حمص ؛ وأقبل عبد الله بن عليّ بنفسه ، فنزل على أربعة أميال من حمص - وعبد الصمد بن عليّ بحمص - وكتب عبد الله إلى حميد ابن قحطبة ، فقدم عليه من الأردنّ ، وباع أهل قنسرين لأبي محمد السفينانيّ زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية وأبو الورد بن . . . ، وباعه الناس ، وأقام أربعين يوماً ، وأتاهم عبد الله بن عليّ ومعه عبد الصمد وحميد بن قحطبة ، فالتقوا فافتتلوا أشدّ القتال بينهم ، واضطّروهم أبو محمد إلى شيعب ضيق ، فجعل الناس يتفرّقون ، فقال حميد بن قحطبة لعبد الله بن عليّ : علام نقيم ؟ هم يزيدون وأصحابنا ينقصون ! ناجزهم ؛ فافتتلوا يوم الثلاثاء في آخر يوم من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وعلى ميمنة أبي محمد أبو الورد وعلى ميسرته الأصبغ بن ذؤالة ، فجرح أبو الورد ، فحمل إلى أهله فمات . ولحق قوم من أصحاب أبي الورد إلى أجمّة فأحرقوها عليهم ؛ وقد كان أهل حمص نقضوا ، وأرادوا إيثار أبي محمد ؛ فلما بلغهم هزيمة أقاموا .

(١) ب : « عامر » .

(٢) بياض في ط ، وفي ا : « حسنا » .

[ذكر خبر خلع حبيب بن مرة المري]

وفي هذه السنة خسلع حبيب بن مرة المري وبيّض هو ومن معه من أهل الشام .

* ذكر الخبر عن ذلك :

٥٦/٣ ذكر عليّ عن شيوخه ، قال : بيّض حبيب بن مرة المري وأهل البثينة وحوّران ، وعبد الله بن عليّ في عسكر أبي الورد الذي قتل فيه .

وقد حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد ، قال : كان تببيض حبيب بن مرة وقتاله عبد الله بن عليّ قبل تببيض أبي الورد ، وإنما بيّض أبو الورد وعبد الله مشغل بحرب حبيب بن مرة المري بأرض البلقاء أو البثينة وحوّران ، وكان قد لقيه عبد الله بن عليّ في جموعه فقاتله ، وكان بينه وبينه وقعات ، وكان من قواد مروان وفرسانه ؛ وكان سبب تببيضه الخوف على نفسه وقومه ، فبايعه قيس وغيرهم ممن يليهم من أهل تلك الكور ؛ البثينة وحوّران ، فلما بلغ عبد الله ابن عليّ تببيض أهل قنسرين ، دعا حبيب بن مرة إلى الصلح فصالحه ، وأمنه ومنّ معه ، وخرج متوجّهاً إلى قنسرين للقاء أبي الورد .

* * *

[ذكر خبر تببيض أهل الجزيرة وخلعهم أبا العباس]

وفي هذه السنة بيّض أيضاً أهل الجزيرة وخلعوا أبا العباس .

* ذكر الخبر عن أمرهم وما آل إليه حالهم فيه :

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد ، قال : كان أهل الجزيرة يبيّضوا ونقضوا ؛ حيث بلغهم خروج أبي الورد وانتقاض أهل قنسرين ، وساروا إلى حوران ، وبحران يومئذ موسى بن كعب في ثلاثة آلاف من الجند ، فتشبّث بمدبنتها ، وساروا إليه مبيّضين من كل وجه ، وحاصروه ومنّ معه ؛ وأمرهم مشتبّه ؛ ليس عليهم رأس يجمعهم .

وقدم على تفيئة^(١) ذلك إسحاق بن مسلم من أرمينية - وكان شخص ٥٧/٣
 عنها حين بلغه هزيمة مروان - فرأسه أهل الجزيرة عليهم . وحاصر موسى بن
 كعب نحواً من شهرين ، ووجه أبو العباس أبا جعفر فيمن كان معه من
 الجنود التي كانت بواسط محاصرة ابن هبيرة ، ففضى حتى مرت بقَرْفِيسِيَا وأهلها
 مبيتضون ، وقد غلقوا أبوابها دونه . ثم قدم مدينة الرقة وهم على ذلك ، وبها
 بكار بن مسلم ، ففضى نحو حرّان ، ورحل إسحاق بن مسلم إلى الرّهاء -
 وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وخرج موسى بن كعب فيمن معه من
 مدينة حرّان ، فلقوا أبا جعفر . وقدم بكار على أخيه إسحاق بن مسلم ، فوجهه
 إلى جماعة ربيعة بدارا وماردين - ورئيس ربيعة يومئذ رجل من الحرورية
 يقال له بُريكة - فصمّد إليه أبو جعفر ، فلقية بهم فقاتلوه بها قتالا شديداً ،
 وقتل بريكة في المعركة ، وانصرف بكار إلى أخيه إسحاق بالرّهاء فخلّقه
 إسحاق بها ، ومضى في عظم العسكر إلى سُمَيْسَاط ، فخذق على عسكره .
 وأقبل أبو جعفر في جموعه حتى قابله بكار بالرّهاء ؛ وكانت بينهما وقعات .
 وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن عليّ في السير بجنوده إلى إسحاق
 بِسُمَيْسَاط ، فأقبل من الشام حتى نزل بإزاء إسحاق بِسُمَيْسَاط ؛ وهم في
 ستين ألفاً أهل الجزيرة جميعها ، وبينهما الفرات ، وأقبل أبو جعفر من الرّهاء
 فكاتبهم إسحاق وطلب إليهم الأمان ، فأجابوا إلى ذلك وكتبوا إلى أبي العباس ،
 فأمرهم أن يؤمنوه ومنّ معه ، ففعلوا وكتبوا بينهم كتاباً ، ووثقوا له فيه ، فخرج
 إسحاق إلى أبي جعفر ، وتمّ الصلح بينهما ؛ وكان عنده من آثار أصحابه .
 فاستقام أهلُ الجزيرة وأهل الشام ، وولّى أبو العباس أبا جعفر الجزيرة وأرمينية
 وأذربيجان ، فلم يزل على ذلك حتى استخلف .

٥٨/٣

وقد ذكر أن إسحاق بن مسلم العقيليّ هذا أقام بِسُمَيْسَاط سبعة أشهر ،
 وأبوجعفر محاصره ، وكان يقول : في عُنقِ بَيْعَةٍ ، فأنا لا أدعها حتى أعلم أنّ صاحبها
 قد مات أو قتل . فأرسل إليه أبو جعفر : إن مروان قد قتل ، فقال : حتى أتيقن ،
 ثم طلب الصلح ، وقال : قد علمتُ أن مروان قد قتل ، فأمنه أبو جعفر
 وصار معه ، وكان عظيم المنزلة عنده .

وقد قيل : إن عبد الله بن عليّ هو الذي آمنه .

• • •

[ذكر خبر شخص أبو جعفر إلى خراسان]

وفي هذه السنة شخص أبو جعفر إلى أبي مسلم بخراسان لاستطلاع رأيه في قتل أبي سلمة حفص بن سليمان .

• ذكر الخبر عن سبب مسير أبي جعفر في ذلك ، وما كان من أمره

وأمر أبي مسلم في ذلك :

قد مضى ذكرى قبل "أمر أبي سلمة ، وما كان من فعله في أمير أبي العباس ومن كان معه من بني هاشم عند قدومهم الكوفة ، الذي صار به عندهم متهماً ؛ فذكر عليّ بن محمد أن جبلة بن فروخ قال : قال يزيد بن أسيد : قال أبو جعفر : لما ظهر أبو العباس أمير المؤمنين سمّرنا ذات ليلة ، فذكرنا ما صنع أبو سلمة ، فقال رجل منا : ما يدريكم ، لعلّ ما صنع أبو سلمة كان عن رأي أبي مسلم ! فلم ينطق منا أحد ، فقال : أمير المؤمنين أبو العباس : لئن كان هذا عن رأي أبي مسلم إنا لنبعّرض ببلاء ؛ إلّا أن يدفعه الله عنا . وتفرّقنا . فأرسل إلى أبو العباس ، فقال : ما ترى ؟ فقلت : الرأي رأيك ، فقال : ليس منا أحد أخصّ بأبي مسلم منك ، فأخرج إليه حتى تعلم ما رأيه ، فليس يخفى عليك ؛ فلو قد لقيته ، فإن كان عن رأيه أخذنا لأنفسنا ، وإن لم يكن عن رأيه طابت أنفسنا .

٥٩/٣

فخرجت على وجل ؛ فلما انتهيت إلى الرىّ ، إذا صاحب الرىّ قد أتاه كتاب أبي مسلم : إنه بلغني أن عبد الله بن محمد توجه إليك ، فإذا قدم فأشخصه ساعة قدومه^(١) عليك . فلما قدمت أتاني عامل الرىّ فأخبرني بكتاب أبي مسلم ، وأمرني بالترحيل ، فازددت وجلاً ، وخرجت من الرىّ وأنا حذرٌ خائف فسرت ؛ فلما كنت بنيسابور إذا عاملها قد أتاني بكتاب أبي مسلم : إذا قدم عليك عبد الله بن محمد فأشخصه ولا تدّعه [يقيم]^(٢) ، فإن أرضك أرض

خَوَارِجَ وَلَا آمَنَ عَلَيْهِ . فَطَابَتْ نَفْسِي وَقُلْتُ : أَرَاهُ يُعْنَتِي بِأَمْرِي . فَسَرْتُ ، فَلَمَّا كُنْتُ مِنْ مَرَّوٍ عَلَى فَرَسَخَيْنِ ، تَلَقَّانِي أَبُو مُسْلِمٍ فِي النَّاسِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي أَقْبَلَ يَمْشِي إِلَيَّ ؛ حَتَّى قَبَلَ يَدِي ، فَقُلْتُ : ارْكَبْ ، فَارْكَبْ فَدَخَلَ مَرَّوً ، فَزُلْتُ دَاراً فَكُنْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ : مَا أَقْدَمَكَ ؟ فَأَخْبَرْتَهُ ، فَقَالَ : فَعَلَهَا أَبُو سَلَمَةَ ! أَكْفَيْكُمْوه ! فِدَعَا مَرَّارَ ابْنَ أَنَسِ الضَّبِّيِّ ، فَقَالَ : انْطَلِقْ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَاقْتُلْ أَبَا سَلَمَةَ حَيْثُ لَقِيتَهُ ؛ وَانْتَهَ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِ الْإِمَامِ . فَقَدِمَ مَرَّارَ الْكُوفَةَ ؛ فَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ يَسْمُرُ عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَقَعَدَ فِي طَرِيقِهِ ، فَلَمَّا خَرَجَ قَتَلَهُ فَقَالُوا : قَتَلَهُ الْخَوَارِجُ .

قَالَ عَلِيٌّ : فَحَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ ، عَنْ سَالِمٍ ، قَالَ : صَحِبْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مِنَ الرَّيِّ إِلَى خُرَّاسَانَ ، وَكُنْتُ حَاجِبَهُ ، فَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ يَأْتِيهِ فَيَنْزِلُ عَلَى بَابِ الدَّارِ وَيَجْلِسُ فِي الدَّهْلِيزِ ، وَيَقُولُ : اسْتَأْذِنْ لِي ، فَغَضِبَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيَّ ، وَقَالَ : وَبِكَ ! إِذَا رَأَيْتَهُ فَافْتَحْ لَهُ الْبَابَ ، وَقُلْ لَهُ يَدْخُلْ عَلَى دَابَتِهِ . فَفَعَلْتُ وَقُلْتُ لِأَبِي مُسْلِمٍ : إِنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : نَعَمْ ، أَعْلَمْ ، وَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ .

وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ قَدْ كَانَ تَنْكَرَ لِأَبِي سَلَمَةَ قَبْلَ ارْتِحَالِهِ مِنْ ٦٠/٣ عَسْكَرِهِ بِالنُّخَيْلَةِ ، ثُمَّ تَحَوَّلَ عَنْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْهَاشِمِيَّةِ ، فَزُلَّ قَصْرُ الْإِمَارَةِ بِهَا ، وَهُوَ مَتَنَكَّرٌ لَهُ ، قَدْ عَرَفَ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَكُتِبَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ يَعْلَمُهُ رَأْيُهُ ، وَمَا كَانَ هُمْ بِهِ مِنَ الْغِشِّ ، وَمَا يَتَخَوَّفُ مِنْهُ ، فَكُتِبَ أَبُو مُسْلِمٍ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : إِنْ كَانَ اطَّلَعَ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُ فَلْيَقْتُلْهُ ؛ فَقَالَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ لِأَبِي الْعَبَّاسِ : لَا تَفْعَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَيَحْتَجُّ عَلَيْكَ بِهَا أَبُو مُسْلِمٍ وَأَهْلُ خُرَّاسَانَ الَّذِينَ مَعَكَ ، وَحَالَهُ فِيهِمْ حَالَهُ ؛ وَلَكِنْ اكْتُبْ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ فَلْيَبْعَثْ إِلَيْهِ مَنْ يَقْتُلُهُ ، فَكُتِبَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ بِذَلِكَ ، فَبَعَثَ بِذَلِكَ أَبُو مُسْلِمٍ مَرَّارَ بْنَ أَنَسِ الضَّبِّيِّ ، فَقَدِمَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ فِي الْمَدِينَةِ الْهَاشِمِيَّةِ ، وَأَعْلَمَهُ سَبَبَ قَدُومِهِ ، فَأَمَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُنَادِيًا فَنَادَى : إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ رَضِيَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَدَعَاهُ وَكَسَاهُ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَيْلَةً ، فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ حَتَّى ذَهَبَ عَامَّةَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ خَرَجَ مُنْصَرَفًا

إلى منزله يمشى وحده ؛ حتى دخل الطاقات ، فعرض له مرّار بن أنس ومَن كان معه من أعوانه فقتلوه ، وأغلقت أبواب المدينة ، وقالوا : قتل الخوارج أبا سلمة . ثم أخرج من الغد ؛ فصلى عليه يحيى بن محمد بن عليّ ، ودفن في المدينة الهاشمية ، فقال سليمان بن المهاجر البجليّ :

إِنَّ الوزيرَ وزيرَ آل محمد أودى فمن يَشْنُكَ كان وزيراً

وكان يقال لأبي سلمة : وزير آل محمد ، ولأبي مسلم : أمين آل محمد . فلما قتل أبو سلمة وجه أبو العباس أخاه أبا جعفر في ثلاثين رجلاً إلى أبي مسلم ؛ فيهم الحجاج بن أرطاة وإسحاق بن الفضل الهاشمي . ولما قدم أبو جعفر على أبي مسلم سايّره عبيد الله بن الحسين الأعرج وسليمان بن كثير معه ، فقال سليمان بن كثير للأعرج : يا هَذَا ؛ إنا كنّا نرجو أن يتمّ أمركم ؛ فإذا شتمّ فادعونا إلى ما تريدون ، فظنّ عبيد الله أنه دسيس من أبي مسلم ، فخاف ذلك . وبلغ أبا مسلم مسايرة سليمان بن كثير إياه ، وأتى عبيد الله أبا مسلم ، فذكر له ما قال سليمان ، وظنّ أنه إن لم يفعل ذلك اغتاله فقتله ، فبعث أبو مسلم إلى سليمان بن كثير ، فقال له : أتَحفظ قول الإمام لي : مَن اتهمته فاقتله ؟ قال : نعم ، قال : فإني قد اتهمتك ، فقال : أنشدك الله ! قال : لا تناشدني الله وأنت منطويّ على غشّ الإمام ؛ فأمر بضرب عنقه . ولم يرَ أحداً ممن كان يضرب عنقه أبو مسلم غيره ، فانصرف أبو جعفر من عند أبي مسلم ، فقال لأبي العباس : لست خليفة ولا أمرك بشيء إن تركت أبا مسلم ولم تقتله ، قال : وكيف ؟ قال : والله ما يصنع إلا ما أراد ، قال أبو العباس : اسكت فاكتمها .

* * *

[ذكر الخبر عن حرب يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط]

وفي هذه السنة وجه أبو العباس أخاه أبا جعفر إلى واسط لحرب يزيد بن عمر بن هبيرة ؛ وقد ذكرنا ما كان من أمر الجيش الذين لقوه من أهل خُرّاسان مع قَحْطِبة ، ثم مع ابنه الحسن بن قحطبة وانهزامه ولحاقه بمن معه من جنود الشام بواسط متحصّناً بها ؛ فذكر عليّ بن محمد عن أبي عبد الله السلميّ

عن عبد الله بن بدر وزهير بن هنيذ وبشر بن عيسى وأبي السريّ أن ابن ٦٢/٣ هبيرة لما انهزم تفرّق الناس عنه، وخلف على الأثقال قومًا، فذهبوا بتلك الأموال فقال له حوثره: أين تذهب وقد قتل صاحبهم^(١) ! امض إلى الكوفة ومعك جند كثير ، فقاتلهم حتى تقتل أو تظفر ، قال : بل تأتى واسطًا فننظر ، قال : ما تزيد على أن تمكّنه من نفسك وتقتل ، فقال له يحيى بن حضير : إنك لا تأتى مروان بشيء أحبّ إليه من هذه الجنود ، فالزم الفُرات حتى تقدم عليه ؛ وإياك واسطًا ؛ فتصير في حصار ، وليس بعد الحصار إلا القتل . فأبى . وكان يخاف مروان لأنه كان يكتب إليه في الأمر فيخالفه ؛ فعخافه إن قدم عليه أن يقتله ، فأتى واسطًا فدخلها ، وتحصّن بها .

وسرح أبو سلمة الحسن بن قحطبة ، فخذق الحسن وأصحابه ، فنزلوا فيما بين الزّاب ودجلة ؛ وضرب الحسن سرادقه حيال باب المضمار ، فأولّ وقعة كانت بينهم يوم الأربعاء ، فقال أهل الشام لابن هبيرة : ائذن لنا في قتالهم ، فأذن لهم ، فخرجوا وخرج ابن هبيرة ، وعلى ميمنته ابنه داود ، ومعه محمد بن نباتة في ناس من أهل خراسان ، فيهم أبو العود الخراسانيّ ، فالتقوا وعلى ميمنته الحسن خازم بن خزيمه ، وابن هبيرة قبالة باب المضمار ، فحمل خازم على ابن هبيرة ، فهزموا أهل الشام حتى ألقوهم إلى الخنادق ، وبادر الناس باب المدينة حتى غصّ باب المضمار ، ورمى أصحاب العرّادات بالعرّادات ٦٣/٣ والحسن واقف . وأقبل يسير في الخيل فيما بين النهر والخندق ، ورجع أهل الشام ، فكرّ عليهم الحسن ، فحالوا بينه وبين المدينة ، فاضطروهم إلى دجلة ، فغرق منهم ناس كثير ، فتلقّوه هم بالسفن ، فحملوهم ، وألقى ابن نباتة يومئذ سلاحه واقتحم ، فتبعوه بسفينة فركب وتحاجزوا ، فكثوا سبعة أيام ، ثم خرجوا إليهم يوم الثلاثاء فاقتتلوا ، فحمل رجل من أهل الشام على أبي حفص هزار مرد ، فضربه وانتمى : أنا الغلام السُّلَميّ ، وضربه أبو حفص وانتمى : أنا الغلام العتكيّ ، فصصره ، وانهزم أهل الشام هزيمة قبيحة ، فدخلوا المدينة ، فكثوا ما شاء الله لا يقتتلون إلا رميًا من وراء الفصيل .

(١) في ابن الأثير : «يمنى قحطبة» .

وبلغ ابن هبيرة وهو في الحصار أن أبا أمية التغلبي قد سود ، فأرسل أبا عثمان إلى منزله ، فدخل على أبي أمية في قبته ، فقال : إن الأمير أرسلني إليك لأفتش قبتك ، فإن كان فيها سواد علقته في عنقك وجبلا ، ومضيت بك إليه ؛ وإن لم يكن في بيتك سواد فهذه خمسون ألفاً صلة لك . فأبى أن يدعه أن يفتش^(١) قبته ، فذهب به إلى ابن هبيرة فحبسه ، فتكلم في ذلك مع ابن زائدة وناس من ربيعة ، وأخذوا ثلاثة من بني فزارة ؛ فحبسهم وشتموا ابن هبيرة ، فجاءهم يحيى بن حُضَيْن ، فكلّسهم فقالوا : لا نخلى عنهم حتى يخلى عن صاحبنا ؛ فأبى ابن هبيرة ، فقال له : ما تفسد إلا على نفسك وأنت محصور ، خلّ سبيل هذا الرجل ، قال : لا ولا كرامة ؛ فرجع ابن حُضَيْن إليهم فأخبرهم ، فاعتزل معن وعبد الرحمن بن بشير العجليّ ، فقال ابن حُضَيْن لابن هبيرة : هؤلاء فرسانك قد أفسدتهم ؛ وإن تباديت في ذلك كانوا أشدّ عليك ممّن حصرك ؛ فدعا أبا أمية فكساه ، وخلى سبيله ، فاصطلحوا وعادوا إلى ما كانوا عليه .

وقدم أبو نصر مالك بن الهيثم من ناحية سجستان ، فأوفد الحسن بن قحطبة وفداً إلى أبي العباس بقدم أبي نصر عليه ، وجعل على الوفد غيلاً ابن عبد الله الخزاعيّ — وكان غيلان واجداً على الحسن لأنه سرتحه إلى روح ابن حاتم مدداً له — فلما قدم على أبي العباس قال : أشهد أنك أمير المؤمنين ، وأنت حبلُ الله المتين ، وأنت إمام المتقين ؛ فقال : حاجتك يا غيلان ؟ قال : أستغفرك ، قال : غفر الله لك ، فقال داود بن عليّ : وفّقك الله يا أبا فضالة ، فقال له غيلان : يا أمير المؤمنين ، منّ علينا برجل من أهل بيتك ، قال : أو ليس عليكم رجل من أهل بيتي ! الحسن بن قحطبة ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، منّ علينا برجل من أهل بيتك ، فقال أبو العباس مثل قوله الأول ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ منّ علينا برجل من أهل بيتك نظراً لوجهه ، وتقرّ أعيننا به ، قال : نعم يا غيلان ؛ فبعث أبا جعفر ، فجعل غيلان على شرطه فقدم واسطاً ، فقال أبو نصر لغيلان : ما أردت لا ما صنعت ؟ قال : « به بود »^(٢) ،

(١) ج : « ليفتش » (٢) به بود ، كلمة فارسية معناها « سلامة » .

فكث أياماً على الشرط ، ثم قال لأبي جعفر : لا أقوى على الشرط ؛ ولكنى أدلك على من هو أجلد منى ، قال : من هو ؟ قال : جهنور بن مزار ، قال : لا أقدر على عزلك ؛ لأن أمير المؤمنين استعملك ، قال : اكتب إليه فأعلمه ، فكتب إليه ، فكتب إليه أبو العباس : أن اعمل برأى غيّلان ، فولّى شرطه جهنوراً . وقال أبو جعفر للحسن : ابغنى رجلاً أجعله على حرسى ، قال : من قد رضيته لنفسى ؛ عثمان بن ذهيبك ، فولّى الحرس .

قال بشر بن عيسى : ولما قدم أبو جعفر واسطاً ، تحوّل له الحسن عن حجرته ، فقاتلهم وقتلوه ، فقاتلهم أبو نصر يوماً ، فانهزم أهل الشام إلى خنادقهم ؛ وقد كمن لهم معن وأبو يحيى الجذامى ، فلما جاوزهم أهل خراسان ، خرجوا عليهم ؛ فقاتلوه حتى أمسوا ، وترجل لهم أبو نصر ؛ فاقتتلوا عند الخنادق ، ورفعت لهم النيران وابن هبيرة على برّج باب الخلاّين ، فاقتتلوا ما شاء الله من الليل . وسرح ابن هبيرة إلى معن أن ينصرف ، فانصرف ومكثوا أياماً . وخرج أهل الشام أيضاً مع محمد بن نبّانة ومعن بن زائدة وزياد بن صالح وفرسان من فرسان أهل الشام ، فقاتلهم أهل خراسان ، فهزمهم إلى دجلة ، فجعلوا يتساقطون في دجلة ، فقال أبو نصر : يا أهل خراسان « مردمان خائنه بيايان هستيد و برخزيد » ، فرجعوا وقد صرع ابنه ، فحماه روح بن حاتم ، فمّر به أبوه ، فقال له بالفارسية : قد قتلوك يا بنى ؛ لعن الله الدنيا بعدك ! وحمالوا على أهل الشام فهزمهم حتى أدخلوهم مدينة واسط ، فقال بعضهم لبعض : لا والله لا تفلاح بعد عيشتنا أبداً ؛ خرجنا عليهم ونحن فرسان أهل الشام ، فهزمونا حتى دخلنا المدينة .

٦٦/٣ وقيل تلك العشية من أهل خراسان بكار الأنصارى ورجل من أهل خراسان ؛ كانا من فرسان أهل خراسان ؛ وكان أبو نصر في حصار ابن هبيرة يملأ السفن حطباً ، ثم يضرهما بالنار لتحرق ما مرت به ؛ فكان ابن هبيرة يهتئ حراقات^(١) كان فيها كلاليب تجر تلك السفن ؛ فكثوا بذلك أحد عشر شهراً ، فلما طال ذلك عليهم طلبوا الصلح ؛ ولم يطلبوه حتى جاءهم خبر

(١) الحراقة ، بالفتح والتشديد : ضرب من السفن فيها مراى نيران يرى بها العدو في البحر .

قتل مروان ، أتاهم به إسماعيل بن عبد الله القسريّ ، وقال لهم : علام تقتلون أنفسكم ، وقد قتل مروان !

وقد قيل : إنّ أبا العباس وجّه أبا جعفر عند مقدمه من خراسان منصرفاً من عند أبي مسلم إلى ابن هبيرة لحربه ، فشنّص أبو جعفر حتى قدم على الحسن ابن قحطبة ؛ وهو محاصر ابن هبيرة بواسطة ، فتحول له الحسن عن منزله ، فنزله أبو جعفر ، فلما طال الحصار على ابن هبيرة وأصحابه تحسّى عليه أصحابه ، فقالت اليمانية : لا نعين مروان وآثاره فينا آثاره . وقالت الزارية : لا نقاتل حتى تقاتل معنا اليمانية ؛ وكان إنما يقاتل معه الصعاليك والفتيان ؛ وهم ابن هبيرة أن يدعو إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن ؛ فكتب إليه فأبطأ جوابه ؛ وكتب أبو العباس اليمانية من أصحاب ابن هبيرة ؛ وأطمعهم . فخرج إليه زياد بن صالح وزباد بن عبيد الله الحارثيان ؛ ووعدا ابن هبيرة أن يصلحا له ناحية أبي العباس فلم يفعلوا ؛ وجرت (١) السفراء بين أبي جعفر وبين ابن هبيرة حتى جعل له أماناً ، وكتب به كتاباً ، مكث يشاور فيه العلماء أربعين يوماً حتى رضيّه ابن هبيرة ، ثم أنفذه إلى أبي جعفر ، فأنفذه أبو جعفر إلى أبي العباس ، فأمره بإمضائه ؛ وكان رأى أبي جعفر الوفاء له بما أعطاه ، وكان أبو العباس لا يقطع أمراً دون أبي مسلم ، وكان أبو الجهم عيناً لأبي مسلم على أبي العباس ، فكتب إليه بأخباره كلها ، فكتب أبو مسلم إلى أبي العباس : إنّ الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسدت ؛ لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة .

ولما تمّ الكتاب خرج ابن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلثمائة من البخارية ؛ فأراد أن يدخل الحجرة على دابته ، فقام إليه الحاجب سلام بن سليم ، فقال : مرحباً بك أبا خالد ! انزل راشداً ؛ وقد أطاف بالحجرة نحو من عشرة آلاف من أهل خراسان ، فنزل ، ودعا له بوسادة ليجلس عليها ، ثم دعا بالقواد فدخلوا ، ثم قال سلام : ادخل أبا خالد ؛ فقال له : أنا ومن معي ؟ فقال : إنما استأذنتُ لك وحدك ، فقام فدخل ، ووضعت له وسادة ، فجلس عليها ، فحادثه ساعة ، ثم قام وأتبعه أبو جعفر بصره حتى غاب عنه ؛ ثم مكث يقيم عنه يوماً ، ويأتيه يوماً

في خمسمائة فارس وثلثمائة راجل ؛ فقال يزيد بن حاتم لأبي جعفر : أيها الأمير ؛ إن ابن هبيرة ليأتني فيتضععضع له العسكر ؛ وما نقص من سلطانه شيء ، فإذا كان يسير في هذه الفرسان والرجالة ، فما يقول عبد الجبار وجهور ! فقال أبو جعفر لسلام : قل لابن هبيرة يدع الجماعة ويأتينا في حاشيته [نحواً من ثلاثين^(١)] ، فقال له سلام ذلك ، فتغير وجهه ، وجاء في حاشيته نحواً من ثلاثين ، فقال له سلام : كأنك تأتي مباهياً^(٢) ! فقال : إن أمرتم أن نمشي إليكم مشينا ، فقال : ٦٨/٣ ما أردنا بك استخفافاً ، ولا أمر الأمير بما أمر به إلا نظراً لك ؛ فكان بعد ذلك يأتي في ثلاثة .

وذكر أبو زيد أن محمد بن كثير حدثه ، قال : كلم ابن هبيرة يوماً أبا جعفر ، فقال : يا هناء — أو يأتيها المرء — ثم رجع ، فقال : أيها الأمير ؛ إن عهدي بكلام الناس بمثل ما خاطبتك به حديث ، فسبقني لسانی إلى ما لم أردّه . وألح أبو العباس على أبي جعفر يأمره بقتله وهو يراجعه ؛ حتى كتب إليه : والله لتقتلنه أو لأرسلن^(٣) إليه من يخرججه من حُجرتك^(٣) ، ثم يتولى قتله . فأزعم على قتله ، فبعث خازم بن خزيمه والهيثم بن شعبه بن ظهير ؛ وأمرهما بعخم بيوت الأموال . ثم بعث إلى وجوه من معه من القيسية والمضرية ، فأقبل محمد ابن نباتة وحوثره بن سهيل وطارق بن قدامة وزیاد بن سويد وأبو بكر بن كعب العقيلي وأبان وبشر ابنا عبد الملك بن بشر ؛ في اثنين وعشرين رجلاً من قيس ، وجعفر بن حنظلة وهزان بن سعد .

قال : فخرج سلام بن سليم ، فقال : أين حوثره ومحمد بن نباتة ؟ فقاما ، فدخلنا ، وقد أجلس عثمان بن نهيك والفضل بن سليمان وموسى بن عقيل في مائة في حُجرة دون حجرتي ، فنزعت سيوفهمَا وكتفَا ، ثم دخل بشر وأبان ابنا عبد الملك بن بشر ، ففعل بهما ذلك ؛ ثم دخل أبو بكر بن كعب وطارق ابن قدامة ، فقام جعفر بن حنظلة ، فقال : نحن رؤساء الأجناد ، ولم يكون هؤلاء يقدّمون علينا ؟ فقال : بمن أنت ؟ قال : من بهراء ، فقال : وراءك ٦٩/٣

(٢) ١ : « متأهباً » .

(١) من أ .

(٣) ج : « منزلك » .

أوسع لك ، ثم قام هزّان ، فتكلم فأخّر ، فقال روح بن حاتم :
يا أبا يعقوب ، نزعنا^(١) سيوف القوم ، فخرج عليهم^(٢) موسى بن عقيل ، فقالوا
له^(٣) : أعطيتمونا عهد الله ثم خيستم به ! إنا لنرجو أن يدرككم الله ؛ وجعل
ابن نباتة يضرب^(٤) في الحية نفسه ، فقال له حوثة : إن هذا لا يغني عنك
شيئاً ؛ فقال : كأني كنت أنظر إلى هذا ، فقتلوا . وأخذت خواتيمهم .
وانطلق خازم والهيثم بن شعبة والأغلب بن سالم في نحو من مائة ، فأرسلوا
إلى ابن هبيرة : إنا نريد حمل المال ، فقال ابن هبيرة لحاجبه : يا أبا عثمان ،
انطلق فدلّهم عليه ، فأقاموا عند كل بيت نفراً ، ثم جعلوا ينظرون في نواحي
الدار ، ومع ابن هبيرة ابنه داود وكاتبه عمرو بن أيوب وحاجبه وعدة من
مواليه ، وبني له صغير في حِجره ؛ فجعل ينكر نظرهم فقال : أقسم بالله
إن في وجوه القوم لشراً ، فأقبلوا نحوه ، فقام حاجبه في وجوههم ، فقال :
ما وراءكم ؟ فضربه الهيثم بن شعبة على جبل عاتقه فصرعه ، وقاتل ابنه داود
فقتل وقتل مواليه ، ونحى الصبي من حِجره ، وقال : دونكم هذا الصبي ، وخرّ ساجداً
فقتل وهو ساجد ، ومضوا برءوسهم إلى أبي جعفر ، فنادى بالأمان للناس إلّا
للحكيم بن عبد الملك بن بشر وخالد بن سلمة المخزومي وعمر بن ذرّ ، فاستأمن
زياد بن عبيد الله لابن ذرّ فأمنه أبو العباس ، وهرب الحكيم ، وآمن أبو جعفر
خالداً ، فقتله أبو العباس ، ولم يُجزّ أمان أبي جعفر ، وهرب أبو علاقة وهشام
ابن هشيم بن صفوان بن مزيد الفزاريان ، فلحقهما حجر بن سعيد الطائي
فقتلها على الزّاب ، فقال أبو عطاء السّندي يرثيه :

٧٠/٣

أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجِدْ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بِجَارِي دَمِهَا لَجَمٌ وَدُ^(٥)
عَشِيَّةٌ قَامَ النَّائِحَاتُ وَشَقَّقَتْ جُيُوبٌ بِأَيْدِي مَاتِمٍ وَخُدُودُ
فَإِنْ تُمْسُ مَهْجُورَ الْفِنَاءِ فَرَبَّمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودُ
فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مَتَعَهْدٍ بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التَّرَابِ بَعِيدُ

(١) « تركت » .

(٢) ج : « إليهم » .

(٣) ج : « قد » .

(٤) ج : « يطرد في لحم نفسه » . (٥) ديوان الحماسة ٢ : ٢٩٥ - بشرح التبريزي .

وقال منقذ بن عبد الرحمن الهلالي يرثيه :

مَنَعَ العِزَّاءَ حَرَارَةُ الصَّدْرِ وَالْحُزْنَ عَقْدَ عَزِيمَةِ الصَّبْرِ
لَمَّا سَمِعْتُ بِوَفْعَةٍ شَمِلَتْ بِالشَّيْبِ لَوْنَ مَفَارِقِ الشَّعْرِ
أَفْنَى الْحِمَاةِ الْغُرَّ أَنْ عَرَضَتْ دُونَ الْوَفَاءِ حَبَائِلُ الْغَدْرِ
مَالَتْ حَبَائِلُ أَمْرِهِمْ بَفْتَى مِثْلِ النُّجُومِ حَفَفْنَ بِالْبَدْرِ
عَالَى نَعِيمِهِمْ فَقُلْتُ لَهُ هَلَّا أَتَيْتَ بِصَيْحَةِ الْحَشْرِ!
لِلَّهِ دَرَكٌ مَنْ زَعَمْتَ لَنَا أَنْ قَدْ حَوَتْهُ حَوَادِثُ الدَّهْرِ
مَنْ لِلْمَنَابِرِ بَعْدَ مَهْلِكِهِمْ أَوْ مَنْ يَسُدُّ مَكَارِمَ الْفَخْرِ!
فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ شَكَا أَلَمًا قَلْبِي لَفَقْدِ فَوَارِسِ زُهْرِ
قَتَلِي بَدِجْلَةً مَا يَغْمُهُمْ إِلَّا عُجَابُ زَوَاخِرِ الْبَحْرِ
فَلْتَبْكِي نِسْوَتَنَا فَوَارِسَهَا خَيْرَ الْحِمَاةِ لِيَالِي الدُّغْرِ

وذكر أبو زيد أن أبا بكر الباهلي حَدَّثَهُ ، قال : حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ ، قال : كَانَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ خُطِبَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ ابْنَتِهِ عَلَى ابْنِهِ مَعَاوِيَةَ ، فَأَبَى أَنْ يَزَوِّجَهُ ، فَجَرَى بَعْدَ ذَلِكَ بَيْنَ يَزِيدَ بْنِ عُمَرَ وَبَيْنَ الْوَلِيدِ بْنِ الْقَعْقَاعِ كَلَامٌ ؛ فَبَعَثَ بِهِ هِشَامُ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ الْقَعْقَاعِ ، فَضَرَبَهُ وَحَبَسَهُ ، فَقَالَ ابْنُ طَيِّسَلَةَ :

يَا قَلَّ خَيْرُ رِجَالٍ لَا عَقُولَ لَهُمْ مَنْ يَعْدِلُونَ إِلَى الْمَحْبُوسِ فِي حَلَبٍ
إِلَى أَمْرِي لَمْ تُصِبْهُ الدَّهْرُ مُعْضِلَةٌ إِلَّا اسْتَقَلَّ بِهَا مُسْتَرْخِي اللَّبَبِ

وقيل : إن أبا العباس لما وَجَّهَ أبا جعفر إلى واسط لقتال ابن هُبَيْرَةَ ، كَتَبَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ قَحْطَبَةَ : إِنَّ الْعَسْكَرَ عَسْكَرُكَ ، وَالْقُوَادَّ قَوَادُّكَ ؛ وَلَكِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ أَخِي حَاضِرًا ، فَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِعْ ، وَأَحْسِنِ مَوَازِرَتَهُ . وَكَتَبَ إِلَى أَبِي نَصْرٍ مَالِكِ بْنِ الْهَيْثَمِ بِمِثْلِ ذَلِكَ ؛ فَكَانَ الْحَسَنُ الْمُدَبِّرَ لِذَلِكَ الْعَسْكَرِ بِأَمْرِ الْمَنْصُورِ .

وفي هذه السنة وجه أبو مسلم محمد بن الأشعث على فارس ، وأمره أن يأخذ عمال أبي سلمة فيضرب أعناقهم . ففعل ذلك .

وفي هذه السنة وجه أبو العباس عمه عيسى بن عليّ على فارس ، وعليها محمد بن الأشعث ، فهمّ به ، فقليل له : إن هذا لا يسوغ لك ، فقال : بلى ، أمرني أبو مسلم ألا يقدم عليّ أحد يدعي الولاية من غيره إلا ضربت عنقه . ثم ارتدع عن ذلك لما تخوّف من عاقبته ، فاستحلف عيسى بالأيمن المحرّجة ألا يعلو منبراً ، ولا يتقلّد سيفاً إلا في جهاد ؛ فلم يلبّ عيسى بعد ذلك عملاً ، ولا تقلّد سيفاً إلا في غزو . ثم وجه أبو العباس بعد ذلك إسماعيل بن عليّ والياً على فارس . ٧٢/٣

وفي هذه السنة وجه أبو العباس أخاه أبا جعفر والياً على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية ، ووجه أخاه يحيى بن محمد بن عليّ والياً على الموصل .

وفيها عزل عمه داود بن عليّ عن الكوفة وسوادها ، وولّاه المدينة ومكة واليمن واليامة ، وولّى موضعه وما كان إليه من عمل الكوفة وسوادها عيسى بن موسى . وفيها عزّك مروان — وهو بالجزيرة عن المدينة — الوليد بن عروة ، وولّاه أخاه يوسف بن عروة ؛ فذكر الواقدي أنه قدم المدينة لأربع خلون من شهر ربيع الأول .

وفيها استقضى عيسى بن موسى على الكوفة ابن أبي ليلى .

وكان العامل على البصرة في هذه السنة سفيان بن معاوية المهلبى . وعلى قضائها الحجاج بن أرطاة ، وعلى فارس محمد بن الأشعث ، وعلى السند منصور بن جمهور ، وعلى الجزيرة وأرمينية وأذربيجان عبد الله بن محمد ، وعلى الموصل يحيى بن محمد ، وعلى كُور الشام عبد الله بن عليّ ، وعلى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد ، وعلى خراسان والحبال أبو مسلم ، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك .

وحجّ بالناس في هذه السنة داود بن عليّ بن عبد الله بن العباس (١) .

(١) إلى هنا ينتهى الجزء الثانى عشر ؛ من نسخة أحمد الثالث ، وهى التى رمز لها بالحرف (١) .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة*

ذكر ما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك ما كان من توجيه أبي العباس عمه سليمان بن عليّ واليّا على البصرة وأعمالها ، وكُور دجلة والبصرة وحمرين وثمان وميهر جانتقدق ، وتوجيهه أيضاً عمه إسماعيل بن عليّ على كُور الأهواز .

وفيهما قتل داود بن عليّ من كان أخذ من بني أمية بمكة والمدينة .
وفيهما مات داود بن عليّ بالمدينة في شهر ربيع الأول ؛ وكانت ولايته — فيما ذكر محمد بن عمر — ثلاثة أشهر .

واستخلف داود بن عليّ حين حضرته الوفاة على عمله ابنه موسى ؛ ولما بلغت أبا العباس وفاته وجهه على المدينة ومكة والطائف واليامة خاله زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ، وجهه محمد بن يزيد بن عبد الله ابن عبد المدان على اليمن ، فقدم اليمن في جمادى الأولى ، فأقام زياد بالمدينة ومضى محمد إلى اليمن . ثم وجه زياد بن عبيد الله من المدينة لإبراهيم بن حسان السلمي ؛ وهو أبو حماد الأبرص — إلى المشتى بن يزيد بن عمر بن هبيرة وهو باليامة ، فقتله وقتل أصحابه .

وفيهما كتب أبو العباس إلى أبي عون بإقراره على مصر واليّا عليها ، وإلى عبد الله وصالح ابني عليّ على أجناد الشام .
وفيهما توجه محمد بن الأشعث إلى إفريقية فقاتلهم قتالا شديداً حتى فتحها .

وفيهما خرج شريك بن شيخ المهري^(٢) بخراسان على أبي مسلم ببخارى ونقم^(٣) عليه ، وقال : ما على هذا اتبعنا آل محمد ، على أن نسفك الدماء ، ونعمل بغير الحق . وتبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفاً ، فوجه إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتله فقتله .

* من هنا تبدأ المقابلة على الجزء الثاني عشر من الفسخة التيمورية ؛ وهي التي رمزت لها بالحرف (ت) .

(٢) ج : « الفهرى » . (٣) ج : « ونقض عليه » .

وفيهما توجه أبو داود خالد بن إبراهيم من الوخش إلى الحنّتل، فدخلها ولم يتمتع عليه حنّش^(١) بن السبل ملكها، وأتاه ناس من دهاقين الحنّتل، فتحصّنوا معه؛ وامتنع بعضهم في الدروب والشعاب والقلاع. فلما ألح أبو داود على حنّش، خرج من الحصن ليلاً ومعه دهاقينه وشاكريته حتى انتهوا إلى أرض فرغانة؛ ثم خرج منها في أرض الترك، حتى وقع إلى ملك الصين؛ وأخذ أبو داود من ظفر به منهم، فجاوز بهم إلى بلخ، ثم بعث بهم إلى أبي مسلم.

وفيهما قُتل عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب؛ قتله سليمان الذي يقال له الأسود، بأمان كتبه له.

وفيهما وجه صالح بن علي سعيد بن عبد الله لغزو الصائفة؛ وراء الدروب. وفيها عزل يحيى بن محمد عن الموصل، واستعمل مكانه إسماعيل بن علي.

* * *

وحج بالناس في هذه السنة زياد بن عبيد الله الحارثي؛ كذلك حدثني أحمد ابن ثابت، عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقدي وغيره.

٧٥/٣

وكان على الكوفة وأرضها عيسى بن موسى، وعلى قضائها ابن أبي ليلى، وعلى البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وثمان والعرض ومهرجان نقد سليمان ابن علي، وعلى قضائها عبّاد بن منصور، وعلى الأهواز إسماعيل بن علي، وعلى فارس محمد بن الأشعث، وعلى السند منصور بن جمهور، وعلى خراسان والجلال أبو مسلم، وعلى قنسرين وحمص وكور دمشق والأردن عبد الله بن علي، وعلى فلسطين صالح بن علي.

وعلى مصر عبد الملك بن يزيد أبو عون، وعلى الجزيرة عبد الله بن محمد المنصور، وعلى الموصل إسماعيل بن علي، وعلى أرمينية صالح بن صبيح، وعلى أذربيجان مجاشع بن يزيد.

وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر خبر خلع بسام بن إبراهيم]

ففيها خالف بسام بن إبراهيم بن بسام ، وخلق ، وكان من فرسان أهل خراسان . وشخص — فيما ذكر — من عسكر أبي العباس أمير المؤمنين مع جماعة ممن شايعه على ذلك من رأيه ؛ مستسرين ^(١) بخروجهم ، ففحص عن أمرهم وإلى أين صاروا ، حتى وقف على مكانهم بالمداثر ، فوجه إليهم أبو العباس خازم بن خزيمه ، فلما لقي بساماً ناجزه القتال ، فانهزم بسام وأصحابه وقتل أكثرهم ، واستبيح عسكره ، ومضى خازم وأصحابه في طلبهم ^(٢) ، في أرض جوخي إلى أن بلغ ماه ، وقتل كل من لحقه منهزماً ، أو ناصبه القتال ؛ ثم انصرف من وجهه ذلك ؛ فرّ بذات المطامير — أو بقرية شبيهة بها — وبها من بني الحارث بن كعب من بني عبد المدان ؛ وهم أخوال أبي العباس ذنّبة ^(٣) فرّ بهم وهم في مجلس لهم — وكانوا خمسة وثلاثين رجلاً منهم ومن غيرهم ثمانية عشر رجلاً ، ومن مواليتهم سبعة عشر رجلاً — فلم يسلم عليهم ، فلما جاز شتموه ؛ وكان في قلبه عليهم ما كان لما بلغه عنهم من حال المغيرة بن القرع ^(٤) ، وأنه لجأ إليهم ، وكان من أصحاب بسام بن إبراهيم فكريّ راجعاً ، فسألهم عما بلغه من نزول المغيرة بهم ؛ فقالوا : مرّ بنا رجل مجتاز لا نعرفه ؛ فأقام في قريتنا ليلة ثم خرج عنها ، فقال لهم : أنتم أخوال أمير المؤمنين ويأتيكم عدوه ، فيأمن في قريبتكم ! فهلا اجتمعتم فأخذتموه ! فأغلظوا له الجواب ، فأمر بهم فضربت أعناقهم جميعاً ، وهُدّمت دورهم ، وانتهت أموالهم ، ثم انصرف إلى أبي العباس ؛ وبلغ ما كان من فعل خازم البانية ، فأعظموا ذلك ؛ واجتمعت كلمتهم ، فدخل زياد بن عبيد الله الحارثي على أبي العباس مع عبد الله بن

(١) ط : « مستسرين » وما أثبتته من ت .

(٢) ج : « طلبه » .

(٣) ت : « القرع » .

(٤) ابن الأثير : « دنيا » .

الربيع الحارثي وعثمان بن نهيك ، وعبد الجبار بن عبد الرحمن ؛ وهو يومئذ على شُرطة أبي العباس ؛ فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ إن خادماً اجترأ عليك بأمر لم يكن أحد^(١) من أقرب ولد أبيك ليجتري عليك به ؛ من استخفافه بمحكك ؛ وقتل أخوالك الذين قطعوا البلاد ، وأتوك معتزّين بك ، طالبين معروفك ؛ حتى إذا صاروا إلى دارك وجوارك ، وثب عليهم خازم فضرب أعناقهم ، وهدم دورهم ، وأنهب أموالهم ، وأخرب ضياعهم ؛ بلا حدث أحدثوه . فهم يقتل خازم ؛ فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية ، فدخلا على أبي العباس ، فقالا : بلغنا يا أمير المؤمنين ما كان من تحميل^(٢) هؤلاء القوم إياك على خازم ؛ وإشارتهم عليك بقتله ؛ وما هممت به من ذلك ؛ ولنا نعيذك بالله من ذلك ؛ فإنّ له طاعةً وسابقةً ؛ وهو يُحتمل له ما صنع ؛ فإنّ شيعةكم من أهل خراسان قد آثروكم على الأقارب من الأولاد والآباء والإخوان ؛ وقتلوا من خالفكم ، وأنّت أحقّ من تعتمد إساءة مسيئتهم ؛ فإنّ كنت لا بد مجمعاً على قتله فلا تتولّ ذلك بنفسك ، وعرضه من المباحث لما إن قتل فيه كنت قد بلغت الذي أردت^(٣) ، وإن ظفر كان ظفره لك . وأشاروا عليه بتوجيهه إلى من بعثمان من الخوارج إلى الجبلندي وأصحابه ، وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكري ، فأمر أبو العباس بتوجيهه مع سبعمائة رجل ؛ وكتب إلى سليمان بن عليّ وهو على البصرة بحملهم في السفن إلى جزيرة ابن كاوان وعثمان فشخص .

* * *

[أمر الخوارج مع خزيمة بن خازم وقتل شيبان بن عبد العزيز]

وفي هذه السنة شخص خازم بن خزيمة إلى عُثمان ، فأوقع بمن فيها من الخوارج ، وغلب عليها وعلى ما قُرب منها من البلدان وقتل شيبان الخارجي .

* ذكر الخبر عما كان منه هنالك :

ذُكر أن خازم بن خزيمة شخص في السبعمائة الذين ضمّهم إليه أبو العباس ، وانتخب من أهل بيته وبني عمه ومواليه ورجال من أهل مرو الروذ ، قد عرفهم

(٢) ت : « تحيل » .

(١) ت : « رجل » .

(٣) ت : « قد أردت » .

ووثق بهم ؛ فسار إلى البصرة ، فحملهم سليمان بن علي ، وانضم إلى خازم بالبصرة عدة من بني تميم ، فساروا حتى أرسوا بجزيرة ابن كاوان ، فوجه خازم نضلة بن نعيم^(١) النهشلي في خمسمائة رجل من أصحابه إلى شيبان ، فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديداً ، فركب شيبان وأصحابه السفن ، فقطعوا إلى عُمان - وهم صُفْرِيَّة - فلما صاروا إلى عُمان نَصَب لهم الجُلندى وأصحابه - وهم إِباضِيَّة - فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل شيبان ومن معه ، ثم سار خازم في البحر بمن معه ؛ حتى أرسوا إلى ساحل عُمان ، فخرجوا إلى صحراء ، فلقيتهم الجُلندى وأصحابه ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وكثر القتل يومئذ في أصحاب خازم ؛ وهم يومئذ على ضفة البحر ، وقتل فيمن قُتِل أخ لخازم لأمه يقال له إسماعيل ، في تسعين رجلاً من أهل مَرَو الروذ ، ثم تلاقوا في اليوم الثاني ؛ فاقتتلوا قتالا شديداً ، وعلى ميمنته رجل من أهل مَرَو الروذ ، يقال له حميد الورتكاني ، وعلى ميسرته رجل من أهل مَرَو الروذ يقال له مسلم الأرغدي ، وعلى طلائعه نضلة بن نعيم النهشلي ، فقتل يومئذ من الخوارج تسعمائة رجل ، وأحرقوا منهم نحواً من تسعين رجلاً . ثم التقوا بعد سبعة أيام من مَقْدَم خازم على رأى أشار به عليه رجل من أهل الصُّعْد ، وقع بتلك البلاد ، فأشار عليه أن يأمر أصحابه فيجعلوا على أطراف أسنتهم المشاقة^(٢) ، ويرووها بالنفط ، ويُسْعِلوا فيها النيران ؛ ثم يمشوا بها حتى يضرموها في بيوت أصحاب الجُلندى . وكانت من خشب وخيلاف ؛ فلما فعل ذلك وأضرمت بيوتهم بالنيران وشغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم شد عليهم خازم وأصحابه ؛ فوضعوا فيهم السيوف وهم غير ممتنعين منهم ، وقتل الجُلندى فيمن قُتِل ، وبلغ عدة من قتل عشرة آلاف ؛ وبعث خازم برءوسهم إلى البصرة ، فكثت^(٣) بالبصرة أياماً ، ثم بعث بها إلى أبي العباس ، وأقام خازم بعد ذلك شهراً ؛ حتى أتاه كتاب أبي العباس بإقفاله فقفلوا .

* * *

[ذكر غزوة كَس]

وفي هذه السنة غزا أبو داود خالد بن إبراهيم أهل كَس^(٤) ، فقتل الأخرید

(١) ابن الأثير : « فضلة بن نعيم » . (٢) المشاقة من الكتان والقطن والشعر : ما خلص منه .

(٣) ط : « فكث » . (٤) ط : « كش » ، وانظر الفهرس .

ملكها ، وهو سامع مطيع قدم عليه قبل ذلك بلخ ، ثم تلقاه بكندك مما يلي كس^١ ، وأخذ أبو داود من الأخرید وأصحابه حين قتلهم من الأواني الصينية المنقوشة المذهبة التي لم يَر مثلها ، ومن السروج الصينية ومتاع الصين كله من الديباج وغيره ، ومن طُرف الصين شيئاً كثيراً ، فحملة أبو داود أجمع إلى أبي مسلم وهو بسمَرَقَنْد ، وقتل أبو داود دهقان كس^٢ في عدّة من دهاقينها واستحيا طاران أخا الأخرید وملكه على كس^٣ ، وأخذ ابن النجاش وردّه إلى أرضه ، وانصرف أبو مسلم إلى مَرَوْ بعد أن قتل في أهل الصَّغْد وأهل بخارى ، وأمر ببناء حائط سَمَرَقَنْد ، واستخلف زياد بن صالح على الصَّغْد وأهل بخارى ، ثم رجع أبو داود إلى بلخ .

* * *

[ذكر قتال منصور بن جمهور]

وفي هذه السنة وجه أبو العباس موسى بن كعب إلى الهند^(١) لقتال منصور ابن جمهور ، وفرض لثلاثة آلاف رجل من العرب والموالي بالبصرة ولألف من بني تميم خاصّة ، فشخص واستخلف مكانه على شُرطة أبي العباس المسيّب ابن زهير حتى ورد السَّنْد ، ولقي منصور بن جمهور في اثني عشر ألفاً ، فهزمه ومنّ معه ، ومضى فئات عطشاً في الرمال .

وقد قيل : أصابه بطن ، وبلغ خليفة منصور وهو بالمنصورة هزيمة منصور ، فرحل بعيال منصور وثقله ، وخرج بهم في عدّة من ثقاته ، فدخل بهم بلاد الخزر .

* * *

وفيهما توفى محمد بن يزيد بن عبد الله وهو على اليمن ، فكتب أبو العباس إلى عليّ بن الربيع بن عبيد الله الجارثي ، وهو عامل لزياد بن عبيد الله على مكة بولايته على اليمن فصار إليها^(٢) .

وفي هذه السنة تحوّل أبو العباس من الحيرة إلى الأنبار — وذلك فيما قال الواقدي وغيره — في ذى الحجة .

(١) ابن الأثير : « إلى السند » . (٢) ح : « بأهلها » .

وفيها عَزَلَ صالح بن صبيح عن أرمينية ، وجعل مكانه يزيد بن أسيد .
 وفيها عَزَلَ مجاشع بن يزيد عن أذَرَبِيْجَان ، واستعمل عليها محمد بن
 صول .

وفيها ضَرَبَ المنار من الكوفة إلى مكة والأميال . وحجَّ بالناس في هذه
 السنة عيسى بن موسى ، وهو على الكوفة وأرضها .

وكان على قضاء الكوفة ابن أبي ليلى ، وعلى المدينة ومكة والطائف واليمامة
 زياد بن عبيد الله ، وعلى اليمن عليّ بن الربيع الحارثي ، وعلى البصرة وأعمالها
 وكُورِ دجلة والبحرين وعمان والعرض ومهرجان قنذق سليمان بن عليّ ، وعلى
 قضائها عباد بن منصور ، وعلى السند موسى بن كعب ، وعلى خراسان والجبال
 أبو مسلم ، وعلى فلسطين صالح ابن عليّ ، وعلى مصر أبو عوف ، وعلى موصل
 إسماعيل بن عليّ ، وعلى أرمينية يزيد بن أسيد ، وعلى أذربيجان محمد بن صول .
 وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك ، وعلى الجزيرة عبد الله بن محمد أبو جعفر
 وعلى قنسرين وحِمَص وكور دمشق والأردن عبد الله بن عليّ .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر خروج زياد بن صالح]

فما كان فيها من ذلك خروج زياد بن صالح وراء نهر بلخ، فشخص أبو مسلم من مرو مستعداً للقائه، وبعث أبو داود خالد بن إبراهيم نصر بن راشد إلى الترمذ، وأمره أن ينزل مدينتها، مخافة أن يبعث زياد بن صالح إلى الحصن والسفن فيأخذها؛ ففعل ذلك نصر، وأقام بها أياماً، فخرج عليه ناس من الراوندية من أهل الطالقان مع رجل يكنى أبا إسحاق، فقتلوا نصرًا، فلما بلغ ذلك أبا داود بعث عيسى بن ماهان في تتبع قتلة نصر، فقتلهم، ففضى أبو مسلم مسرعًا؛ حتى انتهى إلى آمل، ومعه سباع بن أبي النعمان الأزدي، وهو الذي كان قدم بعهد زياد بن صالح من قبل أبي العباس، وأمره إن رأى فرصة أن يشب على أبي مسلم فيقتله. فأخبر أبو مسلم بذلك، فدفع سباع بن النعمان إلى الحسن بن الحسين عامله على آمل، وأمره بحبسه عنده، وعبر أبو مسلم إلى بخارى، فلما نزلها أتاه أبو شاعر وأبو سعد الشروي في قواد قد خلعوا زيادًا، فسألم أبو مسلم عن أمر زياد ومن أفسده، قالوا: سباع بن النعمان، فكتب إلى عامله على آمل أن يضرب سباعًا مائة سوط، ثم يضرب عنقه، ففعل.

ولما أسلم زيادًا قواد ولحقوا بأبي مسلم لحا إلى دهقان باركث، فوثب عليه الدهقان، فضرب عنقه، وجاء برأسه إلى أبي مسلم، فأبطأ أبو داود على أبي مسلم لحال الراوندية الذين كانوا خرجوا، فكتب إليه أبو مسلم: أما بعد فليفرخ^(١) روعك، ويأمن سيربك، فقد قتل الله زيادًا، فاقدّم، فقدم أبو داود، كس^(٢)، وبعث عيسى بن ماهان إلى بسام، وبعث ابن النجاشي إلى الإصهيد إلى شاوغر، فحاصر الحصن فأما أهل شاوغر فسألوا الصلح، فأجيبوا إلى ذلك.

(٢) ط: «كس».

(١) ط: «ليفرخ» صوابه من ت.

وأما بسام فلم يصل عيسى بن ماهان إلى شيء منه ؛ حتى ظهر أبو مسلم بستة عشر كتاباً وجدها من عيسى بن ماهان إلى كامل بن مظفر صاحب أبي مسلم ، يعيب فيها أبا داود ، وينسبه فيها إلى العصبية وإيثارة العرب وقومه على غيرهم من أهل هذه الدعوة ، وأن في عسكره ستة وثلاثين سرّادقاً للمستأمنة ، فبعث بها أبو مسلم إلى أبي داود ، وكتب إليه : إن هذه كتب العليّج الذي صيّرتَه عدل نفسك ، فشأنك به . فكتب أبو داود إلى عيسى ابن ماهان يأمره بالانصراف إليه عن بسام ، فلما قدم عليه حبسه ودفعه إلى عمر النعم ؛ وكان في يده محبوساً ، ثم دعا به بعد يومين أو ثلاثة فذكره صنيعة به وإيثارة إياه على ولده ، فأقرّ بذلك ، فقال أبو داود : فكان جزاء ما صنعتُ بك أن سعيّتَ بي وأردتَ قتلي ، فأنكر ذلك ، فأخرج كتبه فعرّفها ، فضر به أبو داود يومئذ حدّين : أحدهما للحسن بن حمدان . ثم قال أبو داود : أمّا إني قد تركت ذنبك لك ؛ ولكن الجند أعلم . فأخرج في القيود ، فلما أخرج من السّرّادق وثب عليه حرب بن زياد وحفص بن دينار مولى يحيى بن حُضَيْن ، فضرباه بعمود وطَبَّرَ زَيْن ، فوقع إلى الأرض ، وعدا عليه أهل الطالقان وغيرهم ، فأدخلوه في جوالق ، وضربوه بالأعمدة ، حتى مات ورجع أبو مسلم إلى مَرَوْ . ٨٤/٣

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة سليمان بن عليّ ، وهو على البصرة وأعمالها . وعلى قضائها عباد بن منصور .

وكان على مكة العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس ، وعلى المدينة زياد بن عبيد الله الحارثي ، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى ، وعلى قضائها ابن أبي ليلى ، وعلى الجزيرة أبو جعفر المنصور ، وعلى مصر أبو عون ، وعلى حمص وقنسرين وبعبلبك والغوطة وحرّوران والجولان والأردن عبد الله ابن عليّ ، وعلى البلقاء وفلسطين صالح بن عليّ ، وعلى الموصل لإسماعيل بن عليّ ، وعلى أرمينية يزيد بن أسيد ، وعلى أذربيجان محمد بن صوّل ، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر قدوم أبي مسلم على أبي العباس]

ففي هذه السنة قدم أبو مسلم العراق من خراسان على أبي العباس أمير المؤمنين .

* ذكر الخبر عن قدومه عليه وما كان من أمره في ذلك :

ذكر عليّ بن محمد أن الهيثم بن عدّى أخبره والوليد بن هشام ، عن أبيه ، قالاً^(١) : لم يزل أبو مسلم مقيماً بخراسان ، حتى كتب إلى أبي العباس يستأذنه في القدوم عليه ، فأجابته إلى ذلك ، فقدم على أبي العباس في جماعة من أهل خراسان عظيمة ومن تبعه من غيرهم من الأنبار ؛ فأمر أبو العباس الناس يتلقونه ، فتلقاه الناس ، وأقبل إلى أبي العباس ، فدخل عليه فأعظمه وأكرمه ؛ ثم استأذن أبا العباس في الحجّ فقال : لولا أن أبا جعفر يحجّ لاستعملتلك على الموسم . وأنزله قريباً منه ، فكان يأتيه في كلّ يوم يسلم عليه ، وكان ما بين أبي جعفر وأبي مسلم متباعداً ؛ لأن أبا العباس كان بعث^(٢) أبا جعفر إلى أبي مسلم وهو بنيسابور ، بعد ما صفت له الأمور بعهدده على خراسان وبالبيعة لأبي العباس ولأبي جعفر من بعده ؛ فبايع له أبو مسلم وأهل خراسان . وأقام أبو جعفر أياماً حتى فرغ من البيعة ، ثم انصرف . وكان أبو مسلم قد استخفّ بأبي جعفر في مقدمه ذلك ، فلما قدم على أبي العباس أخبره بما كان من استخفافه به .

قال عليّ : قال الوليد عن أبيه : لما قدم أبو مسلم على أبي العباس ، قال أبو جعفر لأبي العباس : يا أمير المؤمنين ، أطمعني واقتل أبا مسلم ؛ فوالله إن في رأسه لعنّة ، فقال : يا أخى ، قد عرفت بلاءه وما كان منه ، فقال

(٢) ت : « وجه » .

(١) ط : « قال » ، وما أثبتته من ت .

أبو جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنما كان بدولتنا ؛ والله لو بعثت سنوراً لقام مقامه . وبلغ ما بلغ في هذه الدولة . فقال له أبو العباس : فكيف نقتله ؟ قال : إذا دخل عليك وحادثته وأقبل عليك دخلت فتغفلته فضربتة من خلفه ضربة أتيت بها على نفسه ، فقال أبو العباس : فكيف بأصحابه الذين يؤثرونه على دينهم ودنياهم ؟ قال : يثول ذلك كله إلى ما تريد ، ولو علموا أنه قد قُتل تفرقوا وذلوا ، قال : عزمتُ عليك إلا كففت عن هذا ، قال : أخاف والله إن لم تتغده اليوم أن يتعشاك غداً ، قال : فدونكه ، أنت أعلم .

قال : فخرج أبو جعفر من عنده عازماً على ذلك ، فندم أبو العباس وأرسل إلى أبي جعفر : لا تفعل ذلك الأمر .

وقيل : إن أبا العباس لما أذن لأبي جعفر في قتل أبي مسلم ، دخل أبو مسلم على أبي العباس ، فبعث أبو العباس خصياً له ، فقال : اذهب فانظر ما يصنع أبو جعفر ؛ فأتاه فوجده محتبياً بسيفه ، فقال للخصي : أجالس أمير المؤمنين ؟ فقال له : قد تهيماً للجلوس ، ثم رجع الخصي إلى أبي العباس فأخبره بما رأى منه ، فردّه إلى أبي جعفر وقال له : قل له الأمر الذي عزمت عليه لا تُنفذه فكف أبو جعفر .

* * *

[حج أبي جعفر المنصور وأبي مسلم]

وفي هذه السنة حج أبو جعفر المنصور وحج معه أبو مسلم .

* ذكر الخبر عن مسيرهما وعن وصفة مقدمهما على أبي العباس :

أما أبو مسلم فإنه — فيما ذكر عنه — لما أراد القدوم على أبي العباس ، كتب يستأذنه في القدوم للحج ، فأذن له ، وكتب إليه أن أقدم في خمسمائة من الجُند ، فكتب إليه أبو مسلم : إنني قد وترتُ الناس ولستُ آمن على نفسي . فكتب إليه أن أقبل في ألف ؛ وإنما أنت في سلطان أهلِكَ ودولتك ، وطريق مكة لا تحتل العسكر ؛ فشخص في ثمانية آلاف فرقةٍ فيما بين نيسابور والري ، ٨٧/٣ وقدم بالأموال والخزائن فخلقها بالري ، وجمع أيضاً أموال الجبل ، وشخص منها في ألف وأقبل ؛ فلما أراد الدخول تلقاه القواد وسائر الناس ، ثم استأذن

أبا العباس في الحجّ ، فأذن له ، وقال : لولا أنّ أبا جعفر حاجّ لوليتك الموسم .
وأما أبو جعفر فإنه كان أميراً على الجزيرة ، وكان الواقدي يقول : كان
إليه مع الجزيرة أرمينية وأذربيجان ، فاستخلف على عمله مقاتل بن حكيم
العكبيّ ، وقدم على أبي العباس فاستأذنه في الحجّ ؛ فذكر علىّ بن محمد عن
الوليد بن هشام عن أبيه أنّ أبا جعفر سار إلى مكة حاجّاً ، وحجّ معه أبو مسلم
سنة ست وثلاثين ومائة ، فلما انقضى ^(١) الموسم أقبل أبو جعفر وأبو مسلم ،
فلما كان بين البستان وذات عِرْق أتى أبا جعفر كتابٌ بموت أبي العباس ؛
وكان أبو جعفر قد تقدّم أبا مسلم بمرحلة ، فكتب إلى أبي مسلم : إنه قد حدث
أمرٌ فالتجمل العجل ، فاتاه الرسول فأخبره ، فأقبل حتى لحق أبا جعفر ، وأقبلا
إلى الكوفة .

وفي هذه السنة عقد أبو العباس عبد الله بن محمد بن عليّ لأخيه أبي جعفر
الخلافة من بعده ، وجعله وليّ عهد المسلمين ، ومن بعد أبي جعفر عيسى
ابن موسى بن محمد بن عليّ ، وكتب العهد بذلك ، وصيّره في ثوب ، وختم
عليه بخاتمه وخواتيم أهل بيته ، ودفعه إلى عيسى بن موسى .

* * *

[ذكر الخبر عن موت أبي العباس السفاح]

وفيها توفّي أبو العباس أمير المؤمنين بالأنبار يوم الأحد ، لثلاث عشرة
خلت من ذي الحجة . وكانت وفاته فيما قيل بالجدريّ .

٨٨/٣

وقال هشام بن محمد : توفي لاثنتي عشرة ليلة مضت من ذي الحجة .
واختلف في مبلغ سنه يوم وفاته ، فقال بعضهم : كان له يوم توفّي ثلاث
وثلاثون سنة . وقال هشام بن محمد : كان يوم توفّي ابن ست وثلاثين سنة ،
وقال بعضهم : كان له ثمان وعشرون سنة .

وكانت ولايته من لشدن قتل مروان بن محمد إلى أن توفّي أربع سنين ،
ومن لدن بويج له بالخلافة إلى أن مات أربع سنين وثمانية أشهر . وقال بعضهم :
وتسعة أشهر . وقال الواقدي : أربع سنين وثمانية أشهر منها ثمانية أشهر وأربعة

(١) ج : « فلما كان انقضاء » .

أيام يقاتل مروان .

وملك بعد مروان أربع سنين . وكان — فيما ذكر — ذا شعرة جععدة ، وكان طويلاً أبيض أفنى الأنف ، حسن الوجه والاحية .

وأمه ربيعة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد الله بن عبد المطلب الحارثي وكان وزيره أبو الجهم بن عطية .

وصلى عليه عمه عيسى بن علي ، ودفنه بالأنبار العتيقة في قصره .

وكان — فيما ذكر — خلف تسع جباب ، وأربعة أقمص ، وخمسة سراويلات ، وأربعة طيالس ، وثلاثة مطارف خز .

* * *

خلافة أبي جعفر المنصور

وهو عبد الله بن محمد

وفي هذه السنة بويع لأبي جعفر المنصور بالخلافة ؛ وذلك في اليوم الذي توفي فيه أخوه أبو العباس ، وأبو جعفر يومئذ بمكة ؛ وكان الذي أخذ البيعة بالعراق لأبي جعفر بعد موت أبي العباس عيسى بن موسى ، وكتب إليه عيسى يعلمه بموت أخيه أبي العباس وبالبيعة له .

وذكر علي بن محمد ، عن الهيثم ، عن عبد الله بن عياش ، قال : لما ٨٩/٣ حضرت أبا العباس الوفاة ، أمر الناس بالبيعة لعبد الله بن محمد أبي جعفر ، فبايع الناس له بالأنبار في اليوم الذي مات فيه أبو العباس . وقام بأمر الناس عيسى بن موسى ، وأرسل عيسى بن موسى إلى أبي جعفر وهو بمكة محمد بن الحصين العبدى بموت أبي العباس ، وبالبيعة له ، فلقية بمكان من الطريق يقال له زكية ، فلما جاءه الكتاب دعا الناس فبايعوه ، وبايعه أبو مسلم ، فقال أبو جعفر : أين موضعنا هذا ؟ قالوا : زكية ، فقال : أمر يزكى لنا إن شاء الله تعالى .

وقال بعضهم : ورد علي أبي جعفر البيعة له بعد ما صدر من الحج ، في منزل من منازل طريق مكة ؛ يقال له صفية ، فتفاعل باسمه ، وقال : صفت لنا إن شاء الله تعالى .

* * *

٩٠/٣ رجع الحديث إلى حديث عليّ بن محمد : فقال عليّ : حدثني الوليد ، عن أبيه ، قال : لما أتى الخبرُ أبا جعفر كتب إلى أبي مسلم وهو نازل بالماء ، قد تقدّمه أبو جعفر ، فأقبل أبو مسلم حتى قدم عليه .

* * *

وقيل إن أبا مسلم كان هو الذي تقدّم أبا جعفر ، فعرف الخبر قبله ، فكتب إلى أبي جعفر :

بسم الله الرحمن الرحيم . عافاك الله وأمتع بك ؛ إنه أتاني أمر أفظعني وبلغ مني مبلغاً لم يبلغه شيء قط ، لقيتني محمد بن الحصين بكتاب من عيسى بن موسى إليك ب وفاة أبي العباس أمير المؤمنين رحمه الله ، فنسأل الله أن يعظم أجرك ، ويحسن الخلافة عليك ؛ ويبارك لك فيما أنت فيه ؛ إنه ليس من أهلك أحدٌ أشدّ تعظيماً لحقك وأصنّى نصيحةً لك ، وحرصاً على ما يسرك مني . وأنفذ الكتاب إليه ، ثم مكث أبو مسلم يومه ومن الغد ، ثم بعث إلى أبي جعفر بالبَيْعَة ؛ وإنما أراد ترهيب أبي جعفر بتأخيرها .

* * *

٩١/٣ رجع الحديث إلى حديث عليّ بن محمد : فلما جلس أبو مسلم ، ألقى إليه الكتاب ، فقرأه وبكى واسترجع . قال : ونظر أبو مسلم إلى أبي جعفر ، وقد جزع جزعاً شديداً فقال : ما هذا الجزع وقد أتتك الخلافة ؟ فقال : أتخوف شرّ عبد الله بن عليّ وشيعة عليّ ، فقال : لا تخفه ؛ فأنا أكفيك أمره إن شاء الله ؛ إنما عامة جنوده ومن معه أهل خراسان ؛ وهم لا يعصونني . فسرّني عن أبي جعفر ما كان فيه . وبائع له أبو مسلم وبائع الناس ، وأقبل حتى قدما الكوفة ، وردّ أبو جعفر زياد بن عبيد الله إلى مكة ، وكان قبل ذلك والياً عليها وعلى المدينة لأبي العباس .

وقيل : إن أبا العباس كان قد عزل قبل موته زياد بن عبيد الله الحارثي عن مكة ، وولاه العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس .

* * *

وفي هذه السنة قدّم عبد الله بن عليّ على أبي العباس الأنبار ، فعقد له

أبو العباس على الصّائفة في أهل خراسان وأهل الشام والجزيرة والموصل ، فسار فبلغ دلوک ، ولم يُدْرَبْ حتى أتته وفاة أبي العباس .

وفي هذه السنة بعث عيسى بن موسى وأبو الجهم يزيد بن زياد أبا غسان إلى عبد الله بن عليّ ببيعة المنصور ، فانصرف عبد الله بن عليّ بمن معه من الجيوش ، قد بايع لنفسه حتى قدم حرّان .

* * *

وأقام الحجّ للناس في هذه السنة أبو جعفر المنصور ؛ وقد ذكرنا ما كان إليه من العمل في هذه السنة ؛ ومن استخلف عليه حين شخص حاجاً .

وكان على الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى قضائها ابن أبي ليلى ، وعلى البصرة وعملها سليمان بن عليّ ، وعلى قضائها عبّاد بن المنصور ، وعلى المدينة زياد بن عبيد الله الحارثي ، وعلى مكة العباس بن عبد الله بن معبد ، وعلى مصر صالح ابن عليّ .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

* * *

[ذكر خبر خروج عبد الله بن عليّ وهزيمته]

فما كان فيها من ذلك قدوم المنصور أبي جعفر من مكة ونزوله الحيرة ، فوجد عيسى بن موسى قد شخص إلى الأنبار ، واستخلف على الكوفة طلسحه ابن إسحاق بن محمد بن الأشعث ، فدخل أبو جعفر الكوفة فصلّى بأهلها الجمعة يوم الجمعة ، وخطبهم وأعلمهم أنه راحل عنهم ؛ ووافاه أبو مسلم بالحيرة ، ثم شخص أبو جعفر إلى الأنبار وأقام بها ، وجمع إليه أطرافه .

وذكر عليّ بن محمد عن الوليد ، عن أبيه ، أن عيسى بن موسى كان قد أحرز بيوت الأموال والخزائن والدّواوين ؛ حتى قدم عليه أبو جعفر الأنبار ، فبايع الناس له بالخلافة ، ثم لعيسى بن موسى من بعده ؛ فسلم عيسى بن موسى إلى أبي جعفر الأمر ؛ وقد كان عيسى بن موسى بعث أبا غسان — واسمه يزيد بن زياد ، وهو حاجب أبي العباس — إلى عبد الله بن عليّ ببيعة أبي جعفر ؛ وذلك بأمر أبي العباس قبل أن يموت حين أمر الناس بالبيعة لأبي جعفر من بعده ، فقدم أبو غسان على عبد الله بن عليّ بأفواه الدروب ، متوجهّاً يريد الروم ؛ فلما قدم عليه أبو غسان بوفاة أبي العباس وهو نازل بموضع يقال له دُلوّك ، أمر منادياً فنادى : الصلاة جامعة فاجتمع إليه القوّاد والجنود ، فقرأ عليهم الكتاب بوفاة أبي العباس ، ودعا الناس إلى نفسه ؛ وأخبرهم أن أبا العباس حين أراد أن يُوجّه الجنود إلى مروان بن محمد دعا بني أبيه ؛ فأرادهم على المسير إلى مروان بن محمد ، وقال : من انتدب منكم فسار إليه فهو وليّ عهدي ، فلم ينتدب له غيري ؛ فعلى هذا خرجت من عنده ، وقتلت من قتلت . فقام أبو غانم الطائيّ وخُفاف المروزيّ في عدّة من قوّاد أهل خراسان ، فشهدوا له بذلك ؛ فبايعه أبو غانم وخُفاف وأبو الأصْبَحْ وجميع من كان معه

من أولئك القواد، فيهم حميد بن قحطبة وخفاف الجرجاني وحيّاش بن حبيب ومخارق بن غيفار وترارخندا وغيرهم من أهل خراسان والشام والحزيرة، وقد نزل تلّ محمد، فلما فرغ من البيعة ارتحل فنزل حرّان، وبها مقاتل العكيّ - وكان أبو جعفر استخلفه لما قدم على أبي العباس - فأراد مقاتلا على البيعة فلم يجبه، وتحصّن منه، فأقام عليه وحصره حتى استنزله من حصنه فقتله.

وسرح أبو جعفر لقتال عبد الله بن عليّ أبا مسلم؛ فلما بلغ عبد الله إقبال أبي مسلم أقام بحرّان، وقال أبو جعفر لأبي مسلم: إنما هو أنا أو أنت؛ فسار أبو مسلم نحو عبد الله بحرّان، وقد جمع إليه الجنود والسلاح، وجمع إليه الطعام والعلوفة وما يصلحه، ومضى أبو مسلم سائراً من الأنبار؛ ولم يتخلّف عنه من القواد أحد، وبعث على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعي؛ وكان معه الحسن وحميد ابنا قحطبة، وكان حميد قد فارق عبد الله بن عليّ، وكان عبد الله أراد قتله، وخرج معه أبو إسحاق وأخوه وأبو حميد وأخوه ٩٤/٣ وجماعة من أهل خراسان؛ وكان أبو مسلم استخلف على خراسان حيث شخص خالد بن إبراهيم أبا داود.

قال الهيثم: كان حصار عبد الله بن عليّ مقاتلا العكيّ أربعين ليلة، فلما بلغه مسير أبي مسلم إليه، وأنه لم يظفر بمقاتل، وخشى أن يهجم عليه أبو مسلم أعطى العكيّ أماناً، فخرج إليه فيمن كان معه، وأقام معه أياماً يسيرة، ثم وجهه إلى عثمان بن عبد الأعلى بن سراقبة الأزديّ إلى الرقة ومعه ابنه، وكتب إليه كتاباً دفعه إلى العكيّ، فلما قدموا على عثمان قتل العكيّ وحبس ابنه، فلما بلغه هزيمة عبد الله بن عليّ وأهل الشام بنصيبين أخرجهما فضرب أعناقهما.

وكان عبد الله بن عليّ خشي ألا يناصره أهل خراسان، فقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً؛ أمر صاحب شرطه فقتلهم؛ وكتب حميد بن قحطبة كتاباً وجهه إلى حلب، وعليها زُفر بن عاصم وفي الكتاب: إذا قدم عليك حميد بن قحطبة فاضرب عنقه، فسار حميد حتى إذا كان ببعض الطريق فكتر في كتابه، وقال: إن ذهابي بكتاب ولا أعلم ما فيه لغرر، ففكّر

الطومار فقرأه ، فلما رأى ما فيه دعا أناساً من خاصته فأخبرهم الخبر ، وأفشى
إليهم أمره ، وشاورهم ، وقال : مَنْ أراد منكم أن ينجو ويهرب فليسير معي ؛
فإني أريد أن آخذ طريق العراق ، وأخبرهم ما كتب به عبد الله بن عليّ في
أمره ، وقال لهم : مَنْ لم يرد منكم أن يحمل نفسه على السير فلا يفشين سرّي ،
وليذهب حيث أحبّ . ٩٥/٣

قال : فاتبعه على ذلك ناس من أصحابه ، فأمر حميد بدوابّه فأنعلت (١) ،
وأنعل أصحابه دوابّهم ، وتأهبوا للمسير معه ، ثم فوز (٢) بهم وبهرج الطريق (٣)
فأخذ على ناحية من الرّصافة ؛ رصافة هشام بالشّام ، وبالرّصافة يومئذ مولى
لعبد الله بن عليّ يقال له سعيد البربريّ ، فبلغه أن حميد بن قحطبة قد خالف
عبد الله بن عليّ ، وأخذ في المفازة ، فسار في طلبه فيمن معه من فرسانه ؛ فلحقه
ببعض الطريق ، فلما بصر به حميد ثنى فرسه نحوه حتى لقيه ، فقال له :
ويحك ! أما تعرفني ! والله ما لك في قتالي من خيسر فارجع ؛ فلا تقتل أصحابي
وأصحابك ، فهو خير لك . فلما سمع كلامه عرف ما قال له ، فرجع إلى
موضعه بالرّصافة ، ومضى حميد ومن كان معه ، فقال له صاحب حرّسه
موسى بن ميمون : إن لي بالرّصافة جاريةً ، فإن رأيت أن تأذن لي فآتيها
فأوصيها ببعض ما أريد ، ثم ألحقك ! فأذن له فأتاها ، فأقام عندها ، ثم خرج
من الرّصافة يريد حميداً ، فلقيه سعيد البربريّ مولى عبد الله بن عليّ ، فأخذه
فقتله ؛ وأقبل عبد الله بن عليّ حتى نزل نصيبين ، وخذلق عليه .

وأقبل أبو مسلم . وكتب أبو جعفر إلى الحسن بن قحطبة - وكان خليفته
بأرمينية - أن يوافي أبا مسلم ، فقدم الحسن بن قحطبة على أبي مسلم وهو بالموصل ،
وأقبل أبو مسلم ، فنزل ناحية لم يعرض له ، وأخذ طريق الشّام ، وكتب إلى عبد الله :
إني لم أومر بقتالك ، ولم أوجه له ، ولكن أمير المؤمنين ولا في الشّام ؛ وإنما أريدها ؛
فقال مَنْ كان مع عبد الله من أهل الشّام لعبد الله : كيف نقيم معك وهذا
يأتي بلادنا ، وفيها حرمنا فيقتل من قدر عليه من رجالنا ، ويسبي ذراريّنا ! ٩٦/٣

(١) نعل الدابة : ما ولي به حافرها وخفها ؛ وأنعل الدابة : وضع لها ذلك النعل .

(٢) فوز : سلك المفازة .

(٣) بهرج الطريق : أي سلك بهم غير المحجة .

ولكننا نخرج إلى بلادنا فنمنعه حرّ منا وذرائعنا ونقاتله إن قاتلنا ، فقال لهم عبد الله بن عليّ : إنه والله ما يريد الشام ، وما وُجّه إلّا لقتالكم ، وإنّ أقمتم ليأتينكم . قال : فلم تطب أنفسهم ، وأبوا إلا المسير إلى الشام .

قال : وأقبل أبو مسلم فعسكر قريباً منهم ، وارتحل عبد الله بن عليّ من عسكره متوجّهًا نحو الشام ، وتحول أبو مسلم حتى نزل في معسكر عبد الله بن عليّ في موضعه ، وعور^(١) ما كان حوله من المياه ، وألقى فيها الجيـف . وبلغ عبد الله بن عليّ نزول أبي مسلم معسكره ، فقال لأصحابه من أهل الشام : ألم أقل لكم ! وأقبل فوجد أبا مسلم قد سبقه إلى معسكره ، فنزل في موضع عسكر أبي مسلم الذي كان فيه ، فاقتتلوا أشهراً خمسة أو ستة ، وأهل الشام أكثر فرساناً وأكمل عُدة ، وعلى ميمنة عبد الله بكار بن مسلم العقيليّ ، وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأسديّ ، وعلى الخليل عبد الصمد بن عليّ ، وعلى ميمنة أبي مسلم الحسن بن قحطبة ، وعلى الميسرة أبو نصر خازم بن خزيمه ، فقاتلوه أشهراً .

قال عليّ : قال هشام بن عمرو التغلبيّ : كنت في عسكر أبي مسلم ، فتحدث الناس يوماً ، فقيل : أيّ الناس أشدّ ؟ فقال : قولوا حتى أسمع ، فقال رجل : أهل خراسان . وقال آخر : أهل الشام ، فقال أبو مسلم : كلّ قوم في دولتهم أشدّ الناس . قال : ثمّ التقينا ، فحمل علينا أصحاب عبد الله بن عليّ فصدونا صدمةً أزالونا بها عن مواضعنا ، ثمّ انصرفوا . وشدّ علينا ٩٧/٣ عبد الصمد في خيل مجرّدة ، فقتل منا ثمانية عشر رجلاً ، ثمّ رجع في أصحابه ، ثمّ تجمعوا^(٢) فرموا بأنفسهم : فأزالوا صفتنا وجلّنا جولة ، فقلت لأبي مسلم : لو حرّكت دابتي حتى أشرف [عليّ]^(٣) هذا التلّ فأصبح بالناس ، فقد انهزموا ! فقال : افعل ، قال : قلت : وأنت أيضاً فتحرّك دابتك ، فقال : إن أهل الحِجَبيّ لا يعطفون دوابهم على هذه الحال ، ناد : يا أهل خراسان ارجعوا ؛ فإن العاقبة^(٤) لمن اتقى .

(٢) ابن الأثير : « ورجعوا » .

(٤) ابن الأثير : « العاقبة » .

(١) عور المياه : أي ردم العيون .

(٣) من ت .

قال : ففعلت ، فتراجع الناس ، وارتجز أبو مسلم يومئذ فقال :

مَنْ كَانَ يَنْوِي أَهْلَهُ فَلَا رَجْعَ فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعَ
قال : وكان قد عُجِّلَ لأبي مسلم عريش ، فكان يجلس عليه إذا التقى الناس
فينظر إلى القتال ، فإن رأى خللاً في الميمنة أو في الميسرة أرسل إلى صاحبها :
إنَّ في ناحيتك ^(١) انتشاراً ، فاتَّقِ أَلَّا نَوْتِيَ مِنْ قِبَلِكَ ؛ فافعل كذا ، قدَّم
خيالك كذا ، أو تأخَّر ^(٢) كذا إلى موضع كذا ، فإنما رسله تختلف إليهم
برأيه حتى ينصرف بعضهم عن بعض .

قال : فلما كان يوم الثلاثاء — أو الأربعاء — لسبع خلون من جمادى الآخرة
سنة ست وثلاثين ومائة — أو سبع وثلاثين ومائة — التقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً .
فلما رأى ذلك أبو مسلم مكث بهم ، فأرسل إلى الحسن بن قحطبة — وكان
على ميمنته — أن أعزَّ الميمنة ، وضمَّ أكثرها إلى الميسرة ، وليكن في الميمنة
حماة أصحابك وأشدَّ أَوْهم . فلما رأى ذلك أهل الشام أعروا ميسرتهم ،
وانضموا إلى ميمنتهم بإزاء ميسرة أبي مسلم . ثم أرسل أبو مسلم إلى الحسن أن
مرَّ أهل القلب فليحملوا مع مَنْ بَقِيَ في الميمنة على ميسرة أهل الشام ، فحملوا
عليهم فحطموهم ، وجال ^(٣) أهل القلب والميمنة . ٩٨/٣

قال : وركبهم أهل خراسان ، فكانت الهزيمة ، فقال عبد الله بن علي لابن
سراقة الأزدي — وكان معه : يابن سراقة ، ما ترى ؟ قال : أرى والله أن
تصبر وتقاتل حتى تموت ؛ فإنَّ الفرار قبيح بمثلك ، وقبل عبتَه على مَرَّوان ،
فقلت : قبيح الله مَرَّوان ! جزع من الموت ففرَّ ! قال : فإنِّي آتَى العراق ،
قال : فأنا معك ، فانهزموا وتركوا عسكرهم ، فاحتواه أبو مسلم ، وكتب بذلك
إلى أبي جعفر . فأرسل أبو جعفر أبا الخصيب موله يُحصي ما أصابوا في
عسكر عبد الله بن علي ، فغضب من ذلك أبو مسلم . ومضى عبد الله بن علي
وعبد الصمد بن علي ؛ فأما عبد الصمد فقدم الكوفة فاستأمن له عيسى بن
موسى فآمنه أبو جعفر ، وأما عبد الله بن علي فأتى سليمان بن علي بالبصرة ،
فأقام عنده . وآمن أبو مسلم الناس فلم يقتل أحداً ، وأمر بالكف عنهم .

(١) ب : « إن ناحيتك فيها » . (٢) ج : « وتأخر » . (٣) ج : « وحال » .

ويقال : بل استأمن لعبد الصمد بن عليّ إسماعيل بن عليّ .

وقد قيل : إن عبد الله بن عليّ لما انهزم مضى هو وعبد الصمد أخوه إلى رُصافة هشام ، فأقام عبد الصمد بها حتى قدِمَت عليه خيول المنصور ، وعليها جهور^(١) بن مرّار العجليّ ، فأخذه فبعث به إلى المنصور مع أبي الحصيب مولاه موثّقاً ، فلما قدم عليه أمر بصرفه إلى عيسى بن موسى ، فأمنه عيسى وأطلقه وأكرمه ، وجباه وكساه .

وأما عبد الله بن عليّ فلم يلبث بالرّصافة إلا ليلة ، ثم أدلّج في قواده ومواليه حتى قدم البصرة على سليمان بن عليّ وهو عاملها يومئذ ، فأواهم سليمان وأكرمهم ٩٩/٣ وأقاموا عنده زماناً متوارين .

* * *

[ذكر خبر قتل أبي مسلم الخراسانيّ]

وفي هذه السنة قُتل أبو مسلم .

* ذكر الخبر عن مقتله وعن سبب ذلك :

حدّثني أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عليّ بن محمد ، قال : حدّثنا سلمة بن محارب ومسلم بن المغيرة وسعيد بن أوس وأبو حفص الأزديّ والنعمان أبو السريّ ومحرز بن إبراهيم وغيرهم ، أن أبا مسلم كتب إلى أبي العباس يستأذنه في الحجّ — وذلك في سنة ست وثلاثين ومائة — وإنما أراد أن يصلي بالناس . فأذن له ، وكتب أبو العباس إلى أبي جعفر وهو على الجزيرة وأرمينية وأذّر بيجان : إن أبا مسلم كتب إلى يستأذن في الحجّ وقد أذنتُ له ؛ وقد ظننتُ أنه إذا قدم يريد أن يسألني أن أولّيته إقامة الحجّ للناس ، فاكتب إلىّ تستأذني في الحجّ ؛ فإنك إذا كنت بمكة لم يطمع أن يتقدّمك . فكتب أبو جعفر إلى أبي العباس يستأذنه في الحجّ فأذن له ، فوافى الأنبار ، فقال أبو مسلم : أما وجد أبو جعفر عامّاً يحجّ فيه غير هذا ! واضطغنها عليه .

* * *

قال عليّ : قال مسلم بن المغيرة : استخلف أبو جعفر على أرمينية في تلك

السنة الحسن بن قحطبة . وقال غيره : استعمل رضيعة يحيى بن مسلم بن عروة - وكان أسود مولى لهم - فخرجوا إلى مكة فكان أبو مسلم يصلح العِقَاب^(١) ويكسو الأعراب في كل منزل ، ويصل من سألته ، وكسا الأعراب البُتوت والملاحف ، وحفر الآبار ، وسهل الطرق ؛ فكان الصوت له ؛ وكان الأعراب يقولون : هذا المكذوب عليه ؛ حتى قدم مكة فنظر إلى الهانيئة^(٢) فقال لنيزك - وضرب جنبه - : يا نيزك ، أى جند هؤلاء لو لقيهم رجل ظريف اللسان سريع الدمعة !

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث الأولين . قالوا : لما صدر الناس عن الموسم ، نفر أبو مسلم قبل أبي جعفر ، فتقدمه ، فأناه كتاب بموت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر ، فكتب أبو مسلم إلى أبي جعفر يعزيه بأمر المؤمنين ؛ ولم يهنته بالخلافة ، ولم يقم حتى يلحقه ولم يرجع ؛ فغضب أبو جعفر فقال لأبي أيوب : اكتب إليه كتاباً غليظاً ؛ فلما أناه كتاب أبي جعفر كتب إليه يهنته بالخلافة ، فقال يزيد بن أسيد السلمى لأبي جعفر : إني أكره أن تجامعه في الطريق والناس جنده ؛ وهم له أطوع ، وله أهيب ، وليس معك أحد . فأخذ برأيه ، فكان يتأخر ويتقدم أبو مسلم ، وأمر أبو جعفر أصحابه فقدموا ، فاجتمعوا جميعاً وجمع سلاحهم ؛ فما كان في عسكره إلا ستة أذرع ، فضى أبو مسلم إلى الأنبار ، ودعا عيسى بن موسى إلى أن يبايع له ؛ فأتى عيسى ، فقدم أبو جعفر فنزل الكوفة ؛ وأناه أن عبد الله بن علي قد خلع ، فرجع إلى الأنبار ، فدعا أبا مسلم ، فعقد له ، وقال له : سير إلى ابن علي ، فقال له أبو مسلم : إن عبد الجبار بن عبد الرحمن وصالح بن الهيثم يعيباني فاحبسهما ، فقال أبو جعفر : عبد الجبار على شرطى - وكان قبل على شرط أبي العباس - وصالح بن الهيثم أخو أمير المؤمنين من الرضاة ، فلم أكن لأحبسهما^(٣) لظنك بهما ؛ قال : أراهما آثر عندك منى ! فغضب أبو جعفر ، فقال أبو مسلم : لم أرد كل هذا .

(٢) ج : « أهل الجماعة » .

(١) ب : « العفاة » .

(٣) ج : « أحبسهما » .

قال عليّ: قال مسلم بن المغيرة: كنت مع الحسن بن قحطبة بأرمينية فلما وجه أبو مسلم إلى الشام كتب أبو جعفر إلى الحسن أن يوافيه ويسير معه ، فقدمنا على أبي مسلم وهو بالموصل فأقام^(١) أياماً ، فلما أراد أن يسير ، قلت للحسن : أنتم تسبّرون إلى القتال^(٢) ، وليس بك إلى حاجة ، فلو أذنت لي فأتييت العراق ، فأقمت حتى تقدموا إن شاء الله ! قال : نعم ؛ لكن أعلمني إذا أردت الخروج ، قلت : نعم ، فلما فرغت وتهيأت^(٣) أعلمته ، وقلت : أتيتك أودّعك ، قال : قف^(٤) لي بالباب حتى أخرج إليك ، فخرجت فوقفت وخرج ، فقال : إني أريد أن ألقى إليك شيئاً لتبلغه أبا أيوب ، ولولا ثقتي بك لم أخبرك^(٥) ، ولولا مكانك من أبي أيوب لم أخبرك ؛ فأبلغ أبا أيوب أني قد ارتببت بأبي^(٦) مسلم منذ قدمت عليه ، إنّه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرؤه ، ثم يلوى شدقه ، ويرمي بالكتاب إلى أبي نصر ، فيقرؤه ويضحك استهزاء ؛ قلت : نعم قد فهمت ؛ فلقيت أبا أيوب وأنا أرى أن قد أتته بشيء ، فضحك ، وقال : نحن لأبي مسلم أشدّ تهمةً منّا لعبد الله بن عليّ إلاّ أنا نرجو واحدة ؛ نعلم أن أهل خراسان لا يحبون عبد الله بن عليّ ، وقد قتّل منهم من قتّل ؛ وكان عبد الله بن عليّ حين خلع خاف أهل خراسان ، فقتل منهم سبعة عشر ألفاً ؛ أمر صاحب شرطته حياش بن حبيب ١٠٢/٣ فقتلهم .

قال عليّ: فذكر أبو حفص الأزدي أن أبا مسلم قاتل عبد الله بن عليّ فهزمه ، وجتمع ما كان في عسكره من الأموال فصيّره في حظيرة ، وأصاب عينا ومتاعاً وجوهرأً كثيراً ؛ فكان مشوراً في تلك الحظيرة ؛ ووكل بها وبحفظها قائداً من قوّاده ، فكنت في أصحابه ، فجعلها نواذب بيننا ، فكان إذا خرج رجل من الحظيرة فتشه ، فخرج أصحابي يوماً من الحظيرة وتخلّفت ، فقال لهم الأمير : ما فعل أبو حفص ؟ فقالوا : هو في الحظيرة ، قال : فجاء فاطلع

(١) ج : « فأقمنا » . (٢) ط : « والقتال » ، والصواب ما أثبتته من ت .

(٣) ج : « تهيأت فلما فرغت » . (٤) ج : « فقف » .

(٥) ج : « لم أبلغك » . (٦) ت : « رأى » .

من الباب ، وفطنت له فنزعت خُفِّيَّ وهو ينظر ، فنفضتهما وهو ينظر ، ونفضت سراويلي وكُفْمِي ، ثم لبست خنِيَّ وهو ينظر ، ثم قام فقعدي في مجلسه وخرجت ، فقال لي : ما حبسك ؟ قلت : خير ، فخلاًني ، فقال : قد رأيتُ ما صنعتَ فلمَ صنعتَ هذا ؟ قلت : إنَّ في الحظيرة لؤلؤاً منثوراً ودراهم منثورة ، ونحن نتقلب عليها ، فخفضت أن يكون قد دخل في خُنِيَّ منها شيء ، فنزعت خُنِيَّ وجوربِي ، فأعجبه ذلك وقال : انطلق ، فكنت أدخل الحظيرة مع من يحفظ فأخذ من الدراهم ومن تلك الثياب الناعمة فأجعل بعضها في خُنِيَّ وأشدَّ بعضها على بطني ، ويخرج أصحابي فيفتشون ولا أفتش ، حتى جمعت مالا ، قال : وأما اللؤلؤُ فإنِّي لم أكن أمسه .

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث الذين ذكر على عنهم قصة أبي مسلم في أول الخبر . قالوا : ولما انهزم عبد الله بن عليّ بعث أبو جعفر أبا الخصيب إلى أبي مسلم ليكتب له ما أصاب من الأموال ، فافترى أبو مسلم على أبي الخصيب وهم بقتله ، فكلمهم فيه ؛ وقيل : إنما هو رسول ، فخلَّ سبيلَه . فرجع إلى أبي جعفر ، وجاء القواد إلى أبي مسلم ، فقالوا : نحن ولينا أمر هذا الرجل ، وغنمنا عسكره ، فلم يُسأل عما في أيدينا ؛ إنما لأمر المؤمنين من هذا الخمس . فلما قدم أبو الخصيب على أبي جعفر أخبره أن أبا مسلم هم بقتله . فعخاف أن يمحى أبو مسلم إلى خراسان ، فكتب إليه كتاباً مع يقطين ؛ أن^(١) قد وليتك مصر والشام ؛ فهي خير لك من خراسان ، فوجه إلى مصر من أحببت ، وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين ؛ فإن أحب لقاءك أتيتَه من قريب . فلما أتاه الكتاب غضب ، وقال : هو يوليني الشام ومصر ، وخراسان لي ! واعتزم^(٢) بالمحضى إلى خراسان ، فكتب يقطين إلى أبي جعفر بذلك .

وقال غير من ذكرت خبره : لما ظفر أبو مسلم بعسكر عبد الله بن عليّ بعث المنصور يقطين بن موسى ، وأمره أن يحصى ما في العسكر ، وكان أبو مسلم يسميه « يك دين » ، فقال أبو مسلم : يا يقطين ،

(٢) ط : « واعتزم » .

(١) ت : « إن » .

أمين على الدماء خائن في الأموال ! وشتم أبا جعفر ، فأبلغه يقطين ذلك . وأقبل أبو مسلم من الجزيرة مجمِعاً على الخلاف ؛ وخرج من وجهه معارضة يريد خراسان ؛ وخرج أبو جعفر من الأنبار إلى المدائن ؛ وكتب إلى أبي مسلم في المصير إليه . فكتب أبو مسلم ، وقد نزل الزاب وهو على الرواح إلى طريق حلوان : إنه لم يبق لأمير المؤمنين أكرمه الله عدو إلا أمكنه الله منه ؛ وقد كنتأ نروى عن ملوك آل ساسان : أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء ؛ فنحن نافرون من قربك ، حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت ، حريون ١٠٤/٣ بالسمع والطاعة ؛ غير أنها من بعيد ^(١) حيث تقارنها السلامة ، فإن أرضاك ذلك فأنا كأحسن عبيدك ؛ فإن أبيت إلا أن تعطى نفسك إرادتها نقضت ما أبرمت من عهدك ، ضناً بنفسى . فلما وصل الكتاب إلى المنصور كتب إلى أبي مسلم : قد فهمت كتابك ؛ وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغشاشة ملوكهم ، الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم ؛ فإنما راحتهم في انتشار نظام الجماعة ؛ فلم سويت نفسك بهم ، وأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به ! وليس مع الشريعة التي أوجبته منك سمع ^(٢) ولا طاعة . وحمل إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن إليها إن أصغيت إليها ، وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك ؛ فإنه لم يجد باباً يفسد به نيتك أوكد عنده ، وأقرب من طيبته ^(٣) من الباب الذي فتحه عليك . ووجه إليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي ؛ وكان واحد أهل زمانه ، فعذعه وردّه ، وكان أبو مسلم يقول : والله لأقتلن بالروم ؛ وكان المنجمون يقولون ذلك ؛ فأقبل والمنصور في الرومية في مضارب ، وتلقاه الناس وأنزله وأكرمه أياماً .

وأما على فإنه ذكر عن شيوخه الذين تقدّم ذكرنا لهم أنهم قالوا : كتب أبو مسلم ١٠٥/٣ إلى أبي جعفر : أما بعد ؛ فإنني اتخذت رجلاً ^(٤) إماماً ودليلاً على ما افترضه الله على خلقه ؛ وكان في محلة العلم نازلاً ، وفي قرابته من رسول الله صلى الله عليه

(١) ت : « بعد » .
(٢) ط : « سماع » .
(٣) ب ، ت : « ظنه » . والطب هنا : السحر .
(٤) يعنى أخاه إبراهيم الإمام .

وسلم قريباً ؛ فاستجهلنى بالقرآن فحرفه عن مواضعه ، طمعاً فى قليل قد تعافاه الله إلى خلقه ؛ فكان كالذى دلى^(١) بغرور ؛ وأمرنى أن أجرد السيف ، وأرفع الرحمة ، ولا أقبل المذرة ، ولا أقبل العثرة ، ففعلت توطيداً^(٢) لسلطانكم حتى عرفكم الله من كان جهلكم ، ثم استنقذنى الله بالتوبة ؛ فإن يعف عني فقد مأ عرف به ونسب إليه ؛ وإن يعاقبنى فما قدمت يداى وما الله بظلام للعبيد .

وخرج أبو مسلم يريد خراسان مراغماً مشاقاً^(٣) ، فلما دخل أرض العراق ، ارتحل المنصور من الأنبار ، فأقبل حتى نزل المدائن ، وأخذ أبو مسلم طريق حلوان ؛ فقال : رب أمر الله دون حلوان . وقال أبو جعفر لعيسى بن على وعيسى بن موسى ومن حضره من بنى هاشم : اكتبوا إلى أبى مسلم ؛ فكتبوا إليه يعظمون أمره ، ويشكرون له ما كان منه ، ويسألونه أن يتم^(٤) على ما كان منه وعليه من الطاعة ، ويحذرونه عاقبة الغدر ، ويأمرونه بالرجوع إلى أمير المؤمنين ؛ وأن يلتمس رضاه . وبعث بالكتاب أبو جعفر مع أبى حميد المرورذى ، وقال له : كلم أبا مسلم باليسن ما تكلم به أحداً ، ومنه وأعلمه أنى رافعه وصانيع به ما لم يصنعه أحد ، إن هو صالح وراجع ما أحب ؛ فإن أبى أن يرجع فقل له : يقول لك أمير المؤمنين : لست للعباس^(٥) ، وأنا برىء من محمد ، إن مضيت مشاقاً ولم تأتني ، إن وكلت أمرك إلى أحد سوى ، وإن^(٦) لم أل طلبك وقتالك بنفسى ؛ ولو خضت البحر لخضته ، ولو اقتصمت النار لاقتحمته حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك . ولا تقولن له هذا الكلام حتى تأيس من رجوعه ، ولا تطمع منه فى خير .

فسار أبو حميد فى ناس من أصحابه ممن يثق بهم ؛ حتى قدموا على أبى مسلم بحلوان ، فدخل أبو حميد وأبو مالك وغيرهما ، فدفع إليه الكتاب ، وقال له : إن الناس يبلغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله ، وخلاف ما عليه رأيه فيك ؛ حسداً وبغياً ؛ يريدون إزالة النعمة وتغييرها ؛ فلا تفسد ما كان

(١) دلى ، أى أطعم . (٢) ت : « توطئة » .

(٣) راغهم : نابذهم وهجرهم وعاداهم ، وشاقهم : خالفهم .

(٤) أن يتم على ما كان منه ، أى يستمر عليه .

(٥) ابن الأثير : « من العباس » . (٦) : « ولم آل » .

منك ؛ وكلامه . وقال : يا أبا مسلم ، إنك لم تزل أمينَ آل محمد ؛ يعرفك بذلك الناس ، وما ذخر الله لك من الأجر عنده في ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك ، فلا تحبطُ أجرَكَ ، ولا يستهوينك الشيطان ، فقال له أبو مسلم : متى كنتَ تكلمني بهذا الكلام ! قال : إنك دعوتنا إلى هذا وإلى طاعة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم بنى العباس ، وأمرتنا بقتال من خالف ذلك ؛ فدعوتنا من أرضين متفرقة وأسباب مختلفة ، فجمعنا الله على طاعتهم ، وألف بين قلوبنا بمحبتهم ، وأعزنا بنصرنا لهم ، ولم نلق منهم رجلاً إلا بما قذف الله في قلوبنا ، حتى أتيناهم في بلادهم ببصائر نافذة ، وطاعة خالصة ؛ أفتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى أمسنا أن تفسد أمرنا ، وتفرق كلمتنا ؛ وقد قلت لنا : من خالفكم فاقتلوه ، وإن خالفكم فاقتلوني ! فأقبل على أبي نصر ، ١٠٧/٣ فقال : يا مالك ، أما تسمع ما يقول لي هذا ! ما هذا بكلامه يا مالك (١) ! قال : لا تسمع كلامه ، ولا يهولنك هذا منه ؛ فلعمري لقد صدقت ما هذا كلامه ؛ ولما بعد هذا أشد منه ؛ فامض لأمرك ولا ترجع ؛ فوالله لئن أتيتَه ليقتلنك ؛ ولقد وقع في نفسه منك شيء لا يأمنك أبداً . فقال : قوموا ، فنهضوا ، فأرسل أبو مسلم إلى نيزك ، وقال : يا نيزك ، إني والله ما رأيت طويلاً أعقل منك ، فما ترى ، فقد جاءت هذه الكتب ، وقد قال القوم ما قالوا ؟ قال : لا أرى أن تأتيه ، وأرى أن تأتي الرّبي فتقيم بها ، فيصير ما بين خراسان والرّبي لك ؛ وهم جندك ما يخالفك أحد ؛ فإن استقام لك استقيمت له ، وإن أبي كنت في جندك ، وكانت خراسان من ورائك ، ورأيت رأيك . فدعا أبا حميد ، فقال : ارجع إلى صاحبك ، فليس من رأي أن آتية . قال : قد عزمت على خلافه ؟ قال : نعم ، قال : لا تفعل ، قال : ما أريد أن ألقاه ؛ فلما آيسه من الرجوع ، قال له ما أمره به أبو جعفر ، فوجم طويلاً ، ثم قال : قم . فكسره ذلك القول ورعبه .

وكان أبو جعفر قد كتب إلى أبي داود — وهو خليفة أبي مسلم بخراسان — حين اتهم أبا مسلم : إن لك إمرة خراسان ما بقيت . فكتب

(١) هو مالك بن الهيثم الخراساني أبو نصر ، وكان على شرط أبي مسلم .

أبو داود إلى أبي مسلم : إنا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيّه صلى الله عليه وسلم ، فلا تخالفنّ إمامك ولا ترجعنّ إلا بإذنه . فوافاه كتابه على تلك الحال ؛ فزاده رُعباً وهمّاً ، فأرسل إلى أبي حميد وأبي مالك فقال لهما : إني قد كنت معتزماً على المضيّ إلى خراسان ، ثم رأيت أن أوجه أبا إسحاق إلى أمير المؤمنين فيأتيني برأيه ؛ فإنه ممن أثق به فوجهه ، فلما قدم تلقاه بنو هاشم بكلّ ما يحبّ ، وقال له أبو جعفر : اصرفه عن وجهه ؛ ولك ولاية خراسان ؛ وأجازه . فرجع أبو إسحاق إلى أبي مسلم ، فقال له : ما أنكرتُ شيئاً ، رأيتهم معظمين لحقك ، يرون لك ما يرون لأنفسهم . وأشار عليه أن يرجع إلى أمير المؤمنين ، فيعتذر إليه مما كان منه ، فأجمع على ذلك ، فقال له نيزك : قد أجمعت على الرجوع ؟ قال : نعم ، وتمثّل :

ما للرجال مع القضاء محالةٌ ذهبَ القضاء بحيلة الأقوام

فقال : أمّا (١) إذ اعتزمت على هذا فخير الله لك ؛ واحفظ عني واحدة ؛ إذا دخلت عليه فاقتله ثم بايع لمن شئت ؛ فإنّ الناس لا يخالفونك . وكتب أبو مسلم إلى أبي جعفر يخبره أنه منصرف إليه .

قالوا : قال أبو أيوب : فدخلتُ يوماً على أبي جعفر وهو في خباءٍ شَعر بالرومية جالساً على مُصلّى بعد العصر ، وبين يديه كتاب أبي مسلم ، فرمى به إلى فقرائه ، ثم قال : والله لئن ملأت عيني منه لأقتلته ، فقلت في نفسي : إنا لله وإنا إليه راجعون ! طلبتُ الكتابة حتى إذا بلغتُ غايتها فصرتُ كاتباً للخليفة ، وقع هذا بين الناس ! والله ما أرى أنا إن قُتِلَ يرض أصحابه بقتله ، ولا يدعون هذا حياً ؛ ولا أحداً ممن هو بسبيل منه ؛ وامتنع مني النوم ، ثم قلتُ : لعلّ الرّجل يقدّم وهو آمن ؛ فإن كان آمناً فعسى أن ينال ما يريد ؛ وإن قدم وهو حذّر لم يقدر عليه إلا في شرّ ، فاو التمسيت حيلة ! فأرسلتُ إلى سلامة بن سعيد بن جابر ، فقلت له : هل عندك شكر ؟ فقال : نعم ، فقلت : إن وليتُك ولاية تصيب منها مثل ما يصيب صاحب العراق ، تدخل مملك حاتم بن أبي سليمان أنخي ؟ قال : نعم ، فقلت — وأردت أن يطلع ولا

(١) كذا في ت ، وفي ط : « إذا عزمت » .

ينكر : وتجعل له النصف ؟ قال : نعم ، قلت : إن كَسَّكَرَ كالت^(١) عامَ أولَ كذا وكذا ، ومنها العام أضعاف ما كان عامَ أولَ ، فإن دفعْتُها إليك بقَبَالَتِها عامًا أولَ أو بالأمانة أصبَتْ ما تضيق به ذرعًا ، قال : فكيف لي بهذا المال ؟ قلت : تأتي أبا مسلم ، فتلقاه وتكلمه غدًا ، وتسأله أن يجعل هذا فيما يرفع من حوائجه أن تتولّاها أنت بما كانت في العام الأول ؛ فإن أمير المؤمنين يريد أن يوليّه إذا قدم ما وراء بابه ، ويستريح ويريح نفسه ، قال : فكيف لي أن يأذن أمير المؤمنين في لقائه ؟ قلت : أنا أستاذن لك ؛ ودخلت إلى أبي جعفر^(٢) ؛ فحدثته الحديث كله ، قال : فادع سلمة ، فدعوته ، فقال : إن أبا أيوب استأذن لك ، أفتحب أن تلقى أبا مسلم ؟ قال : نعم ، قال : فقد أذنتُ لك ، فأقرئه السلام ، وأعلمه بشوقنا إليه . فخرج سلمة فلقية ، فقال : أمير المؤمنين أحسنُ الناسُ فيك رأيًا ، فطابت نفسه ؛ وكان قبل ذلك كئيبيًا . فلما قدم عليه سلمة سرّه ما أخبره به وصدّقه ، ولم يزل مسرورًا حتى قدم . قال أبو أيوب : فلما دنا أبو مسلم من المدائن أمرَ أمير المؤمنين الناس فتلقوه ؛ فلما كان عشية قدم ، دخلت على أمير المؤمنين وهو في خِباء على مصلّى ، فقلت : هذا الرجل يدخل العشية ، فما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد أن أقتله حين أنظر إليه ، قلت : أنشدك الله ؛ إنه يدخل معه الناس ؛ وقد علموا ما صنع ؛ فإن دخل عليك ولم يخرج لم آمن البلاء^(٣) ؛ ولكن إذا دخل عليك فأذن له أن ينصرف ؛ فإذا غدا^(٤) عليك رأيت رأيك . وما أردتُ ١١٠/٣ بذلك إلا دفعه بها ، وما ذاك إلا من خوفي عليه وعلىنا جميعًا من أصحاب أبي مسلم . فدخل عليه من عشية وسلم ، وقام قائمًا بين يديه ، فقال : انصرف يا عبد الرحمن فأرح نفسك ، وادخل الحمام ؛ فإن للسفر قَشَقًا ، ثم اغدُ على ، فانصرف أبو مسلم وانصرف الناس . قال : فافترى على أمير المؤمنين حين خرج أبو مسلم ؛ وقال : متى أقدر على مثل هذه الحال منه التي رأيتها قائمًا على رجله ، ولا أدري ما يحدث في ليلتي ! فانصرفت وأصبحت غاديًا عليه ؛

(١) ابن الأثير : « كانت » .

(٢) ت ، ج : « على أبي جعفر » .

(٣) ج : « من البلاء » .

(٤) ج : « إذا دخل » .

فلما رآني قال : يا بن اللخناء ؛ لا مرحباً بك ! أنت منعتني منه أمس ؛ والله ما غمضت الليلة ، ثم شتمني حتى خفت أن يأمر بقتلي ، ثم قال : ادع لي عثمان بن نهيك ، فدعوته ، فقال : يا عثمان ، كيف بلاء أمير المؤمنين عندك ؟ قال : يا أمير المؤمنين إنما أنا عبدك ؛ والله لو امرتني أن اتكئ على سيفي حتى يخرج من ظهري لفعلت ، قال : كيف أنت إن أمرتك بقتل أبي مسلم ؟ فوجم ساعة لا يتكلم ، فقلت : مالك لا تتكلم ! فقال قولة ضعيفة : أقتله ؛ قال : انطلق فجئ بأربعة من وجوه الحرس جُلُسد ، فضي ؛ فلما كان عند الرواق ، ناداه : يا عثمان يا عثمان ؛ ارجع ؛ فرجع ، قال : اجلس ؛ وأرسل إلى من تثق به من الحرس ؛ فأحضر منهم أربعة ، فقال لوصيف له انطلق : فادع شبيب بن واثق ، وادع أبا حنيفة ورجلين آخرين ؛ فدخلوا ، فقال لهم أمير المؤمنين نحوه مما قال لعثمان ، فقالوا : نقتله ، فقال : كونوا خيلف الرواق ؛ فإذا صفقت فاخرجوا فاقتلوه .

وأرسل إلى أبي مسلم رسلاً بعضهم على إثر بعض ، فقالوا : قد ركب ، وأتاه وصيف ، فقال : أتى عيسى بن موسى ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ألا أخرج فأطوف في العسكر ، فأنظر ما يقول الناس ؟ هل ظن أحد ظناً ، أو تكلم أحد بشيء ؟ قال : بلى ، فخرجت ، وتلقاني أبو مسلم داخلاً ، فتبسم وسلمت عليه ودخل ، فرجعت ؛ فإذا هو منبطح^(١) لم ينتظر به رجوعي . وجاء أبو الجهم ، فلما رآه مقتولاً قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! فأقبلت على أبي الجهم ، فقلت له : أمرته بقتله حين خالف ، حتى إذا قُتِل قلت هذه المقالة ! فنبهت به رجلاً غافلاً ، فتكلم بكلام أصلح ما جاء منه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ؛ ألا أردت الناس ؟ قال : بلى ، قال : فمر بمتاع يحول إلى رواق آخر من أرواقل هذه ، فأمر بفرش فأخرجت ؛ كأنه يريد أن يهتي له رواقاً آخر . وخرج أبو الجهم ، فقال : انصرفوا ، فإن الأمير يريد أن يقبل^(٢) عند أمير المؤمنين ، ورأوا المتاع ينقل ، فظنوه صادقاً ، فانصرفوا ثم راحوا ، فأمر لهم أبو جعفر بجوائزهم ، وأعطى أبا إسحاق مائة ألف .

(١) ت ، ج : « مسطح » .

(٢) ب : « يقبل » .

قال أبو أيوب : قال لي أمير المؤمنين : دخل عليّ أبو مسلم فعاتبته ثم شتمته ، فضربه عثمان فلم يصنع شيئاً ، وخرج شبيب بن واج وأصحابه فضربوه فسقط ، فقال وهم يضربونه : العفو ، فقلت : يا بن اللعناء ، العفو والسيوف قد اعتورتك ! وقلت : اذبحوه ، فذبحوه .

قال عليّ عن أبي حفص الأزديّ ، قال : كنت مع أبي مسلم ، فقدم عليه ١١٢/٣ أبو إسحاق من عند أبي جعفر بكتب من بني هاشم ، وقال : رأيتُ القوم على غير ما ترى ؛ كلّ القوم يرون لك ما يرون للخليفة ، ويعرفون ما أبلأهم الله بك . فسار إلى المدائن ، وخلف أبا نصر في ثقّله ، وقال : أقم حتى يأتيك كتابي ، قال : فاجعل بيني وبينك آية أعرف بها كتابك ، قال : إن أتك كتابي مختماً^(١) بنصف خاتم فأنا كتبتّه ، وإن أتك بالخاتم^(٢) كلّّه ؛ فلم أكتبه ولم أختمه . فلما دنا من المدائن تلقاه رجل من قوّاده ، فسلمّ عليه ، فقال له : أطنّني وارجع ؛ فإنه إن عاينك^(٣) قتلتك ، قال : قد قربتُ من القوم فأكره أن أرجع . فقدم المدائن في ثلاثة آلاف ، وخلف الناس بحلوان ، فدخل على أبي جعفر ، فأمره بالانصراف في يومه ؛ وأصبح يريدّه ، فتلّقه أبو الحصيب فقال : أمير المؤمنين مشغولٌ ، فاصبر ساعة حتى تدخل خالياً ، فأني منزل عيسى بن موسى — وكان يحبّ عيسى — فدعا له بالغداء . وقال أمير المؤمنين للربيع — وهو يومئذ وصيف يخدم أبا الحصيب : انطلق إلى أبي مسلم ؛ ولا يعلم أحدٌ ، فقل له : قال لك مرزوق : إن أردتَ أمير المؤمنين خالياً فالعجل ، فقام فركب ؛ وقال له عيسى : لا تعجل بالدخول حتى أدخل معك ، فأبطأ عيسى بالوضوء ، ومضى أبو مسلم فدخل فقتل قبل أن يحىء عيسى ، وجاء عيسى وهو مدرج في عباءة ، فقال : أين أبو مسلم ؟ قال : مدرجٌ في الكساء^(٤) ؛ قال : إنا لله ! قال : اسكت ، فاتمّ سلطانك وأمرُك إلّا اليوم ، ثم رمى به في دجلة .

قال عليّ : قال أبو حفص : دعا أمير المؤمنين عثمان بن نهيك وأربعة

(٢) ح : « بخاتم » ، ت : « بخاتمي » .

(٥) ج : « كساء » .

(١) ج : « مكتوباً » .

(٣) ب : « عاتبك » .

١١٣/٣٥ من الحرس ، فقال لهم : إذا ضربت بيدي^(١) إحداهما على الآخري ؛ فاضربوا عدو الله ، فدخل عليه أبو مسلم ، فقال له : أخبرني عن نصليتين أصبتكما في متاع عبد الله بن علي^٢ ، قال : هذا أحدهما الذي علي^٣ ، قال : أرنيه فانفضاه ، فناوله ، فهزه أبو جعفر ، ثم وضعه تحت فراشه ، وأقبل عليه يعاتبه ، فقال : أخبرني عن كتابك إلى أبي العباس تنهاه عن الموات ، أردت أن تعلمنا الدين ! قال : ظننت أخذ لا يحل^٤ ، فكتب إلى^٥ ، فلما أتاني كتابه علمت أن أمير المؤمنين وأهل بيته معدن العلم ، قال : فأخبرني عن تقدمك إياي في الطريق ؟ قال : كرهت اجتماعنا على الماء فيضرب ذلك بالناس ؛ فتقدمتلك التماس الرقيق^(٦) ، قال : فقولك حين أتاك الخبر بموت أبي العباس لمن أشار عليك أن تنصرف إلى^٧ : نقدم فنرى من رأينا ؛ ومضيت فلا أنت أقمت حتى ألحقك^(٨) ولا أنت رجعت إلى^(٩) ! قال : منعني من ذلك ما أخبرتك من طلب الرقيق^(١٠) بالناس ، وقلت : نقدم الكوفة فليس عليه مني خلاف ، قال : فجارية عبد الله بن علي^{١١} أردت أن تتخذها ؟ قال : لا ؛ ولكني خفت أن تضيع ، فحملتها في قبة ، ووكلت بها من يحفظها ، قال : فراغمتك وخرجك إلى خراسان ؟ قال : خفت أن يكون قد دخلك مني شيء ، فقلت : آتى خراسان ، فأكتب إليك بعذري ؛ وإلى ذلك ما قد ذهب ما في نفسك علي^{١٢} ، قال : تالله ما رأيت كالיום قط^{١٣} ، والله ما زدتنى إلا غضباً ؛ وضرب بيده ، فخرجوا عليه ؛ فضربه عثمان وأصحابه حتى قتلوه .

قال علي^{١٤} : قال يزيد بن أسيد : قال أمير المؤمنين : عاتبت عبد الرحمن ، فقلت : المال الذي جمعته بجران^(١٥) ؟ قال : أنفقته وأعطيته الجند تقوية^{١٦} لهم واستصلاحاً ، قلت : فرجوعك إلى خراسان مراغماً ؟ قال : دع هذا فما أصبحت أخاف أحداً إلا الله ؛ فغضبت فشتمته ، فخرجوا فقتلوه .

وقال غير من ذكرت في أمر أبي مسلم : إنه لما أرسل إليه يوم قتل ، أتى عيسى بن موسى ، فسأله أن يركب معه ، فقال له : تقدم وأنت في ذمتي ؛

(٢) كذا في ت ، وفي ط : « المرفق » .

(٤) ابن الأثير : « بخراسان » .

(١) ب : « يدي » .

(٣) ط : « فلحقك » .

فدخل مضرب أبي جعفر ؛ وقد أمر عثمان بن نهيك صاحب الحرس ، فأعد له شبيب بن واثج المروروذي (رجلا من الحرس) وأبا حنيفة حرب بن قيس ، وقال لهم : إذا صفقت بيدي فشأنكم ؛ وأذن لأبي مسلم ، فقال لمحمد البواب النجاري : ما الخبر ؟ قال : خير ؛ يُعطيني الأمير سيفه ، فقال : ما كان يُصنع بي هذا ! قال : وما عليك ! فشكا ذلك إلى أبي جعفر ، قال : ومن فعل بك هذا قبحه الله ! ثم أقبل يعاتبه : أَلستَ الكاتبَ إلىَّ تبدأ بنفسك ، والكاتب إلىَّ تخطب أمينة بنت علي^(١) ، وتزعم أنك ابنُ سُلَيْط بن عبد الله بن عباس ! ما دعاك إلى قتل سليمان بن كثير مع أثره في دعوتنا ؛ وهو أحد نقبائنا^(٢) قبل أن نُدخلك في شيء من هذا الأمر ؟ قال : أَرادَ الخلافَ وعصاني فقتلته ، فقال المنصور : وحاله عندنا^(٣) حاله فقتلته ، وتعصيني وأنت مخالف علي ! قتلتني إله إن لم أقتلك ! فضر به بعمود ، وخرج شبيب وحرب فقتلاه ، وذلك لخمس ١١٠/٣ ليال بقين من شعبان من سنة سبع وثلاثين ومائة ، فقال المنصور :

زَعِمْتَ أَنَّ الدِّينَ لَا يُقْتَضَى فَاسْتَوْفِ بِالْكَيْلِ أَبَا مُجْرِمٍ
سُقِيتَ كَأْسًا كُنْتَ تَسْقِي بِهَا أَمْرًا فِي الْحَلْقِ مِنَ الْعَلَمِ

قال : وكان أبو مسلم قد قتل في دولته وحروبه ستمائة ألف صبراً .
وقيل : إن أبا جعفر لما عاتب أبا مسلم ، قال له : فعلت وفعلت ، قال له أبو مسلم : ليس يقال هذا لي بعد بلائي ، وما كان مني ؛ فقال : يا بن الحبيشة ؛ والله لو كانت أمة مكانك لأجزت^(٤) ناحيتها ؛ إنما عملت ما عملت في دولتنا وبريحتنا ؛ ولو كان ذلك إليك ما قطعت فتيلاً ، أَلستَ الكاتبَ إلىَّ تبدأ بنفسك ، والكاتب إلىَّ تخطب أمينة بنت علي ، وتزعم أنك ابنُ سُلَيْط بن عبد الله بن عباس ! لقد ارتقيت لا أم لك مُرْتَقَى صعباً ! فأخذ أبو مسلم بيده يعركها ويقبلها^(٥) ويعتذر إليه .

وقيل : إن عثمان بن نهيك ضرب أبا مسلم أوّل ما ضرب ضربة خفيفة

(١) ابن الأثير : « أمانة بنت علي » .
(٢) ج : « عنك » .
(٣) ابن الأثير : « ويفتلها » .
(٤) ابن الأثير : « لأجزأت » .
(٥) ابن الأثير : « وأخذني بيدي » .

بالسيف ؛ فلم يزد على أن قطع حمائل سيفه ؛ فاعتقل بها أبو مسلم . وضرب شبيب بن واج رجلته ، واعتوره بقية أصحابه حتى قتلوه ، والمنصور يصيح بهم : اضربوا قطع الله أيديكم !

وقد كان أبو مسلم قال — فيما قيل — عند أول ضربة أصابته : يا أمير المؤمنين ، استبقني لعدوك قال : لا أبقاني الله إذا ! وأى عدو لي أعدى منك !

١١٦/٣

وقيل : إن عيسى بن موسى دخل بعد (١) ما قُتِل أبو مسلم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أين أبو مسلم ؟ فقال : قد كان ها هنا آنفاً ، فقال عيسى : يا أمير المؤمنين ، قد عرفت طاعته ونصيحته ورأى الإمام إبراهيم كان فيه ؛ فقال : يا أنوك ؛ والله ما أعلم في الأرض عدواً أعدى لك منه ؛ ها هو ذاك في البساط ، فقال عيسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ! وكان لعيسى رأى في أبي مسلم ، فقال له المنصور : خلع الله قلبك ؛ وهل كان لكم مُسلِك أو سلطان أو أمر أو نهى مع أبي مسلم !

قال : ثم دعا أبو جعفر جعفر بن حنظلة ، فدخل عليه ، فقال : ما تقول في أبي مسلم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كنت أخذت شجرة من رأسه فاقتل ثم اقتل ثم اقتل ؛ فقال المنصور : وفقك الله ! ثم أمره بالقيام والنظر إلى أبي مسلم مقتولا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، عُدّ من هذا اليوم لخلافتك . ثم استؤذن لإسماعيل بن عليّ ، فدخل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إننى رأيتُ في ليلتي هذه كأنك ذبحت كبشاً وأنى توطأته (٢) برجلى ، فقال : نامت عينك يا أبا الحسن ؛ قم فصدّق رؤياك ؛ قد قتل الله الفاسق ، فقام إسماعيل إلى الموضع الذى فيه أبو مسلم ، فتوطأه .

ثم إن المنصور همّ بقتل أبي إسحاق صاحب حرس أبي مسلم وقتل أبي نصر مالك — وكان على شرط أبي مسلم — فكلّمه أبو الجهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، جنده جنديك ، أمرتهم بطاعته فأطاعوه . ودعا المنصور بأبي إسحاق ، فلما دخل عليه ولم (٣) ير أبا مسلم ، قال له أبو جعفر : أنت المتابع (٤) لعدو

(١) ج : « عند » .

(٢) ج : « أتوطؤه » .

(٣) ب : « لم » .

(٤) ب : « الهايغ » ، ابن الأثير : « المانع » .

الله أبى مسلم على ما كان أجمع ؛ فكفّ وجعل يلتفت يميناً وشمالاً تخوّفاً من ١١٧/٣
 أبى مسلم ، فقال له المنصور : تكلم بما أردت ، فقد قتل الله الفاسق ؛ وأمر
 بإخراجه إليه مقطّعاً ؛ فلما رآه أبو إسحاق خرّ ساجداً ، فأطال السجود ،
 فقال له المنصور : ارفع رأسك وتكلم ؛ فرفع رأسه وهو يقول : الحمد لله الذى
 آمننى بك اليوم ؛ والله ما أمنتُه يوماً واحداً منذ صحبتُه ، وما جئتُه يوماً قطّ
 إلا وقد أوصيتُ وتكفّنتُ وتحنّطُ ؛ ثم رفع ثيابه الظاهرة فإذا تحتها ثيابُ
 كَتَّانٍ جُدَدَ ، وقد تحنّط . فلما رأى أبو جعفر حاله رحمه ، ثم قال :
 استقبل طاعة خليفتك ، واحمد الله الذى أراحك من الفاسق . ثم قال له
 أبو جعفر : فترّق عنى هذه الجماعة . ثم دعا بمالك بن الهيثم فحدّثه ^(١) بمثل
 ذلك ، فاعتذر إليه بأنه أمره بطاعته ؛ وإنما خدمه وخفّ له الناسُ بمرضاته ،
 وأنه قد كان فى طاعتهم قبل أن يعرف أباً مسلم ، فقبيل منه وأمره بمثل ما أمر به
 أباً إسحاق من تفريق جند أبى مسلم .

وبعث أبو جعفر إلى عِدّة من قوَاد أبى مسلم بجوائز سنينة ، وأعطى جميع
 جنده حتى رضوا ، ورجع أصحابه وهم يقولون : بعنا مولانا بالدرهم . ثم
 دعا أبو جعفر بعد ذلك أباً إسحاق ، فقال : أقسم بالله لئن قطعوا ظنّباً من
 أطناى لأضربنّ عنقك ثم لأجاهدّهم . فخرج إليهم أبو إسحاق فقال :
 يا كلاب انصرفوا .

قال على : قال أبو حفص الأزدي : لما قُتِل أبو مسلم كتب أبو جعفر
 إلى أبى نصر كتاباً عن لسان أبى مسلم يأمره بحمل ثقله وما خلّف عنده ، وأن ١١٨/٣
 يقدم ، وختم الكتاب بخاتم أبى مسلم ، فلما رأى أبو نصر نقش الخاتم تاماً ،
 علم أن أباً مسلم لم يكتب الكتاب ، فقال : أفعلتموها ^(٢) ! وانحدر إلى همدان
 وهو يريد خراسان ، فكتب أبو جعفر لأبى نصر عهداً على شهر زور ، ووجّه
 رسولاً إليه بالعهد ؛ فأتاه حين مضى الرسول بالعهد أنه قد توجّه إلى خراسان ،
 فكتب إلى زهير بن البركى - وهو على همدان : إن مرّ بك أبو نصر فاحبسّه ،
 فسبق الكتاب إلى زهير وأبو نصر بهمدان ، فأخذه فحبسه فى القصر ، وكان

(١) ت ، ج : « فكله » .

(٢) ابن الأثير : « فعلتموها » .

زهير مولى لخزاعة ، فأشرف أبو نصر على إبراهيم بن عريف - وهو ابن أخى
أبي نصر لأمه - فقال : يا إبراهيم ، تقتل عمك ! قال : لا والله أبداً ، فأشرف
زهير فقال لإبراهيم : إني مأمور والله ، إنه لمن أعز الخلق على ، ولكنى لا أستطيع
ردّ أمر أمير المؤمنين . والله لئن رى أحدكم بسهم لأرمينّ إليكم برأسه . ثم كتب
أبو جعفر كتاباً آخر إلى زهير : إن كنت أخذت أبا نصر فاقتله .

وقدم صاحبُ العهد على أبي نصر بعهد فخلّى زهير سبيله لهواه فيه ؛
فخرج ، ثم جاء بعد يوم الكتاب إلى زهير بقتله ، فقال : جاعنى كتابٌ بعهد
فخليتُ سبيله .

وقدم أبو نصر على أبي جعفر ، فقال : أشرت على أبي مسلم بالمضى
إلى خراسان ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ كانت له عندى أباد وصنائع
فاستشارنى فنصحتُ له ، وأنت يا أمير المؤمنين إن اصطنعتنى نصحتُ لك
وشكرتُ . فعفا عنه ؛ فلما كان يوم الراوندية قام أبو نصر على باب القصر ،
وقال : أنا اليوم البوّاب ، لا يدخل أحد القصر وأنا حيٌّ . فقال أبو جعفر :
أين مالك بن الهيثم ؟ فأخبروه عنه ، فرأى أنه قد نصح له . ١١٩/٣

وقيل : إن أبا نصر مالك بن الهيثم لما مضى إلى همدان كتب أبو جعفر
إلى زهير بن التركى : إنّ لله دملك إن فاتك مالك ؛ فأتى زهير مالكاً ، فقال
له : إني قد صنعتُ لك طعاماً ، فلو أكرمتنى بدخول منزلى ! فقال : نعم ،
وهيأ زهير أربعين رجلاً تخيّرهم^(١) ، فجعلهم فى بيتين يُفَضيان إلى المجلس
الذى هيأه ، فلما دخل مالك قال : يا أدهم ، عجّل طعامك ؛ فخرج أولئك
الأربعون إلى مالك ، فشده وثاقاً ، ووضع فى رجليه القيود . وبعث به إلى المنصور
فمنّ عليه وصفح عنه واستعمله على الموصل .

* * *

وفى هذه السنة ولّى أبو جعفر المنصور أبا داود خالد بن إبراهيم خراسان
وكتب إليه بعهد .

* * *

[ذكر خروج سنباذ للطلب بدم أبي مسلم ثم قتله]
وفيهما خرج سنباذ بخراسان يطلب بدم أبي مسلم .

* ذكر الخبر عن سنباذ :

ذُكر أن سنباذ هذا كان مجوسياً ، من أهل قرية من قُرى نيسابور يقال لها أهن^(١) ، وأنه كثر أتباعه لما ظهر ؛ وكان خروجه^(٢) غضباً لقتل أبي مسلم — فيما قيل — وطلباً بثأره ، وذلك أنه كان من صنائعه ، وغلب حين خرج على نيسابور وقوميس والرّي ، وتسمّى فيروز أصبهيد . فلما صار بالرّي قبض خزائن أبي مسلم ؛ وكان أبو مسلم خلف بها خزائنه حين شخص متوجّهاً إلى أبي العباس ؛ وكان عامّة أصحاب سنباذ أهل الجبال . فوجه إليهم أبو جعفر جهّور بن مرّار العجليّ في عشرة آلاف ، فالتقوا بين همدان والرّي على طرف^(٣) المفازة ؛ فاقتلوا ، فهزّم سنباذ ، وقتل من أصحابه في ١٢٠/٣ الهزيمة نحو من ستين ألفاً ، وسبى ذراريهم ونساءهم . ثم قُتل سنباذ بين طبرستان وقوميس ؛ قتله لوزان الطبري ، فصير المنصور أصبهيدة طبرستان إلى ننداهرْمُز بن الفرخان ، وتوجّه .

وكان بين مخرج سنباذ إلى قتله سبعون ليلة .

* * *

[خروج ملبّد بن حرملة الشيبانيّ]

وفي هذه السنة خرج ملبّد بن حرملة الشيبانيّ ، فحكّم بناحية الجزيرة ، فسارت إليه روابط اجزيرة ؛ وهم يومئذ فيما قيل ألف^(٤) ، فقاتلهم ملبّد فهزّمهم ، وقتل من قتل منهم . ثم سارت إليه روابط الموصل فهزّمهم ، ثم سار إليه يزيد بن حاتم المهلبيّ ، فهزّمه ملبّد بعد قتال شديد كان بينهما ؛ وأخذ ملبّد جارية ليزيد كان يطؤها ، وقتل قائد من قوّاده ، ثم وجه إليه أبو جعفر مولاه المهلهل بن صفوان في ألفين من نخبة الجند ، فهزّمهم ملبّد ، واستباح عسكرهم .

(١) ابن الأثير : «أهروانة» .

(٢) ج : «خرج» .

(٣) ت : «طريق» .

(٤) ابن الأثير : «وهم في نحو ألف فارس» .

ثم وجهه إليه نزاراً (قائداً من قواد أهل خراسان)، فقتله ملبداً، وهزم أصحابه،
 ثم وجه إليه زياد بن مشكان^(١) في جمّع كثير، فلقبهم ملبداً فهزمهم .
 ثم وجهه إليه صالح بن صبيح في جيش كثيف وخيل كثيرة وعدّة، فهزمهم .
 ثم سار إليه حميد بن قحطبة وهو يومئذ على الجزيرة، فلقبه الملبد فهزمه،
 وتحصّن منه حميد، وأعطاه مائة ألف درهم على أن يكفّ عنه .

وأما الواقدي فإنه زعم أن ظهور ملبد وتحكيمه كان في سنة ثمان وثلاثين
 ومائة، ولم يكن للناس في هذه السنة صائفة لشغل السلطان بحرب سباز .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عباس،
 كذلك قال الواقدي وغيره؛ وهو على الموصل .

وكان على المدينة زياد بن عبيد الله، والعباس بن عبد الله بن معبد على
 مكة . ومات العباس عند انقضاء الموسم؛ فضمّ إسماعيل عمله إلى زياد بن
 عبيد الله؛ فأقرّه عليها أبو جعفر .

وكان على الكوفة في هذه السنة عيسى بن موسى . وعلى البصرة وأعمالها
 سليمان بن عليّ، وعلى قضائها عمر بن عامر السُّلَميّ . وعلى خراسان أبو داود
 خالد بن إبراهيم . وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة . وعلى مصر صالح بن
 عليّ بن عبد الله بن عباس .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك دخول قسطنطين طاغية الروم مَلَطِيَّةَ عَنُوةً وقهراً لأهلها وهدمه سورها ، وعفوه عمن فيها من المقاتلة والذرية .
ومنها غزو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس - في قول الواقدي - الصائفة ، مع صالح بن علي بن عبد الله ، فوصله صالح بأربعين ألف دينار ، وخرج معهم عيسى بن علي بن عبد الله ، فوصله أيضاً بأربعين ألف ١٢٢/٣ دينار ، فبني صالح بن علي ما كان صاحب الروم هدمه (١) من مَلَطِيَّةَ .
وقد قيل : إن خروج صالح والعباس إلى مَلَطِيَّةَ للغزو كان في سنة تسع وثلاثين ومائة .

وفي هذه السنة بايع عبد الله بن علي لأبي جعفر وهو مقيم بالبصرة مع أخيه سليمان بن علي .

* * *

[ذكر خلع جهور بن مرار المنصور]

وفيهما خلع جهور بن مرار العجلي المنصور .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه إياه :

وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن جهور لما هزم سبأذ حوى ما في عسكره ، وكان فيه خزائن أبي مسلم التي كان خلفها بالرقي ، فلم يوجهها إلى أبي جعفر ، وخاف فخلع ، فوجه إليه أبو جعفر محمد بن الأشعث الخزاعي في جيش عظيم ، فلقه محمد ، فاقتلوا قتالا شديداً ، ومع جهور نخب فرسان العجم ، زياد والأشتاخنج ، فهزم جهور وأصحابه ، وقتل من أصحابه خلق كثير ، وأسر زياد والأشتاخنج ، وهرب جهور فلاحق بأذربيجان فأخذ بعد ذلك بأسبأذرو فقتل .

[ذكر خبر قتل الملبّد الخارجي]

وفي هذه السنة قتل الملبّد الخارجي :

* ذكر الخبر عن مقتله :

ذكر أن أبا جعفر لما هزم الملبّد حميد بن قحطبة، وتحصّن منه حميد، وجهه إليه عبد العزيز بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار بن عبد الرحمن، وضم إليه زياد بن مشكان، فأكن له الملبّد مائة فارس، فلما لقيه عبد العزيز خرج عليه الكسمين؛ فهزموه، وقتلوا عامة أصحابه. فوجه أبو جعفر إليه ١٢٣/٣ خازم بن خزيمعة في نحو من ثمانية آلاف من المرور وذية^(١). فسار خازم حتى نزل الموصل، وبعث إلى^(٢) الملبّد بعض أصحابه وبعث معهم الفعلة، فسار إلى بلد فخذقوا، وأقاموا له الأسواق؛ وبلغ ذلك الملبّد، فخرج حتى نزل ببلد، في خندق خازم؛ فلما بلغ ذلك خازماً خرج إلى مكان من أطراف الموصل حريز فمسكر به، فلما بلغ ذلك الملبّد عبّر دجلة من بلد، وتوجه إلى خازم من ذلك الجانب يريد الموصل؛ فلما بلغ خازماً ذلك، وبلغ إسماعيل ابن عليّ - وهو على الموصل - أمر إسماعيل خازماً أن يرجع من معسكره حتى يعبر من جسر الموصل؛ فلم يفعل، وعقد جسراً من موضع معسكره، وعبّر إلى الملبّد، وعلى مقدّمته وطلّاعته نضلة بن نعيم بن خازم بن عبد الله النهشلي، وعلى ميمنته زهير بن محمد العامري، وعلى يسارته أبو حماد الأبرص مولى بني سليم. وسار خازم في القلب، فلم يزل يسير الملبّد وأصحابه حتى غشيهم الليل ثم توافقوا^(٣) ليلتهم، وأصبحوا يوم الأربعاء، ففضى الملبّد وأصحابه متوجهين إلى كورة حرّة، وخازم وأصحابه يسايرونهم حتى غشيهم الليل، وأصبحوا يوم الخميس، وسار الملبّد وأصحابه، كأنه يريد الهرب من خازم، فخرج خازم وأصحابه في أثرهم، وتركوا خندقهم، وكان خازم تخندق عليه وعلى أصحابه بالحسك، فلما خرجوا من خندقهم كرّ عليهم الملبّد وأصحابه؛ فلما رأى ذلك خازم ألقى الحسك بين يديه وبين يدي أصحابه، فحملوا

(١) ت، ج : « المرورية » . (٢) ج : « إليه » .

(٣) كذا في ت، وفي ط : « توافقوا » ، وفي ابن الأثير : « توافوا » .

على ميمنة خازم وطووها ، ثم حملوا على الميسرة وطووها ، ثم انتهوا إلى القلب ، وفيه خازم ، فلما رأى ذلك خازم نادى في أصحابه : الأرض ، فنزلوا ونزل الملبّد وأصحابه ، وعقروا عامة دوابّهم ، ثم اضطربوا بالسيوف حتى تقطعت ، وأمر خازم نَضْلَةَ بن نعيم أن إذا سطع الغبار ولم يبصر بعضنا بعضاً فارجع إلى خيلك وخيل أصحابك فاركبوها ، ثم ارمُوا بالنشاب . ففعل ذلك ، وتراجع أصحاب خازم من الميمنة إلى الميسرة ، ثم رشقُوا الملبّد وأصحابه بالنشاب ، فقتل الملبّد في ثمانمائة رجل ممن ترجّل ، وقتل منهم قبل أن يترجلوا زهاء ثلثمائة ، وهرب الباقون ، وتبعهم نَضْلَةُ فقتل منهم مائة وخمسين رجلاً .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة الفَضْل بن صالح بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، كذلك قال الواقدي وغيره . وذكر أنه كان خرج من عند أبيه من الشام حاجاً ، فأدركته ولايته على الموسم والحجّ بالناس في الطريق ، فمرّ بالمدينة فأحرم منها .

وزياد بن عبيد الله على المدينة ومكة والطائف ، وعلى الكوفة وسوادها عيسى بن موسى ، وعلى البصرة وأعمالها سليمان بن عليّ ، وعلى قضائها سوّار بن عبد الله ، وأبوداود خالد بن إبراهيم على خراسان ، وعلى مصر صالح بن عليّ .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

١٢٥/٣

فمن ذلك ما كان من إقامة صالح بن علي والعباس بن محمد بملاطية ؛ حتى استمأ بناء ملاطية ، ثم غزوا الصائفة من أدرب الحديث ، فوغلا في أرض الروم - وغزوا مع صالح أخوته : أم عيسى ولبابة ابنتا علي ؛ وكاننا نذرتا إن زال ملك بني أمية أن تجاهدا في سبيل الله .

وغزا من أدرب ملاطية جعفر بن حنظلة البهراني .

وفي هذه السنة كان الفداء الذي جرى بين المنصور وصاحب الروم ؛ فاستنقذ المنصور منهم أسراء المسلمين ، ولم يكن بعد ذلك - فيما قيل - للمسلمين صائفة إلى سنة ست وأربعين ومائة ، لاشتغال أبي جعفر بأمر ابنتي عبد الله بن الحسن ؛ إلا أن بعضهم ذكر أن الحسن بن قحطبة غزا الصائفة مع عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام في سنة أربعين . وأقبل قسطنطين صاحب الروم في مائة ألف ، فنزل جيحان ، فبلغه كثرة المسلمين فأحجم عنهم ؛ ثم لم يكن بعدها صائفة إلى سنة ست وأربعين ومائة .

وفي هذه السنة سار عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مبروان إلى الأندلس ، فلكه أهلها أمرهم ، فولده ولاتها إلى اليوم .

* * *

وفيها وسع أبو جعفر المسجد الحرام ، وقيل إنها كانت سنة خصبية فسميت سنة الخصب .

وفيها عزل سليمان بن علي عن ولاية البصرة ، وعما كان إليه من أعمالها . وقد قيل إنه عزل عن ذلك في سنة أربعين ومائة .

وفيها ولّى المنصور ما كان إلى سليمان بن علي من عمل البصرة سفيان بن معاوية ، وذلك - فيما قيل - يوم الأربعاء للنصف من شهر رمضان ، فلما

١٢٦/٣

عزل سليمان وولّى سفيان توارى عبد الله بن عليّ وأصحابه خوفاً على أنفسهم ؛ فبلغ ذلك أبا جعفر ، فبعث إلى سليمان وعيسى ابني عليّ ، وكتب إليهما في إشخاص عبد الله بن عليّ ، وعزم عليهما أن يفعلا ذلك ولا يؤخّراه ، وأعطاهما من الأمان لعبد الله بن عليّ ما رضىاه له ووثقا به ، وكتب إلى سفيان بن معاوية يعلمه ذلك ، ويأمره بإزعاجهما واستحثائهما بالخروج بعبد الله ومن معه من خاصّته ، فخرج سليمان وعيسى بعبد الله وبعمامة قوّاده وخواصّ أصحابه ومواليه ، حتّى قدموا على أبي جعفر ؛ يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة .

* * *

[ذكر خبر حبس عبد الله بن عليّ]

وفيها أمر أبو جعفر بحبس عبد الله بن عليّ وبحبس من كان معه من أصحابه وبقتل بعضهم .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ولما قدم سليمان وعيسى ابنا عليّ على أبي جعفر أذِن لهما ، فدخلا عليه ، فأعلماه حضور عبد الله بن عليّ ، وسألاه الإذن له . فأَنعم لهما بذلك ، وشغلهم بالحديث ، وقد كان هيباً لعبد الله بن عليّ محبساً^(١) في قصره ، وأمر به أن ينصرف^(٢) إليه بعد دخول عيسى وسليمان عليه^(٣) ، ففُعِلَ ذلك به ؛ ونهض^(٤) أبو جعفر من مجلسه ، فقال لسليمان وعيسى : سارعا بعبد الله ، فلما خرجا افتقدا عبد الله من المجلس الذي كان^(٥) فيه ، فعلموا أنه قد حُبِسَ ؛ فانصرفا ١٢٧/٣ راجعين إلى أبي جعفر ، فحِيلَ بينهما وبين الوصول إليه ، وأخذت عند ذلك سيوف من حضر من أصحاب عبد الله بن عليّ من عواتقهم وحبسوا . وقد كان خُفاف بن منصور حدّتهم ذلك وندِم على مجيئه ، وقال لهم : إن أنتم أطعتموني شددنا شدة واحدة على أبي جعفر ؛ فوالله لا يحول بيننا وبينه حائل حتّى نأتى على نفسه ، ونشدّ على هذه الأبواب مصليتين سيوفنا ، ولا

(١) ب ، ت : « مجلساً » ، ابن الأثير : « مكاناً » . (٢) ط : « يصرف » .
(٣) كذا في ت . (٤) ت ، ح : « ثم نهض » . (٥) ت ، ج : « خلفاء » .

يعرض لنا عارض إلاّ أفاتنا^(١) نفسه حتى نخرج وننجو بأنفسنا، فعصوه . فلما أخذت السيوفُ وأمر بحبسهم جعل خفاف يضرب في لحيته ، ويتفل في وجوه أصحابه . ثم أمر أبو جعفر بقتل بعضهم بحضرته ؛ وبعث بالبقية إلى أبي داود خالد بن إبراهيم بخراسان فقتلهم بها .
وقد قيل إن حبس أبي جعفر عبد الله بن عليّ كان في سنة أربعين ومائة .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس .
وكان على مكة والمدينة والطائف زياد بن عبيد الله الحارثي ، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى ، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية ، وعلى قضائها سوار بن عبد الله ، وعلى خراسان أبو داود خالد بن إبراهيم .

ثم دخلت سنة أربعين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر هلاك أبي داود عامل خراسان وولاية عبد الجبار]

فمن ذلك ما كان فيها من مهلك عامل خراسان .

* ذكر الخبر عن ذلك وسبب هلاكه :

ذكر أن ناساً من الجند ثاروا بأبي داود خالد بن إبراهيم بخراسان وهو عامل أبي جعفر المنصور عليها في هذه السنة ليلاً ، وهو نازل بباب كُشْمَاهَن من مدينة مَرَو ، حتى وصلوا إلى المنزل الذي هو فيه ، فأشرف أبو داود من الحائط ^(١) على حرف آجُرّة خارجة ، وجعل ينادى أصحابه ليعرفوا صوته ، فانكسرت الآجُرّة عند الصبح ، فوقع على سِتْرَة صُفّة كانت قدّام السطح فانكسر ظهره ، فمات عند صلاة العصر ، فقام عصام صاحب شُرطة أبي داود بخلافة أبي داود ، حتى قدم عليه عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي .

وفيهما وليّ أبو جعفر عبد الجبار بن عبد الرحمن خراسان فقدمها ، فأخذ بها ناساً من القوّاد ذكر أنه اتهمهم بالدعاء إلى ولد عليّ بن أبي طالب ؛ منهم مجاشع بن حريث الأنصاريّ صاحب بخاري وأبو المغيرة ، مولى بني تميم واسمه خالد بن كثير وهو صاحب قوهستان ، والحرّيش بن محمد الذّهليّ ، ابن عمّ داود ، فقتلهم ، وحبس الجنيد بن خالد بن هريم التغلّبيّ ومعبّد بن الخليل ^(٢) المزنيّ بعد ما ضرب بهما ضرباً مبرّحاً ، وحبس عدّة من وجوه قوّاد أهل خراسان ، وألح على استخراج ما على عمال أبي داود من بقايا الأموال .

* * *

وفيهما خرج أبو جعفر المنصور حاجاً ، فأحرم من الحيرة ، ثم رجع بعد ما قضى حجه إلى المدينة ، فتوجّه منها إلى بيت المقدس .

وكان عمّال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها، إلّا خُرَاسان
فإن عاملها كان عبد الجبار .

ولما قدم أبو جعفر بيت المقدس صلى في مسجدّها ، ثم سلك الشّام
فإن عاملها كان عبد الجبار .

ولما قدم أبو جعفر بيت المقدس صلبّى في مسجدّها ؛ ثم سلك الشّام
منصرفًا حتّى انتهى إلى الرّقة ، فنزلها ، فأتى بمنصور بن جَعُونَة بن الحارث
العامريّ ، من بني عامر بن صعصعة ، فقتله ، ثم شخص منها ، فسلّك الفرات
حتّى أتى الهاشميّة ، هاشميّة الكوفة .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن خروج الراوندية]

فمن ذلك خروج الراوندية ، وقد قال بعضهم : كان أمر الراوندية وأمر أبي جعفر الذي أنا ذاكره ، في سنة سبع وثلاثين ومائة أوست وثلاثين ومائة .

* ذكر الخبر عن أمرهم وأمر أبي جعفر المنصور معهم :

والراوندية قوم — فيما ذكر عن علي بن محمد — كانوا من أهل خراسان على رأي أبي مسلم صاحب دعوة بني هاشم ، يقولون — فيما زعم — بتناسخ الأرواح ، ويزعمون أن روح آدم في عثمان بن نهيك ، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور ، وأن الهيثم بن معاوية جبرئيل .

قال : وأتوا قصر المنصور ، فجعلوا يطوفون به ، ويقولون : هذا قصر ١٣٠/٣ ربنا ؛ فأرسل المنصور إلى رؤسائهم ، فحبس منهم مائتين ، فغضب أصحابهم وقالوا : علام حبسوا ! وأمر المنصور ألا يجتمعوا ، فأعدوا^(١) نعشاً وحملوا السريير — وليس في النعش أحد — ثم مروا في المدينة ، حتى صاروا على باب السجن ، فرموا بالنعش ، وشدوا على الناس — ودخلوا السجن ، فأخرجوا أصحابهم ، وقصدوا نحو المنصور وهم يومئذ ستمائة رجل ، فتنادى الناس ، وغلقت أبواب المدينة فلم يدخل أحد ، فخرج المنصور من القصر ماشياً ، ولم يكن في القصر دابة ، فجعل بعد ذلك اليوم يرتبط فرساً يكون في دار الخلافة^(٢) معه في قصره .

قال : ولما خرج المنصور أتى بدابة فركبها وهو يريدهم ؛ وجاء مع ابن زائدة ، فأنتهى إلى أبي جعفر ، فرمى بنفسه وترجل ، وأدخل بركة قبائه في منطقته ، وأخذ بلجام دابة المنصور ، وقال : أنشدك الله يا أمير المؤمنين

(٢) ت : « الخليفة » .

(١) ت ، ج : « فاتحنوا » .

إلا رجعت ؛ فإنك تُكفّنى . وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم فوقف على باب القصر ، وقال : أنا اليوم بواب ، ونودى فى أهل السوق فرموهم وقتلوهم حتى أنخنوهم ، وفُتِحَ باب المدينة ، فدخل الناس .

وجاء خازم بن خزيمه على فرس محذوف^(١) ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أقتلهم ؟ قال : نعم ، فحمل عليهم حتى ألجأهم إلى ظهر حائط ، ثم كرّوا على خازم فكشفوه وأصحابه ، ثم كرّ خازم عليهم فاضطروهم^(٢) إلى حائط المدينة . وقال للهيثم بن شعبه : إذا كرّوا علينا فاسبقهم إلى الحائط ، فإذا رجعوا فاقتلهم . فحملوا على خازم ، فاطّرد لهم ، وصار الهيثم بن شعبه من ورائهم . فقتلوا جميعاً .

وجاءهم يومئذ عثمان بن نهيك ؛ فكلّمهم ، فرجع فوموه بنشابة فوقعت بين كتفیه ؛ ففرض أياماً ومات منها ، فصلى عليه أبو جعفر ، وقام على قبره حتى دُفِنَ ، وقال : رحمك الله أبا يزيد^(٣) ! وصيّر مكانه على حرسه عيسى بن نهيك ، فكان على الحرس حتى مات ؛ فجعل على الحرس أبا العباس الطوسى . وجاء يومئذ إسماعيل بن على ، وقد أغلقت الأبواب ، فقال للبواب : افتح ولك ألف درهم ؛ فأبى . وكان القعقاع بن ضرار يومئذ بالمدينة ؛ وهو على شُرط عيسى بن موسى ، فأبلى يومئذ ؛ وكان ذلك كله فى المدينة الهاشمية بالكوفة .

قال : وجاء يومئذ الربيع ليأخذ بلجام المنصور ، فقال له معن : ليس هذا من أيامك ، فأبى أبرويز بن المصمغان ملك دُنبَاوَنَدَ — وكان خالف أخاه ، فقدم على أبى جعفر فأكرمه ، وأجرى عليه رزقاً ؛ فلما كان يومئذ أتى المنصور فكفّر له ، وقال : أقاتل هؤلاء ؟ قال له : نعم ، فقاتلهم ؛ فكان إذا ضرب رجلاً فصرعه تأخّر عنه — فلما قُتِلوا وصلى المنصور الظهر دعا بالعشاء ، وقال : أطلعوا^(٤) معن بن زائدة ، وأمسك عن الطعام حتى جاءه معن ؛ فقال لقُثم : تحوّل إلى هذا الموضع ، وأجلس معنّاً مكان قُثم ، فلما فرغوا من العشاء قال لعيسى بن على : يا أبا العباس ، أسمع بأشدّ

(١) فرس محذوف : مقصوص شعر الذنب . (٢) ت ، ب : « فاضطروهم » .

(٣) ج : « زيد » . (٤) ج : « اطلبوا » .

الرجال (١) ؟ قال : نعم ، قال : لو رأيتَ اليومَ معنًا علمتَ أنه من تلك الآساد ، قال معن : والله يا أمير المؤمنين لقد أتيتُك ولأني لوجل القلب ، فلما رأيتُ ما عندك من الاستهانة بهم وشدة الإقدام عليهم ، رأيتُ أمرًا لم أَره من خلق ١٣٢/٣ في حرب ؛ فشدتُ ذلك من قلبي وحملني على ما رأيتُ مني .

وقال أبو خزيمة : يا أمير المؤمنين ، إنَّ لهم بقيَّة ، قال : فقد ولَّيتُك أمرهم فاقتلهم ، قال : فأقتل رزامًا فإنه منهم ، فعاذَ رِزام بجعفر بن أبي جعفر ، فطلب فيه فأمنه .

وقال عليٌّ عن أبي بكر الهذليّ ، قال : إني لواقف بباب أمير المؤمنين إذ طلع فقال رجل إلى جانبي : هذا رب العزة ! هذا الذي يطعمنا ويسقينا ؛ فلما رجع أمير المؤمنين ودخل عليه الناس دخلتُ وخلا وجهه ، فقلتُ له : سمعتُ اليومَ عجبًا ، وحدَّثته ؛ فنكتَ في الأرض ، وقال : يا هذليّ ، يدخلهم الله النار في طاعتنا ويَعْتَلِّهم (٢) ، أحبُّ إلىَّ مِن أن يدخلهم الجنة بمعصيتنا .

وذكر عن جعفر بن عبد الله ، قال : حدَّثني الفضل بن الربيع ، قال : حدثني أبي ، قال : سمعتُ المنصور يقول : أخطأت ثلاث خطيئات وقانى الله شرَّها : قتلْتُ أبا مسلم وأنا في خرق ومَنّ حولي يقدِّم طاعته ويؤثرها ولو هُتِبتُ الخرق لذهبتُ ضياعًا ، وخرجت يوم الراوندية ولو أصابني سهم غرَّب لذهبتُ ضياعًا ، وخرجت إلى الشام ولو اختلف سيفان بالعراق ذهبتُ الخلافةُ ضياعًا .

وذكر أنَّ معن بن زائدة كان مختفيًا من أبي جعفر ، لما كان منه من قتاله المسوِّدة مع ابن هبيرة مرَّة بعد مرَّة ؛ وكان اختفائه عند مرزوق أبي الحصيب ، وكان على أن يطلب له الأمان ، فلما خرج الراوندية أتى الباب فقام عليه ، فسأل المنصور أبا الحصيب - وكان يلي حجابة المنصور يومئذ : مَن بالباب ؟ ١٣٣/٣ فقال : معن بن زائدة ، فقال المنصور : رجل من العرب ، شديد النفس ، عالم بالحرب كريم الحسب ؛ أدخله ، فلما دخل قال : إيه يا معن ! ما الرأي ؟ قال : الرأي أن تنادي في الناس وتأمر لهم بالأموال ، قال : وأين الناسُ والأموال ؟

(١) كذا في ب ، ت ، وابن الأثير وفي ط : « أشد » . (٢) ت : « نقتلهم » .

ومَنَّ يقدم على أن يعرض نفسه لهؤلاء العلوج ! لم تصنع شيئاً يا معن ؛ الرأي أن أخرج فأقف ؛ فإن الناس إذا رأوني قاتلوا وأبلّوا وثابوا إلىّ ، وتراجعوا ، وإن أقمتُ تخاذلوا وتهاونوا . فأخذ معن بيده وقال : يا أمير المؤمنين ، إذاً والله تُقتل الساعة ، فأشددك الله في نفسك ! فأتاه أبو الحصيب فقال مثلها ، فاجتذب ثوبه منهما ، ثم دعا بدابته ، فركب ووثب عليها من غير ركاب ثم سوى ثيابه ، وخرج ومعن آخذ بلجامه وأبو الحصيب مع ركابه فوقف . وتوجه إليه رجل فقال : يا معن دونك العليج^(١) ؛ فشدّ عليه معن فقتله ، ثم والى بين أربعة ، وثاب إليه الناس وتراجعوا ؛ ولم يكن إلا ساعة حتى أفنؤهم ، وتغيّب معن بعد ذلك ، فقال أبو جعفر لأبي الحصيب : ويلك ! أين معن ؟ قال : والله ما أدري أين هو من الأرض ! فقال : أئظن أن أمير المؤمنين لا يغفر ذنبه بعد ما كان من بلائه ! أعطيه الأمان وأدخله عليّ ، فأدخله ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وولاه اليمن ، فقال له أبو الحصيب : قد فرق صلته وما يقدر^(٢) على شيء ، قال : له لو أراد مثل ثمنك ألف مرة لقدّر عليه .

* * *

١٣٤/٣ وفي هذه السنة وجه أبو جعفر المنصور ولده محمداً — وهو يومئذ وليّ عهد — إلى خراسان في الجنود ، وأمره بتزول الرّعيّ ، ففعل ذلك محمد .

* * *

[ذكر خلّع عبد الجبار بخراسان ومسير المهدي إليه]

وفيها خلّع عبد الجبار بن عبد الرحمن عامل أبي جعفر على خراسان ؛ ذكر عليّ بن محمد ، عن حدثه ، عن أبي أيوب الخوزيّ ، أن المنصور لما بلغه أن عبد الجبار يقتل رؤساء أهل خراسان ، وأتاه من بعضهم كتاب فيه : قد نغبل الأديم ، قال لأبي أيوب الخزاعيّ : إن عبد الجبار قد أفنى شيعتنا ، وما فعل هذا إلاّ وهو يريد أن يخلع ، فقال له : ما أيسر حيلته ! اكتب إليه : إنك تريد غزو الروم ؛ فيوجه إليك الجنود من خراسان ، وعليهم فرسانهم ووجوههم ، فإذا خرجوا منها فابعث إليهم مَن شئت ؛ فليس به امتناع .

(١) ب : « والعلج » .

(٢) ب : « ولم يقدر » .

فكتب بذلك إليه ، فأجابه : إنَّ التَّرك قد جاشت ؛ وإنَّ فرقتُ الجنود ذهبت خراسان ، فألقى الكتاب إلى أبي أيوب ، وقال له : ما ترى ؟ قال : قد أمكنك من قياده ، اكتب إليه : إنَّ خراسان أهمّ إلىّ من غيرها ، وأنا موجّه إليك الجنود من قبلى . ثم وجهه إليه الجنود ليكونوا بخراسان ؛ فإنَّهم بخلع أخذوا بعنقه .

فلما ورد على عبد الجبار الكتاب كتب إليه : إنَّ خراسان لم تكن قطّ أسوأ حالاً منها في هذا العام ؛ وإنَّ دخلها الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من غلاء السعر . فلما أتاه الكتاب ألقيه إلى أبي أيوب ، فقال له : قد أبدى صفحتَه ، وقد خلّع فلا تناظره .

فوجه إليه محمد بن المنصور ، وأمره بنزول الرّوى؛ فسار إليها المهديّ ، ووجهه لحربه خازم بن خزيمة مقدّمه له ، ثم شخص المهديّ فنزل نيسابور . ١٣٠/٣ ولما توجه خازم بن خزيمة إلى عبد الجبار ، وبلغ ذلك أهل مَرَو الروذ ؛ ساروا إلى عبد الجبار من ناحيتهم فناصبوه الحرب ، وقتلوه قتالا شديداً حتى هُزم ، فانطلق هارباً حتى لجأ إلى مقطنة ، فتوارى فيها ، فعبّر إليه المجشر بن مزاحم من أهل مَرَو الروذ ؛ فأخذه أسيراً ؛ فلما قدّم خازم أياه به ، فألبسه خازم مدرّعة صوف ، وحمله على بعير ، وجعل وجهه من قبيل عجز البعير ؛ حتى انتهى به إلى المنصور ومعه ولده وأصحابه ؛ فبسط عليهم العذاب ، وضربوا بالسياط حتى استخرج منهم ما قدّر عليه من الأموال . ثم أمر المسيّب بن زهير بقطع يدى عبد الجبار ورجليه وضرب عنقه ؛ ففعل ذلك المسيّب ، وأمر المنصور بتسيير ولده إلى دَهْلِك — وهى جزيرة على ضفة البحر بناحية اليمن — فلم يزالوا بها حتى أغار عليهم الهند ، فسبّوهم فيمن سبّوا حتى فودوا بعد ، ونجا منهم من نجا ، فكان من نجا منهم واكتتب في الديوان وصحب الخلفاء عبد الرحمن بن عبد الجبار ، وبقي إلى أن توفّي بمصر في خلافة هارون ، في سنة سبعين ومائة .

* * *

وفى هذه السنة فرغ من بناء المصبّصة على يدى جبرئيل بن يحيى الخراسانىّ ،

ورابط محمد بن إبراهيم الإمام بمططية .

واختلفوا في أمر عبد الجبار وخبره ، فقال الواقدي : كان ذلك في سنة ثنتين وأربعين ومائة ، وقال غيره : كان ذلك في سنة إحدى وأربعين ومائة (١) .

١٣٦/٣ وذكر عن علي بن محمد أنه قال : كان قدوم عبد الجبار خراسان لعشر خلون من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائة ، ويقال لأربع عشرة ليلة ، وكانت هزيمته يوم السبت لست خلون من ربيع الأول سنة ثنتين وأربعين ومائة .

وذكر عن أحمد بن الحارث ، أن خليفة بن خياط حدثه ، قال : لما وجه المنصور المهدي إلى الري - وذلك قبل بناء بغداد ، وكان توجيهه إياه لقتال عبد الجبار بن عبد الرحمن ، فكفى المهدي أمر عبد الجبار بمن حاربه وظفر به - كره أبو جعفر أن تبطل تلك النفقات التي أنفقت على المهدي ، فكتب إليه أن يغزو طبرستان ، ويتزل الري ، ويوجه أبا الحصيب وخازم بن خزيمة والجنود إلى الأصبهيد ، وكان الأصبهيد يومئذ محارباً للمصمغان ملك دُباوند معسكراً بلازائه ، فبلغه أن الجنود دخلت بلاده ، وأن أبا الحصيب دخل سارية ، فساء المصمغان ذلك ؛ وقال له : متى صاروا إليك صاروا إلىي ؛ فاجتمعا على محاربة المسلمين ؛ فانصرف الأصبهيد إلى بلاده ، فحارب المسلمين ، وطالت تلك الحروب ، فوجه أبو جعفر عمر بن العلاء الذي يقول فيه بشار :

فَقُلْ لِلْخَلِيفَةِ إِنْ جِئْتَهُ نَصِيحاً وَلَا خَيْرَ فِي الْمُتَّهَمِ
إِذَا أَيْقَظْتُكَ حُرُوبُ الْعَدَا فَنَبْهٌ لَهَا عُمراً ثُمَّ نَمٌ
فَتَى لَا يَنَامُ عَلَى دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ

وكان توجيهه إياه بمشورة أبرويز أخى المصمغان ، فإنه قال له :

١٣٧/٣ يا أمير المؤمنين ؛ إن عمر أعلم الناس ببلاد طبرستان ، فوجهه ؛ وكان أبرويز قد عرف عمر أيام سباز وأيام الرواندية ، فضم إليه أبو جعفر خازم بن خزيمة ، فدخل الرويان ففتحها ، وأخذ قلعة الطاق وما فيها ، وطالت الحرب ،

فألحّ خازم على القتال، ففتح طبرستان، وقتل منهم فأكثر، وصار الأصبهذ إلى قلعتة، وطلب الأمان على أن يسلم القلعة بما فيها من ذخائره^(١)، فكتب المهديّ بذلك إلى أبي جعفر، فوجه أبو جعفر بصالح صاحب المصلى وعدة معه، فأحصوا ما في الحصن، وانصرفوا. وبدا للأصبهذ، فدخل بلاد جيلان من الديلم، فمات بها؛ وأخذت ابنته — وهي أم إبراهيم بن العباس بن محمد — وصمدت الجنود للمصمغان؛ فظفروا به وبالبحترية أم منصور بن المهديّ، وبصيمر أم ولد عليّ بن ريطة بنت المصمغان. فهذا فتح طبرستان الأول. قال: ولما مات المصمغان تحوّل أهل ذلك الجبل فصاروا حوزيّة لأنهم توحّشوا كما توحّش حمر الوحش.

* * *

وفي هذه السنة عزلّ زياد بن عبيد الله الحارثيّ عن المدينة ومكة والطائف، واستعمل على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسريّ، فقدمها في رجب. وعلى الطائف ومكة الهيثم بن معاوية العتكيّ^(٢) من أهل خراسان.

* * *

وفيهما توفّي موسى بن كعب؛ وهو على شرط المنصور، وعلى مصر والهند ١٣٨/٣ وخليفته على الهند عبيدة ابنه.

وفيهما عزلّ موسى بن كعب عن مصر، ووليها محمد بن الأشعث ثم عزل عنها، ووليها نؤفل بن الفرات.

وحجّ بالناس في هذه السنة صالح بن عليّ بن عبد الله بن عباس وهو على قنسرين وحمص ودمشق. وعلى المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسريّ، وعلى مكة والطائف الهيثم بن معاوية، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية. وعلى قضائها سوار بن عبد الله، وعلى خراسان المهديّ وخليفته عليها السريّ بن عبد الله، وعلى مصر نؤفل بن الفرات.

(١) ت: «الذخائر».

(٢) ب: «المكي»، ج: «المكي».

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خلع عيمنة بن موسى بن كعب بالسند]

فما كان فيها خلع عيمنة بن موسى بن كعب بالسند .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه :

ذكر أن سبب خلعه ، كان أن المسيّب بن زهير كان خليفة موسى بن كعب على الشرط ، فلما مات موسى أقام المسيّب على ما كان يلي من الشرط^(١) ، وخاف المسيّب أن يكتب المنصور إلى عيمنة في القدوم عليه فيوليه مكانه ؛ وكتب إليه بيت شعر ولم ينسب الكتاب إلى نفسه :

فَارْضَكَ أَرْضَكَ إِن تَأْتَنَا فَنَمَّ نَوْمَةً لَيْسَ فِيهَا حُلْمٌ ١٢٩/٣

وخرج أبو جعفر لما أتاه الخبر عن عيمنة بخلعه حتى نزل بعسكره من البصرة عند جسرهما الأكبر ، ووجه عمر بن حفص بن أبي صفرة العتكي^(٢) عاملا على السند والهند ، محارباً لعيمنة بن موسى ؛ فسار حتى ورد السند والهند ، وغلب عليها .

* * *

[ذكر خبر نكث إصبيهد طبرستان العهد]

وفي هذه السنة نقض إصبيهد طبرستان العهد بينه وبين المسلمين ، وقتل من كان ببلاده من المسلمين .

* ذكر الخبر عن أمره وأمر المسلمين :

ذكر أن أبا جعفر لما انتهى إليه خبر الإصبيهد وما فعل بالمسلمين ، وجهه إليه خازم بن خزيمه وروح بن حاتم ومعهم مرزوق أبو الخصيب مولى

أبى جعفر ، فأقاموا على حصنه محاصرين له ولبن معه فى حصنه ، وهم يقاتلونهم حتى طال عليهم المقام ، فاحتال أبو الحصيب فى ذلك فقال لأصحابه : اضربونى واحلقوا رأسى ولحيتى ؛ ففعلوا ذلك به ، ولحق بالإصبيهد صاحب الحصن فقال له : إني ^(١) رُكِبَ منى أمرٌ عظيم ؛ ضُربتُ وحُلِقَ رأسى ولحيتى . وقال له : إنما فعلوا ذلك بى تهمةً منهم لى أن يكون هواى معك ، وأخبره أنه معه ، وأنه دليل له على عورة عسكرهم . فقبل منه ذلك الإصبيهد ، وجعله فى خاصته والطفه ؛ وكان باب مدينتهم من حجر يلقى إلقاء يرفعه الرجال ، وتضعه عند فتحه وإغلاقه ؛ وكان قد وكل به الإصبيهد ثقات أصحابه ، وجعل ذلك نوباً بينهم ، فقال له أبو الحصيب : ما أراك وثقت بى ، ولا قبلت نصيحتى ! ١٤٠/٣ قال : وكيف ظننت ذلك ؟ قال : لتركك الاستعانة بى فيما يعينك ، وتوكيلى فيما لا تثق به إلا بثقاتك ؛ فجعل يستعين به بعد ذلك ، فيرى منه ما يجب إلى أن وثق به ، فجعله فيمن ينوب فى فتح باب مدينته وإغلاقه ؛ فتولّى له ذلك حتى أنس به . ثم كتب أبو الحصيب إلى رَوْح بن حاتم وخازم بن خزيمه ، وصير الكتاب فى نُشابة ، ورماها إليهم ، وأعلمهم أن قد ظفر بالخيلة ، ووعدهم ليلة ، سمّاها ^(٢) لهم فى فتح الباب . فلما كان فى ^(٣) تلك الليلة فتح لهم ، فقتلوا من فيها من المقاتلة ، وسبوا الذراري ، وظفر بالبحرية . وهى أم منصور بن المهدي ، وأمّها باكند بنت الإصبيهد الأصمّ — وليس بالإصبيهد الملك ؛ ذاك أخو باكند — وظفر بشكّلة أم إبراهيم بن المهدي ، وهى بنت خونادان ^(٤) قهرمان المصمغان ، ففصّ الإصبيهد خاتماً له فيه سمّ فقتل نفسه .

وقد قيل : إن دخول رَوْح بن حاتم وخازم بن خزيمه طبرستان كان فى سنة ثلاث وأربعين ومائة .

* * *

وفى هذه السنة بنى المنصور لأهل البصرة قبلتهم التى يصلون إليها فى عيدهم بالحمّان ، وولى بناءه سلمة بن سعيد بن جابر ؛ وهو يومئذ على الفُرات والأُبُلّة ١٤١/٣

(٢) كذا فى ت ، وفى ط : « وسماها » .

(٤) كذا فى ت .

(١) ج : « إنه » .

(٣) ساقطة من ت .

من قبَل أبي جعفر ، وصام أبو جعفر شهر رمضان وصلى بها يوم الفطر .

* * *

وفيها تُوفّي سليمان بن عليّ بن عبد الله بالبصرة ليلة السبت لتسع^(١) بقين من جمادى الآخرة ، وهو ابن تسع وخمسين سنة ، وصلى عليه عبد الصمد ابن عليّ .

وفيها عُزل عن مصر نوفل بن الفرات ، وليها محمد بن الأشعث ، ثم عُزل عنها محمد وليها نوفل بن الفرات ، ثم عزل نوفل وليها حميد ابن قحطبة .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن العباس . وكان العامل على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله ، وعلى مكة والطائف الهيثم بن معاوية ، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى ، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية ، وعلى قضائها سوار بن عبد الله ، وعلى مصر حميد بن قحطبة .

* * *

وفيها - في قول الواقدي - ولّى أبو جعفر أخاه العباس بن محمد الحزيرة والثغور وضمّ إليه عدّة من القواد ، فلم يزل بها حيناً .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[غزو الديلم]

ففي هذه السنة ندب المنصور الناس إلى غزو الديلم .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر أن أبا جعفر اتصل به عن الديلم بإيقاعهم بالمسلمين وقتلهم منهم مقتلة ١٤٢/٣ عظيمة ، فوجه إلى البصرة حبيب بن عبد الله بن رغبان^(١) ، وعليها يومئذ إسماعيل ابن عليّ ، وأمره بإحصاء كل من له فيها عشرة آلاف درهم فصاعداً ، وأن يأخذ كل من كان ذلك له بالشخص بنفسه بلجهاد الديلم ، وجه آخر لمثل^(٢) ذلك إلى الكوفة .

* * *

[عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف]

وفيها عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف ، وولّى ما كان إليه من ذلك السريّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب ، وأقّى^(٣) السريّ عهده على ذلك وهو باليامة ، فسار إلى مكة ، وجه أبو جعفر إلى اليامة قُتِّم ابن العباس بن عبد الله بن عباس .

* * *

[عزل حميد بن قحطبة عن مصر]

وفيها عزّل حميد بن قحطبة عن مصر ، ووليّها نوفل بن الفرات ، ثم عزل نوفل ووليّها يزيد بن حاتم .

(٢) ج : « مثل » .

(١) ب : « رغبان » .

(٣) ج : « وأقّى » .

وحجّ بالناس في هذه السنة عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبيد الله^(١) ابن عباس ، وكان يومئذ إليه ولاية الكوفة وسوادها .

وكان والي مكة^(٢) فيها السري بن عبد الله بن الحارث ، ووالي البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية ، وعلى قضائها سوار بن عبد الله ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

(٢) ب : « مكة والمدينة » ، ت « المدينة » .

(١) ط : « عبد » .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزو محمد بن أبي العباس بن عبد الله بن محمد ابن علي^(١) الدليم في أهل الكوفة والبصرة وواسط والموصل والجزيرة .

وفيها انصرف محمد بن أبي جعفر المهدي عن خراسان إلى العراق ، وشخص أبو جعفر إلى قرياسين ، فلقبه بها ابنه محمد منصرفاً من خراسان ، فانصرفا جميعاً إلى الجزيرة .

وفيها بنى محمد بن أبي جعفر عند مقدمه من خراسان بابنة عمه ريطة بنت أبي العباس .

وفيها حج بالناس أبو جعفر المنصور ، وخلف على عسكره والميرة خازم ابن خزيمة .

* * *

[ولاية رياح بن عثمان على المدينة وأمر ابني عبد الله بن حسن]

وفي هذه السنة ولّى أبو جعفر رياح بن عثمان المرقى المدينة ، وعزل محمد ابن خالد بن عبد الله القسرى عنها .

• ذكر الخبر عن سبب عزله محمد بن خالد واستعماله رياح بن عثمان

وعزله زياد بن عبيد الله الحارثي من قبل محمد بن خالد :

وكان سبب عزل زياد عن المدينة ، أن أبا جعفر همته أمر محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب وتخلّفهما عن حضوره ؛ مع من شهدته من سائر بني هاشم عام حج في حياة أخيه أبي العباس ، ومعه أبو مسلم . وقد ذكر أن محمداً كان يذكر أن أبا جعفر ممن بايع له ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة حين اضطرب أمر بني مروان مع سائر المعتزلة الذين كانوا معهم هنالك . فسأل عنهما ، فقال له زياد بن

(١) كذا في ت ، وبعدها في ط : « ابن أمير المؤمنين » .

عبيد الله : ما يهملك من أمرهما ! أنا آتيتك بهما ؛ وكان زياد يومئذ مع أبي جعفر عند مقدمه مكة سنة ست وثلاثين ومائة ، فردّ أبو جعفر زياداً إلى عمله ، وضمنه محمداً وإبراهيم . ١٤٤/٣

فذكر أبو زيد عمر بن شبة أن محمد بن إسماعيل حدثه ، قال : حدثني عبد العزيز بن عمران^(١) ، قال : حدثني عبد الله بن أبي عبيدة^(٢) بن محمد ابن عمار بن ياسر ، قال : لما استخلف أبو جعفر لم تكن له همة إلا طلب محمد والمسألة عنه وما يريد^(٣) ؛ فدعا بني هاشم رجلاً رجلاً ؛ كلهم يُخلّيه^(٤) فيسألهم عنه ، فيقولون : يا أمير المؤمنين ؛ قد علم أنك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم ؛ فهو يخافك على نفسه ؛ وهو لا يريد لك خلافاً ، ولا يحبّ لك معصية ؛ وما أشبه هذه المقالة إلا حسن بن زيد ، فإنه أخبره خبره ، فقال : والله ما آمن وثوبه عليك ؛ فإنه للذي لا ينأ^(٥) عنك ، فرأيتك . قال ابن أبي عبيدة : فأيقظ من لا ينأ^(٦) .

وقال محمد : سمعت جدي موسى بن عبد الله ، يقول : اللهم اطلب حسن ابن زيد بدمائنا . قال موسى : وسمعت والله أبي يقول : أشهد لعرفني أبو جعفر حديثاً ما سمعه مني إلا حسن بن زيد .

وحدثني محمد بن إسماعيل ، قال : سمعت القاسم بن محمد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان بن عفان ، قال : أخبرني محمد بن وهب السلميّ ، عن أبي ، قال : عرفني أبو جعفر حديثاً ما سمعه مني إلا أخى عبد الله بن حسن وحسن بن زيد ؛ فأشهد ما أخبره به عبد الله ؛ ولا كان يعلم الغيب . ١٤٥/٣

قال محمد : وسأل عنه عبد الله بن حسن عام حجّ ، فقال له مقالة الهاشميين ، فأخبره أنه غير راضٍ أو يأتيه به .

قال محمد : وحدثني أي عن أبيها ، قال : قال أبي : قلت لسليمان بن

(١) الأغاني : « عمر » .

(٢) الأغاني : « ألح في طلب محمد والمسألة عنه » .

(٣) الأغاني : « أخلاه يخلّيه : كلمه خالياً » .

(٤) الأغاني : « لا ينأ » .

(٥) الخبر في الأغاني ١٨ : ٢٠٦ (سأسي) ؛ بروايته عن المتكى عن عمر بن شبة ؛ بالسند المذكور هنا .

على: يا أخى صهرى بك صهرى، ورحمى بك رحمى، فأتى؟ قال: والله لكأننى أنظر إلى عبد الله بن على حين حال السر^(١) بيننا وبينه؛ وهو يشير إلينا أن هذا الذى فعلتم به، فلو كان عافياً عفا عن عمه. قال: فقبل رأيه، قال: فكان آل عبد الله يرونها صلة من سُلَيْمَان لهم.

قال أبو زيد: وحدثنى سعيد بن هُرَيْم، قال: أخبرنى كلثوم المراتى، قال: سمعت يحيى بن خالد بن برمك يقول: اشترى أبو جعفر رقيقاً من رقيق الأعراب، ثم أعطى الرجل منهم البعير، والرجل البعيرين، والرجل الذود، وفرقهم فى طلب محمد فى ظهر المدينة؛ فكان الرجل منهم يرد الماء كالمار وكالضال، فيفترقون عنه ويتجسسون.

قال: وحدثنى محمد بن عباد بن حبيب المهلبى، قال: قال لى السندى مولى أمير المؤمنين: أتدرى ما رفع عقبة بن سلم عند أمير المؤمنين؟ قلت: لا، قال: أوفد عمى عمر بن حفص وفدًا من السند فيهم عقبة، فدخلوا على أبى جعفر، فلما قضوا حوائجهم نهضوا، فاسترد عقبة؛ فأجلسه، ثم قال له: من أنت؟ قال: رجل من جند أمير المؤمنين وخدمه، صحبت عمر ابن حفص، قال: وما اسمك؟ قال: عقبة بن سلم بن نافع، قال: ممن أنت؟ قال: من الأزد ثم من بنى هُنا، قال: إني لأرى لك هيئة وموضعاً، وإني لأريدك لأمرأنا به معنى، لم أزل أرتاد له رجلاً، عسى أن تكونه إن كفتيته رفعتك، فقال: أرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين فى، قال: فأخف شخصك^(٢)، واستر أمرك، وأتني فى يوم كذا وكذا فى وقت كذا وكذا؛ فأتاه فى ذلك الوقت، فقال له: إن بنى عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيداً للمكنا واغتيالاً له، ولهم شعبة بخراسان بقرية كذا، يكتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم والطف من الطاف بلادهم، فأخرج بكساً والطف وعين حتى تأتيهم متنكراً بكتاب تكتبه^(٣) عن أهل هذه القرية، ثم تسبر ناحيتهم^(٤)؛ فإن كانوا قد نزعوا عن رأيهم فأحسب والله بهم وأقرب، وإن كانوا على

(١) ج: «السير»، ابن الأثير: «المنية». (٢) ب: «مخطفك».

(٣) ب: «نكتبه». (٤) ج: «ثم تسير إلى ناحيتهم» ت: «إلى بلادهم».

رأيهم علمتُ ذلك، وكنتُ على حذرٍ واحتراسٍ منهم؛ فاشخص حتى تلقى عبد الله ابن حسن متخشفًا متخشعًا؛ فإن جيبهك - وهو فاعل - فاصبر وعاوله؛ فإن عاد فاصبر حتى يأنس بك وتلين لك ناحيته؛ فإذا ظهر لك ما في قلبه^(١) فاعجل على. قال: فشخص حتى قدم على عبد الله، فلقيه بالكتاب، فأنكره ونهره، وقال: ما أعرف هؤلاء القوم؛ فلم يزل ينصرف ويعود إليه حتى قبل كتابه وألطفه، وأنس به؛ فسأله عقيبَ الجواب، فقال: أمّا الكتاب فأني لا أكتب إلى أحد، ولكن أنت كتابي إليهم، فأقرئهم السلام وأخبرهم أن ابنيَّ خارجان^(٢) لو قت كذا وكذا. قال: فشخص عقيبَ حتى قدم على أبي جعفر، فأخبره الخبر^(٣).

١٤٧/٣

قال أبو زيد: حدثني أيوب بن عمر، قال: حدثني موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، قال: ولّي أبو جعفر الفضل ابن صالح بن عليّ الموسم في سنة ثمان وثلاثين ومائة، فقال له: إن وقعت عينك على محمد وإبراهيم، ابنيّ عبد الله بن حسن، فلا يفارقانك؛ وإن لم ترهما فلا تسأل عنهما. فقدم المدينة، فتلقاه أهلها جميعًا؛ فيهم عبد الله بن حسن وسائر بني حسن إلّا محمدًا وإبراهيم ابنيّ عبد الله بن حسن. فسكت حتى صدر عن الحج، وصار إلى السيّالة، فقال لعبد الله بن حسن: ما منع ابنيك أن يلقياي مع أهلها! قال: والله^(٤) ما منعهما من ذلك ريبة ولا سوء؛ ولكنهما منهومان بالصيّد واتباعه، لا يشهدان مع أهلها خيرًا ولا شرًا. فسكت الفضل عنه، وجلس على دكان^(٥) قد بنى له بالسيّالة. فأمر عبد الله رعاته فسرّحوا عليه ظهره، فأمر أحدهم فحلب لبَنًا على عسل في عُسّ عظيم، ثم رقى به الدكان، فأومأ إليه عبد الله أن اسق الفضل بن صالح، فقصد قصده؛ فلما دنا منه صاح به الفضل صيحةً مغضبًا: إليك يا ماصٍ بظن أمّ! فأدبر الراعي، فوثب عبد الله - وكان من أرفق الناس - فتناول القعب، ثم أقبل

(٢) ابن الأثير: «إني خارج».

(١) ت: «ما قبله».

(٣) الخبر في الأغاني ١٨: ٢٠٧ (سأى). (٤) ج: «لا والله».

(٥) ج: «مكان».

يمشي به إلى الفضل ، فلما رآه يمشي إليه استحيا منه ، فتناوله فشرب .

قال أبو زيد : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني أبي ، عن أبيه ، قال : كان لزياد بن عبيد الله كاتب يقال له حَفْصُ بن عمر من أهل الكوفة يتشيع ، وكان يثبّط زياداً عن طلب محمد ، فكتب فيه عبد العزيز بن سعد إلى أبي جعفر فحدره إليه ، فكتب فيه زياد إلى عيسى بن علي ١٤٨/٣ وعبد الله بن الربيع الحارثي فخلّصاه حتى رجع إلى زياد .

قال عليّ بن محمد : قدم محمد البصرة مخفياً في أربعين ، فأثروا عبد الرحمن ابن عثمان بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فقال له عبد الرحمن : أهلكتني وشهرتني ؛ فانزل عندى وفرّق أصحابك ، فأبى ، فقال : ليس لك عندى منزل ؛ فانزل في بني راسب ، فنزل في بني راسب .

وقال عمر (١) : حدّثني سليمان بن محمد الساري ، قال : سمعت أبا هبّار المُرّاني يقول : أقصنا مع محمد بن عبد الله بالبصرة يدعو الناس إلى نفسه .

قال : وحدّثني عيسى بن عبد الله ، قال : قال أبو جعفر : ما طمعت في بغية لي قطّ إذا ذكرت مكان بني راسب بالبصرة .

قال : وحدّثني أبو عاصم النبيل ، قال : حدّثني ابن جشيب اللّهبي ، قال : نزلت في بني راسب في أيام ابن معاوية ، فسألني فتى منهم يوماً عن اسمي ، فلطمه شيخ منهم ، فقال : وما أنت وذلك ! ثم نظر إلى شيخ جالس بين يديه ، فقال : أترى هذا الشيخ نزل فينا أبوه أيام الحجاج ، فأقام حتى ولد له هذا الولد ، وبلغ هذا المبلغ ، وهذه السن ! لا (٢) والله ما ندرى ما اسمه ولا اسم أبيه ، ولا ممن هو !

قال : وحدّثني محمد بن الهذيل ، قال : سمعت الزعفراني يقول : قدم محمد ، فنزل على عبد الله بن شيان أحد بني مروة بن عبيد ، فأقام ستة أيام ، ثم خرج فبلغ أبا جعفر مقدّمه البصرة ، فأقبل مُغِذّاً حتى نزل الجسر ١٤٩/٣

(١) ت : « أبو زيد » . (٢) ط : « ولا » ، وما أثبتته من ت .

الأكبر ، فأردنا عمرًا^(١) على لِقائه ، فأبى حتى غلبناه ، فلقيناه فقال : يا أبا عثمان ، هل بالبصرة أحد نخافه على أمرنا ؟ قال : لا^(٢) قال : فأقتصرُ على قولك وأنصرف ؟ قال : نعم ؛ فانصرف ، وكان محمد قد خرج قبل مقدّم أبي جعفر .

قال عليّ بن محمد : حدثني عامر بن أبي محمد ، قال : قال أبو جعفر لعمر بن عبيد : أبايعة محمدًا ؟ قال : أنا والله لو قلّدتني الأمة أمورها ما عرفتُ لهما موضعًا .

قال عليّ : وحدثني أيوب القزّاز ، قال : قلت لعمر بن عبيد : ما تقول في رجل رضى بالصبر على ذهاب دينه ؟ قال : أنا ذاك ، قلت : وكيف ؛ ولو دعوت أجابك ثلاثون ألفًا ! قال : والله ما أعرف موضع ثلاثة إذا قالوا وفّوا ، ولو عرفتهم لكنت لهم رابعًا .

قال أبو زيد : حدثني عبيد الله بن محمد بن حفص ، قال : حدثني أبي ، قال : وجّل محمد وإبراهيم بن أبي جعفر ، فأتيا عدن ، ثم سارا إلى السند ثم إلى الكوفة ، ثم إلى المدينة .

قال عمر : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : تكفل زياد لأمير المؤمنين بابن عبد الله أن يخرجهما له ، فأقره على المدينة ، فكان حسن بن زيد إذا علم من أمرهما علمًا كفّ حتى يفارقا مكانهما ذلك ؛ ثم يخبر أبا جعفر ، فيجد الرّسم الذي ذكر ، فيصدقه بما رفع إليه ؛ حتى كانت سنة أربعين ومائة ، فحجّ فقسّم قسومًا خصّ فيها آل أبي طالب فلم يظهر له ابنا عبد الله ؛ فبعث إلى عبد الله فسأله عنهما ، فقال : لا علم لي بهما ؛ حتى تغالطا ، فأمصّه^(٢) أبو جعفر ، فقال : يا أبا جعفر ، بأى أمهاتى تُمصّتى ! أبفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم بفاطمة بنت

١٥٠/٣

(١ - ١) في ابن الأثير : « فلقيناه عمرو بن عبيد ، فقال له : يا أبا عثمان ؛ هل بالبصرة أحد تخافه على أمرنا ؟ » قال : لا ؛ وهذه العبارة أوضح .

(٢) في اللسان : « مصان ومصانة : شتم للرجل يعبر برضع الغنم من أخلافها بغية . . . يعنون أنه يرضع الغنم من اللّزم لا يحتلبها فيسمع صوت الحلب ؛ ولهذا قيل : لنيم راضع ، ويقال : أمص فلان فلانًا ؛ إذا شتمه بالمصان » ، وفي الأغاني : « فأمصه » .

أسد ، أم بفاطمة بنت حسين ، أم أمّ إسحاق بنت طلحة ، أم خديجة بنت خويلد ؟ قال : لا بواحدة منهم ؛ ولكن بالحرباء بنت قسامة بن زهير — وهى امرأة من طيئ — قال : فوثب المسيّب بن زهير ، فقال : دعنى يا أمير المؤمنين أضرب عنق ابن الفاعلة . قال : فقام زياد بن عبيد الله ، فألقى عليه رداءه ، وقال : هبه لى يا أمير المؤمنين ؛ فأنا أستخرج ^(١) لك ابنيه فتخلصه منه ^(٢) .

قال عمر : وحدثني الوليد بن هشام بن قحذم ، قال : قال الحزير الدّيلّى لعبد الله بن الحسن ينعى عليه ولادة الحرباء :

لَعَلَّكَ بِالْجَرْبَاءِ أَوْ بِحَكَاكَةِ تُفَاخِرُ أُمَّ الْفَضْلِ وَابْنَةَ مِشْرِحٍ ^(٣)
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا حَصَانٌ نَجِيْبَةٌ لَهَا حَسَبٌ فِي قَوْمِهَا مُتَرْجِحٌ

قال عمر : وحدثني محمد بن عباد ، قال : قال لى السندى مولى أمير المؤمنين : لما أخبر عقبة بن سلم أبا جعفر ، أنشأ الحَجَّ وقال لعقبة : إذا صرت بمكان كذا وكذا لقيتني بنوحسن ، فيهم عبد الله ، فأنا مبعثله ورافع مجلسه وداع بالغداء ؛ فإذا فرغنا من طعامنا فلحظتُك فامثل بين يديه قائماً ، فإنه سيصرف بصره عنك ، فادر ^(٤) حتى تغمز ظهره بإبهام رجلك حتى يملأ عينه ^(٥) منك ثم حسبك ؛ وإياك أن يراك ما دام يأكل . فخرج حتى إذا تدفّع في البلاد لقيه بنوحسن ، فأجلس عبد الله إلى جانبه ، ثم دعا بالطعام فأصابوا منه ؛ ثم أمر به فرفع ، فأقبل على عبد الله ، فقال : يا أبا محمد ، قد علمت ما أعطيتني من العهود والمواثيق ألا تبغيّنى سوءاً ، ولا تكيد لى سلطاناً ، قال : فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فلحظ أبو جعفر عقبة ، فاستدار حتى قام بين يديه ، فأعرض عنه ، فرفع رأسه حتى قام من وراء ظهره ؛ فغمزه بأصبعه ، فرفع رأسه فلا عينه منه ، فوثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر ، فقال : أقبلتني يا أمير المؤمنين أقالك الله ! قال : لا أقالى الله إن أقلتك ، ثم أمر بحبسه ^(٦) .

(٢) الخبر في الأغاني ١٨ : ٢٠٧ (سأى) .

(٤) أى عزم على الحج .

(٦) الأغاني ١٨ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(١) الأغاني : « المستخرج » .

(٣) ب : « فامثل » .

(٥) الأغاني : « عينه » .

قال عمر : وحدثنى بكر بن عبد الله بن عاصم مولى قُرَيْبَةَ بنت عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق ، قال : حدثنى علي بن رباح بن شبيب ، أخو إبراهيم ، عن صالح صاحب المصلّى ، قال : إني لواقفٌ على رأس أبي جعفر وهو يتغذى بأوطاس ؛ وهو متوجّه إلى مكة ، ومعه على مائدته عبد الله بن حسن وأبو الكرام [الجعفرى] ^(١) وجماعة من بنى العباس ؛ فأقبل على عبد الله ، فقال : يا أبا محمد ، محمد وإبراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتي ؛ وإني لأحب أن يأنسا بي ^(٢) ، وأن يأتياي فأصلاهما وأخلطهما بنفسى — قال وعبد الله مطرق ^(٣) طويلا ثم رفع رأسه — فقال ^(٤) : وحقت يا أمير المؤمنين ، فما لى بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ؛ ولقد خرجا من يدى ؛ فيقول أبو جعفر : لا تفعل يا أبا محمد ، اكتب إليهما وإلى من يوصل كتابك إليهما . قال : فامتنع أبو جعفر ذلك اليوم من عامة غُدائه إقبالا على عبد الله ، وعبد الله يحلف ما يعرف موضعهما وأبو جعفر يكرّر عليه : لا تفعل يا أبا محمد ، لا تفعل يا أبا محمد ، لا تفعل يا أبا محمد . قال : فكان شدة هرب محمد من أبي جعفر أن أبا جعفر كان عقده له بمكة في أناس من المعتزلة ^(٥) .

١٥٢/٣

قال عمر : حدثنى أيوب بن عمر — يعنى ابن أبي عمرو — قال : حدثنى محمد بن خالد ^(٦) بن إسماعيل بن أيوب بن سلمة الخزومى ، قال : أخبرنى أبى ، قال : أخبرنى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، قال : لما حجّ أبو جعفر فى سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حسن ؛ فإنهما وإياي لعنده ؛ وهو مشغول بكتاب ينظر فيه ؛ إذ تكلم المهديّ فلحن ، فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين ، ألا تأمر بهذا من يعدّل لسانه ؛ فإنه يغفل ^(٧) غفل الأمة ! فلم يفهم ؛ وغمرت عبد الله فلم ينتبه لها ، وعاد لأبى جعفر فاحتفظ ^(٨) من ذلك ، وقال : أين ابنك ؟ فقال : لا أدري ، قال : لتأتينى به ؛ قال : لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه ، قال : يا ربيع قم به ^(٩) إلى الحبس ^(١٠) .

١٥٣/٣

- (١) من الأغاني . (٢) ط : « يأنساى » ، والأجود ما أثبتته من الأغاني وت .
 (٣) الأغاني : « يطرق » .
 (٤) الأغاني : ١٨ : ٢٠٧ (سأسى) .
 (٥) الأغاني : « خلف » .
 (٦) الأغاني : « فاحفظ » .
 (٧) الأغاني : « فاحفظ » .
 (٨) الأغاني : « فاحفظ » .
 (٩) الأغاني : « فاحفظ » .
 (١٠) الخبر فى الأغاني ١٨ : ٢٠٨ (سأسى) .

قال عمر : حدثني موسى بن سعيد بن عبد الرحمن الجُمَحِيُّ ، قال :
لما تمثّل عبد الله بن حسن لأبي العباس :

ألم تر حَوْشَبًا أَمَسَى يَبْنِي بِيُوتًا نَفَعَهَا لِبْنِي بُقَيْلَهُ^(١)
لم تزل في نفس أبي جعفر عليه ؛ فلما أمر بحبسه ، قال : أَلَسْتُ الْقَاتِلَ
لَأَبِي الْعَبَّاسِ :

أَلَمْ تَرَ حَوْشَبًا أَمَسَى يَبْنِي بِيُوتًا نَفَعَهَا لِبْنِي بُقَيْلَهُ
وهو آمن الناس عليك ، وأحسنهم إليك صنيعاً !

قال عمر : حدثنا محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق
عن أبي حُضَيْنٍ ، قال : دخلتُ على عبد الله بن حسن وهو محبوس ؛ فقال :
هل حدث اليوم مِنْ خبر ؟ قلت : نعم ، قد أمر ببيع متاعك ورقيقك ، ولا
أرى أحداً يقدم على شرائه ، فقال : ويحك يا أبا حُنين ! والله لو خُرجَ بي
وبينائي مسرّقين لاشتريتنا !

قال عمر : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثنا الحارث بن إسحاق
قال : شخص أبو جعفر ، وعبد الله بن حسن محبوس ، فأقام في الحبس
ثلاث سنين .

قال عمر : وحدثني عبد الله بن إسحاق بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله
ابن جعفر بن أبي طالب ، قال : حدثني أبو حَرَمَلَةَ محمد بن عثمان ، مولى
آل عمرو بن عثمان ، قال : حدثني أبو هَبَّارَ الْمُزَنِي ، قال : لما حجَّ أبو جعفر
سنة أربعين ومائة ، حجَّ تلك السنة محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ، وهما متغيبان ،
فاجتمعوا بمكة ، فأرادوا اغتيال أبي جعفر ، فقال لهم الأشر : عبد الله بن محمد
ابن عبد الله ، أنا أكفيكموه ، فقال محمد : لا والله لا أقتله أبداً غيلةً حتى
أدعوه ؛ قال : فنقض أمرهم ذلك وما كانوا أجمعوا عليه . وقد كان دخل

(١) الأغاني ١٨ : ٢٠٦ (سأى) ، وبعده يقول :

يَوْمَلَّ أَنْ يَعْمُرَ عُمَرُ نَوْحَ وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ

معه في أمرهم قائد من قواد أبي جعفر من أهل خراسان . قال : فاعترض لأبي جعفر إسماعيل بن جعفر بن محمد الأعرج ، فتمسّى إليه أمرهم ، فأرسل في طلب القائد فلم يظفر به ، وظفر بجماعة من أصحابه ، وأفلت الرجل و غلام له بمال زهاء ألفي دينار كانت مع الغلام ، فأتاه بها وهو مع محمد ، فقسّمها بين أصحابه . قال أبو هبّار : فأمرني محمد ، فاشترت للرجل أباعر وجهزته وحملته في قبة وقطرته ، وخرجت أريد به المدينة حتى أوردته إياها . وقدم محمد فضمته إلى أبيه عبد الله ، وجهّهما إلى ناحية من خراسان . قال : وجعل أبو جعفر يقتل أصحاب ذلك القائد الذي كان من أمره ما ذكرت .

قال عمر : وحديثي محمد بن يحيى بن محمد ، قال : حدثني أبي عن أبيه ، قال : غدت على زياد بن عبيد الله وأبو جعفر بالمدينة ، قال : فقال : أخبركم عجباً مما لقيتُه الليلة ؛ طرفني رسلُ أمير المؤمنين نصف الليل - وكان زياد قد تحول لقدم أمير المؤمنين إلى داره بالبلاط - قال : فدقت على رسله ، فخرجت ملتحفاً بإزاري^(١) ؛ ليس على ثوب غيره ، فنبهت غلماناً لي وخصياناً في سقيفة الدار ، فقلت لهم : إن هدموا الدار فلا يكلمهم منكم أحد ؛ قال : فدقوا طويلاً ثم انصرفوا ، فأقاموا ساعة ، ثم طلّوا بجرز^(٢) شبيه أن يكون معهم مثله ؛ مرة أو مرتين ، فدقوا الباب بجرزة الحديد ، وصيخوا فلم يكلمهم أحد ، فرجعوا فأقاموا ساعة ، ثم جاءوا بأمر ليس عليه صبر ؛ فظننت والله أن قد هدموا الدار على ، فأمرت بفتحها ، وخرجت إليهم فاستحثوني وهموا أن يحملوني ، وجعلت أسمع العزاء من بعضهم حتى أسلموني إلى دار مروان ، فأخذ رجالان بعضدي ، فخرتجاني على حال الدفيف^(٣) على الأرض أو نحوه ؛ حتى أتيا بي حجرة القبة العظمى ؛ فإذا الربيع واقف ، فقال : ويحك يا زياد ! ماذا فعلت بنا وبنفسك منذ الليلة ! ومضى بي حتى كشف ستر باب القبة ، فأدخلني ووقف خلّتي بين البابين ؛ فإذا الشمع في نواحي القبة ، فهي تزهر ، ووصيف قائم في ناحيتها ، وأبو جعفر محتب بحمائل سيفه على بساط

١٥٥/٣

(٢) الجرّز : عمود من حديد .

(١) ب : « إزاري » .

(٣) الدفيف : الدبيب ، أو السير اللين .

ليس تحته وسادة ولا مصلتي ، وإذا هو منكس رأسه ينقر بجزز في يده .
 قال : فأخبرني الربيع أنها حاله من حين صلى العتمة إلى تلك الساعة . قال :
 فما زلت واقفاً^(١) حتى إنني لأنتظر نداء الصبح ، وأجد لذلك فرجاً ، فما يكلمني
 بكلمة ، ثم رفع رأسه إلى ، فقال : يا بن الفاعلة ، أين محمد وإبراهيم ؟ قال :
 ثم نكس رأسه ، ونكت أطول مما مضى له ، ثم رفع رأسه الثانية ، فقال : يا بن
 الفاعلة ، أين محمد وإبراهيم ؟ قتلني الله إن لم أقتلك ! قال : قلت له : اسمع
 مني ودعني أكلّمك ، قال : قل لي : أنت نفرتهم عنك ، بعثت رسولا
 بالمال الذي أمرت بقسّمه على بني هاشم ، فنزل القادسية ، ثم أخرج سيكينا
 يحدّه ، وقال : بعثني أمير المؤمنين لأذبح محمداً وإبراهيم ، فجاءتهما بذلك
 الأخبار ، فهربا . قال : فصرفني فأنصرفت .

١٥٦/٣

قال عمر : حدثني عبد الله بن راشد بن يزيد - وكان يلقب الأكار ،
 من أهل فيند - قال : سمعت نصر بن قادم مولى بني محول الخطّاطين : قال :
 كان عبدويه وأصحاب له بمكة في سنة حجّها أبو جعفر . قال : فقال لأصحابه :
 إني أريد أن أوجر أبا جعفر هذه الحربة بين الصفا والمروة . قال : فبلغ ذلك
 عبد الله بن حسن فنهاه ، وقال : أنت في موضع عظيم ؛ فما أرى أن تفعل .
 وكان قائداً لأبي جعفر يدعى خالد بن حسان ، كان يدعى أبا العساكر على
 ألف رجل ، وكان قد ملاً عبدويه وأصحابه ؛ فقال له أبو جعفر : أخبرني
 عنك وعن عبدويه والعطاردى ، ما أردتم أن تصنعوا بمكة ؟ قال : أردنا كذا
 وكذا ، قال : فما منعكم ؟ قال : عبد الله بن حسن ، قال : فطمره فلم ير
 حتى الساعة .

قال عمر : حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثنا الحارث بن إسحاق ،
 قال : جدّ أبو جعفر حين حبس عبد الله في طلب ابنه ، فبعث عيناً له ،
 وكتب معه كتاباً على ألسن الشيعة إلى محمد ، يذكرون طاعتهم ومسايعرتهم ؛
 وبعث معه بمال والطف ، فقدم الرجل المدينة ، فدخل على عبد الله بن حسن ،
 فسأله عن محمد ، فذكر له أنه في جبل جُهيّنة ، وقال : امرر بعلي بن حسن ،

١٥٧/٣

(١) ت : « واقفاً بين يديه » .

الرجل الصالح الذي يدعى الأغرّ ؛ وهو بنى الأبر ؛ فهو يرشدك . فأتاه فأرشده . وكان لأبي جعفر كاتب على سرّه ، كان متشيعاً ، فكتب إلى عبد الله ابن حسن بأمر ذلك العيّن ، وما بعث له ، فقدم الكتاب على عبد الله فارتاعوا ، وبعثوا أبا هبار إلى عليّ بن الحسن وإلى محمد ، فيحذّره الرجل ؛ فخرج أبو هبار حتى نزل بعليّ بن حسن ، فسأله فأخبره أن قد أرشده إليه . قال أبو هبار : فجئت محمداً في موضعه الذي هو به ، فإذا هو جالس في كهف ، معه عبد الله بن عامر الأسلميّ وابنا شجاع وغيرهم ، والرجل معهم أعلامهم صوتاً ، وأشدّهم انبساطاً ؛ فلما رآني ظهر عليه بعض التّكرّة ، وجلست مع القوم ؛ فتحدّثت مليّاً ، ثم أصغيت إلى محمد ، فقلت : إن لي حاجة ، فنهض ونهضت معه ، فأخبرته بخبر الرجل ، فاسترجع ، وقال : فما الرأي ؟ فقلت : لإحدى ثلاث أيها شئت فافعل ؛ قال : وما هي ؟ قلت : تتدّعني فأقتل الرجل ، قال : ما أنا بمقارف دماً إلّا مكرهاً ، أو ماذا ؟ قلت : توقّره حديداً وتنقله معك حيث انتقلت ، قال : وهل بنا فراغ له مع الخوف والإعجال ! أو ماذا ؟ قلت : تشدّه وتوثقه وتودعه بعض أهل ثقتك من جهينة ؛ قال : هذه إذا ؛ فرجعنا وقد نذّر الرجل فهرب ، فقلت : أين الرجل ؟ قالوا : قام بركوة فاصطب ماء ؛ ثم توارى بهذا الظّرب ^(١) يتوضّأ ، قال : فجئنا في الجبل وما حوله ؛ فكان الأرض التّأمت عليه . قال : وسعى على قدميه حتى شرع على الطريق ، فرّبه أعراب معهم حُمولة إلى المدينة ، فقال لبعضهم : فرّغ هذه الغرارة وأدخلنيها أكن عِدْلاً لصاحبها ولك كذا وكذا ، قال : نعم ؛ ففرّغها وحمله حتى أقدمه بالمدينة . ثم قدّم على أبي جعفر فأخبره الخبر كلّهُ ، وعَمِيَ عن اسم أبي هبار وكنيته ، وعلّق وبرأ . فكتب أبو جعفر في طلب وبرّ المزنّي ، فحُمِلَ إليه رجل منهم يدعى وبرأ ، فسأله عن قصّة محمد وما حكى له العين ؛ فحلف أنه ما يعرف من ذلك شيئاً ؛ فأمر به فضرب سبعمائة سوط ، وحبس حتى مات أبو جعفر .

١٥٨/٣

قال عمر : حدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال : ألحّ أبو جعفر في طلب محمد ، وكتب إلى زياد بن عبيد الله الحارثي

(١) ت : « ثم دخل هذا الظرب » .

يتنجزه^(١) ما كان ضمن له ، فقدم محمد المدينة قدمة^٢ ، فبلغ ذلك زياداً ، فتلطّف له وأعطاه الأمان على أن يظهر وجهه للناس معه ، فوعده ذلك محمد ، فركب زياد مغلّساً ، وواعد محمداً سوق الظهر ، فالتقيا بها ، ومحمد معانٍ غير مخنف ، ووقف زياد إلى جنبه ، وقال : يا أيها الناس ؛ هذا محمد بن عبد الله ابن حسن ، ثم أقبل عليه ، فقال : الحقُّ بأبي بلاد الله شئت ، وتواري محمد ، وتواترت الأخبار بذلك على أبي جعفر .

قال عمر : حدثني عيسى بن عبد الله ، قال : حدثني من أصدق ، قال : دخل إبراهيم بن عبد الله على زياد ، وعليه درع حديد تحت ثوبه ، فلمسها^(٢) زياد . ثم قال : يا أبا إسحاق ؛ كأنك اتهمته^(٣)ني ! ذلك^(٣) والله ما ينالك مني أبداً .

قال عمر : حدثني عيسى ، قال : حدثني أبي ، قال : ركب زياد بمحمد ؛ فأتى به السوق فتصايح أهل المدينة : المهديّ المهديّ ! فتواري فلم يظهر ؛ حتى خرج .

قال عمر : حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : لما أن تتابعت الأخبار على أبي جعفر بما فعل زياد بن عبيد الله ، وجهه أبا الأزهر (رجلاً من أهل خراسان) إلى المدينة ، وكتب معه كتاباً ، ودفع إليه كتباً ، وأمره ألاّ يقرأ كتابه إليه حتى ينزل الأعوص ، على يريد من المدينة ، فلما أن نزله قرأه ؛ فإذا فيه توليةُ عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المدينة — وكان قاضياً لزياد بن عبيد الله — وشدُّ زياد في الحديد ، واصطفاء ماله ، وقبضُ جميع ما وجد له ، وأخذُ عمّاله وإشخاصه وإياهم إلى أبي جعفر . فقدم أبو الأزهر المدينة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين ومائة ، فوجد زياداً في موكب له ، فقال : أين الأمير ؟ فقيل : ركب ، وخرجت الرّسل إلى زياد بقدمه ، فأقبل مسرعاً حتى دخل دار مروان ، فدخل عليه أبو الأزهر ، فدفع إليه كتاباً من أبي جعفر في ثلث يأمره أن يسمع ويطيع ؛ فلما قرأه قال : سمعاً وطاعة ، فرّ يا أبا الأزهر بما أحببت ؛ قال : ابعث إلى

(١) ج : « يتنجزه » . (٢) ج : « فحبسها » . (٣) ت : « ذاك » .

عبد العزيز بن المطلب . فبعث إليه ، فدفع إليه كتاباً أن يسمع لأبي الأزهر ؛ فلما قرأه قال : سمعاً وطاعة ؛ ثم دفع إلى زياد كتاباً يأمره بتسليم العمل إلى ابن المطلب ، ودفع إلى ابن المطلب كتاباً بتوليته ، ثم قال لابن المطلب : ابعث إلى أربعة كبول وحداً آداً ، فأَتَيْتَ بهما فقال : اشدد أبا يحيى ، فشدّ فيها وقبض ماله - ووجد في بيت المال خمسة وثمانين ألف دينار - وأخذ عماله ، فلم يغادر منهم أحداً ، فشخص بهم وبزياد ، فلما كانوا في طرف المدينة وقف له عماله يسلمون عليه ، فقال : بأبى أنتم ! والله ما أبالي إذا رأيكم أبو جعفر ما صنع بي ! أي من هبثهم ومروّتهم .

١٦٠/٣

قال عمر : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، عن خاله عليّ بن عبد الحميد ، قال : شيعنا زياداً ، فسرت تحت محمله ليلة ، فأقبل عليّ فقال : والله ما أعرف لي عند أمير المؤمنين ذنباً ؛ غير أني أحسبه وجدّ عليّ في ابني عبد الله ، وجدّ دماء بني فاطمة عليّ عزيزة . ثم مضوا حتى كانوا بالشقراء ؛ فأفلت منهم محمد بن عبد العزيز ، فرجع إلى المدينة ، وجلس أبو جعفر الآخرين ، ثم خلّى عنهم .

قال : وحدّثني عيسى بن عبد الله ، قال : حدّثني مَنْ أَصْدَقُ ، قال : لما أن وجه أبو جعفر مبهوراً وابن أبي عاصية في طلب محمد ، كان مبهوراً الذي أخذ زياداً ، فقال زياد :

أَكْلَفُ ذَنْبَ قَوْمٍ لَسْتُ مِنْهُمْ وَمَا جَنَّتِ الشُّمَالُ عَلَى الْيَمِينِ
قال : وحدّثني عيسى بن عبد الله ، قال ، حدّثني عبد الله بن عمران بن أبي فروة ، قال : كنت أنا والشعباني - قائد كان لأبي جعفر - مع زياد بن عبيد الله نختلف إلى أبي الأزهر أيام بعثه أبو جعفر في طلب بني حسن ، فلإني لأسير مع أبي الأزهر يوماً إذ أتاه آت فلصق به ، فقال : إنّ عندى نصيحة في محمد وإبراهيم ، قال : اذهب عنا ، قال : إنها نصيحة لأمر المؤمنين ، قال : اذهب عنا ، وبلك قد قتل ^(١) الخلق ! قال : فأبى أن ينصرف ، فتركه أبو الأزهر حتى خلا الطريق ، ثم بعج بسيفه بطنه بـعَجَةٍ ألقاه ناحية .

١٦١/٣

ثم استعمل أبو جعفر على المدينة محمد بن خالد بعد زياد ؛ فذكر عمر أن محمد بن يحيى حدثه ، قال : حدثنا الحارث بن إسحاق ، قال : استعمل أبو جعفر على المدينة محمد بن خالد بعد زياد ، وأمره بالجسد في طلب محمد ، وبسط يده في النفقة في طلبه . فأغذ السير حتى قدم المدينة هلال رجب سنة إحدى وأربعين ومائة ، ولم يعلم به أهل المدينة حتى جاء رسوله من الشقرة - وهي بين الأعوص والطرف على ليلتين من المدينة - فوجد في بيت المال سبعين ألف دينار وألف ألف درهم ؛ فاستغرق ذلك المال ؛ ورفع في محاسبته أموالاً كثيرة أنفقها في طلب محمد ، فاستبطأه أبو جعفر واتهمه ؛ فكتب إليه أبو جعفر يأمره بكشف المدينة وأعراضها ؛ فأمر محمد بن خالد أهل الديوان أن يتجاعلوا لمن يخرج ؛ فتجاعلوا رباغ الغاضري المضحك - وكان يداين الناس بألف دينار - فهلك وتويت^(١) ، وخرجوا إلى الأعراض لكشفها عن محمد ، وأمر القسري أهل المدينة ؛ فلزموا بيوتهم سبعة أيام ، وطافت رسله والحدن ببيوت الناس يكشفونها ؛ لا يحسون شيئاً ، وكتب القسري لأعوانه صيكاكاً يتعززون بها ، لئلا يعرض لهم أحد ؛ فلما استبطأه أبو جعفر ورأى ما استغرق من الأموال عزله .

قال : وحدثنى عيسى بن عبد الله ، قال : أخبرني حسين بن يزيد ، عن ابن ضبة ، قال : اشتد أمر محمد وإبراهيم على أبي جعفر ؛ فبعث فدعا أبا السعلاء من قيس بن عيلان ، فقال : ويلك ! أشر على في أمر هذين الرجلين ؛ فقد غممتي أمرهما ، قال : أرى لك أن تستعمل رجلاً من ولد الزبير أو طلحة ؛ فإنهم يطلبونهما بذحل ؛ فأشهد لا يلبثونهما أو يخرجوهما إليك . قال : قاتلك الله ؛ ما أجود رأيًا جئت به ! والله ما غسبي هذا على ؛ ولكني أعاهد الله ألا أثّر من أهل بيتي بعدوى وعدوهم ؛ ولكني أبعث عليهم صعيلىكا^(٢) من العرب ، فيفعل ما قلت ، فبعث رياح بن عثمان بن حيان .

قال : وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : وحدثنى عبد الله بن يحيى ، عن

(٢) ط : « صليكا » .

(١) تويت بمعنى هلك .

موسى بن عبد العزيز ؛ قال : لما أراد أبو جعفر عزل محمد بن خالد عن المدينة ركب ذات يوم ؛ فلما خرج من بيته استقبله يزيد بن أسيد السلمي ، فدعاه فسايره . ثم قال : أما تدلّني على فتى من قيس مُقبل ، أغنيه وأُشرفه وأمكنه من سيد اليمن يلعب به ؟ يعنى ابن القسريّ ؛ قال : بلى ، قد وجدته يا أمير المؤمنين ، قال : مَنْ هو ؟ قال : رياح بن عثمان بن حسيان المريّ ، قال : فلا تذكرنّ هذا لأحد ، ثم انصرف فأمر بنجائب وكسوة ورحال ؛ فتهيّئت للمسير ؛ فلما انصرف من صلاة العتمة دعا برياح ، فذكر له ما بلا من غشّ زياد وابن القسريّ في ابنيّ عبد الله ، وولاه المدينة ؛ وأمر بالمسير من ساعته قبل أن يصل إلى منزله ، وأمره بالجدّ في طلبهما ؛ فخرج مسرعاً ، حتى قدمها يوم الجمعة لسبع ليال بقين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين ١٦٣/٣ ومائة .

قال : وحدّثني محمد بن معروف ، قال : أخبرني الفضل بن الربيع ، عن أبيه ، قال : لما بلغ أمر محمد وإبراهيم من أبي جعفر ما بلغ خرجت يوماً من عنده — أو من بيتي — أريده ؛ فإذا أنا برجل قد دنا مني ، فقال : أنا رسول رياح بن عثمان إليك ، يقول لك : قد بلغني أمر محمد وإبراهيم وإدّهان الولاة في أمرهما ؛ وإنّ ولّاني أمير المؤمنين المدينة ضمنت له أحدهما ، وألّا أظهرهما . قال : فأبلغتُ ذلك أمير المؤمنين . فكتب إليه بولايته ، وليس بشاهد .

ذكر عمر بن شبّة ، عن محمد بن يحيى ، عن عبد الله بن يحيى ، عن موسى ابن عبد العزيز ، قال : لما دخل رياح دار مروان ، فصار في سقيفتها ، أقبل على بعض مَنْ معه ، فقال : هذه دار مروان ؟ قالوا : نعم ، قال : هذه المحلال المظعان ، ونحن أوّل من يظعن منها .

قال عمر : حدّثني أيوب بن عمر ، قال : حدّثني الزبير بن المنذر مولى عبد الرحمن بن العوّام ، قال : قدم رياح بن عثمان ، فقدم معه حاجب له يكنى أبا البخريّ — وكان لأبي صديقاً زمان الوليد بن يزيد . قال : فكنت

آتيه لصداقته لأبي - فقال لي يوماً : يا زُبَيْر ، إن رياحاً لما دخل دار مروان قال لي : هذه دار مروان ؟ أما والله إنها لخلال مظنعان ؛ فلما تكشف الناس عنه - وعبد الله محبوس في قبة الدار التي على الطريق إلى المقصورة ، حبسه فيها زياد بن عبيد الله - قال لي : يا أبا البتخري ، خذ بيدي ندخل على هذا الشيخ ، فأقبل متكئاً على - حتى وقف على عبد الله بن حسن ، فقال : أيتها الشيخ ؛ إن أمير المؤمنين والله ما استعملني لرحم قريبة ، ولا يد^(١) سلفت إليه ؛ ١٦٤/٣ والله لا لعبت بي كما لعبت بزياد وابن القسري ، والله لأزهنقن^(٢) نفسك أو لتأتيني بابنيك محمد وإبراهيم ! قال : فرفع رأسه إليه وقال : نعم ، أما والله إنك لأزيرق قيس المذبوح فيها كما تذبح الشاة . قال أبو البتخري : فانصرف رياح والله آخذاً بيدي ، أجد برد يده ، وإن رجليه لتخطآن مما كلمه ، قال : قلت : والله إن هذا ما أطاع علي الغيب قال : ليهما ويلك ! فوالله ما قال إلا ما سمع ؛ قال : فله يسبح والله فيها ذببح الشاة .

قال : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثنا الحارث بن إسحاق ، قال : قدم رياح المدينة ، فدعا بالقسري ، فسأله عن الأموال ، فقال : هذا كاتبني هو أعلم بذلك مني ، قال : أسألك وتحيلني على كاتبك ! فأمر به فوجئت عنقه ، وقنع أسواطاً ، ثم أخذ رزاماً كاتب محمد بن خالد القسري ومولاه فبسط عليه العذاب ، وكان يضربه في كل غب خمسة عشر سوطاً ، مغلولاً^(٣) يده إلى عنقه من بسكرة إلى الليل ؛ يتبع به أفناء المسجد والرحبة ، ودس إليه في الرفع على ابن خالد فلم يجد عنده في ذلك مساعداً ، فأخرجه عمر بن عبد الله الجذامي - وكان خليفة صاحب الشرط يوماً من الأيام - وهو يريد ضربه ، وما بين قدميه إلى قرنه قرحة ، فقال له : هذا يوم غبتك ، فأين تحب أن نجلدك ؟ قال : والله ما في بدني موضع لضرب ؛ فإن شئت فبطون كفي ، ١٦٥/٣ فأخرج كفتيه فضرب في بطونهما خمسة عشر سوطاً . قال : فجعلت رسل رياح تختلف إليه ، تأمره أن يرفع علي ابن خالد ويخلني سبيله ، فأرسل إليه : مر بالكف عني حتى أكتب كتاباً ، فأمر بالكف عنه ، ثم ألح عليه وبعث إليه :

(١) ابن الأثير : « ولأيد » . (٢) ب : « لأزهنقن » . (٣) ب : « مغلول » .

أن رُحّ بالكتاب العشيّة على رؤوس الناس ، فادفعه إلى . فلما كان العشيّ أرسل إليه فاتاه وعنده جماعة فقال : أيّها الناس ؛ إن الأمير أمرني أن أكتب كتاباً ، وأرفع على ابن خالد ؛ وقد كتبت كتاباً أنتجني^(١) به ، وأنا أشهدكم أن كلّ ما فيه باطل . فأمر به رياح فضرب مائة سوط ، وردّ إلى السجن .

قال عمر : حدثني عيسى بن عبد الله ، قال : حدثني عمي عبيد الله بن محمد بن عمر بن عليّ ، قال : لما أهبط الله آدم من الجنة رفعه على أبي قبيس ، فرفع له الأرض جميعاً حتى رآها وقال : هذه كلها لك ، قال : أيّ ربّ ، كيف أعلم ما فيها ؟ فجعل له النجوم ، فقال : إذا رأيت نجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، وإذا رأيت نجم كذا وكذا كان كذا وكذا ؛ فكان يعلم ذلك بالنجوم . ثم إن ذلك اشتدّ عليه ، فأنزل الله عزّ وجلّ "مرآة من السماء يرى بها ما في الأرض حتى إذا مات آدم عمّد إليها شيطان يقال له فقتس فكسرها ، وبني عليها مدينة بالمشرق يقال لها جابرت ؛ فلما كان سليمان بن داود سأل عنها ، ف قيل له : أخذها فقتس . فدعاه فسأله عنها ، فقال : هي تحت أواسى جابرت ، قال : فأتيني بها ، قال ومن يهدمها ؟ فقالوا لسليمان : قل له : أنت ، فقال سليمان : أنت ، فأتي بها سليمان ، فكان يجبر بعضها إلى بعض ثم يشدّها في^(٢) أقطارها بسير ، ثم ينظر فيها ؛ حتى هلك سليمان ؛ فوثبت عليها الشياطين ؛ فذهبت بها وبقيت منها بقية ، فتوارثتها بنو إسرائيل حتى صارت إلى رأس الجالوت ؛ فأتّى بها مروان بن محمد ؛ فكان يحكّها ويجعلها على مرآة أخرى فيرى فيها ما يكره ، فرمى بها وضرب عنق رأس الجالوت ، ودفعها إلى جارية له ، فجعلتها في كرسفة ، ثم جعلتها في حجر ؛ فلما استخلف أبو جعفر سأل عنها ف قيل له : هي عند فلانة ؛ فطلبها حتى وجدها ، فكانت عنده ؛ فكان يحكّها ويجعلها على مرآة أخرى فيرى فيها ؛ وكان يرى محمد ابن عبد الله ؛ فكتب إلى رياح بن عثمان : إن محمد أيلاد فيها الأترج والأعناب فاطلبه بها . وقد كتب إلى محمد بعض أصحاب أبي جعفر : لا تقمين في موضع إلّا بقدر مسير البريد من العراق إلى المدينة ؛ فكان يتنقل فيراه

(٢) ج : « من » .

(١) كذا في ج ، وفي ط : « أنتجى » .

بالْبَيْضَاء ، وهي من وراء الغابة على نحو من عشرين ميلاً ؛ وهي لأشجع . فكتب إليه : إنه ببلاد بها الجبال والقيلاّت ، فيطلبه فلا يجده . قال : فكتب إليه إنه يجبل به الحبّ الأخضر والقَطِران ، قال : هذه رضوى ؛ فطلبه فلم يجده .

قال أبو زيد : حدثني أبو صفوان نصر بن قُديد بن نصر بن سيار ، أنه بلغه أنه كان عند أبي جعفر مرآة يَرى فيها عدوّه من صديقه .

قال : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : جدّ رياح في طلب محمد ، فأخبر أنه في شِعْب من شِعَاب رَضْوَى — جبل جهينة ، وهي من عمل يَنْبُع — فاستعمل عليها عمرو بن عثمان بن مالك الجُهَنِيّ أحد بني جُثَم ، وأمره بطلب محمد ، فطلبه فدُكِر له أنه بشِعْب من رَضْوَى ، فخرج إليه بالخيّل والرّجال ، ففزع منه محمد ، فأحضر شدّاً ، فأقلت وله ابن صغير ، ولد في خوفه ذلك ، وكان مع جارية له ؛ فهوى من الجبل فتقطّع ، وانصرف عمرو بن عثمان .

قال : وحدثني عبد الله بن محمد بن حكيم الطائيّ ، قال : لما سقط ابن محمد فمات ولّى محمد ما لى ، قال :

منخرق السّربال يشكو الوجى تنكبّه أطرافُ مَرَوْ حِدَادٍ
شرّده الخوفُ فأزرى به كذاك مَنْ يكرّه حرّ الجلاذ
قد كان في الموت له راحةٌ والموتُ حتمٌ في رقاب العباد

قال : وحدثني عيسى بن عبد الله ، قال : حدثني عمّي عبيد الله بن محمد ، قال : قال محمد بن عبد الله : بينا أنا في رَضْوَى مع أمة لي أمّ ولد ، معها بُنَى لي ترضعه ؛ إذا ابن سنّوطيّ (مولى لأهل المدينة) ، قد هجم علىّ في الجبل يطلبني ؛ فخرجت هارباً ، وهربت الجارية . فسقط الصبيّ منها فتقطّع ، فقال عبيد الله : فأتيّ بابن سنوطيّ إلى محمد بعد حين ظهر ، فقال :

بابن سنوطي ، أتعرف حديث الصبيّ ؟ قال : إى والله ؛ إني لأعرفه ، فأمر به فحبّس ؛ فلم يزل محبوباً حتى قتل محمد .

قال : وحدثنى عبد العزيز بن زياد ، قال : حدثني أبي قال : قال محمد : إني بالحرّة مصعِد ومنحدر ، إذا أنا برياح والخيّل ، فعدلتُ إلى بئر فوقفت بين قرنيّنها ، فجعلت أستقي ، فلقيتني رياح صفّحاً ، فقال : قاتله الله أعرابياً ما أحسن ذراعه !

قال : وحدثنى ابن زباله ، قال : حدثني عثمان بن عبد الرحمن الجُهنيّ عن عثمان بن مالك ، قال : أذلق^(١) رياح محمدًا بالطلب ؛ فقال لي : اغدُ بنا إلى مسجد الفتنح ندع الله فيه . قال : فصلّيتُ الصُّبح ، ثم انصرفتُ إليه ، فغدونا وعلى محمد قميص غليظ ورداء قرقيّ مفتول ؛ فخرجنا من موضع كان فيه ؛ حتى إذا كان قريباً التفت ، فإذا رياح في جماعة من أصحابه رُكبان ، فقلت له : هذا رياح ؛ إنا لله وإنا إليه راجعون ! فقال غير مكترث به : امض ؛ فضيبت وما تنقلني رجلاي ، وتنحني هو عن الطريق ؛ فجلس وجعل ظهره مما يلي الطريق ، وسدّل هُدُب رداثه على وجهه — وكان جسيماً — فلما حاذاه^(٢) رياح التفت إلى أصحابه ، فقال : امرأة رأينا فاستحييت . قال : ومضيتُ حتى طلعت الشمس^(٣) ، وجاء رياح فصعد وصلى ركعتين ، ثم انصرف من ناحية بطنحان ، فأقبل محمد حتى دخل المسجد ، فصلّى ودعا ، ولم يزل محمد بن عبد الله ينتقل من موضع إلى موضع إلى حين ظهوره .

١٦٩/٣

ولما طال على المنصور أمره ؛ ولم يقدر عليه وعبد الله بن حسن محبوس ، قال عبد العزيز بن سعيد — فيما ذكر عن عيسى بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة — قال لأبي جعفر : يا أمير المؤمنين ، أتطمع أن يخرج لك محمد وإبراهيم وبنو حسن مخلصون ! والله للواحد منهم أهيب في صدور الناس من الأسد . قال : فكان ذلك الذي هاجه على حبسهم . قال ؛ ثم دعاه فقال : من أشار عليك بهذا الرأي ؟ قال : فليح بن سليمان ، فلما مات عبد العزيز ابن سعد — وكان عيناً لأبي جعفر والياً على الصدقات — وضع فليح بن سليمان في موضعه ، وأمر أبو جعفر بأخذ بني حسن .

قال عيسى : حدثني عبد الله بن عمران بن أبي فروة ، قال : أمر أبو جعفر

(١) أذلقه : أفلقه . (٢) كذا في ت . (٣) ت : « طلعت المسجد » .

رياحاً بأخذ بني حسن ، ووجه في ذلك أبا الأزهر المهريّ - قال : وقد كان حبس عبد الله بن حسن فلم يزل محبوساً ثلاث سنين ؛ فكان حسن بن حسن قد نصل خضابته تسلياً على عبد الله ؛ فكان أبو جعفر يقول : ما فعلت الحادثة ؟ قال : فأخذ رياح حسناً وإبراهيم ابني حسن بن حسن ، وحسن بن جعفر بن حسن بن حسن ، وسليمان وعبد الله ابني داود بن حسن بن حسن ، ومحمداً وإسماعيل وإسحاق ابني إبراهيم بن حسن بن حسن ، وعباس بن حسن بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، أخذوه على بابيه ؛ فقالت أمه عائشة ابنة طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر : دعوني أشمتهم ، قالوا : لا والله ؛ ما كنت حية في الدنيا ؛ وعلى بن حسن بن حسن بن حسن العابد .

قال : وحدثنى إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم ، قال : حبس معهم أبو جعفر عبد الله بن حسن بن حسن أخا عليّ .

قال : وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنا الحارث بن إسحاق ، قال : جهر رياح بشتم محمد وإبراهيم ابني عبد الله ، وشتم أهل المدينة . قال : ثم قال يوماً وهو على المنبر يذكرهما : الفاسقين الخالعين الحاربيين . قال : ثم ذكر ابنة أبي عبيدة أمهما ، فأفحش لها ، فسبح الناس وأعظموا ما قال ، فأقبل عليهم ، فقال : إنكم لا كلننا^(١) ، ألصق الله بوجوهكم الذل والهوان ! أما والله لأكتبن إلى خليفتيكم فلأعلمنهم غيبتكم وقلة نصحتكم . فقال الناس : لا نسمع منك يا بن المهدود ؛ وبادروه بالحصى ، فبادر واقتحم دار مروان وأغلق عليه الباب ، وخرج الناس حتى صفوا وجاهه^(٢) ، فرموه وشتموه ثم تناهوا وكفوا .

قال : وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثني الثقة عندي ، قال : حبس معهم موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ وعلى بن محمد ابن عبد الله بن حسن بن حسن عند مقدمه من مصر .

قال : وحدثنى عبد الله بن عمر بن حبيب ، قال : وجه محمد بن عبد الله ابنه عليّاً إلى مصر ، فدل عليه عاملها ، وقد هم بالوثوب ، فشده وأرسل به

إلى أبي جعفر ، فاعترف له ، وسمى أصحاب أبيه ، فكان فيمن سَمَّى عبد الرحمن ابن أبي الموالى وأبو حنين ، فأمر بهما أبو جعفر فحبسهما ، وضرب أبو حنين مائة سوط .

قال : وحدثني عيسى ، قال : مرَّ حسن بن حسن بن علي إبراهيم ابن حسن وهو يعلف إبلًا له ؛ فقال : أتعلف إبلك وعبد الله محبوس ! أطلق عَقْلَهَا يا غلام ، فأطلقها ، ثم صاح في أدبارها فلم يوجد منها واحدة .

قال : وحدثني عيسى ، قال : حدثني علي بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي ، قال : حضرنا باب رياح في المقصورة ، فقال الآذن : مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ بَنِي حُسَيْنٍ فَلْيَدْخُلْ ؛ فقال لي عمِّي عمر بن محمد : انظر لما يصنع القوم ، قال : فدخلوا من باب المقصورة وخرجوا من باب مروان . قال : ثم قال : من هَا هُنَا مِنْ بَنِي حُسَيْنٍ فَلْيَدْخُلْ ؛ فدخلوا من باب المقصورة ودخل الحدَّادون من باب مروان ، فدعَى بالقيود .

قال : وحدثني عيسى ، قال : حدثني أبي ، قال : كان رياح إذا صلى الصُّبْحُ أرسل إلى وإلى قدامة بن موسى فيحدثنا ساعة ؛ فإذا عنده يومًا ؛ فلما أسفروا إذا برجل متلفف في ساجٍ له ؛ فقال له رياح : مرحبًا بك وأهلاً ، ما حاجتك ؟ قال : جئت لتحبسني مع قومي ؛ فإذا هو علي بن حسن بن حسن بن حسن ، فقال : أما والله ليعرفنَّها لك أمير المؤمنين ، ثم حبسه معهم .

١٧٢/٣

قال : وحدثني يعقوب بن القاسم ، قال : حدثني سعيد بن ناشرة مولى جعفر بن سليمان ، قال : بعث محمد ابنه عليًّا ، فأخذ بمصر ، فمات في سجن أبي جعفر .

قال : وحدثني موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه موسى بن عبد الله ، قال : لما حَبَسْنَا ضاق الحبس بنا ، فسأل أبي رياحًا أن يأذن له فيشترى دارًا ، فيجعل حبسنا فيها ، ففعل ، فاشترى أبي دارًا فنقلنا إليها ، فلما امتدَّ بنا الحبس أتى محمد أمه هندًا فقال : إني قد حملت أبي وعموتي ما لا طاقة لهم به ؛ ولقد هممت أن أضع يدي في أيديهم ؛ فعسى أن يخلِّي عنهم . قال : فتنكرت ولبست أطمارًا ، ثم جاءت

السجن كهيئة الرسول ، فأذن لها ، فلما رآها أبي أثبتها ، فنهض إليها فأخبرته عن محمد ، فقال : كلاً بل نصبر ؛ فوالله إني لأرجو أن يفتح الله به خيراً ، قولي له : فليدعُ إلى أمره ، وليجد فيه ، فإن فرجنا بيد الله . قال : فانصرفت وتم محمد على بغيته .

* * *

[ذكر حمل ولد حسن بن حسن إلى العراق]

وفي هذه السنة حمل ولد حسن بن حسن بن عليّ من المدينة إلى العراق .

* ذكر الخبر عن سبب حملهم إلى العراق وما كان من أمرهم إذ حملوا :

ذكر عمر ، قال : حدثني موسى بن عبد الله ، قال : حدثني أبي عن أبيه ، قال : لما حجّ أبو جعفر أرسل محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ومالك بن أنس إلى أصحابنا ، فسألهم ^(١) أن يدفعوا محمداً وإبراهيم ابني عبد الله ، قال : فدخل علينا الرجلان وأبي قائم يصلي ، فأبلغاهم رسالته ، فقال حسن بن حسن : هذا عمل ابني ^(٢) المشئومة ، أما والله ما هذا برأينا ، ولا عن ملأ منا ؛ ولا لنا فيه حيلة . قال : فأقبل عليه إبراهيم ، فقال : علام تؤذي أخاك في ابنه وتؤذي ابن أخيك في أمه ؟ قال : وانصرف أبي من صلاته ؛ فأبلغاه ، فقال : لا والله لا أردّ عليكما حرفاً ؛ إن أحبّ أن يأذن لي فألقاه فليفعل ؛ فانصرف الرجلان فأبلغاه ، فقال : أراد أن يسخرني ؛ لا والله لا ترى عينه عيني حتى يأتيتني بابنيه .

قال : وحدثني ابن زبالة ، قال : سمعتُ بعض علمائنا يقول : ما سارَّ عبدُ الله بن حسن أحداً قطّ إلا فتلّه ^(٣) عن رأيه .

قال : وحدثني موسى بن عبد الله ، عن أبيه عن جده ، قال : ثم سارَّ أمير المؤمنين أبو جعفر لوجهه حاجباً ، ثم رجع فلم يدخل المدينة ؛ ومضى إلى الرُبذة حتى أتى ثنيّ رهوتها ^(٤) .

(١) ج : « أمي » .

(٢) ت : « حتى أتى بها ونحن بها » .

(١) ج : « يسألهم » .

(٣) ابن الأثير : « قلبه » .

قال عمر : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : لم يزل بنو حسن محبوسين عند رياح حتى حجّ أبو جعفر سنة أربع وأربعين ومائة ، فتلقاه رياح بالربذة ، فردّه إلى المدينة ، وأمره بإشخاص بني حسن إليه ، وإشخاص محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان - وهو أخو بني حسن لأُمهم . أمهم جميعاً فاطمة بنت حسين ^(١) بن عليّ بن أبي طالب - فأرسل إليه رياح - وكان بماله بيدّر - فحدرهم ^(٢) إلى المدينة ، ثم خرج رياح ببني حسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو إلى الربذة ، فلما صار بقصر نفيس على ثلاثة أميال من المدينة ، دحا بالحدادين والقيود والأغلال ، فألقى كل رجل منهم في كبّيل وغلّ ، فضاقت حلقتهما قيد عبد الله بن حسن بن حسن ، فعضّته فتأوه ، فأقسم عليه أخوه عليّ بن حسن ليحوّلن حلقتيه عليه إن كانتا أوسع ، فحوّلنا عليه ، ففضى بهم رياح إلى الربذة .

١٧٤/٣

قال : وحدثني إبراهيم بن خالد ، ابن أخت سعيد بن عامر ، عن جويرية بن أسماء - وهو خال أمه - قال : لما حُمِّل بنو حسن إلى أبي جعفر أُتِيَ بأُمّيات يقيّدون بها ، وعليّ بن حسن بن حسن قائم يصلي . قال : وكان في الأُمّيات قيد ثقيل ، فكلّمنا قرب إلى رجل منهم تفادى منه واستعفى . قال : فانفتل عليّ من صلاته ، فقال : لشدّ ما جزعتم ، شرّعه هذا ^(٣) ، ثم مدّ رجله فقيّد به . قال : وحدثني عيسى ، قال : حدثني عبد الله بن عمران ، قال : الذي حدّثهم إلى الربذة أبو الأزهر .

قال عمر : حدثني ابن زبالة ، قال : حدثني حسين بن زيد بن عليّ ابن حسين ، قال : غدوت إلى المسجد ، فرأيت بني حسن يُخرج بهم من دار مروان مع أبي الأزهر يُراد بهم الربذة ، فانصرفت ، فأرسل إلى جعفر ابن محمد فجنّته ، فقال : ما وراءك ؟ فقلت : رأيت بني حسن يُخرج بهم في محامل ، قال : اجلس ، فجلست ، فدعا غلاماً له ، ثم دعا ربه دعاء كثيراً ، ثم قال لغلامه : اذهب ، فإذا حُمِّلوا فأْتِ فأخبرني ، فأناه الرسول ، فقال : قد أقبل بهم . قال : فقام جعفر بن محمد ، فوقف من وراء ستر شعثَر

١٧٥/٣

(١) ب « حسن » . (٢) ط : « فحدره » . (٣) ت : « بسرعة هذا » .

يبصر مَنْ وراءه ولا يبصره أحد ؛ فطلع بعبد الله بن حسن في محمّل معادلّه مسوّد ، وجميع أهل بيته كذلك . قال : فلما نظر إليهم جعفر هملت عيناه حتى جرت دموعه^(١) على لحيته ، ثم أقبل على فقال : يا أبا عبد الله ؛ والله لا يحفظ الله حرمة بعد هؤلاء .

قال : وحدثنى محمد بن الحسن بن زبالة ، قال : حدثني مصعب بن عثمان ، قال : لما ذهب بنى حسن لقيهم الحارث بن عامر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بالربذة ، فقال : الحمد لله الذى أخرجكم من بلادنا ، قال : فاشرب له حسن بن حسن ، فقال له عبد الله : عزمتُ عليك إلا سكت !

قال : وحدثنى عيسى ، قال : حدثني ابن أبرود حاجب محمد بن عبد الله قال : لما حُمل بنو حسن ، كان محمد وإبراهيم يأتیان معتمدين كهيئة الأعراب ، فيسأيران أباهما ويسأئلانه ويستأذنانه في الخروج ؛ فيقول : لا تعجلا حتى يمكنكما ذلك ؛ ويقول : إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين ؛ فلا يمنعكما أن تموتا كريمين .

قال عمر : وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : لما صار بنو حسن إلى الربذة دخل محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على أبي جعفر ، وعليه قميصٌ وساجٌ^(٢) وإزار رقيق تحت قميصه ؛ فلما وقف بين يديه ، قال : إيهيّا ياديوث^(٣) ! قال محمد : سبحان الله ! والله لقد عرفتنى بغير ذلك صغيراً وكبيراً ، قال : فلم حملت ابنتك ؟ وكانت تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن — وقد أعطيتني الأيمان بالطلاق والعناق ألا تغشنى ولا تمالئ على عدوّاً ، ثم أنت تدخل على ابنتك متخضبة متعطّرة ، ثم تراها حاملاً فلا يروعلك حملها ! فأنت بين أن تكون حانثاً أو ديوثاً ؛ وإيم الله إني لأهم برجمها . فقال محمد : أما أيمانى فهى على إن كنت دخلت لك فى أمر غش علمته ، وأما ما رميت به هذه الجارية ، فإن الله قد أكرمها عن ذلك بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها ؛ ولكنى قد ظننت حين ظهر

(١) ب : « جرى دمه » . (٢) الساج : الطيلسان الأخضر .

(٣) الديوث ؛ من التديث ؛ وهو القيادة .

حملها أن زوجها ألم بها على حين غفلة منا . فاحتفظ أبو جعفر من كلامه ، وأمر بشق ثيابه ، فشق قميصه عن إزاره ، فأشف عن عورته ، ثم أمر به فضرب خمسين ومائة سوط ، فبلغت منه كل مبلغ ، وأبو جعفر يفتري عليه ولا يكنى ^(١) ، فأصاب سوط منها وجهه ، فقال له : ويحك ! اكفف عن وجهي فإن له حرمة من رسول ^(٢) الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأغرى أبو جعفر ، فقال للجلاد : الرأس الرأس ، قال : فضرب على رأسه نحواً من ثلاثين سوطاً ، ثم دعا بساجور من خشب شبيه به في طوله - وكان طويلاً - فشد في عنقه ، وشدت به يده ، ثم أخرج به ملبساً ، فلما طلع به من حجرة أبي جعفر ، وثب إليه مولى له ، فقال : بأبي أنت وأمي ألا ألوثك بردائي ! قال : بلى جزيت خيراً ، فوالله لشفوف لإزاري أشد علي من الضرب الذي نالني ، فألقى عليه المولى الثوب ، ومضى به إلى أصحابه المحبسين ^(٣) .

١٧٧/٣

قال : وحدثنني الوليد بن هشام ، قال : حدثني عبد الله بن عثمان ، عن محمد بن هاشم بن البريد ، مولى معاوية ، قال : كنت بالربذة ، فأتيت بني حسن مغلولين ، معهم العثماني كأنه خلق من فضة ، فأقعدوا ، فلم يلبثوا حتى خرج رجل من عند أبي جعفر ، فقال : أين محمد بن عبد الله العثماني ؟ فقام فدخل ، فلم يلبث أن سمعنا وقع السياط ، فقال أيوب بن سلمة الخزومي لبنيه : يا بني ، إني لأرى رجلاً ليس لأحد عنده هودة ، فانظروا لأنفسكم ، لا تسقطوا بشيء . قال : فأخرج كأنه ^(٤) زنجي قد غيرت السياط لونه ، وأسالت دمه ، وأصاب سوط منها إحدى عينيه فسالت ، فأقعد إلى جنب أخيه عبد الله بن حسن بن حسن ، فعطش فاستسقى ماء ، فقال عبد الله بن حسن : يا معشر الناس ، من يستقي ابن رسول الله شربة ماء ؟ فتحاماه الناس فما سقوه حتى جاء خراساني بماء ، فسله إليه فشرب ، ثم لبثنا هنيهة ، فخرج أبو جعفر في شق محمل ، معادله الربيع في شقه الأيمن ، على بَغلة شقراء ، فناداه عبد الله : يا أبا جعفر ، والله ما هكذا فعلنا بأسرائكم يوم بدر ! قال : فأخسأه أبو جعفر ،

(١) ط : « لا يكنى » ، تصحيف ؛ صوابه من ابن الأثير .

(٢) ج وابن الأثير : « برسول الله » .

(٣) ج : « المحبوسين » . (٤) ج : « كأنما » .

وتفعل عليه ، ومضى ولم يعرج .

وذكر أن أبا جعفر لما دخل عليه محمد بن عبد الله العثماني سألته عن إبراهيم ، ١٧٨/٣
فقال : مالي به علم ، فذكر أبو جعفر وجهه بالحرز .

وذكر عمر عن محمد بن أبي حرب ، قال : لم يزل أبو جعفر جميل الرأي
في محمد حتى قال له رياح : يا أمير المؤمنين ، أما أهل خراسان فشيعةك
وأنصارك ، وأما أهل العراق فشيعة آل أبي طالب ، وأما أهل الشام فوالله ما على
عندهم إلا كافر ، وما يعتدون بأحد من ولده ، ولكن أخاهم محمد بن عبد الله
ابن عمرو ، ولودعا أهل الشام ما تخلف عنه منهم رجل . قال : فوقعت في نفس
أبي جعفر ، فلما حجّ دخل عليه محمد ، فقال : يا محمد ، أليس ابتك
تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن ؟ قال : بلى ، ولا عهد لي به إلا بمحني في
سنة كذا وكذا ، قال : فهل رأيت ابتك تختضب وتمشط ؟ قال : نعم ،
قال : فهي إذا زانية ، قال : مه يا أمير المؤمنين ! أتقول هذا لابنة عمك !
قال : يابن اللخاء ، قال : أي أمهاتي تلخن ! قال : يابن الفاعلة ، ثم
ضرب وجهه بالحرز وحدده (١) ، وكانت رقية ابنة محمد تحت إبراهيم بن
عبد الله بن حسن بن حسن ، ولها يقول :

خَلِيلِي مَنْ قَيْسٍ دَعَا اللُّومَ واقعدا يَسْرُكَمَا أَلَا أَنَاَمْ وَتَرُقْدَا
أَبَيْتُ كَأَنِّي مُسْعَرٌ مِنْ تَذَكُّرِي رُقِيَّةَ جَمْرًا مِنْ غَضَا مُتَوَقِّدَا
قال : وحدثني عيسى بن عبد الله بن محمد ، قال : حدثني سليمان بن
داود بن حسن ، قال : ما رأيت عبد الله بن حسن جَزِعَ من شيء مما ناله
إلا يوماً واحداً ، فإنّ بعير محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان انبعث وهو ١٧٩/٣
غافل ، لم يتأهّب له ، وفي رجله سلسلة ، وفي عنقه زَمّارة ، فهو ، وعلقت
الزّمّارة بالمحمل ، فرأيت منوطاً بعنقه يضطرب ، فرأيت عبد الله بن حسن قد
بكى بكاء شديداً .

قال : وحدثني موسى بن عبد الله بن موسى ، قال : حدثني أبي عن
أبيه ، قال : لما صرنا بالربذة ، أرسل أبو جعفر إلى أبي أن أرسل إلى أحدكم ؛

(١) حدده ، أي شق جلده .

واعلم أنه غير عائد إليك أبداً ، فابتدره بنو إخوته يعرضون أنفسهم عليه ، فجزاهم خيراً ، وقال : أنا ^(١) أكره أن أفجمعهم بكمم ، ولكن اذهب أنت يا موسى ، قال : فذهبتُ وأنا يومئذ حديث السن ، فلما نظر إلى قال : لا أنعم الله بك عينا ؛ السياط يا غلام قال : فضربتُ والله حتى غشي على ، فما أدري بالضرب ، فرفعت السياط عني ، ودعاني فقربت منه واستقر بني . فقال : أتدري ما هذا ؟ هذا فيض فاض مني ، فأفرغت منه سَجَلًا لم أستطع رده ؛ ومن ورائه الموت أو تفتدى منه . قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ والله إن ما لي ذنب ؛ وإنني لبمعزل عن هذا الأمر . قال : فانطلق فأتني بأخويك ، قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، تبعثني إلى رياح بن عثمان فيضع عليّ العيون والرصد ، فلا أسلك طريقاً إلا تبعني له رسول ، ويعلم ذلك أخوای فيهربان مني ! قال : فكتب إلى رياح : لا سلطان لك على موسى ، قال : وأرسل معي حرساً أمرهم أن يكتبوا إليه بخبري ، قال : فقدمت المدينة ، فنزلت دار ابن هشام بالبلاط ، فأقمتُ بها شهراً ، فكتب إليّ رياح : إن موسى مقيم بمنزله يترتص بأمر المؤمنين الدوائر ؛ فكتب إليه : إذا قرأت كتابي هذا فاحذرهِ إلى ، فحذرني .

قال : وحدثنني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثني موسى ، قال : أرسل أبي إلى أبي جعفر : إني كاتب إلى محمد وإبراهيم ؛ فأرسل موسى عسى أن يلقيهما ؛ وكتب إليهما أن يأتياه ، وقال لي : أبلغهما عني فلا يأتياه أبداً . قال : وإنما أراد أن يفلتن من يده — وكان أرق الناس عليّ ، وكنت أصغر ولد هند — وأرسل إليهما :

يا بُنَيَّ أُمِيَّةَ إني عنكما غانٍ وما الغنى غيرَ آني مُرْعَشٍ فإن
يا بُنَيَّ أُمِيَّةَ إِلَّا تَرَحَّمَا كِبَرِي فَإِنَّمَا أَنْتُمَا وَالشُّكْلُ مِثْلَانِ
قال : فأقمت بالمدينة مع رسل أبي جعفر إلى أن استبطأني رياح ، فكتب إلى أبي جعفر بذلك ، فحذرني إليه .

قال : وحدّثني يعقوب بن القاسم بن محمد ، قال : أخبرني عمران بن محرز من بني البَكَّاء ، قال : خرج بنبي حسن إلى الرّبدة ، فيهم عليّ وعبد الله ابنا حسن بن حسن بن حسن ، وأمّهما حُبابة ابنة عامر بن عبد الله بن عامر ابن بشر بن عامر ملاعب الأسنة ؛ فمات في السجن حسن بن حسن وعباس ابن حسن ، وأمّهم عائشة بنت طلحة بن عمر بن عبيد الله وعبد الله بن حسن وإبراهيم بن حسن .

قال عمر : حدّثني المدائني ، قال : لما خرّج بنبي حسن ، قال إبراهيم ١٨١/٣ ابن عبد الله بن حسن ، قال عمر : وقد أنشدني غير أبي الحسن هذا الشعر لغالب الهمداني^(١) :

ما ذِكرَكَ الدُّمْنَةُ القِفَارَ وأهَّ لَ الدَّارِ إِمَّا نَأْوِكَ أَوْ قَرَّبُوا
إِلَّا سَفَاهَا وَقَدْ تَفَرَّعَكَ الشَّيْبُ بِلَوْنٍ كَأَنَّهُ الْعَطْبُ^(٢)
وَمَرَّ خَمْسُونَ مِنْ سِنِيكَ كَمَا عَدَّ لَكَ الْحَاسِبُونَ إِذْ حَسَبُوا
فَعَدَّ ذِكْرَ الشَّبَابِ لَسْتُ لَهُ^(٣) وَلَا إِلَيْكَ الشَّبَابُ مُنْقَلِبُ
إِنِّي عَرَّتَنِي الْهُمُومُ فَاحْتَضَرَ الْهَمَّ وَسَادَى فَالْقَلْبُ مُنْشَعِبُ
وَأَسْتَخْرِجُ النَّاسَ لِلشَّقَاءِ وَخُلِّفْتُ لِدَهْرِ بَظْهِرِهِ حَدْبُ^(٤)
أَعْوَجَ يَسْتَعْدِبُ اللَّئَامُ بِهِ وَيَحْتَوِيهِ الْكِرَامُ إِنْ سَرَبُوا
نَفْسِي فَدَتْ شَيْبَةً هُنَاكَ وَظَنُّ بُوْبًا بِهِ مِنْ قِيُودِهِ نَدْبُ
وَالسَّادَةِ الْغُرِّ مِنْ بَنِيهِ فَمَا^(٥) رُوقِبَ فِيهِ الْإِلَهُ وَالنَّسَبُ
يَا حَلَقَ الْقَيْدِ مَا تَضَمَّنَ مِنْ حِلْمٍ وَبَرٍّ يَشْوِيهِ حَسَبُ
وَأُمَّهَاتُ مِنْ الْعَوَاتِكِ أَخْ لِمُضْنِكَ بِيضُ عَقَائِلِ عُرْبُ
كَيْفَ اعْتِذَارِي إِلَى الْإِلَهِ وَلَمْ يُشْمَهَنَّ فِيكَ الْمَأْثُورَةُ الْقُضْبُ!

(٢) ب : « القطب » .

(٤) ط : « وخالقت » .

(١) ب : « الهمداني » .

(٣) ت ، ج : « ليس له » .

(٥) ط : « والسارة الفر » .

ولم أَقْد غَارَةً مُدْلَمَمَةً فِيهَا بَنَاتُ الصَّرِيحِ تَنْتَحِبُ
وَالسَّابِقَاتُ الْحِيَادُ وَالْأَسْلُ الذِّ بَلُّ فِيهَا أَسِنَّةٌ ذُرْبُ
حَتَّى نُوَفِّي بَنِي نُتَيْلَةَ بِالْ— قِسْطٍ بِكَيْلِ الصَّاعِ الَّذِي احْتَلَبُوا
بِالْقَتْلِ قَتْلًا وَبِالْأَسِيرِ الَّذِي فِي الْقِدِّ أُسْرَى مَصْفُودَةً سُلْبُ
أَصْبَحَ آلُ الرَّسُولِ أَحْمَدَ فِي النَّ— اسِ كَذَى عُرَّةً بِهِ جَرَبُ
بُؤْسًا لَهُمْ مَا جَنَتْ أَكْفُهُمْ وَأَيَّ حَبْلٍ مِنْ أُمَّةٍ قَضَبُوا !
وَأَيَّ حَبْلٍ خَانُوا الْمَلِيكَ بِهِ شُدَّ بِمِيشَاقٍ عَقْدُهُ الْكَذِبُ

١٨٢/٣

وذكر عبد الله بن راشد بن يزيد ، قال : سمعتُ الجراح بن عمر وخاقان
ابن يزيد وغيرهما من أصحابنا يقولون : لما قدم بعبد الله بن حسن وأهله مُقَيَّدِينَ
فأشرف بهم على النَّجَفِ ، قال لأهله : أما ترون في هذه القرية مَنْ
يمنعنا من هذا الطاغية ؟ قال : فلقية ابنا أخي الحسن وعلىّ مشتملين على
سيفين ، فقالا له : قد جئتاك يا بن رسول الله ، فرمنا بالذي تريد ، قال :
قد قضيتُما ، ولن تُغنيا في هؤلاء شيئًا فانصرفا .

قال : وحدَّثني عيسى ، قال : حدَّثني عبد الله بن عمران بن أبي فروة ،
قال : أمر أبو جعفر أبا الأزهر فحبس بني حسن بالهاشمية .

قال : وحدَّثني محمد بن الحسن ، قال : حدَّثني محمد بن إبراهيم ،
قال : أتى بهم أبو جعفر ، فنظر إلى محمد بن إبراهيم بن حسن ، فقال :
أنت الديباج الأصفر^(١) ؟ قال : نعم ، قال : أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً
من أهل بيتك ، ثم أمر بأسطوانة مبنية ففرقت ، ثم أدخل فيها فبني عليه وهو حي .

قال محمد بن الحسن : وحدَّثني الزبير بن بلال ، قال : كان الناس
يختلفون إلى محمد ينظرون إلى حسنه .

قال عمر : وحدَّثني عيسى ، قال : حدَّثني عبد الله بن عمران ، قال :

(١) ط : « الأصفر » ، والصواب ما أثبتته من ت .

أخبرني أبو الأزهر ، قال : قال لي عبد الله بن حسن : ابغيني حجاً مأموراً ، فقد احتججتُ إليه ، فاستأذنت أمير المؤمنين ، فقال : آتية بحجامة مجيدة^(١) . ١٨٣/٣

قال : وحدثنني الفَضْلُ بن دُكَيْنَ بن أبي نعيم ، قال : حبس من بني حسن ثلاثة عشر رجلاً ، وحبس معهم العثماني وابنان له في قصر ابن هبيرة ؛ وكان في شرق الكوفة مما يلي بغداد ؛ فكان أول مَنْ مات منهم إبراهيم ابن حسن ، ثم عبد الله بن حسن ، فدفن قريباً من حيث مات ؛ وإلا يكن بالقبر الذي يزعم الناس أنه قبره ؛ فهو قريب منه .

وحديثي محمد بن أبي حرب ، قال : كان محمد بن عبد الله بن عمرو محبوساً عند أبي جعفر ، وهو يعلم براءته ؛ حتى كتب إليه أبو عَوْن من خراسان : أخبر أمير المؤمنين أن أهل خراسان قد تقاعسوا عنّي ، وطال عليهم أمر محمد بن عبد الله ؛ فأمر أبو جعفر عند ذلك بمحمد بن عبد الله بن عمرو ، فضرِبَتْ عنقه ، وأُرسل برأسه إلى خراسان ؛ وأقسم لهم أنه رأس محمد بن عبد الله ، وأن أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عمر : فحدثني الوليد بن هشام ، قال : حدثني أبي ، قال : لما صار أبو جعفر بالكوفة ، قال : ما أشتي^(٢) من هذا الفاسق من أهل بيت فسق ، فدعا به ، فقال : أزوّجت ابنتك ابن عبد الله ؟ قال : لا ، قال : أفليست بامرأته ؟ قال : بلى زوّجها إياه عمّها وأبوه عبد الله بن حسن فأجزت نكاحه ، قال : فأين عهدك التي أعطيتني ؟ قال : هي عليّ ، قال : أفلم تعلم بخضاب ! ألم تجد ريح طيب ! قال : لا علم لي ؛ قد علم القوم ما لك عليّ من الموائيق فكتموني ذلك كله ، قال : هل لك أن تستقيلني فأقيلك ، وتحدث لي أيّماناً مستقبلة ؟ قال : ما حنث بأيّمان فتجدّها عليّ ، ولا أحدث ما أستقيلك منه فتقيلني ؛ فأمر به فضرِب حتى مات ، ثم احتز رأسه ؛ فبعث به إلى خراسان ؛ فلما بلغ ذلك عبد الله بن حسن ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! والله إن كنّا لنأمن به في سلطانهم ، ثم قد قُتِل بنا في سلطاننا .

قال : وحدثنني عيسى بن عبد الله ، قال : حدثني مسكين بن عمرو ،

(١) ت وابن الأثير : « حجامة محمد » . (٢) ب ، ت : « أشتي » .

قال : لما ظهر محمد بن عبد الله بن حسن ، أمر أبو جعفر بضرب عنق محمد ابن عبد الله بن عمرو ، ثم بعث به إلى خراسان ؛ وبعث معه الرجال يحلفون بالله إنه لمحمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال عمر : فسألت محمد بن جعفر بن إبراهيم ، في أى سبب قتل محمد بن عمرو ؟ قال : احتيج إلى رأسه .

قال عمر : وحدثنى محمد بن أبي حرب ، قال : كان عون بن أبي عون خليفة أبيه بباب أمير المؤمنين ؛ فلما قُتل محمد بن عبد الله بن حسن وجهه أبو جعفر برأسه إلى خراسان ، إلى أبي عون مع محمد بن عبد الله بن أبي الكرام وعون بن أبي عون ؛ فلما قدم به ارتاب أهل خراسان ، وقالوا : أليس قد قُتل مرةً وأتيننا برأسه ! قال : ثم تكشف لهم الخبر حتى علموا حقيقته ؛ فكانوا يقولون : لم يُطْلَع من أبي جعفر على كذبةٍ غيرها .

قال : وحدثنى عيسى بن عبد الله ، قال : حدثني عبد الله بن عمران بن أبي فروة ، قال : كنا نأتى أبا الأزهر ونحن بالهاشمية أنا والشعباني ، فكان أبو جعفر يكتب إليه : من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى أبي الأزهر مولاه ، ويكتب أبو الأزهر إلى أبي جعفر : من أبي الأزهر مولاه وعبيده ؛ فلما كان ذات يوم ونحن عنده — وكان أبو جعفر قد ترك له ثلاثة أيام لا ينوبها ؛ فكنا نخلو معه في تلك الأيام — فأتاه كتاب من أبي جعفر ، فقرأه ثم رى به ، ودخل إلى بنى حسن وهم محبسون . . قال : فتناولت الكتاب وقرأته ؛ فإذا فيه : انظريا أبا الأزهر ما أمرتك به في مدلته فعجله وأنفذه . قال : وقرأ الشعباني الكتاب فقال : تدري من مدلته ؟ قلت : لا ، قال : هو والله عبد الله بن حسن ، فانظر ما هو صانع . قال : فلم نلبث أن جاء أبو الأزهر ، فجلس فقال : قد والله هلك عبد الله بن حسن ، ثم لبث قليلاً ثم دخل وخرج مكتئباً ، فقال : أخبرني عن علي بن حسن ، أى رجل هو ؟ قلت : أمصدق أنا عندك ؟ قال : نعم ، وفوق ذلك ؛ قال : قلت : هو والله خير من تقله هذه وتظله هذه ! قال : فقد والله ذهب .

قال : وحدثنى محمد بن إسماعيل ، قال : سمعتُ جدّي موسى بن عبد الله

يقول : ما كنّا نعرف أوقات^(١) الصلاة في الحبس إلا بأحزاب كان يقرؤها علىّ بن حسن .

قال عمر : وحدّثنى ابنُ عائشة ، قال : سمعتُ مولّى لبني دارم ، قال : قلت لبشير الرّحال^(٢) ما يسرّك^(٣) إلى الخروج علىّ هذا الرجل ؟ قال : إنه أرسل إلىّ بعد أخذه عبد الله بن حسن فأتيته ، فأمرني يوماً بدخول بيت فدخلته ، فإذا بعبد الله بن حسن مقتولاً ، فسقطت مغشياً علىّ ، فلما أفقت أعطيت الله عهداً ألاّ يختلف في أمره سيّفان إلا كنتُ مع الذي عليه منهما . ١٨٦/٣
وقلت للرسول الذي معي من قبيلته : لا تخبره بما لقيت ؛ فإنه إن علم قتلني . قال عمر : فحدّثت به هشام بن إبراهيم بن هشام بن راشد من أهل همدان . وهو العباسيّ أن أبا جعفر أمر بقتله ، فحلف بالله ما فعل ذلك ؛ ولكنه دسّ إليه من أخبره أن محمداً قد ظهر فقتل ، فانصدع قلبه ، فمات .

قال : وحدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال : قال من بقي منهم : إنهم كانوا يسقون ؛ فأتوا جميعاً لإسليمان وعبد الله ابني داود بن حسن بن حسن وإسحاق وإسماعيل ابني إبراهيم بن حسن بن حسن ، وجعفر بن حسن ، فكان من قتل منهم إنما قتل بعد خروج محمد .

قال عيسى : فنظرتُ مولاة^١ لآل حسن إلى جعفر بن حسن ، فقالت : بنفسى أبوجعفر ! ما أبصره بالرجال حيث يطلقك وقتل عبد الله بن حسن !

* * *

ذكر بقية الخبر عن الأحداث التي كانت في سنة أربع وأربعين ومائة

فمن ذلك ما كان من حمل أبي جعفر المنصور بنى حسن بن حسن بن علىّ من المدينة إلى العراق .

(١) كذا في ت ، وفي ط : « وقوت » .

(٢) ط : « الرجال » ، تحريف ، وصوابه من ت وابن الأثير .

(٣) ب ، ت : « تسرك » .

* ذكر الخبر عن سبب حمله لإياهم إلى العراق :

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : لما ولّى أبو جعفر رباح بن عثمان بن حيّان المرىّ المدينة ، أمره بالجدّ في طلب محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن وقلة الغفلة عنهما . ١٨٧/٣

قال محمد بن عمر : فأخبرني عبد الرحمن بن أبي الموالى ؛ قال : فجدّ رباح في طلبهما ولم يداهن ، واشتدّ في ذلك كلّ الشدة حتى خافا ؛ وجعلا ينتقلان من موضع إلى موضع ، واغتتمّ أبو جعفر من تبغييهما ؛ وكتب إلى رباح ابن عثمان : أن يأخذ أباهما عبد الله بن حسن وإخوته : حسن بن حسن وداود ابن حسن وإبراهيم بن حسن ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان — وهو أخوهم لأُمهم فاطمة بنت حسين — في عدة منهم ، ويشدّهم وثاقاً ، ويبعث بهم إليه حتى يوافوه بالرّبذة . وكان أبو جعفر قد حجّ تلك السنة وكتب إليه أن يأخذن معهم فيبعث بي إليه أيضاً . قال : فأدركتُ وقد أهلت بالحجّ ، فأخذتُ فطريحت في الحديد ، وعورض بي الطريق حتى وافيتهم بالرّبذة .

قال محمد بن عمر : أنا رأيتُ عبد الله بن حسن وأهل بيته يُخَرّجون من دار مَرّوان بعد العصر وهم في الحديد ؛ فيحملون في المحامل ؛ ليس تحتهم وطاء ؛ وأنا يومئذ قد راهقتُ الاحتلام ، أحفظ ما أرى .

قال محمد بن عمر : قال عبد الرحمن بن أبي الموالى : وأخذ معهم نحو من أربعمائة ، من جُهِينَة ومُزِينَة وغيرهم من القبائل ؛ فأراهم بالرّبذة مكتفين في الشمس . قال : وسُجنت مع عبد الله بن حسن وأهل بيته . ووافى أبو جعفر الرّبذة منصرفاً من الحجّ ، فسأل عبد الله بن حسن أبا جعفر أن يأذن له في الدّخول عليه ، فأبى أبو جعفر ؛ فلم يره حتى فارق الدنيا . قال : ثم دعاني أبو جعفر من بينهم ، فأقعدت حتى أدخلت — وعنده عيسى بن عليّ — فلما رآني عيسى ، قال : نعم ؛ هو هو يا أمير المؤمنين ؛ وإنّ أنت شددت عليه أخبرك بمكانهم . فسلمت ، فقال أبو جعفر : لا سلّم الله عليك ! أين الفاسقان ابنا الفاسق ، الكذابان ابنا الكذاب ؟ قال : قلت : هل ينفعني الصدق يا أمير المؤمنين ١٨٨/٣

عندك؟ قال : وما ذاك؟ قال : امرأته طالق ، وعلى وعلى ، إن كنت أعرف مكانهما ! قال : فلم يقبل ذلك مني ، وقال : السياط ! وأقمت بين العقابيين ، فضررتني أربع مائة سوط ؛ فها عقلت بها حتى رفع عني ، ثم حُملت إلى أصحابي على تلك الحال ، ثم بعث إلى الديباج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان ؛ وكانت ابنته تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فلما أدخل عليه قال : أخبرني عن الكذابين ما فعلا ؟ وأين هما ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما لي بهما علم ، قال : لتخبرني ، قال : قد قلت لك وإني والله لصادق ؛ ولقد كنت أعلم علمهما قبل اليوم ؛ وأما اليوم فإني والله بهما أعلم . قال : جردوه ، فجرد فضر به مائة سوط ، وعليه جامعة حديد في يده إلى عنقه ؛ فلما فرغ من ضربه أخرج فألبس قميصاً له قُوْهيّاً^(١) على الضرب ، وأتى به إلينا ؛ فوالله ما قدروا على نزع القميص من لُصوقه بالدم ، حتى حلبوا عليه شاة ، ثم انتزع القميص ثم داووه . فقال أبو جعفر : احدثوا بهم إلى العراق ، فقدم بنا إلى الهاشمية ، فحبسنا بها ؛ فكان أول من مات في الحبس عبد الله ابن حسن ؛ فجاء السجن فقال : ليخرج أقربكم به فليصل عليه ؛ فخرج ١٨٩/٣ أخوه حسن بن حسن بن علي عليهم السلام ، فصلت عليه . ثم مات محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فأخذ رأسه ، فبعث به مع جماعة من الشيعة إلى خراسان ؛ فطافوا في كُور خراسان ، وجعلوا يلحفون بالله أن هذا رأس محمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه ؛ يوهمون الناس أنه رأس محمد بن عبد الله بن حسن ؛ الذي كانوا يجدون خروجه على أبي جعفر في الرواية .

* * *

وكان وإلى مكة في هذه السنة السري بن عبد الله ، وإلى المدينة رياح ابن عثمان المرقى ، وإلى الكوفة عيسى بن موسى ، وإلى البصرة سفيان بن معاوية .

وعلى قضائها سوار بن عبد الله ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

(١) القوي : ثياب بيض تنسب إلى قوهستان ؛ كورة بين نيسابور وهراة .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك خروج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة ،
وخروج أخيه إبراهيم بن عبد الله بعده بالبصرة ومقتلهما .

* * *

ذكر الخبر عن مخرج محمد بن عبد الله ومقتله

ذكر عمر أن محمد بن يحيى حدثه ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ،
قال : (١) لما انحدر أبو جعفر بنى حسن^(١) ، رجع رياح إلى المدينة ، فألح في
الطلب ، وأخرج محمداً حتى عزم على الظهور .

قال عمر : فحدثت إبراهيم بن محمد بن عبد الله الجعفرى أن محمداً أخرج ،
فخرج قبل وقته الذى فارق عليه أخاه إبراهيم ، فأذكر ذلك ، وقال : ما زال
محمد يطلب أشد الطلب حتى سقط ابنه فأت وحته رهقه الطلب ، فتدلى
في بعض آبار المدينة يناول أصحابه الماء ، وقد انغمس فيه إلى رأسه ، وكان بدنه
لا يخفى عظماً ، ولكن إبراهيم تأخر عن وقته لجدري أصابه . ١٩٠/٣

قال : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال :
تحدث أهل المدينة بظهور محمد ، فأسرعنا في شراء الطعام حتى باع بعضهم^(٢)
حلى نسائه ، وبلغ رياحاً أن محمداً أتى المذاذ^(٣) ، فركب في جنده يريد
وقد خرج قبله محمد يريد^(٤) ، ومعه جبير بن عبد الله السلمي وجبیر
ابن عبد الله بن يعقوب بن عطاء وعبد الله بن عامر الأسلمي ؛ فسمعوا سقاءة
تحدث صاحبتهما أن رياحاً قد ركب يطلب محمداً بالمداد ، وأنه قد سار
إلى السوق ، فدخلوا داراً للهيئة وأجافوا بابها عليهم ، ومر رياح على
الباب لا يعلم بهم ، ثم رجع إلى دار مروان ؛ فلما حضرت العشاء الأخيرة
صلى في الدار ولم يخرج .

(١-١) ت ، هـ : « لما أهدر أبو جعفر بنى حسن » . (٢) ج : « أحدهم في ذلك » .

(٣) ت ، وابن الأثير : « المذاذ » . (٤) كذا في ت ، ووط : « يريد المذاذ » .

وقيل : إن الذي أعلم رياحاً بمحمد سليمان بن عبد الله بن أبي سبرة من بني عامر بن لؤي .

وذكر عن الفضل بن دكين ، قال : بلغني أن عبيد الله بن عمرو بن أبي ذؤيب وعبد الحميد بن جعفر دخلوا على محمد قبل خروجه ، فقالوا له : ما ننتظر بالخروج ! والله ما نجد في هذه الأمة أحداً أشأم عليها منك . ما يمنعك أن تخرج وحدك !

قال : وحدثني عيسى ، قال : حدثني أبي ، قال : بعث إلينا رياح فأتيته أنا وجعفر بن محمد بن علي بن حسين ، وحسين بن علي بن حسين بن علي ، وعلي بن عمر بن علي بن حسين بن علي ، وحسن بن علي بن حسين ١٩١/٣ ابن علي بن حسين بن علي ورجال من قريش ؛ منهم إسماعيل بن أيوب ابن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة ، ومعه ابنه خالد ، فإنا لعنده في دار مروان إذ سمعنا التكبير قد حال دون كل شيء ، فظنناه من عند الحرّس ، وظنّ الحرّس أنه من الدار . قال : فوثب ابن مسلم بن عقبة — وكان مع رياح — فاتّكأ على سيفه ، فقال : أطعني في هؤلاء فاضرب أعناقهم ؛ فقال علي بن عمر : فكردنا والله تلك الليلة أن نطيح حتى قام حسين بن علي ، فقال : والله ما ذاك لك ؛ إنا على السمع والطاعة . قال : وقام رياح ومحمد بن عبد العزيز ، فدخلنا جنبذاً^(١) في دار يزيد ، فاختمنا فيه ، وقمنا فخرجنا من دار عبد العزيز ابن مروان حتى تسوّرنا على كيبأ^(٢) كانت في زقاق عاصم بن عمرو ، فقال إسماعيل بن أيوب لابنه خالد : يا بني ، والله ما تجيئني نفسي إلى الوثوب ، فارفعني ، فرفعه .

وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني عبد العزيز بن عمران ، قال : حدثني أبي قال : جاء الخبر إلى رياح وهو في دار مروان أن محمداً خارج الليلة ، فأرسل إلى أخيه محمد بن عمران وإلى العباس بن عبد الله بن الحارث ابن العباس وإلى غير واحد . قال : فخرج أخى وخرجت معه ؛ حتى

(١) هـ ، ب : « جنبذا » ، وفي من غير نقط . (٢) الكبا : المرتفع من الأرض .

دخلنا عليه بعد العشاء الآخرة ، فسلمنا عليه فلم يردّ علينا ، فجلسنا فقال أخى : كيف أمسى الأمير أصلحه الله ! قال : بخير - بصوت ضعيف - ١٩٢/٣ قال : ثم صمت طويلاً ثم تنبّه ، فقال : إيهما يأهل المدينة ! أمير المؤمنين يطلب بغيتته فى شرق الأرض وغربها ؛ وهو ينتفق بين أظهركم ! أقسم بالله لئن خرج لا أترك منكم أحداً إلا ضربت عنقه . فقال أخى : أصلحك الله ! أنا عذيرك منه ، هذا والله الباطل ، قال : فأنت أكثر من ها هنا عشيرة ؛ وأنت قاضى أمير المؤمنين ، فادعُ عشيرتك . قال : فوثب أخى ليخرج ، فقال : اجلس ، اذهب أنت يا ثابت ، فوثبتُ ، فأرسلت إلى بنى زُهرة ممن يسكن حشّ طلحة ودار سعد ودار بنى أزهر : أن أحضروا سلاحكم . قال : فجاء منهم بيشر ، وجاء إبراهيم بن يعقوب بن سعد بن أبى وقاص متكبّياً قوساً - وكان من أرمى الناس - فلما رأيتُ كثرتهم ، دخلت على رياح ، فقلت : هذه بنو زُهرة فى السلاح يكونون معك ، ائذن لهم . قال : هيهات ! تريد أن تدخل على الرجال طروقاً^(١) فى السلاح ، قل لهم : فليجلسوا فى الرحبة ؛ فإن حدث شىء فليقاتلوا ، قال : قلت لهم : قد أبى أن يأذن لكم ، لا والله ما ها هنا شىء ، فاجلسوا^(٢) بنا نتحدّث .

قال : فمكثنا قليلاً ، فخرج العباس بن عبد الله بن الحارث فى خيل يعسّ حتى جاء رأس الثنيّة ، ثم انصرف إلى منزله وأغلقه عليه ؛ فوالله إنا لعلّى تلك الحال إذ طلع فارسان من قبل الزوراء يركضان ؛ حتى وقفا بين دار عبد الله بن مُطيع ورحبة القضاء^(٣) فى موضع السقاية . قال : قلنا : شرّ الأمر والله جدّ . قال : ثم سمعنا صوتاً بعيداً ، فأقمنا ليلاً طويلاً ، فأقبل محمد بن عبد الله من المذاد ومعه مائتان وخمسون رجلاً ، حتى إذا شرع على بنى سَلَمَة وبُطْحان ، قال : اسلكوا بنى سَلَمَة إن شاء الله . قال : فسمعنا تكبيراً ؛ ثم هداً الصوت فأقبل حتى إذا خرج من زُقاق ابن حيين^(٤) استبطن السوق حتى جاء على التمارين ؛ حتى دخل من أصحاب الأقفاص ، فأتى السجن وهو يومئذ فى دار ابن هشام ، فدقّه ، وأخرج من كان فيه ، ثم

(٢) ج : « فادخلوا » ، هـ : « فاخلوا » .

(٤) ت : « أبى » .

(١) طروقاً ، أى ليلاً .

(٣) ت ، ج : « القضاء » .

أقبل حتى إذا كان بين دار يزيد ودار أويس نظرنا إلى هَوَلٍ من الهَوَلِ (١) .
قال : فنزل إبراهيم بن يعقوب ، ونكب كنانته وقال : أرمي ؟ فقلنا : لا تفعل ،
ودار محمد بالرحبة ، حتى جاء بيت عاتكة بنت يزيد ، فجلس على بابها ،
وتناوش الناس حتى قتل رجل سندی كان يستصبح في المسجد ، قتله رجل
من أصحاب محمد .

قال : وحدثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، أخبرني جهم بن عثمان ؛
قال : خرج محمد من المذاد على حمار ونحن معه ، فولّى خوات بن بكير بن
خوات بن جبير الرّجالة ، وولّى عبد الحميد بن جعفر الحربة ، وقال : اكفنيها ،
فحملها ثم استعفاها منها فأعفاها ؛ ووجهه مع ابنه حسن بن محمد .

قال : وحدثنى عيسى ، قال : حدثني جعفر بن عبد الله بن يزيد بن
رُكّانة قال : بعث إبراهيم بن عبد الله إلى أخيه بحملىّ سيف ، فوضعها
بالمذاد ، فأرسل إلينا ليلة خرج : وما نكون ؟ مائة رجل ! وهو على حمار
أعرابيّ أسود ، فافترق طريقان : طريق بَطْطَحان وطريق بني سلمة ، فقلنا له : ١٩٤/٣
كيف نأخذ ؟ قال : على بني سلمة ، يسلمكم الله ؛ قال : فجئنا حني صرنا
بباب مَرَوّان .

قال : وحدثنى محمد بن عمرو بن رُتبيل بن نهشل أحد بني يربوع ،
عن أبي عمرو المدينيّ - شيخ من قريش - قال : أصابتنا السماء بالمدينة أياماً ،
فلما أفلعت خرجت في غبها متمطراً (٢) ، فانتسأت (٣) عن المدينة ؛ فإني لفي
رحلى إذا هبط على رجل لا أدري من أين أتى ، حتى جلس إلىّ ، وعليه
أطمار له دَرنة وعمامة رثة ، فقلت له : من أين أقبلت ؟ قال : من غُصيمة
لى أوصيت راعيها بحاجة لى ، ثم أقبلت أريد أهلى . قال : فجعلت لا أسلك
من العلم طريقاً إلا سبقنى إليه وكثرتني فيه ، فجعلت أعجب له ولما يأتى به ،
قلت : ممن الرجل ؟ قال : من المسلمين ، قلت : أجل ، فمن أيهم أنت ؟
قال : لا عليك ؛ ألا تريد (٤) ؟ قلت : بلى علىّ ذلك ؛ فمن أنت ؟ قال :
فوثب وقال :

(١) الهَوَل : جمع هول ؛ وهو موضع المخافة . (٢) تمطر في مشيه ، أى أسرع .

(٣) انتسأت ، أى ابتعدت . (٤) ب : « تزيد » .

• منخرق الحُفَيَّين يشكو الوجى (١) •

الآبيات الثلاثة .

قال : ثم أدبر فذهب ؛ فوالله ما فات مدى بصرى حتى ندمت على تركه قبل معرفته ؛ فاتبعته لأسأله ؛ فكأن الأرض التأمت عليه ، ثم رجعت إلى رحلى ، ثم أتيت المدينة فما غبرت إلّا يومى وليلتى ؛ حتى شهدت صلاة الصبح بالمدينة ، فإذا رجل يصلى بنا ، لا أعرف صوته ، فقراً : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ ، فلما انصرف صعد المنبر ، فإذا صاحبي ، وإذا هو محمد بن عبد الله بن حسن . ١٩٥/٣

قال : وحدثني إسماعيل بن إبراهيم بن هود مولى قريش ، قال : سمعت إسماعيل بن الحكم بن عوانة يخبر عن رجل قد سماه بشيئة بهذه القصة (٢) . قال إسماعيل : فحدثت بها رجلاً من الأنبار يكنى أبا عبيد ؛ فذكر أن محمداً - أو إبراهيم - وجه رجلاً من بنى ضبة - فيما يحسب إسماعيل بن إبراهيم بن هود - ليعلم له بعض علم أبي جعفر ، فأتى الرجل المسيّب وهو يومئذ على الشرط ، فتّ إليه برحمته ، فقال المسيّب : إنه لا بدّ من رفعك إلى أمير المؤمنين . فأدخله على أبي جعفر فاعترف ، فقال : ما سمعته يقول ؟ قال :

شَرَدَهُ الْخَوْفُ فَأَزْرَى بِهِ كَذَاكَ مِنْ يَكْرُهُ حَرَّ الْجَلَادِ

قال أبو جعفر : فأبلغه أنا نقول :

وخطّة ذُلٌّ نجعلُ الموتَ دونها نقول لها للموت أهلاً ومرحباً
وقال : انطلق فأبلغه (٣) .

قال عمر : وحدثني أزهر بن سعيد بن نافع - وقد شهد ذلك - قال : خرج محمد في أول يوم من رجب سنة خمس وأربعين ومائة ، فبات بالمزاد هو وأصحابه ، ثم أقبل في الليل ، فدقّ السجن وبيت المال ، وأمر برياح وابن مسلم فحجّسا معاً في دار ابن هشام .

(٢) ت ، هـ : « سماه هذه القصة » .

(١) انظر ص ١٧٠ من هذا الجزء .

(٣) ت ، ج ، هـ : « فأعلنى » .

قال : وحدّثني يعقوب بن القاسم ، قال : حدّثني عليّ بن أبي طالب ، قال : خرج محمد لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة .

وحّدثني عمر بن راشد ، قال : خرج لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ، فرأيت عليه ليلة خرج قلنسوة صفراء مضرية وجبة صفراء ، وعمامة قد شدّ بها حقويّه وأخرى قد اعتمّ بها ، متوشحاً سيفاً ، فجعل يقول لأصحابه : ١٩٦/٣ لا تقتلوا ، لا تقتلوا . فلما امتنعت منهم الدار ، قال : ادخلوا من باب المقصورة ، قال : فاقتحموا وحرّقوا باب الخوخة التي فيها ، فلم يستطع أحد أن يمرّ ، فوضع رزام مولى القسريّ ترسه على النار ، ثمّ تخطّى عليه ، فصنع الناس ما صنع ، ودخلوا من بابها ، وقد كان بعض أصحاب رياح مارسوا على الباب ، وخرج من كان مع رياح في الدار من دار عبد العزيز من الحمام ، وتعلّق رياح في مشربة في دار مروان ، فأمر بدرجها فهُدّمت ، فصعدوا إليه ، فأنزّلوه وحبسوه في دار مروان ، وحبسوا معه أخاه عباس بن عثمان . وكان محمد بن خالد وابن أخيه النذير بن يزيد ورزام في الحبس ، فأخرجهم محمد ، وأمر النذير بالاستيثاق من رياح وأصحابه .

قال : وحدّثني عيسى ، قال : حدّثني أبي ، قال : حبس محمد رياحاً وابن أخيه وابن مسلم بن عقبة في دار مروان .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن خاله راشد بن حفص ، قال : قال رزام للنذير : دَعْنِي وإياه فقد رأيت عذابته إياي . قال : شأنك وإياه ، ثمّ قام ليخرج ، فقال له رياح : يا أبا قيس ؛ قد كنتُ أفعل بكم ما كنتُ أفعل ، وأنا بسؤددكم عالم . فقال له النذير : فعلت ما كنت أهله ، ونفعل اما نحن أهله ، وتناوله رزام فلم يزل به رياح يطلب إليه حتى كفّ ، وقال : والله إن كنت لبَطِيراً عند القدرة ، لثيماً عند البلية .

قال : وحدّثني موسى بن سعيد الجُمَحِيّ ، قال : حبس رياح محمد ١٩٧/٣ ابن مروان بن أبي سليط من الأنصار ، ثمّ أحد بني عمرو بن عوف ، فمدحه وهو محبوس ، فقال :

وما نَسِيَ الذَّمَامَ كَرِيمٌ قَيْسٌ وَلَا مُلْقَى الرِّجَالِ إِلَى الرِّجَالِ
إِذَا مَا الْبَابَ قَعَقَعَهُ سَعِيدٌ هَدَجْنَا نَحْوَهُ هَدَجَ الرِّثَالِ
دَبِيبَ الذَّرِّ تُصْبِحُ حِينَ^(١) يَمْشِي قِصَارَ الْخَطْوِ غَيْرَ ذَوَى اخْتِيَالِ

قال : حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني إسماعيل بن يعقوب التيمي قال : صعيد محمد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
أما بعد أيها الناس ؛ فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخفَ عليكم ؛ من بنائه القبة الخضراء التي بناها معانداً لله في ملكه ، وتصغيراً للكعبة الحرام ؛ وإنما أخذ الله فرعون حين قال : ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾^(٢) وإنَّ أحقَّ الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين . اللهم ! إنَّهم قد أحلَّوا حرامك ، وحرَّموا حلالك ، وآمنوا من أخفت ، وأخافوا من آمنت . اللهم ! فأحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحداً . أيها الناس إني والله ما خرجت من بين أظهركم وأنتم عندى أهل قُوَّة ولا شدة . ولكنى اخترتكم لنفسي ؛ والله ما جئت هذه وفي الأرض مصرٌّ يعبد الله فيه إلا وقد أخذت لي فيه البيعة .

١٩٨/٣

قال : وحديث موسى بن عبد الله ، قال : حدثني أبي عن أبيه ، قال : لما وجهته رباح بلغ محمداً فخرج من ليلته ؛ وقد كان رباحٌ تقدَّم إلى الأجناد الذين معي ، إن اطلع عليهم من ناحية المدينة رجل أن يضربوا عنقي ؛ فلما أُتِيَ محمد برباح ، قال : أين موسى ؟ قال : لا سبيل إليه ، والله لقد حذرته إلى العراق . قال : فأرسل في أثره فردّه . قال : قد عهدت إلى الجند الذين معه إن رأوا أحداً مقبلاً من المدينة أن يقتلوه . قال : فقال محمد لأصحابه : مَنْ لى بموسى ؟ فقال ابن خضير : أنا لك به . قال : فانظر رجالاً ؛ فانتخب رجالاً ثم أقبل . قال : فوالله ما راعنا إلا وهو بين أيدينا ؛ كأنما أقبل من العراق ، فلما نظر إليه الجند قالوا : رسل أمير المؤمنين ، فلما خالطونا شهروا السلاح ، فأخذني القائد وأصحابه ، وأناخ بي وأطلقني من وثاقي ، وشخص بي حتى أقدمني على محمد .

قال عمر : حدثني عليّ بن الجعد ، قال : كان أبو جعفر يكتب إلى محمد عن ألسن قوّاده يدعونه إلى الظهور ، ويخبرونه أنهم معه ؛ فكان محمد يقول : لو التقينا مال إلى القوّاد كلهم .

قال : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : لما أخذ محمد المدينة استعمل عليها عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المخزومي ، وعلى الشرط أبا القلمّس عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المِسُور بن مخزومة ، وبعث إلى ١٩٩/٣ محمد بن عبد العزيز : إني كنت لأظنك ستنصرنا ، وتقيم ^(١) معنا . فاعتذر إليه وقال : أفعَل ؛ ثم انسلّ منه فأتى ^(٢) مكة .

قال : وحدثني إسماعيل بن إبراهيم بن هود ، قال : حدثني سعيد بن يحيى أبو سفيان الحميري ، قال : حدثني عبد الحميد بن جعفر ، قال : كنت على شرط محمد بن عبد الله حتى وجّهني ^(٣) وجهاً ، وولى شرطه الزبير . قال : وحدثني أزهر بن سعيد بن نافع ، قال : لم يتخلف عن محمد أحد من وجوه الناس إلّا نفر ؛ منهم الضحّاك بن عثمان بن عبد الله بن خالد بن حزام وعبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام ، وأبوسلمة بن عبيد الله ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب وخبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير . قال : وحدثني يعقوب بن القاسم ، قال : حدثني جدّتي كلثم بنت وهب ، قالت : لما خرج محمد تنحّى أهل المدينة ، فكان فيمن خرج زوجي عبد الوهاب بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير إلى البقيع ، فاخبتأت عند أسماء بنت حسن ^(٤) بن عبد الله بن عبد الله بن عباس . قالت : فكتب إلى عبد الوهاب بأبيات قالها ، فكتبت إليه :

رَحِمَ اللهُ شَبَابًا قَاتَلُوا يَوْمَ الشَّيْءِ ^(٥)

(١) ج وابن الأثير : « وتقوم » . (٢) ب : « وأتى » .
(٣) ج : « فوجهي » . (٤) ط ، « حسين » ؛ والصواب ما أثبتته من ت ، هـ .
(٥) مقاتل الطالبين ٢٤٩ .

قاتلوا عنه : بُنيًا تٌ وأحسابٌ نقيّةٌ^(١)
 فرَّ عنه الناس طُرًّا غيرَ خيلٍ أسديّةٍ
 قالت^(٢) : فزاد الناس :

٢٠٠/٣

قتَلَ الرحمنُ عيسى قاتِلَ النفسِ الزَّكيّةِ

قال : وحدَّثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم ابن سنان الحكمي أَخُو الأنصار ، قال : أخبرني غير واحد أن مالك بن أنس استُفتي في الخروج مع محمد ، وقيل له : إنَّ في أعناقنا بيعةً لأبي جعفر ، فقال : إنما بايعتم مكرهين ، وليس على كل مكره يمين . فأسرع الناس إلى محمد ، ولزم مالك بيته .

وحدَّثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدَّثني ابنُ أبي مليكة مولى عبد الله ابن جعفر ، قال : أرسل محمد إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر — وقد كان بلغ عُمرًا — فدعاه محمد حين خرج إلى البيعة ، فقال : يا ابن أخي ، أنت والله مقتول ، فكيف أبايك ! فارتدع الناس عنه قليلا ، وكان بنو معاوية قد أسرعوا إلى محمد ، فأثته حمادة بنت معاوية ، فقالت : يا عم ، إن إخواني قد أسرعوا إلى ابن خالهم ، وإنك إن قلت هذه المقالة ثبَّطت عنه الناس ، فيقتل ابن خالي وإخواني . قال : فأبى الشيخ إلّا النهي عنه ؛ فيقال^(٣) : إنَّ حمادة عدت عليه فقتلته ؛ فأراد محمد الصلاة عليه ، فوثب عليه عبد الله بن إسماعيل ، فقال : تأمر بقتل أبي ثم تصلي^(٤) عليه ! فنحاه الحرس ، وصلى عليه محمد . قال : وحدَّثني عيسى ، قال : حدَّثني أبي ، قال : أتى محمد بعبيد الله ابن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ مغمضاً عينيه ، فقال : إن عليّ يميناً إن رأيته لأقتلته . فقال عيسى بن زيد : دعني أضرب عنقه ، فكفَّته عنه محمد .

٢٠١/٣

قال : وحدَّثني أيوب بن عمر ، قال : حدَّثني محمد بن معن ، قال : حدَّثني محمد بن خالد القسري ، قال : لما ظهر محمد وأنا في حبس ابن

(١) ب ، هـ : « نقيّة » .
 (٢) ج : « قلت » .
 (٣) ب : « فقال » .
 (٤) ب : « وتصل » .

حيث أن أطلقني ؛ فلما سمعت دعوته التي دعا إليها على المنبر ، قلت : هذه دعوة حق ؛ والله لأبدين الله فيها بلاء حسناً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنك قد خرجت في هذا ^(١) البلد ؛ والله لو وقف على نقب من أنقابه مات أهلُه جوعاً وعطشاً ؛ فانهض معي ؛ فلما هي عشر حتى أضربه بمائة ألف سيف . فأبى علي ؛ فلما لعنده يوماً إذ قال لي : ما وجدنا من حرّ المتاع شيئاً أجودَ من شيء وجدناه عند ابن أبي فرّوة ، ختن أبي الحصيب - وكان انتهبه - قال : فقلت : ألا أراك قد أبصرت حرّ المتاع ! فكُتبتُ إلى أمير المؤمنين فأخبرته بقلّة مَنْ معه ، فعطف عليّ ، فحبسني حتى أطلقني عيسى بن موسى بعد قتله إياه .

قال : وحدّثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، قال : حدثتني أختي بُريكة بنت عبد الحميد ، عن أبيها ، قال : إني لعند محمد يوماً ورجله في حجرى ؛ إذ دخل عليه خوات بن بكير بن خوات بن جبّير ، فسلم عليه ، فردّ عليه سلاماً ليس بالقوى ، ثم دخل عليه شاب من قريش ، فسلم عليه فأحسن الردّ عليه ، فقلت : ما تدع عصبيتك بعد ! قال : وما ذلك ^(٢) ؟ قلت : دخل عليك سيد الأنصار فسلم فرددت عليه ردّاً ضعيفاً ، ودخل ٢٠٢/٣ عليك صعلوك من صعاليك قريش فسلم فاحتفلت في الردّ عليه ! فقال : ما فعلت ذاك ؛ ولكنك تفقدت منى ما لا يتفقّد أحد من أحد .

قال : وحدّثني عبد الله بن إسحاق بن القاسم ، قال : استعمل محمد الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على مكة ، ووجهه معه القاسم بن إسحاق واستعمله على اليمن .

قال : وحدّثني محمد بن إسماعيل عن أهله ، أن محمداً استعمل القاسم ابن إسحاق على اليمن وموسى بن عبد الله على الشام ، يدعوان إليه ؛ فقُتِل قبل أن يصلّا .

قال : وحدّثني أزهر بن سعيد ، قال : استعمل محمد حين ظهر عبدالعزیز ابن الدراوردي على السلاح .

قال : وأخبرني محمد بن يحيى ومحمد بن الحسن بن زبالة وغيرهما ، قالوا^(١) :
لما ظهر محمد ، قال ابن هـ رمة -- وقد أنشد بعضهم ما لم ينشد غيره لأبي جعفر :
غلبت على الخلافة من تمنى
ومناه المفضل بها الفضل
فأهلك نفسه سفها وجبنا
ولم يقسم له منها فتيل
ووازره ذوو طمع فكانوا
غذاء السيل يجمعه السيول
دعوا لبليس إذ كذبوا وجاروا^(٢)
فلم يصرخهم المغوى الخذل
وكانوا أهل طاعته فولى
وسار وراءه منهم قبيل^(٣)
وهم لم يقصروا فيها بحق
على أثر المفضل ولم يطيلوا
وما الناس احتبوك بها ولكن
حباك بذلك الملك الجليل
تراث محمد لكم وكنتم
أصول الحق إذ نفى الأصول^(٤)

٢٠٣/٣

قال : وحدثنى محمود بن سَعْمَر بن أبي الشدائد الفزارى وموهوب بن رشيد
ابن حيان الكلابى ، قال : قال أبو الشدائد لما ظهر محمد وتوجه إليه عيسى :
أتتك النجائب والمقربات بعيسى بن موسى فلا تعجل
قال : وحدثنى عيسى ، قال : كان محمد آدم شديد الأدمة ، أدم^(٥) جسيماً
عظيماً ، وكان يلقب القارى من أدمته ، حتى كان أبو جعفر يدعوه محمّماً .
قال : وحدثنى عيسى ، قال : حدثني إبراهيم بن زياد بن عنبسة ،
قال : ما رأيت محمد أرقى المنبر قط إلا سمعت بقعقة من تحته ؛ وإني
لبمكاني ذلك .

قال : وحدثنى عبد الله بن عمر بن حبيب ، قال : حدثني من حضر
محمداً على المنبر يخطب ؛ فاعترض بلسنم في حلقة فتنحج ، فذهب ثم
عاد فتنحج ، فذهب ثم عاد فتنحج ، ثم عاد فتنحج ثم نظر فلم يرموضعاً ؛
فرى بنخامته سقّف المسجد فألصقها به .

(١) ط : « قال » ، وما أثبتته من ت . (٢) ب ، ت : « إذ كربوا » .

(٣) كذا في ب ، ت ، هـ ، وهو الصواب ، وفي ط : « وصار » .

(٤) ج : « إذ بقى » . (٥) الأدم : الشديد السواد من الرجال .

قال : وحدثنى عبد الله بن نافع ، قال : حدثني إبراهيم بن عليّ من آل أبي رافع ، قال : كان محمد تتماماً ، فرأيتُه على المنبر يتلجّج الكلام في صدره ، فيضرب بيده على صدره ، ويستخرج الكلام .

قال : وحدثنى عيسى ، قال : حدثني أبي ، قال : دخل عيسى بن موسى يوماً على أبي جعفر ، فقال : سرّك الله يا أمير المؤمنين ! قال : فيم ؟ قال : ابتعتُ وجه دار عبد الله بن جعفر من بني معاوية ؛ حسن ويزيد وصالح ، قال أتفرح ! أما والله ما باعوها إلّا ليشبوا عليك بشمئها .

قال : وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثني عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن عبد الله بن الربيع بن عبيد الله بن عبد المدان بن عبيد الله ، قال : خرج محمد بالمدينة ، وقد خطّ المنصور مدينته بغداد بالقصب ، فسار إلى الكوفة وسرّتُ معه ، فصيّح بي فلحقته ، فصمتَ طويلاً ثم قال : يا بن الربيع ، خرج محمد ، قلت : أين ؟ قال : بالمدينة ، قلت : هلك والله وأهلك ؛ خرج والله في غير عدد ولا رجال يا أمير المؤمنين ؛ ألا أحدثك حديثاً حدثنيهِ سعيد بن عمرو بن جعدة الخزوميّ ؟ قال : كنت مع مروان يوم الزّاب واقفاً ، فقال : يا سعيد ، من هذا الذي يقاتلني ^(١) في هذه الخيل ؟ قلت : عبد الله ابن عليّ بن عبد الله بن عباس ، قال : أيّهم هو ؟ عرّفه ، قلت : نعم ، رجل أصفر حسن الوجه رقيق الذراعين ، رجل دخل عليك يشتم عبد الله بن معاوية حين هزم ؛ قال : قد عرفته ، والله لوددت أن عليّ بن أبي طالب يقاتلني مكانه ؛ إن عليّاً وولده لا حظّ لهم في هذا الأمر ؛ وهذا رجل من بني هاشم وابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عباس ، معه ريح الشّام ونصر الشّام . يا بن جعدة ، تدري ما حملني على أن عقدتُ لعبد الله وعبيد الله ابني مروان ، وتركتُ عبد الملك وهو أكبر من عبيد الله ؟ قلتُ : لا ، قال : وجدتُ الذي يلي هذا الأمر عبد الله ؛ وكان عبيد الله أقرب إلى عبد الله من عبد الملك ؛ فعقدتُ له . فقال : أنشدك الله ! أحدثك هذا ابن جعدة ! قلت : ابنة سفيان بن معاوية طالق البتّة إن لم يكن حدثني ما حدثتك .

(١) ج : « يقابلني » .

قال عمر : وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنى الحارث بن إسحاق ، قال : خرج إلى أبي جعفر في الليلة التي ظهر فيها محمد رجل من آل أويس ابن أبي سرح من بني عامر بن لؤي ، فسار تسعاً من المدينة ، فقدم ليلاً ، فقام على أبواب المدينة ، فصاح حتى نُذِر به ، فأدخِل ، فقال له الربيع : ما حاجتك هذه الساعة وأمير المؤمنين نائم ! قال : لا بد لي منه ، قال : أعلمنا نُعلمه ، فأبى ، فدخل الربيع عليه فأعلمه ، فقال : سلّه عن حاجته ثم أعلمني ؛ قال : قد أبى الرجل إلا مشافهتك . فأذن له ، فدخل عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، خرج محمد بن عبد الله بالمدينة ، قال : قتلتَه والله إن كنت صادقاً ! أخبرني مَنْ معه ؟ فسمي له مَنْ خرج معه من وجوه أهل المدينة وأهل بيته ، قال : أنت رأيتَه وعاينتَه ؟ قال : أنا رأيته وعاينته وكلمته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً . فأدخله أبو جعفر بيتاً ، فلما أصبح جاءه رسول لسعيد بن دينار ؛ غلام عيسى بن موسى كان يلي أموال عيسى بالمدينة ، فأخبره بأمر محمد ، وتواترت عليه أخباره ، فأخرج الأويسى فقال : لأوطئن الرجال عقبيك ولأغنيك ؛ وأمر له بتسعة آلاف ، لكل ليلة سارها ألفاً . ٢٠٦/٣

قال : وحدثنى ابن أبي حرب ، قال : لما بلغ أبا جعفر ظهوره أشفق منه ؛ فجعل الحارث^(١) المنجّم يقول له : يا أمير المؤمنين ، ما يجزعك منه ! فوالله لو ملك الأرض ما لبث إلا تسعين يوماً .

قال : وحدثنى سهل بن عقيل بن إسماعيل ، عن أبيه ، قال : لما بلغ أبا جعفر خبره بادر إلى الكوفة ، وقال : أنا أبو جعفر ؛ استخرجت الثعلب من جُحره .

قال : وحدثنى عبد الملك بن سليمان ، عن حبيب بن مرزوق ، قال : حدثني تسنيم بن الحواري ، قال : لما ظهر محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ، أرسل أبو جعفر إلى عبد الله بن علي وهو محبوس عنده : إن هذا الرجل قد خرج ؛ فإن كان عندك رأى فأشِرْ به علينا - وكان ذا رأى عندهم - فقال :

(١) ت وابن الأثير : « الحارث » .

إنّ المحبوس محبوس الرأى، فأخرجنى حتى يخرج رأى؛ فأرسل إليه أبو جعفر: لوجأنى حتى يضرب بابى ما أخرجتك؛ وأنا خير لك منه، وهو مُسلّك أهل بيتك. فأرسل إليه عبد الله: ارتحل الساعة حتى تأتى الكوفة، فاجثم على أكبادهم؛ فإنهم شيعة أهل هذا البيت وأنصارهم، ثم احفّفها بالمسالح؛ فمن خرج منها إلى وجّه من الوجوه أو أتاها من وجه من الوجوه فاضرب عنقه؛ وإبعث إلى سلكم بن قتيبة ينحدر عليك - وكان بالرّقى - واكتب إلى أهل الشام فرهم أن يحملوا إليك من أهل البأس والنجدة ما يحمل البريد، فأحسين^{٢٠٧/٣} جوائزهم، ووجههم مع سلكم. ففعل.

قال: وحدثنى العباس بن سفيان بن يحيى بن زياد، قال: سمعتُ أشياخنا يقولون: لما ظهر محمد بن عبد الله بن عليّ محبوس، فقال أبو جعفر لإخوته: إن هذا الأحمق لا يزال يطلع له الرأى الجيّد فى الحرب؛ فادخلوا عليه فشاوره ولا تعلّموه أنى أمرتكم. فدخلوا عليه، فلما رأهم قال: لأمر ما جثتم؛ ما جاء بكم جميعاً وقد هجرتمنى منذ دهر! قالوا: استأذننا أمير المؤمنين فأذن لنا، قال: ليس هذا بشىء؛ فما الخبر؟ قالوا: خرج ابن عبد الله، قال: فأترون ابن سلامة صانعاً؟ يعنى أبا جعفر - قالوا: لا ندرى والله، قال: إنّ البُخل قد قتله، فروه فليُخرج الأموال، فليُعط الأجناد، فإن غلب فما أوشك أن يعود إليه ماله، وإن غلب لم يقدم صاحبه على درهم واحد.

قال: وحدثنا عبد الملك بن شيبان، قال: أخبرنى زيد مولى مسمع بن عبد الملك، قال: لما ظهر محمد دعا أبو جعفر عيسى بن موسى، فقال له: قد ظهر محمد فسرّ إليه، قال: يا أمير المؤمنين؛ هؤلاء عمومتك حولك، فادعهم فشاورهم، قال: فأين قول ابن هرّمة:

تروُن امرأً لا يُمحِضُ القومَ سرّه ولا يَنْتَجِى الأذنين فيما يحاول
إذا ما أتى شيئاً مضى كالذى أبى وإن قال إلى فاعِلٍ فهو فاعِلُ

قال: وحدثنى محمد بن يحيى، قال: نسخت هذه الرسائل من محمد

٢٠٨/٣

ابن بشير ؛ وكان بشير يصححها ؛ وحدّثنيها أبو عبد الرحمن من كتاب أهل العراق والحكم بن صدقة بن نزار ، وسمعت ابن أبي حرب يصحّحها ؛ ويزعم أن رسالة محمد لما وردت على أبي جعفر ، قال أبو أيوب : دعني أجبه عليها ، فقال أبو جعفر : لا بل أنا أجيبه عنها ؛ إذ تقارعنا على الأحساب فدعني ^(١) وإياه .

قالوا : لما بلغ أبا جعفر المنصور ظهور محمد بن عبد الله المدينة كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبد الله : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٢) ولك على عهد الله وميثاقه ودمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك أن ^(٣) تؤمنك وجميع ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم على دماءكم وأموالكم ^(٤) ، وأسوغل ما أصبت من دم أو مال ، وأعطيك ألف ألف درهم ، وما سألت من الحوائج ، وأنزلتك من البلاد حيث شئت ، وأن أطلق من حبسى من أهل بيتك ، وأن تؤمن كل من جاءك وبايعك واتبعك ، أو دخل معك في شيء من أمرك ، ثم لا أتبع أحداً منهم بشيء كان منه أبداً . فإن أردت ^(٥) أن تتوثق لنفسك ، فوجه إلى من أحببت ^(٥) يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تثق به .

٢٠٩/٣

وكتب على العنوان : من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله . فكتب إليه محمد بن عبد الله :

(١) ج : « دعني » . (٢) سورة المائدة ٣٣ ، ٣٤ .
(٣ - ٢) الكامل : « أن تؤمنك على نفسك ولولدك وإخوتك ومن بايعك واتبعك وجميع شيعتك » .
(٤) الكامل : « فإن شئت » .
(٥) الكامل : « ما أحببت » .

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله المهدى محمد بن عبد الله إلى عبد الله بن محمد : ﴿ طمّم ﴾ تلك آيات الكتاب المبين * نتلو عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون * إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين * ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴿ ١ ﴾ . وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي (٢) عرضت على ، فإن الحق حَقُّنا ؛ وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم (٣) له بشيعتنا ، وحظيتم (٤) بفضلنا ؛ وإن (٥) أبانا علياً كان الوصي وكان الإمام ؛ فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ! ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحدٌ له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا ؛ لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء ، وليس يمت (٦) أحدٌ من بني هاشم بمثل الذي نمتُّ به من القرابة والسابقة والفضل ؛ وإنا بنو أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو في الجاهلية وبنو بنته فاطمة في الإسلام دونكم . إن الله اختارنا واختار لنا ؛ فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن السلف أولهم لإسلاماً على ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة ، وأول من صلب القبلية ، ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولودين في الإسلام حسن وحسين سيّد شباب أهل الجنة ؛ وإن هاشماً ولد عليّاً مرتين (٧) ؛ وإن عبد المطلب ولد حسناً مرتين (٨) وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل حسن وحسين ؛ وإني أوسط بني هاشم

٢١٠/٣

(١) سورة القصص ١ - ٥ . (٢) ب : « ما » ، ابن الأثير : « مثل ما » .

(٣) الكامل : « ونهضتم » . (٤) الكامل : « وخطبتوه » .

(٥) ب وابن الأثير : « فإن » . (٦) يمت ، أي يتوسل ، ويعدها في الكامل : « دونكم » .

(٧) يعني علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وعلياً زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب .

(٨) (٨) يعني جده وأبا جده ؛ فهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

نسباً ، وأصرحهم أباً ، لم تعرق في العجم ^(١) ، ولم تنازع في أمهات الأولاد ؛ فما زال الله يختار لي الآباء والأمهات في الجاهلية والإسلام حتى اختار لي في النار ؛ فأنا ابن أرفع الناس درجة في الجنة ، وأهونهم عذاباً في النار ^(٢) ، وأنا ابن خير الأخيار ، وابن خير الأشرار ، وابن خير أهل الجنة ، وابن خير أهل النار . ولك الله على أن دخلت في طاعتي ، وأجبت دعوتي أن أوثمتك على نفسك ومالك ؛ وعلى كل أمر أحدثته ؛ إلا حداً من حدود الله أو حقاً لمسلم أو معاهد ؛ فقد علمت ما يلزمك من ذلك ، وأنا أولى بالأمر منك وأوفى بالعهد ؛ لأنك أعطيتني من العهد والأمان ما أعطيته رجلاً قبلي ؛ فأني الأمانات تعطيني ! أمان ابن هبيرة ، أم أمان عمك عبد الله بن علي ، أم أمان أبي مسلم ^(٣) !

٢١١/٣

فكتب إليه أبو جعفر :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد بلغني كلامك ، وقرأت كتابك ، فإذا جل فخرك بقراءة النساء ؛ لتضل به الخفأة والغوغاء ؛ ولم يجعل الله النساء كالعسومة والآباء ، ولا كالعصبة والأولياء ؛ لأن الله جعل العم أباً ، وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا ^(٤) . ولو كان اختيار الله لمن على قدر قرابتهم كانت آمنة أقربهم رحمة ، وأعظمهم حقاً ، وأول من يدخل الجنة غداً ؛ ولكن اختيار الله لخلق على علمه لما مضى منهم ، واصطفاه لهم .

وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب ولادتها ؛ فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها ^(٥) إلا سلام لا بنتاً ولا ابناً ؛ ولو أن أحداً رزق الإسلام بالقربة رزقه

(١) يمرض بالنصور ؛ وكانت أمه أم ولد يقال لها سلامة بربرية ؛ انظر مروج الذهب

٢ : ٢٩٤ . (٢) يعني جده أبا طالب .

(٣) كامل المبرد ٤ : ١١٣ - ١١٦ .

(٤) الكامل : « الوالد الأدنى » ، وبعدها هناك : « فقال جل ثناؤه عن نبيه يوسف عليه

السلام ؛ « وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ » .

(٥) ذكر الطبري أن أولادها هم : « عبد الله أبو رسول الله ، والزبير ، وعبد الكعبة ، وعاتكة ، وبرة ، وأميمة ، ولد عبد المطلب إخوة ، وأمهم جميعاً فاطمة بنت عمرو » .

عبد الله أولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة ؛ ولكن الأمر لله يختارُ لدينه من يشاء ؛ قال الله عز وجل : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١) ؛ ولقد بعث الله محمداً عليه السلام وله عمومة أربعة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿وَأَنْزِلْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢) . فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان أحدهما أبي ، وأبى اثنان أحدهما أبوك ؛ فقطع الله ولايتهما منه ؛ ولم يجعل بينه وبينهما إلا ولا ذمة ولا ميراثاً . وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذاباً وابن خير الأشرار ؛ وليس في الكفر بالله صغير ، ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير ؛ وليس في الشر خيار ؛ ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار ، وسترده فتعلم ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٣)

وأما ما فخرت به من فاطمة أم علي وأن هاشماً ولده مرتين ، ومن فاطمة أم حسن ، وأن عبد المطلب ولده مرتين ؛ وأن النبي صلى الله عليه وسلم ولدك مرتين ؛ فخير الأولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلد له هاشم إلا مرة ولا عبد المطلب إلا مرة .

وزعمت أنك أوسط بنى هاشم نسباً ، وأصرحهم أمّاً وأباً ؛ وأنه لم تلدك العجزة ولم تعرق فيك أمهات الأولاد ؛ فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طراً ؛ فانظر ويحك أين أنت من الله غداً ! فإنك قد تعدّيت طورك ، وفخرت على من هو خير منك نفساً وأباً وأولاً وآخرأ ، إبراهيم (٤) بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده ؛ وما خيار بنى أبيك خاصة وأهل الفضل منهم إلا بنو أمهات أولاد ، وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي ابن حسين ؛ وهو لأم (٥) ولد ؛ وهو خير من جدك حسن بن حسن ؛ وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي ، وجدته أم ولد ؛ وهو خير من أبيك ،

(٢) سورة الشعراء ٢١٤ .

(١) سورة القصص ٥٦ .

(٣) سورة الشعراء ٢٢٧ .

(٤) أم إبراهيم مارية التي أهداها المقوقس عظيم القبط إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) أم حل زين العابدين ؛ سبية من بنات يزيد جرد . وانظر ابن ملكان ١ : ٣٢٠ .

ولا مثلُ ابنه جعفر وجدته أم ولد ؛ وهو خيرٌ منك .

وأما قولك : إنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾^(١) ، ولكنكم بنو ابنته ؛ وإنها لقربة قريبة ؛ ولكنها لا تحوز الميراث ، ولا ترث الولاية ، ولا تجوز لها الإمامة ؛ فكيف نورث بها ! ولقد طلبها أبوك بكل وجه فأخرجها^(٢) نهاراً ، ومترضاها سرّاً ، ودفنها ليلاً ؛ فأبى الناس إلا الشيخين وتفضيلهما ؛ ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين أن الجدة أبا الأم والحال والحالة لا يرثون^(٣) .

وأما ما فخرت به من عليّ وسابقته ، فقد حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة ، فأمر غيره بالصلاة ، ثم أخذ الناس رجلاً بعد رجل فلم يأخذه ؛ وكان في الستة فتركوه كلهم دفعاً له عنها ، ولم يروا له حقاً فيها ؛ أما عبد الرحمن فقد تم عليه عثمان ، وقتل عثمان وهو له متهم ، وقتله طلحة والزبير ، وأبى سعد بيعته ، وأغلق دونه بابه ، ثم بايع معاوية بعده . ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها ، وتفرق عنه أصحابه ، وشك فيه شيعته قبل الحكومة ، ثم حكّم حكمين رضى بهما ، وأعطاهما عهده وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه . ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودرهم ولحق بالحجاز ؛ وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الأمر إلى غير أهله ؛ وأخذ مالا من غير ولائه^(٤) ، ولا حيلة ؛ فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه . ثم خرج عتاك حسين بن عليّ على ابن مَرْجَانة^(٥) ، فكان الناس معه عليه حتى قتلوه ، وأتوا برأسه إليه ، ثم خرجتم على بني أمية ، فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل ، وأحرقوكم بالنيران ، ونفّوكم من البلدان ؛ حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان ؛ وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء ، وحملوهم بلا وطاء في المحافل^(٦) كالسبى

٢١٤/٣

(١) سورة الأحزاب ٤٠ . (٢) ابن الأثير : « فأخرج فاطمة » .

(٣) ابن الأثير : « يورثون » . (٤) ب : « ولاته » ، ج وابن الأثير : « ولاية » .

(٥) هو عبيد الله بن زياد ، ومَرْجَانة أمه .

(٦) الوطاء : المهاد الوطى . والمحمل : شقان على البعير ؛ يحمل فيهما العدلان ؛ وجمعه محامل . في الكامل : « ثم أتوا بكم على الأقتاب من غير أوطنة كالسبي المحلوب » .

المجلوب إلى الشام ؛ حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم ، وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وسنينا سلفكم وفضلنا ، فاتخذت ذلك علينا حجة .

وظننت أنا إنما ذكرنا أباك وفضلنا للتقدمة منا له على حمزة والعباس وجعفر ؛ وليس ذلك كما ظننت ؛ ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين ، متسلمًا منهم ، مجتمعًا عليهم بالفضل ، وابتلى أبوك بالقتال والحرب ؛ وكانت بنو أمية تلعه كما تلعن الكنيسة في الصلاة المكتوبة ، فاحتججنا له ، وذكرناهم فضله ، وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه . ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيج^(١) الأعظم ، وولاية زمزم ؛ فصارت للعباس من بين إخوته ؛ فنازعنا فيها أبوك ، ففرضي لنا عليه عمر ، فلم نزل نليها في الجاهلية والإسلام ؛ ولقد قحط أهل المدينة فلم يتوصل عمر إلى ربه ولم يتقرب إليه إلا بأبينا ، حتى نعشهم^(٢) الله وسقام الغيث ، وأبوك حاضر لم يتوصل به ؛ ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي صلى الله عليه وسلم غيره ؛ فكان وراثته من عمومته ، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينسكه إلا ولده ؛ فالسقاية سقايتهم وميراث النبي له ، والخلافة في ولده ، فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام^(٣) في دنيا ولا آخرة إلا والعباس وارثه ومورثه .

٢١٥/٣

وأما ما ذكرت من بذر ؛ فإن الإسلام جاء والعباس يمينون أبا طالب وعياله ، وينفق عليهم للأزمة التي أصابته ؛ ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كارهاً^(٤) لمات طالب وعقيل جوعاً ، وللحساسيفان عتبة وشيبة ؛ ولكنه كان من المطعمين ، فأذهب عنكم العار والسب ، وكفّاكم النفقة والمؤونة ، ثم فدى عقيلاً يوم بدر ؛ فكيف تفخر علينا وقد علمناكم في الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وحزنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بثأركم فأدركنا^(٥) منه ما عجزتم عنه ؛ ولم تدركوا لأنفسكم ! والسلام عليك ورحمة الله^(٦) .

(١) ابن الأثير : « الحاج » .

(٢) ابن الأثير : « ينشيم » .

(٣) ج : « الجاهلية والإسلام » . (٤) ج : « كرهاً » .

(٥) ج : « وأدركنا » .

(٦) كامل المبرد ٤ : ١١٦ - ١٢٠ .

قال عمر بن شبة : حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : أجمع ابن القسري على الغدر بمحمد ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، ابعث موسى بن عبد الله ومعه رزاماً مولائى إلى الشام يدعوان إليك . ٢١٦/٣
فبعثهما فخرج رزام بموسى إلى الشام ، وظهر محمد على أن القسري كتب إلى أبي جعفر في أمره ، فحبسه في نفر ممن كان معه في دار ابن هشام التي في قبلة مصلى الجلائز - وهي اليوم لفرج الخصى - وورد رزام بموسى الشام ، ثم انسل منه ، فذهب إلى أبي جعفر ، فكتب موسى إلى محمد : إني أخبرك أني لقيت الشام وأهله ، فكان أحسنهم قولاً الذي قال : والله لقد مللنا البلاء ، وضيقنا به ذرعاً ، حتى ما فينا لهذا الأمر موضع ، ولا لنا به حاجة ؛ ومنهم طائفة تحلف : لئن أصبحنا من ليلتنا أو مستينا من غد ليرفعن أمرنا وليدلين علينا ، فكتبت إليك وقد غيبت وجهي ، وخفت على نفسي . قال الحارث : ويقال إن موسى ورزاماً وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور توجهوا إلى الشام في جماعة ، فلما ساروا بتيما ، تخلف رزام ليشتري لهم زاداً ، فركب إلى العراق ، ورجع موسى وأصحابه إلى المدينة .

قال : وحدثني عيسى ، قال : حدثني موسى بن عبد الله ببغداد ورزام معنا ، قال : بعثني محمد ورزاماً في رجال معنا إلى الشام ، لندعوا له ، فلما لبدوامة الجندل ، إذ أصابنا حرٌ شديد ، فترلنا عن رواحلنا نفثسل في غدير ، فاستل رزام سيفه ، ثم وقف على رأسي ، وقال : يا موسى ، رأيته لو ضربت عنقك ثم مضيت^(١) برأسك إلى أبي جعفر ، أكون أحد عنده في منزلي ! قال : قلت لا تدع هزلتك يا أبا قيس ! ثم سيفك غفر الله لك . ٢١٧/٣
قال : فشام سيفه ، فركبنا . قال عيسى : فرجع موسى قبل أن يصل إلى الشام ، فأتى البصرة هو وعثمان بن محمد ، فدُل عليهما ، فأخذنا .

قال : وحدثني عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، قال : حدثني أخى عبد الله بن نافع الأكبر ، قال : لما ظهر محمد لم يأته أبي نافع ابن ثابت ، فأرسل إليه ، فأثاه وهو في دار مبروان ، فقال : يا أبا عبد الله ،

لم أراك جثتنا ! قال : ليس في ما تريد ، فألح عليه محمد ، حتى قال : البس السلاح يتأس بك غيرك ، فقال : أيها الرجل ، إني والله ما أراك في شيء ، خرجت في بلد ليس فيه مال ولا رجال ولا كُراع ولا سلاح ، وما أنا بمهلك نفسي معك ، ولا معين على دمي . قال : انصرف ، فلا شيء فيك بعد هذا . قال : فكث يختلف إلى المسجد إلى أن قُتِل محمد ، فلم يصل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قُتِل إلا نافع وحده .

ووجه محمد بن عبد الله لما ظهر — فيما ذكر عمر بن زهر بن سعيد بن نافع — الحسن بن معاوية إلى مكة عاملاً عليها ، ومعه العباس بن القاسم — رجل من آل أبي لُب — فلم يشعر بهم السريّ بن عبد الله حتى دنوا من مكة ، فخرج إليهم ، فقال له مولاه : ما رأيك ؟ قد دنونا منهم ، قال : انهزموا على بركة الله ، وموعدكم بثر ميمون . فانهزموا ، ودخلها الحسن بن معاوية . وخرج الحسين بن صخر — رجل من آل أويس — من ليلته ، فصار إلى أبي جعفر تسعاً فأخبره فقال : « قد أنصف القارة من راماها » ^(١) ، وأجازه بثلاثمائة درهم .

قال : وحدّثني أيوب بن عمر ، قال : حدّثني محمد بن صالح بن معاوية ، قال : حدّثني أبي ، قال : كنت عند محمد حين عقد للحسن بن معاوية على مكة ، فقال له الحسن : أرايت إن التحم القتال بيننا وبينهم ، ما ترى في السريّ ؟ قال : يا حسن ، إن السريّ لم يزل مجتنباً لما كرهنا ، كارهاً للذي صنع أبو جعفر ؛ فإن ظفرت به فلا تقتله ؛ ولا تحركن له أهلاً ، ولا تأخذن له متاعاً ، وإن تنحى فلا تطلبن له أثراً . قال : فقال له الحسن : يا أمير المؤمنين ، ما كنت أحسبك تقول هذا في أحد من آل العباس ، قال : بلى ، إن السريّ لم يزل ساخطاً لما صنع أبو جعفر .

قال : وحدّثني عمر بن راشد مولى عَنَج ، قال : كنت بمكة ، فبعث

(١) مثل ، والقارة : قبيلة من عضل ؛ وكانوا من رماة العرب .

إلينا محمد حين ظهر الحسن بن معاوية والقاسم بن إسحاق ومحمد بن عبد الله ابن عنبسة يدعى أبا جبرة، أميرهم الحسن بن معاوية، فبعث إليهم السري بن عبد الله كاتبه مسكين بن هلال في ألف، ومولى له يدعى مسكين بن نافع في ألف، ورجلا من أهل مكة يقال له ابن فرس - وكان شجاعاً - في سبعمائة، وأعطاه خمسمائة دينار، فالتقوا ببطن أذاخر بين الثنيتين وهي الثنية التي تهبط على ذى طوى، منها هبط النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى مكة، وهي داخلة في الحرم، فتراسلوا، فأرسل حسن إلى السري أن خل بيننا وبين مكة، ولا تهريقوا الدماء في حرم الله. وحلف الرسولان للسري: ما جئناك حتى مات أبو جعفر. فقال لهما السري: وعلى مثل ما حلفتما به، إن كانت مضت لي أربعة؛ منذ جاءني رسول من عند أمير المؤمنين، فأنظروني أربع ليال، فإني أنتظر رسولاً لي آخر، وعلى ما يصلحكم، ويصلح دوابكم، فإن يكن ما تقولونه حقاً سلمتها إليكم؛ وإن يكن باطلاً أجاهدكم حتى تغلبوني أو أغلبكم؛ فأبى الحسن، وقال: لا نبرح حتى نناجزك، ومع الحسن سبعون رجلاً وسبعة من الخيل، فلما دنوا منه، قال لهم الحسن: لا يقد من أحد منكم حتى ينفخ في البوق^(١)؛ فإذا نفخ فلتكن حملتكم حملة رجل واحد. فلما رهيقتهم وخشى الحسن أن يغشاه وأصحابه، ناداه: انفخ ويحك في البوق! فنفخ ووثبوا وحملوا علينا حملة رجل واحد. فانهزم أصحاب السري، وقتل منهم سبعة نفر. قال: واطلع عليهم بفرسان من أصحابه وهم من وراء الثنية في نفر من قریش قد خرج بهم، وأخذ عليهم لينصرونه، فلما رآهم القرشيون قالوا: هؤلاء أصحابك قد انهزموا، قال: لا تعجلوا، إلى أن طلعت الخيل والرجال في الجبال؛ ففيل له: ما بقي؟ فقال: انهزموا على بركة الله، فانهزموا حتى دخلوا دار الإمارة، وطرحوا أداة الحرب، وتسوروا على رجل من الجند بيكني أبا الرزام. فدخلوا بيته فكانوا فيه. ودخل الحسن بن معاوية المسجد، فخطب الناس ونعى إليهم أبا جعفر ودعا لمحمد.

٢١٩/٣

قال: وحدثني يعقوب بن القاسم، قال: حدثني الغمر بن حمزة بن أبي رملة، مولى العباس بن عبد المطلب، قال: لما أخذ الحسن بن معاوية

٢٢٠/٣

(١) ط: « وفتحوا في البوق »، والصواب ما أثبتته من ت، ه.

مكة ، وفرّ السريّ بلغ الخبر أبا جعفر ، فقال : لهفّى على ابن أبي العوّال .
قال : وحدّثني ابن أبي مساور بن عبد الله بن مساور مولى بني نائلة
من بني عبد الله بن مُعَيْص ، قال : كنت بمكة مع السريّ بن عبد الله ،
فقدم عليه الحسن بن معاوية قبل مخرج محمد - والسريّ يومئذ بالطائف وخليفته
بمكة ابن سُراقَة من بني عدى بن كعب - قال : فاستعدى عتبة بن أبي خدّاش
اللّهنيّ على الحسن بن معاوية في دّين عليه فحبسه ، فكتب له السريّ إلى
ابن أبي خدّاش : أما بعد فقد أخطأت حظّك ، وساء نظرك لنفسك حين
تحبس ابن معاوية ؛ وإنما أصبت المال من أخيه . وكتب إلى ابن سُراقَة يأمره
بتخليته ، وكتب إلى ابن معاوية يأمره بالمقام إلى أن يقدّم فيقضّى عنه . قال :
فلم يلبث أن ظهر محمد ، فشخص إليه الحسن بن معاوية عاملاً على مكة ،
فقبل للسريّ : هذا ابن معاوية قد أقبل إليك ، قال : كلاّ ما يفعل ربلائي
عنده [بلائي] ^(١) ، وكيف يخرج إلى أهل المدينة ! فوالله ما بها دار إلا وقد دخلها
لى معروف ، فقبل له : قد نزل فجاء . قال : فشخص إليه ابن جريج ،
فقال له : أيها الرجل ، إنك والله ما أنت بواصل إلى مكة وقد اجتمع أهلها
مع السريّ ، أتراك قاهراً قريشاً وغاصبها على دارها ! قال : يابن الحائك ،
أبأهل مكة تخوفني ! والله ما أبيت إلا بها أو أموت دونها . ثم وثب في أصحابه ،
وأقبل إليه السريّ ، فلقبه بفتح ، فضرب رجل من أصحاب الحسن مسكين بن
هلال كاتب السريّ على رأسه فشجّه ، فانهزم السريّ وأصحابه ، فدخلوا
مكة ، والتفّ أبو الرزّام - رجل من بني عبد الدار ثم أحد آل شيبه -
على السريّ ، فواراه في بيته ، ودخل الحسن مكة . ثم إن الحسن أقام بمكة
يسيراً ، ثم ورد كتاب محمد عليه يأمره باللاحاق به .

وذكر عمر عن عبد الله بن إسحاق بن القاسم ، قال : سمعت من لا أحصى
من أصحابنا يذكر أنّ الحسن والقاسم لما أخذوا مكة ، تجهّزا وجمعا جمعا
كثيراً ، ثم أقبلا يريدان محمداً ونصرتة على عيسى بن موسى ؛ واستخلفا على
مكة رجلا من الأنصار ؛ فلما كانا بقُدَيْد لقيهما قتل محمد ، فتفرقا

الناس عنهما ، وأخذ الحسن على بَسْقة - وهى حرّة فى الرمل تدعى بَسْقة قُدَيْد - فلاحق إبراهيم ؛ فلم يزل مقيماً بالبصرة حتى قُتِل إبراهيم . وخرج القاسم بن إسحاق يريد إبراهيم ؛ فلما كان بيديع من أرض فَنَدَك ، لقيه قتل إبراهيم ، فرجع إلى المدينة ، فلم يزل محتفياً حتى أخذت ابنة عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر زوجة عيسى بن موسى ، له وإخوته الأمان فظهر^(١) بنو معاوية ، وظهر القاسم .

قال : وحدثنى عمر بن راشد مولى عنج ، قال : لما ظهر الحسن بن معاوية على السرى أقام قليلاً حتى أتاه كتاب محمد يأمره بالشخص إليه ؛ ويخبره أن عيسى قد دنا من المدينة ، ويستعجله بالقدوم . قال : فخرج من مكة يوم الاثنين فى مطر شديد - زعموا أنه اليوم الذى قُتِل فيه محمد - فتلقيه بريد لعيسى بن موسى بأَمْسَج - وهو ماء لخزاعة بين عُسْفان وقُدَيْد - بقتل محمد ، فهرب وهرب أصحابه .

قال عمر : وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنى عبد العزيز بن أبى ثابت عن أبى سيار ، قال : كنت حاجباً محمد بن عبد الله ، فجاءنى راكبٌ من الليل ، قال : قدمتُ من البصرة ، وقد خرج بها إبراهيم ، فأخذها . قال : فجئتُ دار مروان ، ثم جئتُ المنزل الذى فيه محمد ، فدققتُ الباب ، فصاح بأعلى صوته : من هذا ؟ قلت : أبو سيار ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ اللهم إنى أعوذ بك من شرّ طوارق الليل ؛ إلا طارق يطرق منك بخير ، قال : خير ! قلت : خير ، قال : ما وراءك ؟ قلت : أخذ إبراهيم البصرة - [قال] : وكان محمد إذا صلى المغرب والصبح صاح صائح : ادعوا الله لإخوانكم من أهل البصرة ، وللحسن بن معاوية واستنصروه على عدوكم .

* * *

قال : وحدثنى عيسى ، قال : قدِم علينا رجل من أهل الشام ، فنزل دارنا - وكان يكنى أبا عمرو - فكان أبى يقول له : كيف ترى هذا الرجل ؟ فيقول : حتى ألقاه فأسبره ثم أخبرك . قال عيسى : فلقية أبى بعد ، فسأله

(١) كذا فى ت ، ه ، وفى ط « فظهره » .

فقال : هو والله الرجل كلّ الرجل ؛ ولكن رأيتُ شحم ظهره ذراعاً ، وليس هكذا يكون صاحب الحرب . قال : ثم بايعه بعد ، وقاتل معه .

قال : وحدّثنى عبد الله بن محمد بن سلّم — يدعى ابن البواب مولّى المنصور — قال : كتب أبو جعفر إلى الأعمش كتاباً على لسان محمد ، يدعوّه إلى نصرته ، فلما قرأه قال : قد خـبرناكم يا بني هاشم ؛ فإذا أنتم تحبّون الثريد . فلما رجع الرسول إلى أبي جعفر فأخبره ، قال : أشهد أنّ هذا كلام الأعمش .

وحدّثنى الحارث ، قال : حدّثنى ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : غلب محمد بن عبد الله على المدينة ، فبلغنا ذلك ، فخرجنا ونحن شباب ؛ أنا يومئذ ابنُ خمس عشرة سنة ، فانتبهينا إليه ؛ وهو قد اجتمع إليه الناس ينظرون إليه ؛ ليس يُصدّد عنه أحد ؛ فدنوتُ حتى رأيته وتأملتّه ؛ وهو على فرَس ، وعليه قميص أبيض محشوّ وعمامة بيضاء ؛ وكان رجلاً أحزم ؛ قد أترّ الجُدريّ في وجهه ، ثم وجّهه إلى مكة فأخذت له ، وبيّضوا ؛ ووجّهه أخاه إبراهيم بن عبد الله إلى البصرة ، فأخذها وغلبها وبيّضوا معه .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمر . قال عمر : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : ندّب أمير المؤمنين أبو جعفر عيسى بن موسى لقتال محمد ، وقال : لا أبالي أيّهما قتل صاحبه ؛ وضمّ إليه أربعة آلاف من الجنّ ، وبعث معه محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين .

قال : وحدّثنى عبد الملك بن شيبان . عن زيد مولى مسمع ، قال : لما أمر أبو جعفر عيسى بن موسى بالشخص ، قال : شاورْ عمومك ، فقال له : امضَ أيّها الرجل ؛ فوالله ما يراد غيرى وغيرك ؛ وما هو إلّا أن تشخص أو أشخص ؛ قال : فسار حتى قدم علينا ونحن بالمدينة .

قال : وحدّثنى عبد الملك بن شيبان ، قال : دعا أبو جعفر بن حنظلة البهرانيّ — وكان أبرص طوّالاً ، أعلم الناس بالحرب ، وقد شهد مع مروان حروبه — فقال : يا جعفر ، قد ظهر محمد ، فما عندك ؟ قال : وأين ظهر ؟

قال : بالمدينة ، قال : فاحمد الله ، ظهر حيث لا مال ولا رجال ولا سلاح ولا كراع ؛ ابعث مولّى لك تثق به فليسرّ حتى ينزل بوادى القرى ؛ فيمنعه ميرة الشأم ، فيموت مكانه جوعاً ، ففعل .

قال : وحدّثنى عبد الله بن راشد بن يزيد ، قال : سمعتُ أصحابنا إسماعيل بن موسى وعيسى بن النضر وغيرهما يذكرّون أنّ أبا جعفر قدّم كثير ابن حصّين العبدّى ، فعسكر بفيد ، وخندق عليه خندقاً ؛ حتى قدم عليه عيسى بن موسى ، فخرج به إلى المدينة . قال عبد الله : فأنا رأيتُ الخندق قائماً دهرّاً طويلاً ، ثم عفا ودّس .

قال : وحدّثنى يعقوب بن القاسم ، قال : حدّثنى علىّ بن أبى طالب — ولقيته بصنعاء — قال : قال أبو جعفر لعيسى حين بعثه إلى محمد : عليك بأبى العسكر مسمع بن محمد بن شيبان بن مالك بن مسمع ، فسرّ به معك ؛ فإنّى قد رأيته منع سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة من أهل البصرة ؛ وهم محلبون عليه ^(١) ؛ وهو يدعو إلى مروان ؛ وهو عند أبى العسكر يأكل المخّ بالطبرزد ، فخرج به عيسى ؛ فلما كان ببطن نخل ، تخلف هو والمسعودى بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود حتى قُتل محمد ، فبلغ ذلك أبا جعفر ، فقال لعيسى بن موسى : ألاّ ضربت عنقه !

٢٢٥/٣

وحدّثنى عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علىّ بن أبى طالب ، قال : أخبرنى أبى ، قال : قال أبو جعفر لعيسى بن موسى حين ودّعه : يا عيسى ؛ إني أبعثك إلى ما بيّن هذين — وأشار إلى جنبه — فإن ظفرت بالرجل فشِم سيفك ، وابذل الأمان ؛ وإن تغيب فضمتهم إياه حتى يأتوك به ، فإنهم يعرفون مذاهبه . قال : فلما دخلها عيسى فعل ذلك .

فحدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : وجهه أبو جعفر إلى محمد بن عبد الله بالمدينة عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ ابن عبد الله بن عباس ، ووجهه معه محمد بن أبى العباس أمير المؤمنين وعدّة من

(١) أحلب القوم ، أى جاءوا من كل وجه للحرب .

قُوَاد أهل خراسان وجندهم ، وعلى مقدّمة عيسى بن موسى حميد بن قحطبة الطائي ، وجهزهم بالخيول والبغال والسلاح والميرة ، فلم ينزل ، ووجه مع عيسى ابن موسى بن أبي الكرام الجعفري ؛ وكان في صحابة أبي جعفر ؛ وكان مائلا إلى بني العباس ، فوثق به أبو جعفر فوجهه (١) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمر بن شبة . قال عمر : وحدّثني عيسى ، عن أبيه ، قال : كتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى : مَنْ لَقِيكَ مِنْ آل أبي طالب فاكتب إلىّ باسمه ، وَمَنْ لَمْ يَلْقُكَ فاقبض ماله . قال : فقبض عين أبي زياد - وكان جعفر بن محمد تغيب عنه - فلما قدم أبو جعفر كلمه جعفر ، وقال : مالي ، قال : قد قبضه مهديكم .

* * *

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، ٢٢٦/٣ قال : لما صار عيسى بفسيد ، كتب إلى رجال من أهل المدينة في خرق الحرير ؛ منهم عبد العزيز بن المطلب الخزومي وعبيد الله بن محمد بن صفوان الجمحي ، فلما وردت كتبه المدينة ، تفرّق ناس كثير عن محمد ؛ منهم عبد العزيز بن المطلب ؛ فأخذ فردّ ، فأقام يسيراً ؛ ثم خرج ، فردّ مرة أخرى ؛ وكان أخوه عليّ بن المطلب من أشدّ الناس مع محمد ؛ فكلّم محمداً في أخيه حتى كفّه عنه .

قال : وحدّثني عيسى ، قال : كتب عيسى بن موسى إلى أبي في حريرة صفراء جاء بها أعرابي بين خصافتي نعله ، قال عيسى : فرأيت الأعرابي قاعداً في دارنا ، وإني لصبي صغير ؛ فدفعها إلى أبي فإذا فيها :

إن محمدأ تعاطى ما ليس يعطيه الله ، وتناول ما لم يؤته الله ، قال عز وجل في كتابه : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

فَعَجَّلَ التَّخْلُصَ وَأَقْلَّ التَّرْبُصَ ، وَادْعُ مَنْ أَطَاعَكَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَكَ .

قال : فخرج وخرج معه عمر بن محمد بن عمر ، وأبو عَتَقِيلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَتَقِيلَ ، قال : ودعوا الأَفْطُسَ حَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُمْ فَأَبَى ، وَثَبَّتَ مَعَ مُحَمَّدٍ ؛ وَذُكِرَ خُرُوجُهُمْ لِمُحَمَّدٍ فَأُرْسِلَ إِلَى ظَهْرِهِمْ فَأَخَذَهُ ؛ فَأَتَاهُ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، فَقَالَ : أَنْتَ تَدْعُونِي إِلَى الْعَدْلِ وَنَفْسِي الْجَوْر ؛ فَمَا بَالُ إِيَّايَ تَتَّخِذُ ! فَإِنَّمَا أَعَدَدْتُهَا لِحُجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ . قال : فدفعها إليه — فخرجوا من تحت ليلتهم ؛ فلقوا عيسى على أربع — أو خمس — من المدينة .

٢٢٧/٣

قال : وَحَدَّثَنِي أَيُّوبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نَعِيمٍ بْنُ مَاهَانَ ، قَالَ : كَتَبَ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ كِتَابًا ، وَأَمَرَ عِيسَى : إِذَا دَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ أَنْ يَبْعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا دَنَا بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ ؛ فَأَخَذَ حُرْسُ مُحَمَّدٍ الرَّسُولَ وَالْكِتَابَ ، فَوَجَدَ فِيهَا كِتَابًا إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَعْمَرٍ وَإِلَى جَمَاعَةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ . فَبَعَثَ مُحَمَّدٌ إِلَيْنَا جَمِيعًا مَا خَلَا ابْنُ عُمَرَ وَأَبَا بَكْرَ بْنَ سَبْرَةَ ، فَحُبِسْنَا فِي دَارِ ابْنِ هِشَامٍ الَّتِي فِي الْمَصْلِيِّ . قَالَ أَبِي : وَبَعَثَ إِلَيَّ وَإِلَى أَخِي ، فَأَتَيْتُ بَنِي فَضْرَةَ ثَلَاثَةَ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ وَهُوَ يَضْرِبُنِي وَيَقُولُ : أَرَدْتُ أَنْ تَقْتُلَنِي ! تَرَكْتُكَ وَأَنْتَ تَسْتَرُ بِحَجَرٍ وَبَيْتٍ شَعْرٍ ؛ حَتَّى إِذَا صَارَتِ الْمَدِينَةُ فِي يَدِكَ ، وَغَلِظَ أَمْرُكَ ، قُمْتُ عَلَيْكَ فَبِهِمَنْ أَقُومُ ! أَبْطَاقِي ، أُمُّ بَمَالَى ، أُمُّ بَعْشِيرَتِي ! قَالَ : ثُمَّ أَمَرْنَا إِلَى الْحَبْسِ ، وَقَيَّدْنَا بِكُيُوبٍ وَسُلَاسِلٍ تَبْلُغُ ثَمَانِينَ رَطْلًا ، قَالَ : فَدَخَلَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ ، فَقَالَ : إِنِّي ضَرَبْتُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ضَرْبًا فَاحْشَا ، وَقَيَّدْتُهُمَا بِمَا مَنَعَهُمَا مِنَ الصَّلَاةِ . قَالَ : فَلَمْ يَزَالَا مُحْبُوسَيْنِ حَتَّى قَدِمَ عِيسَى .

قال : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْحَكَمِ ، قَالَ : إِنَّا لَعِنْدَ مُحَمَّدٍ لَيْلَةً — وَذَلِكَ عِنْدَ دُنُوِّ عِيسَى مِنَ الْمَدِينَةِ — إِذْ قَالَ مُحَمَّدٌ : أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي الْخُرُوجِ وَالْمَقَامِ ، قَالَ : فَاخْتَلَفُوا . فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : أَشِرْ عَلَيَّ يَا أَبَا جَعْفَرٍ ،

٢٢٨/٣

قلت : ألبستَ تعلم أنك أقلُّ بلاد الله فرساً وطعاماً وسلاحاً ، وأضعفها رجالاً ؟
قال : بلى ، قلت : تعلم أنك تقاتل أشدَّ بلاد الله رجلاً وأكثرها مالا وسلاحاً ؟
قال : بلى ، قلت : فالرأى أن تسير بمن معك ^(١) حتى تأتى مصر ، فوالله
لا يردك راداً ، فتقاتل الرجل بمثل سلاحه وكُراعِهِ ورجاله وماله . فصاح
حُثَيْن بن عبد الله : أعوذ بالله أن تخرج من المدينة ! وحدثه أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : « رأيتنى فى درع حصينة فأولتُها المدينة » .

قال : وحدثني محمد بن إسماعيل بن جعفر ، عن الثقة عنده ، قال :
أجاب محمداً لما ظهر أهلُ المدينة وأعراضها وقبائل من العرب ؛ منهم جُهيينة
ومُزَيَّنة وسُلَيم وبنو بكر وأُسَلَمَ وغِفَار ؛ فكان يقدّم جُهيينة ؛ فغضبت من
ذلك قبائل قيس .

قال محمد : فحدثني عبد الله بن معروف أحد بني رياح بن مالك بن
عصية بن خُفَاف — وقد شهد ذاك — قال : جاءت محمداً بنو سُلَيم على
رؤسائها ، فقال متكلمهم جابر بن أنس الرياحي : يا أمير المؤمنين ؛ نحن
أخوانك وجيرانك ، وفينا السلاح والكُراع ؛ والله لقد جاء الإسلام والخيل
فى بنى سليم أكثر منها بالحجاز ؛ لقد بقى فينا منها ما إن بقى مثله عند عربى
تسكن إليه البادية ، فلا تخندق الخندق ؛ فإن رسول الله خندق خندقه لما الله
أعلم به ؛ فإنك إن خندقته لم يحسن القتال رجالة ، ولم تُوجّه لنا الخيل بين
الأزقة ؛ وإن الذين يخندق دونهم هم الذين يقاتلون فيها ؛ وإن الذين يخندق
عليهم يحول الخندق دونهم . فقال أحد بني شجاع : خندق رسول الله فاقتد
برأيه ؛ أو تريد أنت أن تدع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لرأيك !
قال : إنه يابن شجاع ما شىء أثقل عليك وعلى أصحابك من لقائهم ؛
ولا شىء أحب إلى وإلى أصحابى من مناجزتهم . فقال محمد : إنما اتبعنا فى
الخندق أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يردنى عنه أحد ، فلست
بتاركه .

قال : وحدثني محمد بن يحيى ، عن الحارث بن إسحاق ، قال : لما تيقن

محمد أن عيسى قد أقبل حفّر الخندق ، خندق النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان حفره للأحزاب (١) .

قال : وحدثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، قال : حدثني محمد ابن عطية مولى المطلبيين ، قال : لما حفر محمد الخندق ركب إليه وعليه قباء أبيض ومنطقة ، وركب الناس معه ؛ فلما أتى الموضع نزل فيه ؛ بدأ هو فحفر بيده ؛ فأخرج لينة من خندق النبي صلى الله عليه وسلم ، فكبر وكبر الناس معه ، وقالوا : أبشر بالنصر ؛ هذا خندق جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وحدثنى محمد بن الحسن بن زبالة ، قال : حدثني مصعب بن عثمان بن مصعب بن عروة بن الزبير ، قال : لما نزل عيسى الأعوص رقي محمد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن عدو الله وعدوكم عيسى بن موسى قد نزل الأعوص ؛ وإن أحق الناس بالقيام بهذا (٢) الدين ، أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين .

قال : وحدثنى إبراهيم بن أبي إسحاق العبسي - شيخ من غطفان - قال : أخبرني أبو عمرو مؤدب محمد بن عبد الرحمن بن سليمان ، قال : سمعت الزبير الذي قتله أبو جعفر - يعني عثمان بن محمد بن خالد - قال : اجتمع مع محمد جمع لم أر مثله ولا أكثر منه ؛ إني لأحسب أنا قد كنا مائة ألف ؛ فلما قرب عيسى خطبنا ، فقال : يا أيها الناس ؛ إن هذا الرجل قد قرب منكم في عدد وعدة ؛ وقد حلتكم من بيعتي ؛ فمن أحب المقام فليقم ، ومن أحب الانصراف فليصرف . فتسللوا حتى بقي في شردمة ليست بالكثيرة .

٢٣٠/٣

قال : وحدثنى موهوب بن رشيد بن حيّان بن أبي سليمان بن سمعان ؛ أحد بني قريظ بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ، قال : حدثني أبي ، قال : لما ظهر محمد جمع الناس وحشرهم (٣) ، وأخذ عليهم المناقب فلا يخرج أحد ؛ فلما سمع بعيسى وحُميد بن قحطبة قد أقبلا ، صعد المنبر ، فقال :

(٢) ب ، « في هذا » .

(١) ج : « يوم الأحزاب » .

(٣) ب : « وحشرهم » .

يأيها الناس ؛ إنا قد جمعناكم للقتال ؛ وأخذنا عليكم المناقب ؛ وإن هذا العدو منكم قريب ؛ وهو في عدد كثير ، والنصر من الله والأمر بيده ؛ وإنه قد بدا لي أن آذن لكم وأفرج عنكم المناقب ؛ فمن أحب أن يقيم أقام ، ومن أحب أن يظعن ظعن . قال أبي : فخرج عالم من الناس ؛ كنت فيهم ؛ فلما كنا بالعريض - وهو على ثلاثة أميال من المدينة - لقيتنا مقدمة عيسى بن موسى دون الرحبة ؛ فما شبّهت رجالهم ^(١) إلا رجلاً من جراد . قال : فضينا ونخالفونا إلى المدينة .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال : خرج ناس كثير من أهل المدينة بذراريهم وأهليهم إلى الأعراض والجبال ، فأمر محمد أبا القاسم ، فردّ من قدر عليه منهم ، فأعجزه كثير منهم ، فتركهم .

قال : وحدّثني عيسى ، قال : حدّثني الغاضري ، قال : قال لي محمد : أعطيك سلاحاً وتقاتل معي ؟ قلت : نعم ؛ إن أعطيتني رجلاً أطعنهم ^(٢) به ؛ وهم بالأعوص ^(٣) وسيفاً أضربهم به وهم بهيفاً ^(٤) . قال : ثم مكث غير كثير ، ثم بعث إليّ فقال : ما تنتظر ؟ قلت : ما أهون عليك - أبقاك الله - أن أقتل وتمروا ؛ فيقال : والله إن كان لبادياً ^(٥) ! قال : ويحك ! قد بيّض أهل الشام وأهل العراق وخراسان ، قال : قلت : اجعل الدنيا زبدةً بيضاء وأنا في مثل صوفة الدواة ، ما ينفعني هذا وعيسى بالأعوص !

قال : وحدّثني عيسى ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : وجّه أبو جعفر مع عيسى بن موسى بآبن الأصمّ ينزله المنازل ، فلما قدموا نزلوا على ميل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن الأصمّ : ألا إن الخليل لا عمل لها مع الرّجاله ؛ وإني أخاف إن كشفوكم كشفةً أن يدخلوا ^(٦) عسكرهم . فرفعهم إلى سقاية سليمان بن عبد الملك بالخرّف - وهي على أربعة أميال من

(١) ب : « راحهم » .

(٢) ب : « بالأعراض » .

(٣) ج : « لبادنا » .

(٤) ب : « طعنهم » .

(٥) ط : « بهيفاً » ، وهو خطأ . وصوابه من ت .

(٦) ج : « ليدخلوا » .

المدينة - وقال : لا يهرول الرّاجل ^(١) أكثر من ميلين أو ثلاثة حتى تأخذه الخيل .

قال : وحدّثني عيسى ، قال : حدثني محمد بن أبي الكرام ، قال : لما نزل عيسى طَرَفَ القَدُومَ أرسل إلى نصف الليل ، فوجدته جالساً والشمع والأموال بين يديه ، فقال : جاءني العيون تخبرني أنّ هذا الرجل في ضعف ؛ وأنا أخاف أن ينكشف ؛ وقد ظننتُ ألاّ مسلك له إلّا إلى مكة ، فاضممتُ إليك خمسمائة رجل ؛ فامض بهم ^(٢) معانداً عن الطريق حتى تأتي الشجرة فتقيم بها . قال : فأعطاهم على الشّمع ، فخرجتُ بهم حتى مررتُ بالبصرة بالبطحاء - وهى بطحاء ابن أزهر على ستة أميال من المدينة - فخاف أهلها ؛ فقلتُ : لا بأسَ عليكم ؛ أنا بمحمد بن عبد الله ، هل من سويق ؟ قال : فأخرجوا إلينا سويقاً ، فشربنا وأقمنا بها حتى قتل محمد .

٢٣٢/٣

قال : وحدّثني محمد بن إسماعيل ؛ عن الثقة عنده ، قال : لما قُرب عيسى أرسل إلى محمد القاسم بن الحسن بن زيد يدعوه إلى الرّجوع عما هو عليه ، ويخبره أنّ أمير المؤمنين قد آمنه وأهل بيته ، فقال محمد للقاسم : والله لولا أنّ الرّسل لا تقتل لضربتُ عنقك ؛ لأنّى لم أرك منذ كنت غلاماً في فرقتين ؛ خير وشرّ ، إلّا كنت مع الشرّ على الخير . وأرسل محمد إلى عيسى : يا هذا ؛ إنّ لك برسول الله قرابةً قريبةً ، وإنّى أدعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه والعمل بطاعته ، وأحذرك نقمته وعذابه ؛ وإنّى والله ما أنا بمنصرف عن هذا الأمر حتى ^(٣) ألقى الله عليه ؛ فإياك أن يقتلك من يدعوك إلى الله ، فتكون شرّ قاتل ، أو تقتله فيكون أعظمَ لوزرك ، وأكثرَ لما تمك . فأرسل هذه الرسالة مع إبراهيم بن جعفر ، فبلّغه ، فقال : ارجع إلى صاحبك ، فقل له : ليس بيننا إلّا القتال .

قال : وحدّثني إبراهيم بن محمد بن أبي الكرام بن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن جعفر ، قال : أخبرني أبي ، قال : لما قرب عيسى من المدينة ،

٢٣٣/٣

(١) ب : « الرجل » . (٢) ط : « بها » ، وما أثبتته من ت ، ه .

(٣) ط : « التّى » ؛ وهو خطأ صوابه من ابن الأثير .

أرسلني إلى محمد بأمانه ، فقال لي محمد : علام تقاتلونني وتستحلون دمي ، وإنما أنا رجل فرّ من أن يَقتل ! قال : قلت : إنّ القوم يدعونك إلى الأمان ، فإن أبَيْت إلّا قتالهم قاتلوك على ما قاتل عليه خير آبائك على طُلحة والزبير ؛ على نكت بيعتهم وكيد ملكهم ، والسعى عليهم . قال : فأخبرت بذلك أبا جعفر ، فقال : والله ما سرّني أنّك قلت له غير ذلك ، وأن لي كذا وكذا .

قال : وحدّثني هشام بن محمد بن عروة بن هشام بن عروة ، قال : أخبرني ماهان بن بخت مولى قحطبة ، قال : لما صرنا بالمدينة أئانا إبراهيم بن جعفر بن مصعب طليعة ، فطاف بعسكرنا حتى حسّه كله^(١) ، ثم ولّى ذاهبا . قال : فرعبنا منه والله رعباً شديداً ؛ حتى جعل عيسى وحמיד بن قحطبة يعجبان فيقولان : فارس واحد طليعة لأصحابه ! فلما ولّى مدّى أبصارنا نظرنا إليه مقيماً بموضع واحد ، فقال حميد : ويحكم ! انظروا ما حال الرجل ؛ فإنني أرى دابته واقفاً لا تزول ؛ فوجّه إليه حميد رجلين من أصحابه ، فوجدا دابته قد عثر به ؛ فصرعه ففوّس^(٢) التنور عنقه . فأخذوا سلبه ، فأتينا بتنور — قيل إنه كان لمصعب بن الزبير — مدّهب لم ير مثله قط .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال : نزل عيسى بقصر سليمان بالجُرْف ، صَبِيحَةَ ثِنْتِي عَشْرَةٍ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ ، يَوْمَ السَّبْتِ ، فَأَقَامَ يَوْمَ السَّبْتِ وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، حَتَّى اسْتَوَى عَلَى سَلْعٍ ، فَنَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَإِلَى مَنْ دَخَلَهَا وَخَرَجَ مِنْهَا ، وَشَحَنَ^(٤) وَجُوهَهَا كُلَّهَا بِالْخَيْلِ وَالرَّجَالِ إِلَّا نَاحِيَةَ مَسْجِدِ أَبِي الْجَرَّاحِ ؛ وَهُوَ عَلَى بُطْحَانَ ؛ فَإِنَّهُ تَرَكَهُ لَخُرُوجِ مَنْ هَرَبَ ، وَبَرَزَ مُحَمَّدٌ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ .

قال : وحدّثني عيسى ، قال : حدّثنا محمد بن زيد ، قال : قدما مع عيسى ، فدعا محمداً ثلاثاً : الجمعة والسبت والأحد .

قال وحدّثني عبد الملك بن شيبان ، قال : حدّثني زيد مولى مِسْمَعٍ ، قال :

(١) ط : « جسّه » ، وما أثبتته من ت ، ج . (٢) تقع الدابة على المذكور المؤنث .

(٣) كذا في ت ، وفي ط : « ففوّس » .

(٤) في اللسان : « شحّن البلد بالخيّل ملأه . وبالبلد شحنة من الخيل ، أي رابطة » .

لما عسكر عيسى أقبل على دابة يمشى حواليه نحو من خمسمائة ، وبين يديه راية يُسار بها معه ؛ فوقف على الثنية ونادى : يا أهل المدينة ؛ إن الله قد حرّم دماء بعضنا على بعض ؛ فاهلموا إلى الأمان ؛ فمن قام تحت رايتنا فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ؛ ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن خرج من المدينة فهو آمن . خلّوا بيننا وبين صاحبنا فأيمّا لنا أو له . قال : فشتموه وأقذعوا له ، وقالوا : يا ابن الشاة ، يا ابن كذا ، يا ابن كذا . فانصرف يومه ذاك^(١) ، وعاد من الغد ففعل مثل ذلك ، فشتموه ؛ فلما كان اليوم الثالث أقبل بما لم أر مثله قطّ من الخيل والرجال^(٢) والسلاح ؛ فوالله ما لبثنا أن ظهر علينا ونادى بالأمان^(٣) ، فانصرف إلى معسكره .

قال : وحدثني إبراهيم الغطفاني ، قال : سمعت أبا عمرو مؤدّب محمد ابن عبد الرحمن يحدث عن الزبيرى - يعنى عثمان بن محمد بن خالد - قال : لما التقينا نادى عيسى بنفسه : أيا محمد ، إن أمير المؤمنين أمرنى ألاّ أقاتلك حتى أعرض عليك الأمان ، فلك على نفسك وأهلك وولدك وأصحابك ، وتعطى من المال كذا وكذا ، ويقضى عنك دينك ، ويفعل بك ويفعل ! قال : فصاح : محمد الله عن هذا ، فوالله لو علمت أنه لا يشينى عنكم فترع ، ولا يقربنى منكم طمع ما كان هذا . قال : ولجّ القتال ، وترجل محمد ؛ فإني لأحسبه قتل بيده يومئذ سبعين رجلاً .

٢٣٥/٣

قال : وحدثني عيسى ، قال : حدثني محمد بن زيد ، قال : لما كان يوم الاثنين ، وقف عيسى على ذباب ، ثم دعا مولى لعبد الله بن معاوية كان معه ؛ وكان على مجففته ، فقال : خذ عشرة من أصحابك ؛ أصحاب التجافيف ؛ فجاء بهم ، فقال لنا : ليقيم معك عشرة منكم يا آل أبى طالب . قال : فقمنا معه ، ومعنا ابنا محمد بن عمر بن عليّ : عبد الله وعمر ، ومحمد بن عبد الله بن عقييل ، والقاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ ، وعبد الله ابن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر ؛ فى عشرة منّا . فقال : انطلقوا إلى القوم ،

(١) كذا فى ط : « ذلك » . (٢) ت : « والرجل » . (٣) ت : « ونادى الأمان » .

فادعواهم وأعطوهم أماناً ؛ وبقيَ أمان الله . قال : فمخرجنا حتى جئنا سوق الخطّابين ؛ فدعوناهم فسيّبونا^(١) ورشقونا بالنبل ، وقالوا : هذا ابن رسول الله ممّنا ونحن معه ؛ فكلّمهم القاسم بن الحسن بن زيد ، فقال : وأنا ابنُ رسول الله ؛ وأكثر من ترون بنو رسول الله ؛ ونحن ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وحقن دماءكم والأمان لكم ؛ فجعلوا يسيّبوننا ويرشقوننا بالنبل ، فقال القاسم لغلّامه : القَطْ هذه النبل ، فلقطها فأخذها قاسم بيده ، ثم دخل بها إلى عيسى ، فقال : ما تنتظر ! انظر ما صنعوا بنا ، فأرسل عيسى بن حميد قحطبة في مائة .

٢٣٦/٣

قال : حدّثني أزهر بن سعيد بن نافع ، قال : حدّثني أخوأي عثمان ومحمد ابنا سعيد - وكانا مع محمد - قالوا : وقف القاسم بن الحسن ورجل^(٢) معه من آل أبي طالب على رأس ثنية الودّاع ، فدعوا محمداً إلى الأمان ، فسيّبهما فرجعا ، وأقبل عيسى وقد فرّق القواد فجعل هزار مرد عند حمّام بن أبي الصّعب ، وكثير بن حصّين عند دار ابن أفلح التي يبيع الغرقد ، ومحمد بن أبي العباس على باب بني سلّمة ، وفرّق سائر القواد على أنقاب المدينة ، وصار عيسى في أصحابه على رأس الثنية ، فرموا بالنشاب والمقالب ساعة .

وحدّثني أزهر ، قال : جعل محمد ستور المسجد دراريع لأصحابه . قال : وحدّثني عبد الله بن إسحاق بن القاسم ، قال : حدّثني عمر ؛ شيخ من الأنصار ، قال : جعل محمد ظلال المسجد خفّاتين لأصحابه ، فأناه رجلاّن من جهينة ، فأعطى أحدهما خفّتاناً ولم يعط الآخر ، فقاتل صاحب الخفّتان ، ولم يقاتل الآخر معه ؛ فلما حضرت الحرب أصابت صاحب الخفّتان نشابة ، فقتلته ، فقال صاحبه :

يا ربّ لا تجعلني كمنّ خان وباع باقي عيشه بخفّتان

قال : وحدّثني أيوب بن عمر ، قال : حدّثني إسماعيل بن أبي عمرو ، قال : إنا لموقوف على^(٣) خندق بني غيفار ؛ إذ أقبل رجل على فارس ؛

٢٣٧/٣

(١) ج : « فشتونا » . (٢) ج : « ودخل » . (٣) ج : « عند » .

ما يُرَى منه إلاّ عيناه ، فنأدى : الأمان ، فأعطى الأمان ، فدنا حتى لصق بنا ، فقال : أفیکم مَنْ یبلغ عنی محمداً ؟ قلت : نعم ، أنا ، قال : فأبلغه عنی - وحسر عن وجهه ؛ فإذا شيخ مخضوب - فقال : قل له : يقول لك فلان التميمی ، بآية أنى وإياك جلسنا فى ظل الصخرة فى جبل جهينة فى سنة كذا ، اصبر إلى الليل ؛ فإن عامة الجند معك . قال : فأتيته قبل أن يغدو - وذلك يوم الاثنين فى اليوم الذى قُتل فيه - فوجدت بين يديه قرية عسل أبيض قد شُقَّت من وسطها ، ورجل يتناول من العسل ملء كفه ثم يغمسه فى الماء ، ثم يلقمه إياه ، ورجل يحزم بطنه بعمامة ؛ فأبلغته الرسالة فقال : قد أبلغت ؛ فقلت : أخوای فى يدك ، قال : مكانهما خير لهما .

قال : وحدثنى إبراهيم بن مصعب بن ثُمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير ، قال : حدثنى محمد بن عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، قال : كانت راية محمد إلى أبى ، فكنت أحملها عنه .

قال : وحدثنى عيسى ، عن أبيه ، قال : كان مع الأفطس حسن بن على بن حسين علم أصفر ، فيه صورة حية ، ومع كل رجل من أصحابه من آل على بن أبى طالب علم ، وشعارهم : أحد أحد ، قال : وكذلك كان شعار النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين .

قال : وحدثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن أبى الحكم ، قال : أخبرنا جهم بن عثمان مولى بنى سليم ، ثم أحد بنى بهز ، قال : قال لى عبد الحميد بن جعفر يوم لقينا أصحاب عيسى : نحن اليوم على عِدّة أهل بدر يوم لَقُوا المشركين - قال : وكنا ثلثمائة ونيّفاً .

٢٣٨/٣

قال : وحدثنى إبراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس ، قال : سمعت أبى يقول : ولِد عيسى بن موسى فى سنة ثلاث ومائة ، وشهد حرب محمد وإبراهيم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وعلى مقدّمته حميد بن قحطبة ، وعلى ميمنته محمد بن أبى العباس أمير المؤمنين ، وعلى ميسرته داود بن كيراز من أهل خراسان ، وعلى ساقته الهيثم بن شعبة .

قال : وحدثنى عيسى ، عن أبيه ، قال : لقي أبو القلمس محمد بن عثمان ، أخا أسد بن المرزبان بسوق الخطابين ، فاجتلدا بسيفيهما حتى تقطعا ثم ترجعا إلى مواقفهما ، فأخذ أخو أسد سيفاً ، وأخذ أبو القلمس بأثنيّة ، فوضعها على قبر بؤس سرّجه ، وستّرها بدرعته ، ثم تعاودا ، فلما تدانيا قام أبو القلمس في ركبائه ؛ ثم ضرب بها صدره فصرعه ، ونزل فاحتزّ رأسه .

قال : وحدثنى محمد بن الحسن بن زبالة ، قال : حدثني عبد الله بن عمر بن القاسم بن عبد الله العمريّ ، قال : كنا مع محمد ، فبرز رجل من أهل المدينة ؛ مولى لآل الزبير يدعى القاسم بن وائل ، فدعا للبراز ، فبرز إليه رجل لم أر مثله كماله وعدّته ؛ فلما رآه ابن وائل انصرف . قال : فوجدنا من ذلك وجداً شديداً ، فإننا لعلّ ذلك إذ سمعتُ خَشَشُف^(١) رجل ورائي ، فالتفت فإذا أبو القلمس ، فسمعتُهُ يقول : لعن الله أمير السفهاء ، أن ترك مثل هذا اجترأ علينا ! وإن خرج رجل خرج إلى أمر عسى ألا يكون من شأنه . ٢٣٩/٣ قال : ثم برز له فقتله .

قال : وحدثنى أزهر بن سعيد بن نافع ، قال : خرج^(٢) القاسم بن وائل يومئذ من الخندق ، ثم دعا للبراز ، فبرز له هزارمرد ، فلما رآه القاسم هابه ، فرجع فبرز له أبو القلمس ، فقال : ما انتفع في مثل هذا اليوم بسيفه قطّ ، ثم ضربه على حبيل عاتقه فقتله ، فقال : خذها وأنا ابن الفاروق ، فقال رجل من أصحاب عيسى : قتلتَ خيراً من ألف فاروق .

قال : وحدثنى عليّ أبو الحسن الحذاء من أهل الكوفة ، قال : حدثني مسعود الرّحال ، قال : شهدت مقتل محمد بالمدينة ، فإني لأنظر إليهم عند أحجار الزيت ، وأنا مشرف عليهم من الجبيل — يعني سلكاً — إذ نظرت إلى رجل من أصحاب عيسى قد أقبل مستلماً^(٣) في الحديد ؛ لا يرى منه إلا عيانه ، على فرس ؛ حتى فصل من صف أصحابه ، فوقف بين الصّفيين ، فدعا للبراز ؛ فخرج إليه رجل من أصحاب محمد ، عليه قباء أبيض ، وكُمّة

(١) الخشف : الصوت الخفى ، أو الحركة . (٢) ب : « جزع » .

(٣) ب : « مستلماً » .

بيضاء ، وهو راجل ، فكلّمه مليّاً ، ظننت أنه استرجله لتستوى حالهما ، فنظرتُ إلى الفارس تسنى رجله ، فنزل ، ثم التقيّا فضربه صاحب محمد ضربة على خوذة حديد على رأسه ، فأقعده على استيه وقيداً لاحتراك به ، ثم انتزع الخوذة ، فضرب رأسه فقتله ، ثم رجع فدخل في أصحابه ، فلم ينشب أن يخرج من صفّ عيسى آخر ؛ كأنه صاحبه ، فبرز له الرّجل الأوّل ، فصنع به مثل ما صنع بصاحبه ، ثم عاد إلى صفّه ، وبرز ثالث فدعاه ، فبرز له فقتله ، فلما قتل الثالث ولّى يريد أصحابه ، فاعتوره أصحاب عيسى فرموه فأثبتوه ، وأسرع يريد أصحابه ، فلم يبلغهم حتى خرّ صريعاً فقتلوه دونهم .

٢٤٠/ ٣

وحدثني عيسى ، قال : أخبرني محمد بن زيد ، قال : لما أخبرنا عيسى برميهم إيانا ، قال الحُميد بن قسحطبة : تقدّم ، فتقدّم في مائة كلهم راجل غيره معهم الشباب والترسة ، فلم يلبثوا أن زحفوا إلى جدار دون الخندق ، عليه أناس من أصحاب محمد ، فكشفوهم ووقفوا عند الجدار ، فأرسل حُميد إلى عيسى بهدّم الجدار . قال : فأرسل إلى فعلة فهدموه ، وانتهوا إلى الخندق ، فأرسل إلى عيسى : إنا قد انتهينا إلى الخندق . فأرسل إليه عيسى بأبواب بقدر الخندق ، فعبروا عليها ؛ حتى كانوا من ورائه ، ثم اقتتلوا أشدّ القتال من بُكرة حتى صار العصر .

وحدثني الحارث ، قال : أخبرنا ابنُ سعد ، قال : قال محمد بن عمر : أقبل عيسى بن موسى بمنّ معه ، حتى أناخ على المدينة ، وخرج إليه محمد ابن عبد الله ومنّ معه ، فاقتتلوا أياماً قتالاً شديداً ، وصبرَ نفر من جُهيّة ، يقال لهم بنو شجاع مع محمد بن عبد الله ، حتى قتلوا وكان لهم غنائم .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمر : حدثني أزهر ، قال : أمرهم عيسى فطرحوا حقائب الإبل في الخندق فأمر ببابي دار سعد بن مسعود التي في الثنية فطرحا على الخندق ، فجازت الخيل ، فالتقوا عند مفاتيح خَشْرَم ، فاقتتلوا حتى كان العصر . حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت ، قال : انصرف محمد يومئذ قبل الظهر حتى جاء دار مروان ، فاغتسل وتحنّط ،

٢٤١/٣

ثم خرج . قال عبد العزيز بن أبي ثابت : فحدثني عبد الله بن جعفر ، قال : دنوتُ منه ، فقلت له : بأبي أنت ! إنه والله ما لك بما رأيتَ طاققة ، وما معك أحدٌ يصدقُ القتال ؛ فأخرج الساعة حتى تلحق بالحسن بن معاوية بمكة ؛ فإنَّ معه جِلَّةً ^(١) أصحابك ، فقال : يا أبا جعفر ؛ والله لو خرجتُ لقتل أهل المدينة ؛ والله لا أرجع حتى أقتل أو أقتل ؛ وأنت مني في سعة ؛ فإذهب حيث شئت . فخرجت معه حتى إذا جاء دار ابن مسعود في سوق الظهر ركضتُ فأخذت على الزياتين ، ومضى إلى الثنية ، وقتل من كان معه بالنشاب وجاءت العصر فصلت .

حدثني محمد بن الحسن بن زبالة ، قال : حدثني إبراهيم بن محمد ، قال : رأيت محمدًا بين داري بني سعد ، عليه جبَّةٌ ممشقة ، وهو على برذون ، وابنُ خُضَيْرٍ إلى جانبه يناشده الله إلَّا مضى إلى البصرة أو غيرها ؛ ومحمد يقول : والله لا تُبَسِّلُون بي مرتين ؛ ولكن اذهب حيث شئت فأنت في حل . قال ابن خُضَيْرٍ : وأين المذهب عنك ! ثم مضى فأحرق الديوان ، وقتل رياحًا ثم لحقه بالثنية ، فقاتل حتى قتل .

وحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : خرج مع محمد بن عبد الله ابن خُضَيْرٍ ؛ رجل من ولد مُصْعَب بن الزبير ؛ فلما كان اليوم الذي قتل فيه محمد ، ورأى الخلل في أصحابه ، وأنَّ السيف قد أفناهم ؛ استأذن محمدًا في دخول المدينة فأذن له ؛ ولا يعلم ما يريد ؛ فدخل على رياح بن عثمان بن حيان المُرْتَى وأخيه ، فذبجهما ثم رجع ؛ فأخبر محمدًا ، ثم تقدَّم فقاتل حتى قتل من ساعته ^(٢) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمر : حدثني أزهر ، قال : حدثني أخى ، قال : لما رجع ابن خُضَيْرٍ قتل رياحًا وابن مسلم بن عُقْبَةَ .

وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : ذبح ابن خُضَيْرٍ رياحًا ولم يُجهز عليه ، فجعل يضرب برأسه الجِدار حتى

(٢) هذا الخبر ساقط من ت .

(١) ابن الأثير : « جل » .

مات ؛ وقتل معه عباساً أخاه ؛ وكان مستقيم الطريقة ، فعاب الناس ذلك عليه ؛ ثم مضى إلى ابن القسري وهو محبوس في دار ابن هشام ، فنذر به فردم بابي الدار دونّه ، فعالج البابين ، فاجتمع من في الحبس فسدّ وهما ، فلم يقدر عليهم ؛ فرجع إلى محمد ، فقاتل بين يديه حتى قُتِل .

حدثني مسكين بن حبيب بن محمد ، قال : لما جاءت العصر صلّاهما محمد في مسجد بني الدليل ، في الثانية ، فلما سلّم استسقى ، فسقته ريحة بنت أبي شاكر القرشية ، ثم قالت له : جعلت فداك ! انج بنفسك ، قال : إذا لا يبقى بها ديك^١ يصرخ ؛ ثم مضى فلما كان ببطن مسيل سلّع ، نزل فعرب دابته ، وعرب بنو شجاع دوابهم ، ولم يبق أحد إلا كسر غمّد سيفه . قال مسكين : ٢٤٣/٣
فلقد رأيتني وأنا غلام ، جمعت من حليها^(١) نحواً من ثلثمائة درهم ؛ ثم قال لهم : قد بايعتموني ولست بآرحاً حتى أقتل ، فمن أحب أن ينصرف فقد أذنت له ، ثم أقبل على ابن خضير ، فقال له : قد أحرقت الديوان ؟ قال : نعم ؛ خفت أن يؤخذ الناس عليه ؟ قال : أصبت .

حدثني أزهر ، قال : حدثني أخوأي ، قال : لقد هزمنا يومئذ أصحاب عيسى مرتين أو ثلاثاً ، ولكننا لم نكن نعرف الهزيمة ؛ ولقد سمعنا يزيد^(٢) بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، يقول ، وقد هزمناهم : ويل أمه فتتحاً لو كان له رجال !

حدثني عيسى ، قال : كان ممن انهزم يومئذ وفرّ عن محمد عبد العزيز ابن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فأرسل محمد وراءه ، فأتني به ، فجعل الصبيان يصيحون وراءه : «ألا باقة بقبقة» ، فكان عبد العزيز يقول بعد ذلك : إن أشد ما أتى عليّ لصياح الصبيان .

وحدثني عيسى ، قال : حدثنا مولى هشام بن عمار بن الوليد بن عدى ابن الخيار ، قال : كنا مع محمد ، فتقدّم هشام بن عمار إليه وأنا معه ، فقال : إني لا آمن أن يخذلك من ترى ، فأشهد أن غلامي هذا حرّ لوجه

(٢) ط : « يزيد » تحريف ، والصواب ما أثبتته من ت .

(١) ج : « حليتها » .

الله إن رمتُ أبداً أو تُقتل أو أقتل أو نُغلب ؛ فقلت : فوالله إنني لمعه إذ وقعت بترسه نشابة ، ففلقته باثنتين ، ثم خسفت في درعه ، فالتفت إلى فقال : فلان ! قلت : لبيك ! قال : ويلك ! رأيت مثل هذا قط يا فلان ! أيما أحب إليك ؛ نفسي أم أنت ؟ قلت : لا بل نفسك ، قال : فأنت حرّ لوجه الله ، فانطلق هارباً .

٢٤٤/٣

وحدثني متوكل بن أبي الفحوة ، قال : حدثني محمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن أبي فَرَوَة ، قال : إننا لعلّ ظهر سلع ننظر ، وعليه أعاريب جُهينة ، إذ صعد إلينا رجل بيده رُمح ، قد نصب عليه رأس رجل متصلٌ بحلقومه وكبده وأعفّاج بطنه ، قال : فرأيتُ منه منظراً هائلاً ، وتطيّرت منه الأعاريب ، وأجفلت هاربة حتى أسهلت ، وعلا الرجلُ الجبل ، ونادى على الجبل رطانة لأصحابه بالفارسية « كوهبان » ؛ فصعد إليه أصحابه حتى علوا سلعاً فنصبوا عليه راية سوداء ، ثم انصبوا إلى المدينة ، فدخلوها ، وأمرت أسماء بنت حسن ابن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب — وكانت تحت عبد الله ابن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس — بخمار أسود ، فنصيب على منارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلمّا رأى ذلك أصحابُ محمد تنادوا : دُخِلَت المدينة ، وهربوا . قال : وبلغ محمدٌ دخول الناس من سلع ، فقال : لكلّ قوم جبل يعصمهم ؛ ولنا جبل لا نُؤتَى إلّا منه .

وحدثني محمد بن إسماعيل ، عن الثقة عنده ، قال : فتح بنو أبي عمرو الغفاريون للمسودة طريقاً في بني غفار ، فدخلوا منه حتى جاءوا من وراء أصحاب محمد .

وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني عبد العزيز بن عمران ، قال : نادى محمد يومئذ حميد بن قحطبة : إن كنتَ فارساً وأنت تَعْتَدّ ذلك على أهل خراسان فابرز لي ، فأنا محمد بن عبد الله ، قال : قد عرفتك وأنت الكريم ابن الكريم ، الشريف ابن الشريف ؛ لا والله يا أبا عبد الله لا أبرز لك وبين يديّ من هؤلاء الأعمار إنسان واحد ؛ فإذا فرغت منهم فسأبرز لك لَعَمْرِي .

٢٤٥/٣

وحدثني عثمان بن المنذر بن مصعب بن عروة بن الزبير ، قال : حدثني

رجل من بني ثعلبة بن سعد ، قال : كنت بالثنية يوم قُتِلَ محمد بن عبد الله ابن حسن ومعه ابن خضير ، قال : فجعل ابن قحطبة يدعو ابن خضير إلى الأمان ، ويشحّ به عن الموت ، وهويشدّ على الناس بسيفه مترجلاً ، يتمثل :

لا تَسْقِهِ حَزْرًا ولا حليبا إن لم تجده سابحاً يَعْجُوبَا
ذا مِيعَةٍ يَلْتَهُمُ العجوبَا كالذئب يتلو طَمَعًا قريبا
يبادر الآثارَ أن تَثُوبَا وحاجبَ الجونة أن يغيبَا

قال : فخالط الناس ، فضربه ضارب على أليسته فخلّها^(١) ، فرجع إلى أصحابه ، فشقّ ثوباً فعصّبها إلى ظهره ، ثم عاد إلى القتال ، فضربه ضارب على حجاج عينه^(٢) ، فأغمض السيف في عينه ، وخرّ فابتدره القوم ، فحزّوا رأسه ؛ فلما قتل ترجل محمد ، فقاتل على جيفته حتى قتل .

وحدثني مخلد بن يحيى بن حاضر بن المهاجر الباهلي ، قال : سمعتُ الفضل بن سليمان مولى بني نُمير يخبر عن أخيه - وكان قد قتل له أخ مع محمد - قال : كان الخُراسانية إذا نظروا إلى ابن خضير تنادوا : « خضير آمد ، خضير آمد ! » ، وتصعصعوا^(٣) لذلك .

٢٤٦/٣

وحدثني هشام بن محمد بن عروة بن هشام بن عروة ، قال : أخبرني ماهان بن بخت مولى قحطبة ، قال : أتينا برأس ابن خضير ؛ فوالله ما جعلنا نستطيع حمله لما كان به من الجراح ؛ والله لكانه باذنجاته مفلّقة ، وكنا نضمّ أعظمه ضمّاً .

وحدثني أزهر بن سعيد ، قال : لما نظر أصحاب محمد إلى العلم الأسود على منارة المسجد فتّ ذلك في أعضادهم ، ودخل حميد بن قحطبة من زُقاق أشجع على محمد فقتله وهو لا يشعر ، وأخذ رأسه فأنتى به عيسى ، وقتل معه بشراً كثيراً .

قال : وحدثني أبو الحسن الحذّاء ، قال : أخبرني مسعود الرّحال ، قال : رأيت

(١) خلّها ؛ أي ثقبها ؛ أو أحدث بها جرحاً ، وفي ط : « حلّها » ، تحريف .

(٢) الحجاج : العظم الذي يثبت عليه الحاجب .

(٣) الصعصعة : التفرق .

محمدًا يومئذٍ باشر القتال بنفسه ، فأَنظر إليه حين ضربه رجلٌ بسيف دون شحمة أذنه اليمنى ، فبرك لركبتيه وتعاورا^(١) عليه ، وصاح حميد بن قحطبة : لا تقتلوه ، فكفُّوا ، وجاء حميد فاحتز رأسه .

وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : برك محمد يومئذٍ لركبتيه وجعل يذب عن نفسه ويقول : ويحكم ! أنا ابن نبيكم ، مخرج^(٢) مظلوم ! وحدثني محمد بن يحيى ، قال ، حدثني ابن أبي ثابت ؛ عن عبد الله بن جعفر ، قال : طعنه ابن قحطبة في صدره فصّره ، ثم نزل فاحتز رأسه ، فأتى به عيسى .

وحدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثني أبو الحجاج المنقرى ، قال : ٢٤٧/٣ رأيتُ محمدًا يومئذٍ^(٣) وإن أشبه ما خلق الله به إمامًا ذكر عن حمزة بن عبد المطلب ، يهذ الناس بسيفه هذًا ؛ ما يقاربه أحد إلا قتله^(٤) ، ومعه سيف ، لا والله ما يليق شيئًا ؛ حتى رماه إنسان بسهم كَأَنِّي أَنظر إليه ، أحمر أزرق ، ثم دهمتنا الخيل ، فوقف إلى ناحية جدار ، فتحاماه الناسُ ، فوجَد الموت ، فتحامل على سيفه فكسره ؛ قال : فسمعتُ جدِّي يقول : كان معه سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو الفقار .

وحدثني هرمز أبو عليٍّ مولى باهلة ، قال : حدثني عمرو بن المتوكل - وكانت أمّه تخدم فاطمة بنت حسين - قال : كان مع محمد يوم قتل سيف النبي صلى الله عليه وسلم ذو الفقار ، فلما أحسَّ الموت أعطى سيفه رجلًا من التجار كان معه - وكان له عليه أربعمائة دينار - فقال له : خذ هذا السيف ؛ فإنك لا تلقى به أحدًا من آل أبي طالب إلا أخذته وأعطاك حقلك . قال : فكان السيف عنده ، حتى ولى جعفر بن سليمان المدينة فأخبر عنه ، فدعا الرجل وأخذ السيف منه ، وأعطاه أربعمائة دينار ؛ فلم يزل عنده

(١) ط : « وتعاورا » .

(٢) ط : « مخرج » ؛ والوجه ما أثبتته من ت .

(٣ - ٣) ابن الأثير : « فلما قتل تقدم محمد فقاتل على جيفته فجعل يهذ الناس هذًا ؛ وكان أشبه الناس بقتال حمزة » .

حتى قام المهديّ ، وولّى جعفر المدينة ، وبلغه مكانُ السيف ؛ فأخذه ، ثم صار إلى موسى ، فجرب به على كلب ، فانقطع السيف .

وحدثني عبدُ الملك بن قُريب الأصمعيّ ، قال : رأيت الرّشيد أمير المؤمنين بطُوس ، متقلداً سيفاً ، فقال لي : يا أصمعيّ ، ألا أريك ذا الفقار ؟ قلت : بلى ، جعلني الله فداك ! قال : استلّ سيفي ، فاستلّته ، فرأيتُ فيه ثمانَ عشرةَ فقارة .

وحدثني أبو عاصم النبيل ، قال : حدثني أخو الفضل بن سليمان الثُميريّ قال : كنا مع محمد ، فأطاف^(١) بنا أربعون ألفاً ، فكانوا حولنا كالحرّة السوداء ، فقلت له : لو حملت فيهم لانفجروا عنك ، فقال : إن أمير المؤمنين لا يحمل ، إنه إن حمل لم تكن له بقية . قال : فجعلنا نعيد^(٢) ذلك عليه ؛ فحمل ، فالتفتوا عليه فقتلوه .

٢٤٨/٣

وحدثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سلم — ويدعى ابن البواب ؛ وكان خليفة الفضل بن الربيع يحجب هارون ، من أدباء الناس وعلمائهم — قال : حدثني أبي عن الأسلميّ — يعني عبد الله بن عامر — قال : قال لي محمد ونحن نقاتل معه عيسى : تغشانا سحابة ؛ فإن أمطرتنا ظفرتنا ، وإن تجاوزتْنا إلهيم فانظر إلى دمي على أحجار الزيت ؛ قال : فوالله ما لبثنا أن أطلتْنا سحابة فأحالت حتى قلتُ : تفعل ، ثم جاوزتْنا فأصابت عيسى وأصحابه ، فما كان إلا كلا ولا ؛ حتى رأيته قتيلاً بين أحجار الزيت .

وحدثني إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن أبي الكرام ، قال : قال عيسى الحُميد بن قحطبة عند العصر : أراك قد أبطأت في أمر هذا الرجل ، فولّ حمزة بن مالك حربته ، فقال : والله لو رُمّت أنت ذاك ما تركتْك ؛ أحين قتلُ الرجال ووجدتُ ريحَ الفتح ! ثم جدّ في القتال حتى قُتل محمد .

وحدثني جواد بن غالب بن موسى مولى بني عجل ، قال : أخبرني حميد

مولي محمد بن أبي العباس ، قال : اتهم عيسى حميد بن قحطبة يومئذ - وكان على الخيل - فقال : يا حميد ، ما أراك تبالغ ، قال : أتتهمني ! فوالله لأضربن محمدًا حين أراه بالسيف أو أقتل دونه . قال : فرّ به وهو مقتول ؛ فضر به بالسيف ليبرّ يمينه .

وحدثني يعقوب بن القاسم ، قال : حدثني علي بن أبي طالب ، قال : قُتِلَ محمد بعد العصر ، يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان . وحدثني أيوب بن عمر ، قال : حدثني أبي ، قال : بعث عيسى فدى السجن ، فحملنا إليه والقتال دائب^(١) بينهم ؛ فلم نزل مطّرحين بين يديه ، حين أتى برأس محمد ، فقلت لأخي يوسف : إنه سيدعونا إلى معرفته ، ولا نعرفه له ؛ فإننا نخاف أن نخطئ ؛ فلما أتى به قال : أتعرفانه ؟ قلنا : نعم ، قال : انظرا ، أهو هذا ؟ قال أبي : فبدرت يوسف ، فقلت : أرى دمًا كثيرًا وأرى ضربًا ؛ فوالله ما أثبتته^(٢) ، قال : فأطلقنا من الحديد ، وبتنا عنده ليلة نأكلها حتى أصبحنا . قال : ثم ولّاني ما بين مكة والمدينة ، فلم أزل واليًا عليه حتى قدم جعفر بن سلمان ، فحدثني إليه ، وألزمني نفسه .

وحدثني علي بن إسماعيل بن صالح بن ميثم ، قال : حدثني أبو كعب ، قال : حضرت عيسى حين قُتِلَ محمدًا ، فوضع رأسه بين يديه ، فأقبل على أصحابه ، فقال : ما تقولون في هذا ؟ فوقعوا فيه ، قال : فأقبل عليهم قائداً له ، فقال : كذبتُم والله وقتلتم باطلا ، لما على هذا قاتلناه ؛ ولكنه خالف أمير المؤمنين ، وشق عصا المسلمين ؛ وإن كان لصوماً قواماً . فسكت القوم . وحدثني ابن البواب عبد الله بن محمد ، قال : حدثني أبي ، عن الأسلمي ، قال : قدم علي أبي جعفر قادم ، فقال : هرب محمد ، فقال : ٢٥٠/٣ كذبت ! نحن أهل البيت لا نفرّ .

وحدثني عبد الله بن راشد بن يزيد ، قال : حدثني أبو الحجاج الجمال ، قال : إني لقائم على رأس أبي جعفر ، وهو مسائلي عن مخرج محمد ، إذ بلغه

أن عيسى قد هُزِمَ - وكان متكئاً فجلس - ف ضرب بقضيب معه مصلاًه ،
وقال : كلاً ، فأين لعب صبياننا بها على المنابر ومشورة النساء ! ما أنى لذلك
بعد ! (١) .

قال : وحدثني محمد بن الحسن ، قال : حدثني بعض أصحابنا ،
قال : أصاب أبا القلمس نُسابة في ركبتيه ، فبقي نصلها ، فعالجها فأعياه ،
ف قيل له : دعه حتى يقيح فيخرج ، فتركه ، فلما طُلب بعد المزيمة لحق بالحرّة ،
وأبطأ به ما أصاب ركبتيه ، فلم يزل بالنّصل حتى استخرجه ثم جثا لركبتيه ،
ونكب كنانته (٢) ، فرماهم فتصدّعوا عنه ، فلحق بأصحابه فنجوا .

وحدثني محمد بن الحسن ، قال : حدثني عبد الله بن عمر بن القاسم ،
قال : لما انزومنا يومئذ كنتُ في جماعة ، فيهم أبو القلمس ، فالتفت إليه ،
فإذا هو مستغرب ضحكاً ، قال : فقلت : والله ما هذا بموضع ضحك ،
وخفضتُ بصرى ، فإذا برجل من المنهزمة قد تقطع قميصه ، فلم يبق منه
إلا جُرْبَانَه (٣) وما يستر صدره إلى ثدييه ، وإذا عورته بادية وهو لا يشعر ؛ قال :
فجعلتُ أضحك لضحك أبي القلمس .

فحدثني عيسى ، قال : حدثني أبي ، قال : لم يزل أبو القلمس مختفياً
بالفرع ، وبقي زماناً ثم عدا عليه عبدٌ له ، فشدخ رأسه بصخرة فقتله ،
ثم أتى أمّ ولد كانت له ، فقال : إني قد قتل سيّدك فهلّمتي أتزوّجك ؟
قالت : رويداً أتصنع لك ، فأملها ، فأت السلطان فأخبرته ، فأخذ العبدَ
فشدخ رأسه .

حدثني محمود بن معمر بن أبي الشدائد ، قال : أخبرني أبي ، قال :
لما دخلتُ خيلُ عيسى من شِعْبِ بني فزارة ، فقتل محمد ، اقتحم نَقَرٌ على
أبي الشدائد فقتلوه ، وأخذوا رأسه ، فنادت ابنته الناعمة بنت أبي الشدائد :
وا رجالاه ! فقال لها رجل من الجند : ومَنْ رجالك ؟ قالت : بنو فزارة ،
قال : والله لو علمتُ ما دخلتُ بيتك ، فلا بأس عليك ، أنا امرؤ من

(١) ت ، ه : « ما إن لذلك بعد » .

(٢) نكب كنانته : نثر ما فيها .

(٣) جريان القميص : جيبه .

عشيرتك من باهلة ؛ وأعطاهما قطعة من عمامته فعلقتهما على بابها . قال :
وَأَتَيْتِ عَيْسَى بِرَأْسِهِ ، وعنده ابن أبي الكرام ومحمد بن لُوط بن المغيرة بن
نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فاسترجعا وقالا : والله ما بقي من أهل المدينة
أحدٌ ، هذا رأس أبي الشدائد ، فالح بن معمر — رجل من بني فزارة مكفوف —
قال : فأمر منادياً فنادى : مَنْ جاء برأس ضربنا رأسه .

وحدثني عليّ بن زاذان ، قال : حدثني عبد الله بن برقي ، قال : رأيت
قائداً من قوَاد عيسى ، جاء في جماعة يسأل عن منزل ابن هرمز ؛ فأرشدناه إليه .
قال : فخرج وعليه قميص رباط ، قال : فأنزلوا قائداً هم ، وحملوه على بَرْدُونِهِ
وخرجوا به يزفونه ، حتى أدخلوه على عيسى ، فما هاجه .

حدثني قدامة بن محمد ، قال : خرج عبد الله بن يزيد بن هرمز ومحمد
ابن عجلان مع محمد ، فلما حضر القتال ، تقلد كل واحد منهما قوساً ،
فظننا أنهما أرادا أن يُريا الناس أنهما قد صدّعا لذلك .

٢٥٢/٣

وحدثني عيسى ، قال : حدثني حسين بن يزيد ، قال : أَتَيْتَ بَابَ هَرَمَزٍ
إِلَى عَيْسَى بَعْدَ مَا قَتَلَ مُحَمَّدٌ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، أَمَا وَزَعَكَ فَقَهْلُكَ عَنْ
الْخُرُوجِ مَعَ مَنْ خَرَجَ ! قَالَ : كَانَتْ فِتْنَةٌ شَمَلَتْ النَّاسَ ، فَشَمَلْتُنَا فِيهِمْ ، قَالَ :
اذْهَبْ رَاشِداً .

وحدثني محمد بن الحسن بن زبالة ، قال : سمعتُ مالك بن أنس ، يقول :
كَنتُ آتِي ابْنَ هَرَمَزٍ فَيَأْمُرُ الْجَارِيَةَ فَتَغْلِقُ الْبَابَ ، وَتَرْخِي السِّتْرَ ، ثُمَّ يَذْكُرُ
أَوَّلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، ثُمَّ يَبْكِي حَتَّى تَخْضَلُ لَحْيَتَهُ . قَالَ : ثُمَّ خَرَجَ مَعَ مُحَمَّدٍ
فَقِيلَ لَهُ : وَاللَّهِ مَا فِيكَ شَيْءٌ ، قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ ؛ وَلَكِنْ يَرَانِي جَاهِلٌ فَيَقْتَدِي بِي .

حدثني عيسى ، قال : حدثني محمد بن زيد ، قال : لَمَّا قُتِلَ مُحَمَّدٌ
انْخَرَقَتِ السَّمَاءُ بِالْمَطَرِ بِمَا لَمْ أَرْ مِثْلَهُ انْخَرَقَ قَطٌّ مِنْهَا ، فَنَادَى مُنَادِي عَيْسَى :
لَا يَبِيتَنَّ بِالْمَدِينَةِ أَحَدٌ مِنَ الْجُنْدِ إِلَّا كَثِيرٌ مِنْ حُصَيْنٍ وَجَنْدِهِ ، وَلَحِقَ عَيْسَى
بِعَسْكَرِهِ بِالْجُحْرِفِ ؛ فَكَانَ بِهِ حَتَّى أَصْبَحَ ، ثُمَّ بَعَثَ بِالْبَشَارَةِ مَعَ الْقَاسِمِ بْنِ
حَسَنِ بْنِ زَيْدٍ ، وَبَعَثَ بِالرَّأْسِ مَعَ ابْنِ أَبِي الْكَرَامِ .

وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال :
لما أصبح محمد في مصرعه ، أرسلت أخته زينب بنت عبد الله وابنته فاطمة
إلى عيسى : إنكم قد قتلتم هذا الرجل ، وقضيت من حاجتكم ، فلو أذنتم
لنا فواريناه ! فأرسل إليهما : أما ما ذكرتما يابنتي عمي مما نيل منه فوالله ما
أمرت ولا علمت ؛ فوارياه راشدين . فبعثنا ^(١) إليه فاحتمل ، فقيل : إنه حُشى
في مقطع عنقه عديله قُطُنًا ، ودفن بالبقيع ، وكان قبره وجه زقاق دار
على بن أبي طالب ، شارعًا على الطريق أو قريبًا من ذلك ؛ وبعث عيسى بألوية
فوضَّع على باب أسماء بنت حسن بن عبد الله واحدٌ ، وعلى باب العباس بن
عبد الله بن الحارث آخر ، وعلى باب محمد بن عبد العزيز الزهري آخر ،
وعلى باب عبيد الله بن محمد بن صفوان آخر ، وعلى باب دار أبي عمرو
الغِفاري آخر ، وصاح مناديه : مَنْ دخل تحت لواء منها ، أو دخل دارًا
من هذه الدور فهو آمن ؛ ومطرت السماء مطرًا جودًا ^(٢) ، فأصبح الناس
هادئين ^(٣) في أسواقهم ؛ وجعل عيسى يختلف إلى المسجد من الجُرف ،
فأقام بالمدينة أيامًا ، ثم شخص صُبح تسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان
يريد مكة .

حدثني أزهر بن سعيد ، قال : لما كان الغد من قتل محمد أذن عيسى
في دفنه ، وأمر بأصحابه فصلبوا ما بين ثنية الوداع إلى دار عمر بن عبد العزيز .
قال أزهر : فرأيتهم صفين ؛ وكل بخشبة ابن خُضير من يحرسها ، فاحتمله
قومٌ في الليل فواروه ، ولم يقدَر عليهم ، وأقام الآخرون مصلين ثلاثًا ، ثم
تأذى بهم الناس ، فأمر عيسى بهم فألقوا على المفرح من سَلْع ، وهي مقبرة ^(٤)
اليهود ، فلم يزالوا هنالك ، ثم ألقوا في خندق بأصل ذباب .

حدثني عيسى بن عبد الله قال : حدثني أمي أم حسين بنت عبد الله بن
محمد بن علي بن حسين ، قالت : قلت لعَمِّي جعفر بن محمد : إني - فديتك -
ما أمر محمد بن عبد الله [هذا] ؟ ^(٥) قال : فتنته ^(٦) يقتل فيها محمد عند بيت

(٢) الجود : المطر الغزير .

(٤) ج : « مطمورة » .

(٦) ت : « فتنة » .

(١) ط : « فبعثت » ، والصواب ما أثبتته من ت .

(٣) ت : « هادين » .

(٥) من ت .

روى ، ويقتل أخوه لأبيه وأمه بالعراق وحوافر فرسه في ماء .

حدثني عيسى ، عن أبيه ، قال : خرج مع محمد حمزة بن عبد الله بن محمد بن عليّ - وكان عمه جعفر ينهائهم ، وكان من أشد الناس مع محمد - قال : فكان جعفر يقول له : هو والله مقتول ، قال : ففتحني جعفر .

حدثني عيسى ، قال : حدثنا ابن أبي الكرام ، قال : بعثني عيسى برأس محمد ، وبعث معي مائة من الجند ، قال : ففتحنا حتى إذا أشرفنا على النجف كبرنا - قال : وعامر بن إسماعيل يومئذ بواسط محاصر هارون ابن سعد العجليّ - فقال أبو جعفر للربيع : ويحك ! ما هذا التكبير ! قال : هذا ابن أبي الكرام ، جاء برأس محمد بن عبد الله ، قال : ائذن له ولعشرة ممن معه ، قال : فأذن لي ، فوضعت الرأس بين يديه في ترس ، فقال : من قتل معه من أهل بيته ؟ قلت : لا والله ولا إنسان ، قال : سبحان الله ! هو ذاك . قال : فرفع رأسه إلى الربيع ، فقال : ما أخبرنا صاحبه الذي كان قبله ؟ قال الربيع : زعم أنه قتل منهم عدد كثير ، قلت : لا والله ولا واحد .

حدثني عليّ بن إسماعيل بن صالح بن ميثم ، قال : لما قدم برأس محمد على أبي جعفر وهو بالكوفة ، أمر به فطيف في طابق أبيض ، فرأيت آدم أرقط ، فلما أمسى من يومه بعث به إلى الآفاق .

حدثني عبد الله بن عمر بن حبيب من أهل ينسبع ، قال : لما أتى أبو جعفر ٢٥٥/٣ برءوس بني شجاع ، قال : هكذا فليكن الناس ، طلبت محمدًا فاشتعل هؤلاء عليه ، ثم نقلوه وانتقلوا معه ، ثم قاتلوا معه فصبروا حتى قتلوا .

قال عمر : أنشدني عيسى بن إبراهيم وإبراهيم بن مصعب بن عمار بن حمزة بن مصعب ، ومحمد بن يحيى ومحمد بن الحسن بن زبالة وغيرهم لعبد الله ابن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يرثي محمدًا :

تبكى مُدْلَهُ أَنْ تَقْنَصَ حَبْلَهُمْ عِيسَى وَأَقْصَدَ صَائِبًا عَثْمَانَا (١)

(١) بعدها في ت : يعني بعيسى بن حصين وعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير .

هَلَّا عَلَى الْمَهْدَىٰ وَابْنِي مُصْعَبٍ
وَلِفَقْدِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ تَصَدَّعَتْ
سَالَتْ دُمُوعُكَ ضَلَّةً قَدْ هَجَّتْ لِي
وَاللَّهِ مَا وَلَدَ الْحَوَاضُنُ مِثْلَهُمْ
وَأَشَدَّ نَاهِضَةً وَأَقْوَلَ لِلَّتِي
فَهَنَّاكَ لَوْ فَقَاتَ غَيْرَ مُشَوِّهِ
رُزُّكَ لَعَمْرُكَ لَوْ يُصَابُ بِمِثْلِهِ
وقال ابن مصعب :

يَا صَاحِبِي دَعَا الْمَلَامَةَ وَاعْلَمَا
وَقِفَا بِقَبْرِ ابْنِ النَّبِيِّ فَسَلَّمَا
قَبْرُ تَضَمَّنَ خَيْرَ أَهْلِ زَمَانِهِ ٢٥٦/٣
رَجُلٌ نَفَى بِالْعَدْلِ جَوْرَ بِلَادِنَا
لَمْ يَجْتَنِبْ قَصْدَ السَّبِيلِ وَلَمْ يَجْرُ
لَوْ أَعْظَمَ الْحَدَّثَانِ شَيْئًا قَبْلَهُ
أَوْ كَانَ أَمْتَعَ بِالسَّلَامَةِ قَبْلَهُ
ضَحَّوْا بِإِبْرَاهِيمَ خَيْرَ ضَحِيَّةٍ
بِطَلًّا يَخْوُضُ بِنَفْسِهِ غَمَرَاتِهَا
حَتَّى مَضَتْ فِيهِ السُّيُوفُ وَرُبَّمَا
أَضْحَى بَنُو حَسَنِ أَبِيحَ حَرِيمُهُمْ
وَنَسَاوَهُمْ فِي دَوْرِهِنَّ نَوَائِحَ
يَتَوَسَّلُونَ بِقَتْلِهِمْ وَيَرَوْنَهُ
وَاللَّهِ لَوْ شَهِدَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ

أَذْرَيْتَ دَمْعَكَ سَاكِبًا تَهْتَانَا!
عَنِ الْجُمُوعِ فَوَاجَهَ الْأَقْرَانَا
بُرَحَاءَ وَجَدٍ تَبَعْتُ الْأَحْزَانَا
أَمْضَى وَأَرْفَعَ مَحْتَدًا وَمَكَانَا
تَنْفِي مَصَادِرُ عَدْلُهَا الْبَهْتَانَا
عَيْنِيكَ مِنْ جَزَعٍ عَذَرْتَ عَلَانَا
مِبْطَانُ صَدْعٍ رُزُّهُ مِبْطَانَا

أَنْ لَسْتُ فِي هَذَا بِالْيَوْمِ مِنْكُمْ
لَا بِأَسْ أَنْ تَقِفَا بِهِ فَتُسَلَّمَا
حَسْبًا وَطِيبَ سَجِيَّةٍ وَتَكْرُمَا
وَعَفَا عَظِيمَاتِ الْأُمُورِ وَأَنْعَمَا
عَنْهُ ، وَلَمْ يَفْتَحْ بِفَاحِشَةٍ فَمَا
بَعْدَ النَّبِيِّ بِهِ لَكُنْتَ الْمَعْظَمَا
أَحَدًا لَكَانَ قِصَارُهُ أَنْ يَسَلَّمَا
فَتَصَرَّمَتْ أَيَّامُهُ وَتَصَرَّمَا
لَا طَائِشًا رَعَشًا وَلَا مُسْتَسَلَّمَا
كَانَتْ حُتُوفُهُمُ السُّيُوفُ وَرُبَّمَا
فِينَا وَأَصْبَحَ نَهْبُهُمْ مَتَقَسَّمَا
سَجَّعَ الْحَمَامُ إِذَا الْحَمَامُ تَرَنَّمَا
شَرَفًا لَهُمْ عِنْدَ الْإِمَامِ وَمَغْنَمَا
صَلَّى إِلَاهَهُ عَلَى النَّبِيِّ وَسَلَّمَا

إِشْرَاعَ أُمِّهِ الْأَسْنَةَ لِابْنِهِ حَتَّى تَقْطُرَ مِنْ طُبَاتِهِمْ دَمًا
حَقًّا لَا يَقْنُ أَنَّهُمْ قَدْ ضَيَّعُوا تِلْكَ الْقَرَابَةَ وَاسْتَحْلَوْا الْمَحْرَمَاتِ

وحدثني إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم ، قال : حدثني موسى بن عبد الله
ابن حسن ، قال : خرجتُ من منازلنا بسويقة في الليل ، وذلك قبلُ مُخْرَجِ مُحَمَّدٍ
ابن عبد الله ؛ فإذا بنسوة كأنما خرجن من ديارنا ؛ فأخذتني عليهنَّ غَيْرَةً ،
فإني لأتبعهنَّ أنظر أين يَرْدُنَّ ؛ حتى إذا كنَّ بطرف الحميراء من جانب
الغَرْسِ (١) ؛ التفتت إليَّ إحداهنَّ ، فقالت :

سُويقةُ بعدَ ساكنها يَبَابُ لقد أُمستُ أجَدَّ بها الخرابُ

فعرفتُ أنهنَّ من ساكني الأرض ، فرجعت .

وحدثني عيسى ، قال : لما قَتَلَ عيسى بن موسى مُحَمَّدًا قبضَ أموالَ
بنِي حسنَ كلَّها ، فأجاز ذلك أبو جعفر .

وحدثني أيوب بن عمر ، قال : لقِيَ جعفر بن محمد أبا جعفر ، فقال :
يا أمير المؤمنين ، رُدَّ عليَّ قطيعتي عين أبي زياد آكل من سَعَفِهَا ، قال : إياي
تكلم بهذا الكلام ! والله لأزهيقنَّ نفسَكَ . قال : فلا تعجلُ عليَّ ؛ قد بلغت
ثلاثا وستين ، وفيها مات أبي وجدِّي عليَّ بن أبي طالب ؛ وعليَّ كذا وكذا
إن ربَّكَ بشيء أبَدًا ، وإن بقيتُ بعدك إن ربَّت الذي يقوم بعدك . قال :
فرقَّ له وأعفاه .

وحدثني هشام بن إبراهيم بن هشام بن راشد ، قال : لم يَرُدَّ أبو جعفر
عينَ أبي زياد حتى ماتَ فردَّها المهديُّ عليَّ ولده .

وحدثني هشام بن إبراهيم ، قال : لما قُتِلَ مُحَمَّدُ أَمْرُ أَبُو جَعْفَرٍ بِالْبَحْرِ
فأَقْتُلَ على أهل المدينة ، فلم يَحْمَلْ إليهم من ناحية البحار شيء ؛ حتى كان
المهديُّ فأمَرَ بِالْبَحْرِ ففُتِحَ لهم ، وأُذِنَ في الحمل .

وحدثني محمد بن جعفر بن إبراهيم ، قال : حدَّثتني أُمِّي أُمَّ سلمة بنت

محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر زوجة موسى بن عبد الله ، قالت : خاصم بنو الخزومية عيسى وسليمان وإدريس بنو عبد الله بن حسن بن محمد بن عبد الله بن حسن في ميراث عبد الله ، وقالوا : قُتِلَ أبوكم محمد فورثه عبد الله ؛ فتنازعوا إلى الحسن بن زيد ؛ فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين أبي جعفر ، فكتب إليه : أما بعد ؛ فإذا بلغك كتابي هذا فورثهم من جدّهم ، فإنّي قد رددت عليهم أموالهم صلةً لأرحامهم ، وحفظاً لقرابتهم . ٢٥٨/٣

وحدثني عيسى ، قال : خرج مع محمد من بني هاشم الحسن ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وحسين وعيسى ابنا زيد بن عليّ بن حسين بن عليّ بن أبي طالب ؛ قال : فحدثني عيسى ، قال : بلغني أن أبا جعفر كان يقول : وأعجبنا لخروج ابني زيد بن عليّ وقد قتلنا قاتل أبيهما كما قتله ، وصلبناه كما صلبه ، وأحرقناه كما أحرقه ، وحمزة ابن عبد الله بن محمد بن عليّ بن حسين بن أبي طالب ، وعليّ وزيد ابنا حسن ابن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب !

قال عيسى : قال أبو جعفر للحسن بن زيد : كأني أنظر إلى ابنك واقفين على رأس محمد بسيفين ، عليهما قباءان . قال : يا أمير المؤمنين ، قد كنت أشكو إليك عقوقهما قبل اليوم ، قال : أجل فهذا من ذاك . والقاسم ابن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، والمرجى عليّ بن جعفر بن إسحاق بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال عيسى : قال أبو جعفر لجعفر بن إسحاق : من المرجى هذا ؟ فعل الله به وفعل ! قال : يا أمير المؤمنين ؛ ذاك ابني ، والله لئن شئت أن أتنى منه لأفعلن . ومن بني عبد شمس محمد بن عبد الله بن عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس . ٢٥٩/٣

قال : وحدثني أبو عاصم النبيل ، قال : حدثني عباد بن كثير ، قال : خرج ابن عجلان مع محمد ، وكان على ثقله ^(١) ، فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة قيّده ، فدخلت عليه ، فقلت : كيف ترى رأي أهل البصرة في رجل قيّد الحسن ؟

قال : سيئاً والله ، قال : قلت : فإن ابن عجلان بهذه كالحسن ثم ، فتركه .
ومحمد بن عجلان مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

وحدثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله ، أن عبيد الله بن عمر
ابن حفص بن عاصم خرج معه ؛ فأتى به أبو جعفر بعد قتل محمد ، فقال
له : أنت الخارج على مع محمد ؟ قال : لم أجد إلا ذلك أو الكفر بما أنزل
الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، قال عمر : هذا ^(١) وهم .

قال : وحدثني عبد العزيز بن أبي سلمة بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ،
قال : كان عبيد الله قد أجاب محمداً إلى الخروج معه ؛ فأت قبل أن يخرج ،
وخرج معه أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى
ابن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ،
وخرج معه عبد الواحد بن أبي عون مولى الأزدي وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن
ابن المسور بن مخزومة وعبد العزيز بن محمد الدراوردي وعبد الحميد بن جعفر
وعبد الله بن عطاء بن يعقوب مولى بني سباع ، وابن سباع من خزاعة حليف
بني زهرة ، وبنو إبراهيم وإسحاق وربيعة وجعفر وعبد الله وعطاء ويعقوب وعثمان
وعبد العزيز ؛ بنو عبد الله بن عطاء .

وحدثني إبراهيم بن مصعب بن عمار بن حمزة بن مصعب بن الزبير .
قال : وحدثني الزبير بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، قال :
إنا لبالمر من بطن إضم ، وعندى زوجتي أمينة بنت خضير ؛ إذ مر بنا
رجل مصعب من المدينة ، فقالت له : ما فعل محمد ؟ قال : قُتِل ، قالت :
فما فعل ابن خضير ؟ قال : قتل ، فخرت ساجدة ، فقلت : أتسجدين أن
قُتِل أخوك ! قالت : نعم ، أليس لم يفر ولم يؤسر !

قال عيسى : حدثني أبي ، قال : قال أبو جعفر لعيسى بن موسى :
من استنصر مع محمد ؟ قال : آل الزبير ، قال : ومن ؟ قال : وآل

عمر ، قال : أما والله لعن غير مودة بهما له ولا محبة له ولا لأهل بيته . قال : وكان أبو جعفر يقول : لو وجدت ألفاً من آل الزبير كلهم محسن وفيهم مسيء واحد لقتلتهم جميعاً ، ولو وجدت ألفاً من آل عمر كلهم مسيء وفيهم محسن واحد لأغفيتهم جميعاً .

قال عمر : وحدثنى إبراهيم بن مصعب بن عمارة بن حمزة بن مصعب ، قال : حدثني محمد بن عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، قال : لما قُتِل محمد ، هرب أبي وموسى بن عبدالله بن حسن وأنا معهما وأبو هبّار المزني ، فأتينَا مكة ، ثم انحدرنا إلى البصرة ، فاكترينا من رجل يدعى حكيماً ، فلما وردنا البصرة — وذلك بعد ثلث^(١) الليل — وجدنا الدُّرُوبَ مغلقة ، فجلسنا عندها حتى طلع الفجر ؛ ثم دخلنا فترلنا المِرْبَدَ ، فلما أصبحنا أرسلنا حكيماً يبتاع لنا طعاماً ؛ فجاء به على رجل أسود ، في رجله حديدة ، فدخل به علينا فأعطاه جُعْله ، فتسخط علينا ، فقلنا : زده ، فتسخط ، فقلنا له : ويلك ! أضعف له ، فأبى ، فاستراب بنا ، وجعل يتصفّح وجوهنا . ثم خرج فلم ننشَبْ أن أحاطت بمنزلنا الخيل ، فقلنا لربة المنزل : ما بال الخيل ؟ فقالت : لا بأس فيها^(٢) ، تطلب رجلاً من بني سَعْد يدعى نَمِيلَةَ بن مُرَّة ، كان خرج مع إبراهيم . قال : فوالله ما راعنا إلاّ بالأسود قد دُخِلَ به علينا ، قد غُطِّيَ رأسه ووجهه . فلما دُخِلَ به كُشِفَ عنه ، ثم قيل : أهؤلاء ؟ قال : نعم هؤلاء ؛ هذا موسى بن عبد الله ، وهذا عثمان بن محمد ، وهذا ابنه ؛ ولا أعرف الرابع غير أنه من أصحابهم . قال : فأخذنا جميعاً ، فدُخِلَ بنا على محمد بن سليمان فلما نظر إلينا أقبل على موسى ، فقال : لا وصل الله رحيمك ! أتركت البلاد جميعاً وجئتني ! فإمّا أطلقتك فتعرّضتُ لأُمير المؤمنين ، وإمّا أخذتُك فقطعت رحيمك . ثم كتب إلى أمير المؤمنين بخبرنا^(٣) . قال : فجاء الجواب أن احملهم إلى ، فوُجِّهنا إليه ومعنا جند ، فلما صرنا بالبطيحة وجدنا بها جُنُوداً آخر ينتظروننا ؛ ثم لم نزلْ نَأْتِي على المسالِح من الجُنُود في طريقنا كله ، حتى

٢٦١/٣

(١) ج : « ثلاث ليال » . (٢) ت ، ج : « منها » .

(٣) كذا في ت ، وهو الصواب ، وفي ط : « وحددنا »

وردنا بغداد ، فدُخل بنا على أبي جعفر ، فلما نظر إلى أبي قال : هيه ! أخرجت على مع محمد ! قال : قد كان ذاك ؛ فأغلظ له أبو جعفر ؛ فراجعته ملياً ، ثم أمر به فضربت عنقه . ثم أمر بموسى فضرِب بالسياط ، ثم أمر بي فضرِب إليه ، فقال : اذهبوا به فأقيموه على رأس أبيه ؛ فإذا نظر إليه فاضربوا عنقه على جيفته . قال : فكلمه عيسى بن علي ، وقال : والله ما أحسبه بلغ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، كنتُ غلاماً حدثاً غيراً أمرني أبي فأطعته ، قال : فأمر بي فضرِبُ خمسین سوطاً ، ثم حبسني في المطبق وفيه يومئذ يعقوب بن داود ، فكان خير رفيق أرافقه وأعطفه ، يُطعمني من طعامه ، ويسقيني من شرابه ، فلم نزل كذلك حتى توفى أبو جعفر ، وقام المهدي وأخرج يعقوب ، فكلمه في فأخرجني .

قال : وحدثني أيوب بن عمر ، قال : حدثني محمد بن خالد ، قال : أخبرني محمد بن عروة بن هشام بن عروة ، قال : إني لعند أبي جعفر ، إذ أتى فقيل له : هذا عثمان بن محمد بن خالد قد دُخل به ، فلما رآه أبو جعفر ، قال : أين المال الذي عندك ؟ قال : دفعته إلى أمير المؤمنين رحمه الله ، قال : ومن أمير المؤمنين ؟ قال : محمد بن عبد الله ، قال : أبايته (١) ؟ قال : نعم كما بايعته ، قال : يا بن اللخناء ! قال : ذاك من قامت عنه الإماء ، قال : اضرب عنقه ، قال : فأخذ (٢) فضربت عنقه .

قال : وحدثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، قال : حدثني محمد ابن عثمان بن خالد الزبيرى ، قال : لما خرج محمد خرج معه رجل من آل كثير بن الصلت ، فلما قتل وهُزم أصحابه تغيبوا ؛ فكان أبي والكثيرى فيمن تغيب ، فلبثوا بذلك ؛ حتى قدم جعفر بن سليمان والياً على المدينة ، فاشتد في طلب أصحاب محمد ، فاكترى أبي من الكثيرى إبلاً كانت له ، فخرجنا متوجهين نحو البصرة ؛ وبلغ الخبر جعفرأ ، فكتب إلى أخيه محمد يعلمه بتوجهنا إلى البصرة ، ويأمره بالترصد لنا والتيقظ لأمرنا ومقدمنا ، فلما قدمنا علم محمد بمقدمنا ومكاننا ، فأرسل إلينا فأخذنا ، فأتى بنا ، فأقبل عليه

(١) ت : « أتابعته » .

(٢) كذا في ت ، وفي ط : « فأخر » .

أبى ، فقال : يا هذا ، اتق الله فى كَرِيَّتِنَا ^(١) هذا ؛ فإنه أعرابى لا علم له بنا ، إنما أكرأنا ابتغاء الرزق ، ولو علم بجريرتنا ما فعل ؛ وأنت معترضه لأبى جعفر ؛ وهو مَنْ قد علمت ؛ فأنت قاتله ومتحمل مأثمه . قال : فوجمَّ محمد طويلاً ، ثم قال : هو والله أبو جعفر ، والله ما أتعرض له ، ثم حُمِلنا جميعاً فدخلنا على أبى جعفر ؛ وليس عنده أحد يعرف الكثيرى غير الحسن بن زيد ، فأقبل على الكثيرى ، فقال : يا عدو الله ، أتكرى عدو أمير المؤمنين ، ثم تنقله من بلد إلى بلد ، تواريه مرة وتظهره أخرى ! قال : يا أمير المؤمنين ، وما علمى بخبره وجريرته وعداوته إياك ! إنما أكريته جاهلاً به ، ولا أحسبه إلا رجلاً من المسلمين ، يرى الساحة ؛ سليم الناحية ؛ ولو علمت حاله لم أفعل . قال : وأكبَّ الحسن بن زيد ينظر ^(٢) إلى الأرض ، لا يرفع رأسه . قال : فأوعد أبو جعفر الكثيرى وتهده ، ثم أمر بإطلاقه ، فخرج فتغيّب ، ثم أقبل على أبى ، فقال : هيه يا عثمان ! أنت الخارج على أمير المؤمنين ، والمعين عليه ^(٣) ! قال : بايعتُ أنا وأنت رجلاً بمكة ، فوفيتُ ببيعتى وغدرتُ ببيعتك . قال : فأمر به فضربت عنقه .

٢٦٤/٣

قال : وحدثنى عيسى ، قال : حدثنى أبى ، قال : أتى أبو جعفر بعبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فنظر إليه فقال ^(٤) : إذا قتلتُ مثل هذا من قریش فمن أستبى ! ثم أطلقه ، وأتى بعثمان بن محمد ابن خالد فقتله ، وأطلق ناساً من القرشيين ، فقال له عيسى بن موسى : يا أمير المؤمنين ، ما أشقى هذا بك من بينهم ! فقال : إن هذا يدى ^(٥) .

قال : وحدثنى عيسى ، قال : سمعتُ حسن بن زيد يقول : غدوت يوماً على أبى جعفر ؛ فإذا هو قد أمر بعمل دكان ، ثم أقام عليه خالداً . وأتى بعل بن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، فأمر به فضرب خمسمائة سوط . ثم أتى بعبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع فأمر به فجلد خمسمائة سوط ؛ فما تحرَّك واحد منهما ، فقال لى : هل رأيتَ أصبر من

(١) الكرى : الذى يكرىك دابته .
(٢) ج : « علينا » . (٤) ج : « ثم قال » . (٥) كذا فى « وقط : « بيتى » .
(٣) ج : « علينا » . (٤) ج : « ثم قال » . (٥) كذا فى « وقط : « بيتى » .

هذين قطاً ! والله إنا لنؤتّى بالذين قد قاسوا غلظ المعيشة وكدّها ، فما يصبرون هذا الصبر ، وهؤلاء أهل الخفض والكين والنعمة ، قلت : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء قومك أهل الشرف والقدر ، قال : فأعرض عني ، وقال : أبيت إلا العصبية ! ثم أعاد عبد العزيز بن إبراهيم بعد ذلك ليضربه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الله الله فينا ! فوالله إني لمكبّ على وجهي منذ أربعين ليلة ، ما صليتُ لله صلاة ! قال : أنتم صنعتم ذلك بأنفسكم ، قال : فأين العفو يا أمير المؤمنين ؟ ٢٦٥/٣ قال : فالعفو والله إذاً ، ثم خلّى سبيله .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : كثروا محمداً وألحقوا في القتال حتى قتل محمد في النصف من شهر رمضان سنة خمسة وأربعين ومائة ، وحمل رأسه إلى عيسى بن موسى ، فدعا ابن أبي الكرام ، فأراه إياه ، فعرفه فسجد عيسى بن موسى ، ودخل المدينة ، وآمن الناس كلهم . وكان مكث محمد بن عبد الله من حين ظهر إلى أن قتل شهرين وسبعة عشر يوماً^(١) .

* * *

وفي هذه السنة : استخلف عيسى بن موسى على المدينة كثير بن حصين حين شخص عنها بعد مقتل محمد بن عبد الله بن حسن ؛ فكث والياً عليها شهراً ، ثم قدم عبد الله بن الربيع الحارثي والياً عليها من قبيل أبي جعفر المنصور^(٢) .

وفي هذه السنة ثارت السودان بالمدينة بعبد الله بن الربيع ، فهرب منهم .

* * *

ذكر الخبر عن وثوب السودان

بالمدينة في هذه السنة والسبب الذي هيج ذلك

ذكر عمر بن شبة أن محمد بن يحيى حدثه ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : كان رياح بن عثمان يستعمل أبا بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة على صدقة أسد وطى ، فلما خرج محمد أقبل إليه أبو بكر بما كان جيا^(٢) وشمّرمعه ، فلما استخلف عيسى كثير

(١) هذا الخبر ساقط من ت

(٢) إلى هنا ينتهي الموجود من نسخة ت .

٢٩٦/٣

ابن حصين على المدينة أخذ أبا بكر ، فضربه سبعين سوطاً وحدّده وجبسه .
ثم قدم عبد الله بن الربيع واليّا من قبيل أبي جعفر يوم السبت لخمس بقين
من شوال سنة خمس وأربعين ومائة ، فنازع جنده التجار في بعض ما يشترونه
منهم ، فخرجت طائفة من التجار حتى جاءوا دار مروان ، وفيها ابن الربيع ،
فشكوا ذلك إليه ، فنهزم وشتمهم ، وطمع فيهم الجند ، فتزايدوا في سوء الرأي .

قال : وحدثني عمر بن راشد ، قال : انتهب الجند شيئاً من متاع السوق ،
وغدوا على رجل من الصّرافين يدعى عثمان بن زيد ، فغالبوه على كيسه ؛
فاستغاث ، فخلّص ماله منهم ، فاجتمع رؤساء أهل المدينة فشكوا ذلك إلى
ابن الربيع فلم ينكره ولم يغيّره ، ثم جاء رجل من الجند فاشترى من جزار
لحمًا يوم الجمعة ، فأبى أن يعطيه ثمنه ، وشهر عليه السيف ؛ فخرج عليه
الجزار من تحت الوضّمْ بشفرة ، فطعن بها خاصرته ، فخرّ عن دابته ،
واعتوره^(١) الجزارون فقتلوه ، وتنادى السودان عن الجند وهم يروحون إلى الجمعة
فقتلهم بالعمد في كل ناحية ، فلم يزلوا على ذلك حتى أمسوا ، فلما كان
الغد هرب ابن الربيع .

قال : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ،
قال : نفخ السودان في بوق لهم ؛ فذكر لي بعض من كان في العالية وبعض
من كان في السافلة ، أنه كان يرى الأسود من سكّانهما في بعض عمله يسمع
نفخ البوق ، فيصغى له حتى يتيقنه ثم يوحش^(٢) بما في يده ، ويأتم الصوت
حتى يأتيه . قال : وذلك يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحجة من سنة خمس
وأربعين ومائة ، ورؤساء السودان ثلاثة نفر : وثيق ويعقل ورمقة . قال : فغدوا
على ابن الربيع ، والناس في الجمعة فأعجلوهم عن الصّلاة ، وخرج إليهم
فاستطردوا له ؛ حتى أتى السوق فرّ بمساكين خمسة يسألون في طريق المسجد ،
فحمل عليهم بمن معه حتى قتلهم ، ثم مر بأصيّبيّة على طنّسف دار ،
فظنّ أن القوم منهم ؛ فاستنزلهم واخذعهم وآمنهم ؛ فلما نزلوا ضرب

٢٩٧/٣

(٢) ب : « توحش » .

(١) ط : « واعتوره » .

أعناقهم ، ثم مضى ووقف^(١) عند الحنّاطين ، وحمل عليه السودانُ ، فأجلى هارباً فاتبعوه حتى صار إلى البقيع ، ورهقوه فنثر لهم دارهم ؛ فشغلهم بها ، ومضى على وجهه حتى نزل بطن نخل ، عن ليلتين من المدينة .

قال : وحدّثني عيسى ، قال : خرج السودان على ابن الربيع ، ورؤسائهم : وثيق وحنديا وعنفود وأبو قيس ؛ فقاتلهم فهزموه ، فخرج حتى أتى بطن نخل فأقام بها .

وحدّثني عمر بن راشد ، قال : لما هرب ابن الربيع وقع السودان في طعام لأبي جعفر من سويق ودقيق وزيت وقسب ، فانتهبوه ، فكان حمل الدقيق بدرهمين^(٢) ، وراوية زيت بأربعة دراهم .

وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال : أغاروا على دار مروان ودار يزيد ؛ وفيهما طعام كان حمل للجند في البحر ، فلم يدعوا فيهما شيئاً . قال : وشخص سليمان بن فليح بن سليمان في ذلك اليوم إلى أبي جعفر ، فقدم عليه فأخبره الخبر .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، ٢٦٨/٣ قال : وقتل السودان نفرّاً من الجند ، فهابهم الجند حتى أن كان الفارس ليلقى الأسود وما عليه إلا خيرتان على عورته ودراعة ، فيوليه دبره احتقاراً له ، ثم لم ينشب أن يشدّ عليه بعمود من عمود السوق فيقتله : فكانوا يقولون : ما هؤلاء السودان إلا سحرة أو شياطين !

قال : وحدّثني عثمان بن عمرو السهمي ، قال : حدّثني المسور بن عبد الملك ، قال : لما حبس ابن الربيع أبا بكر بن أبي سبرة ، وكان جاء بجباية طيء وأسد ، فدفعها إلى محمد ، أشفق القرشيون على ابن أبي سبرة ، فلما خرج السودان على ابن الربيع ، خرج ابن أبي سبرة من السجن ، فخطب الناس ، ودعاهم إلى الطاعة ، وصلى بالناس حتى رجع ابن الربيع .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ،

قال : خَرَجَ ابنُ أبي سَبْرَةَ من السَّجْنِ والحديد عليه ، حتى أتى المسجد ، فأرسل إلى محمد بن عمران ومحمد بن عبد العزيز وغيرهما ، فاجتمعوا عنده ، فقال : أنشدكم الله وهذه البليَّة التي وقعت ! فوالله لئن تمت علينا عند أمير المؤمنين بعد الفعلة الأولى ، إنه لاصطلامُ البلد وأهله ، والعبيدُ في السوق بأجمعهم ؛ فأنشدكم الله إلا ذهبتم إليهم فكلتموهم في الرَّجعة والفَيْثَة إلى رأيكم ، فإنهم لانظام لهم . ولم يقوموا بدعوة ؛ وإنما هم قوم أخرجتهم الحمية ! قال : فذهبوا إلى العبيد فكلموهم ، فقالوا : مرحباً بكم يا موالينا ؛ والله ما قمنا إلا أنفَسَةً لكم مما عُمل بكم ، فأيدينا مع أيديكم وأمرنا إليكم ، فأقبلوا بهم إلى المسجد .

٢٦٩/٣

وحدثني محمد بن الحسن بن زبالة ، قال : حدثني الحسين بن مُصعب ، قال : لما خرج السودان وهرب ابن الرِّبيع ، جثَّتهم أنا وجماعة معي ، وقد عسكروا في السوق ، فسألناهم أن يتفرقوا ، وأخبرناهم أننا وإياهم لا تقوى على ما نصبو له ، قال : فقال لنا وثيق : إن الأمر قد وقع بما ترون ؛ وهو غير مبقٍ لنا ولا لكم ، فدعونا نشفيكم ونشتف أنفسنا ، فأبينَا ، ولم نزل بهم حتى تفرقوا . وحدثني عمر بن راشد ، قال : كان رئيسهم وثيق وخليفته يعقل الجزار . قال : فدخل عليه ابنُ عمران ، قال : إلى مَنْ تعهد يا وثيق ؟ قال : إلى أربعة من بني هاشم ، وأربعة من قُرَيْش ، وأربعة من الأنصار ، وأربعة من الموالى ؛ ثم الأمر شورى بينهم . قال : أسأل الله إن ولاك شيئاً من أمرنا أن يرزقنا عدلك ، قال : قدَّ والله ولائيه الله .

قال : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : حضر السوْدَانُ المسجد مع ابن أبي سَبْرَةَ ، فَرَقَى المنبر في كَيْسَلٍ حديد حتى استوى في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبعه محمد بن عمران ، فكان تحته ، وتبعهم محمد بن عبد العزيز فكان تحتهما ، وتبعهم سليمان ابن عبد الله بن أبي سَبْرَةَ ، فكان تحته جميعاً ؛ وجعل الناس يلغطون لغلطاً شديداً ، وابن أبي سَبْرَةَ جالسٌ صامتٌ . فقال ابن عمران : أنا ذاهبٌ إلى السوق ، فانهدر وانهدر مَنْ دونه ، وثبت ابن أبي سَبْرَةَ ،

فتكلم فحث على طاعة أمير المؤمنين ؛ وذكر أمر محمد بن عبد الله فأبلغ .
ومضى ابن عمران إلى السوق ، فقام على بئلاس من بئلاس الحنطة ، فتكلم
هناك ، فراجع الناس ؛ ولم يصل بالناس يومئذ إلا المؤذن ، فلما حضرت
العشاء الآخرة وقد ثاب الناس ، فاجتمع القرشيون في المقصورة ، أقام الصلاة ٢٧٠/٣
محمد بن عمار المؤذن ، الذي يلقب كساكس^(١) ، فقال للقرشيين : مَنْ
يصلّى بكم ؟ فلم يجبه أحدٌ ، فقال : ألا تسمعون ! فلم يجيبوه ، فقال : يا بن
عمران ، ويا بن فلان ، فلم يجبه أحدٌ ، فقام الأصبع بن سفيان بن عاصم
ابن عبد العزيز بن مروان ، فقال : أنا أصلى ، فقام في المقام ، فقال للناس :
استووا ، فلما استوت الصفوف أقبل عليهم بوجهه ، ونادى بأعلى صوته :
ألا تسمعون ! أنا الأصبع بن سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان ، أصلى
بالناس على طاعة أبي جعفر ، فردّد ذلك مرتين أو ثلاثاً ، ثم كبر فصلى ،
فلما أصبح الناس قال ابن أبي سبرة : إنه قد كان منكم بالأمس ما قد علمتم ؛
نهبتم ما في دار عاملكم وطعام جند أمير المؤمنين ، فلا يبقين عند أحد منكم شيء
إلا ردّه ، فقد أقعدت لكم الحكم بن عبد الله بن المغيرة بن موهب ؛ فرفع
الناس إليه ما انتهبوا ، فقليل : إنه أصاب قيمة ألف دينار .

وحدثني عثمان بن عمرو ، قال : حدثني المسور بن عبد الملك ، قال : ائتمر
القرشيون أن يدعوا ابن الربيع يخرج ثم يكلموه في استخلاف ابن أبي سبرة
على المدينة ، ليتحلّل ما في نفس أمير المؤمنين عليه ؛ فلما أخرجه السودان ،
قال له ابن عبد العزيز : أخرج بغير والٍ استخلف ! ولها رجلاً ، قال :
مَنْ ؟ قال : قدامة بن موسى ، قال : فصيح بقدامة ، فدخل فجلس بين ابن
الربيع وبين ابن عبد العزيز ، فقال : ارجع يا قدامة ، فقد وليتك المدينة
وأعمالها ، قال : والله ما قال لك هذا مَنْ نصحتك ، ولا نَظَرَ لمن وراءه ،
ولا أراد إلا الفساد ، ولأحقّ بهذا مني ومنه مَنْ قام بأمر الناس وهو جالس ٢٧١/٣
في بيته — يعنى ابن أبي سبرة — ارجع أيتها الرجل ؛ فوالله ما لك عذر^(٢) في
الخروج ، فرجع ابن الربيع .

(٢) ب : « عذر » .

(١) ب : « كساكس » .

قال وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال :
ركب ابن عبد العزيز في نفر من قريش إلى ابن الربيع ، فناشدوه وهو بيطن
نخل إلا رجع إلى عمله ، فتأبى . قال : فخلا به ابن عبد العزيز ، فلم يزل
به حتى رجع وسكن الناس وهدوا .

قال : وحدثنى عمر بن راشد ، قال : ركب إليه ابن عمران وغيره وقد
نزل الأعوص ، فكلّموه فرجع ، فقطع يد وثيق وأبى النار ويعقل وميسر .

* * *

[ذكر الخبر عن بناء مدينة بغداد]

وفي هذه السنة أسست مدينة بغداد ، وهي التي تدعى مدينة المنصور .

* ذكر الخبر عن سبب بناء أبي جعفر إياها :

وكان سبب ذلك أن أبا جعفر المنصور بنى - فيما ذكر - حين أفضى
الأمر إليه الهاشمية ، قبالة مدينة ابن هبيرة ، بينهما عَرْض الطريق ، وكانت
مدينة ابن هبيرة التي بجبالها مدينة أبي جعفر الهاشمية إلى جانب الكوفة . وبني
المنصور أيضا مدينة بظهر الكوفة سماها الرُصافة ، فلما ثارت الرّاوندية
بأبي جعفر في مدينته التي تسمى الهاشمية ، وهي التي بجبال مدينة ابن هبيرة ، كره
سُكناها لاضطراب مَنْ اضطرب أمره عليه من الرّاوندية ، مع قرب جواره
من الكوفة ، ولم يأمن أهلها على نفسه ، فأراد أن يبعد من جوارهم ؛ فذكر أنه
٢٧٢/٣ خرج بنفسه يرتاد لها موضعاً يتخذ مسكناً لنفسه وجنده ، ويبتنى به مدينة ^(١) ،
فبدأ فانهدر إلى جسر جَرّأيا ثم صار إلى بغداد ، ثم مضى إلى الموصل ، ثم
عاد إلى بغداد ، فقال : هذا موضع معسكر صالح ، هذه دجلة ليس بيننا ^(٢)
وبين الصين شيء ، يأتينا فيها كلّ ما في البحر ، وتأتينا الميرة من الجزيرة
وأرمينية وما حول ذلك ، وهذا الفُرات يجيء فيه كلّ شيء من الشام والرقّة
وما حول ذلك . فنزل ^(٣) وضرب عسكره على الصّرة ، وخطّ المدينة ، ووكل
بكل رُبْع قائداً .

(١) ب : « مدينته » . (٢) ج : « بينها » .

(٣) بعدها في ب : « أبو جعفر المنصور » .

وذكر عمر بن شبة أن محمد بن معروف بن سويد حدثه ، قال :
حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان بن مجالد ، قال : أفسد أهل الكوفة جند
أمير المؤمنين المنصور عليه ، فخرج نحو الجبل يرتاد منزلاً ، والطريق يومئذ
على المدائن ، فخرجنا على سباط ، فتخلف بعض أصحابي لمرشد أصحابه ،
فأقام يعالج عينه ، فسأله الطبيب : أين يريد أمير المؤمنين ؟ قال : يرتاد
منزلاً ؛ قال : فلما نجد في كتاب عندنا ، أن رجلاً يدعى مقلصاً ، يبنى
مدينة بين دجلة والصرّة تدعى الزوراء ، فلذا أسسها وبني عراً^(١) منها
أناه فتق من الحجاز ، فقطع بناءها ، وأقبل على إصلاح ذلك الفتق ، فلذا كاد
يلتم أناه فتق من البصرة هو أكبر عليه منه ؛ فلا يلبث الفتق أن يلتئم ،
ثم يعود إلى بنائها فيتمه ، ثم يعمر عراً طويلاً ، ويبقى الملك في عقبه . قال
سليمان : فلن أمير المؤمنين لباطراف الجبال في ارتياد منزل ؛ إذ قدم على^{٢٧٣/٣}
صاحبي فأخبرني الخبر فأخبرت به أمير المؤمنين ، فدعا الرجل فحدثه
الحديث ، فكرّ راجعاً عوده على بدته ، وقال : أنا والله ذاك ! لقد سميت
مقلصاً وأنا صبي ، ثم انقطعت عني .

وذكر عن الهيثم بن عدي ، عن ابن عياش ، قال : لما أراد أبو جعفر
الانتقال من الهاشمية بعث رواداً يرتادون له موضعاً ينزله واسطاً ، رافقاً بالعامّة
والجند ، فنعت له موضع قريب من بارمّا ، وذكر له عنه غذاء طيب ،
فخرج إليه بنفسه حتى ينظر إليه ، وبات فيه ، وكرّر نظره فيه ، فرآه موضعاً
طيباً ، فقال لجماعة من أصحابه ؛ منهم سليمان بن مجالد وأبو أيوب الخوزي
وعبد الملك بن حميد الكاتب وغيرهم : ما رأيكم في هذا الموضع ؟ قالوا :
ما رأينا مثله ، هو طيب صالح موافق ، قال : صدقتم ؛ هو هكذا ؛ ولكنه
لا يحمل الجند والناس والجماعات ، وإنما أريد موضعاً يرتقي الناس به ويوافقهم
مع موافقته لي ، ولا تغلو عليهم فيه الأسعار ، ولا تشتد فيه المؤونة ، فلما
إن أقمت في موضع^(٢) لا يجلس إليه من البر والبحر شيء غلّت الأسعار ،
وقلّت المادة ، واشتدّت المؤونة ، وشقّ ذلك على الناس ؛ وقد مررت في

(١) العرق : صف من اللبن أو الأجر . (٢) ج : « بموضع » .

طريقى على موضع فيه مجتمعة هذه الحصال ؛ فأنا نازل فيه ، وبأنت به ؛ فلماذا اجتمع لى فيه ما أريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله للجند والناس أبتنيه .

قال الهيثم بن عدى : فخبّرت أنه أتى ناحية الجيسر ، فعبّر فى موضع قصر السلام ، ثم صلى العصر - وكان فى صَيْف ، وكان فى موضع القصر بيعة قَس - ثم بات ليلة حتى أصبح ، فبات أطيب مبيت فى الأرض وأرققه ، وأقام يومه فلم ير إلا ما يحب ، فقال : هذا موضع أبنى فيه ؛ فإنه تأتبه المادة من الفرات ودجلة وجماعة من الأنهار ، ولا يحمل الجند والعامة إلا مثله ، فخطتها وقدر بناءها ، ووضع أول لبنة بيده ، وقال : بسم الله والحمد لله ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ثم قال : ابنوا على بركة الله .

وذُكِرَ عن بشر بن ميمون الشروى وسليمان بن مجالد ، أن المنصور لما رجع من ناحية الجبل ، سأل عن خبر القائد الذى حدثه عن الطبيب الذى أخبره عما يجدون فى كتبهم من خبر مَقْلاص ، ونزل الدَيْر الذى هو حذاء قصره المعروف بالخلند ، فدعا بصاحب الدَيْر ، وأحضر البَطريق صاحب رجا البَطريق وصاحب بغداد وصاحب المحرم وصاحب الدير المعروف ببستان القس^(١) وصاحب العتيقة ، فسألهم عن مواضعهم ، وكيف هى فى الحر والبرد والأمطار والحوول والبق والهوام ؟ فأخبره كل واحد بما عنده من العلم ، فوجّه رجالاً من قبيله ، وأمر كل واحد منهم أن يبيت فى قرية منها ، فبات كل رجل منهم فى قرية منها ، وأتاه بخبرها . وشاور المنصور الذين أحضرهم ، وتنحّر^(٢) أخبارهم ؛ فاجتمع اختيارهم على صاحب بغداد ، فأحضره وشاوره ، وسأله - فهو الدهقان الذى قرينه قائمة إلى اليوم فى المربعة المعروفة بأبى العباس الفضل بن سليمان الطوسى ، وقباب القرية قائم بناؤها إلى اليوم ، وداره ثابتة على حالها - فقال : يا أمير المؤمنين ، سألتنى عن هذه الأمكنة وطبيها وما يُختار منها ؛ فالذى أرى يا أمير المؤمنين أن تنزل أربعة طَسَاسِيح^(٣)

(٢) يتنحر أخبارهم ، أى يتفطن لها .

(١) ج : « القصر » .

(٣) الطسوج : الناحية .

في الجانب الغربي طستوجين وهما قطربل وبادورينا ، وفي الجانب الشرقي طستوجين وهما نهر بوق وكتلواذي ، فأنت تكون بين نخل وقرب الماء ، فإن أجذب طسوج وتأخرت عمارته كان في الطسوج الآخر العمارات ، وأنت يا أمير المؤمنين على الصّرة ، تجيئك الميرة في السفن من المغرب في الفرات ، وتجيئك طرائف مصر والشّام ، وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة واسط في دجلة ، وتجيئك الميرة من أرمينية وما اتصل بها في تأمرًا حتى تصل إلى الزاب ، وتجيئك الميرة من الروم وآميد والحزيرة والموصل في دجلة ، وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة ؛ فإذا قطعت الجسر وأخربت القناطر لم يصل إليك عدوك ، وأنت بين دجلة والفرات لا يجيئك أحد من المشرق والمغرب إلا احتاج إلى العبور ، وأنت متوسط للبصرة واسط والكوفة والموصل والسّواد كله ، وأنت قريب من البر والبحر والجبل . فازداد المنصور عزماً على النزول في الموضع الذي اختاره . وقال له : يا أمير المؤمنين ؛ ومع هذا فإن الله قد منّ على أمير المؤمنين بكثرة جيوشه وقوّاده وجنده ؛ فليس أحد من أعدائه يطمع في الدنو منه ، والتدبير في المدن أن تتخذ لها الأسوار^(١) والحنادق ، والحصون ، ودجلة والفرات خنادق^(٢) لمدينة أمير المؤمنين^(٣) .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى أن حماداً الترمي ، قال : بعث المنصور ٢٧٩/٣ رجلاً في سنة خمس وأربعين ومائة ، يطلبون له موضعاً يبني فيه مدينته ، فطلبوا وارتادوا ، فلم يرض موضعاً ، حتى جاء فنزل الدّير على الصّرة ، فقال : هذا موضع أرضاه ، تأتية الميرة من الفرات ودجلة ، ومن هذه الصّرة . وذكر عن محمد بن صالح بن النطاح عن محمد بن جابر ، عن أبيه ، قال : لما أراد أبو جعفر أن يبني مدينته ببغداد رأى راهباً ، فناداه فأجابه ، فقال : تجدون في كتبكم أنه تبنى هاهنا مدينة ؟ قال الراهب : نعم ، بينها مقلّاص ؛ قال أبو جعفر : أنا كنت أدعى مقلّاصاً في حدائق . قال : فأنت إذا صاحبها ، قال : وكذلك لما أراد أن يبني الرّافقة بأرض الروم

(١) ب : « الأسواق » .

(٢) ب : « لأمير المؤمنين » .

امتنع أهل الرقة ، وأرادوا محاربتَه ، وقالوا : تعطل علينا أسواقنا ، وتذهب بمعاشنا^(١) ، وتضيق منازلنا ، فهم بمحاربتهم ، وبعث إلى راهب في الصومعة ، فقال : هل عندك علم أن يبنى ها هنا مدينة ؟ فقال له : بلغني أن رجلا يقال له مقلاص يبنها ، قال : أنا مقلاص ؛ فبناها على بناء مدينة بغداد ، سوى السور وأبواب الحديد وخنق منفرد .

وذكر عن السري ، عن سليمان بن مجالد ، أن المنصور وجهه في حشر الصنّاع والفعلّة من الشام والموصل والحبل والكوفة واسط والبصرة ، فأحضرها ، وأمر باختيار قوم من ذوى الفصل والعدالة والفقّه والأمانة والمعرفة بالهندسة ؛ فكان ممن أحضر لذلك الحجاج بن أرطاة وأبو حنيفة النعمان بن ثابت ، وأمر بخطط المدينة وحفر الأساسات ، وضرب اللبن وطبخ الآجر ، فبدئ بذلك ؛ وكان أول ما ابتدئ به في عملها سنة خمس وأربعين ومائة .

وذكر أن المنصور لما عزم على بنائها أحب أن ينظر إليها عياناً ، فأمر أن يخطط بالرماد ، ثم أقبل يدخل من كل باب ، ويمر في فُصلانها وطاقاتها ورحابها ؛ وهي مخطوطة بالرماد ، ودار عليهم ينظر إليهم وإلى ما خط من خنادقها ؛ فلما فعل ذلك أمر أن يجعل على تلك الخطوط حب القطن ، وينصب عليه النقطة ، فنظر إليها والنار تشتعل ، ففهمها وعرف رسمها ، وأمر أن يحفر أساس ذلك على الرسم ، ثم ابتدئ في عملها .

وذكر عن حماد التركي أن المنصور بعث رجالا يطلبون له موضعاً يبنى فيه المدينة ، فطلبوا ذلك في سنة أربع وأربعين ومائة ، قبل خروج محمد بن عبد الله بسنة أو نحوها ، فوقع اختيارهم على موضع بغداد ؛ قرية على شاطئ الصراة ؛ مما يلي الخلد ، وكان في موضع بناء الخلد دير ، وكان في قرن الصراة مما يلي الخلد من الجانب الشرق أيضاً قرية ودير كبير كانت تسمى سوق البقر ؛ وكانت القرية تسمى العتيقة ؛ وهي التي افتتحها المنشي بن حازمة الشيباني ، قال : وجاء المنصور ، فنزل الدير الذي في موضع الخلد على الصراة ، فوجده قليل البق ، فقال : هذا موضع أرضاه ، تأتبه الميرة من

(١) ب : « بمعيشنا » .

الفُرات ودجلة ، ويصلح أن تبنى فيه مدينة ؛ فقال للراهب الذي في الدير :
يا راهب ، أريد أن أبني ها هنا مدينة ، فقال : لا يكون ، إنما يسبى ها هنا
ملك يقال له أبو الدوانيق ؛ فضحك المنصور في نفسه ، وقال : أنا أبو الدوانيق . ٢٧٨/٣
وأمر فخطت المدينة ، ووكل بها أربعة قواد ، كل قائد بربع .

وذكر عن سليمان بن مجالد ، أن المنصور أراد أبا حنيفة النعمان بن ثابت
على القضاء ، فامتنع من ذلك ، فحلف المنصور أن يتولى له ، وحلف
أبو حنيفة ألا يفعل ، فولاه القيام ببناء المدينة وضرب اللبن وعده ، وأخذ
الرجال بالعمل . قال : وإنما فعل المنصور ذلك ليخرج من يمينه ؛ قال :
وكان أبو حنيفة المتولى لذلك ، حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلي
الحنديق ، وكان استتمامه في سنة تسع وأربعين ومائة .

وذكر عن الهيثم بن عدي ، أن المنصور عرض على أبي حنيفة القضاء
والمظالم فامتنع ، فحلف ألا يقطع عنه حتى يعمل ، فأخبر بذلك أبو حنيفة ،
فدعا بقصبة ، فعدّ اللبن على رجل قد لبّنه ، وكان أبو حنيفة أول من عدّ
اللبن بالقصب ؛ فأخرج أبا جعفر عن يمينه ، واعتلّ فأت ببغداد .

وقيل : إن أبا جعفر لما أمر بحفر الحندق وإنشاء البناء وإحكام الأساس ؛
أمر أن يجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعاً ، وقدّر أعلاه عشرين
ذراعاً ، وجعل في البناء جوائز قصّب مكان الخشب ، في كل طرقة ؛ فلمّا
بلغ الحائط مقدار قامة - وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة - أتاه خبر خروج
محمد فقطع البناء .

وذكر عن أحمد بن حميد بن جبلة ، قال : حدثني أبي ، عن جدّي
جبلة ، قال : كانت مدينة أبي جعفر قبل بنائها مزرعة للبغداديين ، يقال لها
المباركة ، وكانت لستين نفساً منهم ، فعوضهم منها وأرضاهم ، فأخذ جدّي
قسمة منها .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى بن المنصور ، أن حماداً التركي قال : كان ٢٧٩/٣
حول مدينة أبي جعفر قرى قبل بنائها ؛ فكان إلى جانب باب الشام قرية

يقال لها الخطائية ، على باب درب الثورة ، إلى درب الأقفاص ، وكان بعض نخلها في شارع باب الشام ، إلى أيام الخلع في الطريق ، حتى قطع في أيام الفتننة ، وكانت الخطائية هذه لقوم من الدهاقين ، يقال لهم بنو فَرْوة وبنو قنورا ؛ منهم إسماعيل بن دينار ويعقوب بن سليمان وأصحابهم .

وذكر عن محمد بن موسى بن الفرات أن القرية التي في مربعة أبي العباس كانت قرية جدّه من قبيل أمّه ، وأنهم من دهاقين يقال لهم بنو زُراري ؛ وكانت القرية تسمى الوردانية ، وقرية أخرى قائمة إلى اليوم مما يلي مربعة أبي فروة .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى أن المعروفة اليوم بدار سعيد الخطيب كانت قرية يقال لها شرفانية ، ولها نخيل قائم إلى اليوم مما يلي قنطرة أبي الجحون ، وأبو الجحون من دهاقين بغداد من أهل هذه القرية .

وذكر أن قطعة الربيع كانت مزارع للناس من قرية يقال لها بناوري من رُستاق الفروسيّج من بادُوريا .

وذكر عن محمد بن موسى بن الفرات ، أنه سمع أباه أو جدّه — شك راوى ذلك عنه — يقول : دخل على رجل من دهاقين بادُوريا وهو محرق الطيلسان ؛ فقلت له : منْ خرق طيلسانك ؟ قال : خرق والله في زحمة الناس اليوم ، في موضع طالما طردت فيه الأرانب والظباء — يريد باب الكرخ .

ويقال : إن قطعة الربيع الخارجة إنما هي أقطاع المهديّ للربيع ، وأن المنصور إنما كان أقطعه الداخلة .

وقيل : إن نهر طابق كسروى ، وأنه نهر بابل بن بهرام بن بابل ، وأن بابل هذا هو الذي اتخذ العتّقر الذي عليه قصر عيسى بن علي ، واحتفر هذا النهر .

وذكر أن فَرْضة جعفر إقطاع من أبي جعفر لابنه جعفر ، وأن القنطرة العتيقة من بناء الفرس .

وذكر عن حماد التركي ، قال : كان المنصور نازلا بالدير الذي على شاطئ دجلة بالموضع المعروف بالخلد ، ونحن في يوم صائف شديد الحرّ

في سنة خمس وأربعين ومائة ؛ وقد خرجت فجلستُ مع الربيع وأصحابه ، إذ جاء رجل ، فجاوز الحرس إلى المقصورة ، فاستأذن فأذن المنصور به ، وكان معه سلم بن أبي سلم ، فأذن له فخبّره بخروج محمد ، فقال المنصور : نكتب الساعة إلى مصر أن يقطع عن الحرميين المادّة ، ثم قال : إنما هم في مثل حرّاجّة ، إذا انقطعت عنهم المادّة والميرة من مِصر . قال : وأمر بالكتاب إلى العباس بن محمد - وكان على الجزيرة يخبره بخبر محمد - وقال : إني راحل ساعة كتبتُ إلى الكوفة ، فأمدتني في كلّ يوم بما قدرتُ عليه من الرجال من أهل الجزيرة . وكتب بمثل ذلك إلى أمراء الشام ، ولو أن يتردّ عليّ في كلّ يوم رجل واحد أكثر به منّي معي من أهل خراسان ، فإنه إن بلغ الخبر الكذاب انكسر . قال : ثم نادى بالرحيل من ساعته ، فخرجنا في حرّ شديد حتى قدم الكوفة ، ثم لم يزل بها حتى انقضت الحرب بينه وبين محمد وإبراهيم ، فلما فرغ منهما^(١) رجع إلى بغداد .

وذكر عن أحمد بن ثابت ، قال : سمعتُ شيخاً من قريش يحدث أن أبا جعفر لما فصل من بغداد ، متوجّهاً نحو الكوفة ، وقد جاءه البريد بمخرج محمد بن عبد الله بالمدينة ، نظر إليه عثمان بن عمار بن حريم وإسحاق بن مسلم العقيليّ وعبد الله بن الربيع المدائنيّ - وكانوا من صحابته - وهو يسير على دابته وبنو أبيه حوله . فقال عثمان : أظنّ محمدًا خائبًا ومن معه من أهل بيته ؛ إن حشّو ثياب هذا العباسيّ لمكرً ونكرً ودهاء ؛ وإنه فيما نصب له محمد من الحرب لكما قال ابن جندب الطّعان :

فَكَمْ مِنْ غَارَةٍ وَرَعِيلٍ خَيْلٍ تَدَارَكُهَا وَقَدْ حَمِيَ اللَّقَاءُ
فَرَدَّ مَخِيلَهَا حَتَّى ثَنَاهَا بِأَسْمَرٍ مَا يُرَى فِيهِ التَّوَاءُ
قال : فقال إسحاق بن مسلم : قد والله سبرته ولمست عودَه فوجدته خَشِنًا ، وغمزته فوجدته صليبيًا ، وذقته فوجدته مُرًّا ؛ وأنه ومنّ حوله من بني أبيه لكما قال ربيعة بن مكدّم :

سَمَا لِي فُرْسَانُ كَأَنَّ وَجُوهُهُمْ
مَصَابِيحُ تَبْدُو فِي الظَّلَامِ زَوَاهِرُ

يَقُودُهُمْ كَبِشُّ أَخُو مُضْمِلَةَ عَبُوسُ السُّرَى قَدْ لَوَحَتْهُ الْهَوَاجِرُ
 قال : وقال عبد الله بن الربيع : هو ليث خيسر ، ضَيْغَم شُمُوس ، للأقران ٢٨٢/٣
 مفترس ، وللأرواح مختلس ؛ وأنه يهيج من الحرب كما قال أبو سفيان بن
 الحارث :

وَلَمَّا لَنَا شَيْخًا إِذَا الْحَرْبُ شَمَّرَتْ بَدِيهَتُهُ الْإِقْدَامُ قَبْلَ النُّوَافِرِ
 قال : ففضى حتى سار إلى قصر ابن هُبيرة ، فنزل الكوفة ووجهه الجيوش ،
 فلما انقضت الحرب ، رجع إلى بغداد فاستم بناءها .

* * *

[ذكر الخبر عن ظهور إبراهيم بن محمد ومقتله]

وفي هذه السنة ظهر إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، أخو محمد بن عبد الله
 ابن حسن بالبصرة ؛ فحارب أبا جعفر المنصور . وفيها قتل أيضًا .

* ذكر الخبر عن سبب مخرجه وعن مقتله وكيف كان :

فذكر عن عبد الله بن محمد بن حفص ، قال : حدثني أبي ، قال :
 لما أخذ أبو جعفر عبد الله بن حسن ، أشفق محمد وإبراهيم من ذلك ، فخرجا
 إلى عَدَن ، فخافا بها ، وركبا البحر حتى صارا إلى السُّنْد ، فسعى بهما
 إلى عمر بن حفص ، فخرجا حتى قدما الكوفة وبها أبو جعفر .

وذكر عمر بن شبّه أن سعيد بن نوح الضُّبَيْعِيّ ؛ ابن ابنة أبي الساج
 الضُّبَيْعِيّ ، حدثه قال : حدثني مئة بنت أبي المنهال ، قالت : نزل إبراهيم
 في الحَيّ من بني ضُبَيْعَة في دار الحارث بن عيسى ، وكان لا يرى بالنهار ،
 وكانت معه أمّ ولد له ؛ فكنت أتحدث إليها ، ولا ندرى مَنْ هم ؛ حتى
 ظهر فأتيتها ، فقلت : إنك لصاحبتى ؟ فقالت : أنا هي ؛ لا والله ما أقرتنا ٢٨٣/٣
 الأرض منذ خمس سنين ؛ مرة بفارس ، ومرة بكرمان ، ومرة بالحجاز ،
 ومرة باليمن .

قال عمر : حدثني أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : حدثني مطهر
 ابن الحارث ، قال : أقبلنا مع إبراهيم من مكة نريد البصرة ؛ ونحن عشرة ،

فصحبنا أعرابي في بعض الطريق ، فقلنا له : ما اسمك ؟ قال : فلان بن أبي مصاد الكلبي ، فلم يفارقنا حتى قربنا من البصرة ؛ فأقبل عليّ يوماً ، فقال : أليس هذا إبراهيم بن عبد الله بن حسن ؟ فقلت : لا ، هذا رجل من أهل الشام ؛ فلما كنّا على ليلة من البصرة ، تقدّم إبراهيم وتخلّفنا عنه ، ثم دخلنا من غدٍ .

قال عمر : وحدثني أبو صفوان نصر بن قُديد بن نصر بن سيار ؛ قال : كان مقدم إبراهيم البصرة في أول سنة ثلاث وأربعين ومائة ، منصرف الناس من الحج ؛ فكان^(١) الذي أقدمه وتولّى كِراءه وعادله في محمّله يحيى بن زياد ابن حسان النبطي ، فأنزله في داره في بني لسيث ، واشترى له جارية أعجمية سندية ، فأولدها ولدًا في دار يحيى بن زياد ؛ فحدثني ابن قُديد ابن نصر ؛ أنه شهيد جنازة ذلك المولود ، وصلى عليه يحيى بن زياد .

قال : وحدثني محمد بن معروف ، قال : حدثني أبي ، قال : نزل إبراهيم بالخيار من أرض الشام على آل القعقاع بن خُلَيْد العبسي ، فكتب الفضل بن صالح بن عليّ - وكان على قنّسرين - إلى أبي جعفر في رقعة أدرجها في أسفل كتابه ، يخبره خبر إبراهيم ، وأنه طلبه فوجده قد سبقه منحدرًا إلى البصرة ؛ فورد الكتاب على أبي جعفر ، فقرأ أوله فلم يجد إلاّ السلامة ، فألقى الكتاب إلى أبي أيوب المورياني ، فألقاه في ديوانه ؛ فلما أرادوا أن يجيبوا^{٢٨٤/٣} الولاءة عن كتبهم فتح أبان بن صدقة - وهو يومئذ كاتب أبي أيوب - كتاب الفضل ؛ لينظر في تاريخه ، فأفضى إلى الرقعة ؛ فلما رأى أولها : «أخبر أمير المؤمنين» ، أعادها في الكتاب ، وقام إلى أبي جعفر ، فقرأ الكتاب ؛ فأمر بإذكاء العيون ووضع المراصد والمسالح .

قال : وحدثني الفضل بن عبد الرحمن بن الفضل ، قال : أخبرني أبي قال : سمعت إبراهيم يقول : اضطرّني الطلّاب بالموصل حتى جلست على موائد أبي جعفر ، وذلك^(٢) أنه قدمها يطلبني ، فتحيرت ؛ فلفظتني الأرض ؛ فجعلت

(٢) ب : « وذاك » .

(١) ب : « وكان » .

لا أجد مساعداً ، ووضع^(١) الطلب والمراصد ؛ ودعا الناس إلى غنائه ،
فدخلت فيمن دخل ، وأكلت فيمن أكل ؛ ثم خرجت وقد كفّ الطلب .

قال : وحدّثني أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : قال رجل لمطهر بن
الحارث : مرّ إبراهيم بالكوفة ولقيته ، قال : لا والله ما دخلها قط ؛ ولقد كان
بالموصل ، ثم مرّ بالأنبار ، ثم ببغداد ، ثم بالمداين والنّيل وواسط .

قال : وحدّثني نصر بن قُديد بن نصر ، قال : كاتب إبراهيم قوماً
من أهل العسكر كانوا يتشيّعون ؛ فكتبوا يسألونه الخروج إليهم ، ووعدوه
الوثوب بأبي جعفر ؛ فخرج حتى قدم عسكر أبي جعفر ، وهو يومئذ نازل
ببغداد في الدّير ، وقد خَطَّ بغداد ، وأجمع على البناء ؛ وكانت لأبي جعفر
مِرآة ينظر فيها ، فيرى عدوّه من صديقه . قال : فزعم زاعمٌ أنه نظر فيها ،
فقال : يا مسيّب ؛ قد والله رأيتُ إبراهيم في عسكرى وما في الأرض عدوّ أعدى
لي منه ، فانظر ما أنت صانع !

٢٨٥/٣

قال : وحدّثني عبد الله بن محمد بن البوّاب ، قال : أمر أبو جعفر ببناء
قنطرة الصّراة العتيقة ، ثم خرج ينظر إليها ، ف وقعت عينه على إبراهيم ،
وخنّس^(٢) إبراهيم ، فذهب في الناس ، فأتى فامياً فلجأ إليه فأصعده غُرْفَةً له .
وجد أبو جعفر في طلبه ، ووضع الرّصد بكلّ مكان ، فنشب إبراهيم بمكانه
الذي هو به ، وطلبه أبو جعفر أشدّ الطلب ، وخنّى عليه أمره .

قال : وحدّثني محمد بن معروف ، قال : حدّثني أبي - وحدّثني نصر
ابن قُديد ، قال : حدّثني أبي قال ؛ وحدّثني عبد الله بن محمد بن البوّاب
وكثير بن النّضر بن كثير وعمر بن إدريس وابن أبي سفيان العمّمي ؛ واتفقوا
على جُلّ الحديث ، واختلفوا في بعضه - أن إبراهيم لما نشب وخاف الرّصد
كان معه رجل من بني العمّ - قال عمر : فقال لي أبو صفوان^(٣) ، يدعى
رَوْح بن ثقف ، وقال لي ابن البوّاب : يكنى أبا عبد الله ، وقال لي الآخرون :
يقال له سفيان بن حيّان بن موسى : قال عمر : وهو جد العمّمي الذي حدّثني -

(١) ج : « وجعل » . (٢) خنّس ، أى تأخر . (٣) ب : « يابن صفوان » .

قال : قلت لإبراهيم : قد نزل ما ترى ، ولا بدّ من التغرير والمخاطرة ، قال : فأنت وذاك ! فأقبل إلى الربيع ، فسأله الإذن ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا السفينان العمى ، فأدخله على أبي جعفر ، فلما رآه شتمه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أنا أهلٌ لما تقول ؛ غير أنى أتيتك نازعاً تائباً ، ولك عندى كلّ ما تحبّ إن أعطيتنى ما أسألك ، قال : وما لى عندك ؟ قال : آتيتك بإبراهيم ابن عبد الله بن حسن ؛ إني قد بلوته وأهلّ بيته ؛ فلم أجد فيهم خيراً ، فها لى ٢٨٦/٣ عندك إن فعلت ؟ قال : كلّ ما تسأل ؛ فأين إبراهيم ؟ قال : قد دخل بغداد — أو هو داخلها عن قريب — قال عمر : وقال لى أبو صفوان ، قال : هو بعبدسى ، تركته فى منزل خالد بن نهيك ، فاكتب لى جوازاً ولغلام لى ولفرانق^(١) واحملنى على البريد . قال عمر : وقال بعضهم : وجهه معى جنداً واكتب لى جوازاً ولغلام لى آتيتك به . قال : فكتب له جوازاً ، ودفع إليه جنداً ، وقال : هذه ألف دينار فاستعِنْ بها ، قال : لا حاجة لى فيها فيها كلّها ؛ فأخذ ثلثمائة دينار ، وأقبل بها حتى أتى إبراهيم وهو فى بيت ، عليه مدرّعة صوف وعمامة — وقيل بل عليه قباء كأقبية العبيد — فصاح به : قم ؛ فوثب كالفرع ؛ فجعل يأمره وينهاه حتى أتى المدائن ، فنعه صاحب القنطرة بها ، فدفع إليه جوازه ، فقال : أين غلامك ؟ قال : هذا ؛ فلما نظر فى وجهه ، قال : والله ما هذا غلامك ؛ وإنه لإبراهيم بن عبد الله بن حسن ، ولكن اذهب راشداً . فأطلقهما وهرب . قال عمر : فقال بعضهم : ركبا البريد حتى صارا^(٢) بعبدسى ، ثم ركبا السفينة حتى قدما البصرة فاخفيا بها . قال : وقد قيل : إنه خرج من عند أبى جعفر حتى قدم البصرة ، فجعل يأتى بهم الدار ، لها بابان ، فيقعد العشرة منهم على أحد البابين ، ويقول : لا تبرحوا حتى آتيتكم ، فيخرج من الباب الآخر ويتركهم ، حتى فرق الجند عن نفسه ، وبقى وحده ، فاخفى حتى بلغ الخبر سفينان بن معاوية ، ٢٨٧/٣ فأرسل إليهم فجمعهم ، وطلب العمى فأعجزه .

قال عمر : وحدثنى ابن عائشة ، قال : حدثنى أبى ، قال : الذى احتال

(١) الفرانق : الذى يدل صاحب البريد . (٢) ط : « سارا » .

لإبراهيم حتى أنجسهما منه عمرو بن شداد .

قال عمر : وحدثنى رجل من أهل المدائن ، عن الحسن بن عمرو بن شدّاد ، قال : حدثني أبي ، قال : مرّ بي إبراهيم بالمدائن مستخفياً ، فأنزله داراً لي على شاطئ دجلة ، وسعى بي إلى عامل المدائن ، فصرّني مائة سوط ، فلم أقرّر له ؛ فلما تركني أتيت إبراهيم فأخبرته ، فأنحدر .

قال : وحدثنى العباس بن سفيان بن يحيى بن زياد مولى الحجاج بن يوسف - وكان يحيى بن زياد ممن سبى من عسكر قطريّ بن الفجاءة - قال : لما ظهر إبراهيم كنت غلاماً ابن خمس سنين ، فسمعتُ أباخنا يقولون : إنه مرّ منحدراً يريد البصرة من الشام ؛ فخرج إليه عبد الرحيم بن صفوان من موالى الحجاج ، ممن سبى من عسكر قطريّ ؛ قال : فشي معه حتى عبّره المآصر ؛ قال : فأقبل بعض من رآه ، فقال : رأيت عبد الرحيم مع رجل شاطر ، محتجز بلزار^(١) مؤرد ، في يده قوس جلاهق^(٢) يرمي به ؛ فلما رجع عبد الرحيم سئل عن ذلك فأنكره ، فكان إبراهيم يتنكر بذلك .

قال : وحدثنى نصر بن قديد ، قال : لما قدم إبراهيم منصرفه من بغداد ، نزل على أبي فروة في كنفه فاخفى ، وأرسل إلى الناس يندبهم^(٣) للخروج .

قال عمر : وحدثنى عليّ بن إسماعيل بن صالح بن ميثم الأهوازي ، قال : حدثني عبد الله بن الحسن بن حبيب ، عن أبيه ، قال : كان إبراهيم مخفياً عندي على شاطئ دجيل ، في ناحية مدينة الأهواز ؛ وكان محمد ابن حصين يطلبه ، فقال يوماً : إن أمير المؤمنين كتب إليّ يخبرني أن المنجمين يخبرونه أن إبراهيم بالأهواز نازل في جزيرة بين نهريّن ، فقد طلبته في الجزيرة حتى وثقت أنه ليس هناك - يعني بالجزيرة التي بين نهر الشاه جرّود ودجيل - فقد اعتزمت أن أطلبه غدّاً في المدينة ، لعلّ أمير المؤمنين يعني بين دجيل والمسرقان ، قال : فأتيت إبراهيم ، فقلت له : أنت مطلوب غدّاً في هذه

٢٨٨/٣

(١) يقال : احتجز بالإنزار ؛ إذا شده على وسطه . وأصل الحجة : موضع شد الإنزار .
(٢) في اللسان : « الجلاهق : البندق ؛ ومنه قوس الجلاهق ؛ وأصله بالفارسية : « جله » .
(٢) ج : « يتندبهم » .

الناحية ، قال : فأقمت معه بقيّة يومى ، فلما غشيّ الليل ، خرجت به حتى أنزلته فى أدانى دشت أربك دون الكثّ ؛ فرجعت من ليلتى ، فأقمت أنتظر محمداً أن يغدو لطلبه ؛ فلم يفعل حتى تصرّم النهار ، وقربت الشمس تغرب ، فخرجت حتى جئت لإبراهيم ، فأقبلت به حتى وافينا المدينة مع العشاء الآخرة ونحن على حمارين ؛ فلما دخلنا المدينة فصرنا عند الجبل المقطوع ؛ لقيتنا أوائل خيل ابن حصين ، فرى إبراهيم بنفسه عن حمارة وتباعده ؛ وجلس يبول ، وطوّنتى الخيل ، فلم يعرج علىّ منهم أحد ؛ حتى صرت إلى ابن حصين ؛ فقال لى : أبا محمد ؛ من أين فى مثل هذا الوقت ؟ فقلت : تمسّيت^(١) عند ٢٨٩/٣ أهلى ، قال : ألا أرسل معك من يبلّغك ؟ قلت : لا ، قد قرّبت من أهلى ؛ فضى يطلب ، وتوجّهت على سبّنى حتى انقطع آخر أصحابه ، ثم كررت راجعاً إلى إبراهيم ؛ فالتصمت حمارة حتى وجدته ، فركب ، وانطلقنا حتى يتسّنا فى أهلنا ، فقال إبراهيم : تعلم والله لقد بلّت البارحة دماً ؛ فأرسل من ينظر ، فأتيت الموضع الذى بال فيه ، فوجدته قد بال دماً .

قال : وحدّثنى الفضل بن عبد الرحيم بن سليمان بن علىّ ، قال : قال أبو جعفر : غمّض^(٢) علىّ أمر إبراهيم لما اشتملت عليه طفوف البصرة .

قال : وحدّثنى محمد بن مسعر بن العلاء ، قال : لما قدم إبراهيم البصرة ، دعا الناس ، فأجابه موسى بن عمر بن موسى بن عبد الله بن خازم ، ثم ذهب بإبراهيم إلى النضر بن إسحاق بن عبد الله بن خازم مخفياً ، فقال للنضر بن إسحاق : هذا رسول إبراهيم ، فكلّمه إبراهيم ودعاه إلى الخروج ، فقال له النضر : يا هذا ، كيف أبايك صاحبك وقد عنّدت جدّى عبد الله بن خازم عن جده علىّ بن أبى طالب ، وكان عليه فيمن خالفه ، فقال له^(٣) إبراهيم : دع سيرة الآباء عنك ومذاهبهم ؛ فإنما هو الدّين ؛ وأنا أدعوك إلى حقّ . قال : إني والله ما ذكرت لك ما ذكرت إلا مازحاً ، وما ذاك الذى يمنعنى من نصرة صاحبك ، ولكنى لا أرى القتال ولا أدين به . قال : وانصرف إبراهيم ،

(١) ب : « تمسّيت » . (٢) غمض على ، أى لم يتضح . وفى ط : « غمص » .

(٣) ساقطة من ب .

وتخلف^(١) موسى ، فقال : هذا والله إبراهيم نفسه ، قال : فبئس لعمر الله ما صنعت ! لو كنت أعلمتني كَلَمَتُهُ غير هذا الكلام ! ٢٩٠/٣

قال : وحدثنى نصر بن قديد ، قال : دعا إبراهيم الناس وهو في دار أبي فَرْوَة ، فكان أول مَنْ بايعه نُسَيْمِلَة بن مرّة وعفو الله بن سفيان وعبد الواحد ابن زياد وعمر بن سلمة الهجيميّ وعبيد الله بن يحيى بن حُصَيْن^(٢) الرقاشيّ ، وندبوا الناس له ، فأجاب بعدهم فتیان من العرب ؛ منهم المغيرة بن الفزع وأشباهه له ؛ حتى ظنوا أنه قد أحصى ديوانه أربعة آلاف ؛ وشهر أمره ، فقالوا : لو تحولت إلى وسط البصرة أتاك مَنْ أتاك وهو مُريّج ؛ فتحوّل ونزل دار أبي مروان مولى بني سليم — رجل من أهل نيسابور .

قال : وحدثنى يونس بن نجدة ؛ قال : كان إبراهيم نازلاً في بني راسب على عبد الرحمن بن حرب ؛ فخرج من داره في جماعة من أصحابه ؛ منهم عفو الله بن سفيان وبُرد بن لييد ؛ أحد بني يَشْكُر ، والمضاء التغلبيّ والطُّهَوِيّ والمغيرة بن الفزع ونُسَيْمِلَة بن مرّة ويحيى بن عمرو الهُمانيّ ، فرّوا على جُفْرَة^(٣) بني عَقِيل حتى خرجوا على الطُّفَاوَة ، ثم مروا على دار كرزم ونافع إبليس^(٤) ، حتى دخلوا دار أبي مروان في مقبرة بني يَشْكُر .

قال : وحدثنى ابن عفو الله بن سفيان ، قال : سمعتُ أبي يقول : أتيتُ إبراهيمَ يوماً وهو مرعوب ؛ فأخبرني أن كتاب أخيه أتاها يخبره أنه قد ظهر ، ويأمره بالخروج . قال : فوجم من ذلك واغتم له ، فجعلت أسهل عليه الأمر وأقول : قد اجتمع لك أمرُك ، معك المضاء والطُّهَوِيّ والمغيرة ؛ وأنا وجماعة ، فنخرج إلى السجن في الليل فنفتحه ؛ فتصبح حين تصبح ومعك عالم من الناس ؛ فطابت نفسه . ٢٩١/٣

قال : وحدثنى سهل بن عَقِيل بن إسماعيل ، قال : حدثنى أبي ، قال : لما ظهر محمد أرسل أبو جعفر إلى جعفر بن حنظلة البهْرانيّ — وكان ذا رأي — فقال : هات رأيك ؛ قد ظهر محمد بالمدينة . قال : وجهه الأجناد إلى البصرة .

(٢) ط : « حصين » ، وانظر الفهرس .

(١) ب : « وخلف » .

(٣) الجفر : الحفرة الواسعة المستديرة .

(٤) كذا في ط وفي ه : « إبليس » .

قال : انصرف حتى أرسل إليك . فلما صار إبراهيم إلى البصرة ، أرسل إليه ، فقال : قد صار إبراهيم إلى البصرة ، فقال : لياها خفت ! بادره بالخنود ، قال : وكيف خفت البصرة ؟ قال : لأن محمداً ظهر بالمدينة ، وليسوا بأهل حرب ، بحسبهم أن يقيموا شأن أنفسهم ، وأهل الكوفة تحت قدمك ، وأهل الشام أعداء آل أبي طالب ؛ فلم يبق إلا البصرة . فوجه أبو جعفر ابن عقال — قائد من أهل خراسان من طي — فقدا ، وعلى البصرة سفيان بن معاوية فأنزلهما .

قال : وحدثنى جواد^(١) بن غالب بن موسى مولى بنى عجل ، عن يحيى بن بُدَيْل بن يحيى بن بُدَيْل ، قال : لما ظهر محمد ، قال أبو جعفر لأبي أيوب وعبد الملك بن حميد : هل من رجل ذى رأى تعرفانه ، نجمع رأيهم على رأينا ؟ قالوا : بالكوفة بدُيْل بن يحيى — وقد كان أبو العباس يشاوره — فأرسل إليه ، فأرسل إليه ، فقال : إن محمداً قد ظهر بالمدينة ، قال : فاشحن الأهواز جنداً ، قال : قد فهمت ؛ ولكن الأهواز بابهم الذى يُؤْتُونَ منه ، قال : ٢٩٢/٣ فقبل أبو جعفر رأيهم . قال : فلما صار إبراهيم إلى البصرة أرسل إلى بُدَيْل ، فقال : قد صار إبراهيم إلى البصرة ، قال : فعاجله بالخنود وأشغل^(٢) الأهواز عنه .

وحديث محمد بن حفص الدمشقي ، مولى قریش قال : لما ظهر محمد شاور أبو جعفر شيخاً من أهل الشام ذا رأى ، فقال : وجه إلى البصرة أربعة آلاف من جند أهل الشام . فلها عنه ، وقال : خسر الشئخ ؛ ثم أرسل إليه ، فقال : قد ظهر إبراهيم بالبصرة ، قال : فوجه إليه جنداً من أهل^(٣) الشام ، قال : « ويلك ! ومن لى بهم »^(٤) ! قال : اكتب إلى عاملك عليها يحمل إليك فى كل يوم عشرة على البريد ؛ قال : فكتب بذلك أبو جعفر إلى الشام . قال عمر بن حفص : فإنتى لأذكر أبى يعطى الجند حينئذ ، وأنا أمسك له المصباح ، وهو يعطيهم ليلاً ، وأنا يومئذ غلام شاب .

(١) ب : « حمال » . (٢) كذا فى ه ، وفى ط : « وأشغل الأهواز عليه » .
(٣) ب : « من جند » . (٤) ج : « ويحك من أيهم » .

قال : وحدثنى سهلُ بن عَقِيل ، قال : أخبرني سَلَمُ بن فرقد ، قال : لما أشار جعفر بن حنظلة على أبي جعفر بحذر جند الشام إليه ، كانوا يقدمون أرسالا ؛ بعضهم على أثر بعض ؛ وكان يريد أن يروِّع بهم أهل الكوفة ؛ فإذا جنَّهم الليل في عسكره أمرهم فرجعوا منكبين عن الطريق ، فإذا أصبحوا دخلوا ، فلا يشكُّ أهل الكوفة أنهم جند آخرون سوى الأولين .

حدثني عبد الحميد - وكان من خدَم أبي العباس - قال : كان محمد ابن يزيد من قواد أبي جعفر ؛ وكان له دابةٌ شهيرةٌ^(١) كُحِّيت ، فربما مرَّ بنا ونحن بالكوفة وهو راكبُها ، قد ساوى رأسه رأسه ، فوجَّهه أبو جعفر إلى البصرة ، فلم يزل بها حتى خرج إبراهيم فأخذه فحبسه . ٢٩٣/٣

حدثني سعيد بن نوح بن مجالد الضُّبَيْعِي ، قال : وجَّه أبو جعفر مجالدًا ومحمدًا ابني يزيد بن عمران من أهل أبيورْد قائدين ، فقدم مجالد قبل محمد ، ثم قدم محمد في الليلة التي خرج فيها إبراهيم ، فبسطهما سفيان وحبسهما عنده في دار الإمارة حتى ظهر إبراهيم فأخذهما ، فقيدهما ؛ ووجَّه أبو جعفر معهما قائدًا من عبْد القيس يدعى معمرًا .

حدثني يونس بن نجدة ، قال : قدم على سفيان مجالدُ بن يزيد الضُّبَيْعِي من قبَل أبي جعفر في ألف وخمسمائة فارس وخمسمائة راجل .

حدثني سعيد بن الحسن بن تَسَنِيم بن الحواري بن زياد بن عمرو بن الأشرف ، قال : سمعتُ من لا أحصى من أصحابنا يذكرون أنَّ أبا جعفر شاورني أمر إبراهيم ، فقبل له : إن أهل الكوفة له شِيعَة ، والكوفة قِدَرٌ تفُور ؛ أنت طَبَّقْهَا ، فاخرج حتى تنزلها . ففعل .

حدثني مسلم الخَصِيّ مولى محمد بن سليمان ، قال : كان أمرُ إبراهيم وأنا ابن بضع عشرة سنة ؛ وأنا يومئذ لأبي جعفر ، فَأَنْزَلَنَا الهاشمية بالكوفة ونزل هو بالرَّصَافَة في ظهر الكوفة ؛ وكان جميع جنده الذين في عسكره نحواً من ألف وخمسمائة ؛ وكان المسيَّب بن زهير على حَرَسِهِ ، فجَزَّأ الجند ثلاثة

(١) في اللسان : «الشهيرة : ضرب من البراذين ؛ وهو بين البرذون والمقرن من الخيل .»

أجزاء : خمسمائة ، خمسمائة ، فكان يطوف الكوفة كلّها في كلّ ليلة ، وأمر منادياً فنادى : مَنْ أَخَذَنَاهُ بَعْدَ عَتَمَةِ فَقَدْ أَحْلَى بِنَفْسِهِ ؛ فكان إذا أخذ ٢٩٤/٣ رجلاً بَعْدَ عَتَمَةِ لَفَّهَ فِي عِبَاءَةٍ وَحَمَلَهُ ، فَبَيَّتَهُ عِنْدَهُ ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُ ، فَإِنْ عَلِمَ بَرَاءَتَهُ أَطْلَقَهُ ، وَإِلَّا حَبَسَهُ .

قال : وَحَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْحَذَّاءُ ، قَالَ : أَخَذَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّاسَ بِالسَّوَادِ ، فَكَنْتُ أَرَاهُمْ يَصْبِغُونَ ثِيَابَهُمْ بِالْمَدَادِ .

وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَهْلَ الْكُوفَةِ أَيَّامَهُذِ أَخَذُوا وَبَلَّسَ الثِّيَابَ السُّودَ حَتَّى الْبَقَالِينَ ، إِنَّ أَحَدَهُمْ لِيَصْبِغُ الثَّوْبَ بِالْأَنْقَاسِ ثُمَّ يَلْبِسُهُ .

وَحَدَّثَنِي جَوَادُ بْنُ غَالِبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ سَلَمٍ مَوْلَى قَسْحَطْبَةَ ، قَالَ : كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو جَعْفَرٍ إِذَا اتَّهَمَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِالْمِيلِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَمَرَ أَبِي سَلَمًا بِطَلْبِهِ ؛ فَكَانَ يَمْوَلُ حَتَّى إِذَا غَسَقَ اللَّيْلُ ، وَهَذَا النَّاسُ ، نَصَبُ سَلَمًا عَلَى مَنْزِلِ الرَّجُلِ فَطَرَقَهُ فِي بَيْتِهِ حَتَّى يَخْرُجَهُ فَيَقْتُلُهُ ؛ وَيَأْخُذُ خَاتَمَهُ . قَالَ أَبُو سَهْلٍ جَوَادٌ : فَسَمِعْتُ جَمِيلًا مَوْلَى مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ يَقُولُ لِلْعَبَّاسِ بْنِ سَلَمٍ : وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَوَرِّثْكَ أَبُوكَ إِلَّا خَوَاتِيمَ مَنْ قُتِلَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ كُنْتُ أَيْسَرَ الْأَبْنَاءِ .

وَحَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ عَقِيلٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَلَمُ بْنُ فَرْقَدٍ حَاجِبُ سُلَيْمَانَ بْنِ مَجَالِدٍ ، قَالَ : كَانَ لِي بِالْكُوفَةِ صَدِيقٌ ، فَأَتَانِي — فَقَالَ : أَيَا هَذَا ، أَعَلِمَ أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ مَعْدُونَ لِلثَّوْبِ بِصَاحِبِهِمْ ، فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى أَنْ تَبَوِّئَ أَهْلَكَ مَكَانًا حَرِيزًا فَافْعَلْ ، قَالَ : فَأَتَيْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ مَجَالِدٍ ، فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبْرَ ؛ فَأَخْبَرَ أَبَا جَعْفَرٍ — وَلَأَبِي جَعْفَرٍ عَيْنٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنَ الصَّيَافَةِ يَدْعِي ابْنَ مَقْرَنٍ — ٢٩٥/٣ قَالَ : فَأَرْسَلُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ! قَدْ تَحَرَّكَ أَهْلُ الْكُوفَةِ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَا عَذِيرُكَ مِنْهُمْ ، قَالَ : فَرَكَنَ إِلَى قَوْلِهِ ، وَأَضْرَبَ عَنْهُمْ .

وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مَيْمُونٍ مِنْ أَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ ، قَالَ : سَمِعْتُ عِدَّةً مِنْ أَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ يَذْكُرُونَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ ، يُكْنَى أَبَا الْفَضْلِ ، وَيُسَمَّى فُلَانُ ابْنِ مَعْقِلٍ ، وَلِيَ الْقَادِسِيَّةَ لِيَمْنَعَ أَهْلَ الْكُوفَةِ لِتَيَانِ إِبْرَاهِيمَ ؛ وَكَانَ

الناس قد رصدوا في طريق البصرة ، فكانوا يأتون القادسية ثم العديسة ، ثم وادى السباع ، ثم يعدلون ذات اليسار في البر ، حتى يقدموا البصرة . قال : فخرج نفرٌ من الكوفة اثنا عشر رجلاً ؛ حتى إذا كانوا بوادى السباع لقيتهم رجل من موالي بني أسد ، يسمّى بكرّاً . من أهل شراف ، دون واقصة بميلين من أهل المسجد الذى يدعى مسجد الموالى — فأتى ابن معقل فأخبره ، فاتبعهم فأدركهم بخفّان — وهى على أربعة فراسخ من القادسية — فقتلهم أجمعين .

حدثني إبراهيم بن سلتّم ، قال : كان الفرافصة العجليّ قد همّ بالوثوب بالكوفة ، فامتنع لمكان أبى جعفر ونزوله بها ؛ وكان ابن ماعز الأسدى يبايع لإبراهيم فيها سرّاً .

حدثني عبد الله بن راشد بن يزيد ، قال : سمعت إسماعيل بن موسى البجليّ وعيسى بن النضر السّمّانين وغيرهما يخبرون أن غزوان كان لآل القعقاع بن ضرار ، فاشتراه أبو جعفر ، فقال له يوماً : يا أمير المؤمنين ؛ هذه سفنٌ منحدرة من الموصل فيها مبيضةٌ تريد إبراهيم بالبصرة ، قال : فضمّ إليه جنداً ، فلقاهم بباحمّشا بين بغداد والموصل فقتلهم أجمعين ؛ وكانوا تجاراً فيهم جماعة من العبّاد من أهل الخير^(١) وغيرهم ، وفيهم رجل يدعى أبا العرفان من آل شعيب السّمّان ، فجعل يقول : ويلك يا غزوان ! ألسنت تعرفنى ! أنا أبو العرفان جارك ؛ إنما شخصتُ برقيق فبعثتهم ؛ فلم يقبل وقتلهم أجمعين وبعث برءوسهم إلى الكوفة ، فنصبت ما بين دار إسحاق الأزرق إلى جانب دار عيسى بن موسى إلى مدينة ابن هبيرة . قال أبو أحمد عبد الله بن راشد : فأنا رأيتها منصوبةً على كوم التراب .

قال : وحدثنا أبو على القدّاح ، قال : حدثني داود بن سليمان ونسخت وجماعة من القدّاحين ، قالوا : كنّا بالموصل ، وبها حرب الراوندى رابطة في ألفين ، لمكان الخوارج بالجزيرة ، فأتاه كتاب أبى جعفر يأمره بالقفل إليه ؛ فشخص ؛ فلما كان بباحمّشا اعترض له أهلها ، وقالوا : لا ندعك تجوزنا لتنصر أبا جعفر على إبراهيم ، فقال لهم : ويحكم ! إني لا أريد بكم

سوءاً ؛ إنما أنا مارٌّ ، دعوني . قالوا : لا والله لا تجوزنا أبداً ، فقاتلهم فأبأهم ^(١) ،
وحمل منهم خمسمائة رأس ، فقدم بها على أبي جعفر ، وقصّ عليه قصتهم .
قال أبو جعفر : هذا أول الفتح .

وحدثني خالد بن خيدّاش بن عجلان مولى عمر بن حفص ، قال :
حدثني جماعة من أشياخنا أنهم شهدوا ديف بن راشد مولى بني يزيد بن ٢٩٧/٣
حاتم ، أتى سفيان بن معاوية قبل خروج إبراهيم بليّة ، فقال : ادفع إلى
فوارس آتلك لإبراهيم أو برأسه . قال أوّما لك عمل ! اذهب إلى عمك . قال :
فخرج ديف من ليلته فلاحق بيزيد بن حاتم وهو بمصر .

وحدثني خالد بن خيدّاش ، قال : سمعت عدّة من الأزديّين يحدثون عن
جابر بن حماد - وكان على شرطة سفيان - أنه قال لسفيان قبل خروج
إبراهيم بيوم : إني مررت في مقبرة بني يشكر ، فصيحوا بي ورموني بالحجارة ،
فقال له : أما كان لك طريق !

وحدثني أبو عمر الحوضيّ - حفص بن عمر ، قال : مرّ عاقب صاحب
شرط سفيان يوم الأحد قبل ظهور إبراهيم بيوم ، في مقبرة بني يشكر ،
فقال له : هذا إبراهيم يريد الخروج ، فقال : كذبتُم ، ولم يعرج على ذلك !
قال أبو عمر الحوضيّ : جعل أصحاب إبراهيم ينادون سفيان وهو محصور :
اذكر بيعتكَ في دار الخزوميتين .

قال أبو عمر : وحدثني محارب بن نصر ، قال : مرّ سفيان بعد قتل إبراهيم
في سفينة وأبو جعفر مشرفاً من قصره ، فقال : إن هذا لسفيان ؟ قالوا :
نعم ، قال : والله للعجب ! كيف يفلتن ابن الفاعلة ! قال الحوضيّ : قال
سفيان لقائد من قوادر إبراهيم : أقمّ عندي ، فليس كل أصحابك يعلم ما كان
بينى وبين إبراهيم .

قال : وحدثني نصر بن فرقد ، قال : كان كرزّم السدوسيّ يغدو على
سفيان بخبر إبراهيم ويروح ، ويُعلمه من يأتيه فلا يعرض له ، ولا يتبع له أثراً .

وذكر أن سفيان بن معاوية كان عامل المنصور أيامئذ على البصرة ،
٢٩٨/٣ وكان قد مالاً لإبراهيم بن عبد الله على أمره فلا ينصح لصاحبه .

* * *

اختلف في وقت قدوم إبراهيم البصرة فقال بعض : كان قدومه إياها أول
يوم من شهر رمضان في سنة خمس وأربعين ومائة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر :
لما ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن ، وغلب على المدينة ومكة ، وسلم عليه
بالخلافة ، وجه أخاه إبراهيم بن عبد الله إلى البصرة ، فدخلها في أول يوم من
شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، فغلب عليها ، وبيت بها وبيت
بها أهل البصرة معه ، وخرج معه عيسى بن يونس ومعاذ بن معاذ بن العوام
وإسحاق بن يوسف الأزرق ومعاوية بن هشام ، وجماعة كثيرة من الفقهاء
وأهل العلم ؛ فلم يزل بالبصرة شهر رمضان وشوالاً ، فلما بلغه قتل أخيه
محمد بن عبد الله تأهب واستعد ، وخرج يريد أبا جعفر بالكوفة .

وقد ذكرنا قول من قال : كان مقدم إبراهيم البصرة في أول سنة ثلاث
وأربعين ومائة ، غير أنه كان مقيماً بها ، محتفياً يدعو أهلها في السر إلى البيعة
لأخيه محمد ، فذكر سهل بن عتيق ، عن أبيه ، أن سفيان كان يرسل إلى
قائدين كانا قدما عليه من عند أبي جعفر مدداً له قبل ظهور إبراهيم ،
٢٩٩/٣ فيكونان عنده ؛ فلما وعده إبراهيم بالخروج أرسل إليهما فاحتبسهما عنده تلك
الليلة حتى خرج ، فأحاط به وبهما فأخذهم^(١) .

وحدثت عن محمد بن معروف بن سويد ، قال : حدثني أبي ، قال :
وجه أبو جعفر مجالداً ومحمداً ويزيد ؛ قواداً ثلاثة كانوا إخوة قبل ظهور
إبراهيم ، فقدّموا جندهم ، فجعلوا يدخلون البصرة تتري ، بعضهم على أثر
بعض ، فأشفق إبراهيم أن يكثروا بها ، فظهر .

(١) ط : « فأخذهما » . وما أثبتته من ب .

وذكر نصر بن قديد ، أن إبراهيم خرج ليلة الاثنين لغرة شهر رمضان من سنة خمس وأربعين ومائة ، فصار إلى مقبرة بنى يشكر في بضعة عشر رجلاً فارساً ، فيهم عبيد الله بن يحيى بن حصين الرقاشي . قال : وقدم تلك الليلة أبو حماد الأبرص مدداً لسفيان في ألقي رجل ، فنزل الرحبة إلى أن ينزلوا . فسار إبراهيم فكان أول شيء أصاب دواب أولئك الجند وأسلحتهم ، وصلى بالناس الغداة في المسجد الجامع ، وتحصن سفيان في الدار ، ومعه فيها جماعة من بنى أبيه ، وأقبل الناس إلى إبراهيم من بين ناظر وناصر حتى كثروا ، فلما رأى ذلك سفيان طلب الأمان ، فأجيب إليه ، فادس إلى إبراهيم مطهر بن جويرية السدوسي ، فأخذ لسفيان الأمان ، وفتح الباب ، ودخل إبراهيم الدار ؛ فلما دخلها ألقي له حصير في مقدم الإيوان^(١) ، فهبّت ريح فقلبت ظهره لبطن ؛ فتطير الناس لذلك ، فقال إبراهيم : إنا لانتطير ، ثم جلس عليه مقلوباً والكراهة تترى في وجهه ؛ فلما دخل إبراهيم الدار خلّى ٣٠٠/٣ عن كل من كان فيها - فيما ذكر - غير سفيان بن معاوية ؛ فإنه حبسه في القصر وقيده قيداً خفيفاً ، فأراد إبراهيم - فيما ذكر - بذلك من فعله أن يرى أبا جعفر أنه عنده محبوس ، وبلغ جعفرًا ومحمدًا ابني سليمان بن علي - وكانا بالبصرة يومئذ - مصير إبراهيم إلى دار الإمارة وحبسه سفيان ، فأقبلا - فيما قيل - في ستمائة من الرجال والفرسان والنشابة يريدانه ، فوجه إبراهيم إليهما المضاء بن القاسم الجزري في ثمانية عشر فارساً وثلاثين رجلاً ؛ فوزمهم المضاء . ولحق محمدًا رجل من أصحاب المضاء قطّعه في فخذه ، ونادى مناد لإبراهيم : لا يتبع مدبر ؛ ومضى هو بنفسه حتى وقف على باب زينب بنت سليمان ، فنادى بالأمان لآل سليمان ، وألا يعرض لهم أحد .

وذكر بكر بن كثير ؛ أن إبراهيم لما ظهر على جعفر ومحمد وأخذ البصرة ، وجد في بيت المال ستمائة ألف ، فأمر بالاحتفاظ بها - وقيل إنه وجد في بيت المال ألقي درهم - فقوى بذلك ، وفرض لكل رجل خمسين خمسين ؛ فلما غلب إبراهيم على البصرة وجه - فيما ذكر - إلى الأهواز رجلاً يدعى الحسين

ابن ثولاء ، يدعومهم إلى البيعة ، فخرج فأخذ بيعتهم ؛ ثم رجع إلى إبراهيم . فوجه إبراهيم المغيرة في خمسين رجلا ، ثم اجتمع إلى ^(١) المغيرة لما صار إلى الأهواز تمام مائتي رجل . وكان عامل الأهواز يومئذ من قبيل أبي جعفر محمد ابن الحصين ، فلما بلغ ابن الحصين دنو المغيرة منه خرج إليه بمن معه ، وهم - فيما قيل - أربعة آلاف ، فالتقوا على ميل من قسبة الأهواز بموضع يقال له دشت أربك ، فانكشف ابن حصين وأصحابه ، ودخل المغيرة الأهواز . ٣٠١/٣

وقد قيل : إن المغيرة صار إلى الأهواز بعد شخوص إبراهيم عن البصرة إلى باخسرى

ذكر محمد بن خالد المرتضى ، أن إبراهيم لما ظهر على البصرة ثم أراد الخروج إلى ناحية الكوفة ، استخلف على البصرة نُمَيْلَةَ بن مرة العبشمي ، وأمر بتوجيه المغيرة بن الفرع أحد بني بهذلة بن عوف إلى الأهواز ، وعليها يومئذ محمد بن الحصين العبدى ، ووجه إبراهيم إلى فارس عمرو بن شداد عاملاً عليها ، فرام هرمز بيعقوب بن الفضل وهو بها ، فاستتبعه ؛ فشخص معه حتى قدم فارس ، وبها إسماعيل بن علي بن عبد الله عاملاً عليها من قبيل أبي جعفر ، ومعه أخوه عبد الصمد بن علي ، فلما بلغ إسماعيل بن علي وعبد الصمد إقبال عمرو بن شداد ويعقوب بن الفضل - وكانا بلاصطخر - بادرا إلى داراً بجرد ، فتحصنا بها ، فصارت فارس في يد عمرو بن شداد ويعقوب بن الفضل ، فصارت البصرة والأهواز وفارس في سلطان إبراهيم .

وحدثت عن سليمان بن أبي شيخ ، قال : لما ظهر إبراهيم بالبصرة ، أقبل الحكم بن أبي غيثلان البشكري في سبعة عشر ألفاً حتى دخل واسطاً ؛ وبها هارون بن حميد الإيادي من قبيل أبي جعفر ، فدخل هارون تنوراً ^(٢) في القصر حتى أخرج منه ، وأتى أهل واسط حفص بن عمر بن حفص بن عمر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة ، فقالوا له : أنت أولى من هذا المهجيمي ؛ فأخذها حَقَص ، وخرج منها البشكري ، وولّى حفص شُرطه أبا مقرن الهجيمي .

(٢) ب : « فتواري » .

(١) ج : « مع » .

وذكر عمر بن عبد الغفار بن عمرو الفُقَيْمِيّ، ابن أخى الفضل بن عمرو الفُقَيْمِيّ، قال : كان إبراهيم واجداً على هارون بن سعد ، لا يكلمه ، فلما ظهر إبراهيم قدم هارون بن سعد ، فأتى سلم بن أبى واصل ، فقال له : أخبرنى عن صاحبك ، أما به إلينا حاجة فى أمره هذا ! قال : بلى لعمر الله . ثم قام فدخل على إبراهيم ، فقال : هذا هارون بن سعد قد جاءك ، قال : لا حاجة لى به ، قال : لا تفعل ؛ فى هارون تزهّد ؛ فلم يزل به حتى قبّله ، وأذن له فدخل عليه ؛ فقال له هارون : استكفنى أهمّ أمورك إليك ، فاستكفاه واسطاً ، واستعمله عليها .

قال سليمان بن أبى شيخ : حدثنى أبو الصعدى ، قال : أثنانا هارون بن سعد العجليّ من أهل الكوفة ، وقد وجهه إبراهيم من البصرة ، وكان شيخاً كبيراً ، وكان أشهر من معه من أهل البصرة الطهوىّ ، وكان معه من يشبه الطهوىّ فى نزجته من أهل واسط عبد الرحيم الكلبيّ ، وكان شجاعاً ؛ وكان ممن قدم به - أو قدم عليه - عبدويه كردام الخراسانىّ . وكان من فرسانهم صدقة بن بكار ، وكان منصور بن جُمهور يقول : إذا كان معى صدقة بن بكار فما أبالى من لقيت ! فوجه أبو جعفر إلى واسط لحرب هارون بن سعد عامر بن إسماعيل المسلميّ فى خمسة آلاف فى قول بعضهم ، وقال بعضهم : فى عشرين ألفاً ، وكانت بينهم وقعات .

وذكر عن ابن أبى الكرام ، أنه قال : قدمت على أبى جعفر برأس محمد ، ٢٠٣/٣ وعامر بن إسماعيل بواسط محاصر هارون بن سعد ، وكانت الحرب بين أهل واسط وأصحاب أبى جعفر قبل شخوص إبراهيم من البصرة ، فذكر سليمان بن أبى شيخ ، قال : عسكر عامر بن إسماعيل من وراء النيل ، فكانت أول حرب جرت بينه وبين هارون ، فضر به عبد سقاء وجرحه وصرعه وهو لا يعرفه ، فأرسل إليه أبو جعفر بطبية فيها صمغ عربى ؛ وقال : داو بها جراحتك ، فالتقوا غير مرّة ، فقتل من أهل البصرة وأهل واسط خلق كثير ؛ وكان هارون ينهاهم عن القتال ، ويقول : لو لقي صاحبنا صاحبهم تبين لنا الأمر ، فاستبقوا أنفسكم ؛ فكانوا لا يفعلون . فلما شخّص إبراهيم إلى باخمرى كفّ الفريقان من أهل واسط وعامر بن إسماعيل ؛ بعضهم عن بعض ، وتوادعوا على

ترك الحرب إلى أن يلتقى الفريقان ، ثم يكونوا تبعاً للغالب ؛ فلما قتل إبراهيم أراد عامر بن إسماعيل دخول واسط ، فمانعه أهلها الدخول . قال سليمان : لما جاء قتل إبراهيم هرب هارون بن سعد ، وصالح أهل واسط عامر بن إسماعيل على أن يؤمنهم ، فلم يثق كثير منهم بأمانه ، فخرجوا منها ، ودخلها عامر بن إسماعيل ، وأقام بواسط فلم يسهج أحداً .

وكان عامر - فيما ذكر - صالح أهل واسط على ألا يقتل أحداً بواسط ، فكانوا يقتلون كل من يجدونه من أهل واسط خارجاً منها ؛ ولما وقع الصلح ٣٠٤/٣ بين أهل واسط وعامر بعد قتل إبراهيم هرب هارون بن سعد إلى البصرة ، فتوفى قبل أن يبلغها فيما ذكر .

وقيل إن هارون بن سعد اختفى ، فلم يزل مختفياً حتى ولي محمد بن سليمان الكوفة ، فأعطاه الأمان ، واستدرجه حتى ظهر ، وأمره أن يفرض لمائتين من أهل بيته ؛ فهم أن يفعل ، وركب إلى محمد ، فلقيه ابن عم له ، فقال له : أنت مخدوع ، فرجع فتواري حتى مات ، وهدم محمد بن سليمان داره .

قال : ولم يزل إبراهيم مقيماً بالبصرة بعد ظهوره بها ، يفرق العمال في النواحي ويوجه الجيوش إلى البلدان ؛ حتى أتاه نعي أخيه محمد ؛ فذكر نصر بن قديس ؛ قال : فرض إبراهيم فروضاً بالبصرة ، فلما كان قبل الفطر بثلاثة أيام ، أتاه نعي أخيه محمد ؛ فخرج بالناس إلى العيد ، وهم يعرفون فيه الانكسار ، وأخبر الناس بقتل محمد ؛ فازدادوا في قتال أبي جعفر بصيرة ، وأصبح من الغد فمسكر ، واستخلف نُمَيْلَةَ على البصرة ، وخلف ابنه حسناً معه .

قال سعيد بن هرم : حدثني أبي ، قال : قال علي بن داود : لقد نظرت إلى الموت في وجه إبراهيم حين خطبنا يوم الفطر ، فانصرفت إلى أهلي فقلت : قتل والله الرجل !

وذكر محمد بن معروف ، عن أبيه أن جعفرًا ومحمدًا ابني سليمان لما شخضا من البصرة ، أرسلاه إلى أبي جعفر ليخبره خبر إبراهيم ، قال : فأخبرته خبرهما ، فقال : والله ما أدرى كيف أصنع ! والله ما في عسكري إلا ألفا رجل ؛ فرقت جندي ، فع المهدى بالرّي ثلاثون ألفاً ، ومع محمد بن الأشعث

بإفريقية أربعون ألفاً والباقون مع عيسى بن موسى ؛ والله لئن سلمت من هذه ٣٠٥ / ٣
لا يفارق عسكري ثلاثون ألفاً .

وقال عبد الله بن راشد : ما كان في عسكر أبي جعفر كثيرٌ أحد ؛ ما هم
إلا سودان وناسٌ يسير ؛ وكان يأمر بالخطب فيحزم ثم يوقد بالليل ، فيراه
الرائي فيحسب أن هناك ناساً ؛ وما هي إلا نار تضرم ، وليس عندها أحد .
قال محمد بن معروف بن سويد : حدثني أبي ، قال : لما ورد الخبر
على أبي جعفر ، كتب إلى عيسى بن موسى وهو بالمدينة : إذا قرأت كتابي
هذا فأقبل ودع كل ما أنت فيه ؛ قال : فلم ينشب أن قدم ، فوجهه على
الناس . وكتب إلى سلم بن قتيبة فقدم عليه من الرى ، فضمه إلى جعفر
ابن سليمان .

فذكر عن يوسف بن قتيبة بن مسلم ، قال : أخبرني أخى سلم بن قتيبة
ابن مسلم ، قال : لما دخلتُ على أبي جعفر قال لى : اخرج ؛ فإنه قد خرج
ابنا عبد الله ، فاعمد لإبراهيم ولا يرو عنك جمعه ؛ فوالله إنهما جملاً بنى هاشم
المقتولان جميعاً ؛ فابسط يدك ، وثق بما أعلمتك ، وستذكر مقالتي لك .
قال : فوالله ما هو إلا أن قُتِلَ إبراهيم ، فجعلت أتذكر مقالته فأعجب .

قال سعيد بن سلم : فاستعمله على ميسرة الناس ، وضم إليه بشار بن سلم
العقبلى وأبا يحيى بن خريم وأبا هُرَاسة سنان بن مخيمس القشيري ، وكتب سلم
إلى البصرة فلحقته به باهلة ؛ عربؤها ومواليها ، وكتب المنصور إلى المهدي وهو
يومئذ بالرى يأمره بتوجيه خازم بن خزيمة إلى الأهواز ، فوجهه المهدي - فيما
ذكر - في أربعة آلاف من الجند ، فصار إليها ، وحارب بها المغيرة ، فانصرف ٣٠٦ / ٣
إلى البصرة ، ودخل خازم الأهواز ، فأباحها ثلاثاً .

وذكر عن الفضل بن العباس بن موسى وعمر بن ماهان ، أنهما سمعا السندى
يقول : كنت وصيفاً أيام حرب محمد ، أقوم على رأس المنصور بالمذبة ،
فرأيت لما كثف أمر إبراهيم وغلظ ، أقام على مصلى نيقاً وخمسين ليلة ، ينام
عليه ويجلس عليه ، وعليه جببة ملونة قد اتسخ جيبها وما تحت لحيته منها ؛
فما غير الجببة ، ولا هجر المصلى حتى فتح الله عليه ؛ إلا أنه كان إذا ظهر

للناس علا الجبّة بالسواد، وقعد على فراشه؛ فإذا بطن عاد إلى هيشته . قال :
فأنته ريسانة في تلك الأيام، وقد أهديت له امرأتان من المدينة ؛ إحداهما فاطمة
بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله والأخرى أمة^(١) الكريم بنت عبد الله
من ولد خالد بن أسيد بن أبي العيص ؛ فلم ينظر إليهما ، فقالت :
يا أمير المؤمنين ؛ إن هاتين المرأتين قد خبثت أنفسهما، وساءت ظنونهما لما
ظهر من جفائك لهما؛ فنهرها، وقال : ليست هذه الأيام من أيام النساء؛ لاسيلا
لى إليهما حتى أعلم : أراس إبراهيم لى أم راسى لإبراهيم !

وذكر أن محمداً وجعفرأ ابني سليمان كتبا إلى أبي جعفر يُعلمانه بعد
خروجهما من البصرة الخبر في قطعة جراب ، ولم يقدر على شيء يكتبان
فيه غير ذلك ؛ فلما وصل الكتاب إليه ؛ فرأى قطعة جراب بيد الرسول ، قال :
خلع والله أهل البصرة مع إبراهيم ، ثم قرأ الكتاب، ودعا بعبد الرحمن الخثلي
وبأبي يعقوب ختن مالك بن الهيثم ، فوجهما في خيل كثيفة إليهما ، وأمرهما
أن يحبساهما حيث لقياهما ، وأن يعسكرا معهما ، ويسمعا ويطيعا لهما ؛
وكتب إليهما يعجزهما ويضعفهما ويوبخهما على طمع إبراهيم في الخروج
إلى مصرهما فيه ، واستار خبره عنهما، حتى ظهر وكتب في آخر كتابه :
أبلغ بني هاشم عني مُغلظة فاستيقظوا إن هذا فعل نؤام
تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتنق مريض المستنفر الحامى

٣٠٧/٣

وذكر عن جعفر بن ربيعة العامري عن الحجاج بن قتيبة بن مسلم ، قال :
دخلت على المنصور أيام حرب محمد وإبراهيم ، وقد جاءه فتق البصرة والأهواز
وفارس وواسط والمداين والسواد ، وهو ينكت الأرض بمخضرتة ويتمثل :
ونصبت نفسي للرماح ذرية إن الرئيس لمثل ذاك فعول
قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، أدام إعزازك ونصرك على عدوك ! أنت
كما قال الأعشى :

وإن حربهم أوقدت بينهم فحرت لهم بعد إيرادها^(٢)

(٢) ديوانه ٧٣ (النفوذية) .

(١) كذا في د ، وق ط : « أم » .

وجدت صَبُورًا على حَرْها^(١) وكرَّ الحروب وتردَّادها^(٢)

فقال : يا حجاج ، إن إبراهيم قد عرف وعورة جانبي وصعوبة ناحيتي ، وخشونة قرني ؛ وإنما جرَّاه على المسير إلى من البصرة اجتماع هذه الكُور المُطلَّة على عسكر أمير المؤمنين وأهل السواد معه على الخلاف والمعصية ، وقد رميت كل كورة بمجرَّها وكل ناحية بسهمها ، ووجهت إليهم الشَّهْم^(٣) النجْد الميمون المظفر عيسى بن موسى ، في كثرة من العدد والعدَّة ، واستعنت بالله عليه ، واستكفيتها إياه ؛ فإنه لا حول ولا قوة لأمر المؤمنين إلا به .

قال جعفر بن ربيعة : قال الحجاج بن قتيبة : لقد دخلتُ على أمير المؤمنين المنصور في ذلك اليوم مسلَّمًا ، وما أظنَّه يقدر على ردِّ السلام لتتابع الفُتوق والحُرُوق عليه والعساكر المحيطة به ، ولما تُه أُلْف سيف كامنة له بالكوفة بإزاء عسكره ينتظرون به صَيْحَة واحدة فيثبون ؛ فوجدته صقْرًا أحوزيًا مشمَّرًا ، قد قام إلى ما نزل به من النواثب يعرُّكها ويمرُّسها ، فقام بها ولم تقعد به نفسه ؛ وإنه لكما قال الأوَّل :

نَفْسٌ عِصَامٌ سَوَّدَتْ عِصَامًا وَعَلَّمَتْهُ الْكُرَّ وَالْإِقْدَامَا^(٤)
* وَصَيَّرَتْهُ مَلِكًا هُمَامًا^(٥) *

وذكر أبو عبيدة أنه كان عند يونس الجَرَّمي ، وقد وجَّه محمد بن عبد الله أخاه لحرب أبي جعفر ، فقال يونس : قدِم هذا يريد أن يزيل ملكًا ، فألَّهتُه ابنة عمر بن سُكَّمة عَمَّا حاوله ، وألَّهتْ أهديت التيمية^(٦) إلى أبي جعفر في تلك الأيام ، فتركها بمجرَّ الكلب ، فما نظر إليها حتى انقضى أمر إبراهيم . وكان إبراهيم تزوج بعد مقدمه البصرة بهيكة بنت عمر بن سلمة ، فكانت تأتيه في مصبغاتِها وألوان ثيابها .

(١) الديوان : « على رزها » .
(٢) الديوان : « وحر الحروب » .
(٣) ج : « السهم » .
(٤) مما نسب إلى النابغة الذبياني ؛ العقد الثمين ١٧٥ .
(٥) بعده في العقد الثمين :

* حَتَّى عَلَا وَجَاوَزَ الْأَقْوَامَا *

(٦) ط : « اليتيمة »

فلما أراد إبراهيم الشخوص نحو أبي جعفر ، دخل - فيما ذكر بشر بن سلم - عليه تمثيلة الطهوي وجماعة من قواده من أهل البصرة ، فقالوا له : أصلحك الله ! إنك قد ظهرت على البصرة والأهواز وفارس وواسط ، فأقيم بمكانك ، ووجه الأجناد ، فإن هُزم لك جند أمددتهم بجند ، وإن هُزم لك قائد أمددته بقائد ، فخير مكانك ، وانتقاك عدوك ، وجببت الأموال ، وثبتت وطأتك ؛ ثم رأيك بعد . فقال الكوفيون : أصلحك الله ! إن بالكوفة رجالاً لو قد رأوك ماتوا دونك ، وإلا يروك تقعد بهم أسباب شتى فلا يأتونك ^(١) ، فلم يزالوا به حتى شخص .

وذكر عن عبد الله بن جعفر المديني ، قال : خرجنا مع إبراهيم إلى باخمري ، فلما عسكرنا أتاننا ليلة من الليالي ، فقال : انطلق بنا نطف في عسكرنا . قال : فسمع أصوات طناير وغناء فرجع ، ثم أتاننا ليلة أخرى فقال : انطلق بنا ، فانطلقت معه ، فسمع مثل ذلك فرجع وقال : ما أطمع في نصر عسكر فيه مثل هذا .

وذكر عن عفان بن مسلم الصفار ، قال : لما عسكر إبراهيم افترض معه رجال من جيراننا ، فأتيت معسكره ، فحزرت أن معه أقل من عشرة آلاف . فأما داود بن جعفر بن سليمان ، فإنه قال : أحصى في ديوان إبراهيم من أهل البصرة مائة ألف . ووجه أبو جعفر عيسى بن موسى - فيما ذكر إبراهيم بن موسى بن عيسى - في خمسة عشر ألفاً ، وجعل على مقدمته حميد بن قحطبة على ثلاثة آلاف . فلما شخص عيسى بن موسى نحو إبراهيم سار معه - فيما ذكر - أبو جعفر حتى بلغ نهر البصريين ، ثم رجع أبو جعفر ، وسار إبراهيم من معسكره بالماخور من خريبة البصرة نحو الكوفة .

٣١٠/٣

فذكر بعض بني تيم الله عن أوس بن مهلهل القطعي ، قال : مر بنا إبراهيم في طريقه ذلك ، ومنزلنا بالقباب التي تدعى قباب أوس ، فخرجت أتلقاه مع أبي وعي ، فانتهينا إليه وهو على برذون له يرتاد منزلاً من الأرض ، قال : فسمعتة يتمثل أبياتاً للقطاعي :

أُمُورٌ لَوْ تَدَبَّرَهَا حَلِيمٌ^(١) إِذَا لَنَهَى وَهَيْبَ مَا اسْتَطَاعَا
وَمَعْصِيَةَ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا^(٢) يَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ اسْتَمَاعَا
وَخَبَرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ وَلَيْسَ بِأَنَّ تَتَّبَعَهُ اتِّبَاعَا
وَلَكِنَّ الْأَدِيمَ إِذَا تَفَرَّى بِلَى وَتَعَيَّبَا غَلَبَ الصَّنَاعَا

فقلت للذي معي : إني لأسمع كلامَ رجل نادم على مسيره . ثم سار فلما بلغ كرخنا قال له - فيما ذكر عن سليمان بن أبي شيخ عن عبد الواحد بن زياد بن لبید - إن هذه بلادُ قومي ، وأنا أعلمُ بها ، فلا تقصد قصدَ عيسى بن موسى ، وهذه العساكر التي وُجِّهَتْ إليك ، ولكني أسلك بك إن تركتني طريقاً لا يشعر بك أبو جعفر إلا وأنت معه بالكوفة . فأبى عليه . قال : فإننا معشر ربيعة أصحاب بيات ، فدعني أبيت أصحاب عيسى بياتاً ، قال : ٢١١/٣
إني أكره البيات .

وذكر عن سعيد بن هريم أن أباه أخبره ، قال : قلت لإبراهيم : إنك غير ظاهر على هذا الرجل حتى تأخذ الكوفة ، فإن صارت لك مع تحصنته بها لم تقم له بعدها قائمة ، ولئ بعدُ بها أهيلٌ ، فدعني أسيرُ إليها مخفياً فأدعو إليك في السرِّ ثم أجهر ؛ فإنهم إن سمعوا داعياً إليك أجابوه ، وإن سمع أبو جعفر الهيعة بأرجاء الكوفة لم يردَّ وجهه شيء دون حُلوان . قال : فأقبل على بشير الرحال ، فقال : ما ترى يا أبا محمد ؟ قال : إنا لو وثقنا بالذي تصيف لكان رأياً ؛ ولكننا لأنامن أن تجيبك منهم طائفة ، فيرسل إليهم أبو جعفر خيلاً فيطأ البرى والنطيف^(٣) والصغير والكبير ؛ فتكون قد تعرضت للمأثمِ ذلك ، ولم تبلغ منه ما أملت . فقلت لبشير : أخرجت حين خرجت لقتال أبي جعفر وأصحابه ؛ وأنت تتوقى قتل الضعيف والصغير والمرأة والرجل ؛ أو ليس قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه السرية فيقاتل فيكون في ذلك نحو ما كرهت ! فقال : إن أولئك كانوا مشركين كلهم ، وهؤلاء أهلُ ملتنا

(٢) ط : « الشقيق » .

(١) ط : « يدبرها » .

(٣) النطف : الرجل المريب المتهم .

ودعوتنا وقبلتنا ، حكمهم غير حكم أولئك ؛ فاتبع إبراهيم رأيه ولم يأذن له ، وسار إبراهيم حتى نزل باخمرى .

وذكر خالد بن أسيد الباهلي أنه لما نزلها أرسل إليه سلم بن قتيبة حكيم ابن عبد الكريم : إنك قد أصحرت ، ومثلك أنفسُ به عن الموت ، فخذق على نفسك حتى لا تؤثى إلا من مأتى واحد ، فإن أنت لم تفعل فقد أعرى^(١) أبو جعفر عسكره ، فتخفف في طائفة حتى تأتيه فتأخذ بقفاه . ٣١٢/٣

قال : فدعا إبراهيم أصحابه ، فعرض ذلك عليهم ، فقالوا : نخندق على أنفسنا ونحن ظاهرون عليهم ! لا والله لا نفعل . قال : فنأتيه ؟ قالوا : ولم وهو في أيدينا متى أردناه ! فقال إبراهيم للحكيم : قد تسمع ، فارجع راشداً . فذكر إبراهيم بن سلم^(٢) أن أخاه حدثه عن أبيه ، قال : لما التقينا صف لهم أصحابنا ، فخرجت^(٣) من صفهم ، فقلت لإبراهيم : إن الصف إذا انهزم بعضه تداعى ، فلم يكن لهم نظام ، فاجعلهم كراديس ، فإن انهزم كردوس ثبت كردوس ، فتنادوا^(٤) : لا ، لا قتال أهل الإسلام^(٥) يريدون قوله تعالى : ﴿ يقاتلون في سبيله صفاً ﴾^(٥) .

وذكر يحيى بن شكر مولى محمد بن سليمان ، قال : قال المضاء : لما نزلنا باخمرى أتيت إبراهيم فقلت له : إن هؤلاء القوم مصبحوك بما يسد عليك مغرب الشمس من السلاح والكراع ، وإنما معك رجال عراة من أهل البصرة ، فدعني أبيته ، فوالله لأشتتن جموعه ، فقال : إني أكره القتل ، فقلت : تريد المُلْك وتكره القتل !

وحدثني الحارث ، قال : حدثني ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : لما بلغ إبراهيم قتل أخيه محمد بن عبد الله ، خرج يريد أبا جعفر المنصور بالكوفة ، فكتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى يعلمه ذلك ، ويأمره أن يقبل إليه ؛ فوافاه رسول أبي جعفر وكتابه — وقد أحرم بعمره — فرفضوا ، وأقبل إلى أبي جعفر ، فوجهه في القواد والجند والسلاح إلى إبراهيم بن عبد الله ، ٣١٣/٣

(١) ابن الأثير : « أعرى » . (٢) ب : « سالم » .

(٣) ب : « فخرجنا بين صفهم » .

(٤ - ٥) ابن الأثير : « لا تصف إلا صف أهل الإسلام » . (٥) سورة الصف ٤ .

وأقبل إبراهيم ومعه جماعة كثيرة من أفناء الناس ؛ أكثر من جماعة عيسى ابن موسى ، فالتقوا بباخمرى - وهى على ستة عشر فرسخاً من الكوفة - فاقتتلوا بها قتالاً شديداً ، وانهزم حميد بن قحطبة - وكان على مقدمة عيسى بن موسى - وانهزم الناس معه ، فعرض لهم عيسى بن موسى يناشدهم الله والطاعة فلا يلون عليه ، ومروا^(١) منهزمين . وأقبل حميد بن قحطبة منهزماً ، فقال له عيسى بن موسى : يا حميد ، الله الله والطاعة^(٢) ! فقال : لا طاعة فى الهزيمة . ومرّ الناس كلهم حتى لم يبقَ منهم أحد بين يديّ عيسى بن موسى ، وعسكر إبراهيم بن عبد الله ، فثبت عيسى بن موسى فى مكانه الذى كان فيه لا يزول ، وهو فى مائة رجل من خاصته وحشمه ، فقيل له : أصلح الله الأمير ! لو تنحيت عن هذا المكان حتى يثوب إليك الناس فتكرّ بهم ! فقال : لا أزول عن مكاني هذا أبداً حتى أقتل أو يفتح الله على يديّ ؛ ولا يقال : انهزم .

وذكر عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن عليّ أنّ إسحاق بن عيسى بن عليّ حدثه أنه سمع عيسى بن موسى يحدث أباه أنه قال : لما أراد أمير المؤمنين توجيئى إلى إبراهيم ، قال : إنّ هؤلاء الخبياء - يعنى المنجمين - يزعمون أنك لاقى الرجل ، وأن لك جولة حين تلقاه ، ثم يئىء إليك أصحابك ، وتكون العاقبة لك . قال : فوالله لكان كما قال ؛ ما هو إلّا أن التقينا فهزمنونا ، فلقد رأيتنى وما معى إلا ثلاثة أو أربعة ؛ فأقبل علىّ مولى لى - كان ممسكاً بلجام دابتي - فقال : جُعِلَ فداك ! علامَ تقيم وقد ذهب أصحابك ! فقلت : لا والله ، لا ينظر أهل بيتى إلى وجهى أبداً وقد انهزمت عن عدوّهم . قال : فوالله لكان أكثر^(٣) ما عندى أن جعلت أقول لمن مرّ بى ممن أعرف من المنهزمين : أقرئوا أهل بيتى منى السلام ، وقولوا لهم : إني لم أجِدْ فداءً أفديكم به أعزّ علىّ من نفسى ، وقد بذلتُها دونكم . قال : فوالله إنا لعلّى ذلك والناس منهزمون ما يلوى أحدٌ على أحد . وصمد ابنا سليمان : جعفر ومحمد لإبراهيم ، فخرجا عليه من ورائه ، ولا يشعر منْ بأعقابنا من أصحاب إبراهيم ؛ حتى نظر

(٢) ج : « فى الطاعة » .

(١) ب : « ويمرون » .

(٣) ب : « أكبر » .

بعضهم إلى بعض ؛ وإذا القتال من ورائهم ، فكروا نحوه ، وعقبنا في آثارهم راجعين ؛ فكانت إياها . قال : فسمعت عيسى بن موسى يومئذ يقول لأبي : فوالله يا أبا العباس ؛ لولا ابتنا سليمان يومئذ لافتضحنا ؛ وكان من صنع الله أن أصحابنا لما انهزموا يومئذ اعترض لهم نهر ذو ثنيتين مرتفعتين ، فحالتا بينهما وبين الوثوب ؛ ولم يجدوا مخاضة ، فكروا راجعين بأجمعهم .

فذكر عن محمد بن إسحاق بن مهران ، أنه قال : كان يباخشمري ناس من آل طلحة فخروها على إبراهيم وأصحابه ، وبثقوا الماء ، فأصبح أهل عسكره مرتطمين في الماء . وقد زعم بعضهم أن إبراهيم هو الذي مخر ليكون (١) قتاله من وجه واحد ؛ فلما انهزموا منعهم الماء من الفرار ، فلما انهزم أصحاب إبراهيم ثبت إبراهيم وثبت معه جماعة من أصحابه يقاتلون دونه ، اختلف في مبلغ عددهم (٢) ، فقال بعضهم : كانوا خمسمائة ، وقال بعضهم : كانوا أربعمائة ، وقال بعضهم : بل كانوا سبعين .

٣١٠/٣

فحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : لما انهزم أصحاب عيسى بن موسى وثبت عيسى مكانه ، أقبل إبراهيم بن عبد الله في عسكره يدنو ويدنو غبار عسكره ؛ حتى يراه عيسى ومن معه ؛ فينبأهم على ذلك إذا فارس قد أقبل وكرّ راجعاً يعرى نحو إبراهيم ، لا يعرج على شيء ؛ فإذا هو حميد بن قحطبة قد غيّر لأمنه ، وعصب رأسه بعصابة صفراء ، فكرّ الناس يتبعونه حتى لم يبق أحد ممن كان انهزم إلا كرّ راجعاً ، حتى خالطوا القوم ، فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل الفريقان بعضهم بعضاً ، وجعل حميد بن قحطبة يرسل بالرؤوس إلى عيسى بن موسى إلى أن أتى برأس ومعه جماعة كثيرة وضجة وصياح ، فقالوا : رأس إبراهيم بن عبد الله ؛ فدعا عيسى ابن موسى بن أبي الكرام الجعفرى ، فأراه إياه ، فقال : ليس هذا ؛ وجعلوا يقتلون يومهم ذلك ؛ إلى أن جاء سهم عائر لا يدري من رمى به ، فوقع في حلق إبراهيم بن عبد الله فنحره ، فتنحى عن موقفه ، فقال : أنزلوني ، فأنزلوه

عن مركبه، وهو يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾^(١)، أردنا أمراً وأراد الله غيره؛ فأنزل إلى الأرض وهو مشخن^(٢)، واجتمع عليه أصحابه وخاصته يحمونه ويقاتلون دونه، ورأى حميد بن قحطبة اجتماعهم، فأنكرهم فقال لأصحابه: شدوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم، وتعلموا ما اجتمعوا عليه، ٣١٦/٣ فشدوا عليهم، فقاتلوهم أشد القتال حتى أفرجوه عن إبراهيم، وخلصوا إليه فجزوا رأسه؛ فأتوا به عيسى بن موسى، فأراه ابن أبي الكرام الجعفرى، فقال: نعم؛ هذا رأسه، فنزل عيسى إلى الأرض فسجد، وبعث برأسه إلى أبى جعفر المنصور، وكان قتلته يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذى القعدة سنة خمس وأربعين ومائة. وكان يوم قتل ابن ثمان وأربعين سنة، ومكث منذ خرج إلى أن قتل ثلاثة أشهر إلا خمسة أيام.

وذكر عبد الحميد أنه سأل أبا صلابة: كيف قُتل إبراهيم؟ قال: إنى لأنظر إليه واقفاً على دابة ينظر إلى أصحاب عيسى قد وُكِّوا ومنحوه أكتافهم، ونكص عيسى بدابته القهقهرى وأصحابه يقتلونهم، وعليه قباء زرد^(٢)، فأذاه الحر، فحلل أزرار قبائه، فشال الزرد حتى سال عن ثدييه، وحسر عن لبته، فأتته نُسابة عائرة^(٣)، فأصابته فى لبته، فرأيتُه اعتنق فرسه، وكرّر راجعاً، وأطافت به الزيدية.

وذكر إبراهيم بن محمد بن أبى الكرام؛ قال: حدثنى أبى، قال: لما انهزم أصحاب عيسى تبعتهم رايات إبراهيم فى آثارهم، فنادى منادى إبراهيم: ألا لا تتبعوا مدبراً؛ فكرت الرايات راجعة، ورأها أصحاب عيسى فخالوهم انهزموا، فكروا فى آثارهم؛ فكانت الهزيمة.

٣١٧/٣ وذكر أن أبا جعفر لما بلغته جولة أصحاب عيسى عزم على الرحيل إلى الرى، فذكر سلم بن فرقد حاجب سليمان بن مجالد، أنه قال: لما التقوا هُزم أصحاب عيسى هزيمة قبيحة حتى دخل أوائلهم الكوفة، فأتانى صديق لى كوفى، فقال: أيتها الرجل، تعلم والله لقد دخل أصحابك الكوفة؛ فهذا

(١) سورة الأحزاب ٣٨ (٢) زرد؛ أى مزرود.

(٣) النُسابة، واحدة النشاب وهو النبل. والعائر: ما لا يدري راميه.

أخو أبي هريرة في دار فلان ، وهذا فلان في دار فلان ؛ فانظر لنفسك وأهلك ومالك ؛ قال : فأخبرت بذلك سليمان بن مجالد ، فأخبر به أبا جعفر ، فقال : لا تكشفن من هذا شيئاً ولا تلتفتن إليه ؛ فإني لا آمن أن يهجم عليّ ما أكره ، وأعدّد على كلّ باب من أبواب المدينة إبلًا ودوابّ ؛ فإن أتينا من ناحية صرنا إلى الناحية الأخرى . فقليل لسلم : إلى أين أراد أبو جعفر يذهب إن دهمه أمر ؟ قال : كان عزم على إتيان الرى ، فبلغنى أن نبيخت المنجم دخل على أبي جعفر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الظّفَرُ لك ، وسيُقتل إبراهيم ، فلم يقبل ذلك منه ، فقال له : احبسنى عندك ، فإن لم يكن الأمر كما قلت لك فاقتلنى ، فيينا هو كذلك إذ جاءه الخبر بهزيمة إبراهيم ، فتمثّل بيت معقر بن أوّس ابن حمار البارقى :

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْأَيَابِ الْمَسَافِرُ^(١)

٣١٨/٣

فأقطع أبو جعفر نبيخت ألقى جريب بنهر جَوْبَر ؛ فذكر أبو نعيم الفضل ابن دكين أن أبا جعفر لما أصبح من الليلة التي أتى فيها برأس إبراهيم — وذلك ليلة الثلاثاء لخمس بقين من ذى القعدة — أمر برأسه فنُصب رأسه في السوق . وذكر أن أبا جعفر لما أتى برأسه فوضع بين يديه بكى حتى قطرت دموعه على خدّ إبراهيم ، ثم قال : أما والله إن^(٢) كنت لهذا لكارهاً ، ولكنك ابتليت بي وابتليت بك .

وذكر عن صالح مولى المنصور أن المنصور لما أتى برأس إبراهيم بن عبد الله وضعه بين يديه ، وجلس مجلساً عاماً ، وأذن للناس ، فكان الدّاخِل يدخل فيسلم ويتناول إبراهيم فيسئىء القول فيه ، ويذكر منه القبيح ، التماساً لرضا أبي جعفر ، وأبو جعفر ممسك متغيّر لونه ؛ حتى دخل جعفر بن حنظلة البهراني ، فوقف فسلم ، ثم قال : عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك ،

(١) البيت بهذه النسبة في اللسان (عصا) ؛ ونقل عن ابن برى أنه لمبدون السلى ، ويقال لسلم بن ثمامة الحنفى قال ؛ وأول الشعر :

تَذَكَّرْتُ مِنْ أُمِّ الْحَوِيرِثِ بَعْدَمَا مَضَتْ حَجَجٌ ، وَذُو الشُّوقِ ذَاكِرٌ
(٢) ابن الأثير : « إني » .

وغفر له ما فرط^(١) فيه من حقلك ! فاصفر لون أبي جعفر وأقبل عليه ، فقال :
أبا خالد ، مرحباً وأهلاً ها هنا ! فعلم الناس أن ذلك قد وقع منه ، فدخلوا
فقالوا مثل ما قال جعفر بن حنظلة .

* * *

وفي هذه السنة خرجت الترك والخرزرباب الأبواب فقتلوا من المسلمين
بأرمينية جماعة كثيرة .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن
عبد المطلب . وكان عامل أبي جعفر على مكة .

وكان والى^(٢) المدينة في هذه السنة عبد الله بن الربيع الحارثي ، ووالى
الكوفة وأراضيها عيسى بن موسى ، ووالى البصرة سلم بن قتيبة الباهلي . وكان
على قضائها عباد بن منصور ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[خبر استئام بناء بغداد وتحول أبي جعفر إليها]

فمما كان فيها من ذلك استئام أبي جعفر مدينته بغداد ؛ ذكر محمد بن عمر أن أبا جعفر تحول من مدينة ابن هُبيرة إلى بغداد في صفر سنة ست وأربعين ومائة ، فترها وبني مدينتها .

* ذكر الخبر عن صفة بنائه إياها :

قد ذكرنا قبلُ السببَ الباعثَ كان لأبي جعفر على بنائها ، والسببَ الذي من أجله اختار البقعة التي بنى فيها مدينته ، ونذكر الآن صفة بنائه إياها .
 ذكر عن رشيد أبي داود بن رشيد أن أبا جعفر شخص إلى الكوفة حين بلغه خروج محمد بن عبد الله ، وقد هباً لبناء مدينة بغداد ما يحتاج إليه من خشب وساج وغير ذلك ؛ واستخلف حين شخص على إصلاح ما أعد لذلك مولى له يقال له أسلم ؛ فبلغ أسلم أن إبراهيم بن عبد الله قد هزم عسكر أبي جعفر ، فأحرق ما كان خلفه عليه أبو جعفر من ساج وخشب ؛ خوفاً أن يؤخذ منه ذلك ؛ إذا غلب مولاة ؛ فلما بلغ أبا جعفر ما فعل من ذلك مولاة أسلم كتب إليه يلومه على ذلك ؛ فكتب إليه أسلم يخبر أنه خاف أن يظفر بهم إبراهيم فيأخذه ، فلم يقل له شيئاً .

٣٢٠/٣

وذكر عن إسحق بن إبراهيم الموصلي ، عن أبيه ، قال : لما أراد المنصور بناء مدينة بغداد ، شاور أصحابه فيها ؛ وكان ممن شاوره فيها خالد بن برمك ، فأشار بها ؛ فذكر عن علي بن عصمة أن خالد بن برمك خط مدينة أبي جعفر له ، وأشار بها عليه ؛ فلما احتاج إلى الانقاض ، قال له : ما ترى في نقض بناء مدينة إيوان كسرى بالمدائن وحمل نقضه إلى مدينتي هذه ؟ قال : لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : ولم ؟ قال : لأنه علم من أعلام الإسلام ، يستدل به الناظر إليه على أنه لم يكن ليُزال مثل أصحابه عنه بأمر دنيا ؛ وإنما

هو على أمر دين ؛ ومع هذا يا أمير المؤمنين ؛ فإن فيه مصلّى على بن أبي طالب صلوات الله عليه ، قال : هيهات يا خالد ! أبيت إلا الميل إلى أصحابك العجم ! وأمر أن يُنفَضَ القصر الأبيض ، فنُقِضت ناحية منه ، وحمل نقضه ، فنظر في مقدار ما يلزمهم للنقض والحمل فوجدوا ذلك أكثر من ثمن الحديد لو عمل ، فرفع ذلك إلى المنصور ، فدعا بخالد بن برمك ، فأعلمه ما يلزمهم في نقضه وحمله ، وقال : ما ترى ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، قد كنت أرى قبل الآن تفعل ، فأما إذ فعلت فإني أرى أن تهدم الآن حتى تلحق بقواعده ؛ لئلا يقال : إنك قد عجزت عن هدمه . فأعرض المنصور عن ذلك ، وأمر ألا يهدم . فقال موسى بن داود المهندس : قال لي المأمون - وحدثني بهذا الحديث : يا موسى إذا بنيت لي بناء فاجعله ^(١) ما يعجز عن هدمه ليبقى ^(٢) ظلله ورسمه .

٣٢١/٣

وذكر أن أبا جعفر احتاج إلى الأبواب للمدينة ؛ فزعم أبو عبد الرحمن الهماشي أن سليمان بن داود كان بنى مدينةً بالقرب من موضع بناء الحجاج واسطاً يقال لها الزندورد ، واتخذت له الشياطين لها خمسة أبواب من حديد لا يمكن الناس اليوم عمل مثلها ، فنصبها عليها ، فلم تزل عليها إلى أن بنى الحجاج واسطاً ، وخربت تلك المدينة ، فنقل الحجاج أبوابها فصيرها على مدينته بواسط ، فلما بنى أبو جعفر المدينة أخذ تلك الأبواب فنصبها على المدينة ؛ فوئى عليها إلى اليوم . وللمدينة ثمانية أبواب : أربعة داخلية وأربعة خارجة ؛ فصار على الداخلة أربعة أبواب من هذه الخمسة ، وعلى باب القصر الخارج الخامس منها ، وصير على باب خراسان الخارج باباً جىء به من الشام من عمل الفراعنة ، وصير على باب الكوفة الخارج باباً جىء به من الكوفة ، كان عمله خالد بن عبد الله القسري ، وأمر باتخاذ باب لباب الشام ، فعُمل ببغداد ، فهو أضعف الأبواب كلها . وبنيت المدينة مدورة لئلا يكون الملك إذا نزل وسطها إلى موضع منها أقرب منه إلى موضع ، وجعل أبوابها أربعة ؛ على تدبير العساكر في الحروب ، وعمل لها سورين ، فالسور الداخل أطول من السور الخارج ،

وبنى قصره في وسطها، والمسجد الجامع حول القصر .

٣٢٢/٣

وذكر أن الحجاج بن أرتاة هو الذي خطّ مسجد جامعها بأمر أبي جعفر ، ووضع أساسه . وقيل إن قبلتها على غير صواب وإن المصلّى فيه يحتاج أن ينحرف إلى باب البصرة قليلا ، وإن قبله مسجد الرصافة أصوب من قبله مسجد المدينة ؛ لأنّ مسجد المدينة بنى على القصر ، ومسجد الرصافة بنى قبل القصر وبنى القصر عليه ؛ فلذلك صار كذلك .

وذكر يحيى بن عبد الخالق أنّ أباه حدثه أن أبا جعفر ولّى كلّ ربع من المدينة قائداً يتولى الاستحاث على الفراغ من بناء ذلك الربع .

وذكر هارون بن زياد بن خالد بن الصلت ، قال : أخبرني أبي ، قال : ولّى المنصور خالد بن الصلت النفقة على ربع من أرباع المدينة وهى تبى . قال خالد : فلما فرغت من بناء ذلك الربع رفعت إليه جماعة النفقة عليه ، فحسبها بيده ، فبقى على خمسة عشر درهماً ، فحبسني بها في حبس الشرقية أياماً حتى أدّيتها ، وكان اللين الذى صنّع لبناء المدينة اللينة منها ذراع في ذراع .

وذكر عن بعضهم أنه هدم من السور الذى يلي باب المحول قطعة فوجد فيها لبنة مكتوباً عليها بمغرة وزنها مائة وسبعة عشر رطلاً . قال : فوزناها فوجدناها على ما كان مكتوباً عليها من الوزن . وكانت مقاصير جماعة من قواد أبي جعفر وكتابه تشرع أبوابها إلى رحبة المسجد .

وذكر عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ؛ خال الفضل بن الربيع ، أن عيسى بن على شكّا إلى أبي جعفر ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن المشى يشقّ على من باب الرحبة إلى القصر ، وقد ضعفت . قال : فتحمل في محفّة ، قال : إني أستحي من الناس ، قال : وهل بقى أحد يستحي منه ! قال : يا أمير المؤمنين ، فأنزلى منزلة راوية من الروايا ، قال : وهل يدخل المدينة راوية أو راكب ؟ قال : فأمر الناس بتحويل أبوابهم إلى فصلان الطاقات ؛ فكان لا يدخل الرحبة أحد إلّا ماشياً . قال : ولما أمر المنصور بسدّ الأبواب ممّا إلى الرحبة وفتحها إلى الفصلان صيرت الأسواق في طاقات المدينة الأربع ،

٣٢٣/٣

في كل واحد سوق ، فلم تزل على ذلك مدّة حتى قدم عليه بطريق من بطارقة الروم وافداً ، فأمر الربيع أن يطوف به في المدينة وما حولها ليرى العمران والبناء ، فطاف به الربيع ، فلما انصرف قال : كيف رأيت مدينتي — وقد كان أصعد إلى سور المدينة وقياب الأبواب ؟ قال : رأيتُ بناءً حسناً ؛ إلا أني قد رأيتُ أعداءك ملعك في مدينتك^(١) ، قال : ومن هم ؟ قال : السوق ، قال : فأضرب عليها أبو جعفر ، فلما انصرف البطريرق أمر بإخراج السوق من المدينة ، وتقدم إلى إبراهيم بن حبيش الكوفي ، وضمّ إليه جوّاس بن المسيّب الياميّ مولاه ، وأمرهما أن يبنيا الأسواق ناحية الكرخ ، ويجعلها صفوفاً وبيوتاً لكل صنف ؛ وأن يدفعها إلى الناس . فلما فعلا ذلك حوّل السوق من المدينة إليها ، ووضع عليهم الغلة على قدر الذرع^(٢) ؛ فلما كثّر الناس بنواً في مواضع من الأسواق لم يكن^(٣) رغب في البناء فيها إبراهيم بن حبيش وجوّاس ، لأنها لم تكن على تقديم الصفوف من أموالهم ؛ فألزموا من الغلة أقلّ مما ألزم الذين نزلوا في بناء السلطان . ٣٢٤ / ٣

وذكر بعضهم أن السبب في نقل أبي جعفر التجار من المدينة إلى الكرخ وما قرب منها مما هو خارج المدينة ، أنه قيل لأبي جعفر : إنّ الغرباء وغيرهم يبيتون فيها ، ولا يؤمن أن يكون فيهم جوّاسيس ، ومنّ يتعرّف الأخبار ، أو أن يفتح أبواب المدينة ليلاً لموضع السوق ، فأمر بإخراج السوق من المدينة وجعلها للشُرط والحرس ، وبنى للتجار بباب طاق الحرّانيّ وباب الشام والكرخ .

وذكر عن الفضل بن سليمان الهاشمي ، عن أبيه ، أن سبب نقله الأسواق من مدينة السلام ومدينة الشريعة إلى باب الكرخ وباب الشعير وباب الحوّل ؛ أن رجلاً كان يقال له أبو زكرياء يحيى بن عبد الله ، ولّاه المنصور حسبة بغداد والأسواق سنة سبع وخمسين ومائة ، والسوق في المدينة ؛ وكان المنصور يتبع من خرج مع محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن ، وقد كان لهذا المحتسب معهم سبب ، فجمع على المنصور جماعة استغواهم من السفلة ، فشغبوا واجتمعوا ، فأرسل المنصور إليهم أبا العباس الطوسيّ فسكنهم ، وأخذ

(١) ب : « بيتك » . (٢) ج : « الذراع » (٣) ج : « ولم يكن » .

أبا زكرياء فحبسه عنده ، فأمره أبو جعفر بقتله ، فقتله بيده حاجبٌ كان لأبي العباس الطوسي يقال له موسى ، على باب الذهب في الرحبة بأمر المنصور ، وأمر أبو جعفر بهدم ما شَخَص من الدُّور في طريق المدينة ، ووضع الطريق على مقدار أربعين ذراعاً ، وهدم ما زاد على ذلك المقدار ، وأمر بنقل الأسواق إلى الكرخ .

٣٢٥/٣

وذكر عن أبي جعفر أنه لما أمر بإخراج التجار من المدينة إلى الكرخ كلمه أبان بن صدقة في بقال ، فأجابه إليه على ألا يبيع إلا الخُلّ والبقل وحده ، ثم أمر أن يجعل في كل رُبْع بقال واحد على ذلك المثال .

وذكر عن علي بن محمد أن الفضل بن الربيع ، حدثه أن المنصور لما فرغ من بناء قصره بالمدينة ، دخله فطاف فيه ، واستحسنه واستنظفه ، وأعجبه ما رأى فيه ؛ غير أنه استكثر ما أنفق عليه . قال : ونظر إلى موضع فيه استحسنه جداً ، فقال لي : اخرج إلى الربيع فقل له : اخرج إلى المسيب ، فقل له : يحضرنى الساعة ببناءً فارهاً . قال : فخرجت إلى المسيب فأخبرته ، فبعث إلى رئيس البنائين فدعاه ، فأدخله على أبي جعفر ؛ فلما وقف بين يديه قال له : كيف عملت لأصحابنا في هذا القصر ؟ وكَمْ أخذت من الأجرة لكل ألف آجُرَةٍ ولِسِنَةٍ ؟ فبقي البناء لا يقدر على أن يرُدَّ عليه شيئاً ، فعخفه المسيب ، فقال له المنصور : مالك لا تكلم ! فقال : لا علم لي يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك ! قل وأنت آمن من كل ما تخافه . قال : يا أمير المؤمنين ، لا والله ما أقف عليه ولا أعلمه . قال : فأخذ بيده ، وقال له : تعال ، لا علمك الله خيراً ! وأدخله الحجرة التي استحسنها ، فأراه مجلساً كان فيها ، فقال له : انظر إلى هذا المجلس وابن لي بإزائه طاقاً يكون شبيهاً بالبيت ، لا تدخل فيه خشباً ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فأقبل البناء وكل من معه يتعجبون من فهمه بالبناء والهندسة ، فقال له البناء : ما أحسن أن أجيء به على هذا ، ولا أقوم به على الذي تريد ! فقال له : فأنا أعينك عليه ، قال : فأمر بالآجر والحِصص ، فجيء به ، ثم أقبل يحصى جميع ما دخل في بناء الطاق من الآجر والحِصص ؛ ولم يزل كذلك حتى فرغ منه في يومه وبعض اليوم الثاني ،

٣٢٦/٣

فدعا بالمسيّب ، فقال له : ادفع إليه أجره على حسب ما عمل معك^(١) ، قال : فحاسبه المسيّب ، فأصابه خمسة دراهم ؛ فاستكثر ذلك المنصور ، وقال : لا أرضى بذلك ؛ فلم يزل به حتى نقضه درهماً ، ثم أخذ المقادير ، ونظر مقدار الطاق من الحجرة حتى عرفه ، ثم أخذ الوكلاء والمسيّبُ بـجملان^(٢) النفقات ، وأخذ معه الأمانة من البنائين والمهندسين حتى عرفوه قيمة ذلك ؛ فلم يزل يحسبه شيئاً شيئاً ، وحملهم على ما رفع في أجرة بناء الطاق ؛ فخرج على المسيّب مما في يده ستة آلاف درهم ونيّف ، فأخذه بها واعتقله ، فما برح من القصر حتى أدّاها إليه .

وذكر عن عيسى بن المنصور أنه قال : وجدتُ في خزائن أبي المنصور في الكتب ، أنه أنفق على مدينة السلام وجامعها وقصر الذهب بها والأسواق والفُصلان والخنادق وقبابها وأبوابها أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهماً ، ومبلغها من الفلوس مائة ألف ألف فلس وثلاثة وعشرون ألف فلس ؛ وذلك أن الأستاذ من البنائين كان يعمل يومه بقيراط فيضة ، والروزكاري بحبتين إلى ثلاث حبات .

* * *

٣٢٧/٣

[ذكر الخبر عن عزل سلم بن قتيبة عن البصرة]

وفي هذه السنة عزل المنصور عن البصرة سلم بن قتيبة ، ولأها محمد بن سليمان بن عليّ .

ذكر الخبر عن سبب عزله إياه :

ذكر عبد الملك بن شيان أن يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن الهاشمي ، قال : كتب أبو جعفر إلى سلم بن قتيبة لما ولاه البصرة : أما بعد ، فاهدم دور مَنْ خرج مع إبراهيم ، واعقر نخْلهم . فكتب إليه سلم : بأى ذلك أبداً؟ أبالدور أم بالنخل؟ فكتب إليه أبو جعفر : أما بعد ، فقد كتبتُ إليك أمرَكَ بإفساد تمرهم ، فكتبتُ تستأذني في آيةٍ تبدأ به بالبصرة

(٢) ج : « بحساب » .

(١) ج : « لك » .

أم بالشهريز^(١) ! وعزله وولّى محمد بن سليمان ، فقدم فعات .

وذكر عن يونس بن نجدة ، قال : قدم علينا سلّم بن قتيبة أميراً بعد الهزيمة وعلى شرطه أبو برقة يزيد بن سلّم ، فأقام بها سلّم أشهراً خمسة ، ثم عزّل ، وولّى علينا محمد بن سليمان .

قال عبد الملك بن شيبان : هدم محمد بن سليمان لما قدم دار يعقوب بن الفضل ، ودار أبي مَرْوَان في بني يشكر ، ودار عون بن مالك ، ودار عبد الواحد ابن زياد ، ودار الحليل بن الحُصَيْن في بني عدى ، ودار عفوالله بن سفيان ؛ وعَتَقَ نخلهم .

• • •

وغزا الصّائفة في هذه السنة جعفر بن حنظلة البهرانيّ .

وفي هذه السنة عُزِلَ عن المدينة عبد الله بن الربيع ، وولّى مكانه جعفر ابن سليمان ، فقدمها في شهر ربيع الأول

وعزّل أيضاً في هذه السنة عن مكة السريّ بن عبد الله ، وليها عبد الصمد ابن عليّ . ٣٢٨/٣

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، كذلك قال محمد بن عمر وغيره .

تم الجزء السابع من تاريخ الطبرى

ويليه الجزء الثامن ، وأوله : ذكر حوادث سنة سبع وأربعين ومائة

(١) البرنى : ضرب من التمر أصفر ، مدور ؛ وهو أجود التمر ، واحده برنية . والشهريز : ضرب من التمر أيضاً ، فارسيّ مغرب ، ذكره صاحب المغرب ، ولم يذكر وصفه .

فهرس الموضوعات

السنة الرابعة بعد المائة

- ٧ . . . ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
- ١٢ - ٧ . . . ذكر الوقعة بين الحرثي والسغد
- ذكر الخبر عن سبب عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن
- ١٤ - ١٢ . ابن الضحاك عن المدينة وما كان ولاه من الأعمال
- ١٥ ، ١٤ . أخبار متفرقة
- ذكر الخبر عن سبب عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرثي
- ٢٠ - ١٥ . عن خراسان
- ٢٠ . أخبار متفرقة

* * *

السنة الخامسة بعد المائة

- ٢١ . . . ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
- ٢٢ ، ٢١ . ذكر خبر موت يزيد بن عبد الملك
- ٢٤ - ٢٢ . ذكر بعض سيره وأموره
- ٢٥ . خلافة هشام بن عبد الملك
- ٢٦ ، ٢٥ . أخبار متفرقة
- ٢٨ - ٢٦ . ذكر ولاية خالد القسري على العراق

* * *

السنة السادسة بعد المائة

- ٢٩ . . . ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
- ٣٢ - ٣٠ . ذكر الخبر عن الحرب بين اليمانية والمضرية
- ٣٥ - ٣٢ . خبر غزو مسلم بن سعيد الترك

٣٧ — ٣٥	حج هشام بن عبد الملك
٣٩ — ٣٧	ولاية أسد بن عبد الله القسرى على خراسان
٣٩	أخبار متفرقة

* * *

السنة السابعة بعد المائة

٤٠	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٤١ ، ٤٠	غزو الغور
٤٢ ، ٤١	أخبار متفرقة

* * *

السنة الثامنة بعد المائة

٤٣	ذكر ما كان فيها من الأحداث
٤٥ — ٤٣	غزو الختل
٤٥	أخبار متفرقة

* * *

السنة التاسعة بعد المائة

٤٦	ذكر الأحداث التي كانت فيها
٤٦	خبر مقتل عمر بن يزيد الأسيدى
٤٧ ، ٤٦	غزو غورين
٤٩ — ٤٧	ذكر الخبر عن عزل هشام خالد القسرى وأخاه عن خراسان
٥١ — ٤٩	ذكر الخبر عن دعاة بنى العباس
٥٣ — ٥١	ولاية أشرس بن عبد الله على خراسان
٥٣	أخبار متفرقة

* * *

السنة العاشرة بعد المائة

٥٤	ذكر ما كان فيها من الأحداث
----	--------------------------------------

ذكر الخبر عما كان من أمر أشرس وأمر أهل سمرقند ومن وليهم

٦٠ — ٥٤	في ذلك
٦٦ — ٦٠	ذكر وقعة كرجة
٦٦	ذكر ردة أهل كردر
٦٦	أخبار متفرقة

* * *

السنة الحادية عشرة بعد المائة

٦٧	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
	ذكر السبب الذي من أجله عزل هشام أشرس عن خراسان
٦٧ — ٦٩	واستعماله الجنيد
٦٩	أخبار متفرقة

* * *

السنة الثانية عشرة بعد المائة

٧٠	ذكر ما كان فيها من الأحداث
٧١ ، ٧٠	ذكر خبر قتل الجراح الحكمي
٧٥ — ٧١	ذكر وقعة الجنيد مع الترك
٨٧ — ٧٥	ذكر الخبر عن مقتل سورة بن الحر
٨٧	أخبار متفرقة

* * *

السنة الثالثة عشرة بعد المائة

٨٨	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٨٨	قتل عبد الوهاب بن بخت
٨٨ ، ٨٩	أخبار متفرقة

* *

السنة الرابعة عشرة بعد المائة

- ذكر الأخبار عن الأحداث التي كانت فيها ٩٠
 أخبار متفرقة ٩٠ ، ٩١

* * *

السنة الخامسة عشرة بعد المائة

- ذكر الأخبار عما كان فيها من الأحداث ٩٢

* * *

السنة السادسة عشرة بعد المائة

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٩٣
 وفاة الجنيد بن عبدالرحمن وولاية عاصم بن عبدالله خراسان . ٩٣ ، ٩٤
 ذكر خلع الحارث بن سريج ٩٤ — ٩٨
 أخبار متفرقة ٩٨

* * *

السنة السابعة عشرة بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٩٩
 ذكر الخبر عن سبب عزل هشام عاصمًا وتوليته خالدًا على خراسان . ٩٩ — ١٠٧
 أخبار متفرقة ١٠٧
 أمر أسد بن عبد الله مع دعاة بني العباس ١٠٧ ، ١٠٨

* * *

السنة الثامنة عشرة بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث ١٠٩
 ولاية عمار بن يزيد على شيعة بني العباس بخراسان ١٠٩
 ذكر ما كان من الحارث بن سريج مع أصحابه ١٠٩ — ١١١

أخبار متفرقة ١١١ ، ١١٢

* * *

السنة التاسعة عشرة بعد المائة

١١٣ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .
 ١٢٨ - ١١٣ ذكر غزو الترك ومقتل خاقان .
 ١٣٠ - ١٢٨ ذكر الخبر عن مقتل المغيرة بن سعيد ونفر معه .
 ١٣٤ - ١٣٠ خبر مقتل بهلول بن بشر .
 ذكر الخبر عن غزوة أسد الختل هذه الغزوة وسبب قتله
 ١٣٧ - ١٣٤ بدرطرخان .
 ١٣٨ ، ١٣٧ ظهور الصحاري بن شبيب الخارجي .
 ١٣٨ أخبار متفرقة .

* * *

السنة العشرون بعد المائة

١٣٩ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .
 ١٤١ - ١٣٩ خبر وفاة أسد بن عبد الله القسري .
 ١٤٢ ، ١٤١ أمر شيعة بني العباس بخراسان .
 ١٤٧ - ١٤٢ ذكر سبب عزل هشام خالد .
 ١٥٤ - ١٤٧ ذكر الخبر عن عزل هشام خالد حين صحّ عزمه على عزله .
 ١٥٤ أخبار متفرقة .
 ١٥٩ - ١٥٤ ذكر الخبر عن سبب ولاية نصر بن سيار خراسان .
 ١٥٩ أخبار متفرقة .

* * *

السنة الحادية والعشرون بعد المائة

١٦٠ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .
 ١٧٣ - ١٦٠ ذكر الخبر عن ظهور زيد بن علي .

- ١٧٨ — ١٧٣ . . . ذكر الخبر عن غزوة نصر بن سيار ما وراء النهر
 ١٧٨ . . . أخبار متفرقة.

* * *

السنة الثانية والعشرون بعد المائة

- ١٨٠ . . . ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
 ١٩١ — ١٨٠ . . . خبر مقتل زيد بن علي
 ١٩١ . . . أخبار متفرقة.

* * *

السنة الثالثة والعشرون بعد المائة

- ١٩٢ . . . ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
 ١٩٢ . . . ذكر خبر صلح نصر بن سيار مع السَّغْد
 ١٩٣ ، ١٩٢ . . . وفادة الحكم بن الصلت على هشام بن عبد الملك
 ١٩٧ — ١٩٣ . . . ذكر الخبر عما كان بين هشام ويوسف بن عمر
 ١٩٧ . . . أخبار متفرقة.

* * *

السنة الرابعة والعشرون بعد المائة

- ١٩٨ . . . ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
 ٢٠٠ ، ١٩٩ . . . ابتداء أمر أبي مسلم الخراساني
 ٢٠٠ . . . أخبار متفرقة.

* * *

السنة الخامسة والعشرون بعد المائة

- ٢٠٠ . . . ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
 ٢٠٠ . . . خبر وفاة هشام بن عبد الملك
 ٢٠١ ، ٢٠٠ . . . ذكر الخبر عن العلة التي كانت بها وفاته

- ذكر بعض سير هشام ٢٠٨ — ٢٠١
 أخبار متفرقة ٢٠٨
 خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ٢٠٨
 ذكر الخبر عن بعض أسباب ولايته الخلافة ٢٠٨ — ٢٢٤
 تولية الوليد نصر بن سيار على خراسان وأمره مع يوسف بن عمر ٢٢٤ — ٢٢٦
 تولية الوليد بن يزيد خاله يوسف الثقفي على المدينة ومكة ٢٢٦ ، ٢٢٧
 غزو قبرس ٢٢٧ ، ٢٢٨
 ذكر الخبر عن مقتل يحيى بن زيد بن علي ٢٢٨ — ٢٣٠

* * *

السنة السادسة والعشرون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجلية ٢٣١
 ذكر بقية أخبار يزيد بن الوليد بن عبد الملك ٢٣١ — ٢٥٤
 خبر قتل خالد بن عبد الله القسري ٢٥٤ — ٢٦١
 ذكر بيعة يزيد بن الوليد الناقص ٢٦١ ، ٢٦٢
 ذكر اضطراب أمر بني مروان ٢٦٢
 ذكر خلاف أهل حمص ٢٦٢ — ٢٦٦
 ذكر خلاف أهل الأردن وفلسطين ٢٦٦ — ٢٧٧
 ذكر امتناع نصر بن سيار على منصور بن جمهور ٢٧٧ — ٢٨٠
 ذكر مخالفة مروان بن محمد ٢٨١ — ٢٨٥
 ذكر وقوع الخلاف بين اليمانية والنزارية في خراسان ٢٨٥ — ٢٩٣
 خبر الحارث بن سريج مع يزيد بن الوليد ٢٩٣ — ٢٩٥
 ذكر بيعة إبراهيم بن الوليد بالعهد ٢٩٥
 ذكر خلاف مروان بن محمد على يزيد بن الوليد ٢٩٥ — ٢٩٨
 ذكر خبر وفاة يزيد بن الوليد ٢٩٨ ، ٢٩٩
 أخبار متفرقة ٢٩٩
 خلافة أبي إسحاق إبراهيم بن الوليد ٢٩٩

السنة السابعة والعشرون بعد المائة

- ٣٠٠ ذكر ما كان فيها من الأحداث .
 ٣٠٢ - ٣٠٠ ذكر مسير مروان إلى الشام وخلع إبراهيم بن الوليد .
 ٣٠٩ - ٣٠٢ ذكر ظبور عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر .
 ٣١٠ ، ٣٠٩ ذكر خبر رجوع الحارث بن سريج إلى مرو .
 ٣١٢ ، ٣١١ خلافة مروان بن محمد .
 ٣١٦ - ٣١٢ ذكر الخبر عن انتقاض أهل حمص على مروان .
 ٣٢٣ - ٣١٦ ذكر الأخبار عن خروج الضحاك محكمًا ودخوله الكوفة، ومن أين كان إقباله إليها .
 ٣٢٩ - ٣٢٣ خبر خروج سليمان بن هشام على مروان بن محمد .
 ٣٢٩ أخبار متفرقة .

. . .

السنة الثامنة والعشرون بعد المائة

- ٣٤٤ - ٣٣٠ ذكر خبر قتل الحارث بن سريج بخراسان .
 ٣٤٦ - ٣٤٤ ذكر الخبر عن مقتل الضحاك الخارجي .
 ٣٤٧ ، ٣٤٦ ذكر الخبر عن مقتل الخيزري وولاية شيبان .
 ٣٤٨ ، ٣٤٧ أخبار متفرقة .
 ٣٤٨ خبر أبي حمزة الخارجي مع عبد الله بن يحيى بن أبي طالب .

. . .

السنة التاسعة والعشرون بعد المائة

- ٣٤٩ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .
 ٣٥٣ - ٣٤٩ خبر هلاك شيبان بن عبد العزيز الحزوري .
 ٣٦٣ - ٣٥٣ ذكر إظهار الدولة العباسية بخراسان .
 ٣٦٧ - ٣٦٣ ذكر تعاقد أهل خراسان على قتال أبي مسلم .

- ذكر خبر مقتل الكرمانى ٣٦٧ - ٣٧١
 غلبة عبد الله بن معاوية على فارس ٣٧١ - ٣٧٤
 مجيء أبى حمزة الخارجى الموسم ٣٧٤ - ٣٧٦
 أخبار متفرقة ٣٧٦

* * *

السنة الثلاثون بعد المائة

- ذكر الأحداث التى كانت بها ٣٧٧
 ذكر خبر دخول أبى مسلم مرو والبيعة بها ٣٧٧ - ٣٨٥
 خبر مقتل شبيب بن سلمة الخارجى ٣٥٨ - ٣٨٦
 ذكر خبر قتل على وعثمان ابنى جديع ٣٨٦ - ٣٨٨
 قدوم قحطبة بن شبيب على أبى مسلم ٣٨٨ - ٣٩٠
 ذكر قتل نباتة بن حنظلة ٣٩١ - ٣٩٣
 ذكر وقعة أبى حمزة الخارجى بقديد ٣٩٣ ، ٣٩٤
 ذكر خبر دخول أبى حمزة المدينة ٣٩٤ - ٤٠٢
 أخبار متفرقة ٤٠٢

* * *

السنة الحادية والثلاثون بعد المائة

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٤٠٣
 ذكر خبر موت نصر بن سيار ٤٠٣ ، ٤٠٤
 أمر أبى مسلم مع قحطبة عند نزوله الرى ٤٠٤ ، ٤٠٥
 ذكر خبر قتل عامر بن ضبارة ودخول قحطبة أصبهان ٤٠٥ ، ٤٠٦
 ذكر خبر محاربة قحطبة أهل نهاوند ودخولها ٤٠٦ - ٤٠٩
 ذكر وقعة شهرزور وفتحها ٤٠٩ ، ٤١٠
 أخبار متفرقة ٤١٠ ، ٤١١

* * *

السنة الثانية والثلاثون بعد المائة

- ٤١٢ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
 ٤١٧ — ٤١٢ ذكر الخبر عن هلاك قحطبة بن شبيب
 ٤٢٠ — ٤١٧ ذكر خبر خروج محمد بن خالد بالكوفة مسوداً
 ٤٢١ خلافة عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس
 ٤٢٩ — ٤٢١ ذكر الخبر عن سبب خلافته
 ذكر بقية الخبر عما كان من الأحداث في سنة اثنتين وثلاثين
 ٤٣٢ — ٤٢٩ ومائة
 ٤٣٥ — ٤٣٢ ذكر هزيمة مروان بن محمد بموقعة الزاب
 ٤٣٧ — ٤٣٥ ذكر خبر قتل إبراهيم بن محمد بن عليّ الإمام
 ٤٤٣ — ٤٣٧ ذكر الخبر عن قتل مروان بن محمد
 ذكر الخبر عن تبييض أبي الورد وما آل إليه أمره وأمر من
 ٤٤٥ — ٤٤٣ بيّض معه
 ٤٤٦ ذكر خبر خلع حبيب بن مرة المريّ
 ٤٤٨ — ٤٤٦ ذكر خبر تبييض أهل الجزيرة وخلعهم أبا العباس
 ٤٥٠ — ٤٤٨ ذكر خبر شخوص أبي جعفر إلى خراسان
 ٤٥٧ — ٤٥٠ ذكر الخبر عن حرب يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط
 ٤٥٨ أخبار متفرقة

* * *

السنة الثالثة والثلاثون بعد المائة

- ٤٦٠ ، ٤٥٩ ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

السنة الرابعة والثلاثون بعد المائة

- ٤٦١ ذكر ما كان فيها من الأحداث
 ٤٦٢ ، ٤٦١ ذكر خبر خلع بسام بن إبراهيم

- أمر الحوارج مع خزيمة بن خازم وقتل شيبان بن عبدالعزيز . ٤٦٢ — ٤٦٤
 ذكر قتال منصور بن جمهور ٤٦٤
 أخبار متفرقة ٤٦٤ ، ٤٦٥

* * *

السنة الخامسة والثلاثون بعد المائة

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٤٦٦
 ذكر خبر خروج زياد بن صالح ٤٦٦ ، ٤٦٧
 أخبار متفرقة ٤٦٧

* * *

السنة السادسة والثلاثون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٦٨
 ذكر قدوم أبي مسلم على أبي العباس ٤٦٨ ، ٤٦٩
 حج أبي جعفر المنصور وأبي مسلم ٤٦٩ ، ٤٧٠
 ذكر الخبر عن موت أبي العباس السفاح ٤٧٠ ، ٤٧١
 خلافة أبي جعفر المنصور ٤٧١
 أخبار متفرقة ٤٧١ — ٤٧٣

* * *

السنة السابعة والثلاثون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث ٤٧٤
 ذكر خبر خروج عبد الله بن علي وهزيمة ٤٧٤ — ٤٧٩
 ذكر خبر قتل أبي مسلم الخراساني ٤٧٩ — ٤٩٤
 ذكر خروج سباز للطلب بدم أبي مسلم ثم قتله ٤٩٥
 خروج ملبد بن حرملة الشيباني ٤٩٥ ، ٤٩٦
 أخبار متفرقة ٤٩٦

* * *

السنة الثامنة والثلاثون بعد المائة

٤٩٧	ذكر ما كان فيها من الأحداث
٤٩٧	ذكر خلع جمهور بن مرآر المنصور
٤٩٨ ، ٤٩٧	ذكر خبر قتل ملبد الخارجي
٤٩٩	أخبار متفرقة

* * *

السنة التاسعة والثلاثون بعد المائة

٥٠٠	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٥٠١ ، ٥٠٠	أخبار متفرقة
٥٠٢ ، ٥٠١	خبر حبس عبد الله بن علي
٥٠٢	أخبار متفرقة أيضاً

* * *

السنة الأربعون بعد المائة

٥٠٣	ذكر ما كان فيها من الأحداث
٥٠٣	ذكر هلاك أبي داود عامل خراسان وولاية عبد الجبار
٥٠٤ ، ٥٠٣	أخبار متفرقة

* * *

السنة الحادية والأربعون بعد المائة

٥٠٥	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٥٠٨ — ٥٠٥	ذكر الخبر عن خروج الرواندية
٥٠٩ ، ٥٠٨	ذكر خلع عبد الجبار بخراسان ومسير المهدي إليه
٥١١ — ٥٠٩	أخبار متفرقة

* * *

السنة الثانية والأربعون بعد المائة

- ٥١٢ . . . ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .
 ٥١٢ . . . ذكر خلع عيينة بن موسى بن كعب بالسند
 ٥١٣ ، ٥١٢ . . . ذكر خبر نكث إصبيهذ طبرستان العهد
 ٥١٤ ، ٥١٣ . . . أخبار متفرقة .

* * *

السنة الثالثة والأربعون بعد المائة

- ٥١٥ . . . ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
 ٥١٥ . . . غزو الديلم
 ٥١٥ . . . عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف
 ٥١٥ . . . عزل حميد بن قحطبة عن مصر
 ٥١٦ . . . أخبار متفرقة .

* * *

السنة الرابعة والأربعون بعد المائة

- ٥١٧ . . . ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
 ٥٣٩ — ٥١٧ . ولاية رباح بن عثمان على المدينة وأمر بني عبد الله بن حسن
 ٥٤٩ — ٥٣٩ . ذكر حمل ولد حسن بن حسن إلى العراق
 ذكر بقية الخبر عن الأحداث التي كانت في سنة أربع وأربعين
 ٥٥١ — ٥٤٩ . ومائة
 ٥٥١ . . . أخبار متفرقة .

* * *

السنة الخامسة والأربعون بعد المائة

- ٥٥٢ . . . ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
 ٦٠٩ — ٥٥٢ . ذكر الخبر عن نخرج محمد بن عبد الله ومقتله

- ذكر خبر وثوب السودان بالمدينة ٦٠٩ - ٦١٤
 ذكر الخبر عن بناء مدينة بغداد ٦١٤ - ٦٢٢
 ذكر الخبر عن ظهور إبراهيم بن محمد ومقتله ٦٢٢ - ٦٤٩
 أخبار متفرقة ٦٤٩

* * *

السنة السادسة والأربعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٦٥٠
 خبر استتمام بناء بغداد وتحول أبي جعفر إليها ٦٥٠ - ٦٥٥
 ذكر الخبر عن عزل سلم بن قتيبة عن البصرة ٦٥٥ ، ٦٥٦
 أخبار متفرقة ٦٥٦